مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٦ م
١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

ديوان ابن النقيب

(١٠٤٨ – ١٠٨١ هـ)

في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من ديوان ابن النقيب نقلت عن المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩٥ .

أما صاحب الديوان فهو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد المعروف بابن حمزة الحسيني وبابن النقيب . ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين وألف ، وتخرج بوالده النقيب وبجماعة من علماء دمشق وغيرها ، وغلب عليه الشعر والأدب ؛ وشعره يدل على رقة طبعه وحسن ذوقه وافتتانه بمحاسن الطبيعة ؛ وله مجموعة تشتمل على مختارات تشهد على حسن اختياره وحسن اطلاعه على الشعر . تكاد تكون كلها في وصف محاسن الطبيعة ووصف الجمال على اختلاف مظاهره ، وهي موجودة عندنا بخط الشاعر نفسه ، وليس هنا موضع الكلام عليها .

ولم يعش الشاعر كثيراً بل توفي مطعوناً في حياة والده سنة إحدى وثمانين وألف ولم يكمل الثالثة والثلاثين من عمره ، ودفن في مقبرة الدحداح غربي قبر أبي شامة . وترجم له المحبي في خلاصة الأثر وفي نفحة الريحانة .

أما ديوانه فقد جمع بعد وفاته ، جمعه ابنه السيد سعدي [1] ورتبه على حروف المعجم . قال في مقدمة الديوان :

(... وبعد فلما كان الأدب كيس اللسان ، وبرج النطق والبيان ،

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . انظر سلك الدرر للمرادي ٢/١٥٦ .

عنّ للخاطر ، والفكر الفاتر ، جمع كلام سيدي الوالد .... السيد عبد الرحمن .... نجل السيد محمد النقيب .... وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده ، وَلَمّ شعث مقاطيعه وقصائده ، فأعملت جواد العزم في تطلابه من مسوداته ، وتلقفته من أفواه رواته .... وقد رتبته على الحروف ، والأسلوب المألوف) .

وعدد صفحات الديوان مائة واثنتان وسبعون صفحة في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وقلم القلم المعروف بالنسخ ، وخطه واضح مقروء على أنه لم يخل من الأغلاط . وقد ورد في آخره ما نصه : (تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان ، جمع السيد الشريف الحسيب النسيب السيد محمد سعدي بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى . وافق الفراغ من نسخه ضحوة نهار الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف . على يد الفقير أحمد بن محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين) .

والديوان من الدواوين النادرة من حيث طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية ، وقلة الأغراض المشحونة بها دواوين الشعراء ، فلقد تنزه عن الهجاء وخلا من الرثاء ، وكاد يخلو من المدح لولا بضع قصائد هي أشبه بالإخوانيات منها بالمدح المعهود في قصائد الشعراء ؛ فيكاد يكون كل ما فيه ترجمة عن عواطف النفس وهوى الشباب وعبادة الجمال في جميع مظاهره ، وتصويراً له ، وصاحب الديوان لا يرى الشعر إلا تصويراً وابتكاراً قال :

الشعر ضربٌ من التصوير قد كشفتْ ... منه القرائحُ عن شتى من الصورِ
فاعمد إلى قالبِ عُونٍ تُدَمّثُهُ ... وافرغْ به أي معنىً شئتَ مبتكر [1]

أما الوصف فلقد طغى على جميع ما في الديوان من المعاني والأغراض ،

(١) الديوان ورقة ٤٥ .

وأكثره في الرياض والأنهار والأشجار والأزهار . قال المحبي في نفحة الريحانة [١] : (... ما أذكره له تشبيه زُهر أو زَهر ، أو وصف روضٍ مطل على نهر ، وهو ممن أُغري بهذين النوعين .... وذلك إما لميل غريزي في فطرته ، أو لأن دمشق متروّح فكرته) .

والطريف في وصفه عنايته الشديدة بالحركة حتى يكون الوصف صورة متحركة ، من ذلك قوله في طلوع البدر من خلل الأغصان :

وكأنما الأغصانُ تثنيها الصبا ... والبدر من خلل يلوح ويحجبُ
حسناء قد قامتْ وأرختْ شعرها ... في لجةٍ والموج فيها يلعب [٢]

وقوله :

ومجلسٍ حفّتْ الغصونُ بنا ... فيه ووجهُ الرياضِ مبتهجُ [٣]
كأنّ أوراقها يرفُّ بها ... فوق الندامى نسيمها الأرِج
خضرٌ من الأُزر لا تزال بها ... مناكبُ الراقصات تختلج

وقوله :

والنهر بين الغصون مُطّردٌ ... وموجه تابعٌ ومتّبَعُ [٤]

ولقد أكثر من وصف دمشق ومتنزهاتها في مناسبات مختلفة كوصف نزهة مع بعض إخوانه في الغوطة أو في الربوة ، أو وصف الربيع في بستان من بساتين دمشق . وله قصيدة في متنزهات دمشق ذكر فيها الغوطة والفيجة وبيتيمة والأشرفية وجديدة والهامة ودمر والشادروان والربوة والنيربين والصالحية وسفح قاسيون ودير مران والشرف والمرجة .

(١) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقة ٢/١١٠ .
(٢) الديوان ورقة ١٢ .
(٣) الديوان ورقة ١٦ .
(٤) الديوان ورقة ٥٣ .

وكان كثيراً ما يختلف الى هذه الأمكنة مع أصحابه أو وحده ، وقد يكتب على جذوع الشجر ما يوحيه اليه طيب المكان وحسنه ، قال ابنه جامع الديوان : (ورأيت بخطه ما مثاله : وكتبت على شجرة بوادي دمشق وقد اتخذت في ذَراها مقيلا ، وأنخت في ظلها الوارف أصيلا ، وقد كستْ متن بَردَى ، من ظلها الألمي بردا ، فوصفت ذلك المقيل بما صورته من المقال :

يا سرحة الوادي سُقيتِ من الحيا غدقاً يواصل ذيله بقطاره[1]
لم أنس يومي في ذَراك[2] وحبذا من ظلك الألمى دبيب عذاره
لما أنختُ بجانب النهر الذي قد طاب لي عيشٌ مضى بجواره
حيث النسيم جرى عليه مهيناً فكأنما ناجاه بعض سراره
فتجعدتْ منه الأسرة واغتدى بخريره ينبيك عن أخباره
يا طيب ذياك النسيم جرى على بَرَدَى يسابق ذيله بعثاره
قد رحتُ منه بالشميم مضمخاً مما حباه الروض من أزهاره)

ولعل الربوة كانت أحب المتنزهات اليه فلقد قال فيها أكثر مما قال في غيرها من الشعر .

وكان مأخوذاً بحب الأزهار ، ولشدة شعوره بجمالها يتخيلها أحياء تحس وتتألم وتفرح وتحزن ، وقد وصف غير قليل من أنواعها كالورد والقرنفل والياسمين بألوانها المختلفة والنرجس والبنفسج والسنبل ، وكان القرنفل أحب الأزهار إليه قال فيه غير قليل من المقطوعات ، وجاراه في هذا الباب عدد من شعراء دمشق أشهرهم الأمير منجك الذي كان صديقاً له .

---

(١) الديوان ورقة ٣٩ .
(٢) الذرا : الستر .

ووصف الربيع ومواكبه الساحرة ، والحمائم والبلابل والشحارير وسجعها ، والأنهار وهبوب الرياح والنسيم الواني [١] (على حد تعبيره) والروائح الذكية والسحب والمطر وما الى ذلك من محاسن الطبيعة وبواعث الشعر .

ووصف ليالي الأنس وأوقات الصفاء ومجالس الطرب وما فيها من لهو وعبث وشراب وغناء ورقص وله في ذلك مزدوجة لطيفة أولها :

يا مؤثر اللهو وطيب النعمه ورافعاً فيه مجوف الحشمه [٢]

وفي الديوان قصيدة [٣] فريدة في بابها ليس لها نظير ، ذكر فيها مجالس الأنس والطرب والمغنين والندماء في الدولتين الأموية والعباسية الى عهد الراضي ، مراعياً الترتيب الزمني ، وختمها بذكر البرامكة والحمدانيين وابن العميد والصاحب ابن عباد ، والأماكن المشهورة بالحسن . ونحن ننقل هذه القصيدة من الديوان مع ما كتب على الهامش وبين السطور من الشرح المختصر ، ونجعله في الذيل ؛ وما كان منه بين هلالين فهو من زياداتنا ؛ وأمكنة الفراغ ممحوة في الأصل أو غير مقروءة أو ذهب بها تفريط المجلد في الحبك والقطع .

---

(١) ورد في الديوان قوله :

بكر الروض بالنسيم الواني وتجلى الربيع في الوان

ورقة ٧٩ .

(٢) الديوان ورقة ٧٥ .

(٣) الديوان ورقة ٢٩ .

قال يذكر بني أمية وبني العباس وندماءهم وأرباب الغناء من المشاهير :

كلما جـدَّدَ الشجيُّ أدِّكارَهْ أزعج الشوقُ قلبه واستطارَهْ (١)

ليت شعري أين استقل عن اللهـــو (٢) بنوه وكيف أخلوا مزاره

بعد ما راوحتهمُ صفوةُ العيـــشِ ونالوا طوعَ الهوى أوطاره

وجروا في مطارد الأنس طلقاً واجتلوا من زمانهم أبكاره

بين كأسٍ وروضـةٍ وغديرٍ وسمـاعٍ ولذةٍ وغضاره

أين حلوا فمعشبٌ ومقيـلٌ أو أناخوا فوردةٌ وبهـاره

من مليكٍ زَفَّتْ بحضرته الكأ سَ قيانٌ يعزفن خلفَ الستاره

ووزيرٍ قد بات يسترق اللذا تِ وهناً والليلُ مرخٍ إزاره

وأميرٍ ممنطقٍ بنداما ه وكأس ألطّلا لديهم مُداره

كم فتىً من بني أمية أمسى وخيولُ الهوى به مستطاره

---

(١) استطاره الشوق : عبارة عن غاية قال الوزير ابو محمد بن عبدون يذكر

فما أنس لا أنس عهدي بهـا وجري فيها (ذيول الراح)

فكم لي في اللهو من طيرة

(٢) بنو اللهو : هم الذين تعاقروا أكواسه ، وركبوا نجائبه وأفراسه . وللصاحب في نحوه : أبناء الحروب الذين ذاقوا كؤوسها حلوةً ومرة ، والتحفوا لباسها مرةً بعد مرة . وأما بنات اللهو فتقال للأوتار . قال ابن المعتز :

أقمت لشربهـا طرباً وعندي بنات اللهـو تعبث بالوقارِ

ونجم الليل يركض في الدياجي كأن الصبح يطلبه بثار

كيزيدٍ [١] وشأنه مع أبي قيـــــسٍ وما قد عراه في عَمّارهْ
ونداماه كابن [٢] جعدة والأَخـــــطل إذ عاقراه صفواً عقاره
وقضى ليله مع ابن زيادٍ [٣] وقتيب [٤] بن مسلمٍ ونهـاره

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أميـة بن عبد شمس وكنيته أبو خالد . وأبو قيس قرد له كان يناديه يكنى أبا قيس ، فكان إذا رآه قال : شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئةً فمسخه الله قرداً ؛ فربما وثب فقعد على عاتقه وربما عبّ معه في الكأس ، وإذا قعد على وسادة الندام اتكأ على مثل تكائه ؛ ولما مات كفنه ودفنه وأمر أهل الشام عليه وعزوه فيه وله يقول يزيد :

نديمي أبو قيس أخف مؤونةً وأحلم إما غاب حلم المنادمِ

وعمّارة : أخت الفريض وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، أخذت الغناء عن أخيها وعن ابن سريج وابن محرز وفيها يقول بعض فتيان العرب :

لو تمنيت ما اشتهيت لكانت غاية النفس في الهوى عمّاره
بأبي وجهها الجميل الذي يز داد حسناً وبهجةً ونضاره

(٢) ابن جعدة : هو قدامة بن جعدة بن هبيرة الخزرجي . والأخطل : هو الشاعر المشهور واسمه غياث بن غوث من بني تغلب ويكني أبا مليكة (كذا والصواب أبا مالك) وكان نصرانياً من أهل الجزيرة وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة .

(٣) هو مسلم بن زياد وكان نديماً ليزيد .

(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان شهماً مقداماً وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهو صاحب الحرون وكان الحرون من المشاهير يضرب به المثل .

وكمروان [١] وابنه حين واسى بلذات عيشه سُمّاره
نادمته أبناء [٢] ياليـة اللا ئي قضى في ربوعهم أسحاره
وكمثل الوليد [٣] ذي القصف إذ كا ن يغب اصطباحه وابتكاره
ولديه الغَرِيض [٤] وابن سُرَيْجٍ أظهرا كل صنعةٍ مختـاره
من غناء ألذ من نشوة الكأ س وأشهى من صبوةٍ مستثاره
وسليمان [٥] ذي الفتوة إذ كا ن لنحو الذلفاء [٦] يبدي افتزاره

(١) ومروان بن الحكم وكان غليظاً . وابنه : هو عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أميـة ويكنى أبا الوليد ويقال له أبو الأملاك وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده .

(٢) (أبناء ياليـة : هم أبناء ياليـة بن هرم بن رواحة كان يأتيهم ليلاً ويبادهم) .

(٣) (الوليد بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٨٦ وتوفي سنة ٩٦ كان من أفضل خلفاء بني أمية) .

(٤) الغريض : قال صاحب الأغاني اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل كان يكنى أبا مروان ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر فلقب بذلك والغريض الطري من كل شيء وهو أحد المغنين ورئيسهم . وابن سريج : هو أبو يحيى عبيد الله بن سريج ذكر صاحب الأغاني أنه كان أحسن الناس غناءً وكان يغني مرتجلاً ويوقع بالقضيب .

(٥) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان كان أكولاً قيل انه نزل بالطائف فأكل سبعماية رمانة في يوم وخروفين وست دجاجات وأربعة صحون لوزينج .

(٦) الذلفاء : مغنية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت اليه .

ويزيد بن [١] خالدٍ وأبو زيـــــدٍ نديمان يشفيان أُوارهْ
بحديثٍ يستعجل الراح بالرا ح ويحتث أنجماً سيّاره
إذ بمغنى سنان [٢] كان يغالي ويجلّي بشدوه أكداره
وابن عبد العزيز [٣] إذ راوح الكأ س ووالاه في زمان الإمارة
ويزيد [٤] المعمود إذ خامرته نشوة الراح ليله ونهاره
وسبت لبه حُبابة [٥] واستهـــــوته حتى أباح فيها اشتهاره
واستمالت به سَلامة [٦] حتى أقلق الوجد فكره وأثاره
إذ يناجيه لحن مَعْبَد [٧] بالشجـــــو كما شاء معملاً أوتاره

(١) يزيد بن خالد التميمي كان سليمان يخصه ويبادمه . وأبو زبد الأسدي كان خاصاً به يجالسه ويبادمه .

(٢) مغن كان يأنس به سليمان بن عبد الملك ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أشج بني مروان وأعدلهم .

(٤) يزيد بن عبد الملك مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره ودفن بالبلقاء .

(٥) حبابة جارية كانت تسمى العالية أخذت الغناء عن ابن سريج وكانت مدنية شغف بها يزيد فكان يوماً يلاعبها فضربها بحبة رمانة وقيل بعنبة فدخلت في حلقها فشرقت فماتت فامتنع من دفنها حتى أنتنت دفنها قهراً عليه .

(٦) سلامة جارية اشتريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء .

(٧) هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين .

ولكم ألّف الغنـاء لديه ضرب عوّادةٍ على زمّاره
وهشامٍ [١] إذ استبدّ اختياراً بالرساطون [٢] واستلذ اختياره
من شرابٍ ظلتْ أفاويه المطـــر به ذات نفحـةٍ سيّاره
والوليد [٣] المليك إذ واصل الكا سات واللهو جهده واقتداره
واغتدى في تهتكٍ ومجونٍ كان يجني قطوفه وثمـاره
ومناه ذكرى سليمى [٤] لوجدٍ ظل يذكي لهيبـه واستعاره
إذ يغنيه مالكٌ [٥] بن أبي السمـــح وعمرو [٦] الوادي فينفي وقاره
ولكم خفف ابن عائشة [٧] اللحـــن له فاستخفـه واستطاره

(١) هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(٢) الرساطون : شراب كان يصنع لهشام يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قوياً صلباً وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتزندق كان محباً للشرب واللهو والطرب وقتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٤) سليمى : هي بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل .

(٥) مالك بن أبي السمح الطائي جاء في العقد لابن عبد ربه أنه أخذ الغناء عن معبد بن وهب وكان لا يضرب بالعود وانما يغني مرتجلاً .

(٦) (كذا والصواب عمر الوادي من أهل وادي القرى اتصل بالوليد بن يزيد بعد أن أخذ الغناء عن أهل الحرم فآثره الوليد وأنس به) .

(٧) هو محمد ابن عائشة ويكني أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وبغنائه يضرب المثل .

وابن ميّادة [١] بن أبرد والقا سم [٢] كانا يحتحثان عقاره
بندامٍ ألذ من زورة الحِبّ وأبهى من روضةٍ في قراره
وبُذَيْح [٣] أتى بأمر عجاب إذ تولى على القرود الإماره
ويزيد [٤] المليك إذ كان يهوى صوت حدو الحداة في كل تاره
وتغني الركبان مذ كان منشا ه البوادي حتى اعترته الحضاره
ومروان [٥] ذي الفتوة إذ كا ن يوالي في غبطة أسفاره
فيرى اللهو والسماع مناه ويرى الحرب قطبه ومداره

* * *

(١) ابن ميّادة اسمه الرمّاح بن أبرد من غطفان (شاعر فصيح) كان ينادمه ويحدثه حديث الأعراب .

(٢) هو القاسم (بن) الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه اليه وأخصهم به .

(٣) بذيح مولى عبد الله بن جعفر (كان يضرب به المثل في حسن الصوت) .

(٤) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص لأنه نقص الجند من عطاياهم فلقب بذلك وقيل لأنه ناقص الوركين وقيل لقصر يديه وكانت المعتزلة تفضله على عمر بن عبد العزيز لكونه ينتحل مذهبهم .

(٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي وكان زنديقاً ويلقب برأس الحمار لشجاعته وقيل لبلادته وبه تم ملك آل مروان وخلافة بني أمية وأتى الله بالدولة العباسية . وخلفاء بني أمية من لدن معاوية الى مروان الجعدي أربعة عشر رجلاً .

وكآل العباس إذ كان عبد [١] اللـــه يقضي طوع المنى أوطاره
كم غدا ليلة الثلاثاء والسبـــت يوالي المبوق بالقرقاره
وابن صفوان [٢] في الندامى يعاطيـــه كؤوس الحديث خلف الستاره
ولديهم أبو دلامة [٣] طوراً يصطفيه ويجتلي أشعاره
وتحسّى منصورهم [٤] من وراء النســـك راحاً والى عليها استتاره
حل منه ابن جعفر [٥] في نداما ه محلاً إذ كان يبلو اعتشاره
فيراه فيهم ظريفاً أديبـاً لسناً حاذقاً لطيف الإشاره
ثم كان المهدي [٦] يجلس للأنـــس فيصفي لشربه أوطاره

---

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس) .

(٢) هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس السفاح ينادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته .

(٣) أبو دلامة اسمه زيد بن الحرث وكان ظريفاً فصيحاً كثير النوادر ماجناً خليعاً مدمناً للشراب راوية للأخبار والأشعار .

(٤) المنصور هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب أخو أبي العباس السفاح لأبيه (ثاني خلفاء بني العباس) .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس كان المنصور يأنس به ويلتذ بمحادثته .

(٦) المهدي هو محمد بن المنصور وهو الذي زاد ... الحرام وبنى العلمين .

وفُلَيْح [١] العوراء يشدو لديه فيسيّ حنينه وادكاره
ولديه ترب الغناء أبو إســـحق [٢] يشدو بصنعةٍ ومهاره
ثم كان الهادي [٣] إذا حاول الشر ب وغنى ابن جامعٍ [٤] مختاره
يتولّى النّدام عيسى [٥] بن دأبٍ بكؤوسٍ من الحديث مُداره
ويفيض ابن مُصْعَبٍ [٦] في نثير الـــقول من حيث ينتقي أبكاره
وتحسّى الرشيد [٧] في دير مُرّا ن على كل تلعةٍ وقراره
من مدامٍ حكتْ رهابنةُ الديـــر بها في بهارةٍ جُلّناره
وعلى ضرب زَلْزَلٍ [٨] كان برصو ما لديه مواصلاً مزماره

(١) فليح بن العوراء المغني .
(٢) هو ابراهيم الموصلي المشهور بالغناء .
(٣) الهادي هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن المنصور .
(٤) (اسمعيل بن جامع من أشهر المغنين ومن طبقة ابراهيم الموصلي) .
(٥) (كان عيسى بن دأب من أكثر الناس أدباً وأكثرهم حظوة عند الهادي) .
(٦) (هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شاعر فصيح خطيب) .
(٧) الرشيد هو أبو جعفر هرون الرشيد بن المهدي لبث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وحج ماشياً رحمه الله تعالى . ودير مران بناحية من دمشق يشرف على قرى ومزارع وغدران ورياض .
(٨) زلزل اسمه منصور كان يضرب (بالعود) فقط وهو من الطبقة الأولى . وبرصوما كان زامراً في الطبقة الثانية فطرب منه الرشيد يوماً فرفعه الى الطبقة الأولى .

ثم كان الأمين [١] يمرح من لذ اته في أعِنَّةٍ مَوّارهْ
إذ ترامى بحب كوثر [١] حتى سكن الحب قلبه واستخاره
ولديه مُخارقٌ [٢] في المغنيـــن وبَذْل [٣] الكبيرة المهتاره
والحسين [٤] الخليع ينثر عقداً من ندامٍ يشف تحت العباره
ويزف ابن هانيءٍ [٥] للفكاها ت كؤوساً من الهوى مستعاره
وأدار المأمون [٦] أكواب راحٍ شعشع القصر نورُها واستناره
حيث علوية [٧] المغني واسحـــق [٨] يزفان في الدجى أقماره

(١) محمد الأمين بن هرون الرشيد وأمه زبيدة هاشمية ، ولم يل الخلافة بعد علي بن أبي طالب هاشمي وأمه هاشمية غيره ، كان فصيحاً أديباً عالماً بأيام الناس وكان له خادم اسمه كوثر وكان يهواه حتى قال فيه :

ما يريد النـاس من صـــب بمن يهوى كئيب
كوثر ديـني ودنيـا ي وسقمي وطبيـبي

(٢) مخارق كان مملوكاً لامرأة من أهل الكوفة فاشتراه منها اسحق بن ابراهيم (الموصلي وعلمه الغناء فبرع فيه) فأخذه الرشيد منه .

(٣) بَذْل : جارية كانت لجعفر بن موسى (الهادي أخذها منـه الأمين وهي إحدى المغنيات المحسنات) .

(٤) (هو الحسين بن الضحاك الباهلي المشهور بالخليع الشاعر النديم) .

(٥) أبو نواس (الحسن بن هاني الشاعر المشهور) .

(٦) المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد .

(٧) علوية (هو أبو الحسن علي بن عبد الله كان مغنياً حاذقاً) .

(٨) (اسحق بن ابراهيم الموصلي كبير المغنين العالم الأديب الشاعر النديم) .

حيث يحيى [١] بن أكثم يتولى بسطه وابن طاهرٍ [٢] أسماره
وعُرَيْبٌ [٣] مع القيان تغنيه بصوتٍ تحيرتْ أشماره
وابن هرون [٤] كان يألف إبرا هيم [٥] شوقاً ويستلذ اعتشاره
واغتدى الواثق [٦] المقدّم في الشعر على الكأس معملاً أدواره
إذ تولى بأمره مهج [٧] الخا دم عند اصطباحه إسكاره
واغتدى أحمد النديم [٨] على شر ط بني اللهو ناشراً أخباره
وانثنى الفتح [٩] ينتحي من أحاديث الهوى ممتعاته وقصاره

(١) (يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون أحد أعلام الدنيا علماً وأدباً وعقلاً) .
(٢) (هو عبد الله بن طاهر من أكابر رجال المأمون) .
(٣) عريب جارية عبد الله بن اسمعيل صاحب المراكب كانت أحسن الناس وجهاً وغناء .
(٤) هو محمد المعتصم بن هرون الرشيد .
(٥) هو ابراهيم بن المهدي المتقدم ذكره الشاعر المشهور (كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة) .
(٦) الواثق بالله هرون بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .
(٧) مهج : (خادم الواثق الذي كان يأنس به ويهواه وله فيه أشعار كثيرة) .
(٨) (هو أحمد بن حمدون كان مقرباً من الواثق وله كتاب الندماء والجلساء) .
(٩) الفتح هو الفتح بن خاقان (ومن حقه أن يذكر مع المتوكل لأنه مستشاره وصفيه) .

فتنتـه فريدةٌ [١] وعلى قد ر الهـوى يخلع المحب وقاره
وأبو الفضل [٢] كان يغدو على الرا ح مبيـداً لجَيْنه ونُضَاره
حيث كان الكشحي [٣] يأخذ عرض القـول فيما أحبـه واختاره
وزُنام [٤] بالزمر يعزف طوراً وبنانٌ [٥] بالعود تضرب تاره
ويغني عمرو [٦] بن بانة والطبـل عليه سلمان [٧] يبدي اقتداره
وأبو جعفرٍ [٨] أزاح اغتناماً مع يزيد المهلبي [٩] استتاره
وغدا المستعين [١٠] يحرق للند مان بالمن نده وصُواره

---

(١) فريدة جارية الواثق كان أهداها له عمرو بن بانة فحظيت عنده وكانت من الموصوفات بالجمال الفائق والغناء الرائق .

(٢) هو جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٣) أبو بحر كان من أطيب الناس وأكثرهم نوادر وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به .

(٤) (زنام : زمّار حاذق) .

(٥) (من الجواري المحسنات وهي شاعرة) .

(٦) عمرو بن بانة من المغنين (المشهورين وهو معدود في الندماء وله شعر) .

(٧) طبّال ماهر .

(٨) هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل على الله .

(٩) هو يزيد بن محمد المهلبي مدحه ونادمه حتى اشتهر به .

(١٠) المستعين بالله هو أحمد بن محمد المعتصم (الند : العنبر، والصوار : المسك) .

ثم هام المعتز [١] بابن بُغاء [٢] عند ما شام وجهه وعذاره
وانثنى ابن القصّار [٣] طوراً يغنيه بحذقٍ مرقصاً طنباره
فيناجيه بالهوى ويناغيه ويذكي بين الأضالع ناره
وبدا المهتدي [٤] فكان اصطناع المعرف والجود سمته وشعاره
وأناخ ابن جعفرٍ [٥] في مدار القصف والعزف نافياً أكداره
ومناه في الشدو شدو غريبٍ [٦] كلما اعتاده الهوى واستثاره
واحتسى دَرَّة الكروم أبو العباس [٧] والدَّجْنُ يستدر قُطاره
نادمته أبناء حمدون [٨] واستهواه بدرٌ [٩] حين اجتلى إبداره
ورَذاذٌ [١٠] موقِّعٌ بغناء ينتحيه بصنعةٍ مختاره

(١) المعتز أبو عبد الله بن جعفر المتوكل .
(٢) هو يونس غلامه وكان يفرط في الشغف به .
(٣) (ابن القصار : مغن بارع ومن أشهر الطنبوريين . والطنبار والطنبورواحد) .
(٤) هو محمد المهتدي بن هرون الواثق بالله .
(٥) هو أبو العباس احمد المعتمد بن جعفر المتوكل .
(٦) هي غريب المأمونية وكان معجباً بغنائها .
(٧) هو احمد المعتضد بن طلحة الموفق .
(٨) (آل حمدون جماعة نادموا الخلفاء كما في الفهرست لابن النديم) .
(٩) هو بدر الجلنار غلامه .
(١٠) (رذاذ : مغن ورد ذكره في الأغاني) .

واغتدى المكتفي[١] يمرح والصُّو[٢] لجُّ يدوي بربعه أشعارهْ
وأبو الفضل[٣] كان يرتع من رو ق صباه في جدةٍ ونضاره
حرق الند والكبا الرطب والعنـ ـبر مستمتعاً وعاف ادخاره
وأقام الراضي[٤] يفرق ما بيـ ـن الندامى في كل وقتٍ نثاره
رب كاسٍ له بقبة شاذِكْلا وفي حجرة الرخام أداره
ونعيمٍ والاه في حجرة الأُتـ ـرُجِّ والماء قد أثار بخاره
ليت شعري أين استقل بنو بر مك[٥] من بعد ما تولوا الوزاره
حين كانت أيامهم غرر العيـ ـش وكانت أكفهم مدراره
والوزير المهلبي[٦] وما نُوِّ ل وابن العميد[٧] ترب الصداره
وكذا الصاحب[٨] بن عبَّاد حيَّا ه وحيا نظامه ونثاره

---

(١) المكتفي هو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد .
(٢) (هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الأديب المشهور نادم المكتفي والمقتدر والراضي وكان أوحد زمانه في لعب الشطرنج) .
(٣) (هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد) .
(٤) الراضي هو أبو العباس القاهر بن جعفر .
(٥) وزراء الرشيد .
(٦) (يزيد بن محمد المهلبي وقد تقدم الكلام عليه) .
(٧) (أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الأديب المشهور) .
(٨) (الصاحب هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد صاحب ابن العميد ونظيره في الأدب والمنزلة والعمل) .

بل وأين السراة من آل حمدا ن[1] وما قد تحولوا في الإمارهْ
أين أهل العراق والفرس ممن رفهوا عيشهم وخاضوا غماره
أين من بات رافعاً لبني اللهـــو الملهين بالتحـايا عَماره[2]
أين من راح والمجاسد تردا ن عليـه بأعين النظّاره
طوقته المخانق البرميـا ت فكانت بين الظراف شعاره
وتردتْ منـه العواتق بالمنديـــل مذراح عاقـداً زناره
توجوا رأسه بإكليـل آسٍ وأناطوا بجيـده تِقْصاره[3]
وعلى الأذن منه ريحانة من أُذْرِيُونٍ[4] كمن يروم سراره
أين من كان جانبُ الزهو مينا ساً لديه والعيش يندى غضاره
ينتحي مُنْتَحَى المروءات طلقاً في لذاذاته ويبدي افتراره
وترى عنـده مزمّلة[5] الما ء وخيش النسيم يعلو جداره
وسحاب البخور يهطل منـه ماء ورد يزجي النسيمُ قطاره

(١) (الأمراء الحمدانيون من أشهر أمرائهم سيف الدولة ممدوح المتنبي) .
(٢) (العَمارة بالفتح : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله) .
(٣) (التقصارة : قلادة شبيهة بالمخنقة) .
(٤) (أذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود) .
(٥) (المزمّلة : جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) ومروحة الخيش كشراع السفينة يعلقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء) .

أين من كان في فضاء من الغـــوطة [١] قدماً يجلي بهـا ابصارهْ
أين من بات ناعماً في مغاني شِعب [١] بوّان ناشقاً أزهاره
أين من أطلق النواظر في صُغْـــد سمرقند [١] واجتلى أنواره
أين من حلّ بالأُبُلّة [١] قدما وجلا في رياضهـا أفكاره
أين من بات بالسّماوة [٢] فى ميـــناف روضٍ ينشـه أسراره
بنسيمٍ يحـل في غلس الأســـحار عن جيب نوره أزراره
حيث تندى مباسم الزهر فيه وتَلَقّىٰ أنفاسـه زُوّاره
فسقتْ عهد من مضى أدمع المز ن وجادتْ بصوبها آثاره
ما سرتْ نسمة الصباح بروضٍ عبقريٍّ فهيّجتْ أطيـاره

خليل مردم بك

(١) (غوطة دمشق وشعب بوّان وصغد سمرقند والأُبُلّة (في خليج البصرة) جنان الأرض الأربع وأجلها الغوطة كما في معجم البلدان) .
(٢) (السماوة بلدة على الفرات وبادية السماوة بين الكوفة والشام) .

الاصطلاحات الفلسفية

- ١ -

يشتمل هذا المقال على اصطلاحات فلسفية جمعناها من كتب الفلاسفة وكتب الحدود والتعريفات ومعاجم اللغة وقواميس الفلسفة ، وبينا اختلاف معانيها باختلاف الفلاسفة الذين تداولوها ، وذكرنا إلى جانب كل لفظ ما يقابله من الألفاظ اللاتينية والفرنسية والانكليزية . فنرجو أن يجد إخواننا في هذه الألفاظ المحددة المعرفة بغيتهم وأن يبينوا رأيهم فيها لعلنا نستطيع بعد الاطلاع على آرائهم أن نتم تعريفاتنا ، ونوحد اصطلاحاتنا . فإن الاتفاق على اصطلاحات واحدة يفهم بها بعضنا عن بعض ضروري لنا في بداية نهضتنا العلمية الحديثة . وهو في نظرنا لا يقل خطورة عن الاختراع العلمي نفسه . فالألفاظ حصون المعاني ، والاصطلاحات نصف العلم ، وكل علم ليس فيه اصطلاح ثابت محدد إنما هو علم ناقص مبدّد .

الأبد

في اللاتينيـة — Aeternitas

في الفرنسية — Eternité

في الانكليزية — Eternity

الأبد في اللغة الدهر والدائم والقديم والأزلي ، والجمع آباد وأبود . وهو في الاصطلاح الزمان الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء ، أو المدة التي لا يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل ، أو الشيء الذي لا نهاية له .

والفلاسفة يفرقون بين الأبد الزماني والأبد اللازماني .

فالأبد الزماني هو المدة التي ليس لها حد محدود في الماضي والمستقبل ، أو الزمان الدائم الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء . وهو بهذا المعنى صفة من صفات الله ، لأنه تعالى كان وسيكون دائماً . أما العالم الحادث الفاني فليس أبدياً ، لأنه لم يكن ولن يكون دائماً . وفلاسفة القرون الوسطى يقسمون الأبد الزماني قسمين ، فيسمون دوام الوجود في الماضي أزلاً (a parte ante) ، ودوام الوجود في المستقبل أبداً (a parte poste) . ولا فرق بين الأزل والأبد بالنسبة الى الله تعالى لأن أبده عين أزله ، وأزله عين أبده ، بل الأزل والأبد بالنسبة اليه صفتان أظهرتهما الإضافة الزمانية لتعقل وجوب وجوده ، وإلاّ فلا أزل ، ولا أبد ، كان الله ولم يكن شيء معه .

أما الأبد اللازماني فهو المطلق أو الشيء الذي لا نهاية له . وهو مقابل للزمان . فكل حادث وكل موجود متناهٍ هما في الزمان . أما الموجود الأبدي فليس حادثاً وليس له قبل ولا بعد ، بل هو الحاضر الأبدي (Duratio tota simul) ، وهو فوق الزمان . لقد كان الفلاسفة الابليون مثلاً يفرقون بين الوجود والكون ، فيقولون إن المطلق لا يوصف إلاّ بالوجود ، وان الأشياء المتناهية لا توصف إلاّ بالكون ، وانه ليس للوجود ماض ولا مستقبل ، ولكنه في حاضر لا يزول . فأخذ أفلاطون وأرسطو عنهم هذا الأصل وقالا إن الموجود الكامل لا يتكون ولا يتغير ، وهو واحد أبدي لا حركة ولا تعاقب في وجوده التام غير المنقسم ، ولا صلة له بالزمان . أما الموجودات غير الكاملة فتولد وتتغير وتتكون بدون انقطاع ، وهي في الزمان . وعلى ذلك فالفرق بين الأبد والزمان ليس بالرتبة والمقدار ، كالفرق الذي بين العدد الغير المتناهي والعدد المتناهي ، وإنما هو بالطبيعة ، لأن أحدهما غير منقسم والآخر منقسم الى غير نهاية . وليس بينهما مقياس مشترك . وعلى ذلك أيضاً يمكن أن يوصف العالم والزمان

بأنها لا ابتداء لها ولا انتهاء ولا يكونان مع ذلك أبديين ؛ لأنه يكفي أن يكون وجودهما مشتملاً على التبدل والتغير حتى يكون غير أبدي . هذا الذي أشار اليه أفلاطون بقوله ان الزمان صورة متحركة للأبدية غير المتحركة ، وهذا أيضاً ما ذهب اليه آرسطو عند استدلاله على وجود الله بوجود الحركة والتغير ، فخلص من ذلك الى القول بوجود محرك لا يتحرك . إن هذا الأبد اللازماني هو المعنى الذي أخذ به أيضاً القديس توما الاكويني وديكارت ومالبرانش وبوسويه وفنلون وليبنيز وكانت .

والأبد والأمد متقاربان . لكن الأبد لا يتقيد فلا يقال أبد كذا ، والأمد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمان كذا .

وأبداً ظرف زمان للتأكيد في المستقبل نفياً وإثباتاً ، فصار كقط والبتة في تأكيد الزمان الماضي يقال ما فعلت كذا قط والبتة ، ولا أفعله أبداً أو أفعله أبداً . ويقال أيضاً لا آتيه أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وآخر الأبد كناية عن المبالغة في التأبيد .

الإبداع

في اللاتينية	Créatio
في الفرنسية	Craétion
في الانكليزية	Creation

الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق . وعند البلغاء اشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع .

وله في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :

الأول : تأسيس الشيء عن الشيء ، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقاً كالابداع الفني ، والابداع العلمي ، أو كالتخيل المبدع الذي نتكلم عنه في علم النفس .

والثاني : إيجاد الشيء من لا شيء كإبداع الباري سبحانه ، فهو ليس بتركيب ولا تأليف ، وإنما هو إخراج من العدم الى الوجود . وفرقوا بين الإبداع والخلق ، فقالوا : الإبداع إيجاد الشي من لا شيء ، والخلق إيجاد شيء من شيء . لذلك قال الله تعالى : بديع السموات والأرض ، ولم يقل بديع الانسان ، بل قال خلق الانسان ، فالابداع بهذا المعنى أعم من الخلق .

والثالث : إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ، ويقابله الصنع ، وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال (ابن سينا) في الاشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » (الإشارات ، النمط الخامس ، ص ١٥٣ من طبعة فورجت) . وهذا تنبيه الى أن كل مسبوق بعدم فهو مسبوق بمادة وزمان . والغرض منه كما قال (الطوسي) عكس نقيضه ، وهو أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان فلم يكن مسبوقاً بعدم . فالابداع هو إذن أن يكون من الشيء وجود لغيره دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان . كالعقل الأول في فلسفة (ابن سينا) فهو يصدر عن واجب الوجود دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى أعلى رتبة من التكوين والإحداث فان التكوين هو أن يكون من الشيء وجود مادي ، والإحداث أن يكون من الشيء وجود زماني . وكل واحد منهما يقابل الإبداع . فالتكوين يقابله لكونه مسبوقاً بالمادة ، والإحداث يقابله أيضاً لكونه مسبوقاً بالزمان . والإبداع أقدم منهما ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث . إذن التكوين والإحداث مترتبان على الإبداع ، وهو أقرب منهما الى الله .

والرابع : الإبداع الدائم (Création Continuée) . وهو عند الفلاسفة الأصوليين والديكارتيين الفعل الذي يبقي به الله العالم . وهو عين الفعل الذي

يخرجه به من العدم الى الوجود . فالله إذن مبدع ومبق ، لأنه إذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة . وهذا أيضاً يقابل التأليف ، لأن التأليف باقٍ وان أمسك المؤلف تأليفه ، أما الإبداع فهو إيجاد وإبقاء .

والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لا يحتاجون الى القول بإبداع العالم ، ولكن الذين يفرقون بين الله والعالم يقولون أن علاقة أحدهما بالآخر لا تعدو ثلاثة أحوال :

فاما أن يقال ان العالم قديم وان الله عالم بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . وهذا مذهب القائلين بالعناية الإلهية كابن سينا وغيره .

واما أن يقال ان لقدرة الله تأثيراً في مبدأ العالم من حيث انها تنظم المادة الموجودة سابقاً وترتبها كما يرتب الصانع إبداعه .

واما أن يقال ان لها تأثيراً في إخراج العالم من العدم الى الوجود . وهذا مذهب القائلين بالإبداع ، أعني القول إن الله ليس مؤلف نظام الأشياء ومرتب صورها فحسب وإنما هو مبدع مادتها أيضاً . ومعنى ذلك أن كل ما لم يكن موجوداً فقد صار بفعل قدرته تعالى موجوداً .

الإحساس

في اللاتينية	Sensus
في الفرنسية	Sensation
في الانكليزية	Sensation

الإحساس ظاهرة نفسية متولدة من تأثر آلة من آلات الحس بمؤثر ما ، وله دلالات مختلفة تابعة لتحليل هذه الظاهرة تحليلاً كلياً أو جزئياً ، فإما أن يطلق على مجموع هذه الظاهرة ، وإما أن يطلق على جزء من أجزائها ، وهو على

كل حال ظاهرة أولية يتعذر عليك أن تظفر بها نقية خالصة مجردة من الشوائب ، ولكنك تستطيع أن تتقرب منها تقربك من حدٍ نهائي . ويمكن أن يعتبر الإحساس ظاهرة مختلطة ، أي ظاهرة انفعالية وعقلية معاً ، فهو انفعالي لأنه عبارة عن تبدل في نفس المدرك ، وهو عقلي لأنه يشتمل على معرفة بالشيء الخارجي ، وينحصر معناه فيطلق على الناحية الانفعالية وحدها ، فيصبح بهذا المعنى الأخير مقابلاً للإدراك (راجع مادة إدراك) . قال ابن سينا : « فإني إنما أعرف أن لي قلباً ودماغاً بالإحساس والسماع والتجارب » (الشفاء ١ — ٣٦٣) ، وقال الجرجاني : « الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس ، فان كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات ، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات »(التعريفات) . وقال التهانوي : « الإحساس هو قسم من الإدراك ، وهو إدراك الشيء الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك مكنوفة بهيئات مخصوصة من الأين والكيف والكم والوضع وغيرها ، فلا بد له من ثلاثة أشياء : حضور المادة ، واكتناف الهيئات ، وكون المدرك جزئياً ، والحاصل ان الإحساس إدراك الشيء بالحواس الظاهرة على ما تدل عليه الشروط المذكورة » (الكشاف) .

والإحساسات الداخلية (Sensations internes) هي الاحساسات التي يعزوها المدرك الى بدنه لا إلى شيء خارج عنه ، كالجوع ، والعطش ، وآلام الرأس والأسنان ، والصداع وغيرها .

والحس (Sens) هو القوة التي بها تدرك الاحساسات ، والحواس هي آلات الحس . قال ابن سينا : « الحس إنما يحس شيئاً خارجاً ، ولا يحس ذاته ولا آلته ولا إحساسه » (الشفاء ١ — ٣٥٠ ، النجاة ٢٩٣ — ٢٩٤) . وقال أيضاً : (الحس إنما يدرك الجزئيات الشخصية » (النجاة ١٠١) ، وقال التهانوي : « الحس هو القوة المدركة النفسانية » (الكشاف) ، « والحواس هي المشاعر الخمس ، وهي البصر والسمع والذوق والشم واللمس » (الكشاف) .

والحسي أو المحسوس (Sensible) هو ما يدرك بالحواس . قال التهانوي : « الحسي هو المنسوب الى الحس ، فهو عند المتكلمين ما يدرك بالحس الظاهر ، وعند الحكماء ما يدرك بالحس الظاهر أو الباطن ، والحسي يسمّى محسوساً ، ويقابل الحسي العقلي » ، وقال أيضاً : « المحسوس هو الحسي أي المدرك بالحس » (الكشاف) ، وقد يطلق الحسي على الشيء المنسوب الى الاحساس أو على الشيء المؤلف من الاحساسات ، كقولنا الأفعال أو العمليات الحسية (Opérations sensitives) ، وقد يطلق أيضاً على الشيء المنسوب الى أعضاء الحس كقولنا الأعضاء الحسية (Organes sensoriels) .

والمذهب الحسي (Sensualisme) هو مذهب القائلين أن المعرفة لا تنشأ إلا عن الاحساس .

والحاسّ هو الشيء الذي يحسّ كقولنا الجهاز الحاس (Appareil sensitif) .

والحساسية أو قابلية الحس (Sensibilité) تدل على عدة معان :

آ — قوة الحس وهي بهذا المعنى مقابلة لقوة العقل .

ب — قوة الشعور بالأحوال الانفعالية كاللذات والآلام والميول والهيجانات والأهواء .

ج — دقة الإحساس .

والحساسية العامة (Sensibilité générale) هي ملكة الشعور بالاحساسات الداخلية ، أما الحساسية الخاصة (Sensibilité spéciale) فهي ملكة الشعور بالاحساسات الظاهرة المتولدة من مؤثرات خارجة عن البدن .

الإدراك

في اللاتينية Perceptio

في الفرنسية Perception

في الانكليزية Perception

الإدراك في اللغة هو اللحاق والوصول، يقال أدرك الشيء بلغ وقته وانتهى، وأدرك الثمر نضج، وأدرك الولدُ بلغ، وأدرك الشيءَ لحقه، وأدرك المسألة علمها، وأدرك الشيء ببصره رآه. فمن رأى شيئاً ورأى جوانبه ونهاياته قيل انه أدركه، ويصح: رأيت الحبيب وما أدركه بصري، ولا يصح أدركه بصري وما رأيته، فيكون الإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية.

١ — وللإدراك في الفلسفة العربية عدة معانٍ:

فهو يدل أولاً على حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً، جزئياً أو كلياً، حاضراً أو غائباً، حاصلاً في ذات المدرك أو آلته: قال ابن سينا: «إدراك الشيء هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهدها ما به يدرك، فإما أن تكون تلك الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك، فتكون حقيقة ما لا وجود له بالفعل في الاعيان الخارجة مثل كثير من الأشكال الهندسية، بل كثير من المفروضات التي لا تمكن إذا فرضت في الهندسة مما لا يتحقق أصلاً، أو تكون مثال حقيقته مرتسماً في ذات المدرك غير مباين له، وهو الباقي» (ابن سينا، الاشارات ص ١٢٢) فالحقيقة المتمثلة عند المدرك ليست نفس حقيقة الشيء الخارجي، وإنما هي مثال لها مرتسم في ذات المدرك. فاذا دلَّ الادراك على تمثل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي أو إثبات سمي تصوراً، واذا دل على تمثل حقيقة الشيء مع الحكم عليه بأحدهما سمي تصديقاً (الجرجاني، التعريفات).

والادراك بهذا المعنى مرادف للعلم ، وهو يتناول جميع القوى المدركة ، فيقال إدراك الحس ، وإدراك الخيال ، وإدراك الوهم ، وإدراك العقل . ولكن بعض الفلاسفة يحدد معنى الإدراك فيخصه بالإحساس وحده ، وحينئذ يكون أخص من العلم وقسماً منه ، كما ان بعضهم يوسع معناه فيطلقه على حضور صورة المشعور به في الشاعر ، أو يطلقه على الكمال الذي يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان . وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمّى إدراكاً (كليات أبي البقاء) .

وكما يتناول الإدراك الحس والخيال والوهم والعقل ، فكذلك يتناول معرفة أعلى من المعرفة العقلية ، وهي المعرفة الحاصلة من الكشف الباطني ، فيقال إدراك الذوق وإدراك الحدس . قال الغزالي : « وأما ما عدا ذلك من خواص النبوة إنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف » (المنقذ ـ ص ١٣٩) ، وقال ايضاً : « بل الإيمان بالنبوة أن يقر باثبات طور وراء العقل ، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان ، والبصر عن إدرك الأصوات ، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات »

وفي اصطلاحات الصوفية الإدراك البسيط هو إدراك الوجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، والادراك المركب هو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الشعور بهذا الإدراك وبأن المدرك هو الوجود الحق سبحانه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) .

والإدراك عند معظم الفلاسفة إما أن يكون إدراك الجزئي أو إدراك الكلي ، وإدراك الجزئي قد يكون بحيث يتوقف على وجوده في الخارج وهو الحس ، أو لا يتوقف وهو الخيال . وإدراك الجزئي على وجه كلي هو إدراك كليه الذي ينحصر في ذلك الجزئي . أما إدراك الكلي فهو ان الاشخاص

الانسانية مثلاً متساوية في معنى الانسانية ومتباينة بأمور زائدة عليها كالطول والقصر والشكل واللون . وما به المشاركة غير ما به المخالفة ، فالانسانية من حيث هي هي تكون أمراً مغايراً لهذه الزوائد ، فادراكها من حيث هي هي هو المسمّى بالإدراك الكلي (لباب الإشارات للرازي ص ٧٤) .

٢ — أما في الفلسفة الحديثة فان الإدراك يدل أولاً على شعور الشخص بالإحساس أو بجملة من الاحساسات التي تنقلها اليه حواسه ، أو هو شعور الشخص بالمؤثر الخارجي والرد على هذا المؤثر بصورة موافقة . وهذا المعنى العام يدل على أن الادراك يختلف عن الاحساس . فالظاهرة النفسية التي تحصل في ذات المدرك عند تأثر أحد أعضاء الحس تشتمل على وجهين أحدهما انفعالي (Affective) والآخر عقلي (Intellectuelle) ، فاذا تناول الشعور هذه الظاهرة من ناحيتها الانفعالية سميت إحساساً وإذا تناولها من ناحيتها العقلية سميت إدراكاً . فليس الإدراك والاحساس إذن ظاهرتين مختلفتين وإنما هما وجهان مختلفان لظاهرة واحدة . ولكن بعض الفلاسفة يطلق لفظ الإحساس على هذه الظاهرة بوجهيها ، فيكون الإحساس حالة انفعالية وعقلية معاً ، ويكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم عليه بأنه ناشئ عن مؤثر خارجي . فالادراك بهذا المعنى هو الادراك الخارجي (Perception exterieure) كما يقول (ريد Reid) والابكوسيون ، أو هو الاحساس المصحوب بالانتباه كما يقول (مين دوبيران Maine de Biran) . والواقع أن الاحساس والادراك كليهما مصطبغان بلون انفعالي وعقلي معاً ، ولكن الادراك يزيد على الاحساس بأن آلة الحس تكون فيه أشد فعلاً ، والنفس أكثر انتباهاً ، فيكون الشيء الخارجي أبين والصورة المرتسمة في النفس أوضح وأميز . وعلى كل حال فالادراك يقتضي الاحساس ، فإما أن يطلق على الشعور بالاحساس ويكون عند ذلك حالة عقلية ، ويكون الاحساس حالة انفعالية . وإما أن يكون الاحساس دالاً على الشعور بالتغير

الذي أحدثه المؤثر في النفس فيكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم على ذلك الاحساس بأنه ناشئ عن سبب خارجي ، أو يكون عبارة عن الاحساس المصحوب بجهد الانتباه .

وكما يختلف الادراك عن الاحساس فكذلك يختلف عن العاطفة ، لأن الادراك كما يقولون حالة عقلية والعاطفة حالة وجدانية انفعالية ، وهذا الفرق بين الادراك والعاطفة تناوله (ليبنيز) في مذهبه على وجه أتم وأوفى قال : « ان الحالة الموقتة التي تنطوي على كثرة في الوحدة ، ليست سوى الشيء الذي يسمّى إدراكاً بسيطاً (Perception) ويجب تمييزها عن الادراك المركب (Aperception) أو الشعور » (المنادولوجيا فقرة ١٤) . فالادراك البسيط عند ليبنيز هو التبدل الذي يحدث في (المناد) وهو يهب (المناد) فرديته وذاتيته ويجمع الكثرة فيه الى الوحدة ، والاشتهاء (Appétition) هو القوة الداخلية أو النزوع الذي يولد الادراكات ، والادراك المركب هو الشعور بالادركات البسيطة . ولذلك كان للادراك عند (ليبنز) درجات أعلاها الادراك المركب أو الادراك المميز الواضح ، وأدناها الادراك المبهم الغامض ، وهو ما يسميه (ليبنيز) بالإدراك غير المحسوس (Perception insensible) .

والادراك في الاصطلاح الديكارتي يطلق على جميع أفعال العقل وهو مقابل للارادة والرغبة . قال ديكارت : « إن فينا نوعين من الأفكار هما إدراك العقل وفعل الارادة » (المبادي ، القسم الأول ، ٣٢) . وكلمة (أفكار) تدل عنده على ما نسميه اليوم بحوادث الشعور .

وقد يطلق لفظ الادراك على القوة المدركة (Faculté de percevoir) أو على فعل الادراك (Acte de percevoir) أو على المعرفة (Connaissance) التي تنتج من هذا الفعل .

وكما يكون الادراك خارجياً (Perception externe) فكذلك يكون داخلياً (Perception interne) والمقصود من هذا الادراك الداخلي هو الشعور أي معرفة النفس بأحوالها .

وفرقوا بين الادراكات الطبيعية (Perceptions naturelles) والادراكات المكتسبة (Perceptions acquises) فقالوا : الادراكات الطبيعية هي المعارف التي تنشأ مباشرة عن فعل أعضاء الحس ، كرؤية الألوان ، فهي إدراك طبيعي لحاسة البصر ، أما الادراكات المكتسبة فهي المعارف التي تتولد في النفس من تربية الحواس . ان هذه الادراكات المكتسبة ليست في الحقيقة ادراكات ، وإنما هي أحكام وتأويلات ، ولولا هذه الأحكام التي نستنبطها من منظر الجسم ونواحيه المضيئة والمظلمة وتغيرات هيئته المقابلة لحركاته ، وتقارب محوري العينين بالنسبة اليه ، وعدم تطابق الصورتين الشبكيتين المتولدتين منه لما أدركنا المسافة ولا التجديب والتقعير .

ومن اصطلاحات ليبنيز الادراكات الصمّاء (Perceptions sourdes) ، والادراكات الغامضة (Perceptions obscures) ، والادراكات غير المدركة (Perceptions inapercues) ، والادراكات الصغيرة (Petites perceptions) .

والمحدثون يطلقون الادراك على تمثل الشيء الخارجي وحده ، فيقولون ان الادراك هو الفعل الذي ينظّم به المدرك إحساساته الحاضرة ، فيؤولها ويكملها بالصور والذكريات ، ثم يعزوها الى شيء مقاوم له مع الحكم عليه حكماً عفوياً بأنه شيء خارجي معلوم عنده ومتميز عنه .

(يتبع) جميل صليبا

حريق

الجامع الأموي بدمشق

سنة ٧٤٠ هـ

من الحوادث ذات الشأن في تاريخ دمشق ، ما كان يُصاب به المسجد الجامع بها من حريق . فلقد أحرقه المصريون متعمدين سنة احدى وستين وأربع مئة بغضاً بالدماشقة الشاميين وحقداً على خلفائهم الأمويين . ففقد المسجد بهجتـه ونضارته ، ورونقه وتزويقه [١] ثم جهد الملوك من السلاجقة ، والنوريين ، والأيوبيين ، والمماليك ، في إعادة المسجد الى سالف عهده [٢] ، وعُني بعض الولاة بتجديده [٣] . حتى اذا كانت سنة ٧٤٠ هـ أصيب المسجد بحريق كبير أتلف قسماً منه ، وأخذ ما يحيط به شرقاً وجنوباً ، من القيساريات ، والمدارس ، والأسواق . وقد كان لهذا الحريق أثر كبير فى نفوس الفقهاء والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وسنتكلم على ذلك ، ونتج عنه نتائج مزعجة . وقد لا يوازي هذين الحريقين في عظمهما إلا الحريق الأخير الذي أتلف المسجد في أيام العثمانيين .

وقع حريق سنة ٧٤٠ هـ في السنة الأخيرة من ولاية تنكز [٤] . ففي السادس

(١) عن حريق سنة ٤٦١ انظر : القلانسي ، تاريخ ص ٩٦ ، ٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية ١٢ : ٩٧ - ٩٨

(٢) انظر أعمال هولاء الملوك في كتابنا « مسجد دمشق » ص ١٣ وما بعدها .

(٣) مثل تنكز سنة ٧٣٠ هـ . انظر المصدر السابق

(٤) ولي تنكز دمشق سنة ٧١٢ هـ وبقي الى أواخر سنة ٧٤٠ . انظر كتابنا : أمراء دمشق في الإسلام ص ٢٢

عشر من شهر شوال ، شب [١] الحريق أوائل الليل ، بقيسارية الدهشة بسوق البادين . وكانت هذه القيسارية أمام باب الجامع الشرقي ، فتوصلت النار الى دكان فقاعيّ مجاورةٍ للباب الشرقي ـ أي باب الساعات ، أو باب جيرون ـ ، ثم كشفت وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر ـ وهو الذي في شرق المصلّى ـ ، ثم شبّت فبلغت أعلى المأذنة الشرقية فاشتعلت ناراً وتفجّرت أحجارها ، ثم سقطت على سقف المسجد الجملون ، حتى كادت تأخذ المسجد كلّه . فسارع الناس ، والعسكر جميعه ، وأمراء الألوف ، وعلى رأسهم تنكز إلى إخماد النار . فما خمدت إلا بعد يومين وليلتين .

وبعد ليالٍ ـ على قول ابن كثير [٢] ـ أو أسبوعين ـ على قول المقريزي [٣] ـ ، وقع حريق ثانٍ في قيسارية القوّاسين ، والكفتيّين ، وسوق الخيل . وكانت هذه كلُّها في جنوب الجامع . مقابل باب الزيادة ـ ويسمى باب الساعات أيضاً ، وباب العنبرانيين ـ ، فكانت الخسارة جسيمة عظيمة : عدم خمسة وثلاثون ألف قوس ، وعدمت للناس أموال عظيمة كان مبلغ ما للتجار منها خاصّة ألفَ ألفٍ وستّ مئة ألف دينار . ثم لفّت النار حول قيسارية القواسين فاحترقت المدرسة الأمينية ـ وكان بها سلاح للمسلمين ـ ، والخيّميين ، وجاء نائب الشام تنكز والعسكر فأطفأوا النار في يومين وليلتين .

أثار نشوب هذين الحريقين المتواليين حول المسجد ، الشك في نفوس الناس والاستغراب ، فطفقوا يتساءلون عن الأسباب ، ولم يلبث أن وُجدت ورقة

(١) مصادرنا عن هذا الحريق هي : ابن كثير ، البداية ١٤ : ١٨٦ ؛ المفضل بن أبي الفضائل ، (مخطوطة باريز 4525) ؛ المقريزي ، السلوك ٢/١/٤٩٧ ؛ ابن فضل الله ، مسالك الأبصار ٢٠١ ـ ٢٠٢ ؛ ابن العماد ، شذرات ٦ : ١٢٦

(٢) البداية ، المصدر السابق

(٣) السلوك ، المصدر السابق

كتبها مجهول اسمه «المملوك الناصح» يذكر فيها أن الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش . فأمسك وسئل . وما زالوا به حتى أخبرهم بالأمر . وتبيّن أن جماعة من رؤوس النصارى ، بعضهم من كتّاب الدولة وعمّالها ، دبّروا أمر هذين الحريقين .

وقد عثرنا على نصّ المحضر ـ الذي كُتب يومئذ وأرسل الى سلطان مصر ـ في مكتبة جامعة ليدن [١] . وهو نصّ مهم جدّاً [٢] ، لأنه يُظهر لنا كيف تآمر هؤلاء الكتّاب ، وأحرقوا المسجد . وثمة ناحية ثانية تزيد في شأنه هي أنه نصٌّ رسمي ، حكومي . والوثائق المماثلة له نادرة جداً .

ويتبين مما جاء في المحضر ، ومما ذكره المقريزي وابن كثير ، أن راهبين وردا الى دمشق من قسطنطينيّة « ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها ، وقد باعا نفسيهما على ذلك » ، اسم الأول « ميلاني » واسم الثاني « عازر » . فاجتمعا بعامل الجيش وكاتب الحوطات ، وثالثٍ كان كاتب بهادر أص [٣] . والثلاثة من النصارى . وكان « ميلاني » عارفاً « بصناعة النفط والنار » ، فاتفقوا « على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق » ، وقدّم لهم عامل الجيش ما يحتاجون اليه من نفط وغيره ، فعملوا سبع كعكات حشوها بارود ونفطاً ودقّ فحم وغير ذلك ، وغيّر الراهبان ملابسهما ، وأتيا الدهشة ، فتحيّل أحدهما وجعل إحدى الكعكات في دكانٍ شرقي القيسارية ، ثم ألقى كعكة ثانية بين الدراريب ، ثم عادا الى حيث نزلا : في بستانٍ بقربة بجوبر .

---

(١) ليدن Cod. Or. 951

(٢) انظر المحضر في ذيل المقال

(٣) كان بهادر أص من أمراء الألوف بدمشق . وله تربة تعرف به . مات سنة ٧٣٠ . انظر الثاني من الدارس

ويذكر ابن كثير «أنهما تلطفا وعملا النفط لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعاتٍ وأكثر» . فلما كان الليل لم يشعر الناس إلاّ والنار عملت في تلك الدكاكين حتى تعلّقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق وكان ما كان من أمر الحريق الأول .

أما الحريق الثاني فقد تمّ على يد حمام نصراني كانت له دكان على باب قبسارية القوّاسين ، فقد دفعت الجماعة له خمس مئة درهم كي يضع كعكة من كعكات النفط في سقف الدكان ، فوضعها فشبّ الحريق الثاني .

- ٢ -

ونتساءل الآن لماذا وقع هذان الحريقان ، ومن دبر أمرهما .

الظاهر أن الهدف كان الإضرار بمسلمي دمشق بإتلاف أموالهم وتخريب مسجدهم . وقد كان النصارى يلجأون الى الحريق أحياناً بقصد الاضرار . وفي تاريخ مصر حوادث كثيرة تدل على ذلك . ففي سنة ثلاث وستين وست مئة ، أيام الظاهر بيبرس ، كثر الحريق في القاهرة ، واحترقت حارة الباطلية بأمرها ، وتبين أن النصارى هم الذين فعلوا ذلك[1] . وفي أيام الملك الناصر محمد ، سنة احدى وعشرين وسبع مئة قبض على راهبين من دير البغل رميا النار في المدرسة الهكّارية ، واعترفا أنهما أحرقا أماكن كثيرة في القاهرة[2] . وقد اتبع هذان الراهبان الطريقة التي سلكها راهبا دمشق ، من صنع الكعكات المحشوة بالخرق والنفط والقطران . ولعل هذه أول مرة يعمد فيها

(١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ١ : ٨

(٢) المقريزي ، السلوك ٢/١/٢٢٣

النصارى الى إحراق دمشق ومسجدها[١] . وقد سبقوا في حريق القاهرة[٢] .

وقد جاء في المحضر أن الراهبين اللذين أحرقا مسجد دمشق أتيا من القسطنطينية . ويذكر المقريزي أنهما أتيا ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها . ويوضح ابن كثير ـ وقد كان أثناء الحريق بدمشق ـ « ان جماعة من رؤوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم ، وجمعوا من بينهم مالاً فدفعوه للراهبين » . ولا شك أن من بين الرؤوس الذين يشير إليهم ابن كثير الموظفين الرسميّين الذين ورد ذكرهم في المحضر كعامل الجيش وكاتب الحوطات . ويخيّل لنا انه كانت صلة بين بعض نصارى البلاد ـ سواء في مصر أو الشام ـ ، وبين بعض الدول النصرانية ، فالمحضر يذكر أنّ الراهبين كتبا بعد الحريق الأول الى صاحب سيس يبلّغانه أمر الحريق ، وان صاحب سيس أرسل لهما الى دمشق نفرين وعرض عليهما إذا شاءا أن يكتب لصاحب السرب ليُكاتب السلطان . واذا كان المحضر لا يفصح عن غرض المكاتبة الى السلطان فإنه واضح أن ذلك من أجل حماية النصارى أو حماية الراهبين . ثم إن المحضر يشير الى عامل بيروت ، وكانت مهمته تجهيز الراهبين الى قبرص . كل ذلك يدفعنا الى الاعتقاد انه كانت سلسلة لها حلقات في سيس وقبرص وبيروت والقدس ودمشق والقاهرة ، تيسّر الإضرار بالمسلمين ، وتسهّل سبله . وكل ذلك من آثار الروح الصليبيّة التي كانت منتشرة يومئذ[٣] .

(١) بين حريق المسجد سنة ٤٦١ وحريقه سنة ٧٤٠ ، وقع فيه الحريق أو حوله أربع مرات : سنة ٥٦٢ ، وسنة ٥٧٠ ، وسنة ٦٤٦ ، وسنة ٦٨١ ، ولم تذكر المصادر أن النصارى هي التي سببت ذلك . انظر كتابنا « مسجد دمشق » والمصادر المذكورة فيه

(٢) انظر تفصيل مؤامرة رهبان دير البغل لحرق القاهرة في كتاب « اهل الذمة في الإسلام » تأليف « ترتون » الفصل الرابع

(٣) انظر : A. S. Atiya, *The Crusades in the Later Middle Ages* (London, 1938)

- ٣ -

ماذا حدث بعد الحريق ؟

يبدو أن الراهبين فرا الى قبرص بوساطة عامل بيروت . أما نائب السلطان تنكز ، فلما تحقق لديه أن الحريق من فعل النصارى أمسك من رؤوسهم نحواً من ستين رجلاً - على قول ابن كثير - . ووجهت فتيا الى قضاة القضاة الأربعة بدمشق : تقي الدين السبكي الشافعي ، وعماد الدين الطرسوسي الحنفي ، ومحمد ابن أبي بكر المالكي ، وعلي بن المنجا الحنبلي ، سئلوا فيها إذا كان النصارى قد نقض عهدهم بما فعلوه ؟ وهل يلزمهم ضمان ما أتلفوه ؟ وهل يُقتلون أو يُنفَوْن ؟ الى غير ذلك . فأجمعوا على أن عهدهم ينتقض ، وأن أموالهم تؤخذ ، وأفتى الحنفي بقتلهم سياسة ، والمالكي بقتلهم لنقض العهد ، وسكت عن أمر القتل الشافعي والحنبلي . وقد عثرنا على نص الفتوى وأجوبة القضاة في مكتبة جامعة ليدن . وهي وثيقة هامة لها شأن [1] .

وعمد عندئذ تنكز - على قول ابن كثير - الى رؤساء النصارى هؤلاء فأخذهم بالمصادرات والعقوبات وأنواع المثلات ، وصلب منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد ، فجعلوا يتساوتون واحداً بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار [2] .

ويروي المفضّل ابن أبي الفضائل - وهو مؤرخ نصراني [3] - رواية ثانية نقلها

(١) انظر نصها في ذيل المقال

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ١٨٦

(٣) كان في القرن الثامن . له تاريخ اسمه « النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » منه نسخة مخطوطة في باريز ، الجزء الأول رقم 4525 . انتهى من جمعه سنة ٧٥٩ . وعلى هذه النسخة اعتمدنا . وما رويناه من النسخة مذكور في الورقة ٢٤٥ ب

عنه المقريزي بنصّها ولم يشر اليه[١] . فيذكر أن تنكز سَمَّر أحد عشر رجلاً هم : المكين يوسف بن مجلى عامل الجيش ، وأخوه ، والمكين جرجس كاتب الحوطات ، والمكين [يوسف] كاتب بهادر أص ، وسمعان ، وأخوه بشارة ، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار ، والعلم الدميتري عامل بيروت ، والجرائحي عيسى ، وجزاران نصرانيان ، وشخص يُعرف بسبيل الله[٢] . ولما سُمّروا وُسّطوا بعد يومين . ووُجد لهم ما يفيف على ألف ألف درهم أُنفق منها على عمارة الجامع[٣] والدهشة » .

واذا كان عمل تنكز قد أرضى المسلمين فإنه أغضب السلطان الناصر محمداً ، فكتب الى تنكز يُنكر عليه قتله النصارى ، وإنّ في ذلك إغراء لأهل القسطنطينيّة بمن يَرِد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، وأمره أن يحمل اليه ما وجد من المال مع النصارى ، وأن يجهز اليه بناته اللاتي عُقد لأولاد السلطان عليهن . فأجاب تنكز أنّ المال الذي وُجد للنصارى صُرف على عمارة الجامع ، واعتذر عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق . فلم يرض السلطان . وكان ذلك بدء تغيُّره عليه وعزله بعد شهر من ذلك وحمله مقيداً الى الاسكندرية ثم قتله هناك .

---

(١) في السلوك ٢/١/٤٩٧ . وقد أغار المقريزي على كتاب المفضل كما أغار على كتب الأوحدي

(٢) يذكر المفضّل أن هذا الرجل كان بالقاهرة سنة ٧٢٥ بزي غريب جداً ، يلبس جلداً ويحمل على كتفه زيراً نحاساً أندلسياً ، وبيده شربات كذلك ، ويقول بلسان غتمي (عجمي) « سبيل الله » ، ويسقي الناس بغير جُعل . فمن الناس من اعتقده ، ومنهم من اتهم انه جاسوس . ثم خرج حاجاً وقدم دمشق وأقام يسقي بها الماء حتى دخل مع النصارى فيما قاموا به من أمر الحريق . المصدر السابق . وكذا المقريزي

(٣) انظر وصف إعادة عمارة المنارة عند العمري ، مسالك ص ٢٠٠ و ٢٠١

- ٤ -

ذلك مجمل خبر الحريق من الناحية الرسمية الحكومية ، وما أحاط به . ولا بُدَّ من التنويه بأثر آخر من آثاره هو الأثر الأدبيّ . فقد هزّ الأدباء والشعراء فنظموا وكتبوا عنه . فما عرفته كتاب ابن غانم الذي كتبه عن تنكز لنائب طرابلس ووصف الحريق فيه . ولم أعثر على نصه [١] . ونظم محمد الخياط قصيدة رائية في (٦١) بيتاً ، عثرت عليها [٢] . وألّف الصلاح الصفديّ مقامةً سماها « رشف الرحيق في وصف الحريق » [٣] . وكذلك ألّف ابن الوردي مقامةً ثانية سمّاها « صفو الرحيق في وصف الحريق » [٤] . وقصيدة الخياط ومقامتا الصفدي وابن الوردي جديرة كلها بالنشر .

(القاهرة) الدكتور صلاح الدين المنجد

---

(١) ورد ذكره في مسالك الأبصار ص ٢٠٢

(٢) في مكتبة جامعة ليدن ، وعندنا صورة عنها

(٣) منها نسخة في الاسكوريال ضمن كناش رقم 524 ، وعندنا صورة عنها

(٤) منها نسخة في معهد المخطوطات مصورة عن دار الكتب المصرية . رقم معهد المخطوطات ٧٨٩ أدب . ومنها نسخة ثانية في توبنجن

- ١ -

صورة المحضر الذي كتب بدمشق المحروسة

(مكتبة ليدن • Cod. Or. 951)

حضر الى شهوده يوم تاريخه : الرشيد سلامة بن سليمان بن مُرَجّى النصراني كاتب المقرّ العلمي سنجر الجمقدار الملكي الناصري • وشهوده به عارفون ، وأشهد على نفسه طائعاً أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر عنده في بستانه المكين يوسف بن مجلي النصراني عامل الجيش ، والمكين جرجس بن أبي الكرم كاتب الحوطات ؛ والمكين يوسف النصراني الراكيلي كاتب بهادر اص كان ، وأحضروا معهم راهبين أحدهما يسمى « ميلاني » - يعرف صناعة النفط - ، والآخر يسمّى « عازر » ، وذكروا أنّ الراهبين المذكورين حضرا من بلاد قسطنطينيّة • ثم انهم تحادثوا أن الراهب المسمّى « ميلاني » يعرف صناعة النفط والنار ، واتفقوا على حريق ما يقدروا (كذا) عليه من أماكن المسلمين بدمشق المحروسة • ثم إنهم توجهوا بعد ذلك الى بستان المكين يوسف الراكيلي بجوبر • وأقام الراهبان المذكوران عنده في طبقة على باب البستان المذكور • وأحضر لهم المكين عامل الجيش ما أرادوا من النفط والحوائج ، وعملوا سبع كعكات محشوة بارودا ونفطا ودقّ فحم وغير ذلك مما يعرفوه (كذا) ، وألبسوا الراهبين المذكورين قباءين تترية ، وتخفيفتين بيض ، وهورات ، ثم نزلا من البستان المذكور ، ودخلا الى الدهشة الأموية ، وقعد أحدهما على دكان شرقيّ القيسارية وعدّ على باب الدكان فلوساً ، وتحيّل حتى أدخل كعكة واحدة من تلك الكعكات ، ثم خرجا الى قصبة السوق البرّاني واشتريا قباء برد (؟) ، ثم بسطا القباء على أنهما يطوبانه فانبسط أحدهما الى الدكان وألقى كعكة ثانيـة بين الدراريب ،

وركبا من باب الفراديس دابتين وطلعا الى البستان المشار اليه وأخبرا بما فعلاه . وفي تلك الليلة احترق الحريق الأول . ثم إن المكين الراكيلي كتب ورقة وأرسلها الى (ا آ) المكين عامل الجيش والمكين جرجس عرفها بصورة الحال . ثم كتب الى الحاضر المسمّى أعلاه المشهود عليه ، وهو الرشيد ، ورقة وأرسلها مع مملوكه مبارك يعرّفه من جهة دراهم لناظر الجيش ، وفي آخر الورقة أن الشغل قد انقضى ، ثم إنهم كتبوا لهما كتاباً الى العلم الدميتري عامل بيروت أن يجتهد في تجهيزهما ويركبوهما من البحر الى قبرص ومنها الى البلاد . ثم إنهم بعد ذلك أحضروا عيسى الجرائحي المعروف بابن ريش الروقة ، ووافقوه على أنه يتحيّل في إدخال النار الى داخل دكان اللحام المستجدّة على باب قيسارية القواسين ، واعدوه بخمسماية درهم قبض منها ثلاث مئة ، وأخذ كعكة ثالثة واستمال النصراني ساكن الدكان حتى وضع الكعكة في سقف الدكان . وفي تلك الليلة احترق الحريق الثاني ، وهو قيسارية القواسين وما معها . ثم إنهم دفعوا خمسمائة درهم لمخلوف النصراني الطوّاف على أنه يرمي حراريق دهن بأقطار البلد لينفي عنهم الظن بذلك . ثم إنه حضر عندهم نفران من سيس معهم كتاب صاحب سيس يعرفهم انه بلغه خراب ما حول الكنيسة فإن كانوا يختاروا (كذا) أن يكتب الى صاحب السرب يكاتب مولانا السلطان الملك الناصر في ذلك يعرّفوه وفيه فصول كثيرة . فتجهّز النفران المذكوران الى القدس الشريف فلما قدسا كتبوا لهما كتاباً من يوسف الراكيلي الى صهره المسمى بطرس كاتب المقر العالي طنبغا حاجي بقربة ريحا بالوصية بهما وإكرامهما ، وكتبوا كتاباً الى صاحب سيس قبل الحريق الثاني يعرفوه (كذا) بالأول ، وفيه فصول كثيرة . وكتبوا فيه بالرد لمماليك لداخلة (؟) دمشق يعنوا (كذا) بذلك أكابر النصارى بدمشق . وهذه صورة ماأقرّ به الحاضر المسمّى أعلاه من غير زيادة ولا نقصان . والله المستعان .

في تاسع ذي القعدة سنة أربعين وسبعماية .

- ٢ -

الله الموفق

صورة الفتيـا

(مكتبة ليدن Cod. Or. 951)

ما قولُ أئمة المسلمين فيما اعتمده النصارى بدمشق المحروسة ، وحريق أوقاف الجامع الأموي عمره الله تعالى بذكره ، وحريق المأذنة الشرقية ، وأوقاف المدرسة الأمينية ، وما بها من سلاح المسلمين ، وغير ذلك من الأموالـــ .

هل يُنقض بذلك عهدهم ، وهل يلزمهم ضمان ما تلف بالحريق ، ويؤخذ ذلك من أموالهم ؟ واذا انتقض عهدهم فما الحكم فيهم : هل يُقتلون أو يُنفَوْن الى بلاد النصارى ؟ وإذا كان متموّليهم (كذا) وكبارهم ورؤساؤهم شارطوا على حريق الجامع المذكور وحريق دمشق المحروسة بمال معلوم ، واعترفوا بذلك ، فهل يجب على هؤلاء المتمولين المستأجرين الضمان أم لا ؟ وهل ينقض عهدهم أم لا ؟ وإذا أسلم أحدهم فهل يصحّ إسلامه أم لا ؟ وإذا صح إسلامه فهل يصح إسلامه خاصة ؟ أو دمه وماله ، وهل ينجيه إسلامه من الضمان بسبب الحريق أم لا ؟ واذا كان لهم كبير وهو غائب عن البلد ، وهم يعتقدونه ولا يرون مخالفته وأمرهم بما فعلوه ، فهل ينتقض عهده أم لا ؟

أفتونا مأجورين .

جواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي [١]

ينتقض عهدهم ، وتؤخذ أموالهم ، ولوليّ الأمر ، أعزّه الله تعالى ، صرفها في عوض ما تلف بالحريق المذكور منهم من وقف وعقار وقماش وغير ذلك من الأموال ويُثاب أعزّه الله تعالى على ذلك . والله أعلم [٢] . كتبه علي السبكي .

جواب الحنفيّة

نعم ، يلزمهم ضمان ما أتلفوه من الأموال والعقار والسلاح وغير ذلك . وإذا كانوا قد سعوا في الأرض بالفساد فللإمام أن يقتلهم سياسة ، وله إجلاؤهم عن أماكنهم الى موضع يراه الإمام من دار الإسلام ، ويكون ذلك مانعاً من فسادهم . واسلام مَنْ أسلم منهم لا يكون موجباً لسقوط ما وجب عليه (١ ب) من حقوق العباد من مال أو قتل . والله أعلم [٣] .

جواب المالكيّة

الجواب وبالله التوفيق

الحريق المذكور موجب لنقض العهد ممن صدر منه . ونقضُ العهد موجب للقتل . ومعلوم ما اشتمل عليه الفعل المذكور من المفاسد من خراب المأذنة والأوقاف وإتلاف السلاح المستعدّ للتقوّي على العدوّ المخذول ، وما قصد من

---

(١) أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قاضي قضاة الشافعية بدمشق . توفي سنة ٧٥٦ . انظر شذرات الذهب ٦ : ١٨٠

(٢) لم أجد نص هذه الفتيا في فتاوى السبكي المطبوعة .

(٣) ليس في الأصل اسم قاضي قضاة الحنفية . وقد كان يومئذ عماد الدين الطرسوسي الحنفي ، وهو علي بن أحمد . توفي سنة ٧٤٨ (قضاة دمشق لابن طولون ، مخطوط ورقة ١٣٨)

إتلاف المسلمين وأموالهم وخراب مدينتهم وأماكنهم ، وما في إظهار ذلك من القوّة والجرأة على هذه الدولة القاهرة خلّد الله ملك مالكها ، وأدام اقتداره وأعزّ أنصاره وأهلك عدوّه ، ثم ذلك موجب لتضمين ما أتلفوه ، وأخذ ذلك من أموالهم ، ويمنعون من الرجوع الى بلادهم ومساكنهم ونسائهم وكبارهم ، ومَنْ استأجروهم ، ومَنْ تواطأ معهم في الغرم ونقض العهد ، ولا يكون إسلام من أسلم موجباً لسقوط الضمان ، ولا مانعاً من أخذ أموالهم ، وإنما يكون موجباً لحقن دمهم إذا تبيّن صحة إسلامهم ، وينتقض عهد من أمرهم بذلك ممن له عهد ، ويصير حربياً . والله أعلم .

كتبه محمد بن أبي بكر المالكي [1] .

جواب الحنابلة

نعم ينتقض عهدهم بذلك ، ويتعيّن قتلهم ويلزمهم ضمان ما أتلفوه بذلك من الأوقاف والأموال وغيرها ، ولا يكون إسلامهم مانعاً من ذلك (٢ آ) وما بعد ذلك من أموالهم يكون فيئاً للمسلمين ، ومن واطأ على شيء مما ذكر وأعان عليه بوجه من الوجوه أو علم به ولم يُعلم به المسلمين انتقض عهده أيضاً . والله أعلم .

كتبه عليّ بن المنجا الحنبلي [2] .

---

(١) هو شرف الدين محمد بن ابي بكر الهمداني المالكي ، قاضي قضاة المالكية . توفي سنة ٧٤٨ . انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٢٢١

(٢) علي بن المنجا ، قاضي قضاة الحنابلة . توفي سنة ٧٥٠ ، انظر شذرات الذهب ، ٦ : ١٦٧

كتاب الموجز

في علم القوافي

تأليف كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

نشرنا في الجزء الماضي من هذه المجلة (المجلد ٣٠ ، الجزء ٤ ، ص ص ٥٩٠ — ٦٠٧ و ص ٦٩٥) كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، ووطأنا له بكلمة موجزة ألممنا فيها بترجمة المؤلف وعصره وموضوعات كتبه المطوّلة والمختصرة .

وقد ذكرنا في تلك المقدمة أن للأنباري كتاباً آخر في علم القافية ، أحال إليه في خاتمة (اللمعة في صنعة الشعر) وسماه : الموجز في علم القوافي [1] ، وأشار اليه بعض من ترجموا الأنباري ؛ فالسيوطي يثبت له في (بغية الوعاة) كتاب (الموجز في القوافي) وحاجي خليفة يذكر له في (كشف الظنون)

---

(١) أشار الأنباري في خاتمة كتابه (اللمعة) إلى هذا الموجز وذلك في أثناء كلامه على التضمين (ص ٦٠٧) فقد عرّفه وقسمه إلى ضربين : أحدهما يدخل في صنعة الشعر ومثّل له بشيء من شعر العرب ، وثانيهما لا يدخل في صنعة الشعر وقد عرّفه ولم يمثّل له وذكر انه بيّنه في كتابه (الموجز في علم القوافي) . وفي خاتمة (الموجز) الذي ننشره هنا كلمة في التضمين ، اقتصر الأنباري في تعريفه إياه على ما أورده في الضرب الثاني من التضمين في اللمعة ، وضرب له مثالاً من الشعر . فالأنباري كما ترى ، منسّق لفكرته ، ذكور لما قال في كتبه ، بعيد عن الحشو والتكرار .

كتاب (الموجز في القوافي) ويورد أول هذا الكتاب : الحمد لله على ما خفي من نعمه .... وكوتهولد ثابل - في المقدمة التي صدّر بها كتاب الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف) وأحصى فيها ما سمع به من تصانيف المؤلف - يشير في ص ٩٧ إلى (شرحه الموجز في القوافي) ....

وقد ورد إلى المجمع العلمي العربي تصاوير تسع رسائل مخطوطة للأنباري (أشرنا إليها في ص ٦٩٥ من الجزء الماضي لهذه المجلة) ومنها مخطوط (كتاب الموجز في علم القوافي) ، وأوله يطابق ما ذكره حاجي خليفة في كلامه عليه . وجاء هذا المخطوط في الصفحة الثانية من الورقة ١٠٦ وفي صفحتي الورقة ١٠٧ من مجموع الرسائل ، فهو في ثلاث صفحات قسمت أو لياها ثلاثة أجزاء : أصل في الوسط وهامش في أعلى الصفحة وجانبها وأسفلها بسطور مائلة ، أما الصفحة الثالثة فخلو من الهامش ، والنص متساوق في الأصل والهامش . ولا تجاوز سطور المخطوط خمسين ومائة سطر كتبت بخط فارسي واضح تغلب عليه الصحة . على أننا لم نتقيد دائماً برسم الناسخ ، فهو يكتب (الصبي) بدل (الصِبا) [1] و (كان لا يسلوا) بدل (كان لا يسلو) و (ترجوا النساء) بدل (ترجو النساء) ويحذف الألف اللينة من (ثلاثة) و (مائك) ويسهل همزة (زائل) . وقد يخطئ في رسم ما استغلق عليه فهمه ، فهو يكتب (التوحية) بدل (التوجيه) و (المقعد) بدل (المقمّر) . وقد أشرنا الى بعض هذه الاختلافات في حواشي النص الذي ننشره بعد هذه التوطئة .

* * *

(١) وإن كان لكتابتها منقوصةً عند كسر أولها وجه كما في تاج العروس .

أما قيمة (الموجز في علم القوافي) فتضارع قيمة (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) للمؤلف نفسه ؛ إذ اشتمل الموجز على خلاصة وافية لهذا العلم ، سهلة المأخذ ، واضحة النهج ، منسّقة الفصول ، جامعة أكثر ما يحتاجه المتلقّن والمتلقّف . وقد أجاد المؤلف تقسيم هذا العلم ، وضرب لكل قاعدة مثالاً من مشهور كلام العرب . هذا وقد درج أكثر المؤلفين المتقدمين على التقيد بإثبات مثال بعينه للقاعدة ينقله الخلف عن السلف ، أما الأنباري فكثيراً ما يمثّل بأبيات وردت في دواوين العرب ولكن لم تجر عادة العروضيين بالاستشهاد بها .

لن تجد في هذا الكتاب جديداً في علم القوافي ، فقد ولد هذا العلم كاملاً - فيما يقولون - ، ولكنك ستجد فيه لُباب العلم دون قشوره ، معروضاً بأسلوب رشيق مشرق وتحديد محكم بارع وبسط موجز بيّن ، وسترى ذلك في الصفحات التالية التي ينشر فيها هذا الكتاب لأول مرة .

(دمشق) عبد الهادي هاشم

كتاب الموجز في علم القوافي
تأليف كمال الدين الأنباري النحوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماخفيَ من نعمه وخَفَا [١] ، وصلواته على عبده ونبيّه المصطفى ، وعلى سائر عباده الذين اصطفى ، وبعد فاني أودعت في [٢] هذا المختصر من أصول علم القافية ، نُبَذاً وافية ، ونُكَتاً كافية ، في التأسيس لقواعد أصوله ، والتأنيس بفروعه وأصوله ؛ وقسمته فصولاً ، ليكون أدنى إلى متلقّنه وصولاً ، وأدْعى لمتلقّنه حصولاً ، وبالله التوفيق وكفى به كفيلاً .

فصل في معرفة القافية

اعلمْ أن علماء العربية اختلفوا في القافية ، فذهب الخليل بن أحمد إلى أنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحرف المتحرك الذي قبله . وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أنها آخر كلمة في البيت . وذهب أبو علي قطرب وأبو العباس ثعلب الى أنها حرف الرويّ ، وهو مذهب الشعراء . وقال بعضهم : القافية ما لزم الشاعر إعادته . وإنما سميت قافية لأنها تتبع ما قبلها من الكلام ، من القَفْوِ وهو الاتباع ، يقال : قفوتُ أثره اذا اتبعته ، وقال الله تعالى [٣] : « ولا تقفُ ما ليس لك به علم » .

---

(١) خفا الشيءُ يخفو : ظهر .
(٢) كذا في الأصل ، ولعل الناسخ هو الذي أقحم الجارّ (في) هنا .
(٣) الاسراء (١٧) ٣٦

فصل في معرفة ما يعرض في القافية

ويعرض في القافية ستة أحرف وست حركات . فالأحرف : الرّويّ والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل . والحركات : المجرى والنفاذ والحذو والرسّ والاشباع والتوجيه[1] .

فصل في معرفة الأحرف

الرّويّ : — هو الحرف الذي يلزم القصيدة بأسرها وتنسب إليه ، كقوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائلُ

فاللام هو الروي ، وكذلك القصيدة لاميّة .

والوصل : — يكون بأربعة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي يتبعن الرّويّ والهاء سواء كانت ساكنة أو متحركة . فالألف كقوله :

أمن آل سلمى عرفت الطُلولا بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مثولا

فاللام الرويّ والألف بعدها وصل . والياء كقوله :

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتها من جنوب وشَمْألِ

والواو كقوله :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالنقلُ

والهاء الساكنة كقوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعُرِّيَ أفراسُ الصِبا ورواحلهْ

والهاء المتحركة كقوله :

أجاد المسدّي سردَها وأذالها

(١) يستبدل الناسخ دائماً كلمة التوجية بكلمة التوجيه ، ولعل الأمر قد التبس عليه .

والخروج :- يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن الزوائد اللواتي يتبعن الصلة المتحركة [1] . فالألف كقوله :

[طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائر] لها نفذ لولا الشَّعاعُ أضاءها [2]

فالهمزة هي الرّويّ ، والهاء وصل ، والألف بعدها خروج .

والياء كقوله : تجرّد المجنون من كسائهِ . والواو كقوله :

كأن لونَ أرضه سماؤهُ [3] .

والردف :- يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي قبل حرف الرّويّ من غير فصل . فالألف كقوله :

ولو أدركنه صَفِرَ الوطابُ

فالياء الرّويّ والألف قبلها ردف . وأما الياء والواو فيشتركان في القصيدة الواحدة بخلاف الألف ، كقوله :

ولا تُكثِرِ على ذي الضغن عتباً ولا ذكر التجرم للذنوبِ

ولا تسأله [4] عما سوف يبدي ولا عن عيبه لك بالمغيب

متى تَكُ في صديق أو عدو تخبّرْكَ العيون عن القلوب

(١) يريد المؤلف بالصلة المتحركة هاءَ الوصل إذا كانت متحركة فاذا كانت ساكنة لم يكن خروج ، كما لا يكون خروج إذا كان الوصل ألفاً أو واواً أو ياءً .

(٢) ذكر المؤلف عجز البيت فقط وهو لقيس بن الخطيم (اللسان ، مادة : نفذ) ، وفي الأصل نقد بدل نفذ .

(٣) الواو المقصودة هنا هي التي تلي الهاء المضمومة في (سماؤه) وكذلك الياء في البيت السابق فهي التي تلي الهاء المكسورة .

(٤) رسمت الكلمة على هذا الشكل : تسئله .

التأسيس :— كل ألف [١] بينها وبين الرّويّ حرف ، والدخيل هو ذلك الحرف الذي بين التأسيس والرّويّ ، وذلك نحو قوله :

كِلِيني لِهمّ يا أُميمة ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكبِ

فالباء هي الرّويّ ، والألف قبلها التأسيس ، والكاف بينهما الدخيل ولا يلزم تكريره ، كقوله : ناصبِ والكواكبِ ؛ وكقوله :

خليليّ عوجا من صدور الرواحلِ بجمهورُحزّوْى [٢] فابكيافي المنازلِ

وكان بعض المتقدمين يسميه التوجيه [٣] لأنه يجوز لك أن تغيّره بأي حرف شئتَ ، والأكثرون على أن التوجيه من جملة الحركات لا الحروف ، وستراه في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة الحركات

المجرى [٤] :— حركة حرف الرّويّ ، نحو ضمة لام زائلُ ، وفتحة لام مثولا ، وكسرة لام شمألِ .

والنفاذ :— حركة هاء الوصل ، نحو فتحة هاء أضاءها ، وكسرة هاء كسائهِ ، وضمة هاء سماؤهُ .

---

(١) في المخطوط : كألف .

(٢) في اللسان (مادة حزا) : حُزّوى بالضم اسم عُجْمة من عجم الدهناء وهي جمهور عظيم يعلو تلك الجماهير (والجمهور : الرمل الكثير المتراكم ، والعُجْمة ما تعقّد منه) .

(٣) في الأصل : تسمية التوحية .

(٤) حيثما وردت هذه الكلمة ضبطها الناسخ بضم الميم ، ولعل الصواب فتحها ، لأن المجرى موضع جري حركات الإعراب والبناء ، والفتح هو المشهور عند ارباب هذا العلم .

والحذو : — حركة الحرف الذي قبل الرّدف ، نحو فتحة طاء الوطاب ، وكسرة غين المغيب ، وضمة لام القلوب .

والرّسّ : — هو الفتحة قبل التأسيس ، نحو فتحة الواو من الكواكب .

والإشباع : — هو حركة الدخيل ، نحو كسرة الزاي من المنازِل .

والتوجيه : — حركة الحرف الذي قبل الرّويّ المقيّد ، وكان بعضهم يسميه الاجازة مأخوذ من إجازة الحبل اذا لم يُحْكَم فَتْلُه فتراكبت قُواه ، قال الفرّاء : الاجازة عند الخليل أن تكون القافية طاء والأخرى دالاً وهو الاكفاء ، وسنذكر هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة أنواع القافية

وهي خمسة : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف .

فالمتكاوس : — كل قافية آخرها أربعة أحرف متحركة بين ساكنين ، ولا يجتمع في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركة متوالية ، وذلك نحو قوله :

قد جبر الدينَ الإلهُ فجبرْ

والمتراكب : — كل قافية آخرها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين ، نحو قوله :

قف بالديار التي لم يعفها القِدَمُ بلى وغيّرها الأرواحُ والدِيَمُ

والمتدارك : — كل قافية آخرها حرفان متحركان بين ساكنين ، نحو قوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والمتواتر :- كل قافية آخرها حرف متحرك بين ساكنين ، كقوله :

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي[1] بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

والمترادف :- كل قافية اجتمع فيها ساكنان ، كقوله :

قلتُ لها قِفي لنا قالت قافْ[2]

فافهمه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة عيوب القافية

وهي خمسة : الإقواء والإكفاء والإيطاء والتضمين والسناد .

فالإقواء :- أن يجتمع الرفع والجر في قصيدة واحدة ، نحو قوله :

آذنتنا ببينها[3] أسماء رب ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواء

وقال فيها :

فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء السماء

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه قال : الاقواء نقصان حرف من الفاصلة ، كقوله :

---

(١) في اللسان (مادة عرر) : (تحذي) بدل (تهوي) ، وبعد البيتين بيتان آخران هما :

ألا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار

(٢) في (أف) عشر لغات على الأفل ، فمنها ما هو بتخفيف الفاء فلا يصلح مثالاً للترادف ، ومنها ما هو بتشديدها منوّناً أو غير منوّن ؛ (راجع اللسان في مادة : أفف) .

(٣) في المخطوط : اذتبنا بينها .

أفبعد مقتل مالكِ بن زُهَيْرٍ . ترجو النساءُ عواقب الأطهارِ [١]

وكان الخليل يسمي هذا المقعَّر [٢] . والمعتمد أن الاقواء أن يكون الرفع والجر في قصيدة واحدة على ما بيّنا . فإن كان مع الرفع أو الجر نصبٌ سُمّي إصْرافاً ، ولا يجيزه الخليل بن أحمد والبصريون ، وأجازه المفضّل الضبّيّ والكوفيون .

والإكفاء :— أن يختلف الرّويّ في قصيدة واحدة ، وأكثر ما يكون ذلك في الحروف المتقاربة كاللام والنون ، والطاء والدال ؛ فاللام والنون كقوله :

بُنَيَّ إن البِرَّ شيءٌ هيِّنُ المنطق الليِّـــن والطعيِّمُ

والطاء والدال كقوله :

إذا ركبتُ فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيـق العَنَدَا [٣]

وبعضهم يجعل الإكفاء بمنزلة الإقواء ، والأكثرون على ما ذكرناه [٤] .

والإيطاء :— أن تكرر القافية في القصيدة الواحدة باللفظ والمعنى ، كقوله :

أو كاهتزاز ردينيّ تداوله أيدي التجار فزادوا متنه لينـا

وقال فيهـا :

. . . . . من الأحاديث حتى زدتني لينا [٥]

(١) رسمت مالك بلا ألف في المخطوط ، والبيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي (الحماسة ص ٤٤٧) .

(٢) في المخطوط : المقعد ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) العَنَد : الجانب ، يقال : يمشي وسطاً لا عَنَداً ، وفي المخطوط : العُنُدا .

(٤) في هامش المخطوط هذه الزيادة : قال أبو عمرو : الإكفاء عند العرب المخالفة في كل شيء .

(٥) ورد هذان البيتان في المخطوط على هذا الشكل :

أو كاعتزاز ردائي تداوله أتريد التجار فزادوا متنه لينا
ان في نازعت البانها لين بمقتصر من الأحاديث حتى زدتني لينا

وفي الهامش ما نصه : هذا الشعر لابن مقبل . ولم نقع على صوابها فيما بين يدينا من المراجع .

فان اختلف المعنيان لم يكن إيطاء [و] ليس بعيب عند العرب ، والمذهب المذكور ما بيّناه .

والتضمين : — ان تتعلق قافية البيت [الأ]ول بالثاني ، كقوله :

فسائل تميماً بنـا والرباب وسائل هوا[ز]ن عنا إذا ما

ثم قال [في] البيت الثاني :

لقيناهُمُ كيف نعـلوهمُ بِبِيض يفلّقن بَيْضاً وهاما (١)

والسناد : — كل عيب يقع في القافية ، مثل أن تأتي القافية مرة مردفة ومرة غير مردفة ، ومرة مؤسسة ومرة غير مؤسسة ، وأن تختلف حركة الاشباع والحذو ، كقوله :

كأن عيونهنّ عيون عِينِ

ثم قال :

وأصبح رأسه مثـل اللجَيْنِ

واختلفوا في اختلاف ما قبل الرّوي المقيّد ، فذهب بعضهم إلى أنه ليس بعيب ، والذي عليه الجمهور والمذهب المشهور أنه عيب والله أعلم .

تم المختصر بحمد الله تعالى ، فلله الحمد على ما أولى .

(١) في المخطوط : . . . . . نعولهم بيض فلقن . . . . .

مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

- ٧ -

(أو لا يكون بين أجزاء البيت التئام) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التحام أجزاء النظم وعند الكلام على عيار التحام أجزاء النظم .

(أو تكون القافية قلقة في مقرها أو مَعيبة في نفسها) .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية من الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر وعند الكلام على عيار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافيـة .

(أو يكون في القَسْم أو التقابل أو في التفسير فساد) .

أما فساد التقسيم فهو ضد صحة التقسيم وهو يكون على وجهين أحدهما أن يأتي الشاعر بتقسيم وليس هو بتقسيم كقول هذيل الأشجعي :

فما برحتْ تومي إليَّ بطرفها وتومض أحياناً اذا خصمُها غفل

فان تومي وتومض متساويان . وقريب منه قول لبيد :

كدخان مشعلة يشب ضرامهـا

ثم قال بعده فيها : كدُخان نار ساطع أسنامهـا

وثانيهما ان يترك شيئاً من التقسيم كقول جرير :

كانت حنيفة أثلاثاً فثُلثُهُمُ من العبيد وثُلثٌ من مواليها

وسكت عن الثلث الثالث .

وأما فساد التقابل فهو فساد التضاد المقصود كقول ابي عدي :

رُحماءُ لذي الصلاح وضرّابو ن قِدْماً لهامة الصنديد

فقابل ذا الصلاح بالصنديد وقد يكون الصنديد صالحاً فيضربون هامته وقد يكون غير الصنديد شريراً فلا يضربون هامته . وأما فساد التفسير فهو فساد البيان بأن لا يلاقي البيان لما أُجمل سابقاً كقول بعضهم مادحاً :

فيأيها الحيران في ظُلَم الدجى ومن خاف أن يلقاه بغي من العدى

تعالَ اليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحراً من الندى

فتبيين ما يترقبه في ظلمة الدجى بحصول ضياء وجه الممدوح تفسير صحيح ولكن تبيين ما يترقبه خائف البغي بحصول الكرم تبيين فاسد . ومن فساد التفسير سخافته كقول عز الدين الموصلي في بديعيته .

ذكر الإمام وابنيه يفسره عليٌّ والحسنان أكرم بذكرهم

على ما في البيت من ضرورات ركيكة ثلاث .

(أو في المعنى تناقض) .

بحيث يقتضي بعض المعاني نقيض البعض الآخر في الغرض الواحد بلا تأويل ومن المعلوم مراعاة شروط التناقض في هذا وهي ما يعبر عنها بالوحدات الثمان في علم المنطق والا فان من التناقض ما هو معدود من لطائف الأساليب كقوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . ومنه ما يسمى بالطباق وهو الجمع بين معنيين متضادين ولو في الجملة .

ومثال ما وقع فيه التناقض وعيب على قائله قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم ... بلى وغيرها الأرواحُ والديم

إذ جمع بين قوله لم يعفها وبين نقض النفي بحرف بلى وقد يغتفر ذلك لضرب من التمليح كقول بعض الأدباء :

أسْكرُ بالأمس إن عزمت على الشر ... ب غداً إن ذا من العجب

وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو وكذا قول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقد عابوا على عبد الرحمن بن عبيد الله القس قوله :

فاني اذا ما الموت حل بنفسها ... يزال بنفسي قبل ذاك فأقبر

لأن شرط إذا يقتضي المستقبل أي إذا هي ماتت يموت هو قبل ذلك .

(أو خروج الى ما ليس في العادة أو الطبع)

سماه خروجاً لأنه مخالفة لصحة الكلام فكأن صاحبه خرج من حظيرة معاني الشعر الى الهوس وهو يرجع الى الخطأ في المعاني . مثال الخروج الى ما ليس في العادة قول أبي الطيب :

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

إذ ليس من عادة المحبين الرغبة في نسيان الأحباب إلا أن يكون الذي أراد منه ذلك غير نفسه فتأمله .

ومثال الخروج الى ما ليس في الطبع قول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه ... سنا البرق في دعجاء بادٍ دجونها

فجعل الخال مفرطاً في البياض وطبيعة الخال السواد وإلا فقد انقلب بهقاً .

(أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف) .

من أغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف قول المسيب بن علس :

وقد أتلافى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مِكدَم

الناجي الجمل الفحل والصيعرية سمة يسم بها أهل اليمن النوق الكرائم فلا يوسم بها الجمل وأنشد هذا البيت بمحضر طرفة بن العبد وهو يومئذ صبي فقال طرفة : « استنوق الجمل » وضحك منه فأرسلها مثلاً . وقد ورد في كتب الأدب كثير من هذا كما في الموازنة للآمدي ولذا قال المؤلف فيما مضى « وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز » .

وقد يجيء الخطأ من حَصَر في التعبير كما وقع لعبد الله بن السمط في مدح الخليفة المأمون العباسي قوله :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين والناسُ بالدنيا مشاغيل

قالوا لما سمعه المأمون نظر اليه نظرة كاد أن يصطلمه عليها فلما حدّث عبد الله بذلك عمارةَ بن عقيل بن بلال بن جرير قال عمارة : « لقد أحسن إذ لم يؤدبك وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يشتغل بها هلا قلت كما قال جدي جرير في عمر ابن عبد العزيز :

فلا هو في الدنيا مضيع لدينه ولا عَرض الدنيا عن الدين شاغله

وفي رواية أنه قال له : مازدت على أن جعلت أمير المؤمنين عجوزاً في محرابها .

(أو يكون في البيت حِشو لا طائل فيه) .

الحشو بكسر الحاء هو الكلام الذي ليس فيه فائدة في الغرض بمعنى الحشو لأنه لا جدوى له إلا الزيادة في الكلام كقول مصقلة بن هبيرة :

ألكِني إلى أهل العراق رسالة وخُص بها حييت بكر بن وائل

فقوله حييت دعاء لا جدوى له في هذا المقام . ومنه قول أبي فراس :

ولكنني والحمد لله حازم أعز إذا ذلت لهن رقاب

فحمدُ الله هنا حشو إذ لا جدوى في الغرض . ومن قبيحه [1] قول بعضهم :

(١) أنشده قدامة في كتاب نقد النثر ص ٧٤ .

أمْ سَلاَّم أثيبي عاشقاً بعلم الله يقيناً ربه
أنكم في عينه من عيشه فاعلميه يا سليمى حسبه

فقوله يقيناً ربه حشوان وكذلك في عينه وكذلك فاعلميه يا سليمى .

(الى غير ذلك مما يحصّله لك تأمّلك جملَ المحاسن وتفصيلَها وتتبّعُك ما يضادها وينافيها وهذا هين قريب) .

أي ان المحاسن وأضدادها لا تنحصر فيما ذكره فقد تذكر بعض المحاسن ولا تذكر أضدادها وقد تذكر بعض العيوب ولا تذكر محاسن الخلو عنها والتأمل في الجميع يحصل للمتأمل انتباهاً الى إدراك ما عسى أن يغفلوا عنه .

(وإنما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه مالو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا قضية طبعي أو ارجعْ الى غيري ممن له في[1] الدربة والعلم بمثله فانه يحكم بمثل حكمي وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه) .

اسم الاشارة راجع الى ما تقدم من قوله «واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء الى قوله : وهذا هين قريب» يعني أنه إنما اهتم ببيان المقابح إجمالاً ثم تفصيلاً لتكون نموذجاً من علل النقد وأسباب السقوط بحيث يتمكن مزاولها والتأمل فيها وفي ما يماثلها أن يبين وجه رداءة ما يحكم برداءته من الشعر لأن بيان أسباب الرداءة أيسر من بيان أسباب الجودة وقد تقدم قول الآمدي في الموازنة «وأبينُ الرديء وأرذله» .

ومراد المؤلف بقوله «لأنه لا شيء إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه» إظهار الفرق بين حالة الحكم بالإجادة وحالة الحكم

(١) الصواب اسقاط (في) كما في النسخة التونسية .

بالرداءة فان الأولى قد يكون الرجوع فيها الى الطبع والذوق وان الثانية لا يعسر معها الاحتجاج بعلة الرداءة ولعله يشير بقوله « فاعلمه » الى الرد على الآمدي إذ سوّى بين الحالتين في الموازنة فقال « وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجه الى البيان ولا إظهاره بالاحتجاج وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته اه » .

(وأما تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والبلغاء والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر فاني أقول في كل ذلك [1] بما يحضر والله ولي توفيقي وهو حسبي وعليه توكلي) .

جمع المؤلف هذه الأسئلة جمعاً واحداً لأنه أراد الجواب عنها برمتها إذ كان بيان أسبابها آخذاً بعضه بحجز بعض كما سيأتي .

(اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبة تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب لأمرين : أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ويعدونها أكمل أسباب الرئاسة وأفضل آلات الزعامة فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر فأحسن الافتضاب عند البداهة وأنجع في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تحشين القول وتليينه داعياً الى طاعة أو مستصلحاً لرعية أو غير ذلك مما تدعو الحاجة اليه كان ذلك أبلغ عندهم من إنفاق مال عظيم وتجهيز جيش كبير) .

ابتدأ المبحث بالتفضيل بين الكلام النثر والنظم وبنى تأخر الشعراء عن رتبة

(١) كذا في نشرة الدكتور شكري فيصل غير مثبت اختلاف النسخ . والذي في نسخة الاستانة ونسختي تونس « فاني أقول في كل فصل من ذلك » .

الخطباء والكتاب على أساس تأخر المنظوم عن رتبة المنثور فأثار مبحثاً قديماً خاض فيه الأدباء وقد احتفل به ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير فقال :

« اعلم أن الأقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر إلا ان المذهب الفحل والقول القوي هو ان الكلام المنثور أفضل من الكلام المنظوم الخ » .

واعلم أن مناط التفاضل وموضوعه إنما هو النثر الخاص الذي يقصد منه تأثر السامع وإقناعه بغرض، وذلك هو النثر الذي يصاغ في قالب البلاغة والفصاحة كالخطب والرسائل والأمثال والقصص التي يقصد حفظها والتأدب بها والاحاجي والنكت المستظرفة فيقصد واضعوها التأنق فيها لتكون أبقى في ذهن السامع . فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من المخاطبات في الشؤون المعتادة والمحادثات العادية ولا نحو كتابة ديوان الجند وكتابة الأموال . والمؤلف بنى تفضيل النثر على ما حف بصناعته من العوارض العرفية والدينية وذكر لتفضيل النثر على الشعر سببين . وابن الأثير ذكر أربعة أسباب وبعضها يتداخل مع ما ذكره المؤلف وقول المؤلف « عن رتبة البلغاء » أراد بالبلغاء غير الشعراء لأن الشعراء وان كانوا من أهل البلاغة إلا انهم لما كان لصناعة الشعر اسم خاص من بين الكلام البليغ شاع اطلاق وصف الشعراء عليهم وبقي وصف البلغاء مطلقاً على من عداهم من الخطباء والكتاب وهو إطلاق قديم مشهور ومنه قول أبي العلاء المعري :

لا تطلبنّ بدون حظ رتبة قلم البليغ بدون حظ مغزل

يعني بالبليغ الكاتب . وابتدأ المؤلف بحالة العصر الجاهلي فقصر كلامه على الخطباء إذ لم تكن في الجاهلية رسائل واعتبر المؤلف من عصر الجاهلية العصر الذي عُني الأدباء بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك ، فقد زعم ابن رشيق في العمدة في باب التكسب بالشعر أن الشاعر كان في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم

من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه اهـ .

(وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر وبعده ملوكهم دناءة وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجْر بن عَمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال، ما أخرجه الى أن أمر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد) .

عد المؤلف أنفة سادة العرب في الجاهلية من الاشتهار بقرض الشعر تكملة للأمر الأول من أسباب تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب وكان الأولى للمؤلف أن يجعله من جملة الأمر الثاني لأن الأنفة من قرض الشعر عندهم أوجبها اعتياد الشعراء التلبس بالأحوال التي هي من شأن أهل البطالة والتي لا تليق بالسؤدد في عرف زمانهم ومن ذلك ما سيذكره المؤلف عند تعرضه لأحوال الشعراء في مقابلة أحوال الكتاب إذ لا فرق في تلك الأحوال بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام وما قصة امرئ القيس مع أبيه إلا من ذلك القبيل فكان الوجه تأخير هذا ليستقيم قول المؤلف فهذا واحد . وأشار الى قضية امرئ القيس مع أبيه حجر ملك بني أسد [1] وحاصلها أن حجراً سمع ابنه امرأ القيس يترنم في مجلس شرابه بقوله :

اسقيا حُجْراً على عِلاّته من كميت لونُها لون العلق

فهم أبوه بقتله ثم نهاه فلما لم ينته اطرده من وجهه فكان بعيداً عنه الى أن قتل أبوه . والقصة مشهورة في كتب الأدب .

(والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به الى السُوَق كما توصلوا به الى العلية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم حتى قيل : الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني . فهذا الباب أمره ظاهر . واذا كان شرف الصانع

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ٦٠ جزء ١ .

بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ) .

يعني أن الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعر مكسبة وتعرضوا به للعطاء مثل الأعشى والنابغة فمنهم وبعضهم تعرض به الى أعراض الناس فسخطه الناس مثل الحطيئة ، وسكت المؤلف عن الذين اتخذوه للغزل واللهو فشغلهم عن عظائم الأمور . والحاصل ان في نحلة الشعر ما كان مجلبة للغض من أصحابه بالرغم على ما يعترف لهم به الناس من حسن البيان ، فقول من قال الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني قول صادر عمن لحظ من الشعر بعض عوارضه وإلا فقد كانوا يعدون الشاعر ينافح عن القبيلة ويرفع من ذكرها فقيل كانوا يولمون إذا نبغ فيهم شاعر ، وقد قال النبي ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » وقد تصدى عبد القاهر في أول دلائل الإعجاز لإبطال شبه من ساء اعتقادهم في الشعر فانظره .

قال الجاحظ في البيان [1] قال عمر بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدّم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذا قال الأوّل « الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني ولقد وضع الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة اهـ » .

وقولهم أدنى مروءة السري هو من الدناءة بمعنى الحطة أي هو أحط مروءة السري فالمروءة اجتماع الصفات التي تعتبر في الرجال وقد اشتقت من لفظ المرء كما اشتقت الرُّجْلة من لفظ الرجل فالشعر من المزايا التي يمتاز بها صاحبها إذ

(١) ج ١ صفحة ١٧٠ طبع التجارية سنة ٤٥ .

لا يحصل لكل أحد فجعلوه أقل كمالات الإنسان الشريف وجعلوه أشرف كمالات الدني وحسبك بهذا ثناء عليه، ولكن غرض المؤلف التنبيه الى أعراض أوجبت تنقص الشعر وان النثر سالم من تلك الأعراض وانه وإن شغل أصحابه عن عظائم الأمور لم يخل من إفادتهم قبولاً في قومهم ونفعاً يجره اليهم، وقد قال بعض شعراء بكر بن وائل :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

ووقع في كلامه لفظ السُّوَق وهو بضم السين وفتح الواو بوزن صُرد اسم جمع سوقة والسوقة اسم للجماعة المنسوبة الى السوق وهم العامة من الناس . والعِلية بكسر العين وسكون اللام الجماعة المعتلون أهل الرفعة والخصوصية .

(ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الإعجاز من الله تعالى حده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يولَعون به في حينهم ويغلب على طبائعهم وبأشرف ذلك الجنس على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي ﷺ زمنَ الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به وبأشرفه فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً وقد قال الله عز وجل في تنزيه النبي ﷺ : «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» وقال أيضاً : «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون» .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأناً وأعلى سمكا وبناء من النظم وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها) .

ساق المؤلف هذا الكلام كتكملة للسبب الثاني في تفضيل النثر على الشعر ببيان أن ذلك فضل اكتسبه في الجاهلية . وعززه له الإسلام ولهذا لم يجعل هذا دليلاً ثالثاً وقد عده ابن الأثير في الجامع الكبير سبباً مستقلاً ، وفي نسخة الاستانة بعد قوله أشرف من النظم « وان النظم أقصر درجة من النثر » .

(وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعزّ من جمع بين النوعين مبرزاً فيهما فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى ممتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه إذ كان مورده على أسماع مفترقة من خاصي وعامي وأفهام مختلفة من ذكي وغبي فمتى كان متسهلاً متساوقاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت الآذان في تلقيه والأفهام في درايته والألسن في روايته فيسمح شارده اذا استدعي ويتعجل وافده اذا استدني وإنْ تطاوَل أنفاسُ فصوله وتباعَد أطرافُ حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك ، لأنه بني على أوزان مقدرة وحدود مقسمة وقوافٍ يساق ما قبلها اليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً وكل بيت يتقاضاه بالانحاد وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وان يبالغ الشاعر في تلطيفه والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حداً يصير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها والظافر بدفينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن اغماء الأثر ، وتباطؤ المطلوب على المنتظر ، فكل ما يحمد في الترسل ويختار يذم في الشعر ويرفض .

فلما اختلف المبنيان كما بينا وكان المتولي لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت فيهما الاصابتان لتباين طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجمع بينهما) .

انتقل المؤلف الى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الإسلام وجمع هنا الجواب عن مسألتين : مسألة السبب في قلة المترسلين من الكتاب وكثرة المفلقين من الشعراء . ومسألة السبب في عزة من يجمع بين الترسل والشعر .

وابتدأ بجواب المسألة الثانية في سبب عزة الجمع بين الترسل والشعر بقوله : « فهو ان مبنى الترسل الى قوله أولى وأخص » وحاصل السبب ان مقتضى الصناعتين مختلف فكان ذلك الاختلاف سبباً في ندرة العقول التي تجيد كلتا الصناعتين لأن العناية بأحد الأسلوبين واجادته تباعد الفكر عن الاهتمام بالآخر والاشتغال به . والانصراف والتوجه الى احدى الصناعتين حتى تستولي على الذهن هو أمر يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها وقوله : « فيَسمح شارده اذا استدعي . ويتعجل وافده اذا استدني » بفتح حرف المضارعة في يسمح ويتعجل مبنيين الى الفاعل وأراد بالشارد المعنى العزيز الممتنع وبالوافد المعنى السهل استعار الشارد للنادر لقلة حضوره واستعار الوافد للسهل لأنه كالذي يأتي بدون استدعاء واستعار لمحاولة اختراع المعنى النادر وللتمكن من تقويمه في الذهن فعلي الاستدعاء والسماح . واستعار لإبراز المعنى السهل بعد خطوره في الذهن فعلى التعجل والاستدناء لأن الوافد يُستدنَى للإكرام والقرى .

« وقوله أنفاس فصوله » كذا ثبت في نسخة الاستانة والنسختين التونسيتين . ووقع في نشرة الدكتور شكري « أنفاس وصوله » بواو عوض الفاء ولا يظهر له كبير معنى .

وقول المؤلف « إلا أن يكون متضمناً بأخيه وهو عيب فيه » أشار الى ما يسمى عندهم بالتضمين وهو أن يتوقف فهم معنى البيت على معرفة البيت الذي بعده وهو عيب في الشعر العربي ومع ذلك وقع في شعر فحول الشعراء ، ووقع للنابغة في عدة قصائد كقوله :

فهم درعي التي استلأمت فيها وهم أصحاب يوم عكاظ إني
شهدتُ لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الود مني

وقوله : « وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد » وقع في نسخة الاستانة مخالفاً بالترتيب وبالاعجام فكتب « يتقاضاه كل بيت بالاتخاذ » بالخاء والذال المعجمتين والمعنى على معظم النسخ بالمهملتين ان كل بيت يطالب الشاعر بأن يجعله متحداً مع الأبيات أقرانه ففي ذلك التقاضي زيادة كلفة للشاعر وعمل ليناسب بين البيت وأخيه كما قال رؤبة : « قد قلتَ لو كان له قران » فتأمل .

وأما الاتخاذ بالمعجمتين فلا يظهر له معنى لأن الشاعر إذا نظم البيت فقد اتخذه فهذا تحصيل حاصل . وقوله « وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر . وتباطؤ المطلوب على المنتظِر » انمحاء الأثر كناية عن كثرة التردد على الطريق حتى لا تبين فيه آثار أقدام معينة وقد جعله تمثيلاً لحالة وفرة المحاولين لانتزاع المعاني وتهذيبها وإفراغها في قوالب النظم بحالة كثرة السائرين في جادة الطريق حتى تصير الطريق صلبة لا تظهر فيها آثار أقدام السائرين ولا سنابك الركاب كما يقال بيض الطرائق . والمعنى ان في هذا العمل ومثله يحسن الدأب على الطلب ومحاولة الظفَر بالغاية .

وقوله « وتباطؤ المطلوب على المنتظِر » أي هذا تباطؤ حسن غير مذموم وانتظار لذيذ لأجل ما يجده المنتظر في أثناء انتظاره من توسم نوال غُنم نفيس وظهور بشائر اقترابه كما قال أبو الطيب :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

(يكشف ذلك أن الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة ترجع الى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم السجع عليه ، قلّ عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الإحاطة بهما ، فاذا كان الرجز والقصيد مع أنهما من واد واحد أفضت الحال بمتعاطيهما الى ما قلت على خلاف يسير بينهما ، فالنثر والنظم وهما في طرفين ضدين وعلى حالتين متباينتين أولى وأخص) .

كان العرب قد خصوا الرجز بأغراض غير مهمة وهي الحداء والمتح على المياه وترقيص الأمهات أطفالهن . وكانوا ينظمونه على حالةٍ عَجلة وكيفما اتفق فلذلك لم يكن يعبأ به الشعراء . وربما ارتجز البطل عند الخروج الى صف المقاتلة يُرهب الناس بما يذكره من بأسه الى أن ظهر منهم الرجاز المجيدون مثل العجاج وأبي النجم وكانوا كلهم من أهل البداوة فبقي الرجز شعار الأديب البدوي ولم يبرّز فيه أهل الحضر وقد عد من مقدرة بشار بن برد انه ارتجز بأراجيز فاق فيها مشاهير الرجاز مثل أرجوزته الطويلة :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله حدّث كيف عدت بعدي

وقصته فيها مع عقبة بن رؤبة مذكورة في ترجمة بشار .

(وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء) .

أراد بالبلغاء الكتاب البلغاء كما يبينه قوله : « منها أن المترسل محتاج الخ » ويبينه أيضاً انه موضوع البحث لقوله في حكاية السؤال « معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين » وقد تقدم وجه هذه العبارة عند شرح قوله « اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء الخ » وكأنّ اللام في البلغاء للعهد لأنه لما ذكر في صدر المقدمة رغبة السائل الكشف عما تخير فيه قال هنالك « وقلتُ أيضاً أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء

عن رتبة الكتاب البلغاء » وسبب ذلك كله أن أغلب المترسلين كانوا في عداد كتاب الدولة فصار الترسل مقارناً في الأذهان لصناعة الكتابة التي لها نباهة في الدولة ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الاسلام اكتفاء بما ذكره من فضل الخطابة في العصر الجاهلي واعتداداً بأن الكتابة غطت على الخطابة وغمرتها بين أهل الدولة . والنباهةُ مصدر نبُه بضم الباء ويجوز فيها الفتح والكسر وهي الشرف وعلو القدر والخمول ضد النباهة ولم يصرحوا بحركة الخاء منه ولكن قياسه ضم الخاء لأن مصدر فعل المفتوح العين اللازم يكون على وزن فَعُول بضم الفاء باطراد إلا في أفعال الامتناع وأفعال الاضطراب وأفعال الادواء .

(فهو ان المترسل محتاج الى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه) .

يُبين كلامَ المؤلف هنا كلامٌ صدر عن ابن الأثير في الفصل الثاني من مقدمة المثل السائر إذ قال : « وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم ، حتى قيل كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة وذلك لما يفتقر اليه من الخواص في كل فن .

وذكر ابن الأثير أن فن الكتابة يفتقر الى سبعة أنواع من الآلات . هي علوم العربية ، وعلم اللغة وأمثال العرب ، والاطلاع على تآليف من تقدمه من أرباب الصناعة المنظومة والمنثورة ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، وحفظ القرآن ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ . وقال القلقشندي : « ان كاتب الانشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن » وعلى هذا الاعتبار توسع القلقشندي فألف كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء في عشرين جزءاً . وقال : [1] « واعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان

(١) صفحة ١٤٦ جزء ١ .

يحتاج الى التعلق بجميع العلوم فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها كاللغة والنحو والبلاغة ومنها ما يحتاج اليه بطريق العَرَض كالطب والهندسة فإنه يحتاج الى الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم والى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية الخ » .

وأقول ان الكتّاب المشروطة فيهم هذه الشروط هم كتاب الرسائل السلطانية ومن كان في مرتبتهم وهم الذين منهم تختار الوزراء دون أصناف آخرين من الكتاب مثل كاتب القاضي وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الحساب وغيرهم وهم مراتب وشروطهم كذلك وهي منحصرة فيما به إجادة عملهم [1] .

(منها تبين مقادير من يَكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً ـ ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يُخاطب بها مفخِمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها ـ ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها في النقض والإبرام والبسط والانقباض ـ ومنها ان يعلم أوقات الإسهاب والتطويل والايجاز والتخفيف فقد يتفق ما يحتاج فيه الى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ؛ ويتفق أيضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة ـ ومنها ان يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ولا يعدلَ فيما يخط عن المحجة فهو انما يترسل في عهود الولاة والقضاة وتأكيد البيعة والائتمان وعمارة البلدان وإصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة لِملة أو دعاء الى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة) .

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ١٤٣ جزء ١ .

أشار الى أشد ما يحتاج اليه كاتب الإنشاء وهو أهم ما ذكره صاحب صبح الأعشى آنفاً .

(فلما كان الأمر على هذا صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعز وعدهم أنزر وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رئاستها فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم) .

جعل السبب في قلة الكتاب هو السبب أيضاً في رفعة شأنهم وقد يكون للسبب الواحد مسببان فأكثر . وحاجة السلاطين والأمراء والسادة الى الكتاب معلومة وفي تضاعيف شواهد التاريخ منها كثير . وقصة غناء عبد الله بن المقفع الكاتب عن مخدومه علي بن عبد الله بن عباس في صده كيد السفاح عنه بما كتبه من صيغة الأمان الذي رضي السفاح ببذله لعمه علي بن عبد الله بن عباس، مذكورة في ترجمة ابن المقفع ويقال هي كانت سبب نكبة ابن المقفع . وذكر الحريري في المقامة ٢٢ بعض مزايا الكتاب أهل الإنشاء وبعض وجوه الحاجة اليهم فقال «والمنشيء جهينة الأخبار . وحقيبة الأسرار . ونجيّ العظماء . وكبير الندماء . وقلم لسان الدولة . وفارس الجولة . ولقمان الحكمة . وترجمان الهمة . وهو البشير النذير . والشفيع السفير . به تستخلص الصياصي . وتملك النواصي . ويقتاد العاصي . ويستدنى القاصي . وصاحبه بريء من التبعات . آمن كيد السعاة» .

وفي صبح الأعشى من كلام ابن جعفر الفضل بن أحمد : «للكتاب أفرت الملوك بالفاقة والحاجة . واليهم ألقوا الأعنه والأزمة . وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة . وعليهم اتكلوا في الأهل والولد . والذخائر والعقد . وولاية العهد . وتدبير الملك وقرع الأعداء . وتوفير الفيء . وحياطة الحريم . وحفظ الأسرار . وترتيب المراتب . ونظم الحروب» .

(والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون اليها ، وصف الديار والآثار والحنين الى المعاهد والأوطان والتشبيبُ بالنساء والتلطيف في الاجتداء والتفنن في المديح والهجاء والمبالغة في التشبيه والأوصاف ، فاذا كان كذلك لم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار . وإذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فانا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله وآله الأخيار) .

أشار الى أن أغراض الشعراء وإن كانت رائقة للنفوس ومرغوبة عند أهل الذوق السليم فان للكتّاب المرتبةَ المهيبة ، والآثارَ العجيبة .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس

ايوانية البحتري

- ١ -

كان لملوك فارس عواصم متعددة أولها (اصطخر) وآخرها (المدائن) وكانوا قبل سابور (توفي سنة ٢٧٢ م) ينزلون (طَيْسفون) وهي المدائن الغربية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى . فبنى سابور الإيوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه فصار دار الملك من بعده الى ظهور الإسلام . وسميت (المدائن) مدائن لأنها كانت مؤلفةً من عدة مدن وكانت هذه المدن عامرة بالسكان أثناء الفتح الاسلامي وفتحت آخر سنة ١٦ هـ (نصف كانون الثاني ٦٣٧ م) ودخلها سعد ابن أبي وقاص آخر شهر آذار من السنة نفسها . ثم لما بنى المنصور بغداد انتقل سكان (المدائن) اليها . وبُني قصر (التاج) من حجارة الإيوان . وأخذت المدائن من يومئذ بالخراب والاضمحلال . ولم يبق من آثارها اليوم سوى البناء الفخم الذي يسمى (ايوان) كسرى واختلفوا في بانيه هل هو سابور أو غيره . والصحيح أنه تعاون على بنائه عدة من ملوكهم . وهو من أعظم أبنية العالم : مبني بالآجر على مرتفع من الأرض مساحته (١٥٠) ذراعاً في مثلها وأمامه ميدان طوله (٨٠) ذراعاً في عرض (٢٥) ذراعاً . وقيل ان سعة الإيوان من ركنه الى ركنه (٩٠) ذراعاً وارتفاعه (٨٠) ذراعاً . ومن أقسامه قصرٌ لسابور اشتهر باسم (الأبيض) و (القصر الأبيض) و (أبيض المدائن) . وقد تهدم الإيوان ولم يبق منه سوى قنطرة عظمى اشتهرت باسم

(الطاق)[1] أو (طاق كسرى) أو (طاق الايوان) والطاق كلمة فارسية معربة بمعنى القنطرة . ومنه قولنا (طاقة) للنافذة لأن قسمها العلوي بشكل قنطرة في الأصل . والطاق مبني بالآجر : طول كل آجرة ذراع في عرض أقل من شبر . ومن أقسام الإيوان بناء عظيم يسمى (الجرماز) وقد اندرس ولم يبق له أثر . وفي الإيوان من التماثيل والصور شيء كثير : من جملتها صورة كسرى أنو شروان (وهذه الصورة في الجرماز فاعل الجرماز من بناء كسرى أنو شروان) وهو يحاصر أنطاكية وأهلها الروم يردونه عنها تحت راية ملكهم قيصر . وقد قال الشعراء في وصف الإيوان أشعاراً كثيرة أشهرها قصيدة البحتري فيه . وقد مرّ البحتري على الايوان ومعه ابنه (أبو الغوث) وكأنّ زيارته له كانت بعد شهوده مقتل المتوكل وحزنه الشديد عليه . فهاله مارأى من فخامة البناء وغريب الصُور والتماثيل . فوصفه ووصف القصر الأبيض وصفاً عاماً ثم (الجرماز) ثم الصورة المذكورة التي تمثل حصار كسرى لأنطاكية ثم صورة تمثل مجلساً لكسرى مع نسائه وقيانه وعظماء مملكته . والقصيدة البحترية من خير أشعار البحتري على غموض في كثير من أبياتها لم نعهده في شعر البحتري الذي وُصف بسلاسل الذهب ، وقد اجتهدت كثيراً في مقابلة نسخ القصيدة ومعارضة بعض النسخ ببعض حتى استخرجتُ منها نسخةً ربما كانت أكملها ضبطاً وتحقيقاً ، وقد علّقت عليها شرحاً موجزاً أرجو أن تكون فيه الكفاية للطالب الحريص على فهم هذه القصيدة الفريدة .

* * *

(١) والطاق يبعد ٣٠ كم للجنوب الشرقي من بغداد . وقنطرة الطاق علوّها نحو أربعين متراً وسماكة الجدران نحو سبعة أمتار وطول فراغ بهو الإيوان ٦٦ خطوة وعرضه ٣٥ خطوة (والخطوة نحو ثلثي متر) .
والإيوان اليوم محاط بقفر على مقربة من مصبّ نهر (ديالا) القادم من إيران – في دجلة . وكان أي الإيوان قديماً محاطاً بمدينة (المدائن) عاصمة كسرى اهـ . ملخصاً من رحلة جرجس الخوري المقدسي المنشورة في مجلته (المورد الصافي) .

(صُنتُ نفسي عما يدنّس نفسي وترفّعت عن جَدَا كل جبْس)

(الجدا) العطية ويروى (ندا) وهو بمعنى الجود والسخاء . و (الجبْس) بكسر الجيم الغبي الدنيء الثقيل الروح (والمعنى) أنه يصون نفسه عما يُهينها ويدنس كرامتها : من ذلك أنه يربأ بها عن تناول عطيّة من الأدنياء السِفَل لأنهم يستكثرون عطاياهم ولا يزالون يمُنّون بها .

(وتماسكتُ حيث زعزعني الدهـ ـر التماساً منه لنعسي ونكسي)

ويروى (حين) مكان (حيث) وحين للزمان كحيث للمكان ومآل المعنى فيهما واحد . و (النعس) أن يخرّ الانسان على وجهه والنكس أن يخرّ على رأسه . هذا أصلهما ثم نُقلا الى معنى الهلاك : (تَعِسَ) كفرح اذا هلك و (تَعَسَه وأتعسه) أهلكه فهو تاعس وتعِس . و (نُكِسَ) على البناء للمجهول ونَكَسَه ونكّسَه فهو منكوس . (والمعنى) أن الدهر اذا نكبه نكبةً زعزعته وقلقلت عيشه مريداً إهلاكه وإسقاطه بين الناس فإنه يتماسك ويتجلّد ويصبر غير جَزوع ولا هَلوع .

(بُلَغٌ من صُبابة العيش عندي طفّفتها الأيام تطفيف بَخْس)

(البُلَغ) جمع (بُلْغَة) وهي ما يُتبلّغ به «أي يُكتفى به» من موادّ المعيشة بحيث لا يفضل منه شيء . و (الصُبابة) بالضم البقية الباقية من طعام وشراب . و (التطفيف) و (البَخْس) كلاهما بمعنى النقص : (طَفّف) الكيل والوزن نَقَصَه . و (بَخَسَه) حقّه نَقَصَه (يقول) انه اذا صان نفسه عن عطايا اللئام وصَبَر على نكبات الدهر فليس ذلك عن غنىً وسعةٍ من الرزق بل هو على العكس : لم يبق لديه من مرافق الحياة وأسباب المعيشة سوى بقية مُجَلّفَة منقوصة .

(وبعيد ما بين واردِ رَفْهٍ عَلَلٌ شُربه ووارد خِمس)

ذكر في هذا البيت حالةً من حالات الإبل في ورودها الماء قلةً وكثرة .

وقد ضربها مثلاً لنفسه : (الرَفه والرفاهة) لين العيش ورغد الحياة في البشر . أما في الإبل فهو (أي الرفه) أن ترد الماء كل يوم متى شاءت . وفعله (رَفَهَ) من باب قَطَع و (رفُه) من باب حَسُن . ويغلط الناس في مصدريه فيقولون (رَفَه) بفتح الفاء مع أن الواجب تسكينها ويقولون (رفاه) بزيادة الألف وصوابه (رفاهة) بتاء في آخره كالرفاهية . و (العَلَل) ضد النَهَل : فالنهل أن تورد الإبل ثم تُرَدُّ الى العطن (وهو موضع بروكها على مقربة من المورد) وبعد قليل يوردونها مرةً ثانية ، وهذا الورود الثاني يسمى العَلَل . حتى إذا رويت ساقوها الى المرعى أو المراح وهو مبيتها ليلاً . ولا ريب أن سقي الإبل متى شاءت وسقيها ثانية : في ذلك زيادة ريّ لها وعناية بخدمتها وترفيه عيشها . وقد ضربه شاعرنا البحتري مثلاً لحالة الانسان اللّين العيش الذي تيسّرت له أسباب الخفض والدعة . قال وشتان من كانت حالته كذلك ومن كانت حالته كحالة البحتري : لا يرد رفهاً ولا عَلَلاً بل يرد خِمساً . والخِمس بكسر الخاء ظِمءُ من أظماء الإبل كالرِبع والسِدس : فهي ضد الرفه والعَلَل فان فيها (أي في هذه الأظماء الخِمس والرِبع والسِدس) تعطيشاً للإبل . وتزنيقاً عليها في المعيشة . وذلك يكون منهم إذا أرادوا سفراً بعيداً فإنهم يعوِّدونها العطش رويداً رويداً رِبعاً فخِمساً فسِدساً . وبذلك تتمرن الإبل على تحمُّل العطش ثم يرمون بها في الفلوات أياماً وأياماً . فالخِمس والسِدس طريقة من طرائق خديعة الإبل والاحتيال عليها . ومن هنا المثل (فلان يضرب أخماساً لأسداس) أي يُري صاحبه أنه يُطيعه وهو إنما يراوغه ويحتال عليه . ويغلط الناس في استعمال هذا المثل فيقولون يضرب (أخماساً في أسداس) وصوابه (لأسداس) كما يضربونه مثلاً لمن يفكّر في الأمر كي يتبيّن وجه الصواب فيه . و (البحتري) يقول : الفرق بعيد بينه وهو عَطْشان كالبعير الوارد خمساً ـ وبين آخر توفرت له جميع أسباب الرغد ولين العيش .

(وكأنّ الزمان أصبح مخبو لاً : هواه مع الأخسّ الاخسّ)

في النسخ كلها (مخمولاً) بالميم وصوابه (مخبولاً) بالباء وهو من أصيب بفساد في عقله وأصبح كالمجنون لا يدري وجه الصواب في معالجة الشؤون ، وهكذا الزمان في تضييق العيش على الكرام أمثال البحتري . (على الأخس الأخس) أي الأرذل الأرذل من الناس : فهو كأنه يُؤثرهم ويسارع في هواهم .

(واشترائي العراقَ خُطّةُ غَبنٍ بعد بيعي الشآمَ بَيْعةَ وَكْسِ)

(الخُطة) بضم الخاء الخصلة ويكون بمعنى الأمر تهيؤه في نفسك لتجري عليه في عملك و (الغبن) أن تُخدع فتخسر في بيعٍ أو شراء و (الوكس) النقص والخسارة أيضاً ، ووُكِسَ في تجارته أي خسر فذهب ماله . كأنّ (البحتري) ندم على تركه بلاده الشامية (وبلده منبج في حلب) الى الديار العراقية التي لم يعطه الزمان فيها ما يتمناه من طيب عيش ورغد حياة : فهو يقول : ان بيعه للشام وإفلاتها من يده كان عليه فيه وكسٌ وخسران ، كما أن شخوصه الى العراق واشتراءه لها بعد ما باع الشام تدبيرٌ غير مصيب ومعاوضة أصبح فيها مخدوعاً مغبوناً .

(لا تَرُزْني مزاولاً لاختباري عند هذي البَلْوَى فتنكر مَسِّي)

(الرَوْز) أن تجرّبَ آخر وتختبر ما عنده من علمٍ وجهلٍ أو صبرٍ وجزعٍ أو حبٍّ وبغضٍ . وهكذا ، فامتحان الطلاّب لمعرفة ما عندهم من العلم هو في الحقيقة رَوْز ، والمسّ معلوم لكنه هنا بمعنى التجربة والاختبار كالجسّ : أصله المس باليد ثم أصبح بمعنى الفحص والاختبار . والبحتري بعد أن وصف ما وصف من حالته الشؤمى في العراق علم أن صديقه سوف يعاتبه على تطليقه الشام وتركه لها حتى وقع فيما وقع به من هذه البلوى فبادره قائلاً : أتحاول معرفة تجلدي ومقدار صبري على هذه المصيبة التي أنا فيها ؟ فانك بذلك ربما تحملني على الغضب والغلظة

فترى مني خشونة تنكر مسّها • وتسمع كلاماً مؤلماً لم تعهده مني من قبلُ ، دعني وما أنا فيه من الحزن والغم •

(وقديماً عهدتني ذا صفاتٍ آبياتٍ على الدنيئات شُمْسِ)

في الأصل (ذا هنات) ولا يلائم معناها هنا إلا على إرادة معنى الأمور الغريبة • فالصواب ما قلناه و(أبى عليه) امتنع ونفر ولم يطع • ومثله شَمَسَ يَشْمُسُ فهو شامس وجمعه (شُمْس) • والشُّموس في الفرس أن لا يمكن أحداً من ظهره ولا يكاد يستقرّ من قلقه • ولعل نفور الفرس هذا ناتج من رؤيته لخياله في الشمس • ومن هنا جاء فعل شَمَسَ اذا نفر وأبى • يقول البحتري لصديقه لا تكثر من لومي وإرهاقي بالعتب فانك تعلم مني قديماً الإباء والنفور من فعل ما يشين • فطباعي وأخلاقي كالأفراس الشُّمْس التي تنفر مما تكره وتأبى على الراكب أن يُسرجها أو يُلجمها •

(ولقد رابني نبوُّ ابنِ عمي بعد لينٍ من جانبيه وأُنسِ)

(النبوّ) الارتفاع ومنه نبا السيف عن الضريبة • والمراد بارتفاع ابنِ عمهِ شموخه على البحتري وتعاليه : يقول ان من جملة البَلْوَى سوء عشرة ابن عمي لي فهو يشمخ بأنفه عليّ وينأى بجانبه عني على غير ما أعهده فيه من لين الجانب وأنس الطباع •

(واذا ما جُفيتُ كنتُ حَرِيًّا أن أرى غير مُصبحٍ حيثُ أُمسي)

المعنى أنني إذا جُفيتُ وأُسيئتْ معاملتي على هذه الصورة من الناس عامةً ومن ابن عمي خاصةً كنت حَرِيًّا وجديراً بأن لا يراني الناس باقياً وقتَ الصباح في المكان الذي عوملت فيه بالجفاء وقتَ المساء بل أرحل من فوري •

(حضرتْ رحلي الهُمُومُ فوجهـــــتُ إلى أبيض المدائن عَنْسي)

(الرحل) للبعير كالسرج للفرس والإكاف للحمار ثم صار الرحل يطلق على

المثوى أي موضع الإقامة حيث توضع الرحال عادة عن ظهور الإبل وهـذا هو المعنى المراد هنا . والهموم جمع هم بمعنى الحزن والغم وهو فاعل حضرت ورحلي مفعوله مقدم عليه و (أبيض المدائن) أحد قصور إيوان كسرى كما تقدم سمي بذلك لما يأتي في وصفه من بياض شرفاته و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون الناقة الشديدة (يقول) إن الهموم والأحزان لما ألمّتْ به وخيّمت على منزله وجّه راحلته شطر مدائن كسرى وقصرها الأبيض . ولعل منزله كان يومئذٍ في بغداد وقد ارتاع من مقتل (المتوكل) إذ كان قد شهد (أي البحتري) الحادثة كما وصف ذلك في قصيدة رثائه للمتوكل التي مطلعها :

(محلٌّ على القاطولِ أخْلَقَ داثره وعادت صُروف الدهر جيشاً تَعاوَرُهْ)

فأحب أن يرحل الى الإيوان فيفرّج كربه برؤية ما فيه من عجائب البناء وغرائب الصور والتماثيل .

(أتسلّى عن الحظوظِ وآسى لمحلٍ من آل ساسان دَرْسِ)

يريد (بالحظوظ) حظوظ الدنيا وخيراتها التي تخطته الى غيره من الناس فكان هو محروماً منها ، وهم الممتعون بها . وكأنّ حرمانه إياها هاج في نفسه اللوعةَ والأسف وما كان ليخفّف من برحاء ذلك إلا رؤيته مصائبَ غيره فيحزن لمصائبهم ، ويكون في طي ذلك الحزن شيءٌ من تخفيف حزنه هو . على حدّ قول ابن دريد (وفي خطوب الناس للناس أُسَى) . وقوله : (وآسى) أي أحزن (لمحلٍ) أي مكان حلول وإقامة وهو الإيوان و (دَرْس) بفتح الدال الطريق الخفي والدِرس بكسر الدال (وقد تفتح) الثوب البالي كالدَرِيس وهو المراد هنا فيكون شبّهه بِلِيِّ القصر بِلِيِّ الثوب . ويُجمع (دِرس) بالكسر على أدراس ومنه قول أبي تمام :

(ما في وقوفك ساعةً من باس نقضي ذِمام الأَرْبُع الأدراس)

و (آل ساسان) هم الطبقة الأخيرة من ملوك فارس التي قضى عليها الإسلام . وقد تشتتت أفرادها في ذلك العهد كتشتت أفراد ملوك الروس من آل رمانوس وملوك الترك من آل عثمان في أقطار المعمور ، وكان بعض أولئك الساسانيين يطوفون البلادَ مُكدين مُستجدين . ويذكرون من نسبهم ما يرقّق القلوب عليهم . ثم أخذ الشحاذون الآخرون ينتمون الى ملوك ساسان كذباً واستدراراً لصدقات الناس . ومن ثم يُسمى الشحّاذون (أبناء ساسان) أما كلمة ساسان فيقول بعضهم في تحليلها إنها محرفة عن كلمتي (شاه شاهان) أي ملك الملوك فعربت شينها الى سين وخفّفت بحذف الهاءين فأصبحت (ساسان) . والمعنى أن البحتري شخّص الى الإيوان ليسلّي نفسه عن الحظوظ التي فاتته برؤيه قصور آل ساسان الدارسة البالية ويحزن ويرقّ لها ، ففي ذلك تخفيف لهمّه وحزنه .

(ذكّرتنيهمُ الخطوبُ التَّوالي ولقد تُذكِرُ الخطوبُ وتُنسي)

ضمير (ذكرتنيهم) لآل ساسان و (التوالي) جمع تالية أي تابعة ولاحقة ولعله يشير بالخطوب التوالي الى الخطوب التي صُبَّت على الخلافة العباسية بمقتل المتوكل ، فهذه المصيبة التالية أي التابعة لخطوب آل ساسان ذكّرته بآل ساسان أنفسهم ، ومن أجل ذلك شدّ الرحال الى آثارهم في عاصمتهم (المدائن) ليراها ويرى قصرها الأبيض والخطوب التي حاقت بها ويقارن بينها وبين الخطوب التي نزلت ببغداد وقصرها (الجعفري) الذي جرت فيه حادثة قتل المتوكل . وقوله (ولقد تُذكر الخطوب وتنسي) يريد أن خطوب الدهر أحياناً يذكّر بعضها ببعض وأحياناً يغطّي بعضها على ذكر بعض فيُنسي اللاحقُ السابقَ والمتأخرُ المتقدمَ ، أو المعنى أن الخطوب تذكر بخطوبٍ مثلها في الخطورة والشدة بينما هي تنسي ما كان دونها في العظم والهول .

(وهمُ خافضون في ظلّ عالٍ مُشْرفٍ يُحْسرُ العيونَ ويُخسي)

قوله (وهمُ خافضون) حال من الضمير في (ذكرتنيهم) أي ان الخطوب ذكرتني بآل ساسان حالة كونهم (خافضين) أي وادعين آمنين ليّني العيش في قصورهم . و (عالٍ) صفة لمحذوف . أي قصر عالٍ يعني به الإيوان أو القصر الأبيض . و (مُشرف) مرتفع ولشدة ارتفاعه يُحسِرُ عيون الناظرين اليه ويُخسؤها أي يردّها حَسْرَى كليلة . فقوله (يُخسي) بالياء في آخره أصله (يخسئ) بالهمزة خُفّفت بقلبها ياء . وهو من (أخسأه) تعدية خَسَأ البصر خُسوءً و (يُحسِرُ) تعدية (حَسَرَ) البصرُ حسوراً كلاهما بمعنى كَلَّ البصر وأعيا بحيث لم يعد يستطيع النظرَ ثانيةً . يقول إنه تذكّرهم وهم ناعمون تَرِفون في إيوانهم الذي يرتدّ عنه الطرف كليلاً لارتفاعه .

(مُغْلَقٍ بابُه على جَبَلِ القبْق إلى دارتي خِلاطٍ ومُكْسِ)

(مغلقٍ) بالجر صفة لقوله عالٍ في البيت قبله أي ان ذلك القصر العالي أغلق بابه على جبل (القَبْق) وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان في تخوم آذربيجان . وضبطه ياقوت القبْق بالسكون أما صاحب التاج فضبطه بتحريك الباء فكأنّ الشاعر سكّنه للضرورة . وباب الأبواب هي المدينة المسماة (دَرْبَنْد شِروان) على الساحل الغربي من بحر الخزر ، فجبل القبْق إذن هو جبل قفقاسيا المسمى أيضاً جبل القفْج والقفجاق وكلها أسماء محرف بعضها عن بعض . أما ان القبَق هو جبل قفقاسيا نفسه فيستدل عليه أيضاً من قول صاحب (مراصد الاطّلاع) عند الكلام على مدينة (باب الأبواب) ـ وسميت باب الأبواب لأنها أفواه شِعاب في جبل القبق وكل فم شِعْبٍ بابٌ يوصل الى قُطر من الأقطار و (خلاط) مدينة مشهورة في أرمينية على ساحل بحيرة (وان) وهي ما زالت الى اليوم . أما (مُكس) فبضم الميم كما ضُبط في معجم البلدان بالشكل قرية

عامرة في بلاد أرمينية أيضاً واقعةٌ بين خِلاط وأرزروم . و (الدارة) كل أرض واسعة بين جبال . فخِلاط ومُكس كلتاهما واقعتان في دارتين ، والمعنى ان الإيوان مترامي الأطراف متسع الباحات فمَن دخله وأغلق بابه لا يظن أنه أغلق بابه على قصر بل على بلاد شاسعه تمتد من جبال القبق الى بلاد خِلاط ومُكس . وبينهما مسافات شاسعة .

(حِلَلٌ لم تكن كأطلال سُعدى في قفارٍ من البسابس مُلْس)

(حِلَل) جمع حِلّة بكسر الحاء المنزل يحل به القوم ، والقوم الحالُّون في الحِلّة أنفسهم و (البسابس) جمع بسبس القفر . و (مُلْس) جمع أملس وهو ذو الملاسة . والملاسة النعومة . والنعومة إنما تأتي من عدم وجود شيء على سطح الجسم . فهذه القفار ملساء أي جرداء لا شيء على سطحها من شجر أو نبات . وقالوا (فلاةٌ إملِيس وبِيدٌ أمالِيس) أي ليس فيها نبات .

والمعنى أن تلك الحِلل والمنازل التي كانت تسكنها الأكاسرة هي ذات شأنٍ وخطورة بالرغم من اندراسها وعَفاء أثرها وليست كتلك الأطلال المنقطعة في القفار الجرداء والتي يولع بذكرها شُعراء العرب وينسبونها الى سُعدى ويكثرون من وصفها والتغنّي بها : فشتان بين هذه الحلل ذات الروعة والهيبة والجمال . وتلك الحِلل حِلال سعدى ولُبنى والرباب التي ليس فيها من آثار الجمال سوى بعر الظباء . وأوتاد الخيام . وأثافي المواقد . وكأن البحتري يتكلم بلسان الشعوبية الذي لَهِج به أبو نواس منذ قال :

(عاج الشقيُّ على رسمٍ يسائله وعُجت أسأل عن خمّارة البلد)
(يبكي على طَلَلِ الماضين من أسدٍ لا دَرّ درّك قُل لي مَن بنو أسد ؟؟)

* * *

(ومساعٍ لولا المحاباةُ مني لم تُطِقْها مَسْعاةُ عَنْسٍ وعَبْسِ)

(مساع) جمع مسعى ومسعاة بمعنى السعي لكنّ المسعاة والمسعى السعي الشريف في عمل المكارم . كما أن السِعاية على العكس إذ يُراد بها النميمة والوشاية . وأراد بالمساعي هنا مساعي الأكاسرة وأعمالهم الجليلة التي نشاهد آثارها في بناء الإيوان .

إنّ البناء اذا تعاظم قدرُه أضحى يدل على مَقام الباني

و (المحاباة) المسامحة والتساهل في الأمر وعدم التشدّد فيه . و (عنس) اسم قبيلة مشهورة في اليمن و (عبس) قبيلة أخرى أشهر منها في الحجاز .

كأن البحتريّ أدرك أنه في بيته الأول (حِلل لم تكن كأطلال سعدى) كاد يزلق الى الشعوبية . ويخون أمته العربية . لذلك عاد فتماسك في البيت الثاني وقال (ومساعٍ لولا المحاباة مني الخ) يريد أن من تأمل في إيوان كسرى آنسَ فيه مساعيَ فارسية مجيدة . ثم قال ولولا التساهل مني والتسامح لقلت إن قبائل قومي العرب كعنسٍ وعبس لا تُطيق أمثال تلك المساعي والأعمال أي إن للفرس أعمالاً مجيدة أكادُ أقول إن العرب لا يُطيقونها ، لكني لا أقول ذلك محاباةً لقومي . وميلاً اليهم . وإبقاءً على كرامتهم . ففي البيت إيجاز يكاد يخلّ بالمعنى تقديره أو تقويمه أن يقال هكذا : وللفرس مساعٍ لولا حبّي لقومي لكنت قلتُ إنه لم تُطقها مَسعاةُ قبائلهم لكنني لا أقول ذلك محاباةً لقومي .

على أن البحتري اذا لم يقل ذلك صراحةً فقد قاله ضمناً أو تعريضاً بحيث يوقع في نفس السامع أن الفرس يأتون من أعمال المجد بما لا تطيقه العرب : ففي البيت رائحة خبيثة من الشعوبية ، إلا أن يكون المعنى هكذا (للفرس مساع لولا محاباتي لهم أي للفرس لقلتُ إن قومي العرب لا يطيقونها لكن محاباتي للفرس جعلتني أقول إنهم يطيقونها) وليس حَلّ المعنى على هذا الشكل بصحيح

لأنه صرح بالنفي مذ قال لم تطقها مَسْعاة عنس وعبس فالمعنى الأول هو الصواب ولعل البحتري تأثم من تهمة الشعوبية فاضطرب ولم يعرف كيف يقول .

(نَقَلَ الدهرُ عهدَهن عن الجِـــدَّةِ حتى غدون أنضاءَ لُبس)

ضمير عهدهن يرجع الى الحِلَل) و (الأنضاء) جمع نِضو بكسر أوله وهو كما يُستعمل في معنى الهزيل من الحيوان يستعمل في معنى الدريس البالي من الثياب وقد أجراه هنا وصفاً للحِلل أي منازل ايوان كسرى و (لُبْس) بضم اللام مصدر لَبِس الثوبَ . والمعنى أن الدهر نقل عهد منازل الإيوان وغيّرها عن حالة الجدّة حتى أصبحت مندرسةً باليةً بِلى الثياب التي لُبِست كثيراً .

(فكأنَّ الجرمازَ من عَدَمِ الأُنـــس وإخلاقِهِ بَنِيَّةُ رَمس)

(الجرماز) اسم قسمٍ خاص أو جناح خاص من الإيوان كما مر ، وقالوا في تعريفه إنه بناء عظيم كان عند (أبيض المدائن) ثم درس أثره . وقوله (عدم الأُنس) بضم الهمزة ضد الوحشة كأنه قال من الوحشة ، أو هو بكسر الهمزة بمعنى الناس وبمعنى الأنيس : وقوله و (إخلاقه) مصدر أَخلق اذا بَلِيَ وهو معطوف على عدم الأنس وضميره يرجع الى الجرماز . والإخلاق أصله للثوب لكنه استعمله في بِلَى المكان وكثيراً ما استعملوا ألفاظ هذا في هذا . و (بَنِيَّة) فعيلة من بنى يبني أي مبنية . و (الرَّمْس) القبر غير المستشرف وهو المستوي مع وجه الأرض . يقول ان قصر (الجرماز) أصبح لوحشته أو لعدم وجود الأنيس فيه ولإخلاقه وذهاب آثاره كالرمس الذي بُني على مساواة سطح الأرض ، فما زالت تطؤه الأقدام ، وتتعاوره الرياح حتى اندرس وعفا أثره .

(لو تراه علمتَ أنَّ الليالي جَعَلَتْ منه مأتماً بعد عُرْسِ)

أي انك اذا نظرت الى الجرماز خيّل اليك أنه كان عُرساً اجتمعت

فيه النساء يلهون ويرقصن ويغنين فحولته صروف الليالي الى مكان اجتمعت فيه النساء يبكين ويندبن وينحن على الموتى من ساكنيه . ولو قيل (فيه مأتماً) مكان منه مأتماً لكان حسناً .

(وهو يُنبيك عن عجائب قومٍ لا يُشاب البيانُ فيهم بلَبْس)

(اللَّبْس) بفتح اللام بمعنى الالتباس والاشتباه يقول إن الجرماز يُخبرك بعجائب من أمر هؤلاء القوم الذين بَنَوْه وأقاموا فيه . وبيان الجرماز (أي لسان حاله) وإفصاحه عنهم لا تشوبه شائبةُ التباس فيهم وفي ما وصفهم به من العَظَمة ورفعة الشأن وقوة السلطان : أو المعنى أن الجرماز يُخبرك بعجائب قوم لهم - بمجرد النظر الى آثارهم - بيانٌ وإفصاح عن أمرهم وعما كان لهم من العظمة ورفعة الشأن بحيث أن بيانهم عن أنفسهم هذا لا يشوبه التباس ولا اشتباه في صدقه ومطابقته للواقع .

(يتبع) المغربي

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ١ -

(المدخل)

إن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم ، وإنْ بلغ أهلُ السنة أضعافَ الشيعة عَددا ، وإن أضر شيء في الأمة الواحدة هو العصبية الموروثة والتفرق الذميم ، « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً لست منهم في شيء » .

وقد كان ينبغي على كل مَن يدّعي الحب والولاء للإمام عليّ (عليه السلام) أن يأخذ بأدبه وهَدْيه ، ويقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، وها هي ذي أقواله وأعماله في « نهج البلاغة » وغيره .

لقد بايع علي للأئمة الثلاثة مِن قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقاً لما أخبر به جدّه الصادق الأمين ، عليه وآله الصلاة والتسليم . في (نهج البلاغة) أنّ علياً سُئل عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر فَرُّوا ! قيل أمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كُسالى ، قيل فما هم ؟ قال : قوم بغَوا علينا فقاتلونا وقاتلناهم . وفي (نهج البلاغة) أيضاً أنه قال - وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين - : إني لأكره أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرْتُم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر .

قلت : ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقصون ما جرى بين الصحابة (رضي الله عنهم) ويصفون أعمالهم ، ويذكرون حالهم ، ولكنهم يؤولون التشاجر بينهم تأدباً معهم واحتراماً لصحبتهم ، وحفظاً لكرامتهم ، وُلحسن بلائهم في نشر الدعوة الإسلامية . على أنه قد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفّين ، وحسابنا وحسابهم على ربّ العالمين :

وليس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديّ

وقد كنت قرأت كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) ومعه شرح عقائد شيخه ابن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (م ٣٨١ هـ) فرأيت فيها بعض ما في غيرهما ـ كالكافي والتهذيب والوافي ـ من الأحكام الصادرة : باللعن والتكفير والتخليد في النار ، لمن أورثوهم الأرض والديار !! قلت : لا شكّ أنّ هذه الكتب تورث قراءها وَغَراً وحقدا ، وعِداءً وبغضا ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصّ القرآن ، ولم نر انتقاداً ولا اعتراضاً على الكتابين الأوّلين ممن صحّحوهما ، وهم ثلة من أشهر مجتهدي الشيعة في عصرنا . بل رأينا حركة الطبع والنشر قد قويت في العراق وإيران والشام ، وصدرت منها كتب كثيرة ، في هذه الأعوام الأخيرة ، وكلُّها ردود على السنّيين ، وزرابة على أهل المفاخر والمآثر في الإسلام ، وهي لا تعدو أمّهات المسائل التاريخية التي وقعت في الصّدر الأول والأحداث التي تلتها .

ولمّا كانت هذه الوقائع قد أحاط بها خُبرا شيخ الشيعة الإمامية في عصره ابن المطهر الحلي (م ٧٢٦) في مؤلّفه الذي سمّاه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) وأجابه عنها واحدة فواحدة إمام السنة أحمد بن تيمية (م ٧٢٨) في

ردّه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقَدرية) في أربعة أجزاء، جاء الحافظ الذهبي (م ٧٤٨) واختصره بكتاب سماه (المنتقَى) وقد حقّقه وعلق حواشيَه ووقف على طبعه الكاتب الكبير السيد محب الدين الخطيب، (طبع سنة ١٣٧٤ هـ). وقد أُهديت منه نُسَخ الى المجمع العلمي بدمشق، ولبعض الفضلاء، والمهدي هو الأستاذ السلفيّ الشهير الشيخ محمد نصيف عين أعيان الحجاز، كما أهدي الى المجمع العلمي وبعض أعضائه من كتب الشيعة أيضاً، ومنهم كاتب هذه السطور، وقد وصفنا بعضها في باب «التعريف والنقد) من مجلة المجمع.

ونصف الآن كتاب (المنتقى) الذي يقع في مجلد ضخم يقرب من ستمائة صفحة بالقطع المتوسط، وهو يشتمل على فصول كثيرة في إمامة الخلفاء الراشدين، وما ظهر على أيديهم من الخير العظيم. ومجمل القول: إنّ ابن المطهّر ينفي الخصائص، ويثبت النقائص، للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ويتعقبه ابن تيمية فيثبت العكس، وهما إماما السنة والشيعة في عصرهما، وقد كتبَ من جاء بعدهما في موضوع الإمامة الكبرى، ولكن الحملة قد اشتدت في هذا الزمن العصيب على السنيين، وان اختلفت كتب الشيعة وردودهم في الأسلوب قوة وضعفا، وقسوة ولينا.

ولمّا كانت مجلة مجمعنا العلميّ تعنى بنشر حقائق التاريخ، مصفّاة من الشوائب، بعيدة عن عصبية المذاهب، مسجلة ما يجب تسجيله من الوقائع والحوادث، لا سيما ما كان بأقلام الأعلام - رأينا أن نثبت فيها شذرات من هذا الحوار، موردة بغاية الاختصار، مغنية عن قراءة هذه الكتب التي ظهرت وستظهر في أمر الخلافة العظمى، وما جرى بين الصحابة الكرام في شأنها، وقد افتتن الناس بها، وتعادَوا من أجلها هذه القرون الطويلة، ولتكن أجوبة الإمام

ابن تيمية التي أوجزناها وأجملناها هنا بالكلام الوجيز كما ستراها ـ جواباً من كل سنيّ ، وجعلنا كلّ ما نقلناه عن الأستاذ (الخطيب) بين قوسين . ونبدأ القول بايراد فصل عقده كتاب (المنتقى) في تقديم الخلفاء الأربعة بترتيبهم الزمني ، سلك فيه الإمام ابن تيمية طريقة المعقول ، الموافقة لصريح المنقول قال[1] (رحمه الله تعالى) :

(فصل) وهنا طريق يمكن سلوكها لمن له معرفة بالأخبار ، فانّ كثيراً من العلماء يتعذر عليهم التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد ، وإنما ينهض بذلك جهابذة الحفاظ : نُقدّر أن الأخبار المتنازع فيها لم تكن ، فنرجع الى ما هو معلوم بالتواتر ، أو بالعقل والعادات ، أو ما دلت عليه النصوص المتفق عليها فنقول : من المتواتر أن أبا بكر لم يطلب الخلافة برغبة ولا برهبة ، فلا بذل فيها مالا ، ولا شهر عليها سيفا ، ولا كانت له عشيرة ضخمة ولا عدد من الموالي تقوم بنصره كما جرت عادة طلاب الملك ، بل ولا قال : بايعوني ، وانما أشار ببيعة عمر أو ببيعة أبي عبيدة ، ثم من تخلّف عن مبايعته لم يؤذه ولا أكرهه عليها كسعد بن عبادة . ثم الذين بايعوه طائعين ، هم الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة ، الذين رضى الله عنهم ، فقاتل بهم المرتدّين ، وفارس والروم ، وثبّت بهم الإسلام وأهله ، ولا أكل منها ولا لبس إلاّ كعادته وعيشه ، فلما جاءه اليقين ، خرج منها أزهد مما دخل فيها ، ولم يستأثر فيها بشيء عنهم ، ولا آثر بها قرابته ، بل نظر الى أفضلهم في نفسه فولاّه عليهم (وهو عمر رضي الله عنه) فأطاعوه كلّهم ففتح الأمصار ، وقهر الكفّار ، وأذلّ أهل النفاق ، وبسط العدل ، ووضع الديوان والعطاء ، لازماً لعيش من قبله في مأكله ومشربه وملبسه ، حتى خرج منها شهيداً لم يتلوث لهم بمال ،

(١) (ص ٤٨٢) من المنتقى .

ولا ولّى أحداً من أقاربه ولاية ، هذا أمر يعرفه من يعرف وينصف . ثم بايعوا عثمان كلهم طوعاً منهم ، فسار ، وبنى على أمر قد استقر قبله ، بسكينة وحلم ، وهدى ورحمة ، وكرم واين ، لكن لم تكن فيه قوة عمر ، ولا سياسته التي بهرت العقول ، ولا كمال عدله الذي ملأ الوجود ، ولا فرط زهده الذي ما ينكره إلاّ جاهل . فطمع فيه الناس بعض الطمع ، وتوسّعوا في الدنيا ، وكثرت عليهم الأموال ، ودخل - بسبب توليته أقاربه - عليه الداخل ، وأنكرت منه أمور ما اعتادها الناس قبله ، وتولّد من رغبة بعض الناس في الدنيا - وضعف خوفهم من الله تعالى ، ومنه ومن ضعفه هو ، بالنسبة إلى كمال الذين قبله ، ومما حصل من أقاربه في الولاية والمال ، - ما استحكم به الشرّ ، وحرك الفتنة ، حتى قتل مظلوماً ، وذبحوه صبرا .

فتولّى علي رضي الله عنه والفتنة قائمة ، واتّهم بالتخلي عن عثمان حتى قُتل ، وبعضهم اتهمه بدمه ، والله يعلم براءته من دمه : ثبت عنه أنه لم يرض بقتله ولا أعان عليه ، فلم تصفُ قلوب كثير منهم ، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه ، ولا اقتضى رأيه الكفّ عن القتال حتى ينظر ما يؤول اليه أمره كما أشار عليه ولده الحسن .

فظنّ أن الطاعة تحصل ، والأمة تجتمع بالقتال ، فما زاد الأمر إلاّ شدة وافتراقاً ، حتى خرج عليه من جنده ألوف ومرقوا ، وكفّروه وقاتلوه قاتلهم الله ، حتى كان في آخر أمره يطلب هو الكفّ عن قتال من لم يطعه ، فكان آخر الخلفاء الراشدين الذين ولايتهم خلافة النبوة .

ثم آل الأمر الى معاوية أول الملوك كما قال عليه الصلاة والسلام « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وسيرة معاوية من أجود سِيَر الملوك بالنسبة » اهـ .

هذه فلسفة عقلية للامام ابن تيمية في شأن الخلافة الإسلامية ، وتولية الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد جاءت طبيعية كما ترى . ومن هنا نبتدئ بذكر نماذج من الحوار الذي دار بين ابن المطهر وابن تيمية ، جاعلاً إياه على طريق السؤال والجواب ، مجرداً عن التنابز بالألقاب ، لتتجلى شمس الحقيقة للناظرين ، لا يغشاها حجاب ولا سحاب ، ونرمز للأول بحرف الميم ، وللثاني بحرف التاء .

(ابن المطهر) : « إن مذهب الإمامية واجب الاتباع . . . أخذوا دينهم عن المعصومين ، وغيرهم اختلفوا ، وتعددت آراؤهم وأهواؤهم ، فمنهم من طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا » .

(ابن تيمية) : هذا الصنف هو أشرف الأمة ، وقد قال سبحانه في شأنهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » الآية . فوعدهم الاستخلاف ، وأخبر برضاه عنهم ، وبأنهم متقون ، وبأنه أنزل السكينة عليهم . وهذه النعوت منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فانه إذ ذاك الزمان حصل لهم الاستخلاف ، وتمكين الدين والأمن بعد الخوف ، الى أن قهروا فارس والروم ، وافتتحوا الشام والعراق ، ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً ، بل طمع فيهم الروم وغيرهم . . وأريقت الدماء ، فأين ما بعد قتله مما قبله ؟ ؟

(م) فاذا قلت : إن أبا بكر ومبايعيه طلبوا الدنيا والرياسة .

(ت) (فالجواب أن أبا بكر) : بويع باختيارهم بلا سيف ولا عصا ، واستوسق له الأمر فلم يولّ أحداً من أقاربه ، ولا خلّف لورثته مالا ، وأنفق مالاً كثيراً في سبيل الله ، وأوصى الى بيت مالهم ما كان عنده ، حتى قيل : يرحمك الله أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك ، وما قتل مُسلم على إمارته ، بل قاتل بالمسلمين المرتدّين والكفار ، فلما احتضر استخلف على الأمة القويّ

الأمين العبقري (عمر) لا لقرابة ولا لنسابة ولا لدنيا ، بل اجتهد للمسلمين ، فحمدت فراسته وشكر نظره ، بالذي افتتح الأمصار ، ونصب الديوان وملأ بيت المال ، وعمّ الناس بالعدل ، مع ملازمته لهدي صاحبه وخشونة عيشه ، وعدم توليته أقاربه ، ثم ختم الله له بالشهادة» .

(م) نقلك عن أهل السنة : أن العبد لا تأثير له في الكفر والمعاصي :

(ت) نقل باطل ، بل جمهور من أثبت القدَر يقول : إن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وان له قدرة واستطاعة ، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ، بل يقرّون بما دلّ عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح ، وينزل الماء بالسحاب ، وينبت النبات بالماء ، والله خالق السبب والمسبب .

(القول الثاني) ان الظلم مقدور لله منزه عنه كتعذيب الإنسان بذنب غيره ، كما قال تعالى : «ومن يعمل من الصالحاتِ وهو مؤمن فلا يخافُ ظلماً ولا هضما» وهؤلاء يقولون : الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياريّ مستقرّ في فِطَرِ العقول ، ويقولون : الاحتجاج بالقدَر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل ، فان الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدَر أيضاً فالاحتجاج على فعل المعاصي بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء ، وانما يحتج به مَن اتبع هواه كما قيل : أنت عند الطاعة قدَريّ وعند المعصية جبريّ ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به ، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحدا ، ولا أن يعاقب أحد أحدا .

(م) وذهب مَن عدا الإمامية والإسماعيلية الى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين ، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والسرقة» .

(ت) ما ذكرته عن الجمهور في تجويز ذلك على الأنبياء (باطل) فانهم متفقون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة ، وطاعتهم واجبة

إلاّ عند الخوارج ، والجمهور يجوزون عليهم الصغائر وانهم لا يُقرّون عليها . وأمّا عصمة الأئمة فنعم كما قال ، لم يقل بها إلاّ مَن ذكر ، وناهيك بقول عَرِيّ عن الحجة ، قالوا : إن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف ، قلنا : فهذا الغائب المنتظر المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف سواء كان ميتاً كما نقول ، أو حياً كما تزعمه الإمامية ... ثم لم يحصل بعده أحد من الاثني عشر له سلطان إلا علي كرم الله وجهه . ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم مما كان في زمانه من الفرقة والفتنة والقتال ، والله قد أمرنا بالردّ عند التنازع الى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لَوَجّه الردّ اليه .

(م) وهم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي (ﷺ) وأهملوا أقاويل الصحابة .

(ت) فالجواب أن هذا وارد عليكم ، فالزيدية تقول بالقياس ، ثم قوله : « أدخلوا في دين الله ما ليس منه » فهذا ليس في طائفة أكثر (من الإمامية) ... حيث قالوا « مرج البحرين » علي وفاطمة « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » الحسن والحسين « في امام مبين » علي « وآل عمران علي العالمين » آل أبي طالب وسموا أبا طالب عمران ، « والشجرة الملعونة » بني أمية « أن تذبحوا بقرة » عائشة « لئن أشركت ليحبطنّ عملك » لئن أشركت بين أبي بكر وعمر ، ونحو ذلك مما وجدته في كتبهم ، ومن ثَمّ دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والمحرّمات .

(م) وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهملوا أقاويل الصحابة !

(ت) متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع الصحابة نحن أو انتم ؟ ومن الذي كفّرهم وضلّلهم ؟ ... انه لم يكن في

العترة النبوية - بني هاشم - على عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) من يقول بامامة اثني عشر ، ولا بعصمة أحد بعد النبي (ﷺ) ولا يكفر الخلفاء الثلاثة ، بل ولا من يطعن في إمامتهم . وأما المذاهب فان الأربعة لم يكونوا في وقت واحد . ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمرَ الناس باتباعه ، بل كان كل منهم يدعو الى متابعة الكتاب والسنة ، ويردّ على صاحبه ، وان قلت ان الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاقي .. والأربعة لم يخترعوا علماً لم يكن .. ثم لم يقل أهل السنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وأن ما خرج عنه باطل .... ولا شك أن القياس فيه فاسد ، وليس يوجب بطلان جميعه ، كما أن وجود الموضوعات في المرويات لا يوجب بطلان جميع الحديث .

(لشيخ الإسلام رسالة في بيان القياس الصحيح والقياس الفاسد ، وللتلميذه الإمام شمس الدين بن القيم تحقيق واسع في ذلك ، وسبق لنا جمعها في كتاب عنوانه « القياس في الشرع الإسلامي » (الخطيب)

(م) ثم ذكر (أي ابن المطهر) حديث ابن عمر : « يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ... الحديث » .

(ت) قلنا : ذا حجة عليكم ، فان لفظه « يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي » يعني اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن) . ثم قد رُوي عن علي (رضي الله عنه) أنه من ذرية الحسن ، لا الحسين .

(م) فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال .

(ت) إن دعوى العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة إلاّ ما ادعاه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفا ومصلحة في التكليف . وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها أن هذا - أي اللطف والمصلحة -

مفقود لا موجود ، فانه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلاّ المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا ، ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف ، لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ؟

(م) لم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي .

(ت) كلام باطل ، فان علماء أهل السنة المعروفين بالعلم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يُقتدى بأحد في معصية الله ، ولا يتخذ إماماً في ذلك ، وان أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج اليه في طاعة الله ، ويعاونونهم على ما يفعلون من طاعة الله ، فيقال له : ان كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذوراً ، (فالإمامية) أدخل منهم في ذلك [والنصير الطوسي شيخ المؤلف مثل واضح على استعانة علمائهم بالملوك الكفار والفجار . وإعانتهم والعمل في خدمتهم . وهو المسئول مع عدو الله ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد ، عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هلاكو في أمة محمد (ﷺ) سنة ٦٥٥ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد بخيانة ابن العلقمي ومستشاره ، وتحريض هذا الفيلسوف) .

(م) ومنع أبو بكر فاطمة إرثها ، والتجأ الى رواية انفرد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحل له ؟ لأن النبي (ﷺ) قال : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» على ما رووه عنه .

(ت) بل رواه ـ أي هذا الحديث ـ عن النبي (ﷺ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف والعباس ، وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وقوله : كان الغريم لها : إن أبا بكر لم يدع التركة لنفسه ، وإنما هي صدقة

لمستحقها . وأيضاً فتيقن الصحابة ، وأولهم علي رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) لا يورث ، ولهذا لما ولي علي الخلافة لم يقسم تركة النبي (ﷺ) ولا غيّرها عن مصرفها ، وعموم آية الميراث قد خُصّ منه هذا ، وانه لا يرث الكافر ، ولا القاتل عمداً ، ولا العبد وغير ذلك . ثم إن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد أعطيا علياً وبنيه (رضي الله عنهم) من المال أضعاف ما خلّفه النبي (ﷺ) . وما خلّفه النبي (ﷺ) فقد سلمه عمر الى علي والعباس (رضي الله عنهم) بليانه ويفعلان فيه ما كان النبي (ﷺ) يفعله ، وهذا مما ينفي التهمة عن أبي بكر وعمر .

[لو كان إرثا لما كان منحصراً بفاطمة ، بل هو إرث زوجاته أمهات المؤمنين أيضاً ، فالذي وقع لفاطمة من أمر الإرث المزعوم وقع مثله لعائشة وحفصة وسائر أمهات المؤمنين ، ووقع مثله لعمه العباس . . . ومع ذلك فان ربع فدك وخمس خيبر أبيح لآل البيت يأكلون منه حاجتهم ، كما كانت الحال في حياته (ﷺ) والباقي صرف حيث كان يصرف النبي (ﷺ) ما زاد عن حاجته منه] .

(م) وأجمعوا على قتل عثمان !

(ت) إن الجمهور لم يأمروا بقتله ، ولا رضوه ، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة ، بل كانوا بالأمصار ـ من بلد المغرب الى خراسان ، ـ ولم يدخل خيار المسلمين في ذلك ، وانما قتله طائفة من المفسدين في الأرض ، من أوباش القبائل ورؤوس الشر . وعن علي قال : اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ، غاية ما يقال : انهم لم ينصروه ، وفتروا عن إعانته بما رأوه ، وما ظنوا أن الأمر يبلغ الى قتله .

ومن المعلوم أن المسلمين أجمعوا على بيعة عثمان ، وما أجمعوا على قتله ، فهلاّ كان الإجماع على بيعته حقا لتيقن الإجماع عليها ؟ ؟ . . . إن عثمان من

أعيان السابقين الأولين من المهاجرين ، من طبقة عليّ وطلحة والزبير ، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته ، بل لم يشهر في الأمة سيفا ولا قتل على ولايته أحدا [ولما جاء البغاة المدينة للبغي عليه ، كانت جيوش عثمان ، ورجال الكفاح من الصحابة كلهم في ميادين القتال في الغرب والشرق الى أعمال آسيا التي يحكمها السوفييت الروسيون الآن[1]] .

(م) ان النبي (ﷺ) لعن معاوية الطليق ابن الطليق ، وقال : إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه .

(ت) هذا الحديث ليس في شيء من كتب الاسلام ، وهو عند الحفاظ كذب ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . [وقد رآه الحسين وغيره من الصحابة على المنبر النبوي ، وصلّوا كلهم وراءه ، لأنه كان إمامهم ، وخليفةَ رسول الله فيهم] . وأما قولك الطليق ابن الطليق ، فما هذا بصفة ذم ، فإن الطلقاء غالبهم حَسُن إسلامُهم ، كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامه ، وولاّه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن يحابي ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم إن معاوية بقي على دمشق وغيرها عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ؛ ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه لقلوبهم .

---

(١) دخل الروس على أيدي الصحابة الكرام في دين الله أفواجا . وقد لبّى مجمعنا العلمي دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م . واجتمعت أنا هناك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا قبرَ ابن العباس (رضي الله عنهما) في سمرقند وشاهدنا جامع لينين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة « ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره » .
(محمد بهجة البيطار)

(م) وقاتل عليا وعلي عندهم رابع الخلفاء ، إمام حق ، وكل من قاتل إمام حق ، فهو باغ ظالم .

(ت) قلنا نعم ، والباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق ، وقد يكون بغيه مركبا من تأويل وشهوة وشبهة ، وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه عن الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية ، فطلب منه معاوية أن يخبره بما ينقمه عليه ، فذكر المسور أمورا ، فقال (أي معاوية) يا مسور ألك سيئات ؟ قال نعم . قال : أترجو أن يغفرها الله ؟ قال نعم ، قال : فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ وإني مع ذلك والله ـ ما خيّرت بين الله وبين سواه إلاّ اخترت الله على ما سواه ، ووالله لما أُليه من الجهاد ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من عملك ، وأنا على دين يقبل الله من أهله الحسنات ، ويتجاوز لهم عن السيئات » .

ثم أهل السنة تقول : الإمام الحق ليس معصوماً ، ولا يجب على الإنسان أن يقاتل معه كل من خرج عن طاعته . ولا أن يطيعه الإنسان فيما يعلم أنه معصية ، وأنّ يتركه أولى ، وعلى هذا ترك جماعة من الصحابة القتال مع علي لأهل الشام .

(م) إن معاوية قتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة .

(ت) الذين قُتلوا من الطائفتين ، قتل هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء . وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون علياً ولا معاوية . وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكفّ الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غُلبا فيما وقع . والفتنةُ اذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها .

(م) وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد ، مع ما صدر عنه من قتل الحسين ، وسبي نسائه في البلاد على الجمال بغير قتب ، وزين العابدين مغلول» .

(ت) أما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين ، باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب الى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما أراد الحسين (رضي الله عنه) أن يخرج الى أهل العراق ـ لما كاتبوه كتباً كثيرة ـ أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر ، وابن عباس أن لا يخرج ، وغلب على ظنهم أنه يقتل ، حتى ان بعضهم قال : أستودعك الله من قتيل ، وقال بعضهم : لولا الشناعة لأمسكتك ، ومنعتك من الخروج . وهم بذلك قاصدون نصيحته ، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين ، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك ، إذ لم يكن في الخروج مصلحة ، لا في دين ولا في دنيا ، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ﷺ) حتى قتلوه مظلوماً شهيداً . (ث) إن عنيت باعتقاد إمامة يزيد أنه كان ملك وقته ، وصاحب السيف كأمثاله من المروانية والعباسية ، فهذا أمر متيقن ، وحكم يزيد على حوزة الاسلام سوى مكة ، فانه غلب عليها ابن الزبير ، وامتنع عن بيعة يزيد ، ولم يدعُ إلى نفسه حتى بلغه موت يزيد ، وهذا معنى كونه إماماً ، وخليفة وسلطاناً ، وأما كونه براً أو فاجراً ، مطيعاً أو عاصيا ، فذاك أمر آخر ، فأهل السنة اذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد أو عبد الملك أو المنصور أو غيرهم ، كان بهذا الاعتبار . وكذلك كونه عادلا في جميع أموره مطيعا في جميع أفعاله ليس هذا اعتقاد أحد من المسلمين ، وكذلك وجوب طاعته في كل ما يأمر به ، وان كان معصية لله ليس هو اعتقاد أحد من المسلمين ، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشار كون فيما يُحتاج اليهم فيه من طاعة الله .

وكان قتل الحسين (عليه السلام) مما أوجب الفتن ، كما كان قتل عثمان (رضي الله عنه) مما أوجب الفتن ، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي (ﷺ) من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد

في المعاش والمعاد ، وأنّ مَن خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ؛ ولهذا أثنى النبي (ﷺ) على الحسن بقوله : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ولم يُثنِ على أحد لا بقتال في فتنة ، ولا بخروج على أئمة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا بمفارقة الجماعة .

وقد ثبت في البخاري من حديث ابن عمر عن النبيّ (ﷺ) : « أول جيش يغزون القسطنطينية مغفور لهم » فأول من غزا القسطنطينية جيش بعثهم معاوية وعليهم ابنه يزيد ، وفيهم من سادات الصحابة أبو أيوب الأنصاري ، فحاصروها .

(م) وأما قوله (أي ابن المطهر) « السبي والحمل على جمال بلا أقتاب » .

(ت) (فالجواب) : ما استحلّت أمة محمد (ﷺ) سبي هاشمية ، وانما قاتلوا الحسين خوفاً منه ، ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر ، وبعث بآله الى المدينة ، ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضي به مستحق للعقاب . لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، وقتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

(م) ومنها (أي من فضائل علي كرم الله وجهه) ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً قال لسلمان : سَلِ النبي (ﷺ) مَن وَصيُّه ؟ فسأله ، فقال : يا سلمان مَن كان وصيّ موسى ؟ قال : يوشع ، قال : فان وصيي ووارثي علي » .

(ت) هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل . وأحمد قد صنّف كتاباً في فضائل الصحابة ، ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجماعة من الصحابة ، وذكر فيه ما رُوي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك .

[نقل المامقاني في كتابهم تنقيح المقال (٢ : ١٨٤) عن محمد بن عمر الكشي ـ رأس علمائهم في الجرح والتعديل ، وأول من فتح لهم باب التأليف فيه ـ ما نصه : « وذكر أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ، ووالى علياً ؛ وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع بن نون (وصي موسى) فقال في إسلامه في علي مثل ذلك » فهذا نصّ عنهم صريح صحيح بأن مخترع لقب (الوصي) لعلي هو عدو الله بن سبأ . وما دام خبر أنس عن سلمان مكذوباً من أساسه كما سترى ، فان الخبر اليقين هو الذي نقله المامقاني عن الكشي عن علمائهم أنّ صاحب الحق في هذا الاختراع هو ابن سبأ اليهودي .

وبذلك برّأ الله نبيه من هذه التهمة كما برأ صاحبيه أنساً وسلمان ، بل برأ الله آخر رسالاته من أن توصم بهذا الاحتكار الذي تكون فيه الأمة يتيمة مسلوبة التصرّف ، تحت أوصياء من البشر ، آخرهم لم يلد ولم يولد ، وهي .. من بعدُ تائهة ضائعة راسفة في قيودها بين الأمم ، بينما رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسانية كلها ، وإطلاق العقول في الأخذ عن ينبوع هذه الهداية العظمى بالغة راشدة ليس عليها قيّم ولا وصي إلاّ هذا الشرع العالي القويم] .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٥ -

نشأة « التصريف » وأثر ابن جني رحمه الله فيه :

علم التصريف أو علم الصرف هو صنو علم النحو وأخوه ، وكما أن النحو قد وجد لما أراد العلماء طرد القواعد لضبط أواخر الكلمات ونفي الشواذ ، كذلك وجد علم الصرف لما أراد العلماء ضبط صيغ الاشتقاق وطردها فوضعوا هذه القواعد العامة في الاشتقاق والابدال والاعلال [١] وما الى ذلك .

---

(١) نحب أن نذكر هنا رأي بروكلمان في نشأة هذين العلمين حيث يقول ما ترجمته : أوائل النحو والصرف ستبقى مجهولة الى الأبد لأن أملنا قليل بالعثور على نصوص أقدم من النصوص التي بين أيدينا ؛ فلا يمكننا إذن أن نعرف أي مقدار أخذه النحاة العرب عمن سبقهم من النحاة الأقدمين . يقول الأستاذ Braunlichi براونليكي إن تأثير الأقدمين على النحو العربي لم يبدأ إلا مع سيبويه وإن من كان قبله من العلماء – كالخليل – كانوا عرباً أقحاحاً » ولا يمكننا أيضاً أن نعتبر أن الخليل هو الواضع فقد كان قبله آخرون ، أما قصة أبي الأسود فهي الى الخرافة أقرب منها الى أي شيء آخر .

أما التصريف فيقولون إنه نشأ مع معاذ بن مسلم الهرّاء (– ١٨٩ أو ١٩٠) وليس معاذ إلاّ نحوياً [انظر النزهة : ٦٤ وابن خلكان : ٢/٩٩ والبغية : ٢٩٣] وقول ابن فارس في الصاحبي ؛ ٤٢ ان علم العربية خال من أي تأثير أجنبي غير صحيح وقد بحث ذلك مفصلاً Bravmann براومان في رسالته عن الحروف والمصادر العربية وقد طبعت في برسلو سنة ١٩٣٤ .

ولئن كان للنحاة أثر عظيم في جمع قواعد العربية وضبطها هذا الجمع والضبط المتينين فإن للصرفيين أثراً أعظم في استنباط هذه القواعد العامة التي يعرف بها كيفية اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول ، والمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم التفضيل ... وليس من شك في أن العرب الأقدمين لم ينطقوا بكل مشتقات مادة بعينها ولكن الصرفيين هم الذين أعطونا المفتاح الذي به استطعنا أن نقيس ونشتق هذه الأسماء .

وان هذا الاشتقاق هو الذي وسع موادّ اللغة العربية ، فقد نقل عن الامام سيبويه أن التصريف «هو أن تبنى من الكلمة بناء لم يبنه العربي على وزن ما يبنيه ، ثم يعمل في البناء الذي يبنيه ما يقتضيه القياس» [1] . وقال ابن جني : التصريف هو أن تأتي الى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير [2] . وهذا التعريفان يبينان لنا بوضوح أثر علم التصريف والصرفيين في توسيع اللغة العربية .

وليس من شك في أن هذا العمل الجليل لا يستطيع القيام به إلاّ عقل قد أوتي جانباً عظيماً من العمق وحب التنظيم وطرد الشواذ وكثرة الاطلاع على آثار العرب وفهم أشعارهم وكلامهم فهماً دقيقاً يكوّن لصاحبه ملكة الابداع والتصرف فيه .

وقد اجتمعت هذه الشروط في أئمة النحو البصريين الذين كانوا ـ الى علمهم الواسع بالعربية ولغاتها ـ على جانب عظيم من الذكاء وحب للجدل والكلام في أصول الدين .

قال أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى : «حينما بدأ الفقه في الكوفة كانت البصرة سبقت الى الكلام في أصول الدين وأصول الفقه وكان مجلس

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج ١ ص ٩٢١ طبع الاستانة .
(٢) التصريف الملوكي ص ٢ .

الحسن البصري يفيض بالمناقشات الدينية حول العقائد وأصول الدين والفتن التي غشيت المسلمين ، ومن تلك الحلقة نشأ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما من رؤوس المتكلمين ، ولم يكن للكوفة مثل هذا الحظ بل استعاضت عنه بدروس الفقه وتأصيله وتأسيس قواعده وذلك في مدرسة أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد وابن أبي ليلي ، ثم أخذت الكوفة في جمع الأشعار وتدوينها وكان حظها من ذلك عظيماً قام به المفضل الضبّي وحماد الراوية وأبو عمرو الشيباني [٢] » في تلك البيئة البصرية الحكيمة نشأ علم النحو كما نشأت فيها أوائل علم التصريف .

وقد كان النحاة الأولون كعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (— ١١٧) وعيسى بن عمر الثقفي (— ١٤٩) وأبي عمرو بن العلاء (— ١٥٤) والخليل بن احمد (— ١٨٠) وسيبويه (— ١٨٣) يمزجون أبحاث النحو بالتصريف كما نجد ذلك في كتاب سيبويه . ويزعم الكوفيون أن أول من بحث في التصريف بحثاً مستقلاً هو إمامهم معاذ بن مسلم الهرّاء (— ١٨٧) وأن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد هجاه لما رآه بحث في التصريف فقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني من التعجم في تلك الجراثيم

وقد ردّ معاذ بن مسلم على أبي مسلم هذا في أبيات ثلاثة . ويعلق السيوطي على هذه الحكاية بقوله : (ومن هنا لحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا) [٢] .

---

(١) من محاضرات للأستاذ ابرهيم مصطفى ألقاها في كلية الآداب بالجامعة المصرية عام ٩٣٢ — ٩٣٣ .

(٢) البغية ص ٣٩٣ .

قلت : ولا شك في أن الأقدمين من البصريين والكوفيين جميعاً كانوا يبحثون في مسائل علم التصريف ، ولكن يظهر أن معاذاً هو أول من أكثر من البحث والتعمق فيه . وأول من ألف فيه من البصريين أبو عثمان بكر بن محمد المازني [١] (— ٢٤٧) كما أن أول من ألف فيه من الكوفيين هو الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الباهلي (— ٢٠٧) . أما الفراء فكان كما يقول الزبيدي في طبقاته : هو أبرع الكوفيين في علمهم وله كتب حسنة في القرآن وغيره . وقال ابن النديم : كان شديد العصبية على سيبويه وكان يتفلسف في تصانيفه [٢] . وله من الكتب في علم التصريف : (المصادر في القرآن) و (الجمع والتثنية في القرآن) ، و (المقصور والممدود) و (أفعل وفعل) و (المذكر والمؤنث) [٣] ، ولم يبق من آثاره هذه إلا كتاب معاني القرآن [٤] ، ويظهر أن رسائله هذه كانت الى البحوث اللغوية أقرب منها الى البحوث الصرفية ولذلك لا ينبغي أن يعتد بها كثيراً في تاريخ نشأة علم التصريف ، وأما المازني ، الذي لم يكن بعد سيبويه أعلم منه بالعربية [٥] ، فقد أبقى لنا كتاباً في التصريف يشهد بسعة علمه وتعمق بحثه ونحن اذا قرأنا هذا الكتاب علمنا أن المازني ، هو إمام الصرفيين غير مدافع [٦] وقد وقع لنا كتابه العظيم بشرح ابن جني وهو من أجل ما ألف في هذا العلم . وكان أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى

---

(١) البغية : ٢٠٢ .
(٢) الفهرست : ١٠٠ وطبقات النحاة للزبيدي مخطوطتنا ص ١٧ رقم الترجمة (٦٤) .
(٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١٤٤/١ .
(٤) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١١٨/٢ .
(٥) بغية الوعاة : ٢٠٢ .
(٦) من الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في مكتبة كلية الآداب من الجامعة المصرية .

يعنى به من زمن حتى أخرجه للناس هذا العام مطبوعاً مع شرح ابن جني جزاه الله خير الجزاء [١] .

ومن البصريين الأُول الذين لهم أثر في علم التصريف الإمام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السري الزجاج (— ٣١١) وله كتاب (الاشتقاق) وكتاب (فعلت وأفعلت) [٢] ؛ والإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (— ٣٢١) وله كتاب (الاشتقاق) وقد ذكر فيه اشتقاق الأسماء العربية وعمائرها وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها [٣] ؛ ومنهم ابن ولاّد أبو الحسن محمد بن الوليد التميمي العالم المصري (— ٢٩٨) [٤] ومن آثاره الصرفية كتاب (المقصور والممدود) وهو خير ما كتب في هذا البحث [٥] .

وجاء بعد هذه الطبقة الإمامان الجليلان أبو الحسن الرمّاني وابن جني . وقد تقدم الكلام عن الرماني وإنما نريد هنا أن نشيد بأثره في علم التصريف بالكتاب المفيد الذي شرح به كتاب تصريف المازني المسمى بالألف واللام [٦] .

وأما ابن جني فهو كما رأيت البحر العباب الذي برع في التصريف براعة عظيمة ، وأنت اذا قرأت كتاب (المنصف) في شرح تصريف المازني أو (سر الصناعة) أو (التصريف الملوكي) وجدت أن الصرفيين بعده لم يزيدوا شيئاً على ما كتب في هذا العلم ، قال أستاذنا ابرهيم مصطفى : « وتعلمون

(١) نشرته وزارة المعارف المصرية بعناية الأستاذ ابرهيم مصطفى والسيد عبد الله امين في مطبعة البابي الحلبي سنة ١٩٥٤ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠ — ٩١ .
(٣) وقد طبع بعناية بعض المستشرقين في غوتنغن سنة ١٨٥٤ .
(٤) انظر أخباره في طبقات الزبيدي مخطوطتنا ص ٢٧ ورقم الترجمة (١٦١) والبغية : ١١٢ .
(٥) طبع في مصر سنة ١٩٠٨ .
(٦) البغية : ٣٤٤ ومفتاح العلوم ١/١٤٢ .

أن ابن جني هو بلا خلاف أفضل من بحث في الصرف . وإذا علمنا أن الصرف بدأ برسالة المازني علمنا أن الصرف هو علم هذين الإمامين ويمكن أن نستشهد على فضل كتاب المازني وشرح ابن جني بما نراه في كتب اللغة قبله كالعين مثلاً من اضطراب ووضع للكلمات في غير مواضعها كما يلاحظ ذلك الزبيدي . .»[1]

قلت : ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغة إلاّ من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعاجم من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه وما نعرف بعد ابن جني عالماً كتب في التصريف وأجاد فيه ـ على أنه لم يأت بشيء جديد غير ما ذكره ابن جني ـ إلاّ الإمامان الكبيران عبد القاهر الجرجاني (— ٤٧٤) واحمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الأمثال (— ٥١٨) ؛ أما الجرجاني فقد ذكر مترجموه أن له كتاباً في التصريف اسمه (العمدة[2]) وأنا وإن لم أر هذا الكتاب ولا أعرف له وجوداً أظن أن الإمام الجرجاني قد استطاع أن يخدم علم التصريف لما عرف عنه من الفكر السليم والبحث الدقيق الذي يتجلى في كتابيه الباقيين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) . أما الميداني فقد بقي لنا من آثاره رسالة لطيفة اسمها (نزهة الطرف في علم الصرف) وهي رسالة جد حسنة تدل على علم واسع وتنظيم حسن لمباحث علم التصريف ولكن ليس فيها جديد غير ما نجده في كتب ابن جني[3] .

وما أعرف بعد هؤلاء عالماً كتب في التصريف إلاّ وهو معتمد على كتب ابن جني : مثل عبد الوهاب الزنجاني ، وعز الدين بن ابرهيم بن عبد الوهاب

(١) من محاضرات الأستاذ ابرهيم مصطفى عام ٩٣٢ ـ ٩٣٣ في كلية الآداب المصرية .
(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/١٤٣ .
(٣) نشرت مطبعة الجوائب هذا الكتاب سنة ١٢٩٩ مع كتابين آخرين هما انموذج الزمخشري ، وإعراب ابن هشام ، انظر بروكلمان ١/٢٨٩ وذيله ١/٥٠٧ .

الزنجاني الذي كان حيًّا في سنة ٦٥٤ [١] فان له كتاباً في الصرف مشهوراً اسمه (العزّي) وهو متأثر كل التأثر بابن جنّي في كتابيه (التصريف الملوكي) و (سر الصناعة) . وقد عظمت شهرة هذا الكتاب وشرحته جماهير كثيرة من العلماء منذ زمن مؤلفه حتى العصر الأخير [٢] ؛ ومثل موفق الدين بن يعيش علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الحلبي (— ٦٤٣) وقد أفاد كثيراً من كتب ابن جني وبخاصة في (شرح المفصّل) فقد ملأه نقولاً عنه [٣] ؛ ومثل ابن الحاجب ابي عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر المصري (— ٦٤٦) صاحب (الشافية) في الصرف [٤] وآراؤها على جلالة قدرها صورة مصغرة عن آراء سر الصناعة وهي ممتازة بحسن التبويب والتصنيف . وقد اهتم الناس بها كثيراً فشرحوها ونظموها وترجموها الى التركيـة والفارسية والأوردية ومن أعظم شروحها شهرة شرح احمد بن الحسين فخر الدين الجاربردي (— ٦٤٦) وعليه حواشٍ كثيرة ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي [٥] ؛ وشرح جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري (— ٧٦٢) ؛ وشرح رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (— ٦٨٤) وهو شرح عظيم الفائدة جداً مملوء بالبحوث المفيدة وقد طبع عدة مرات في الهند وبلاد العجم ومصر [٦] . وهناك شروح كثيرة أخرى وحواشٍ وتعليقات ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون [٧] .

(١) انظر كشف الظنون ٢/ ١١٥ .
(٢) انظر تلك الشروح والحواشي في الكشف ٢/ ١١٥ .
(٣) انظر مفتاح السعادة ١/ ١٥٨ .
(٤) انظر الكشاف عن مخطوطات الأوقاف تأليفنا ص ١٩٢ .
(٥) انظر بروكلمان : G. A. L. ١/ ٣٠٣ وذيله ١/ ٥٣٦ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٢ .
(٦) انظر اخبار الاستراباذي في بغية الوعاة : ٢٤٨ وبروكلمان G. A. L. ١/ ٣٠٥ وكشف الظنون الطبعة الجديدة ٢/ ١٠٢١ .
(٧) كشف الظنون ٢/ ٤٤ .

ومثل العلامة ابن مالك محمد بن عبد الله ، جمال الدين الطائي ، النحوي الدمشقي (— ٦٧٢) وقد كتب في التصريف كتباً خاصة ، و كتباً ممزوجة بالنحو فمن الكتب الخاصة (ايجاز التعريف بعلم التصريف) وقد شرحه ابن اياز النحوي (— ٦٨١) [١] ، و (لامية الأفعال في التصريف) وقد شرحها ولده الإمام النحوي بدر الدين (— ٦٨٦) [٢] ومن كتبه الممزوجة (الألفية النحوية) المشهورة ؛ وتمتاز كتب الإمام ابن مالك بحسن عرضه للقواعد واختصارها واختيار الجيد المستقيم منها .

وهناك علماء آخرون بحثوا في التصريف بحثاً ذا قيمة منهم :

الرضي الاسترابادي ، والفخر الجاربردي في شرحها للشافية ؛ وعلي بن مسعود صاحب المتن المشهور (بمراح الأرواح) [٣] وهو من الكتب المشهورة التي أضحت لها شهرة كبيرة في العصر العثماني لاهتمام علماء الترك بها اهتماماً كبيراً .

ومنهم الإمامان الجليلان سعد الدين التفتازاني شارح (كتاب العزّى) ، والجلال السيوطي صاحب (الأشباه والنظائر) و (جمع الجوامع) و (الاقتراح) و (المزهر) وفي هذه الكتب النحوية والصرفية كلها نقول مستفيضة عن كتب ابن جني .

ولو رحنا نستقصي نقول السيوطي عن ابن جني لعسر علينا ذلك فانه ربما نقل عشرين صحيفة دفعة واحدة [٤] .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٤١/٣ .

(٢) بروكلمان G. A. L. ١/٣٠٠ والذيل ٥٢٦/١ .

(٣) بغية الوعاة : ١٥١ وكشف الظنون ٤١٥/٢ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ١٩٣ .

(٤) نضرب لك مثالاً بكتابين من كتبه أحدهما المزهر وثانيهما الأشباه والنظائر ففي الجزء ١ من المزهر انظر الصحائف من طبعة بولاق : ٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٩ .
وفي الجزء الثاني منه : ١٥ ، ٢٠ ، ٣١ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ .
وفي الأشباه والنظائر ج ١٠ طبعة الهند : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ الخ .
وفي الجزء الثاني : ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٧٣
وفي الجزء الثالث : ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٠ .
وفي الجزء الرابع : ١٠٩ ، ٢٨١ ... الخ ..

أما بعد فقد رأينا تأثير ابن جني في النحاة والصرفيين وإفادتهم من كتبه ، ولا عجب فهو الذي تعمق في هذا العلم فوقف الناسُ بعده عند الحد الذي حدّه .

وهو أول من ابتدع بحث (الاشتقاق الأكبر) في علم الصرف ودلّل عليه وذكر طرفاً من الأمثلة عليه في كتاب الخصائص [١] . وقد ذكر السيوطي ذلك فقال : إنه « مما ابتدعه الامام أبو الفتح بن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة » [٢] .

وقف الصرفيون عند ما كتبه ابن جني ووضحه الرضي الاستراباذي توضيحاً ذا قيمة ثم جاء بعد هذين قوم من الصرفيين بذلوا جهدهم في كتابة الأمثلة والتمرين على القواعد الصرفية ليس غير .

ومن الكتب التي ألفها المتأخرون في هذا الفن (كتاب المقصود) وقد نسبه بعضهم الى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان [٣] ، وقد قال العلامة طاش كبري في (مفتاح السعادة) : « ومما اشتهر بديارنا مختصر مسمى بالمقصود لم نقف على اسم مصنفه إلا أنه مبارك مشهور بأيدي الناس وعليه شروح مفيدة عند أبناء الزمان» . وقال الأرزنجاني في شرح أصول البزدوي إن الامام أبا حنيفة صنف ... (المقصود في الصرف) وقيل ليس له بل هو لبعض المعتزلة [٤] . وقال الحاج خليفة : اختلف في مؤلفه فقيل الإمام الأعظم وقيل لغيره وجزم به محمد بن پير علي المعروف ببركلي (— ٩٨١) وعليه شروح كثيرة وله تراجم الى التركية والفارسية ذكرها الحاج خليفة [٥] .

---

(١) انظر ج ١/ ٤ ، ١٢ ، ٥٢٥ الطبعة الأولى والمزهر ١/ ١١١ .
(٢) المزهر ١/ ١٦٤ .
(٣) انظر مفتاح السعادة ١/ ١١٩ وكشف الظنون ٢/ ٥٠٨ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٣ .
(٤) مفتاح السعادة ١/ ١١٩ .
(٥) كشف الظنون ٢ : ٥٠٨ .

ومن كتب المتأخرين (كتاب البنـاء) المنسوب لعبد الله الدنقزي [١] ، و (كتاب الهارونية) لنجم الدين عمر بن المروي [٢] ، و كتاب (الأمثلة) الذي لا يعرف مؤلفه ، و (بداية المبتدي) للشيخ يحيى بن رجب بن علي وقد ألفها سنة ١٠٥٠ [٣] ، و كتاب (تصريف الافعال) الذي لا يعرف مؤلفه [٤] ، و كتاب (كفاية المبتدي) لمحمد بن بير علي البركوي (البركلي) [٥] و كتاب (العلم الخفاق في علم الاشتقاق) لمحمد صديق حسن خان [٦] ، و (شذا العرف) لأحمد الحملاوي [٧] ، و (عنوان الظرف) لمرون بن عبد الرزاق [٨] وغيرهم من المتأخرين .

و كتب المتأخرين هذه تنتظم بحوثاً موجزة في التصريف مأخوذة عن ابن جني مثل التصريف الملوكي ، أو عن كتب ابن مالك وابن هشام وليس فيها شيء من الابتكار أو تطوير هذا العلم وتهذيبه ، كما نبين ذلك فيما بعد :

ملاحظاتنا على كتب التصريف : تفنن الصرفيون القدماء في هذا العلم وجاءوا فيه بأبحاث طريفة ونكات علمية مفيده تدل على ذوق سليم وملكة رفيعة ضبطت أحكام اللغة ونظمت معاجمها وأنقذتها من الفوضى التي كانت قبل أن ينتظم أمر هذا العلم . ولكن شيئاً واحداً كان ينقص هؤلاء التصريفيين ليجيء ما كتبوه كاملاً أو قريباً من الكمال وذلك بمقارنتهم اللغة العربية مع اللغات

(١) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١ .
(٢) انظر الكشف ٢/٦٤٥ .
(٣) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١ .
(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥٢ .
(٥) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٦٦ .
(٦) نشرته مطبعة الجوائب ١٢٩٦ .
(٧) نشرته مطبعة بولاق ١٣١٢ .
(٨) نشرته مطبعة بولاق ١٨٨٩ .

السامية الأخرى فلو أنهم فعلوا ذلك ـ وقد كان في وسعهم أن يفعلوه ولكن عنجهيتهم أبت عليهم أن يتعلموا لغات ميتة أو كالميتة لا قيمة لها في نظرهم ـ أقول : لو أنهم فعلوا ذلك لأتت بحوثهم كاملة . وقد لاحظ هذا الأمر صديقنا وأستاذنا الأستاذ خير الدين الأسدي فقال : « لا مراء في أن نحاتنا برزوا على أمم الأرض طرًّا في التنقير والتثبيت والاستقراء واستيفاء البحوث وحمل الأحكام على الإحكام ، ولئن كانت مهمة شامبليون وماريت باشا وماسبيرو وأمثالهم في حل طلسم الهيروغليفية عسيرة وعسيرة جداً الأمر الذي جعل كلاً منهم دولة من الذكاء وجبروت هذا الذكاء ، فان مهمة الخليل وسيبويه والكسائي وأمثالهم لا تقل في خطورتها عن مهمة أولئك بل هي أشد خطورة إذا تمثلت معي اضطلاعهم بأعباء لغة ترامت آفاقها وبعد غورها وتشعبت مسالكها والتاثت معالمها ومنيت بأفانين من ضروب الفوضى والاضطراب والامعان في هذه الفوضى وهذا الاضطراب ، بيد أن خطأ نحاتنا كان عظيماً في تنكبهم عن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى فلقد كانوا يتصورون أن اللغة العربية هبطت من خالق مقدرة بمقادير خاصة بها لا تشرك غيرها في شيء كما لا يشركها غيرها في شيء ... »[1] .

ولقد سمعنا من أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى شيئاً يشبه ذلك في محاضرة له ألقاها عن تاريخ النحو العربي فقال : لو أن ابن جني ، على جلالة قدره ، كان يعرف اللغات السامية ويقارن بينها وبين العربية لما وقع فيما وقع فيه من تخاريج غريبة كقوله في اشتقاق (توراة) إنها فوعلة من وري الزند وأن أصلها وورية وأن الواو الأولى أبدلت تاء وأنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة مثل توجل لأنها من الولوج ... » .

هذا ضرب من ضروب الخطأ التي وقع فيها ابن جني . وهناك أمر ثانٍ تعاب عليه كتب ابن جني وسائر الصرفيين من متقدمين ومتأخرين ، وهو فساد التبويب وسوء

(١) رسالة « ليس » للأسدي ص ٧ .

التركيب والذي نراه أن تكون كتب الصرف مؤلفة من فصول ستة على النمط الآتي:

الفصل الأول : في المصطلحات الصرفية وما ينبغي أن يطلع عليه الطالب قبل الولوج في البحث .

الفصل الثاني في أبنية الأفعال وما يعتورها من أحكام الإعلال والإبدال والقلب .

الفصل الثالث : في الأسماء وأبنيتها وما يعتورها من أحكام .

الفصل الرابع : في التغييرات التي تطرأ على الكلمات أثناء إعلالها وإبدالها .

الفصل الخامس : في المقارنات بين اللغة العربية واللغات السامية .

الفصل السادس : في التمرينات .

وإننا لنؤمل خيراً كثيراً من الحركة التي ظهرت مؤخراً في الجامعات السورية والمصرية والعراقية[1] والتي تسعى لإحياء النحو والصرف العربيين إحياءً صحيحاً يعتمد على مقارنة اللغة العربية باللغات السامية . هذه النهضة التي كان يضطلع بأعبائها زعيمان من زعماء علماء اللغة العربية ، أولهما عراقي وهو العلامة المغفور له الدكتور عز الدين آل ياسين أستاذ النحو واللغات السامية في كلية الآداب العراقية ، الذي توفاه الله قبل سنة فلم يتمكن من أداء رسالته ، وثانيهما مصري وهو الأستاذ الجليل ابرهيم مصطفى صاحب « إحياء النحو » وعضو المجمع اللغوي المصري وإن كتابه هذا لخطوة مباركة ورشيدة للسير بالعربية وبحوثها سيراً جديداً ، وإننا نرجو أن يصدر الأستاذ ابرهيم مصطفى في القريب كتابه الثاني الخاص بإعراب الفعل ثم يعقب على كتابيه هذين بكتاب ثالث يبحث فيه عن التصريف وينقذنا من فوضى المتأخرين الذين عقدوا هذا العلم وأفسدوه .

(١) عمدت الجامعتان المصريتان في القاهرة والاسكندرية والجامعة السورية في دمشق والجامعة العراقية في بغداد الى اسناد تدريس مواد اللغة العربية من نحو وصرف وفقه لغة الى أساتذة يعرفون اللغات السامية ليكون قدمهم أرسخ في التنقيب عن أسرار هذه اللغة العربية المجيدة .

ولا ينبغي لنا ههنا أن نهمل جهوداً عظيمة يبذلها أستاذ فاضل من أساتذة العلم في حلب ألا وهو العالم الأستاذ خير الدين الأسدي صاحب (كتاب ليس) و (كتاب الهمزة) وغيرهما من الكتب الجليلة التي سلك فيها مسلك المدققين من العلماء المستشرقين الباحثين في أصول اللغات السامية ومفرداتها وإننا نرجو أن يوفق ـ أعانه الله ـ في نشر مؤلفاته القيمة التي تكشف عن العبقرية الشامية وجهودها العظيمة في خدمة العربية وعلومها وبخاصة علمي التصريف وفقه اللغة .

وبعد : فإن فضل ابن جني على تكوين علم الصرف بل على إيجاد علم فقه اللغة العربية فضل عظيم ، ولئن كان الناس يشهدون دوماً لسيبويه بالمكانة السامية والسبق في هذا الميدان ، فان ابن جني بدقته وبراعته ، ووضوحه وكشفه عن أسرار اللغة ، هو فارس هذا الميدان الأول . ثم إن القارئ اليوم لا يكاد يقرأ صحيفة أو اثنتين من (كتاب سيبويه) حتى يمل ويضجر بأسلوبه المعقد ، بينما يلتهم كتب ابن جني التهاماً .

وقل مثل ذلك في المقارنة بين عالمنا ابن جني ، وبين الخليل بن احمد الفراهيدي فيما أثر عنه فان أسلوبه معقد ، لا يكاد يفهمه المرء إلا إذا كدّ ذهنه ، وتعمق في تفكيره ، ولا كذلك كتب ابن جني . وليس في هذا مطعن على سيبويه أو الخليل ، رضوان الله عليهما ورحماته ، وإنما هو إحقاق للحق ، فان عمل ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي رحمهما الله كان عملاً جليلاً ، ولا غرو فان القرن الرابع بثقافاته الواسعة ودراساته اللغوية المتعددة قد مكن الرجلين من أن يأتيا بهذا الذي نراه .

ولم يكن ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي يقتصران على مذهب أهل البصرة ، أو أهل الكوفة ، أو أهل بغداد ، كما أسلفنا ، وإنما كانا يجمعان كل ذلك ويتنخلانه ويضيفان اليه ما تهديه اليهما قريحتهما الصافية ، ويدفع اليه نظرهما الثاقب .

(يتبع) الدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

كتاب التربيع والتدوير للجاحظ

عُني بنشره وتحقيقه : شارل بلات
أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس

يواظب المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق على نشر طائفة من كتبنا القديمة ، وآخر كتاب أخرجه لنا كتاب التربيع والتدوير للجاحظ .

وضع محقق هذا الكتاب مقدمة باللغة الفرنسية وذكر المصادر التي رجع اليها ويسيراً من تراجم الأعلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب ونقل مفردات الكتاب الى اللغة الفرنسية .

أول مستشرق عُني بدراسة كتاب التربيع والتدوير إنما هو المستشرق الهولندي « فلوتن » ، ثم ظهرت نسخ مخطوطة مختلفة ظفر بها الأستاذ « بلات » ، ويُستنتج من المقدمة أن كتاب التربيع والتدوير لا يخلو من بعض زيادات ليست للجاحظ اقتصر الناشر على الإشارة اليها دون حذفها .

عرّف « بلات » كتاب التربيع والتدوير فهو عبارة عن مسائل عويصة طرحها الجاحظ على أحمد بن عبد الوهاب ثم أجاب عنها الجاحظ نفسه بسخريته المعروفة ، والأستاذ « بلات » يشبّه الجاحظ في تصويره لأحمد بن عبد الوهاب بالكاتب الفرنسي المشهور : « لابروير » .

وقد انتقل بعد هذا التعريف الى ذكر تأريخ تأليف الكتاب والى الكلام على أحمد بن عبد الوهاب والى الأسباب التي من أجلها ألّف الجاحظ كتاب

التربيع والتدوير والى تلخيص مكانة هذا الكتاب فالأستاذ « پلات » يرى أن صلة الكتاب بتأريخ الفكر العربي أشدّ من صلته بتأريخ الأدب .

نُقلت مفردات كتاب التربيع والتدوير الى اللغة الفرنسية ، ولقد مررت على هذه الترجمة عَرَضاً فوقعت عيني على ترجمة : مبغضة ، جاءت هذه اللفظة في المتن على هذا الشكل : والمزح جِهام والجدّ مبغضة والمزح محبّة ، فقال الأستاذ الناشر في ترجمة مبغضة : mépris وقال : هي ضد محبّة ، لست من أهل اللغة الفرنسية حتى أجادل رجلاً من رجالها ولكن الذي أعرفه أن كلمة mépris تدل على الاحتقار والازدراء والاستخفاف أكثر من دلالتها على البغض .

على أن هذه الخطرة خطرت على البال عرضاً على نحو ما قلت ، فالمهم أن أبادر الى إشارات تتصل بالجاحظ لا بأس باثباتها في هذا المقام ، فقد ذكر الأستاذ « پلات » أن الجاحظ وقف أمام معتقدات كثيرة لا يقول بها القرآن موقف الشك لأن هذه المعتقدات يعارضها العقل وهذا الشك الذي أدخله الجاحظ على أدب العرب لو أُدخل على أمةٍ أقل تمسكاً بتقاليدها لأمكن أن يكون عاملاً من أعظم عوامل تفتيح العقول وتخميرها .

والحقيقة التي استنبطتها من دراستي لكتب الجاحظ أنه لم يدخل الشك على الأدب وحدَه وإنما أدخله على أمور الفكر والعقل ، فالجاحظ لجأ في الاهتداء الى الحقيقة الى الحواس ثم تبيَّن له أن الحواس تخطئ فعمد الى الشك ، ولكن شكه كان سبيلاً الى اليقين ومثله في ذلك مثل « باكون » و « ديكارت » ، فطريقة « باكون » كانت مبنية على الحواس وطريقة « ديكارت » كانت مبنية على العقل ، ولم يكتف الجاحظ بطريقة العقل وحدها فقد جرّب بنفسه على نحو ما يفعله علماء الحيوان والنبات وتجاربه مستفيضة في كتاب الحيوان .

لقد جاء الوقت الذي يجب علينا فيه أن ندخل الجاحظ في جملة العلماء كما أدخلناه في جملة الأدباء ، فبعض المستشرقين لا يزالون يرون في الجاحظ اماماً من أئمة الأدب وهم يكادون لا يعترفون له بأثر في العلم .

لقد أنصفه الأستاذ « بلات » كل الانصاف لمّا قال إن هذا الرجل لم يعرفه الناس حق المعرفة فانه يمثّل الفكر البشري في فترة من الفترات على الرغم من اتهامه من بعض الوجوه باقتباسه عن اليونان وبقلة ابتكاراته .

ماذا يريدون بقلة ابتكارات الجاحظ ؟ أفلا يكفي صاحب هذا العقل العظيم أن يجرّب ما جرّب وأن يهتدي في نتائج تجاربه الى أمور كثيرة تتصل بالحيوان أو بالنبات أو بالانسان دون أن يجمد على ما اقتبسه عن اليونان أو عن غيرهم من الأمم . إلاّ ان العصر الذي عاش فيه الجاحظ يختلف عن العصر الذي نعيش فيه فلا يمكننا أن نطالبه بابتكارات تشبه ابتكارات علماء هذه الأيام وحسبه انه سبق « باكون » و « ديكارت » الى طريقتيهما ولكنه لم يتوسع في هاتين الطريقتين توسّع هذين الفيلسوفين الكبيرين ، إلا أن فضله بالنسبة إلى عصره ليس بقليل .

وإنّا لنشكر الأستاذ « بلات » الشكر كله من أجل اعترافه بأن الجاحظ يمثل الفكر البشري في زمن من الأزمان فقد أعطاه حقّه وجعله في المنزلة التي يجب أن يكون فيها وهي منزلة رجال الفكر البشري ، لا الفكر العربي وحده .

شفيق جبري

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف السيد الأجل الشريف الرضي

اهتم بنشره عن النسخة الخطية الوحيدة في مكتبته السيد محمد المشكاة

قدّم لهذا الكتاب الأستاذ حسين علي محفوظ مدرس العربية بالعراق ، مقدمةً جاء فيها : التعريف بالمخطوط ـ صحة انتسابه الى الشريف الرضي ـ تلخيص البيان ـ قيمته الأدبية ـ سيرة مصححه السيد محمد المشكاة وآثاره .

وفي المقدمة الثانية للأستاذ الناشر (المشكاة) أنه ظفر بكتاب عتيق كتب في القرن الخامس للهجرة ، يبحث عن آيات القرآن الكريم بعنوان (الاستعارة) ووصفه بقوله : « وجدته تفسيراً يشتمل على التعليل في اختلاف القراءات ، وكتاب أدب ، يبحث عن وجوه التشبيهات والاستعارات ، (الى أن قال) : وقد صدّر البحث عن كل آية بلفظ (استعارة) وليس يراد معناه المصطلح المقابل للكناية والتشبيه ، وإلاّ لم يصدق على كثير من مباحث الكتاب ، فالمراد بالمجاز ههنا المعنى الأعم من المجاز العقلي واللغوي والتشبيه ، والمراد بالاستعارة المعنى الأعم من أقسام الاستعارة والكناية والمجاز العقلي والتشبيه بأقسامها ، كيف لا وقد استعملت هذه الكلمات في معانيها الاصطلاحية بعد ما وضع علم المعاني والبيان ، وألفت المطوّلات في الأصول الفقهية . وكتابنا هذا ـ وهو أول كتاب صنف في بابه ـ أعني مجازات القرآن الكريم ، متقدم على ذاك بعشرات من السنين » قلت : ويؤيد هذا ما ذكره ابن القيم في بعض كتبه من أن المجاز لم يُردْ به في عرف السلف ما يقابل الحقيقة ، بل المراد به ما يجوز لغةً ومعنى في تفسير الآية ، وهذا ملخّص ما قال :

« وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها الى حقيقة ومجاز ، ولا قال أحد من العرب قطّ هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ، ولا وجد في كلامهم

من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك ؛ ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأصمعي وأمثالهم ، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابع التابعين ، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة » .

قال السيد المشكاة : واعلم أن التي بين يديك إنما هي نسخة عتيقة مهذبة قريبة العهد من مصنفها بحيث تكاد تدرك زمانه ، ولذلك سلمت من تصرفات الناسخين . ثم علل طبع هذه المخطوطة بقوله وانما أردنا بذلك تكثير هذه النسخة المخطوطة النفيسة خوفاً من تلفها وتتميماً لنفعها ، ورغبة في خدمة العلم وأهله .

وقد بلغت هذه المخطوطة (٢٤٠) صفحة بالقطع المتوسط ، وذكر في أعلى الصفحات أسماء السور المفسرة ، وعلى جوانبها أرقام الآيات ، وخطها واضح وكلماتها منقوطة ، وفي آخرها عدة فهارس : فهرس السور والآيات ، وآخر لأعلام الأشخاص والأماكن والفرق والكتب ، وثالث للأمثال والتراكيب المذكورة في الكتاب ، ورابع للألفاظ التي شرحها الشريف مرتبة . وختمها بعرض تحليلي للمطالب التي يبحث عنها في الكتاب . وبفهرس أبيات الشعر التي استشهد بها في الكتاب مرتبة على ترتيب قوافيها ، ثم فهرس الأخبار والأحاديث الواردة في الكتاب على قلتها .

ولا نرى البحث في هنات جاءت في مقدمة الناشر السيد المشكاة كقوله : بذلنا الجهد على طبعها ، وكجعل الشعر نثراً في قوله :

ففي كل لفظ منه روض من المنى وفي كل سطر منه عقد من الدرّ

وكقوله : وقد عقّب اسم أبيه أبي أحمد أيضاً (أي أبي المؤلف) بقوله : «رضي الله عنه» (قال) : وهذا أيضاً دعاء (على الميّت) أي دعاء للميت ، وحسبنا هذا وكفى .

محمد بهجة البيطار

René Dussaud - La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam - Paris 1955

توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام

تأليف الأستاذ رينه دوسو يقع في (٢٣٤) صفحة من القطع الكبير تتخللها صور عديدة ، طبع في باريز عام ١٩٥٥

إن أستاذي المؤلف عضو المجمع العلمي الافرنسي وزميلنا في مجمعنا العلمي العربي هو أشهر من أن يعرَّف ، عرفته بلادنا منذ أكثر من نصف قرن بحاثة جوالاً في معمورها وبواديها ، كرس شطراً كبيراً من حياته العلمية في دراسة وتدريس آثار بلاد الشام وتاريخها ، وتملأ تآليفه وأبحاثه في هذا الموضوع مجلدات عديدة . وهو اليوم عميد الدراسات الأثرية لشرقنا وشيخ الآثاريين عنها . حصر جل همه في كل ما له علاقة في تاريخنا القديم . فهو أول من تتبع موضوع ظهور العرب في بلاد الشام قبل الفتح الاسلامي . وكان بحثه الذي نشره في عام ١٩٠٧ فتحاً جديداً في بابه عالج الموضوع بروح علمية عميقة جعلت مؤلفه الى يومنا هذا مرجعاً من أهم المصادر للباحثين . ولم يكن كتابه في نظره إذ ذاك إلا تمهيداً لبحث أوسع . وها هو يطلع علينا بعد نصف قرن من بحث وتنقيب بكتابه القيم داعماً آراءه بالاكتشافات والوثائق الحديثة التي ظهرت خلال النصف الأول من هذا القرن ، التي ألقت أضواء جديدة على كثير من غوامض التاريخ .

ويرى المؤلف أن العراق وسورية ولبنان وفلسطين والشرق العربي هي امتداد حيوي لجزيرة العرب وسكانها ، وقد يبدو هذا الرأي للبعض مبالغاً فيه لما بين جزيرة العرب وهذه البلاد من بعد شاسع وعقبات تفصل بينها وتحول دون سهولة

الاتصال . ولكن من عرف طبيعة العرب الرحل واستهانتهم بالمسافات الطويلة والصعوبات والمشقات في سبيل طلب الكلأ والماء والكسب الحلال والحرام يسلم برأي المؤلف ويقنع بحجته .

كان العرب في كل رحلة نحو الشمال يتخلف منهم عن العودة الى بلادهم بعض أفرادهم كما هو حالهم اليوم ، فشكلوا مع الزمن نواة جالية عربية كان لها شأنها ولعبت في التاريخ دورها ، وقد احتفظ هؤلاء المتخلفون بعقائدهم وتقاليدهم ولغتهم ، وقد اقتبس عنهم أهل البلاد البعض منها ، ونجد أثر ذلك ظاهراً عند الأنباط وفي حوران والصفا وتدمر وحمص وغيرها من بقاع الشام ، وقد احتفظوا أيضاً بقوميتهم رغم اندماجهم بأهل البلاد التي استوطنوها ، وكان لهم مواقف شريفة في الدفاع عن هذه البلاد ، وكانوا أشد العناصر غيرة على سلامة موطنهم الجديد ، فقد وقفوا في وجه غزوة الاسكندر وصمدوا لها في جبال لبنان وقطاع فلسطين ودافعوا كمن يدافع عن وطنه وعياله .

وقد القم هذا الكتاب حجراً من يقول ان العربية دخيلة على الشام والعراق فرضتها قوة الاحتلال الاسلامي ، مع أن الغزوة الاسلامية هي برأيي نتيجة محتمة لانتشار العرب في البلدان قبل الفتح الاسلامي بقرون عديدة ، فقد مهدوا السبيل لغزوة التحرير لشرذمة قليلة من الفاتحين وساعدوا على هزيمة هرقل و كسرى .

ويجدر بمعاهدنا العلمية العالية ومن يهمهم تاريخ بلادنا العناية بهذا الكتاب ونقله الى العربية خدمة لتاريخنا وقوميتنا .

فالى أستاذي الكبير منا أبلغ الشكر وأطيب الثناء مد الله بحياته ذخراً للعلم .

جعفر الحسني

كتاب الورقة

لأبي عبد الله محمد بن داود الجراح

تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ذخائر العرب — مصر ١٩٥٣ ، ١٥٩ صفحة

حرص العرب في جاهليتهم على رواية الشعر وحفظه ، واتخذ خلفاء بني أمية خطة عظيمة في تأديب أولادهم بالشعر وروايته ، وعمل علماء اللغة في العصر العباسي على جمع الشعر وتدوينه وطلبه خدمة للغة والنحو وما يتصل بهما . فكانت المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب ، وحماسة أبي تمام والبحتري وابن الشجري ، وكانت كتب الأدب كديوان المعاني والبيان والتبيين والكامل ، والعقد والامالي .

وشرع العلماء بعد هذا في تأليف كتب عن الشعراء والشعر ، كابن قتيبة وابن سلام وابن المعتز ، جمعوا فيها سيرة الشاعر وترجمته وطرفاً من أخباره وأشعاره . وتبعهم في خطتهم مؤلفو العصور العباسية حتى عصر الانحطاط .

وهذه الكتب في تراجم الشعراء نفيسة ثمينة تغني البحث وتضيف إلى معرفتنا بأدبائنا القدماء ثروة عظيمة . وقد فقدت أكثر هذه الكتب وضاعت ، وبقي منها عدد قليل عُني الناشرون بإظهاره ، وكتاب الورقة في صدر هذه الآثار .

ألفه صاحبه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وجعل لكل شاعر ورقة يترجم فيها سيرته وأخباره ويذكر عليها طرفاً من أشعاره . وهذه الورقة تختلف طولاً وقصراً ، إسهاباً واقتضاباً ، فقد جاءت بعض التراجم في صفحات وجاء بعضها في سطور كما في هذه الطبعة . وهذه التراجم تضيء جوانب كثيرة من حياة أدبائنا ، وتترجم لكثيرين ممن ضاع أثرهم في المطبوع من كتبنا ، ويبلغ عددها في الكتاب ثلاثاً وستين

ترجمة ، فيها شعراء مغمورون وآخرون قالوا الشعر ولم يعدوا في الشعراء ، وفيها من الأعلام المشهورين .

ويبدو أن ابن الجراح كان عارفاً بأيام العرب وأخبارهم ودول الملوك ، واقفاً على التاريخ ، ذواقة في الأدب ، لما يورد من أبيات مختارة وأشعار سائرة جميلة ؛ ولذلك كان كتابه « الورقة » ثميناً جداً في مصادرنا القديمة ، وكان نشره حدثاً في كتب التراجم يُشكر له المحققان الفاضلان أيّما شكر .

وقد كتب الدكتور عبد الوهاب عزام مقدمة قصيرة في حياة ابن الجراح ، كشف فيها عن وزارته لابن المعتز ، وهربه واختفائه حين قتل هذا الخليفة ، ثم ظهوره بعد ذلك ، وحبسه وموته سنة ٢٩٦ هـ ، ورسم الفاجعة في مقتله . وحياته كانت سلسلة من المآسي ، ألمع إليها المحقق إلماعاً يسيراً ، ولم يسهب في البحث عن الكتاب ، وإنما رسم مخطوطته القديمة وعرّف بقدرها وفضلها وذكر الأيدي التي تعاورت على ملكيتها ، ثم بيّن أنها فقدت كثيراً من التراجم مما وقع في كتب الأدب منسوباً الى كتاب الورقة ، ولم يرد في هذه الطبعة .

وهنا نود أن نرسل عتباً رقيقاً في صدد هذه المقدمة ، فهي عجلى كما يعترف الأستاذ المحقق ، وكم كنا نتمنى أن يطيل النظر في الكتاب وأن يذكر لنا أين تقع تراجمه من الدقة والاحاطة والشمول بين كتب التراجم ، وهي مبسوطة بين يديه يستطيع أن يوازن بينها وبينه ليطلق حكمه فيها ، ويدلي برأيه في قيمة الكتاب . بل كنا نرجو أن يذكر لنا أين تشترك هذه التراجم وأين تنفرد ، ولكن الرجل يعلن في تواضع جمّ أنه أسلم تحقيق الكتاب للأستاذ فراج ، وأنه ترك له التعليق والإشارة والشرح .

ولا بد من التنويه بفضل الرجلين في نشر الكتاب لما قاما به من خدمة الناطقين بالضاد ، على ما في عملهما من قصور ، في ضبط كثير من الأعلام ،

والإشارة الى مواقع الصفحات من المصادر التي ترد فيها هذه التراجم ، فطابع السرعة لا يخليها من مسئوليتها في الرجوع الى كتب البلدان والأنساب لرسم الأعلام مثل : (زرزر الرفاء ، الصمري ، الخاركي ، المستهل) كما كان يفعل المحدثون في القديم والمحققون في العصر الحديث .

وأخيراً ، لا يقنعنا قول الدكتور عزام في مقدمته : « ان في الكتاب جملاً قليلة لم يزايلها الغموض والشك ، وعسى أن يجلوها البحث » ، فهناك شيء غير قليل يحتاج إلى إطالة النظر والبحث والتعليق والتصحيح ، لجلاء هذا الكتاب الثمين والعودة إليه ، وليس ذلك على همة المحققين بعزيز .

الدكتور سامي الدهان

كتاب الريف السوري

للأستاذ أحمد وصفي زكريا

كم وددت لو استطعت أن أحشر في هذه العجالة كل ما دونته أمامي مما جال في نفسي من آراء وفكر ، وأنا أقرأ كتاب الريف السوري الذي أصدره أخيراً الأستاذ الفاضل أحمد وصفي زكريا ، واني ما كنت لأوفق لما أردت لأن ذلك يحتاج لمجال قد تضيق به ذرعاً الصفحات التي اعتادت مجلة المجمع أن ترصدها لنقد الكتب الجديدة وتقريظها . ولعل من أهم ما يوحيه هذا الكتاب لقارئه الناقد ويرسم في نفسه من صور بارزة هو هذه المرحلة من التطور الاجتماعي التي بدأت ترتسم في أفق الشرق العربي فتظهر هذا الانصراف الواضح عن عالم الخيال الى حياة الواقع التي أخذ يحياها أبناء الأمة العربية في مختلف أقطارهم وأمصارهم والعزوف عن الوهم والتخيل الى هذه الحقيقة الراهنة التي تستمد أصلها من تعريف المواطنين بأوطانهم التي يعيشون فيها وبلدانهم التي يستمدون معاشهم وقوتهم منها

والذين هم أجدر الناس بمعرفتها والاطلاع على خصائصها ، لأنه ليس لأحد من الناس أن يدعي المعرفة والعلم إذا كان يجهل الوطن الذي يعيش فيه ، ولعل من أهم أخطاء الأدباء والكتاب والعلماء المعاصرين في الشرق العربي هو انصرافهم حتى الآن عن تأليف مثل هذه الكتب التي تعالج الواقع وتدرس الأرض ، أرض الوطن وما عليها والمدن وما فيها والأرياف وما احتوته من خيرات مما هو أول ما يجب أن يعرفه كل مواطن يزعم انه على شيء من الثقافة والعلم ، وليس في الناس أسخف من أولئك المواطنين الذين يحدثونك عن خصائص التربة وعوامل الاقليم في بقعة قاصية من بقاع الدنيا ويجهلون كل خاصة من خصائص الأرض التي أنبتتهم أو البلد الذي يعيشون فيه كما عاش آباؤهم وأجدادهم من قبل . وإني لا أبالغ اذا قلت ان الأستاذ زكريا قد وفق التوفيق كله في هذا الفتح الجديد وفي تأليفه كتابه هذا الذي نحن أحوج ما نكون اليه وإخراجه للناس على هذا الشكل الواضح وبهذا الأسلوب البارع في الوصف والتعريف وإني لمقدر كل التقدير الجهد العظيم الذي بذله المؤلف كما يقدر ذلك كل قارئ منصف وهو يعلم ما هي عليه المكتبة الشامية ، إذا صح هذا التعريف ، من فقر مدقع ، إذ ليس بين مؤلفيها من سبق الأستاذ زكريا لوضع أمثال هذه الكتب إلا نفر من الأقدمين قد لا يصح الاعتماد إلا على القليل مما دونوه بشكل خاطف وعلى غرار ما يكتبه الرواد والسائحون . ولعل ندرة الكتب الجديدة التي يمكن الرجوع اليها والاستعانة بها هو الذي ألجأ المؤلف لأن يجمع في بعض الفصول من كتابه بين الماضي والحاضر ويمزج في وصف وتعريف كثير من المواقع بين ما كانت عليه الأوضاع وبين ما صارت اليه ، ولقد وددت لو اقتصر المؤلف في بعض الفصول على وصف الحالة الراهنة دون أن يرجع الى ما وصفه الأقدمون مما دعى لبعض الغموض أو التشويش ، سيما وهو يعتمد في أكثر

ما يصفه ويدونه على خبرته الخاصة بعد أن جاس خلال الديار في أكثر المناطق واختبر شؤونها بنفسه ودرس الأشياء في مواقعها ، على أنه مع هذا قد وقف الى حد بعيد في كثير من الفصول وعلى الأخص في كثير من المناطق الأثرية حينما أتى على لمحة من تاريخها القديم وما فيها من معالم وآثار يرجع عهدها الى أزمان غابرة بعيدة . هذا ولعل أهم ما دونته أماي أيضاً وأنا أطالع هذا السفر القيم عن الريف السوري الذي اقتصر فيه مؤلفه على محافظة دمشق ، هو ما تمنيته من صميم فؤادي لو أن الدولة وما فيها من مصالح أخذت بيد الأستاذ المؤلف وساعدته مساعدة فعالة في عمله لإصدار الأجزاء التالية من مؤلفه عن الريف السوري في بقية المحافظات ، لأني أعتقد جازماً أنها لو فعلت ذلك لسدت نقصاً عظيماً صارخاً فيما نحتاج اليه من مؤلفات ، وحققت بذلك أمراً لا تستغني عنه البلاد السورية في نهضتها الجديدة .

الدكتور كاظم الدباغستاني

كتاب

(١) تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي
(٢) تحذير العباد من أهل العناد

تأليف العلامة برهان الدين البقاعي ٨٠٩ — ٨٨٥

تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل

كان التصوف في أول نشأته بين المسلمين زهداً في الدنيا وعرضها الأدنى ، وإيثاراً للآخرة عليها ، وجهاداً في سبيل الله ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس . وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان . ولم يكن اسم (التصوف) معروفاً لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسماه نسكاً وزهداً ، وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ،

صار آراء فلسفية تَنَقَّل فيها أهلها إلى القول بالحلول والاتحاد (بل بالوحدة المطلقة) ثم انقلب إلى شعوذة وشعبذة ، وتغرير بالبسطاء ، وتزلف للحكام ، وأكل لأموال الناس بالباطل .

هذا بعض ما وصفت به من قبلُ التصوف في جملته . وأما هذان الكتابان المطبوعان معاً ـ وكلاهما للمفسّر البقاعي الدمشقي ـ ففي أولهما نصوص كثيرة من فصوص الحكم لابن عربي (الشيخ الأكبر) وفي ثانيهما أبيات منوعة من تائية ابن الفارض (سلطان العاشقين) المسماة بنظم السلوك ، وهي تقرب من ثمانمائة بيت ، وفي هذا وذاك الكفر الصريح الذي لا يحتمل الجدل ولا التأويل ، وبنى البقاعي حكمه هذا على النقول الكثيرة من نثر الأول ونظم الثاني ؛ وأما التأصيل والتفصيل ، أو التحليل والتعليل . ففي تعليقات المحقق الأستاذ (الوكيل) ، فقد ردّ فيها الفرع إلى الأصل ، والجزء إلى الكل ، وجاء ما كتبه بمقدار الأصل أو يزيد ، والكتاب الأول يقع في مائتي صفحة بتحقيقاته ، والثاني في نحو سبعين .

وصف الأستاذ الوكيل في مقدمته للأول ما وعاه في حداثة سنه من ترانيم شيوخ قريته التي كانت تهرف بما لا تعرف من صلوات ابن مشيش ومنها : اللهم انشلني من أوحال التوحيد ، ومن منظومة الدردير (وجد لي بجمع الجمع منك تفضلا) ثم كان يسمع ذكر الله في طنطا « بخنّات الأنوف ، ورجّات الأرداف ، ووثنية الدفوف » ومنشد القوم ينشد راقصاً (ولي صنم في الدير أعبد ذاته) ويسمعه يصيح : (وما الكلب والخنزير إلا إلههم !! ...) فإذا سأل عن معنى هذه الجهالات والضلالات قيل له : « انت لسّه صُغَيِّر » ثم صار يدرس في كلية أصول الدين ، وفي شعبة التوحيد والفلسفة ، فلا يزداد إلا حيرة وشكا ، إلى أن هداه الله تعالى فقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأوى إلى جماعة

أنصار السنة المحمدية ، فسار على هدى من ربه ، ومضى في طريق الحق غير هيّاب ولا وَكِل .

وقد عني الأستاذ الوكيل بهذا الكتاب ، فترجم لمعظم من ذكروا فيه ، ولكل فرقة أو نحلة ورد ذكرها ، وخرّج أحاديثه ، وجلّى غوامضه بتفسير مصطلحات القوم من كتبهم ، ونقضها بما خالفت فيه العقل والنقل (كتاباً وسنة) ، ووضع عناوين لمباحث الكتابين لإيضاح المراد منها ، ورقّم ما ورد فيها من الآيات الكريمة وسورها ، وذكر النسخة التي طبع عنها ، وما لقي من عناء في معارضتها بأصولها .

من أمعن النظر في كلا الكتابين : (فصوص الحكم وتائية نظم السلوك) لا يرى الفرق بينهما إلا بكونه نثراً وكونها نظماً ، واليك كلمتين منهما ، تدلان على سائرهما .

« فإذا شاهد الرجل الحق في امرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل . لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل ومنفعل » وقد قال في الفصّ النوحي في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام « وقد أضلوا كثيراً » أي حيروهم في تعداد الآلهة « ولا تزد الظالمين » المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة ، « إلا ضلالا » إلا حيرة . فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب » [1] فهو يفسر الظالمين عبدة الأوثان بالمصطفين الذين أورثوا الكتاب ، « ومكروا مكراً كبّارا » لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو الخ ... قال القاشاني « معناه أن الدعوة إلى الله دعوة منه

(١) ص ٢١٨

إليه ، لأن الله عين الداعي والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شيء »[١] فقالوا في مكرهم : « لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولا تذرن وَدّاً ولا سُواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا » فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله »[٢] .

وهذه أبيات من تائية ابن الفارض ، وهي تضرب على نفس الوتر ، وكأنها نظم لما نثر من فصوص الحكم :

وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت ... كما جاء في الأخبار من ألفِ حجة[٣]

فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم ... سواي وإن لم يعقدوا عقد نيةِ

رأوا ضوء نوري مرة فتوهمو (م) ، ناراً ، فضلُّوا في الهدى بالأشعة

وإن خرَّ للأحجار في البُدّ عاكف ... فلا وجه للإنكار بالعصبية[٤]

ومن ذلك قول ابن الفارض أيضاً :

إليّ رسولاً كنتُ مني مرسلاً ... وذاتي بآياتي عليّ استدلّت

قال القاشاني في شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتدا تكون مرسِلاً ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسَلاً إليها (١ هـ ص ٧٣) .

هذه شواهد قصيرة من فصوص الحكم ومن تائية نظم السلوك ، قلت : ويجمع بينها ما نسب إلى الحلاج في معناهما وهو قوله :

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فكل ما هو كفر وشرك وإفك فهو في حقيقته عندهم إيمان صحيح ، وتوحيد خالص ، وكل إنكار على أعداء الرسل (عليهم السلام) من عبادة الأوثان ، فهو في حقيقته عندهم إقرار لهم على ما عبدوه ، وكل طعن فيهم ، فمردّه إلى مدحهم

(١) ص ٤٩ منه (٢) ص ٥١ (٣) من ألف سنة (٤) بيت الأصنام

والثناء عليهم . وأما ما في التائية من ذلك ، فقال فيها مخاطباً الله تعالى ـ كما أجمع عليه شراحها ـ بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها »[١] .

هذه مرائيهم وأخيلتهم في وحدة الوجود ، ومحو الفرق بين الشاهد والمشهود ، فلا مغايرة بينهما ولا اثنينية ، وهؤلاء (الوجودية) يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فالإله عندهم كالكلي الطبيعي ، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، كالإنسان الذي لا وجود له إلا في ضمن أفراده ، فهم يجعلون الله تعالى أمراً اعتبارياً لا وجود له إلا في الموجودات ، وليس له وجود مستقل عنهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

وقد عدّ أبو حيان في تفسيره لسورة المائدة طائفة من هؤلاء الغلاة القائلين بوحدة الوجود . وتجد أسماءهم في هذا الكتاب (ص ١٥٦) كما ترى في موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض ، قال البقاعي : وقد كفرهما العلماء بسبب ما نقل من حالها ، وما صدّق ذلك من كلامها ، أما ابن عربي فالمتكلمون فيه كثير جداً ، وقال عن ابن الفارض : رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً ، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا ، وعدّ كثيراً من أجلائهم (ص : ٢١٤ — ٢١٧) وقد قال إمام القراء شمس الدين الجزري الدمشقي ، نزيل بلاد الروم ثم العجم : « ومما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر ، من كتب المذكور وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يُؤول ، فإنه غلط من قائله ، إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن في الأرض كافر »[٢] .

(١) ص : ٢١٨ وكتب هذا تحت عنوان : رب ابن الفارض أنثى ! ؟
(٢) ص : ٢١٤ — ٢١٧

وكذا العلامة المؤرخ ابن خلدون ، فإنه بعد أن عدّ فريقاً منهم ومن كتبهم ، أفتى بإحراقها فقال : « فالحكم في هذه الكتب وأمثالها ، إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فتعين على وليّ الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق . اهـ .

الرأي في سلف الصوفيّة

نقل المفسر البقاعي عن الشفاء للقاضي عياض عن سلف الصوفية أنهم بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة كالحسن البصري ، وأبي عثمان الحيري ، وسهيل بن عبد الله التستري ، والجنيد (سيد الطائفة) والقشيري والسهروردي ، والجيلاني ، ولكن الأستاذ (الوكيل) المدقق ، هو باحث مستقل مستدل ، قوي العارضة ، شديد المعارضة ، وقد عارض في تعليقاته أقوالهم في نصرة الشريعة بكلمات تؤخذ عليهم . وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك ، ويقبل منه ويردّ ، ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى . وقد طبع هذا الكتاب على نسخة الشيخ الجليل محمد نصيف ، المهداة إليه من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله وجزى المحسنين خيراً .

وقد لحظنا أثناء تصفح الكتاب أغلاطاً غير ما نشر فمنها : ص ١٣٣ س ٢٤ : إن حكمة الله تجسدت في عيسى ، لعلها : (كلمة الله) ، وص ١٣٤ س ١٢ : الاجتهاد والصحيح : (الصحيح) ، ص ١٧٦ س ٢١ : ولد سنة ٨٠٥ ... توفي سنة ٨٠٥ والصواب : (ولد سنة ٧٢٤) ، ص ١٩٣ س ١١ : كاظمحلال (كاضمحلال) ، ص ٢٠٢ س ١٢ : إذا لم ينتبه (إذا لم ينته) ، ص ٢٠٣

س ٦ : لهيئته (لهيبته) ، ص ٢٠٤ س ٣ : امرأته (إمرته) ، ص ٢١٥ س ٢ : ابن قيم : (ابن قيّم الجوزية) ، ص ٢١٦ س ١٩ : النذر (النزر) ، ص ٢٤٤ س ١ : نقص من الآية الكريمة : « وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا » ، ص ٢٤٨ س ١٠ : التنابذ (التنابز) ، ص ٢٦٢ س ٤ : بأن هناك طريقان (طريقين) .

محمد بهجة البيطار

الشبك

من فرق الغلاة في العراق

تأليف الأستاذ أحمد حامد الصراف

عدد صفحاته (٣١٤) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد عام (١٩٥٤)

الشبك جماعة من الأعاجم تقطن أكثر من عشرين قرية في الجانب الشرقي من الموصل ويبلغ عددها نحواً من اثني عشر الف نسمة يتكلمون لغة هي خليط من العربية والتركية والكردية والفارسية . وهم من بقايا الفرق المغالية في الإسلام تطورت مع الزمن عقائدهم وتسلط الجهلة ببدعهم على عقولهم فأبعدوهم عن الروح الإسلامية . وقد حاول المؤلف أن يكشف عن حقيقتهم ، فعقد مع بعض خواصهم صداقات أدرك بها رغم تكتمهم شيئاً من غايته . شاع عن الشبك أنهم لا يعرفون من أركان الدين الإسلامي شيئاً ، يهملون الفرائض الدينية ولا يصلون الخمس ، ولا يصومون شهر رمضان ، ولا يحجون بيت الله الحرام ، ولا يؤتون الزكاة ، يبيحون شرب الخمرة ، ويقيمون المناحات في العشر الأول من شهر المحرم حزناً على مقتل الحسين ، وحسبهم حب علي وآل علي

فهو عندهم حسنة تمحو كل سيئة . وقد ظهر للمؤلف بعد أن خبرهم عن كثب أنهم ـ رغم إنكارهم الفرائض الدينية ـ ليسوا من الغلاة كالنصيرية والبكطاشية وان شعورهم وإيمانهم بواجب الوجود هو عين شعور المسلم وإيمانه بواجب الوجود ، وأما رسول الله محمد فهو عندهم النبي المبجل المعترف به وان كانوا يغالون في حب علي غلواً عظيماً وينعتونه بأوصاف ونعوت لا يقرها الإسلام .

اختلفت الروايات في عنصر الشبك وأصلهم ونحلتهم ولم يجزم المؤلف بواحدة منها ويرى أن حقيقة أصلهم لم تزل مجهولة كما أن تسرب هذه العقيدة اليهم شيء غامض ومبهم .

وضع المتقدمون أبحاثاً عديدة عن الفرق الإسلامية ،ومن أشهرهم النوبختي وأبو منصور البغدادي وأبو المظفر الاسفرايني وابن حزم والشهرستاني والفخر الرازي وغيرهم وجميعهم أغفلوا ذكر الشبك وعقيدتهم مما يحملنا على أن نستنتج من ذلك أن عقيدتهم محدثة ومنحدرة من البكطاشية القزلباشية لما بين العقيدتين من أوجه الشبه .

وبعد أن وصف الأستاذ المؤلف عباداتهم في الصلاة والصوم والزكاة والحج الى النجف وكربلاء ، وعدد مواسم أعيادهم والطقوس التي يمارسونها فيها ، اختار قطعاً شعرية شعبية يتلونها في احتفالاتهم الدينية وعربها بأمانة ، يجد فيها القارئ أدباً عامياً عاطفياً يشتمل على نصائح ومدائح للأئمة الاثني عشرية ونحيباً على الشهيد الحسين وغلواً في الإمام علي بن أبي طالب .

وهذا الكتاب هو حلقة ممتعة من السلسلة التي عقدها المتقدمون عن الفرق الإسلامية تحوي فوائد جليلة وأبحاثاً جديدة استحق عليها الشكر والثناء الجزيل .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ 〃 عارف النكدي
١٠ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١١ الاستاذ عز الدين التنوخي
١٢ 〃 فارس الخوري
١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٥ 〃 مرشد خاطر
١٦ الأمير مصطفى الشهابي
١٧ الدكتور منير العجلاني

الأعضاء المراسلون

١ الشيخ عبد الحميد الكيالي سورية
٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي 〃
٣ الاستاذ عمر ابوريشة 〃
٤ الشيخ محمد زين العابدين 〃
٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام 〃
٦ الأستاذ محمد سليمان الأحمد 〃
٧ الشيخ سعيد العرفي 〃
٨ الدكتور قسطنطين زريق 〃
٩ الاستاذ أنيس المقدسي لبنان
١٠ 〃 بشارة الخوري 〃
١١ الشيخ سليمان ظاهر 〃
١٢ الدكتور صبحي المحمصاني لبنان
١٣ 〃 عمر فروخ 〃
١٤ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف 〃
١٥ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
١٦ الفيكونت فليب دي طرازي 〃
١٧ الأستاذ مارون عبود 〃
١٨ الدكتور نقولا فياض 〃
١٩ الأب اس. مرمرجي الدومنكي فلسطين
٢٠ الأستاذ عادل زعيتر 〃
٢١ 〃 قدري حافظ طوقان 〃
٢٢ 〃 محمد الشريقي الأردن

٢٣ الاستاذ احمد حامد الصراف العراق
٢٤ الدكتور داود الجلبي »
٢٥ الاستاذ ساطع الحصري »
٢٦ » طه الهاشمي »
٢٧ » عباس العزاوي »
٢٨ الشيخ كاظم الدجيلي »
٢٩ الاستاذ كوركيس عواد »
٣٠ الشيخ محمد بهجة الاثري »
٣١ » محمد رضا الشبيبي »
٣٢ الدكتور مصطفى جواد »
٣٣ الاستاذ احمد حسن الزيات مصر
٣٤ الدكتور احمد زكي »
٣٥ الاستاذ احمد لطفي السيد »
٣٦ » خليل ثابت »
٣٧ الدكتور طه حسين »
٣٨ الاستاذ عباس محمود العقاد »
٣٩ » عبد الحميد العبادي »
٤٠ الدكتور عبد الوهاب عزام »
٤١ الشيخ محمد الخضر حسين »
٤٢ الأمير يوسف كمال »
٤٣ الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٤٤ » خير الدين الزركلي »
٤٥ » حسن حسني عبد الوهاب تونس
٤٦ » محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٤٧ » عبد الحي الكتاني مراكش
٤٨ » محمد الحجوي »
٤٩ الاستاذ احمد انش تركية
٥٠ » عباس إقبال ايران
٥١ » عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهند
٥٢ » يوسف البنوري باكستان
٥٣ الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسة
٥٤ الاستاذ دوسو (رينه) »
٥٥ » كولان (جورج) »
٥٦ » لاوست (هنري) »
٥٧ » مارسيه (وليم) »
٥٨ » ماسه (هنري) »
٥٩ » ماسينيون (لويس) »
٦٠ » أربري (أ. ج.) انكلترة
٦١ » جيب (ه. ا. ر.) »
٦٢ » غليوم (الفرد) »
٦٣ » بروكلمن (كارل) المانية
٦٤ » ريتر (ه.) »
٦٥ » هارتمان (ريشارد) »
٦٦ » فيليب حتي الولايات المتحدة
٦٧ » سارطون (جورج) »
٦٨ » برتل (ايفيكين) الاتحاد السوفياتي
٦٩ » غومز (اميليو غارسيا) اسبانية
٧٠ الدكتور اشتولز (كارل) النمسة
٧١ الاستاذ موجبك (هانز) »
٧٢ » ماهلر (ادوارد) المجر
٧٣ » جبرايلي (فرنسيسكو) ايطالية
٧٤ الدكتور شخت (يوسف) هولاندة
٧٥ الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك
٧٦ » كرسيكو (يوحنا هنن) فنلاندة

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية	
٢	〃 سليم البخاري	〃	
٣	〃 مسعود الكواكبي	〃	
٤	الاستاذ الياس قدسي	〃	
٥	〃 أنيس سلوم	〃	
٦	〃 جميل العظم	〃	
٧	〃 سليم عنحوري	〃	
٨	〃 عبد الله رعد	〃	
٩	〃 رشيد بقدونس	〃	
١٠	〃 اديب التقي	〃	
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃	
١٢	الاستاذ معروف الأرناؤط	〃	
١٣	السيد محسن الأمين	〃	
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	〃	
١٥	〃 محمد البزم	〃	
١٦	〃 سليم الجندي	〃	
١٧	الأب جرجس شلحت	〃	
١٨	〃 جرجس منش	〃	
١٩	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃	
٢٠	الشيخ كامل الغزي	〃	
٢١	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃	
٢٢	الشيخ بدر الدين النعساني	〃	
٢٣	〃 راغب الطباخ	〃	
٢٤	〃 عبد الحميد الجابري	〃	
٢٥	الدكتور صالح قنباز	〃	
٢٦	الشيخ سليمان الأحمد	〃	
٢٧	الاستاذ ادوار مرقص	〃	
٢٨	〃 حسن بيهم	لبنان	
٢٩	الأب لويس شيخو	لبنان	
٣٠	الشيخ عبد الله البستاني	〃	
٣١	الاستاذ جبر ضومط	〃	
٣٢	〃 عبد الباسط فتح الله	〃	
٣٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃	
٣٤	〃 مصطفى الغلاييني	〃	
٣٥	الاستاذ عمر الفاخوري	〃	
٣٦	〃 بولس الخولي	〃	
٣٧	〃 امين الريحاني	〃	
٣٨	الامير شكيب ارسلان	〃	
٣٩	الشيخ ابراهيم منذر	〃	
٤٠	الاستاذ جرجي يني	〃	
٤١	الشيخ احمد رضا	〃	
٤٢	〃 سعيد الكرمي	فلسطين	
٤٣	الاستاذ نخلة زريق	〃	
٤٤	الشيخ خليل الخالدي	〃	
٤٥	الاستاذ عبد الله مخلص	〃	
٤٦	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃	
٤٧	〃 محمود شكري الآلوسي	العراق	
٤٨	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃	
٤٩	〃 معروف الرصافي	〃	
٥٠	〃 طه الراوي	〃	
٥١	الاب انستاس ماري الكرملي	〃	
٥٢	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر	
٥٣	〃 رفيق العظم	〃	
٥٤	〃 احمد كمال	〃	
٥٥	〃 احمد تيمور	〃	

٥٦	الاستاذ احمد زكي	مصر	
٥٧	الدكتور يعقوب صروف	»	
٥٨	السيد محمد رشيد رضا	»	
٥٩	الاستاذ حافظ ابراهيم	»	
٦٠	» احمد شوقي	»	
٦١	الشيخ احمد الاسكندري	»	
٦٢	الاستاذ اسعد خليل داغر	»	
٦٣	» داود بركات	»	
٦٤	الدكتور امين المعلوف	»	
٦٥	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	»	
٦٦	الشيخ عبد العزيز البشري	»	
٦٧	الدكتور احمد عيسى	»	
٦٨	الأمير عمر طوسون	»	
٦٩	الشيخ مصطفى عبد الرازق	»	
٧٠	الاستاذ انطون الجميل	»	
٧١	» خليل مطران	»	
٧٢	» ابراهيم عبد القادر المازني	»	
٧٣	» محمد لطفي جمعة	»	
٧٤	الدكتور احمد امين	»	
٧٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر	
٧٦	الاستاذ زكي مغامز	تركية	
٧٧	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران	
٧٨	الحكيم محمد أجمل خان	الهند	
٧٩	الاستاذ فران (جبريل)	فرنسة	
٨٠	» كليمان هوار	»	
٨١	» بوفا (لوسيان)	»	
٨٢	» مالنجو	»	
٨٣	» كي (أ .)	»	
٨٤	» رينه باسه	»	
٨٥	الاستاذ ميشو بلير	فرنسة	
٨٦	» مرجليوث (د.س)	انكلترة	
٨٧	» بفن	»	
٨٨	» براون (ادوارد)	»	
٨٩	» كرينكو (فريتز)	»	
٩٠	» هومل	المانية	
٩١	» ساخاو (ادوارد)	»	
٩٢	» هوروفيتز (يوسف)	»	
٩٣	» هارتمان (مارتين)	»	
٩٤	» ميتفوخ (اوجين)	»	
٩٥	» اغناطيوس غولد صيهر	المجر	
٩٦	» ماكدونالد (د.ب)	الولايات المتحدة	
٩٧	» هرزفلد (ارنست)	»	
٩٨	» كراتشكوفسكي (أ)	الاتحاد السوفياتي	
٩٩	» آسين بلاسيوس (ميكل)	اسبانية	
١٠٠	» لوبس (دافيد)	البرتغال	
١٠١	» جويدي (اغنازيو)	ايطالية	
١٠٢	» نالينو (كارلو)	»	
١٠٣	» غريفيني (اوجينيو)	»	
١٠٤	» مونته (ادوارد)	سويسرة	
١٠٥	» هس (ج . ج)	»	
١٠٦	» كوفالسكي (ت)	بولونية	
١٠٧	» موزل (الوا)	تشكوسلوفاكية	
١٠٨	» هورغرنيه (سنوك)	هولاندة	
١٠٩	» اراندوك (ك)	»	
١١٠	» هوتسما (م . ت)	»	
١١١	» بوهل (ف . م . ت)	الدانيمارك	
١١٢	الاستاذ استروب (ج)	»	
١١٣	» سترستين (ك . ف)	السويد	
١١٤	» سعيد ابو جمرة	البرازيل	

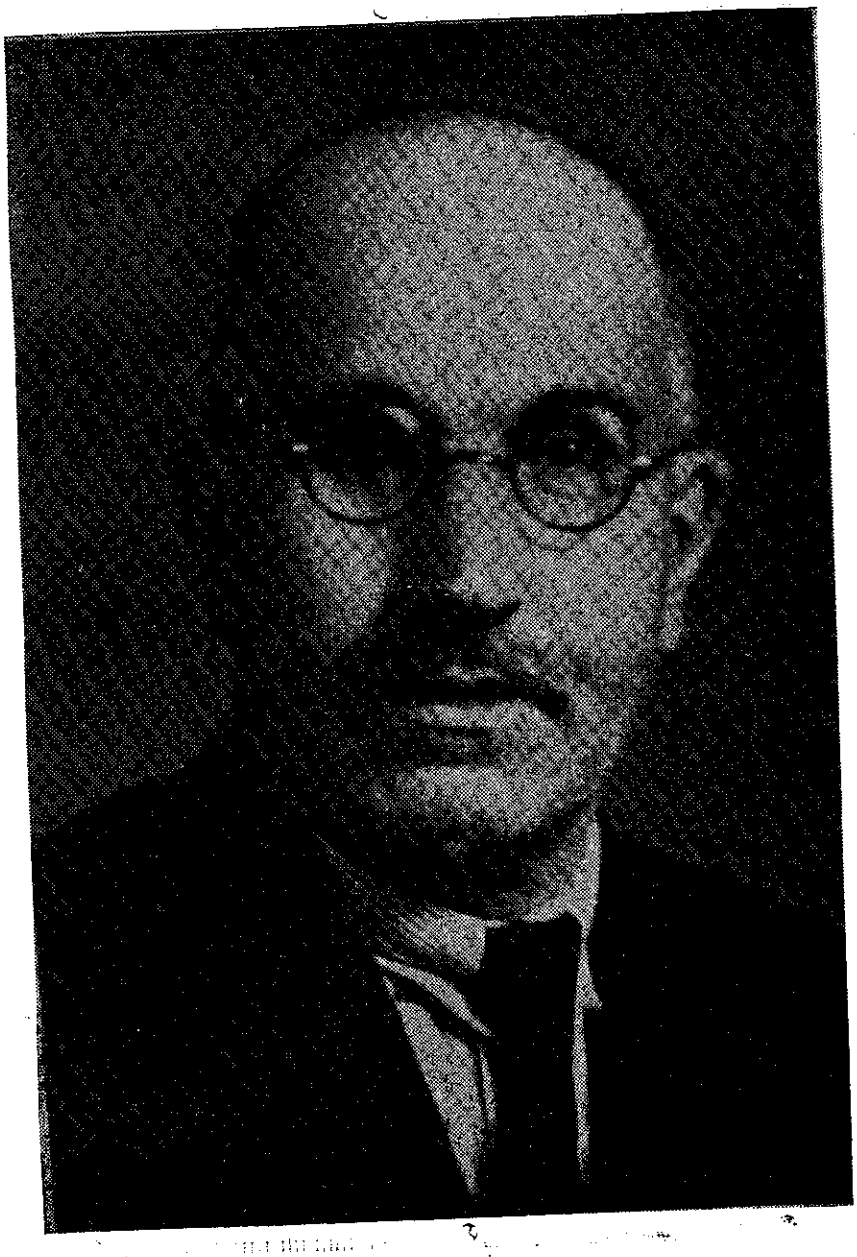

وفاة الأستاذ سليم الجندي

١٨٨٠ - ١٩٥٥ م

وفاة الأستاذ سليم الجندي

في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ (٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٥٥ م) استأثر الله بالأستاذ محمد سليم الجندي عضو مجمعنا العلمي العربي ، فكان لنعيه رنة أسى في قلوب إخوانه من أعضاء المجمع وأصدقائه وفي مجامع العلم والأدب في الشام والأقطار العربية فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولد الفقيد في معرة النعمان سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) من أسرة عريقة في العلم والفضل يتصل نسبها بالعباس بن عبد المطلب ، وشدا في المعرة شيئاً من النحو والفقه ، ثم انتقل به والده السيد تقي الدين إلى دمشق وتوطنها وهو في أول العقد الثالث من عمره ، فقرأ على علمائها وأدبائها وشارك في أكثر علوم عصره وتبحر في العربية وعلومها وآدابها وتاريخها وتمكن من الفقه والتوحيد والحديث والعلوم الرياضية والطبيعية ...

فلما قام الحكم الفيصلي في دمشق عين الأستاذ الجندي منشئاً في ديوان الحاكم العام وأخذ إلى جانب ذلك بالتدريس في مدرسة الكتّاب والمنشئين التي خصصت لموظفي الحكومة ، وكان من غاياتها إصلاح لغة دواوين الحكومة ، فأخذ يقوّم المعوجّ منها ويصحح الفاسد من لغة الجرائد ، وانضم آنئذ الى جمعية (الرابطة الأدبية) . وانتخب في سنة ١٩٢٢ م عضواً في المجمع العلمي العربي فآزر في إنجاح أغراضه ونشر في مجلته كثيراً من الأبحاث القيمة المفيدة . وقد سمي بعد قليل مدرساً للعربية في بعض المدارس الثانوية بدمشق وفي مدرسة الأدب العليا في الجامعة السورية فأفاد طلابه الكثر من علمه وأدبه ونهلوا من فضله وخلقه ، إلى أن أحيل على التقاعد سنة ١٩٤٠ م . ثم عهد إليه بعدئذ بإدارة الكلية الشرعية وظل قائماً بها حتى سنة ١٩٤٨ م .

كان الفقيد لطيف المعاشرة ظريف التهكم حاضر النكتة بارع الحديث قوي الحجة جم التواضع نبيل الخلق ، وكان إلى ذلك نقادة للمجتمع والكتب ، لا يجيب سائله إلا بتثبت ومراجعة فلا يلقي الكلام على عواهنه وهذا شأن العلماء المحققين .

وقد تخرج على الفقيد كثير من أدباء الشام وعلمائها ، وأحيا الكثير من شوارد ألفاظ العربية واستحدث مصطلحات فصيحة تشتد حاجة العصر الحاضر إليها وكُتب لكثير منها الذيوع والانتشار .

أولع الأستاذ الجندي بأبي العلاء المعري وعكف على دراسة آثاره المعروفة كلها ، حتى أصبح حجة في فهم تصانيف المعري وألف في ذلك كتباً لم تنشر بعد . فلما أقام المجمع العلمي العربي مهرجان المعري لمناسبة مرور ألف سنة على مولده قام الفقيد بتحقيق (رسالة الملائكة) لأبي العلاء عن مخطوطة وحيدة في العالم موجودة في (دار الكتب الظاهرية) . و (رسالة الملائكة) هذه رسالة ثمينة لا تقل عن (رسالة الغفران) في الكثير من خصائصها .

نشر الفقيد كثيراً من الكتب التي قام بتأليفها أو تحقيقها ، ككتاب (معاني الشعر) لأبي عثمان الاشناندانى وقد صححه مع بعض إخوانه ، وكرسائله التي ألفها عن النابغة الذبياني وامرئ القيس وعلي بن أبي طالب وابن المقفع وعن الكَرْم وعن الطُّرُق وككتابه (عدة الأديب) ، كما اشترك مع بعض أدباء الشام في تأليف سلاسل من الكتب اختاروها من عيون تراثنا الأدبي ككتب (الطُّرَف) و (المستظهَر) .

على أن كتبه التي لم تزل مخطوطة أكثر من التي نشرت ، ومن أجلّها كتابه في تاريخ المعرة .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة كفاء خدمته للغة قرآنه وحرصه عليها ونشره لها .

شرح لزوم ما لا يلزم [1]

- ٢ -

أعود الى نقد شرح اللزوميات . وعذري في تأخير هذا المقال أني طوّحَتْ بِيَ الأسفار ، فلم اطّلع على مجلة المجمع ، ولم أدر أنّ مقالي الأول بلغها فنشرته إلا بعد شهرين من نشره . ثم استأنفتُ السفر بعد اطلاعي عليه ، فلم أجد للكتابة فراغاً ، فعسى أن يعذرني القارئون .

وبعد فننظر في شرح اللزوميات :

اللزومية الثامنة والثلاثون

البيت الأول :

ليشغَلْك ما أصبحتَ مرتقباً له عن العيب يُبدَى والخليلُ يؤنّب

هكذا شكله الشارح . والصواب والخليلِ بالكسر عطفاً على العيب . يعني ليشغلك ما ترتقبه في هذه الدنيا من البلاء والفناء ، عن إبداء عيب الناس وتأنيب الخليل .

اللزومية الحادية بعد الأربعين

فلا يُمسِ فَخّاراً ، من الفخر ، عائد الى عنصر الفَخّار ، للنفع يُضرَب

لعلّ إناء منه يُصنَع مرّة فيأكل فيه من أراد ويشرب

المعنى بيّن . يريد أبو العلاء : لا يكن فخاراً ، أي كثير الفخر ، من هو عائد الى أن يكون فخّاراً فيضرب للنفع أي تُصاغ منه آنية ينتفع بها . وهذا ما بيّنه في البيت الثاني : لعل إناء الخ .

(١) تتمة لما نشر في الصفحة ٤٩١ من المجلد الثلاثين

ويقول الشارح : « وللنفع يضرب أي هذا حديث يساق ليفيد الناسُ منه عظة وعبرة » .

فانظر كيف حاد عن المعنى وقطع سياق الكلام .

اللزومية السادسة والأربعون

أتوهمني بالمكر أنك نافعي وما أنت إلا في حبالك جاذب

المعنى واضح . يقول الشاعر : أتمكر بي لتوهمني أنك تريد نفعي ، وأنت لا تجر النفع إلا الى نفسك ، تجذب في حبائلك أنت لا في حبال غيرك .

فانظر ما يقول الشارح :

والحبال جمع حَبَل ما يصاد به . . إلى أن يقول : « والجذب المَدّ . أي موسع لي في وسائل الإغواء لتصيب منّي مقتلاً . وقد تكون الحبال جمع حَبْل بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون الجذب هنا بمعنى القطع ويكون المعنى أنه يخيّل له أنه على عهده ووده وهو يكيد له ويمكر به » اهـ .

فانظر كيف بعد عن القريب ، وحاد عن الواضح .

اللزومية الخمسون

لاتسأل الضيف ان أطعمتَه ظُهْراً، بالليل: هل لك في بعض القرى أرب؟

والصواب ظُهُراً بضم الهاء ليستقيم الوزن مع الأبيات الأخرى .

اللزومية الرابعة والخمسون

في البدو خُرّاب أذواد مسوّمة وفي الجوامع والأسواق خُرّاب

فهؤلاء تسمّوا بالعدول أو التـــــجار وامم ألاك القوم أعراب

يقول الشارح :

« والعدول الذين يعدلون ولا يميل بهم الهوى . الواحد عادل » .

وظاهر أن العدول جمع عدل وهم الشهود المعدّلون الذين كان الناس يستشهدون بهم ويسجّلون عندهم فيقبل القضاة شهادتهم . فهذا معنى خاص ، غير معنى العادل على إطلاقه .

اللزومية الخامسة والخمسون

يقول فيها أبو العلاء :

أرى جُنحَ الدجى أوَفى جناحا ومات غرابُه الجَونُ المريبُ
فما للنَّسر ليس يطير فيه وعَقربِه المُضبَّة لا تَدِبُّ

وبيّنٌ أن الشاعر يريد أن يقول ان الظلام بسط جَناحيه على العالم وليس لهذا الليل انجلاء . أعرب عن هذا بقوله : ومات غرابه . يعني أنه لا يتحرك . وقديماً شبّه الشعراء الليل بالغراب . وزاد على هذا سؤاله : كيف لا تزول كواكب هذا الليل كما تزول الكواكب في الليالي . فنسره لا يطير وعقربه لا تدب .

هذا بيّنٌ من لفظ الشاعر ومن مذهب أبي العلاء في التشاؤم وتصوير العالم مظلماً لا يزول ظلامه ولا يتجلّى نهاره .

فانظر ما يقول الشارح : « ويريد بموته (موت غرابه) انهزامه وفناءه أمام جيوش النهار ، أي أن ظلامه مهما اشتدت حلكته فهو الى انقشاع » .

ويقول :

« أراد بطيران النسر ودبيب العقرب حركتيهما في مدارهما : أي انه مع انقشاع الليل لا ترى النجوم . وكذلك الأمور الى تبدّل » اهـ .

ولست بحاجة الى بيان حَيْد الشارح عن المعنى وتعسّفه الطريق . فأدع هذا للقارئ .

اللزومية السادسة والخمسون

أقرّوا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حِلّ مباح رويدكمُ فقد بطَل العِتاب

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها والوطء النكاح ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ » .

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج . وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه . ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

اللزومية المتممة للستين

جرى بفراق جيرتنا غُرابٌ فُعالٌ من مقالتهمْ غَريب

يقصد الشاعر أن الغراب مشتق من الغربة على وزن فُعال . وغريب مقول مقالتهم ، أي « غراب » هو وزن فُعال من قول القائل « غريب » .

فانظر ما يقول الشارح اللغوي :

والفُعال بالضم ما تصاغ عليه مصادر الثلاثي الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادّعوا على الغراب من التصويت والصياح والصراخ كأنهم فيها والغربان سواء .

وقال الشارح المعنوي :

« وما أحسب الناس أخطأوا في شيء خطأهم في تسميته واستقامة لفظه من

الغرابة أو الغربة . فما هو بالغريب ولا المغترب . إنما هي حياتنا أنبأت بموتنا ، ووجودنا تنبأ بفنائنا » .

وأنا أكل الى القارئ أن يستنبط هذا القول أو ذاك من كلام المعري إن استطاع ، أو أن يجمع بين هذين التفسيرين المختلفين المتباعدين البعيدين مما أراد الشاعر .

اللزوميه الثالثة والستون

تنادوا ظاعنين غداة قالوا أصاب الأرض من مطر مُصيب
لعل شوائماً رمقتْ وميضاً تَبيدُ ومالها فيها نصيب
وقد تنجو النفوس بأرض جَدبٍ ويُهلك أهلَه المُغني الخصيب

هذا على طريقة أبي العلاء في التشاؤم وارتقاب الهلاك في كل منجاة ، والنعي في كل بشارة .

يقول : يظعن الناس الى مواقع القطر مستبشرين ، وما يدريهم لعل الذين يشيمون البرق فيفرحوا به يبيدون قبل أن ينتفعوا بالمطر فلا ينالون نصيباً مما ينبته . وان أدركوا المطر وأخصبوا فما يدريهم لعل النفوس تنجو بأرض مجدبة وتهلك بأرض مخصبة .

فانظر ماذا يقول الشارح :

« انما أنتم روّاد غيث ، ومنتجعو مرعى . قد شمتم البرق فرجّيتموه ، وأممتم المطر فتتبعتم مواقعه . وربما أعياكم السحاب فلم تدركوه . وربما أخطأكم الظن فكان برقكم خُلّباً وسحابكم جهاماً » اهـ .

ويرى القارئ أن أبا العلاء لم يذكر عدم إدراك السحاب ولا البرق الخلب والسحاب الجهام بل قال لعل شائم البرق يبيد ولا ينال نصيباً منه . إن هذا

الكلام وذاك من مذهب أبي العلاء ولكن ينبغي أن تفسر الألفاظ بمعانيها ، ولا يعدل عنها الى معان أخرى ليست لها وان كانت قريبة منها .

اللزومية الرابعة والستون

شهدت فلم أشاهد غير نُكْر وغيّبني المَنى فمتى أغيب

هكذا ضبط الشارح «غيّبني المَنى» وشكل الميم بالضم والفتح وقال : والمَنى بالفتح القدر وبالضم والكسر جمع مُنية ومِنية بالكسر أيضاً .

فعلى الأولى فالمعنى أن القدر قد قضى عليه بأن يوجد في هذا الوجود ذي النكر وجعل الوجود فيه تغييباً لأنه حبس للأرواح .

وعلى الثاني فالمعنى أن الأماني غشّت به على الأفئدة والألباب وضربت عليها الحجاب » اهـ .

وأقول : الأمر أيسر والمعنى أقرب من هذا الشطط ، وقد أوقعنا التحريف في هذا التعسف . وصواب الجملة وغيّبتيَ المُنى فمتى أغيب . يعني أنه يشهد النكر في هذه الحياة ، ومُناه أن يغيب عنها فمتى تتاح له الغيبة أي الموت .

والتحريف في هذا البيت وأبيات أخرى يدعونا الى أن نسأل الشارح : علام اعتمد في ضبط الكتاب ؟ وعلى أي الأصول عوّل ؟ فهو لم يذكر شيئاً عن النسخ التي اعتمد عليها . وكثير من الغلط في الشكل حملتُه على المطبعة . ولا أدري لعل الشارح تبع فيها نسخاً مغلّطة والمطبعة بريئة .

اللزومية الرابعة والسبعون

أقررتُ بالجهل وادعى فَهْمي قومي فأمري وأمرهم عَجَب

هكذا ضبط « فَهْمي » بسكون الهاء والعروض التي بنيت عليها الأبيات تقتضي التحريك « فَهَمي » وهي لفظة مستعملة بل هي أخف وأفصح من فَهْم بالتسكين .

اللزومية الخامسة والسبعون

ما الثريا عنقود كرم مُلاحيْ ولا الليـلُ يانع غربيب
ونأى عن مُدامةٍ شفقُ التغريب فليتّق المليـكُ اللبيبُ

هكذا شكل المليكُ بضم الكاف والصواب فتحها أي فليتق اللبيبُ المليك وهو الله تعالى ·

وفي شرح هذه اللزومية مثال مما يأخذه القارئ على الشارح كثيراً من اتباع الأقوال الغريبة ، والمصادر التي لا يعول عليها في موضوعه ·

فهو يقول في تفسير الكَرْم ان أصله الكَرَم وهو مصدر وصف به العنب لما ذُلّل من قطوفه وكثر من خيره الخ ·

ويزيد الشارح : قال أبو بكر ويسمى الكَرْم كَرْماً لأن الخمرة المتخذة منه تحث على السخاء والكرم ·

وهذا اشتقاق بعيد وتأويل غريب ·

وأمثال هذا التأويل والتخريج غير المقبول يلقى القارئ كثيراً في صفحات الكتاب ·

ويقول الشارح في تفسير بيت في هذه اللزومية ذكر فيه جالينوس :

قال المسعودي : كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة ·

أقول ليس المعول في تاريخ جالينوس على المسعودي وأمثاله بعد أن اتضح تاريخ اليونان وعرفه المتأخرون تفصيلاً وأوسعوه بحثاً ونقداً ·

وفي هذه اللزوميـة :

سُبِّبَ الرزق للأنام فما يَقـــطَع بالعَـجز ذلك التسبيب

كذلك شكل الشارح بقطع وقال في الشرح :

« هو يَقطَع بهذا الأمر أي قد انتهى الى صوابه فهو يجزم به » .

أي لا يصح أن يكون هذا التسبيب مما يجعلنا نستكنّ ونرضى بالحياة عجزاً وخنوعاً » .

والصواب في اللفظ والمعنى والأشبه بمذهب الشاعر :

فما يُقطَع بالعجز ذلك التسبيب .

أي سُبّب الرزق للأنام فنال رزقه القويّ والضعيف ، والقادر والعاجز فما ينقطع سبب الرزق بالعجز .

ويمنع المعنى الذي ذهب اليه الشارح أمران : الأول انه لا يجوز أن يقال سُبّب الرزق فلا يجوز العجز فان العجز ليس اختياراً . والثاني أن ما بعد الفاء لا يجوز أن يبنى على ما قبلها ان كان المعنى كما ذهب اليه . لا يقال الرزق مسبب فلا تجوز الاستكانة والرضا بالحياة عجزاً وخنوعاً ، بل يقتضي ترتيب الكلام أن يقال الرزق مسبب فلا ينبغي الجد والكدح .

***

هذا بعض ما أخذه على شرح لزوم ما لا يلزم النظرُ العابر والنقد الموجز غير المستقصى وعسى أن تبرأ الأجزاء الآتية من مثل هذه المآخذ .

(جُدّة) عبد الوهاب عزام

ملاحظات على
ديوان النابغة الشيباني

المطبوع بعناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

- ٢ -

كنا نشرنا في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين (ص ٦٨٤) الشطر الأول من ملاحظات المستشرق المرحوم الأستاذ سالم الكرنكوي على ديوان نابغة بني شيبان ٠ وهذا هو شطرها الثاني :

صفحة سطر

٣٣ ، ٤ : مبتّلة بكسر التاء ٠
٣٤ ، ٢ : الأصل ان تَخطَت يَصيد ٠
٩ : الأصل أبار ٠٠٠٠ بارت براءين ٠
١٠ : في هامش الأصل خ ويروى وتَحُلُّ ٠
١١ : في هامش الأصل ويُبْدي أي بدل يمضي ٠
١٣ : الأصل منتجب بكسر الجيم ٠
٣٥ ، ٢ : الأصل إلاّ تُقىً ٠
١٠ : الأصل مطّلِع بكسر اللام ٠
١٢ : الأصل يفيض بالفاء ٠
٣٦ ، ٤ : الأصل يخالقه ٠
٣٧ ، ٣ : الأصل دقيق الحصر بالدال ٠
٤ : الأصل يُعينُني ٠
٨ : الأصل فقرور كذا وهو غلط ٠
١٠ : الأصل تغمّط بالغين ٠

صفحة سطر

٣٧ ، ١٢ : الأَصل أبو كرب .

٣٨ ، ٧ : الأَصل والمُحبَّة بضم الميم وكذا في الشرح .

١٥ : الأَصل بني عمرو بن همام .

١٦ : الأَصل مشوش قرأت أنا هند بن همام أو قيس بن همام .

٣٩ ، ١ : الأَصل مذّ عافيةٍ .

٣ : الأَصل به عُتِقَ آلُ سامة ، وحديث بني سامة بن لؤي مع مصقلة بن هبيرة مشهور .

١٢ : من بني أبي ربيعة .

١٣ : الأَصل الذي أتى ـ قبيصة وهانئ بن مسعود .

٤٠ ، ١ : ابو ثبيت الخ في الأَصل أبو مستهرس سعيد بن همام .

٤١ ، ١ : زاد الأَصل في آخر الشطر ويروى بحُرْمته .

٧ : في هامش الأَصل خ ينفعك .

٤٣ ، ١٣ : في الأَصل لقروضنا بالقاف .

٤٤ ، ١ : الأَصل امتحاء .

٣ : زاد في الأَصل ك بعد من كوّة : أو جبش .

٦ : الأَصل ورجّات .

٧ : الأَصل عَوْد .

٤٦ ، ٨ : الأَصل فناجيتُ .

٤٨ ، ٢ : الأَصل لمُفْرِغ بكسر الراء .

٤٩ ، ١ : الأَصل أوْوم .

٨ : الأَصل ويروى يَجُوبُ على ذوائبها .

٥٠ ، ٥ : الصواب مَعَدّ بفتح الميم .

صفحة سطر

٥١ ، ٢ : الأصل قَحْمٌ بالقاف .

٣ : هامش الأصل خ تلفا ـ أي تُلفَى .

٥٨ ، ١ : الأصل في رَقاق بفتح الراء .

٩ : الأصل تَنْدَى .

١٠ : الأصل تُبْدِي .

١٢ : ليس في الأصل لفظ قوي .

٥٩ ، ١١ : هذا الشرح ليس في الأصل .

٦٠ ، ٤ : الأصل غيهم بالمعجمة .

٦١ ، ٤ : في هامش الأصل الأرجوان ـ شرحاً للباغز .

٨ : الأصل صُنِعَت .

٦٣ ، ٢ : الأصل ذلّ بالذال وكتب تحته : ودَقّ .

١١ : الأصل فُحاق بكسر الميم وضمها معاً .

١٣ : الأصل قحاً بالقاف .

٦٤ ، ١٠ : الأصل يركب بكسر الباء .

٦٥ ، ٦ : في هامش الأصل عداب ماء .

٨ : الأصل تُفلّيج .

٦٦ ، ٢ : الأصل ذات تاى ـ والصواب ذات ثأى بالمثلثة .

٦٧ ، ٤ : الأصل تُشيع بضم التاء ، يتبعه شرح : اقصّت أي قد لقحت .

٦ : الشرح في الأصل هكذا مُرج ذبال نار الحباحب

٦٩ ، ٢ : الأصل جاء بليل ببهنس في أدغال ، والوزن لا يستقيم .

٨ : الأصل القحم بالقاف ـ تِنبال بكسر التاء .

صفحة سطر

٦٩ ، ١١ : الأصل بالحفال بعلامة إهمال الحاء .
٧٠ ، ١ : الأصل العُبْرين بضم العين .
٥ : الأصل كبّ بالباء .
٧١ ، ١ : الأصل فاذا أُبرِزَتْ جِفان من الشيزَى ...
٧٢ ، ١ : الأصل تَزِفي بفتح التاء وكسر الفاء .
٤ : الأصل اذ حُدِجَت .
٥ : الأصل متاعمة .
٧٣ ، ٢ : الأصل تزها ـ أي تَزْهَى .
٧٤ ، ٧ : الأصل فِتْيان .
٧٥ ، ٦ : لم أجد هذا السطر في الأصل .
١١ : الأصل بُعتَى .
٧٦ ، ٢ : الأصل ظهرتْ حاجتي بما قلتُ .
٧٨ ، ٥ : الأصل عَوْد يُجِدُّ .
٦ : الأصل مسنِفة بكسر النون .
٧٩ ، ٣ : الأصل حَشَدَتْ .
٤ : الأصل لها كباش .
٥ : الأصل مغضوب أحبّ إليّ ، بغضبها .
٧ : الأصل ثُمَّتْ تَناصَتْ .
٨ : الأصل رِبْطاً بكسر الراء .
٨٣ ، ١ : الأصل بِلبك بكسر اللام .
٣ : تُعبِّد .
٨ : هامش الأصل خ وتَنِشْ .
٩ : هامش يحش دفيف (كذا) .

صفحة سطر

٨٥ ، ١٣ : الأصل خصية كما طبع ولكن الصواب حُصَّية بالحاء المهملة من الحُصّ وهو الزعفران ·

٨٦ ، ١٤ : الأصل هي الشُدق بضم الشين جمع اشدق ·

٨٧ ، ٧ : الأصل يَحْيَوْنَ (كذا) ·

٨٨ ، ٤ : الأصل عاضبات ·· للكُبْش بضمتين وفي الهامش كَبْش وكُبُش ·

١١ : الأصل والحَشْو ما في بطنه (بكسر الحاء وبغير هاء) ··· حتى مرّق بحيشوته ·

٨٩ ، ٧ : الأصل ذاك فِعْلِي ··· غير ·

١١ : الاصل من رُحْبَةٍ ·

١١ : الاصل حُبَّةٍ ·

٩٠ ، ١٠ : في الاصل شقل كما في المطبوعة والصواب شَعَل بالعين ·

٩١ ، ٣ : الاصل له سحيقة ·

٦ : الاصل ترى الهزالي مُقيماً ·

٩٢ ، ٢ : كتب تحت فالنبت : وفالنف ·· رواية أخرى ·

٩٣ ، ٤ : مؤتنفاً بالفاء أي أنُفاً ·

٥ : الاصل المسقولة بالسين لعلها لغة بني شيبان ·

٧ : الاصل إن شجّ ·

١٠ : الاصل نحوّنَه ·

٩٤ ، ٤ : الاصل مفاصلُها ··· من دُفّها (كذا) ·

٧ : الاصل الرعبان تعهدها ·

٩٥ ، ٤ : الاصل كما يَهُبُّ ·

٩٦ ، ٥ : الاصل ان جاءت وان عظمت ·

صفحة سطر

٩٧ ، ٥ : الاصل نحوى لما حُوَل .

٩٨ ، ٤ : الاصل ثَقِلُ .

٦ : الاصل تمالكُها .

٨ : الاصل صعراً وهي قد ذَبُلَت ... قد ذَبُلُوا ، بضم الباء .

٩٩ ، ٤ : الاصل يؤون (كذا) .

١٠٠ ، ٤ : زاد في الاصل لكثرة الجراحات .

١٠٢ ، ١ : الاصل قَرِحُ بالقاف .

٦ : الاصل تَلْتَمِيحُ .

١٠٣ ، ٧ : الاصل حناها .

١٠٤ ، ٣ و ٤ : الأصل شُقُق بضمتين ـ ما المَقْدَي .

٦ : الأصل الإرخ بكسر الألف .

٧ : الاصل المَفَرّ بالعين وتشديد الفاء .

٤ : الاصل قِدَح بكسر القاف .

١٠٥ ، ١ : الاصل خائفةٌ .

٢ : الاصل صرفت بالراء .

٤ : الاصل سَحَح بحاءين أي سِمَن .

١٠٦ ، ١ : الاصل رَقَّسَتها .

١١ : الاصل صَلُحوا بضم اللام .

١٢ : الاصل منتصيح بكسر الصاد .

١٠٨ ، ١ : الاصل والمجد ذخر

٧ : الاصل داود عَقل .

٨ : الاصل واحي .

صفحة سطر

١٠٨ ، ١٢ : هذه الورقة فيها ثقوب ديدان صعبة القراءة فقرأت أنا كان حمولها ورحالها .

١٠٩ ، ١ : قرأت من كُلْفَتها .

١١٠ ، ٥ : الاصل يَسُحُّ بضم السين .

٧ : قرأت أنا تمامها بدل قوامها .

١٠ : الاصل نُشبَّه .

١١١ ، ٤ : الاصل جُلالها ـ أي جُلَى لغة بني شيبان في جُلَيِّ .

٥ : الاصل تعامها .

١١٢ ، ١ : الاصل حتى اذا أغفت ومات ..... حَفَش الإكامَ ... والصواب ماث بالمثلثة وكذا في سطر ٢ .

٣ : الاصل مبعَّقة بفتح العين .

١٠ : الاصل رُحُما بعلامة إهمال الحاء

١١٣ ، ٢ : الاصل عِفاؤها بكسر العين .

١١٤ ، ٣ : الاصل يُثْبِي .

١١٦ ، ٤ : الاصل غُمْضِ .

١١٧ ، ٥ : الاصل صادفت بالفاء .

١١٨ ، ١ : الاصل فأقتل .

٦ : الاصل عنا (كذا) .

١١٩ ، ٢ : هذا السطر من زيادات الشنقيطي .

٣ : الاصل المحارص (كذا) وهو تصحيف ظاهر .

٨ : النِّقض بكسر النون .

صفحة سطر

١٢٠ ، ٥ : هذا السطر ليس في الاصل .

١١ : الاصل ورجاح .

١٢ : الاصل تَخشَ يوماً ذلّةً .

١٤ : الاصل مدرّب بكسر الراء .

١٢١ ، ٣ : الاصل مُنْجِزٌ .

٨ : فقال بعتق : ليس في الأصل .

١٠ : في الاصل حِفافه . أظنه غلطاً .

١٢٢ ، ١ : في الاصل ولا برواح .

٤ : في الاصل القَفاح بفتح القاف وهو غلط .

٥ : في الاصل في الفرند بكسر الفاء والراء وهو غلط .

١٢٥ ، ٧ : في الاصل حَسود دومزابنة .

٢ : في الاصل ضاف بالضاد المعجمة .

٩ : في الاصل وردّني أهل ودّي .

١٢٦ ، ١ : الاصل مَنْ هم .

٦ : في الاصل هذا بهذا .

٨ : في الاصل والحتف بعلامة اهمال الحاء والتاء المثناة .

١٢٧ ، ٢ : في الاصل يَهِشُ بكسر الهاء .

١٢٨ ، ٣ : في الاصل بِمِلْئِها بكسر الميم فاللام .

٥ : في الاصل الهِمْر بكسر الهاء .

٧ : في الاصل مرَقَّع بالفاء .

٩ : في الاصل يحار ابصار .

صفحة سطر

١٢٨ ، ١٢ : في الاصل المستقى بفتح القاف ·

١٢٩ ، ٨ : في الاصل تحذّى بفتح التاء وفي الهامش خ وتحذى بلا شكل أي تُحذى ·

١٣٠ ، ٣ : في الاصل من دارها قذفُ ·

١٣١ ، ٨ : في الاصل بقدمها عرفاء عزباء بعلامة إهمال العين ·

١٠ : في الاصل بأكيك النحض ·

١٣٢ ، ١ : في الاصل بناها الدّرُّ ·

٢ : في الاصل نباها الدرّ بتقديم النون ·

٣ : في الاصل ذلاً يوم تعتزفُ ·

٧ : البرقُ ·

١٣٣ ، ٥ : في الاصل ويروى كالقد يسوسها ، ويسوسها الخ ·

٦ : في الاصل دينا بكسر الدال وكذا في الشرح ·

ثم تبقى أشياء غير مهمة اختلفت الطبعة عن النسخة الأصلية التي نقلت عنها ولا شك نسخة الشنقيطي التي في خزانة دار الكتب بالقاهرة ، مثلاً ورد لفظ يعف في جميع المواضع بفتح الفاء بدل الضم فلا أدري هل هي لغة بني شيبان أم غلط من الناسخ ويظهر أن الشنقيطي إما كتب نسخته عجلاً أو غيّر رواية الأصل عمداً لأنه رأى في رواية الأصل أوهاماً من كاتب النسخة والنسخة الأصلية جيدة الكتابة تامة الشكل إلا ان التصاوير ليست عندي اليوم فلا يمكن الرجوع اليها ·

رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء

وقفتُ على هذه الرسالة وهي مما أطلع عليه بعضُ علماء طهران عاصمة إيران الإمامَ العلامة البحاثة المرحوم السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي المتوفى سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢ م) فكتبها بخطه وعنه نقلتُها في ذلك البلد ولم يذكر فيها اسمُ مؤلفها ولا عصرُه ولكن يشعر ذكره لآخر رجل من علماء الآخرة وسنة وفاته وهي سنة ٨٩٥ أنه من رجال المائة العاشرة الهجرية ولم أقف على النسخة الأصلية لأصفها وقد راجعت كشف الظنون فلم أجد به للرسالة والمؤلف ذكراً .

أما هذه الرسالة فيبين المؤلف غرضه من تأليفها بقوله في مفتتحها بعد البسملة والحمدلة والصلولة :

هذه رسالة بهية ومقالة شهية فيها ما اشتهر من العلوم والعلماء ولم آلُ جهداً في استقراء الأواخر واستقصاء القدماء وأسأل الله تعالى أن يجعلني من العلماء الصالحين ويفتح على قلبي أبواب الرحمة إنه خير الفاتحين .

وهذه المامة بمحتوياتها نراها كافية في الندليل عليها ، ولعل في من يعنى من الباحثين بتراثنا العلمي وما خلفه لنا الأجداد ، وكثير منه لم يرزق الحظ بتكثر نسخه ، من يكشف عن مؤلفها القناع ، ابتدأ الرسالة بتفصيل العلوم فقال :

العلم المدون صنفان أحدهما ما دوّنه علماء الاسلام والثاني الحكماء الذين كانوا قبل بعثة نبينا (ﷺ) . أما الأول فمنه علم العربية المسمى بعلم الأدب وهو كما قال المحقق الشريف في شرح المفتاح : علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة . وينقسم على ما صرحوا الى اثني عشر قسماً فمنها أصول هي العمدة في ذلك ومنها فروع .

فالأصول ما يبحث فيها اما عن المفردات من حيث جوهرها وموادها فعلم اللغة ومن حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف أو من حيث انتساب بعضها الى بعض

بالإصالة أو الفرعية فعلم الاشتقاق . واما عن المركبات على الإطلاق . فاما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح فعلم البيان واما عن المركبات الموزونة فاما من حيث وزنها فعلم العروض ومن حيث أواخر أبياتها فعلم القافية .

وأما الفروع فالبحث فيها اما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر أو بالمنثور فعلم إنشاء النثر من الرسائل والخطب أو لا يختص بشيء فعلم المحاضرات ومنه التواريخ . أما البديع فقد جعلوه ذيلاً لعلمي البلاغة .

ثم ذكر تنبيهات ستة عرض فيها لإطلاق علم اللغة على جميع أقسام العربية وللاشتقاق الصغير والكبير وانه علم مستقل عن علم الصرف ولعلمي المعنى واللغز ولتعريف علم العروض وعلم قرض الشعر ولأن علم البديع قسم مستقل من علم العربية وقال : ولعل قرض الشعر والإنشاء جزءان من البديع فانه عبارة عما تعرف به محسنات الكلام منظوماً كان أو منثوراً .

ومنه مما دونه علماء الاسلام علم التفسير وينقسم الى تفسير وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول والقصص وإلى تأويل وهو ما يمكن إدراكه بقواعد العربية . فالقول الأول بلا نقل خطأ . وكذا القول بالثاني بمجرد التشهي وان أصاب فيه . وقد يطلق التأويل على ما يفهمه أرباب القلوب الصافية بالإلهام والمكاشفة . ثم قال : وعلوم المكاشفات لا تنفي عن ظاهر التفسير . ومنه علم الحديث وعلم القراءة وعلم الأمثال . ومنه علوم الكلام والفقه والأصول وعلم الجدل ويسمى علم الخلاف وعلم آداب البحث .

ومنه علم الآخرة ، قال : وهو قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة ؛ فعلم المعاملة هو علم أحوال القلب بحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها سواء كانت محمودة كالصبر والشكر أو مذمومة كالحسد والحقد وقد أفاض في ذلك الكلام إفاضة ليست من غرضنا . ومنه علم طريق الآخرة . قال : وهو العلم بكيفية تصقيل مرآة القلب عن الأخباث التي هي الحجاب عن الله عز وجل وعن معرفه صفاته وأفعاله وإنما تصفيته وتطهيره بالرياضه وكف النفس عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم . وهنا أطال البحث وعرض فيه لضبط علوم الاسلام فقال : ان سعادة الانسان منوطة بثلاثة أمور (١) إطاعة الأوامر والنواهي البدنيـة من العبادات وأسباب انتظام أمور الدنيا . (٢) معرفة النفس والمبدأ والمعاد . (٣) معرفة الأوامر والنواهي وهي علم الفقه ومآخذها أصول الفقه . (٤) معرفة الأخلاق هي علم المعاملات ومعرفة النفس ونظائرها اما أن تحصل بالاستدلال أو بالتصفية والرياضة فمعرفتها بالاستدلال هي الكلام ومعرفتها بالتصفية والرياضة هي علم المكاشفة والعلم الذي يعرف به طريق التصفية والرياضة هو علم سلوك الآخرة وإثبات المسائل الفقهية والكلامية موقوف على المناظرة وإلحام المعاندين للدين فلا بد من تدوين آداب البحث وعلم الجدل ولما توقف تحصيل بعض من هذه العلوم وتكميل بعض منها على العلم بالقرآن والحديث . وان علم التفسير والقراءة ومخارج الحروف وعلم الحديث موقوفات على علم العربية وعد معرفة هذه العلوم من فروض الكفاية وذكر اختلاف العلماء في تعلم علم الكلام هل هو فرض عين أم فرض كفاية وهل هو مباح أم محرم .

ثم عرّف علم المنطق وبسط الكلام في تعريف الحكمة وتقسيمها الى عملية ونظرية وما يتفرع عنها من العلوم وأطال في ذلك الكلام وكله جم الفائدة جدير بالمعرفة . وبعد فراغه من هذه المباحث الجليلة وتقريبها الى الأذهان عمد

الى تفصيل طبقات العلماء ممن حذقوا علماً من العلوم وتاريخ وفياتهم مبتدئاً بطبقة اللغويين ثم النحويين فأرباب المعاني فأهل العروض والشعر وأرباب الإنشاء فالمؤرخين فالمفسرين فالمحدثين فالقراء فالمتكلمين فالفقهاء ثم الأصوليين فعلماء الآخرة ثم الحكماء القدماء ثم الحكماء الإسلاميين .

هذه هي الرسالة وهذا نموذج من محتوياتها بلغت صفحاتها سبعاً وستين من القطع الوسط ، ومنه يعلم ما لنشرها وطبعها من عميم الفائدة إن لم يكن قد عثر على نسخة منها من لهم عظيم العناية بآثار سلفنا الصالح وفوق كل ذي علم عليم .

سليمان ظاهر

أغلاط في حديث أدبي

اتفق أن رأيت في مجلة المصور (العدد ١٥٧٤) الصادر في (١٢/١٢/٥٤) حديثاً نقله السيد طاهر اللوزي ـ فيما يقول ـ عن دولة الأستاذ الأديب فارس الخوري وكان إذ ذاك رئيساً لوزراء سورية تحت عنوان (شاعر) ومتعلقنا من هذا الحديث ما نقله السيد اللوزي من قول دولة الأستاذ الخوري (ان العرب لم يكونوا يغتفرون اللحن) ثم ما أورده شاهداً على ذلك من قصة تتضمن إنكار أحد الشعراء على أبي علي القالي روايته وإنشاده بيتاً من الشعر جاء مكسور الوزن بوضع كلمة موضع أخرى وقد وجدنا في هذه القصة من خطأ الطابع والراوي ومن عثرات القلم ما لا يجوز السكوت عليه وقد كتبنا كلمة بينا فيها هذه الأغلاط وبعثنا بها ولعل ذلك كان في اليوم الثالث لصدور العدد ولكن على تتبعنا لأعداد المصور ـ التي تلت ذلك العدد ـ مدة طويلة لم نر تلك الكلمة قد نشرت في عدد من أعداد المصور .

وهذا ما جاء في تلك القصة من أغلاط :

١ — عدّ الخطأ في إيراد البيت لحناً وإنما هو كسر في وزن الشعر وهذا لا يسمى لحناً وإنما اللحن في مصطلح علماء الأدب يطلق على ما يخرج به المتكلم على قواعد النحو وقد يمتد على سبيل التوسع والتجوز الى الخروج على قواعد الصرف فمثل قول بعض العامة في حديثهم (على كُلاً) يقال له لحن وقول بعضهم (يوكل) مكان (يأكل) قد يطلق عليه على سبيل التوسع والتجوز لحن .

٢ — إن رواية البيت عن أبي علي كانت على الصواب وعلى ما يستقيم به الوزن فقد جاء في الحديث هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافهن لأيدينا مناديل

هذا البيت هكذا لا كسر فيه وهو من البسيط وتدرك استقامته بالسليقة الشعرية .

فقوله : إن الصواب هو (أعرافها) مكان (أعرافهن) من الخطل والصواب العكس كما لا يخفى فاذا وضعنا (أعرافها) مكان (أعرافهن) يصبح البيت هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافها لأيدينا مناديل

وهذا ما يدرك بالذوق الشعري أن فيه كسراً .

٣ — إن المعروف أن هذا البيت لعبدة بن الطيب كما جاء في ترجمة أبي علي القالي وهو هكذا :

ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

فأنشده أبو علي هكذا :

ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافها لأيدينا مناديل

والمحفوظ في هذا المعنى لامرئ القيس هذا البيت :

تَمُشُّ بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

(تمش : تمسح ، المضهب : المشوي بالنار أو على حجارة محماة) .

٤ — ان الذي جاء في الحديث المعزو إلى دولة الأستاذ الخوري أن المنكر على أبي علي خطأه في إنشاد البيت هو الشاعر (أبو شراعة) وذلك بلا ريب تحريف ويشبه أن يكون هذا منقولاً عن كلام أعجمي والصواب أن المنكر هو (ابن رفاعة الالبيري) .

٥ — انه جاء في الحديث نعت أبي علي القالي بصاحب المعالي هكذا : (أبو علي القالي صاحب المعالي) وهذا من قبيح الخطأ ، والصواب (صاحب الأمالي) إذ ان من المشهور أن أباعلي صاحب الأمالي وهو الكتاب المشهور الذي يعد من أمهات كتب الأدب ولقب (صاحب المعالي) للوزراء لم يكن معروفاً في ذلك الزمن على أنه قد انتشر في ذلك الزمن من الألقاب ما مجه الناس وسخروا منه وعلى هذا قول من قال :

عما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وفي الحديث أغلاط في الإعراب والإملاء نذكر مثالين منها :

١ — (أرسل من يدعو أبو علي) وظاهر أن هذا لحن والصواب (أباعلي) لأنه مفعول (يدعو) .

٢ — (لامرؤ القيس) والصواب (لامرئ القيس) لأن ما قبل الآخر في هذه الكلمة يتبع الآخر في إعرابه وتوضع الهمزة على الحرف المناسب لحركتها والمناسب للكسرة في لفظ (لامرئ القيس) الياء فتوضع عليها الهمزة .

هذا ونحن نستبعد ان تقع هذه الأغلاط المبينة آنفاً من أديب كمثل ما في المثالين الأخيرين فما آفة الأخبار ـ والأحاديث ـ إلا رواتها .

(عمان) عبد الله القلقيلي

ملاحظات على مصطلحات كيمياوية

-٣-

٥٤ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٨ — وصلات ثنائية double bonds ·

قلت : رُبُط مضاعفة ، التي تدل على تبادل قيمتين من قيم كل من الجوهرين المتحدين أحدهما بالآخر (رمزياً : خطان أو نقطتان كما في الأتيلين مثلاً $H_2C=CH_2$) ·

٥٥ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٠ — بوتقة ، بودقة crucible ·

قلت بُوطة ، بالضم ، وهي الذي يذيب فيه الصائغ · من الفارسية (پُوته) بالباء المثلثة التحتية ، وهي شبه مقلاة لصهر المعادن · ولم أجد كلمة بوتقة ولا بودقة في المعاجم التي بين يديّ · والأتراك يستعملون الكلمة الفارسية نفسها (پوطة) · وأحسب أن الكلمة الفرنسية (pot) منها أيضاً ، ولكن لمطلق الاناء أو القصعة أو الأصيص · والبوطة بالفرنسية هي (creuset) من (creuser) أي حَفَرَ ، جَوَّف ، (جَوَّرَ) الخ ·

٥٦ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٣ — حَلْقي cyclic ·

قلت : دوري ، من دَوْرة لما يقابل (cycle) التي اصطلح عليها المجمع (انظر ما قلته في الرقم ٢٤ عن كلمة acyclic) ، دفعاً للّبس بكلمة (حَلْق) ؛ و (cycle) من اليونانية kuklos ومعناها cercle أي دائرة لا حَلْقة ·

٥٧ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١ — نزع الآمين Desamination ·

قلت : خَسْفَمَة ، نحتاً من (خَسَفَ ـ أَمَّنَ) أي حَذَف الأمين · وباستعمال كلمة واحدة سهولةٌ لا تخفى خصوصاً للوصف والإضافة والاشتقاق ·

فيقال (خسفمَ desaminer ـ مخسفَم desaminé ـ تخسفَم) مما يتعذر الإتيان بمثله من الكلمتين .

٥٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٤ — صفَّق decanter .

قلت : أبان من (بانوا بيناً وبَيْنُونة فارقوا . والشيء بيناً وبُيُوناً وبينونة انقطع . وأبانه غيره . والمرأةُ عن الرجل فهي بائن انفصلت عنه بطلاق . وضربَه فأبان رأسه ، والبائن القوس التي بانت عن وترها) ، في كل ذلك معنى الفصل والانفصال . ومعنى الكلمة الافرنجية هو (فصل الجزء الرائق من مائع ، عن ثفالته الراسبة في قعر الوعاء الموضوع فيه والمتروك وشأنه حيناً) . أما الصَّفْق والإصفاق والتصفيق فهو (تحويل الشراب من إناء لآخر ممزوجاً ليصفو) فهو إذن يوافق الكلمة الفرنسية (tranvaser أي النقل من إناء الى إناء) .

٥٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٥ — تصفيق decantation .

قلت : إبانة (وكذا بالفرنسية decantage) . والإبانة عمل يتم به فصل الجزء الرائق من مائع عن ثفالته (كما جاء آنفاً رقم ٥٨) .

٦٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٧ — محلول عياري normal solution .

قلت : محلول نظامي . وهو المحلول المهيأ على نظام الذرة . أما العياري فهو لما يقابل titré (أو المعايَر) وهو الذي يحتوي على كمية معلومة من المادة في لتر من المحلول ، وليس من المشروط أن يكون على النظام الذري . (مثال عليه : محلول فهلنغ ـ محلول الثورانيل) . وبين المحلول النظامي ، والمحلول العياري أو المعاير اختلاف كبير . فكل محلول نظامي محلولٌ معاير وليس كل محلول معاير ، محلولاً نظامياً .

٦١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٨ — محلول عشر العياريّ ، المحلول العشري decinormal solution .

قلت : محلول عشر نظامي ، للسبب المذكور في الرقم ٦٠ . أما المحلول العشري فهو الذي يحتوي من المادة المذابة فيه على مقدار يوافق ١ الى ١٠ (١٠ بالمئة) دون النظر الى النظام الذري وهو المقصود من الكلمة الفرنسية au dixième فلا يجوز البتة أن يقال (المحلول العشري) لما هو عشر نظامي ، فالبون بينهما شاسع والخطأ واضح .

٦٢: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٢ — نزع الايدروجين dehydrogenate .

قلت : خَسْفَجَ ، نحتاً من (خَسَفَ ـ هَدْرَجَ) أي حذف الهدرجين . ومن هذه الكلمة الوحيدة يسهل اشتقاق الكلمات (خسفجة ـ مخسفَج ـ تخسفَجَ الخ) التي يتعذر الاتيان بمثلها من الكلمتين .

٦٣: صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٣ — نزْع الايدروجين dehydrogenation .

قلت : خَسْفَجَة (انظر الرقم ٦٢) .

٦٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٦ — أزال الماء dehydrate .

قلت : بَلْمَهَ ، نحتاً من (بِلا ـ ماه) أي جعله بلا ماء . والاشتقاق منها بعد ذلك يسير : (تَبَلْمَهَ ـ مبلمِه ـ مبلمَه ـ بَلمهة) .

٦٥ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٧ — مزيل الماء dehydrating agent .

قلت : مُبَلْمِه ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٦ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٨ — إزالة الماء dehydratation .

قلت : بَلْمَهَة ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٧ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٠ — أزال الشعر dépilate .

قلت : لا حاجة الى استعمال كلمتين وفي لغتنا كلمة (جَمَشَ) موضوعة لهذا الغرض . يقال : جَمَشَ رأسَه حلَقه . والجُموش من النورة ، الحالقة ومنها اشتقتْ (مِجْمَشَة depilatoire) وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٦٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢١ — إزالة الشعر dépilation ·

قلت : جَمْش ، (انظر الرقم ٦٧) ·

٦٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٢ — نَشَّفَ dessicate,to ·

قلت : جَفَّف ، فالتجفيف هو التيبيس وهو المقصود من العمل في دور الكيمياء أو دور الصناعة وغيرها · أما التنشيف فلا بد فيه من استعمال ما يأخذ الماء · يقال : نَشَّف الماء تنشيفاً أخذه بخرقة ، فهو يقابل بالفرنسية sécher · والنَّشَّافة منديل يتمسح به · والنَّشْفة بفتح فسكون خرقة ينشف بها ماء المطر ويعصر في الأوعية ·

٧٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٣ — تنشيف dessication ·

قلت : تجفيف ، للسبب المذكور في الرقم ٦٩ ·

٧١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٤ — مِنْشاف dessicateur ·

قلت : مِجَفّ ، للسبب الذي ذكرته في الرقم ٦٩ · والمِنْشَف أصلح لما يقابل (sechoir) ·

٧٢ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٤ — مَقْطَر distillerie ·

قلت : مَقْطَرَة ، وزان مفعلة ، اسم مكان · ومجمع فؤاد كان أقرّ قياسية مفعلة للمكان الذي يكثر فيه الشيء من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول عامة سواء أكانت من الحيوان أو النبات أم من الجماد (ج ٢ — ص ٥٢) ، فالمَقْطَرَة ، المكان الذي يكثر فيه تقطير شيء بعينه (ماء ـ غول ـ أشربة روحية ـ عطور الخ) ·

٧٣ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٦ — وصلة ثنائية double bond ·

قلت : رباط مضاعف (انظر ما ورد في الرقم ٥٤) ·

٧٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٨ — قارورة قَطّارة dropper flask ·

قلت : مِسْتَلَة (انظر ما قلته في الرقم ٥٠) اسم آله من سَتَلَ أي سال قَطَراناً .

٧٥ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٤ — مستحلِب emulsifier .

قلت : مَحْلَبَة ، وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٧٦ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٢٧ — حوامض دهنية fatty acids .

قلت : حُمُوض دسمة (لأن حوامض جمع حامضة) .

٧٧ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٣ — مرشِّح filter .

قلت : مِرْشَحَة ، اسم آلة من رَشَح (دون تخصيص من الثلاثي أو الرباعي) .

٧٨ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٤ — رَشَّاحة filtrate .

قلت : رُشَاحة ، بالتخفيف وزان فُعَالة (الذي يدل على بقية شيء أو رديئه أو فضالته ، كما هو جلي من الكلمات القديمة التي اشتققتها على الوزن نفسه) .

٧٩ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٨ — مسحوق ناعم fine pouder .

قلت : مسحوق طَهْمَل ، والطهمل هو الذي لا يوجد له حجم إذا مُسَّ ، فمسحوق طَهْمَل ، غاية في النعومة ويقابل الكلمة الفرنسية impalpable .

٨٠ صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٦ — مائع fluid .

قلت : سَيَّال ، من السُّيولة . وخصصنا المائع لما يقابل liquide .

٨١ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٨ — مُيوعة fluidity .

قلت : سُيُولة ، للسبب المذكور آنفاً (رقم ٨٠) .

٨٢ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٢٥ — مسبك fondry .

قلت : مَسْبَكَة ، على اسم المكان وزان مفعلة . ومثلها (مَصْهَرَة) من الصَّهْر وأحسبها أكثر ملاءمة من المسبكة لأن fonderie من fondre وهذه من اللاتينية fundere أي أرسبَ في القعر ، ومعناها بالفرنسية (جعلَ الشيء

مائعاً أو أذابه في مائع) . فالصهر غير السبك فالسبك يتضمن معنى القَوْلَبَة (= الإذابة والإفراغ) وليس من المشروط في الصهر القولبة . وأرى أن تخصص (مَسْبَكَة) لما يقابل (lingoterie) ، والقَوْلَبَة لما يقابل (moulage) .

***

هذا ، ولا يتوهمن أننا بملاحظاتنا هذه نبخس أعضاء المجمع الأفاضل جهودهم وكلهم عالم لغوي نحرير ، أو عالم فني قدير . لا بل إننا ممن يكبرون ما بذله هؤلاء الجهابذة من جهد بالغ وما عانوه من مشقة عظيمة في هذا السبيل . فما إيجاد كلة لمصطلح افرنجي ، هيّن . ولا اشتقاق لكلمة أعجمية ، يسير . ولا ضير على المجتهد أخطأ أم أصاب : فله أجر العمل إن أخطأ ، وله أجران أجر العمل وأجر الإصابة إن أصاب . وفقنا الله جميعاً لما فيه خدمة لغتنا المحبوبة ، من الناحية العلمية وهدانا للصواب فهو الكريم الوهاب .

الكواكبي

فهرس الجزء الأول من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة

٣ ديوان ابن النقيب . . . . . للأستاذ خليل مردم بك .
٢٣ الاصطلاحات الفلسفية (١) . . . . . للدكتور جميل صليبا .
٣٥ حريق الجامع الأموي بدمشق سنة ٧٤٠ هـ للدكتور صلاح الدين المنجد .
٤٨ كتاب الموجز في علم القوافي . . . للأستاذ عبد الهادي هاشم .
٥٩ مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٧) للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور
٧٧ إيوانية البحتري (١) . . . . . للأستاذ عبد القادر المغربي .
٩٠ بين ابن المعلم الحلي وابن تيمية (١) . للأستاذ محمد بهجة البيطار .
١٠٦ أبو الفتح ابن جني (٥) . . . . . للدكتور محمد أسعد طلس .

التعريف والنقد

١١٩ كتاب التربيع والتدوير للجاحظ . . . للأستاذ شفيق جبري .
١٢٢ تلخيص البيان في مجازات القرآن . . للأستاذ محمد بهجة البيطار .
١٢٤ توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام . للأمير جعفر الحسني .
١٢٦ كتاب الورقة . . . . . للدكتور سامي الدهان .
١٢٨ كتاب الريف السوري . . . . . للدكتور كاظم الداغستاني .
١٣٠ كتاب : ١ – تنبيه الغبي . ٢ – تحذير العباد للأستاذ محمد بهجة البيطار .
١٣٦ الشبك . . . . . للأمير جعفر الحسني .

آراء وأنبـاء

١٣٨ أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م .
١٤٠ أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون .
١٤٢ وفاة الأستاذ سليم الجندي .
١٤٥ شرح لزوم ما لا يلزم (٢) . . . . للدكتور عبد الوهاب عزام .
١٥٣ ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني (٢) . للأستاذ سالم الكرنكوي .
١٦٢ رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء . للأستاذ سليمان ظاهر .
١٦٥ أغلاط في حديث أدبي . . . . للأستاذ عبد الله القلقيلي .
١٦٨ ملاحظات على مصطلحات كيمياوية (٣) . للدكتور صلاح الدين الكواكي

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٦ ١٩ شعبان سنة ١٣٧٥

مجموعة ابن النقيب
أو
بواكير الحدائق والغرف

صاحب هذه المجموعة عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن النقيب وبابن حمزة الحسيني فتى من فتيان الشعر والأدب ، جمع الى صحة الطبع سعة الاطلاع وحسن الاختيار ؛ ولقد سبق لنا أن عرّفنا بديوانه في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٣ ج ١ م ٣١) ونريد أن نعرّف في هذا الجزء بمجموعته المشتملة على مختارات من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض .

هذه المجموعة مخطوطة لا تزال في المسودة ، مكتوبة بقلم جامعها السيد عبد الرحمن ، نفسه كما يدل على ذلك ما ورد في أعلى الصفحة الأخيرة من المجموعة وهو قوله : (لكاتبه عبد الرحمن الحسيني) وقد خلت من العنوان والمقدمة

والخاتمة ، كما أن بعض أبوابها لم يكمل بعد ، أو لا يزال أبيض لم يكتب به شيء ، وذلك لأن صاحبها توفي شاباً قبل أن ينتهي من جمعها .

وعدد صفحات هذه المجموعة ١٥٦ صفحة (طول الصفحة ٢٠ سم وعرضها ١٣ سم) ولا تتفق في عدد الأسطر ، حسنة الخط مكتوبة بالقلم الفارسي والحبر الأسود على ورق متين صقيل ، إلا عناوين الأبواب فانها مكتوبة بالحمرة ، وكذلك أول كلمة من كل كلام جديد ، ونقط الفصل ، فانها بالحمرة أيضاً ؛ وطريقة الكاتب في الكتابة أن يضع قبل مقول القول - أي في المكان الذي نضع فيه نقطتين مترا كبتين - دائرة حمراء في صدرها نقطة حمراء ، وأن يضع بعد صدر كل بيت وبعد عجزه نقطة حمراء .

لما توفي صاحب هذه المجموعة سنة ١٠٨١ هـ كان له طفل اسمه سعدي [1] لم يبلغ السادسة من عمره ، فحفظتْ له هذه المجموعة ، حتى إذا بلغ أشده ودفعتْ اليه كتب على الصفحة الثالثة عشرة منها ما نصه : (من كتب الفقير الى عفو ربه المنان محمد سعدي بن عبد الرحمن الحسيني الحنفي . في منتصف سنة ١٠٩٥) ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يزيد على الأصل في بعض الأمكنة الخالية من الصفحات ، ولحسن الحظ كانت زياداته قليلة وكان خطه يختلف اختلافاً بيناً عن خط والده ، فضلاً عن أنه لم يتقيد بطريقة والده في الكتابة وتلوين المداد . وكأنه تبين له فيما بعد أنه لم يكن مصيباً في عمله فشطب على طائفة مما كتب .

ثم انتقلت هذه المجموعة بعد زمن طويل الى السيد عمر زيتونة فكتب على ظاهر الورقة الأولى : (في نوبة الحقير العاجز عمر بن ابراهيم زيتونة في ٢٥ صفر سنة ١٢٦٢) وانتقلت منه الى السيد محمود حمزة مفتي الشام وهي الآن محفوظة عندنا .

---

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . سلك الدرر للمرادي ٢/٥٦

تشتمل هذه المجموعة على مختارات جيدة من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض ، أكثرها في وصف محاسن الطبيعة والرياض والأشجار والأزهار والأنهار ، وتصوير الجمال والترف والنعيم والصبوة واللهو والشراب ومجالس الأنس والطرب ، وما الى ذلك من متع الحياة ومباهجها ؛ وهذه عناوين المجموعة كما كتبها جامعها بيده :

١ — في فوّارة الماء
٢ — جريان ماء الأودية
٣ — ماء البئر
٤ — في الحمّام وما ينضاف اليها
٥ — ماء النيل
٦ — ماء دجلة والفرات
٧ — في البساتين
٨ — في الوديان
٩ — في الدور والقصور
١٠ — في الشموع
١١ — في المداخن
١٢ — في البخور
١٣ — في الكوانين
١٤ — في أنواع الطيب
١٥ — في نفس الحبيب وريقه
١٦ — في نور الكتان
١٧ — في نور الباقلا
١٨ — في الزرع وسنبله
١٩ — في الأرجوان
٢٠ — في السفرة والطعام
٢١ — في الحمّام
٢٢ — نزعة في الحسن
٢٣ — نزعة في نعومة البشرة
٢٤ — في الغمز والرمز والايماء
٢٥ — نزعة في الإيماء المعنوي
٢٦ — في لمع الأسرة
٢٧ — في الابتسام
٢٨ — في الحديث والمناجاة والسرار
٢٩ — في السرر والأعكان
٣٠ — في الأعقاب والكراسع
٣١ — في رقة الطبع والفهم
٣٢ — في الدل ورخامة النغمة
٣٣ — في الخجل
٣٤ — في التقبيل والعض والتجميش
٣٥ — في العناق
٣٦ — في العفاف

٣٧ — في المراسلة والمكاتبة
٣٨ — في الطيف والخيال
٣٩ — في عرق الحبيب وعرفه
٤٠ — في نسيم الشراب
٤١ — حباب الكأس
٤٢ — في دبيب الشراب
٤٣ — في الكؤوس الملونة
٤٤ — في صبغ اليد بالكأس
٤٥ — في الفدام
٤٦ — في تصاوير الكؤوس
٤٧ — في ربع بساط السكر بما فيه
٤٨ — في نقل المدام
٤٩ - صياح الديوك
٥٠ — في ضرب النواقيس
٥١ — في المصبّغات والمخانق والمناديل
٥٢ — في أكاليل الزهر
٥٣ — في المناطق
٥٤ — في يوم رام (١)
٥٥ — في الكلستان (٢)
٥٦ — في خيش النسيم والمروحة
٥٧ — في خيمة الناطور
٥٨ — في النرد
٥٩ — في المداعبة
٦٠ — في الكناية والتعريض
٦١ — في المنى
٦٢ — في الشباب وروائه
٦٣ — في النعيم ومائه
٦٤ — في الريحان
٦٥ — في الترنجان
٦٦ — في المرزنكوش
٦٧ — في الشاهسفرم
٦٨ — في الخزامى
٦٩ — في النمام
٧٠ — في الآذريون
٧١ — في الحوذان
٧٢ — في الخُرّم
٧٣ — في اللفاح
٧٤ — في الآس
٧٥ — في الفستق
٧٦ — في التفاح

(١) عيد من اعياد الفرس .
(٢) هذا الفصل نثر .

٧٧ — في السفرجل
٧٨ — في تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكره بها
٧٩ — في النور والكمائم
٨٠ — في العناب
٨١ — في الشجر على اطلاقه

وطريقته في الندوين أن يذكر المصدر الذي اختار منه ، وبذلك تمكنا من إحصاء مصادره نقلاً عنه وهي :

١ — محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني
٢ — مناهج الفكر ومباهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط الكتبي الوراق
٣ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام
٤ — يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
٥ — من غاب عنه المطرب له
٦ — تتمة اليتيمة له
٧ — مركز الإحاطة لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب
٨ — قطب السروز لأحمد بن القاسم المعروف بالرقيق النديم
٩ — عنوان المرقصات لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي
١٠ — المرقص والمطرب له
١١ — المغرب في محاسن أهل المغرب له
١٢ — حديقة المنادمة وطريقة المناسمة
١٣ — كتاب الديرة للسري الرفاء
١٤ — قلائد العقيان للفتح ابن خاقان
١٥ — المسهب في أخبار أهل المغرب للحجاري

١٦ — الأوائل لأبي هلال العسكري
١٧ — المحب والمحبوب للسري الرفّاء
١٨ — ازدهار الأزهار للتيفاشي
١٩ — ديوان ابن المعتز
٢٠ — نزهة العيون لليافعي
٢١ — رياض الأزهار للشقاشي
٢٢ — نفح الطيب للمقري
٢٣ — لمح الملح لأبي المعالي سعد بن علي الخطيري
٢٤ — التحقيق في شراء الرقيق
٢٥ — الكنايات للجرجاني
٢٦ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي
٢٧ — ديوان ابن خفاجة الأندلسي
٢٨ — وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٩ — تباشير السرور لابن المعتز
٣٠ — دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن علي بن حسن الباخرزي
٣١ — مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح ابن خاقان
٣٢ — شرح مقامات الحريري للشريشي
٣٣ — حماسة ابن الشجري
٣٤ — الحماسة لأبي تمام الطائي
٣٥ — مجمع الأمثال للميداني
٣٦ — زهر الآداب للحصري
٣٧ — الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني
٣٨ — العقد لابن عبد ربه
٣٩ — الكناية والتعريض للثعالبي

وهذه أمثلة مختصرة من المجموعة تدل على صحة الذوق وحسن الاختيار ؛ ورد في باب فوّارة الماء ما يأتي :

«علي بن الجهم أنشدها له صاحب المحاضرات :

وفوّارةٍ ثأرها في السماء فليست تقصّر عن ثارها
ترد على المزن ما أسبلت على الأرض من فيض مدرارها

ولبعض الأندلسيين أنشدها المقري وإخاله أنشدها من المناهج ، يصف بركة عليها عدة فوارات :

غضبت مجاريها فأظهر غيظها ما في حشاها من خفيّ مضمر
وكأنّ نبع الماء من جنباتها والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فرعها لما انتهت باللؤلؤ المتحدر»

وورد في باب الحمام وما ينضاف اليها ما يأتي :

«ابو الحسن علي بن حصن الاشبيلي أنشدها له صاحب الذخيرة :

وما راعني إلاّ ابن ورقاء هاتفاً على فنن بين الجزيرة والنهر
مفستق طوق لازوردي كلكل موشّى الطلى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ وصاغ على الأجفان طوقاً من التبر
حديد شبا المنقار داجٍ كأنه شبا قلمٍ من فضةٍ سَرّ في حبر
توسّد من فوق الأراك أريكةً ومال على طيّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمعي مراقاً أرابه بكائي فاستولى على الغصن النضر
وحثّ جناحيه وصفّق طائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري

وقال يوسف بن هارون الرمادي : بكرت إلى أبي المطرف بن المثنى وألفيت قد بكر قبلي ابن هذيل ، فقال لي ماعندك ؟ فقلت ليس عندي كبير معنى ، ولكن ماعندك أنت ؟ فأخرج من كمه قصيدته التي يقول فيها في صفة الحمامة :

ومرنّـةٍ والدجن ينسج فوقها بردين من نورٍ وطلٍّ باكِ
مالتْ على طيِّ الجناح وإنمـا جعلتْ أربكتها قضيب أراك
وترنمتْ لحنـين قد حلّتهما بغنـاء مسمعةٍ وأنّـة شاك
ففقدتُ من نفسي لفرط تلهفي نفس الحياة وقلت من أبكاك ؟

فأنشدنيها وأنا أعد محاسنها فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف الى المكتب وتأدب حتى تحكم مثل هذا . فكأنه حركني ؛ واتفق انه لم يخرج أبو المطرف ذلك اليوم . فبكرت من الغد إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في صفة الحمامة :

أحمامةً فوق الأراكة بيّـني بحياة من أبكاك ، من أبكاكِ ؟
أما أنا فبكيت من حرق الهوى وفراق من أهوى ، فأنت كذاك ؟

فلما سمعني ابن هذيل قال عارضني ، قلت لا والله بل ناقضتك ؛ قال فاذهب فقد أخرجتك من المكتب .

وقال على هذه العروض والقافية أبو مروان المعروف بالبلينة من قصيدة أولها :

يوم العقيق غدوتُ من قتلاكِ لما رمت بسهامهـا عيناكِ

ثم قال في صفة الحمامة :

أحمامةً بكت الهديل وانمـا طربتْ فغنتْ فوق غصن أراكِ
معشوقة التفويف ذات قلائدٍ غنيتْ جواهرها عن الأسلاك
ناحت على غصنٍ وكل شجٍ بكى يوماً بلا دمع فليس بباك
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيةً جادت دموعك حين جدّ بكاك »

وورد في باب العفاف ما يلي :

« الشريف الرضي ، اخترت له من أبيات في العفاف أنشدها صاحب الذخيرة :

بتنا ضجيعين في ثوبي هوىً وتقىً يلفنا الشوق من فرعٍ إلى قدمِ

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داجٍ من الظلم
وباتت الريح كالغيرى تجاذبنا على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهي غافلة حتى تكلم عصفورٌ على علم
فقمت أنفض ثوباً ما تعلقه غير العفاف وراء الغيب والكرم

وأنشد لأبي الوليد بن حزم :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني ولا رقيبٌ دون الأماني ولا سترُ
وفي ساعدي بدرٌ على غصن بانةٍ يود مكاني بين لبابه البدر
وفي لحظه كالسكر لا من مدامةٍ ولولا اعتراض الشك قلت هو السكر
وقد سلبته الراح سورة كبره ومال على عطفيه وانقطع العذر
فلم يك إلا ما أباح لي التقى ولم يبق إلا أن تحل ليَ الخمر »

وفي باب الفِدام «روى ابن بسام قول الرضي :

ولما وقفنا بالسراة غدية وقوفاً لتوديعٍ وردّ سلامِ
تلثم مرتاباً بفضل ردائه فقلت هلالٌ بعد بدر تمام
وقبلته فوق اللثام فقال لي هي الخمر إلا أنها بفدام »

وورد في باب النور والكمائم ما يأتي :

« ابو اسحق ابرهيم بن خفاجة أنشدها له صاحب الذخيرة وذكرناها في غير هذا الموضع عن صاحب المرقص :

وكمامةٍ حدر الصباح قناعها عن صفحةٍ تندى من الأزهارِ
في أبطحٍ رضعتْ ثغور أقاحه أخلاف كل غمامةٍ مدرار
نثرتْ بحجر الروض فيه يد الصبا درر الندى ودراهم النوّار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدتْ حلي الحباب سوالف الأنهار
فخلتْ حيث الماء صفحة ضاحكٍ جذلٍ وحيث الشط بدء عذارِ

والريح تنفض بكرةً لمم الربى والطل ينضح أوجه الأشجار
متقسم الألحاظ بين محاسنٍ من ردف رابيةٍ وخصر قرار
وأراكةٍ مجع الهديل بفرعها والصبح يسفر عن جبين نهار
هزّتْ له أعطافها ولربما خلعتْ عليه ملاءة الأنوار »

بقي علينا أن نعلم أكان لهذه المجموعة اسم خاص سقط مع ورقة أو أكثر من أولها ، وإذا كان كذلك فما هو اسمها ؟ ذكر السيد سعدي أن والده السيد عبد الرحمن صاحب هذه المجموعة « جمع كتاباً لطيفاً في الأدب سماه (بواكير الحدائق والغرف) فلم يتم ولكن اقتطف منه كتاباً مختصراً سماه (دستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) وأرسله لقدسي زاده النقيب بالممالك العثمانية » . وفي خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا المختصر الأخير منقولة عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) أدب . ورد في مقدمتها قول المؤلف : « ... وبعد فلما كان كتابي بواكير الحدائق والغرف ... لم يبلغ الآن مبلغ الكمال ... عولتُ حينئذ على قطافها عند الشروع ، وأخرجتها في تضاعيف هذا المجموع ، ووسمته بدستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف » .

فالأرجح بعد كل ذلك أن يكون اسم هذه المجموعة (بواكير الحدائق والغرف) .

خليل مردم بك

الاصطلاحات الفلسفية

-٢-

الإرادة

في اللاتينية Voluntas

في الفرنسية Volonté

في الانكليزية Will

الإرادة موضوعة في اللغة لتعيين ما فيه غرض ، وهي في الأصل طلب الشيء ، أو شوق الفاعل الى الفعل ، اذا فعله كف الشوق وحصل المراد (ابن رشد ، تهافت التهافت ص ٤) .

ويشترط في هذا الشوق الى الفعل أن يشعر الفاعل بالغرض الذي يريد بلوغه ، وأن يتوقف عن النزوع اليه توقفاً موقتاً ، وأن يتصور الأسباب الداعية اليه ، والأسباب الصادة عنه ، وأن يدرك قيمة هذه الأسباب ، ويعتمد عليها في عزمه ، وأن ينفذ الفعل في النهاية أو يكف عنه . (Lalande, Vocabulaire de Philosophie, art. Volonté)

فالارادة بهذا المعنى العام هي صورة الفاعلية الشخصية . ولها عند الفلاسفة عدة معان :

١ — الارادة هي نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه . وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، ثم جعلت اسماً لنزوع النفس الى شيء مع الحكم فيه انه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل . والنزوع الاشتياق ، والميل المحبة والقصد (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

فاذا قلنا هذا الرجل قوي الارادة ، وذاك ضعيف الارادة ، دلت الارادة على اتصاف صاحبها بنزوع واع متمكن من نفسه ، وهو نزوع يدفعه الى الفعل بالرغم من مقاومة النزعات الأخرى . فالارادة بهذا المعنى صفة من صفات السجية . وهي تدل بالجملة على نزعة نهائية مستقرة ، أو ميل قوي يحمل صاحبه على الفعل ، ولا يشترط في هذا الميل أن يكون عقيب اعتقاد النفع كما ذهب اليه المعتزلة ، بل مجرد ان يكون حاملاً على الفعل بحيث يستلزمه ويجامعه ، وان تقدم عليه بالذات .

٢ — الارادة هي القوة التي هي مبدأ النزوع وتكون قبل الفعل .

٣ — الارادة هي اعتقاد النفع أو ظنه ، وقيل ميل يتبع ذلك ، فاذا اعتقدنا ان الفعل الفلاني فيه جلب نفع ، أو دفع ضرر ، وجدنا من أنفسنا ميلاً اليه (المواقف للايجي وشرحها للجرجاني ، جزء ٢ ، ص ٢١٥) . والقائل بذلك كثير من المعتزلة ، قالوا ان نسبة القدرة الى طرفي الفعل على السوية ، فاذا حصل اعتقاد النفع أو ظنه في أحد طرفيه ، ترجح على الآخر عند القادر ، وأثرت فيه قدرته .

٤ — والارادة صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه (تعريفات الجرجاني) ، حتى لقد قال الأشاعرة انها صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين ، وليست مشروطة باعتقاد النفع أو بميل يتبعه ، فان الهارب من السبع ، اذا ظهر له طريقان متساويان في الافضاء الى النجاة ، فانه يختار أحدهما بارادته ، ولا يتوقف في ذلك الاختيار على ترجيح أحدهما لنفع يعتقده فيه ولا على ميل يتبعه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

٥ — والارادة في علم الأخلاق هي الاستعداد الخلقي ، وهو إما أن يكون عاماً ، وإما أن يكون خاصاً . فالارادة الصالحة (Bonne volonté) هي العزم الصادق على فعل الخير ، أو هي استعداد الشخص للقيام بالفعل على قدر طاقته . والارادة السيئة (Mauvaise volonté) هي الارادة المتوجهة الى الشر ، أو هي على الأخص صفة رجل يحاول التملص من واجباته ، فلا يقوم بها إلا إذا كان مجبراً عليها .

٦ — ومن الاصطلاحات المألوفة عند فلاسفة القرن الثامن عشر الإرادة العامة (Volonté générale) وهي صفة عاقل يدرك عند تجرده من الأهواء ما يستطيع أن يطلبه من أبناء جنسه وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه . قال ديدرو : « الإرادة الجزئية ظنون ، والارادة العامة صالحة . ولكن قد تقول لي : أين مقر هذه الارادة العامة ، أين يمكنني أن أستشيرها ؟ (الجواب على ذلك) ان هذه الارادة العامة موجودة في مبادئ الحق المكتوب عند جميع الأمم المتمدنة ، وفي الأعمال الاجتماعية للبربر والمتوحشين ، وفي اتفاق أعداء الجنس البشري على بعض الأمور اتفاقاً ضمنياً ، وفي السخط والألم اللذين وهبتهما الطبيعة للحيوان ليقوما عنده مقام القوانين الاجتماعية والانتقام العام » . (Diderot, Article, Droit Naturel (Morale) de l'Encyclopédie)

وقال روسو : « هنالك في الأغلب فرق بين الإرادة العامة وإرادة الكل . فالأولى لا تهتم إلا بالمصلحة المشتركة ، أما الثانية فتهتم بالمصلحة الخاصة ، لأنها ليست سوى مجموع من الإرادات الجزئية » (J. J. Rousseau, Contrat social. liv. II. ch . III) . إن هذه الإرادة العامة هي الأساس الشرعي لكل سيادة . ويشترط في شرعيتها : (١) أن تختص بالمصلحة المشتركة .

(٢) وأن تؤيدها أكثرية المواطنين بعد استشارتهم جميعاً . (٣) وأن لا تتخذ قراراتها لمصلحة شخص دون آخر . ان كل فعل من أفعال السيادة ، أعني كل فعل شرعي من أفعال الارادة العامة يجبر جميع المواطنين ، أو يرعى حقوقهم على قدم المساواة ، فلا يراعي الحاكم إلا الصالح العام ولا يرجح مصلحة فردية على أخرى . ان الارادة الجزئية تميل بطبيعتها الى الترجيح ، أما الإرادة العامة فلا تميل إلا الى المساواة .

٧ — ومن اصطلاحات علماء الاجتماع الارادة المشتركة أو الارادة الجماعية (Volonté Collective) وهي إرادة المجتمع من حيث هو موجود واحد .

٨ — ومن اصطلاحات (وليم جيمس) إرادة الاعتقاد (Will to believe) ، وهي التسليم باعتقادات لا يستطيع العقل أن يبرهن على صدقها ، ولكنه يقبلها مع ذلك لعدم تناقضها ، وللمنافع العملية التي تنشأ عنها . من هذه الاعتقادات الثقة بالنفس ، فهي نافعة في الحياة ، لأنها تزيد قوة الانسان وتعينه على النجاح في أعماله .

٩ — والإرادة عند بعضهم هي الفاعلية الدائمة المتجهة الى جهة معينة وان كانت لا شعورية ، أو هي النزعة الأساسية لكائن واحد أو لجميع الكائنات ، كإرادة الحياة ، أو إرادة القوة ، أو إرادة الشعور .

أما إرادة الحياة (Volonté de vivre) فهي عند (شوبنهاور) المبدأ الكلي للجهد الغريزي الذي يحقق به كل كائن مثال نوعه ، ويناضل ضد الكائنات الأخرى لاستبقاء صورة الحياة الخاصة به .

وأما ارادة القوة (Volonté de puissance) فهي في نظر (نيتشه) مضادة لمعنى الحياة عند (سبنسر) ، ولنزوع الموجود الى التثبت في الوجود عند (اسبينوزا) ، ولارادة الحياة عند (شوبنهاور) . وهي مبدأ للوح قيم جديدة ،

إلا أن الضعفاء يعوقونها عن بلوغ غايتها بتألبهم عليها ، وبتمسكهم بالقيم الخلقية المألوفة .

وأما إرادة الشعور (Volonté de Conscience) فهي عند (فويه) نزعة أساسية تؤثر في حياة الانسان العقلية والشعورية ، كما تؤثر في تطور الكائنات الحية . إن أول مظهر لهذه النزعة الأساسية ميل الكائن الحي إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته ، وشعوره بأنه مركز الجاذبية ، وان جميع الموجودات الأخرى وسائط يعتمد عليها في فعله وزيادة قوته ووعيه . ولكن هذا النزوع الأناني لا يخلو من الغيرية لأنه يستلزم التفكير في الآخرين ، كما يقتضي الشعور بذوات أخرى ينصب الانسان نفسه أمامها . ففي كل نزوع أناني إذن نزعة غيرية .

١٠ — وفرّقوا بين الاختيار والارادة فقالوا الإرادة نزوع النفس وميلها الى الفعل ، أما الاختيار فهو ميل مع تفضيل ، كأن المختار ينظر الى طرفي المقدور ، والمريد لا ينظر إلا إلى الطرف الذي يريده . قال الفارابي : « إن الانسان قد يتقدم فيختار الأشياء الممكنة ، وتقع إرادته على أشياء غير ممكنة ، مثل ان الانسان يهوى أن لا يموت . والارادة أعم من الاختيار ، فان كلّ اختيار إرادة ، وليس كل إرادة اختياراً » . (الفارابي ، رسالة المعلم الثاني في جواب مسائل سئل عنها ، ص ٩٨) . وأصل الاختيار افتعال من الخير . ولذا قيل الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره ، وهو أخص من الارادة والمشيئة . نعم قد يستعمل المتكلمون الاختيار بمعنى الارادة أيضاً حيث يقولون فاعل بالاختيار وفاعل مختار ، ولكن الاختيار لم يرد بمعنى الارادة في اللغة .

وفرقوا أيضاً بين الارادة والشهوة ، فقالوا إن الانسان قد يريد شرب دواء كريه فيشربه ولا يشتهيه ، بل ينفر عنه ، وقد يشتهي ما لا يريده بل يكرهه ، ولهذا قالوا إرادة المعاصي مما يؤاخذ عليها دون شهوتها .

وفرقوا أخيراً بين الإرادة والمشيئة فقالوا الإرادة طلب الشيء والمشيئة الايجاد ، ولكن المشيئة في الأصل مأخوذة من الشيء وهو اسم للموجود ، وكذلك الارادة فهي تقتضي الوجود لا محالة . فلا فرق إذن بين الإرادة والمشيئة إلا بالنسبة الى الإنسان ، لأن إرادة الانسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، ومشيئته لا تكون إلا بعد مشيئته . أما بالنسبة الى الله فان الإرادة والمشيئة بمعنى واحد .

١١ — والارادة إذا استعملت في الله دلت على معنى سلبي ، ومعناه أنه تعالى غير مغلوب ولا مستكره ، أو على معنى ثبوتي ، ومعناه العلم أو صفة زائدة على العلم . والفلاسفة الذين يقولون ان إرادة الله ليست صفة زائدة على ذاته كإرادتنا يقررون ان إرادته عين حكمته وحكمته عين علمه . والإرادة حقيقة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى ، إذ لو تعددت إرادة الفاعل المختار أو تعلقها لم يكن واحداً من جميع الجهات . وقد قال الحكماء إن إرادته تعالى هي علمه بجميع الموجودات من الأزل الى الأبد ، وبأنه كيف ينبغي أن يكون نظام الوجود حتى يكون على الوجه الأكمل ، وبكيفية صدوره عنه حتى يكون الموجود على وفق المعلوم في أحسن نظام من غير قصد ولا شوق ، ويسمون هذا العلم عناية . وهذا كله يدل على أن الارادة بمعنى الميل أو النزوع أو الشوق لا تستعمل في الله ، لأنه تعالى غني عن كل نزوع وميل ، فمتى قيل أراد فمعناه حكم انه كذا وليس بكذا .

١٢ — والارادة عند المتصوفين هي ابتداء الكد وترك الراحة ، حتى لقد

قال (الجنيد) : الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريده . ولا تكون إلا بعد صدق النية ، وقيل هي الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق وابتداء الحكمة . قال ابن سينا : « أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة ، وهو ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس الى العقد الايماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى ، فيتحرك سره الى القدس لينال من روح الاتصال ، فما دامت درجته هذه فهو مريد » . (ابن سينا ، الاشارات ، ص ٢٠٢) .

الاستدلال

في اللاتينية	Ratiocinatio
في الفرنسية	Raisonnement
في الانكليزية	Reasoning

الاستدلال في اللغة العربية طلب الدليل ، وفي عرف الأصوليين والمتكلمين النظر في الدليل سواء كان استدلالاً بالعلة على المعلول أو بالمعلول على العلة . وقد يخص الأول باسم التعليل والثاني باسم الاستدلال . ولكن الأولى أن يطلق الاستدلال على إقامة الدليل لا على النظر في الدليل ، لأن الدليل قول مؤلف من أقوال يلزم من تسليمها لذاتها قول آخر ، وليس الاستدلال به النظر في الدليل وإنما هو إقامة الدليل .

والاستدلال عند بعضهم هو انتقال الذهن من الأثر الى المؤثر ، أو من المؤثر الى الأثر ، أو من أحد الأثرين الى الآخر (تعريفات الجرجاني) . فاذا كان انتقالاً من الأثر الى المؤثر أو من المعلول الى العلة سمي استدلالاً انياً ، واذا كان انتقالاً من المؤثر الى الأثر أو من العلة الى المعلول سمي استدلالاً لمياً .

والاستدلال في اصطلاحنا هو تسلسل عدة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقفاً على الأول اضطراراً ، فكل استدلال هو إذن انتقال من حكم الى آخر ، لا بل هو فعل ذهني مؤلف من أحكام متتابعة إذا وضعت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها . وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا اذا كانت مقدماته صادقة .

وهذا كله يدل على أن المنطق وعلم النفس كليهما يشتركان في بحث الاستدلال . إلا أن المنطقي ينظر في الاستدلال الكامل من حيث هو مؤلف من قضايا مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً ضرورياً ، فيعرف أنواع الاستدلال ، ويرتبها بحسب قيمتها ، ويفرق بين الاستدلالات المنتجة والاستدلالات غير المنتجة ، أما العالم النفسي فيبحث في الاستدلال من حيث هو فعل ذهني لا من حيث هو صحيح أو فاسد ، فقد تختلف قيمة الحجج العقلية في نظر المنطقي من حيث قربها من الصواب أو بعدها عنه ، ولكن قيمتها في نظر العالم النفسي واحدة ، لأنه إنما ينظر في حركة الذهن ، وكيفية تكون الحجج العقلية ونشوئها ، لا في صحتها وفسادها .

والمتقدمون من فلاسفتنا يقسمون الاستدلال الى ثلاثة أنواع : القياس والاستقراء ، والتمثيل ، « وذلك لأنه اما أن يحكم على الجزئي لثبوت ذلك الحكم في الكلي وهو القياس ، أو يحكم على الكلي لثبوته في الجزئي وهو الاستقراء ، أو يحكم على الجزئي لثبوت الحكم في جزئي آخر وهو التمثيل » (راجع لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ، وهي تهذيب اشارات ابن سينا ، ص ٣٢ من طبعة مصر ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين لفخر الدين الرازي ، ص ٣٢ مع تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي في ذيله) .

والأولى أن يقسم الاستدلال الى استنتاج ، واستقراء ، وتمثيل ، لأن الاستنتاج

أعم من القياس ، وكل قياس فهو استنتاج ، وليس كل استنتاج قياساً (راجع : القياس ، والاستنتاج ، والاستقراء) .

وجملة القول ان الاستدلال هو استنباط قضية من قضية أو من عدة قضايا أخرى ، أو هو حصول التصديق بحكم جديد مختلف عن الأحكام السابقة التي لزم عنها . والمعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الاستدلال هي المعرفة غير المباشرة ، أما المعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الحدس فهي المعرفة المباشرة ، وتسمى الأولى معرفة استدلالية أو كلامية (Connaissance discursive) والثانية معرفة حدسية (Connaissance intuitive) (راجع الحدس) .

الاستعداد

في اللاتينية	Dispositio
في الفرنسية	Disposition
في الانكليزية	Disposition

الاستعداد للشيء هو التهيؤ له ، وعند فلاسفة القرون الوسطى هو كيفية تحصل للشيء بتحقق بعض الأسباب والشرائط ، وارتفاع بعض الموانع . وتسمى تلك الكيفية استعداداً ، والقبول اللازم لها إمكاناً استعدادياً وقوة . فللاستعداد إذن معنيان أحدهما الكيفية المهيئة والثاني القبول اللازم لها . قال ابن سينا : « وليس الاستعداد الا مناسبة كاملة لشيء بعينه هو المستعد له . وهذا مثل ان الماء اذا أفرط تسخينه فاجتمعت السخونة الغريبة والصورة المائية ، وهي بعيدة المناسبة للصورة المائية ، وشديدة المناسبة للصورة النارية ، فاذا أفرط ذلك واشتدت المناسبة اشتد الاستعداد فصار من حق الصورة النارية أن تفيض ومن حق هذه أن تبطل » (ابن سينا ، النجاة ص ٤٦٢) . فاستعداد الشيء هو

إذن كونه بالقوة القريبة (prochaine) الى الفعل أو البعيدة عنه (éloignée) وهو أقل ثبوتاً من العادة .

ونحن نطلق اليوم اسم الاستعداد على الأهليـة (Aptitude) وهي صفة جسمانية أو نفسانية تجعل صاحبها أهلاً لممارسة عمل معين . والاستعداد بهذا المعنى مألوف عند علماء النفس المعاصرين : قال (كلاباريد ـ Claparède) : « ان معنى الأهلية يتضمن معنى الاستعداد الطبيعي والاختلاف الفردي . قد نتكلم أحياناً على الأهليات المكتسبة ونعني بذلك في الحقيقة استعداداً طبيعياً للاستفادة من التجربة ، أو لاكتساب عادة أو سرعة ومهارة . فلو كان لجميع الناس قابلية واحدة واستعداد واحد للاستفادة من التعلم لما كان لمعنى الأهلية فائدة » ، (راجع كتابه Comment diagnostiquer les aptitudes chez les écoliers (1924))

الاستقراء

في اللاتينية Inductio

في الفرنسية Induction

في الانكليزية Induction

الاستقراء في اللغة التتبع ، من استقرى أو استقرأ الأمر اذا تتبعه لمعرفة احواله ، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلي لثبوته في الجزئي . قال الخوارزمي : « الاستقراء هو تعرف الشيء الكلي بجميع اشخاصه » (مفاتيح العلوم ص ٩١ من طبعة مصر) ، وقال ابن سينا : « الاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، اما كلها وهو الاستقراء التام ، وأما أكثرها وهو الاستقراء المشهور » (النجاة ص ٩٠) .

فالاستقراء إذن قسمان تام وناقص .

١ — أما الاستقراء التام (Induction complète) فيسميه بعضهم قياساً مقسماً . ونحن نسميه استقراء صورياً (Formelle) وهو كما بين أرسطو حكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه . مثال ذلك الجسم اما حيوان أو نبات أو جماد ، وكل واحد من هذه الأقسام متحيز ، فينتج من ذلك ان كل جسم متحيز . وهذا الاستقراء التام الحاصر لجميع الجزئيات مبني على القسمة . ويشترط في صدقه أن يكون حاصراً لجميع أقسام الكلي وأن لا يؤخذ جزئي مشكوك فيه في أجزاء القسمة . والفرق بين هذا الاستقراء الصوري والقياس ان القياس يحكم على جزئيات الكلي لوجود ذلك الحكم في الكلي ، أما الاستقراء الصوري فيقلب هذا الأمر ويحكم على الكلي لوجود ذلك الحكم في جميع جزئياته ، وهو نافع في البراهين لأنه يلخص الأحكام الجزئية ويجمعها في حكم كلي واحد .

ومن أنواع الاستقراء التام الاستقراء الرياضي (Induction mathématique)، وهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . وهذا الاستقراء الذي ذكره (هنري بوانكاره) فبين أن القضية اذا كانت صادقة بالنسبة الى (ن = ١) و (ن = ٢) كانت صادقة بالنسبة الى جملة (ن + ١) وغيرها من الأعداد التامة ، كان (بوترو) قد أشار اليه قبله فبين أن الرياضيين يبرهنون أولاً على قضية خاصة جزئية ثم ينتقلون منها الى قضية أعم منها . ويسمي (هنري بوانكاره) هذا الاستقراء الرياضي بالاستدلال الارجاعي (Raisonnement par récurrence) (راجع هذا اللفظ) .

٢ — وأما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكلي بما حكم به على بعض جزئياته ، وانما قلنا على بعض جزئياته لأن الحكم لو كان موجوداً في جميع الجزئيات لم يكن استقراء ناقصاً بل استقراء تاماً . والمثال في ذلك ان جسم

كل (غاز) متناسب والضغط الواقع عليه تناسباً عكسياً ، لأن الهيدروجين والأوكسيجين والآزوت وغيرها تحقق ذلك . ففي هذا الاستقراء انتقال من الحكم على بعض جزئيات الكلي الى الحكم على جميع جزئياته ، وهو لا يفيد يقيناً تاماً ، بل يفيد ظناً لجواز وجود جزئي آخر لم يستقرأ ويكون حكمه مخالفاً للجزئيات التي استقرئت . « بل ربما كان المختلف فيه والمطلوب بخلاف حكم جميع ما سواه » (ابن سينا ، الاشارات ص ٦٤) . ويسمى هذا الاستقراء الناقص استقراء موسعاً (Amplifiante) لأنه لا ينحصر في الجزئيات التي استقرئت ، بل يتعداها كما قلنا الى جزئيات لم تستقرأ ، ويسمى أيضاً استقراء علمياً لأنه ينتقل من الحوادث الى القانون ، أي من الحكم على الحقائق المشاهدة في زمان ومكان محدودين الى الحكم على جميع الحقائق حكماً عاماً غير محدود بزمان أو مكان ، وقد وضع (بيكون) و (استوارت ميل) قواعد لهذا الاستقراء تسمى بقواعد الاستقراء . (راجع طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة البواقي ، وطريقة التلازم في التغير) . وهي موضوعة لاختبار صحة الفروض العلمية ، إلا انها لا تبرهن على صدق القانون إلا بالنسبة الى الحقائق المشاهدة . فلماذا نسلم إذن بقانون طبيعي شامل لجميع الجزئيات ونحن لم نستقرئ هذه الجزئيات كلها ؟ لماذا اعتبرنا ما لم نشاهده بما شهدناه مع أن تجاربنا محدودة في الزمان والمكان ؟ الجواب على ذلك أننا نؤمن بالعلّية ، ونعتقد أيضاً أن الطبيعة خاضعة لنظام عام ثابت لا يشذ عنه في المكان والزمان شيء . ويسمى هذا الاعتقاد مبدأ الحتمية Principe de déterminisme (راجع هذا اللفظ) .

وها هنا ثلاث مسائل لا بد من الإشارة اليها :

آ — هل يستند الاستقراء الناقص الى أساس نفسي ، ما هي العوامل النفسية التي تدعونا الى التسليم بصدق أحكام كلية لم نجربها الا في حالات جزئية محدودة ؟

ب — هل الاستقراء الناقص حق ، ما هي الشروط اللازمة لاختبار صحة الفرضيات .

ج — ما هو مبدأ الاستقراء ، هل يمكننا ان نرجع حالات الاستقراء كلها الى قاعدة منطقية محددة . (راجع Lalande , Vocabulaire de philosophie, art. induction)

الاستنتاج

في اللاتينية Deductio

في الفرنسية Déduction

في الانكليزية Deduction

الاستنتاج في اصطلاحنا هو استخراج النتائج من المقدمات ، وهو اصطلاح جديد ، لا نجده في كتب التعريفات ، ولا في معاجم الاصطلاحات القديمة ، ولكننا نجد الفلاسفة القدماء يستعملونه في كلامهم على القياسات البرهانية دون أن يميزوا هذا الفعل الذهني عن صورة القياس . مثال ذلك قول ابن سينا : « المطلوب الضروري يستنتج في البرهان من الضروريات ، وفي غير البرهان قد يستنتج من غير الضروريات » (الاشارات ص ٨٢) ، وقوله : « وأما ان كانت المقدمة سالبة وأريد استنتاج موجبة بقياس الدور فلا يمكن الا أن يكون المسلوب خاص السلب عن الموضوع ، فلا يسلب عن غيره » (النجاة، ص ٨٤) . ولم يميز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس إلا في الأزمنة الأخيرة ، فأطلقه الفلاسفة المتأخرون على الاستدلال المؤلف من الحكم على صدق قضيه تسمى بالتالي (Conséquence) ، لثبوت ذلك الحكم في قضية أو عدة قضايا تسمى بالمبادئ (Principes) . فالصفة الأساسية للاستنتاج هي إذن لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً ، سواء كان ذلك الاستنتاج صورياً كالقياس ، أو تحليلياً أو تركيبياً كالبرهان الرياضي . فاذا أنكرنا النتيجة بعد التسليم بالمبادئ وقعنا في التناقض .

وللاستنتاج ثلاثة أنواع : الاستنتاج الصوري ، والاستنتاج التحليلي ، والاستنتاج التركيبي أو الانشائي .

أما الاستنتاج الصوري (Déduction formelle) فهو القياس (راجع هذا اللفظ) ، وهو استنتاج صدق قضية أو كذبها على افتراض صدق أو كذب قضية واحدة أو عدة قضايا . ومن صفاته : (١) لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً . (٢) ليس في النتيجة علم زائد على المقدمات . (٣) لا تصدق النتيجه ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات أو كذبها . وهذه الصفة الأخيرة تدل على ان الاستنتاج الصوري هو استنتاج شرطي .

وأما الاستنتاج التحليلي (Déduction analytique) فهو الاستدلال المؤلف من مقدمات مركبة اذا وضعت استخرج العقل منها بسائط داخلة فيها كالبرهان التحليلي (في الرياضيات) المؤلف من سلسلة من القضايا أولها القضية المراد اثباتها وآخرها القضية المعلومة . فاذا انتقلنا من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية نتيجة للتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها .

وأما الاستنتاج التركيبي (Déduction synthétique) أو الانشائي (constructive) فهو الانتقال من المبادئ البسيطة الى النتائج المركبة ، مثال ذلك التركيب الرياضي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً . وقد سمي انشائياً لأن نتيجته ليست داخلة في مقدماته . بل هي لازمة عنها وزائدة عليها . ان مساواة مجموع زوايا المثلث لزاويتين قائمتين ليست قضية داخلة في القضية المتقدمة عليها في كتاب الهندسة ، بل هي حلقة جديدة في السلسلة لازمة عن الحلقات السابقة اضطراراً . فكل قضية جديدة تكسبنا علماً جديداً زائداً على المقدمات ، وتنقلنا من المعلوم الى المجهول . كأن هناك بناء ينشئه العقل إنشاء ، ويركبه تركيباً . والفرق بين هذا الاستنتاج والقياس أن القياس هو

انتقال من العام الى الخاص ، أما الاستنتاج الانشائي فهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . والنتيجة في القياس داخلة في المقدمات ، في حين ان علاقة المقدم بالتالي في الاستنتاج الرياضي ليست علاقة شمول أو تضمن وإنما هي علاقة التزام . لذلك قال ديكارت : القياس المنطقي عقيم ، والاستنتاج الرياضي منتج .

ثم ان الاستنتاج والاستقراء متقابلان ، والطريقة الاستنتاجية المستعملة في العلم الرياضي مضادة للطريقة التجريبية والاستقرائية المتبعة في العلم الطبيعي . ولكن (استوارت ميل) زعم أن هناك تقابلاً بين الاستقراء والقياس ، لا بين الاستقراء والاستنتاج ، لأن الاستقراء هو انتقال من الخاص الى العام ، والقياس انتقال من العام الى الخاص . أما البرهان الاستنتاجي فهو سلسلة من الاستدلالات العقلية المضادة للبرهان التجريبي لا للاستقراء .

وقد زعم ديكارت ان الاستنتاج والحدس متقابلان ، لأن الحدس هو الادراك المباشر لعلاقة المبادئ بالنتائج ، أما الاستنتاج فهو حركة فكرية متصلة تدرك الأشياء واحداً بعد آخر ادراكاً بديهياً . فالعقل اللامتناهي يدرك النتائج في المبادئ دفعة واحدة ، أما العقل المتناهي فلا يدرك إلا عدداً محدوداً من الحقائق ولا يصل الى النتيجة إلا بعد نسيان المبادئ الأولى .

والاستنتاج المتعالي (Déduction transcendentale) عند (كنط) هو البرهان على امكان انطباق الكليات القبلية (a priori) على التجربة ، وهو مقابل للاستنتاج التجريبي القائم على استخراج الكليات العقلية من التجربة الحسية .

(يتبع) جميل صليبا

رسالة الأنوار
المقتبسة من أوار النار

لأمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود التنوخي

دالت الدولة الأموية ، وانتقلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد ، ولكن ظلت بلاد الشام أمينة على التراث الأدبي العربي ، تتعهده وتنمّيه ، وظلت حواضرها موئل البلغاء من الكتاب والشعراء ، ما انقطع نبوغهم فيها ووروده إليها . وكان قيام بعض الأسر العربية بتولي شؤونها وتدبير أمورها عوناً على تعهد الأدب حتى لا تنطفئ شعلته ولا تصوّح نبتته . وفي شيء من ذلك يقول أبو منصور الثعالبي في يتيمته : « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام ... والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على مَن سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد .. ولمّا جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقيه العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ... انبعثت قرائحهم في الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام وأبدعوا ما شاءوا ... »[1]

(١) يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي ، (ص ٨ ج ١ ط القاهرة سنة ١٩٣٤) .

وظل الأدب الجيد بأرز إلى الشام حتى في العصور التي زهد الناس فيها به ، وانصرفوا عنه إلى الأدب المبتذل الرخيص .

وكان الأدباء يعقدون حلقات للمذاكرة والمناظرة والمحاضرة ويتناشدون أجمل الأشعار مما حفظوا أو نظموا ، وإذا كان في بعض مقامات الحريري وصف خيالي لمثل هذه المجالس الأدبية ففي «رسالة الأنوار» التي ننشرها اليوم وصف حقيقي لجلسة أدبية طريفة ضمت فئة من فضلاء الشام في القرن السادس ، أداروا القول فيها على وصف النار والفحم ، ورووا محاسن ما جاء به الشعراء المتقدمون والعصريون في ذلك .

أما مؤلف هذه الرسالة فهو أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن حمّود [١] بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب ، ولد سنة ٥٧٠ / ١١٧٤ ورحل وسمع بدمشق من جماعة من جلة علمائها ، وعُني بالأدب . وقد كتب لصاحب صرخد المملوك عز الدين ايبك ووزر له ، حتى قتل عز الدين سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ . ثم توفي المؤلف سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ [٢] .

كان التنوخي هذا شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر لم يصل الينا ، ولكن صاحب فوات الوفيات [٣] اختار من شعره نماذج جميلة أثبتها في ترجمته له ، وهي في الحث على طلب علم الحديث وفي الوصف والحكمة والغزل والعتاب ... ويذكر من ترجموا له أنه كان خيّراً ديّناً كامل الأدوات .

---

(١) يخطىء بروكلمان عندما يجعل هذا الاسم (محمود) في كتابه : تاريخ الأدب العربي (G. A. L.) ج ١ ص ٢٥٧ وفي ذيله ج ١ ص ٤٥٧ .

(٢) ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان تطبيع جعل وفاته سنة ٦٣٤ . ثم ورد التاريخ صحيحاً في الذيل .

(٣) في الجزء الثاني ص ١٠ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .

وقد جمع كتاباً في الأخبار والنوادر في عشرين مجلداً ضاع في ثنايا الزمن ولم يصل الينا منه إلا اسمه ، على أنّ له كتاباً آخر عرفناه له ، واسمه (مفتاح الأفراح [1] في امتداح الراح) في الخمرة وشربها كان قد قدمه للأمير عيسى ابن أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٤ / ١٢٢٧ [2] . ومنه مخطوطات في برلين وڤينا والقاهرة ولندن [3] .

أما الرسالة التي ننشرها له اليوم فلا أعلم أن أحداً ممن تحدثوا عنه قد ذكرها له . وقد وقعتُ عليها عندما كنتُ أنقب في خزانة كتب المجمع العلمي العربي ، فوجدتُ مصورة مخطوط رقمها ٦١ كان المجمع قد اشتراها سنة ١٩٤٣ من أحد الورّاقين الدمشقيين ، وكان قسم التصوير في مطبعة دار الكتب المصرية قد صورها سنة ١٩٣٣ . وقد علمتُ فيما بعد أن مخطوط هذه الرسالة كان موجوداً في خزانة كتب المرحوم الأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي الدمشقي ثم بيع في مصر منذ فترة إلى السيد أمين الخانجي ، ولا ندري أين مقر هذا المخطوط اليوم . ويبدو مما كتب على غلاف هذه الرسالة أنها كانت قد دخلت قبل ذلك في ملك أحد أعيان الشام وهو السيد عبد الكريم بن محمد الحسيني . وكانت هذه الرسالة مضمومة في كناش إلى كتاب (المختار من كتاب الحدائق) في البلاغة ومنثور الحكم من كلام الفضلاء ونوادر البلغاء والفصحاء ، وإلى ثلاث صفحات ألفها قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد بن يحيى بن محمد بن علي في حل أبيات ثلاثة لابن الرومي . وهذا الكناش مصور برمته في

(١) في بعض نسخ (كشف الظنون) لحاجي خليفة : مفتاح الأرواح .
(٢) وهنا تطبيع آخر وقع في تاريخ الأدب لبروكلمان فقد جعل السنة ١١٢٧ .
(٣) ممن ترجم للمؤلف : محمد بن شاكر الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في (فوات الوفيات) ، وراغب بن محمود بن هاشم الطباخ في الجزء الرابع من (اعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء) طبعة حلب سنة ١٩٢٥ ، وجرجي زيدان في الجزء الثالث من (تاريخ آداب اللغة العربية) وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ....

خزانة المجمع العلمي العربي ، وفي دار الكتب المصرية (تحت رقم ٨٥٠٣) ، كما يشير إلى ذلك الجزء السابع من قسم الفهارس العربية فيها (ص٩٦) المنشور سنة ١٩٣٨م[1] .

يقع مخطوط (رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار) في تسع وثلاثين صفحة ، في كل منها أحد عشر سطراً في الغالب وقد كتبت في مطلع القرن السابع وسمعها جماعة من كبار فضلاء ذلك العصر على مؤلفها ، تجد ثبتاً بأسمائهم في آخر الرسالة كما تجد تاريخ السماع واسم كاتبه هنالك .

وخط الرسالة واضح جليّ وشكلها جيد صحيح في الجملة . على أن من عادة الناسخ أن يجعل أحياناً تحت السين ثلاث نقاط وتحت الدال نقطة واحدة ويسهل الهمز ويسقط بعض النقط ويجعل الهمزة ـ عندما يثبتها ـ تحت كرسيها ، وقد يضع نقطتين فوق الياء وفوق الألف المقصورة ... وفي هامش الرسالة تصويب واستدراك لما أخطأ فيه الناسخ ، أثبته مَن سمع الرسالة من مؤلفها .

***

أما هذه الرسالة فهي طرفة أدبية جميلة ، متينة النسج في جملتها ، مشرقة الأسلوب في سبكها ، فيها صورة دقيقة لناحية مما كان يعنى به أدباء القرن السادس من الأغراض والمعاني ، ونموذج جيد من نقدهم وذوقهم الأدبي . ولغتها سليمة على العموم ولكن بعض السجع الغالب على الرسالة غث متكلف .

يبدو صاحب الرسالة في مقدمتها يرمّ بعيشه في حلب ، مؤثراً المقام في دمشق ، ثم يُظهر في ثنايا الرسالة اعتداده بنفسه ، وفخره بشعره ، وزهوه بأدبه ، واستصغاره أحياناً شأن من عاصره من الشعراء وهو في هذا يذكرنا بابن الأثير في مثله السائر .

وفي الصفحات التالية تنشر هذه الرسالة الفريدة لأول مرة :

(دمشق) عبد الهادي هاشم

---

(١) يجعل مفهرس دار الكتب رسالة الأنوار : مقامة أدبية في وصف نار العجم ، وهو تطبيع صحيحه : في وصف نار الفحم .

رسالةُ الأنوار

المقتبسةِ من أوار [١] النار

صنعة السيد الفاضل الصدر العدل الرضي ، أوحد دهره وفريد عصره ، مقدّم الفصحاء والبلغاء ، أفضل الكتّاب والوزراء ، رئيس الأدباء والشعراء ، أمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود ابن المحسّن التنوخي الحلبي الكاتب ، أدام الله علاه ، وكبت حسّاده وأعداه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كنتُ أمليتُ عليك ـ أطال الله في المجد الراسخ بقاءك ، وأدام في الجدّ الشامخ ارتقاءك ، في سعادة تحرس لك المراتب ، وتخرس عنك لسان العايب والعاتب ، ـ بعد محاضرة تجاذبنا أطراف طُرَفها ، ومذاكرة تشاربنا سُلاف سُلَفِها [٢] ، ما جرى لي بحلب ، مع سادة من أهل الأدب ، وجماعة من أتراب الرُتب ، يُعْجِب الأسماعَ حديثُه ، ويُطْرِب الطباعَ قديمُه وحديثه ، وتستطرفه النفوس ، ويستلطفه الرئيس والمرءوس ، تُعْقَد عليه الخناصر ، ولا يَمَلُّ إيرادُه المتناصر [٣] ، فهزّك طربا ، واستفزّك عُجْباً وعَجَبا ، واقترحتَ عليّ الاهتمام بتسجيله ، واقتدحتَ زناد الاعتزام لتحجيله ، واستفتحتَ بالتعوذ من تأخيره وتأجيله ، فأنسيتُه « وما أنسانيه إلا الشيطان »[٤] ، وأهملتُه إهمالاً ألهمنيه

(١) الأُوار : اللهب .

(٢) ضبطت هذه الكلمة في الأصل المسموع على المؤلف بفتح السين ، ولكننا نرى الضم أولى ، ومعنى السُلفة كما في اللسان : ما تدخره المرأة لتتحف به من زارها .

(٣) تناصرت الأخبار : صدّق بعضها بعضاً .

(٤) اقتباس من الآية الكريمة ٦٤ من سورة الكهف ١٨ .

الحرمان ؛ ثم أجلَتْ [١] عن الخاطر الغُمّةُ ، وأنجلتْ عن الناظر الظلمة ، وادّكرتُه ولكن بعد أمّة [٢] ، فأودعتُه صحيفةً لطيفة ، لتكون على متحمّلها خفيفة ، وإلى متحفّظها أليفة .

وذلك أنه لما كانت سنة ست وتسعين وخمس مائة حدث لي من الضجر ، بحلب في صفر ، ما أوجب لي عنها السفر ، ونعب به طائر البَيْن وصَفَر ؛ فخرجتُ منها لا خائفاً مترقّبا [٣] ، بل عن أهل الفضل منقّبا ، ورأيت من وجوه الأمل سافراً ما كانُ متنقّبا ، وسعيتُ لأعلام العلوم متطلّبا ، ومع تصاريف الصروف متقلّبا .

فلما أظفرتْني بدمشقَ يدُ السفَر ، وأسفرتْ لي بها طلعةُ الظَفَر ، ألفيتُها كما وصفها أهل الظَرف ، وفيها كل ما يشوق القلبَ ويروق الطَرف ، وتلقّاني شيبُها وشبابُها [٤] ، وشعراؤها وكتّابُها ، وخطباؤها وحُسّابُها ، بما حسُن به عند نفسي اغترابُها ، وهَجُن به لديها وطنُها وأترابُها ، وأنساني حلب وإنْ كانت «أول أرض مَسّ جلدي ترابُها» [٥] ؛ وحمّلني أهلها من الكرامة ، ما حملني على اتخاذها دار إقامة ، وقلتُ : الحمد لله الذي أحلّني من فضله دار المُقامة [٦] ، وهززتُ جذوعَها فساقطت عليّ رُطَباً جَنيّا [٧] ، وامتريتُ ضروعَها فأدرّت لديّ حَلَباً هنيّا ، وبلوتُ [٨] بَنيها فألفيتُ كلاًّ بي حفيّا ،

---

(١) أجلى ، على اللزوم لا التعدية : تفرق وانفرج .
(٢) الأُمة : الحين .
(٣) اقتباس من الآية الكريمة ٢٠ من سورة القصص ٢٨ .
(٤) في الأصل : وشبّانها ، وما أثبتناه أكثر ملاءمة لأسلوب المؤلف في هذه الرسالة .
(٥) هذا شطر من أبيات ثلاثة اختلف في قائلها وروايتها ، وأشار إلى بعضها أو كلها كثير من كتب اللغة والأدب كاللسان (في نوط) والأمالي (١ / ٨٣) وسمط اللآلي والكامل وزهر الآداب ....
(٦) اقتباس من الآية الكريمة ٣٢ من سورة الملائكة ٣٥ .
(٧) اقتباس من الآية الكريمة ٢٤ من سورة مريم ١٩ .
(٨) في الأصل : وحالفت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

فما أنسَ لا أنسَ الزمان الذي بها تولّى وعيشاً كنتُ أنهبُه نهبا
وصحبةَ قوم كلّما شئتُ أن أرى وجوهَهم الغُرَّ الحسان أرى الشُهبا
وهل أنا ناسٍ ما يذكرني به أصيلُ نهاري والنسيمُ إذا هبا

ولما كانت سنة ستمائة عُدتُ الى حلب لمهمة عرَضَتْ ، ومداواة نفس بالشوق إلى إلفٍ لها مرِضَتْ ؛ حتى إذا حللتُ بربُحبها ، وحللتُ رُحبا [١] السفر للإقامة بها ، واستراحت نفسي باستنشاء رَوْح صَباها ، لم أجد منها ما كنتُ أعهدُه من عمارة مَعْهَد صِباها ؛ فعلمتُ أن محاسن أهل دمشق قد أفسدَتْ عليّ ناظري ، وأن إحسانهم قد شغل عن سواهم خاطري ، وخفتُ أن تفيظ [٢] مهجتي ، لما كادت تغيض بهجتي .

وكان بحلب وزير فاضل ، يُعنى بالأفاضل ، ويطرهم بجائب الفواضل ، وهو نظام الدين أبو الحسين سبط جمال الدين بن الحصين ؛ فعطف عليّ عِطفةَ الظباء على الأطلاء ، وخفّ إليّ خِفةَ المحبين إلى الأحباء [٣] وجذبني الى الوطن ، بما قرُب من الوعظ وما شطن [٤] ، ورغّبني في العود إلى العطن ، بما ظهر من النصح وما بطن ؛ فلم أزِدْ على طول الرياضة إلا شماساً ، ولم أفدْ على كثرة التَرجّي إلا ياسا . وقد كان فاوضني في مثل هذا بدمشق ، وعارضني بأشدّ من هذا القول وأشق ، وهيهات لا يؤثر معوَل الباطل في صفا الحق . فلما رآني بحلب ، توهم أن خِلف خَلَبه قد حلب ، وحكم بأن مُضارب عَذْله جاب وجلب ، وحسب أن استعطافه قد خامر خِلْب [٥] كبِدي فخَلَب ، وظنّ

(١) حلّ الأولى بمعنى نزل وأقام والثانية بمعنى فك ، والحبا أو الحبى بضم أوله وكسره جمع حبوة .
(٢) فاظ يفيظ : مات .
(٣) في الأصل : أطلائها ... وأحبائها . وما ذكرناه من تصحيح الهامش .
(٤) شطن : بَعُد .
(٥) خِلب الكبد : حجابها .

أنه ظفر منّي بما كان طلب ؛ فجعل يبشّرني بانجاح طلبي ، ويعدني بمخاطبة سلطانه بسببي ، ويُقْسِم بالله جَهْدَ أيمانه ليجتهدَنّ في إدراك أَرَبي ؛ فلانت للمقام عريكتي ، وهامت في وادي الانتظار قَرونتي [1] وبشّرني التماعُ أسارير مسرتي ، بمساعدة القضاء على إنجاز قضيتي .

فبَيْنا أنا ذاتَ ليلة ليلاء ، مدلهمّة سوداء ، تُساورني من أساود الهموم كلُّ ضئيلة رقشاء ، وبواثبني من أسود الطمع كلُّ أغلب وغلباء ، إذ استدعاني الوزير بجماعة من أصحابه ، فيهم مقدّم حجّابه ، وأمامَهم من المشاعل ما أعاد الليل نهاراً ، ومن الشموع ما خِلتُه أشجاراً أثمرت نارا ، وشاع من أشعّة أضوائها ما عاد به جُرفُ الظلام منهارا ، وخيلتْ حنادس الظلماء جناتِ فاضت (عليها) [2] أنواء الأنوار (فأجرت خلالها) [2] أنهارا . فأيقنتُ أن ليل الوفاء [3] قد أقمر ، وعُود الرجاء قد أثمر ، فنهضتُ نهوض المُنْشَطِ من العِقال ، وخرجت خروج مَن أُفرج عنه بعد الاعتقال ، وجعلتُ أمشي مِشية المختال ، وأهتزُّ اهتزاز مَن أظفرَه بمُراده لُطْفُ الاحتيال . فلما دخلتُ عليه ، أجلسني إليه ، وأكرم مثواي ، وهنّأني ببلوغ مُنايَ ، فسُررتُ سرورَ المجدي بعد العَدَم ، والمهتدي بالعَلَم بعد الضلال في دياجير الظُّلَم ، ونظرتُ فإذا مجلسه غاصٌّ ، بالفضلاء الخواصّ ، ومن ذوي الأدب ، بكل من شَعَرَ وكتب . وكان فيمن حضر من الأدباء ، سالمُ بن سعادة الحمصيُّ [4] المقدّم في زمانه على الشعراء ، ذو الخاطرِ الماهر ، والشعرِ الباهر ، والطبعِ الذي هو لِعَواصي القوافي قاهر ، والفكرِ الذي هو لاقتناص شوارد المعاني ساهر ؛ إلاّ أنّه قد

(١) القرونة والعريكة : النفس .

(٢) ما بين القوسين استدراك وزيادة في الهامش .

(٣) في الأصل الحظ . وما ذكرناه مأخوذ عن الهامش .

(٤) شاعر معروف توفي سنة ٦١٨ ، وممن أشار إليه ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) (٨٤/٥) ط . القاهرة سنة ١٣٠٥ .

أرتجَ عليه في ذلك المجلس ، وبين يديه صحيفة ينظر فيها ولا يتبيس ، كأنما ينظر في صحيفة المتلمس [١] ؛ فتأمّلتُ الصحيفة الملقاة ، فإذا فيها مكتوبٌ بعد بسم الله :

اِشربْ هنيئاً عليك التاج مُرْتَفِقا في شاذَهُرَ وَدَعْ غُمدانَ لليمن

فأنت أولى بتاج المُلك تَلْبَسه مِن هوذةَ بن علي وابنِ ذي يزن [٢]

فقال لي الوزير ـ وكان ممّن هو لخرائد المحامد زير [٣] ، وبيده زمام التدمير والتدبير ، بيد أن يده كانت مُصانة [٤] عن التبذير ، ـ : إنه قد غُنّيَ بين يدي السلطان بهذا الشعر فاستحسنه لمّا جلّلتْه عليه ماشطةُ السُكر ، وخلع على قائله خِلَعَ الشكر ، وقال بعد ما أعمل في استحسانه عوامل الفكر : أمَا في أهل الأدب بجلباب مَن ينظم فينا مثل هذا المعنى ، لنُحلّيه من الشرف أعلى مَغْنى ، ونجعلَه بمَنْ كان مُغْتبِرا فاستغنى ؟ ثم أرسل بهذه الصحيفة إليّ ، وأمر باحضار الشعراء لديّ ، لأستَمْرِيَ [٥] مواطرَ خواطرهم المحلولة عزالي المزاد ، وأستقدح قرائحهم الوارية الزناد ، وأستقريَ كوامن ضمائرهم الهامّة في كل واد ، وقد نظم كلٌّ من جواهر بحره ما (عليه) [٦] تيسّر ، وتعسر على بعضهم ما تعسر ، وقد كنت مُفكراً فيما أعرض به للسلطان من ذكرك ،

(١) المتلمس : جرير بن عبد المسيح نديم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقصة الصحيفة التي كتبها ابن هند إلى عامله بقتل المتلمس مشهورة في كتب الأدب .

(٢) يضبط الأصل هذا الشطر بفتح الميم في (من) وضم الهاء المتطرفة في هوذة والنون في (بن) و (ابن) . ولما ذهب إليه وجه يفضله في رأينا الشكل الذي أثبتناه . أما هوذة (وهو ابن علي الحنفي صاحب اليمامة ممدوح الأعشى) فقد ضبط بفتح فسكون كما هو المشهور ولكن ذهب قوم إلى ضم أوله وسكون ثانيه ، راجع في ذلك تاج العروس في (هوذ) .

(٣) حذف المؤلف الألف من آخر الكلمة التزاماً للسجع فيما يظهر وله وجه .

(٤) كذا في الأصل وليس في اللغة أصان ، ولعل الناسخ أخطأ فجعل مصانة بدل مصونة ، ولم يفطن السامع والمؤلف .

(٥) استمرى اللبنَ ونحوه : استخرجه واستدره .

(٦) زيادة من استدراكات الهامش .

وأتوصل به إلى مخاطبته في أمرك ، وقد اتّفقتْ هذه الحركة ، وأرجو أن تكون مُقْتَرِنَة بالبركة ، ولصيد ما تُؤَمِّل شبكة ؛ فإن رأيتَ أن تَشْوي سمكتك في هذا الحريق ، وتُنْهِج الطريق ، وتَفْرِج المضيق ، بما تنظمه في هذا المعنى من شعرك الرقيق ، فافعل وبالله التوفيق . ثم أدنى إليّ دواة وبيضاء ، وقال : استَخِرِ اللهَ يُسَخِّرْ لك القضاء . فأعملتُ جواد الجَنان ، فجرى وما كبا ، وسلتُ حسام اللسان ، ففرى وما نبا ، وكتبتُ ، ما به حاسدي كَبَتْ ، وهو :

أيام مُلكِ غياث الدين ذي المنن ... لدى رعيته من أشرف الزمن [1]

مَلْك خلائقه أصفى لرامقها ... اذا تأملها من رائق الحُزُن

وما زجتْ كلّ ذي نطق مهابتُه ... لمّا بَلَوْه امتزاجَ الماء باللبن

كأنّما سيفُه والموتُ قد قُرِنا ... وأنفسُ القوم يومَ الرَّوْع في قَرَن

وأصبحتْ حلب البيضاء حين ثوى ... غازٍ بقلعتها من أحسن المُدُن

عَرِينَةُ الليث يحميها فكيف إذا ... كانت عرينتُه من أسمق القُنن

فقل له يا غياثَ الدين قد فَخَرت ... بك العواصم في الدنيا على اليمن

لِمْ لا تتيهُ بك البلدان فاخرةً ... وأنتَ منها محلُّ الروح في البدن

فاشربْ بقلعتك الشهباء صافيةً ... صهباء تَشفي سَقام الهم والحزن

فأنتَ أحرى بمُلك الأرض أجمعها ... من سيفِ حَمدان أو سيفِ بن ذي يَزَن [2]

لا زالَ تَرْفُل في بُرد العلى مرحاً ... ما غرّدتْ ذاتُ طوق في ذُرى غُصُن

ثم أرسَل مانظمه الجماعة الى السلطان ، على يد غلام من أفرَم الغلمان ، فوجده الغلام ، قد استولى عليه كَأْسا المَنام والمُدام ، وأصبح دمعُ كلّ من القوم

(١) في صلب النص (على) وفي الهامش (لدى) كما أثبتنا .

(٢) في الأصل المسموع على المؤلف فتحت ميم (من) والأواخر من (سيف) و (بن) . ولهذا الشكل وجه يفضله في رأينا ما أثبتناه . وجاء مثل ذلك في الصفحة السابقة ، راجع الحاشية الثانية فيها .

لتأخر الجواب سائلا ، وراح كلٌّ منهم عما أنتجتْ عُشَراءُ قضيته سائلا ، فلم يُسْمَعْ عن ذلك أثر ، ولا رؤِيَ له عينٌ ولا أثر .

وكان ابنُ سعادة الحمصيُّ كثير الاجتماع بفارس بن سنان الحلبيّ ، وكان فارسٌ من الشعراء المجيدين ، والأدباء المجدودين ، والفضلاء المجتهدين ؛ قد أربى على أقرانه ، وفاق أبناء زمانه ، وله كلٌّ شاردة القوافي ، سالمةُ القوادم والخوافي . فاجتمع به صبيحةَ الليلة التي فيها اجتمعنا ، ونَعِمْنا بالحضور والمحاضرة فيها واستمتعنا ، وأخبره بقدومي ، وبلغه تحيتي وتسليمي ، فوافاني من الغد مسلما مُهَنِّيا ، وناداني إلى منزله مستدعيا ؛ فأجبتُه الى مُراده ، وانطلقت معه طلَقَ العنان الى مَراده ؛ فاذا جماعةٌ من ذوي الأدب حاضرون ، وفي مَيْدان البيان مُحْضِرون ، وبأنواع الفصاحة والبلاغة متحاضرون ، فاستبشروا بموردي ، وأقبلوا على تقبيل يدي ؛ فما استقرّ بنا المجلس ، ولا رَجَع نفسَه المتنفِّس ، حتى أُحْضِر كانونٌ من الصفْر الأصفر ، وناره تحت فَحْمه كلابس مِغفر ، على قناع مزعفر [1] ، ودخانه أطيب من دُخَان العودِ الأذفَر ، شكله مربّع ، وأرجلُه أربع ، وقد أحسن فيه صانعه وأبدع ، واستفرغ جُهْده فيه أجمع ، يستوقف حسنه الأبصار ، وتعْوز مثلَه الأمصار ، ولُشَهِّي ناره دخولَ النار ، في يومٍ بَرْد (كأنّ) [2] كلّ مُكْتَسٍ فيه عارٍ ، وما اكتساء الكساء فيه بعارٍ ، كأنما نارُه وقد أخذتْ في أطراف الفَحَم ، ثغرُ سوداء ابتسم ، أو الفجرُ افترّ في وجه الظلام . فراق منظرُه الأعينَ ، وأفْحَم عن وصف ناره وفَحَمِه الألسنَ ؛ فقلتُ للحاضرين : أمَا ترون هـذا المنظر البَهِج ، كأنه صحن عقيق نُثِر عليه سَبَج ؟ ! [3] فقال مَن عن يميني : كأنّ منظره

(١) في المتن : مصفر . والذي أثبتناه مأخوذ عن الهامش .
(٢) زيادة في الهامش .
(٣) السبج : الخرز الأسود .

الأنيق ، بَنَفْسَج نُضِد على شقيق . وقال الآخَر : ما أشْبَهه بطبق من ذهب ، مُلِئَ بسودٍ من العنب . وقال رجل الى جانبه : كأنه أنامِلُ سوداء مُشَبَّكَةٌ على نارنجة صفراء .

فقلتُ : أنتم شعراء العصر ، ولِكم زمام المدّ والقصر ، وفصحاء أبناء الدهر ، وبلغاء البدو والحضْر ، ولكم في النظم كلّ عود نضر ، واليكم مرجع الأمر في صنعة الشعر . فما لَكم وللنثر ، وقد جمع منكم هذا المكانُ سادةً لا يساعد مثلَه على مثلِها الإمكانُ ، ولا واللهِ ليس له بأختها يدان ، ولو أطاع له القدرَ ودان ، فأنشِدوا يا ذوي الفضائل ، ما رويتموه عن مَن رأيتموه من شعر الأوائل ، فلديكم من الرواية كل فن طائل . فقال صاحب المكان ، وهو فارسُ بن سنان : أجل ما في مثل هذا أُنشِدَ ، وأجلّ ما به عليه استُشْهِد ، قول ابن المعتز الذي يزداد حسناً كلما رُدِّد :

كأنما النار في تلظّيها والفحم من فوقها يغطّيها[1]
زنجيّة شَبَّكَتْ أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

وقال سالم بن سعادة ، الذي ما فوق بلاغته زيادة : أبلغ أقاويل الشعراء ، في نار الاصطلاء ، قول السَّرِيّ الرفّاء :

وذي أربع لا يطيق النهوضَ ولا يألفُ السير فيمن سرى
نُضَمِّنُه سبجاً أسوداً فيجعله ذهباً أحمرا[2]

وقال الثالث ، فأنسى بإنشاده المثاني والمثالث ، وهو أحمد اللالائي الذي هو لكل فضيلة مترائي : أنْصَعُ ما خرج من بين شفتين ، وأصنَعُ ما ولج في

(١) ليس هذان البيتان في ديوان ابن المعتز المطبوع في القاهرة وبيروت واستانبول ، وتنسبهما بعض كتب الأدب إلى غيره وقد تجعل (تلهبها) بدل (تلظيها) .

(٢) أثبت هذين البيتين للسري الرفاء الثعالبي في يتيمته (١/٥١٠ من طبعة القاهرة ١٩٣٤) ولكنه ذكر (نحمله) بدل (نضمنه) .

أذنين ، قولُ أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين [١] :

ومُتْعَمَد لا حَرَاكَ يُنْهِضه وهو على أربع قد انتصبا
مصفّرِ مُحْرِقٍ تَنَفُّسه تخاله العينُ عاشقا وَصِبا
إذا تَظَمَّنا في جيده سبجاً صيّره بعد ساعة ذهبا

وقال الرابع ، وهو شابٌّ بحسن صورته رائع ، يَشْغَل بصباحته الرائي ويُذْهِل بفصاحته السامع ، دهِشْتُ عن معرفته ، بما شهدتُ من معرفته : أطرفُ ما أُنشِدَ في هذا المعنى المستجاد ، وألطف ما رُدِّد فيه الإنشاد ، ما نظمه فيه ظافرٌ الحدّاد:

كأنّ سواد الفحم من فوق جمرِهِ وقد جُمعا فاستُحْسِنَ الضدّ بالضدّ
غدائرُ خَوْدٍ فَرَّقَتْها وقد بَدَتْ على خَفَرٍ من تَحْتِها حُمْرةُ الخدّ

فقلتُ لهم : ابْلَغُ مِن الجميع ، وأبدعُ من البديع ، وأصنَعُ ما صُنِع في هذا المعنى الصنيع ، شعرُ أبي الحسن عليّ بن وَكيع [٢] :

فَحَمٌ أَحْضَرَ الغلام إلينا في كوانينه حياةُ النفوسِ
لَقِيَ النارَ في ثياب حِدادٍ فكَسَتْه مُصَبَّغاتِ عَروسِ
كان كالآبنوس غيرَ مُحَلّىً فاثْنَنى وهو مُذهَبُ الآبنوس

فاستحسنه الشبب والشبّان ، الحاضرون في ذلك المكان ، وقالوا : هذا والله من الأشعار الحسان ، التي تاج الآذان ، بلا استئذان . فقلتُ : كيف لو سمعتم شعرَ بعض المغاربة ، الذي ألحق طوالع كواكب الشعراء بالغاربة ؟ فقالوا : بالله إلاّ أسمعتنا ، وأدمتَ ما به أمتعتنا . فأنشدتُ ، وما ترددتُ :

هاتِ التي للأُبْك أصلُ ولادِها ولها جبين الشمس في الأشماسِ

---

(١) يروي هذه الأبيات صاحب اليتيمة (١٦٧/٢ من الطبعة المذكورة) لأبي بكر الخالدي ولا يشرك فيها أخاه أبا عثمان ، وهو يوردها في قصيدة طويلة .
(٢) يورد صاحب اليتيمة (٣١٧/١ و ٣٤٤ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في روايتها وينسبها لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي .

أنسُ الوحيد وصبحُ ليل المُعْتَشي ولباس مَنْ أمسى بغير لباس
بيضاء ترفُل في السوادِ كأنما ضَرَبَتْ بعرق في بني العبّاس

فقالوا : زِدْنا من إنشادِك ، لا حُدْتَ عن سَنَن رشادِك . فأنشدتُهم قول الصنوبري [1] ، الذي هو من الحسن مَبْرِيّ ، ومن العيب بريّ :

أما ترى البردَ قد وافت عساكره وعسكرَ الحرّ كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت سقيط الثلج تحسبها قد ألبستْ فَنَكاً أو غُشّيَتْ ورِقا
فانهض بنار الى فحم كأنهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سَلا برداً فصِرنا كقلب الصب إذ عشقا [2]

فطربت له الجماعة ، طربا كاد يُكْسِبُهم الزماعة [3] ، وقالوا : زدنا من هذه الأناشيد ، التي أحْكِم بناء معانيها وشيد . فقلتُ : أمَدُ إنشادي لا ينتهي ، وقوة مددي فيه لا تَهي ، وكلكم اذا نظم أزرى بمُونِقات العقود ، وأتى بأبيات مُؤنقات العُقود ، كأنها حلاوة ذوب العسل المعقود ، وتكاد إذا أُنشِدت تُلْحِق القيام سُكْراً بالقعود ؛ فانظِموا من فرائدكم المنتقاة ، وأنفقوا مما آتاكم الله ؛ فابتدر ربّ البيت ، وأنشد بَيْتَين أعذبَ مَذاقا من الكُمَيت ، ولم يَقُل كَيْتَ وكَيْت :

أُنْظر لكانونا وما فيهِ وقد بدا بيننا تَلَظّيه
يأخذ فَحْما كأنه سَبَج يتركه عسجداً لرائيه

(١) ابو بكر أحمد بن محمد (يقول بروكلمان في الذيل ١/١٤٥ : محمد بن احمد) الصنوبري (ت ٣٣٤ / ٩٤٥) شاعر محسن وأكثر أشعاره في وصف الطبيعة والفصول والورد ، ممن تحدث عنه الطباخ في اعلام النبلاء ٤/٢٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ١/٦١ .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٢/٣٠٩ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في رواية البيت الثاني منها وينسبها للقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد ابن داود (من شعراء البصرة) . في البيت الثالث رواية الأصل : (بفحم الى نار) ، وفي الهامش ما أثبتناه .

(٣) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان ، وزمع منه : دهش . ولم نجد للزماعة التي ذكرها المؤلف معنى يناسب سياق الكلام .

وتلاه سالم فأنشد عجلا ولم يتردد ، ببيتين أحسنَ نظماً من عقود الزبرجد :

وحبّـذا متنهّلتنا ونارُه ذاتُ الوَهَجْ
صار عقيقـاً فحمُهُ مِن بعد ما كان سبج

ثم تلاه أحمد ، فحمد الجماعة ما أورد ، واسترشد كلٌّ ما أنشد :

كأنما نارُنا وقد علقت [1] في الفحم منها أوائلُ الوهجِ
جامُ عقيق عليـه قد نُثِرَتْ فلائدٌ نظمتْ من السبجِ

ثم أتى ذلك الشاب ، بما شمط له مَفْرِق سامعه وشاب :

أتانا بكانونٍ بكانونَ تلتظي به جِذوة في الفحم ذات توهّجِ
كروض زهورجاده الطلُّ أوبدا خِلالَ شقيق فيه نَوْرٌ بنفسج

وانتهت النوبة إليّ ، وقد نظمتُ ما وجب عليّ [2] ، فأنشدتُ لما فَرَغ من الإنشاد ، كأنما كنّا على ميعاد :

أتانا بكانون يَشُبُّ اضطرامُه كقلب محبٍّ أو كصدر حسودِ
كأنّ أُحمرار النارمن تحت فحمها خدودُ عذارى في معاجر سودِ [3]

فاستحسنه الحاضرون واستجادوه ، ولولا فرط الحسد عليه لاستعادوه . ثم استهوتنا شياطينُ الفكاهة المتمردةُ ، إلى أن خَمَدَتْ تلك النارُ المتوقدة ، واستبدلتْ بعد سواد فحمها رماداً يققا [4] ، واكتست قضبان عسجدها من الورق وَرَقا ، وأرَتِ الناظرين رُواءً مُونِقا ، إلا أنّها بدت بعد الافترار ، في بُرْقُعِ الاكفهرار ، وأعادتْ إلى كنائن الرماد ما فوّقته من سِهام الشَّرار ، ولبست لباسَ الأخيار ، وخلعت لباسَ الأشرار ، وتوارى ما كانت تُريه من الأُوار ، وأصحبتْ بعد جماح انقادها ، وارتدت [5] برداء رمادها ؛ فلاحت كالشهبان تحت ظُلَل

(١) في الأصل : ظهرت ، بدل علقت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .
(٢) في صلب النص : وقد برئت مما وجب على . وفي الهامش ما ذكرناه .
(٣) جاء في الهامش هنا : المعاجر جمع معجر وهو ما تشده المرأة ، كما في الصحاح .
(٤) اليقق : الأبيض أو شديد البياض .
(٥) في الأصل : والتحفت ، وفي الهامش ما أثبتناه .

الغمام الخفيف ، أو الخرصان [١] لمعت خلال القتام الكثيف ، وجعل كلٌّ منهم يرميها بسهام ناظره ، ويجيل فيها قِداحَ خاطره ، (ويقتدح زناد قريحته ، ويُعْمِل بعملات فكرته ،) [٢] فقلت : ما أشْبَهَها في حالها الماضي والآتي ، بقول عليّ ابن الساعاتي : [٣]

انظر الى الكانون في بدئه وبعد ما يخمد منه اللهبْ
بينا تراه سبجاً مُذْهباً حتى ترى الكافور فوق الذهبْ

فراق عقولَ الحاضرين وأعجبهم ، وشاقَ قلوبَ الحاضرين وأطربهم . فقلت : وأين أنتم عن العُجاب ، الذي إذا دَعا إلى مثله الخاطرُ لا يُجاب ، وهو قول السريّ الرَّفّاء [٤] ، القائم للمعاني بشروط الوفاء :

خَفَقَتْ رايةُ الصباح وللنـ (م) ـر لهيبٌ كالراية الصفراء
لمعت للعيون بعد سواد فأضاءت حنادسَ الظلماء
واستقرّت تحت الرماد فَخيلَتْ ذهباً تحت فضة بيضاء

فقال سالم : فله در كشاجم ، المفحم عن معانيه شعراء الأعارب والأعاجم :

كأنما الجمرُ والرمادُ وقد كاد يُواري من ناره النورا
وردٌ جَنيٌّ القطاف أحمرُ قد ذرّت عليه الأكفّ كافورا [٥]

فقال فارس بنُ سنان : أحسنُ منه قول سيف الدولة بن حمدان :

كأنما النار والرمادُ بها وضَوْؤها في ظلامه يُحْتجَبْ

(١) الخرص واحد الخرصان وهو الرمح اللطيف والقناة والسنان .
(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامش ولم يرد في الأصل .
(٣) ورد هذان البيتان في ديوان ابن الساعاتي (ص ١١٦ ج ١ طبعة بيروت ١٩٣٨) باختلاف يسير . ولكن ناشر الديوان الأستاذ أنيس المقدسي وهم فظن أن في رواية الديوان خللاً في وزن البيتين فحوّر وبدّل حتى أخرجهما عن وزنهما الى وزن آخر .
(٤) ابو الحسن السري بن احمد الرفاء الكندي الموصلي ، انظر ترجمته في بروكلمان (١/٩٠ والذيل ١/١٤٤) واليتيمة (١/٤٥٠) وأنساب السمعاني وابن خلكان ....
(٥) ورد هذان البيتان في ديوان كشاجم (ص ٤٢ من طبعة بيروت ١٣١٣) مع اختلاف يسير في روايتهما .

وجنةُ عذراء مَسَّها خَجَلٌ فاستَتَرَتْ تحت عنبر أشهبْ (١)

وقال أحمد اللالائي ، غير محاب ولا مرائي : قول المأموني أبي طالب ، من هذا المعنى متقارب :

ما ترى النار حين أسقمها القُرُّ (م) فأضحت تخبو وحيناً تَسَعَّرْ

وغدا الجمر والرماد عليه في قميصين : مُذْهَبٍ ومُعَنْبَرْ (٢)

وقال الشابّ الغريب : قول ابن صارة من هذا قريب :

ما كابنة الزند للمقرور فاكهة إذ يُجْمِدُ البردُ منه ساعداً ويدا

جاءوا بياقوتةٍ حمراء قد قطعوا مِنْ مِسْكِ دارِينَ أثواباً لها جُدُدا

حتى إذا ما تغطَّت بالرماد حكت وروداً عليه سقيط الطلّ قد جَمَدا

فقلتُ لهم : أحسنتم وما وَنَيْتُم ، ولا وَرَّيْتُم فيما رَوَيْتُم ، ولا ارتبتم فيما أتيتم ، فلله أنتم ، فلقد أرفدتم وأفدتُم ، وشأوتُم نظراءكم وفُتُّم ؛ ولكن على العمل المعوّل ، فافعلوا في الثاني فعلكم في الأول ، وشنِّفوا الآذان بما تنظمونه من اللآلي ، وائتوا وإن كنتم من الأواخر بما لم تستطعه الأوالي (٣) .

فنهض ابن سنان مائلا ، وأنشد لنفسه متمايلا :

أُنظرْ الى كانوننا لترى ما شئته من منظر أنِقِ

ولِفَحْمِهِ قُضُبٌ يبدُ لها بعد السواد بأبيض يقَقِ

فكأنها قضب النُضار علا مِن فوقِها ورَق من الورِقِ

---

(١) ورد هذان البيتان في اليتيمه (ص ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) لسيف الدولة مع اختلاف يسير في روايتهما .

(٢) يورد صاحب البتيمة (ص ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) هذين البيتين لأبي طالب المأموني الرقي باختلاف يسير في الرواية . ثم يترجم له (ص ٢٤٤ ج ١) .

(٣) ينظر في هذا الى قول المعري في سقط الزند :

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقلنا : هذا والله هو السحر الحَلال ، الذي يعجز أن يأتي بمثله أبناء الحِلال [1] .

وقفاه ابن سعادة فاقتفى رشدا ، وأطرب حين شدا :

والجر يحكي في الرماد الذي يَسْتر عنه غيرَ مستورِ
كواكباً من ذهب أشرقت على سماء من طباشيرِ

وأظن هذين البيتين من شعر أبيه ، بلا تمويه ، لأنّ سالماً كان عاجزاً عن البديه . وسألتُه فيما بعد عنهما ، ولمن هما . (فقال : ليس الكذب من مذهبي ، هما) [2] من شعر أبي .

ثم قام غلام اللالا ، ومد صوته بالانشاد له وَعالى :

قد شابت النار في الكوانينِ مُذْ شَبّ بردٌ أتى بكانونِ
كأنها والرماد يسترها وردٌ بدا من خِلال نِسرينِ

وبرز ذلك الشابُ بروزَ البطل ، وحلّى بانشاده ما كان من حاله ذا عَطَل:

وافى الغلام بمنقل مُتَضَمّن ناراً فياطوبى لها من نارِ
وتوقدتْ في فحمه جَمَراتُه كالخدّ يُشْرق في سواد عِذار
وَخَبَتْ فَخِلْتُ رُمادها من فوقها حبباً تنظّم فوق كأس عُقار

ثم وجب تكميل الدائرة عليّ ، وألقى القوم أسماعهم إليّ ؛ فبقيتُ مفكراً في معنى لم أُسبَق اليه ، ولا عرّجتْ قريحة قبل قريحتي عليه ؛ لأنهم قد استعملوا أجلّ المعاني ، التي مثلي لمثلها يُعاني ؛ وعافت نفسي الموارد المطروقة ، وأنفت أن تأتي بمعنى تكون اليه مسبوقة ؛ فجعلتْ قريحتي تبني وتهدم ، وفكري توجد وتُعدِم ، فكأنّ القوم أطلعوا طِلْعي ، وعرفوا عزوفَ طبعي ، فجعلوا يترقبون صُنعي . وكنتُ شاهدتُ مرة فاختة صَدَحت ، فَصُرِعتْ وذُبحت ،

(١) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي المحلة والمجلس والمجتمع والقوم النزول فيهم كثرة .
(٢) ما بين القوسين موجود في الهامش فقط .

فانتشر ريشها على الدم ، فأشبه كافوراً ذُرّ على عندَم ، أو رماداً علا ناراً لم تُخمَد . فقلتُ : هذا معنى ما هَجَسَتْ به الضمائر ، ولا حاكته فكرة شاعر ، فحاولتُه فأطاع ، من غير امتناع ، وأجاب من غير دفاع ، ثم أنشدتُه فسُرّت به الأسماع ، وطربت له الطباع ، وهو :

كأنما نارنا وقد خمدت وجمرها بالرماد مستورُ
دم جرى من فواخت ذُبحت من فوقه ريشهن منثور

فما في الجماعة إلا من نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر[1] ، ثم صاح وكبّر ، وقال : ما هذا قول البشر ، إن هو إلا سحر يؤثَر[2] ؛ ثم اعترفوا لي بالابداع ، وأقروا بأنني لم أُسبَق اليه بالإجماع ، وقالوا : لو سمعناه قبلَ لُبْسِنا من أطمارنا ما لَبِسْنا ، لَحَبَسْنا أنْسُنَنا ، عن القول وما نَبَسْنا ، ولكن فات ما ذُبح ، وخسر مَنْ خسر وربح مَن ربح ؛ وأجمعوا على أن هذا هو الكلام الحرّ ، المُربي حُسْناً على الدراري والدُّر ، وأنه لم يَسبِقْ شاعرٌ الى مثله ، ولا خطر خاطرٌ من قبلِه في سُبله ، وأن الفضل أبى أن يكون إلا لأهله . ثم انصرفنا ، وكشعّبنا في أشغالنا وتصرفنا .

وهذه رسالة رق معناها وراق لفظُها ، ووَجب على كل متأدب حفظها ، وقد وافيتُ بما وعدتك به من إملائها ، ووفّيتُ بما عاهدتك عليه من تجرير ذيول مُلائها ؛ ومصرّف الأحوال ، مسؤول في تجديد صلاح الأحوال[3] ، وتجويد إصلاح الأقوال والأفعال ، إنه هو الكبير المتعال ، ولكل ما يريد فعّال ، والحمد لله الذي إليه المُنقَلَب والمآل ، وصلواته على نبيه محمد وعلى مَن له من صحابة وآل ، ان شاء الله .

***

(١) اقتباس من الآيات الكريمة : ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سورة المدثر ٧٤ .
(٢) اقتباس من الآيتين الكريمتين : ٢٤ و ٢٥ من السورة نفسها .
(٣) الأحوال الثانية لعلها جمع حول بمعنى السنة .

سمع جميعَ هذه الرسالة ، من لفظ منشيها السيدِ الأجلّ الامام العالم العامل الفاضل الكامل أمين الدين سيد الوزراء والفضلاء والأدباء أمين الدين جمال الإسلام أبي الفضل عبد المحسن بن حمود بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب أيده الله ، صاحبُها سيدُنا وشيخنا الامام الحافظ العالم الزاهد الأصيل تاج الدين بقية السلف أبو الحسن محمد بن الامام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي ، وابنُه أبو بكر محمد وفقه الله ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي ، وشرف الدين ابو عبد الله الحسين بن ابرٰهيم بن الحسين ، وعز الدين ابو محمد عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الإربِلِيّان ، وجمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني ، وابنه أبو المعالي أحمد وهو في آخر الخامسة ، وشمس الدين ابو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع الأبهري ، وعبد الرحمن بن يونس التونسي ، ومجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الناسخ ، ومحمد بن أبي بكر بن ابرٰهيم الشاغوري المؤذن ، وعثمان بن يحيى المؤذن بالكلاسة ، وأحمد بن يحيى بن عبد الرزاق المقدمي ، وابرٰهيم بن داود بن ظافر الفاضلي ، ومحمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، وعبد الله بن سالم ابن ثمال العرضي ، ومحمد بن علي بن محمد بن منصور اليمني رحمه الله ، وهذا خطه ؛ وصح ذلك في يوم الخميس ثالث عشر ذي حجةِ سنةِ أربع وثلثين وستمائة ، بزاوية الحديث الأشرفية الفاضلية بكلاسة جامع دمشق حرسها الله ، والحمد لله وحده .

التكية السليمانية في دمشق

— ١ —

ان التكية التي أمر بإنشائها عند مدخل دمشق الغربي السلطان سليمان بن سليم الأول العثماني على انقاض القصر الأبلق للملك الظاهر بيبرس هي من أروع الفن المعماري التركي ، والأبدع من بنائها هي الغاية السامية التي أسست من أجلها .

عثرت بين سجلات مديرية أوقاف دمشق على نسخة عن وقفية هذه التكية سجلت فيها أوقافها وعينت نواحي البر التي يجب انفاق غلاتها عليها . ولو سلمت الى يومنا أوقافها لكفى ريعها لإنشاء عدة جامعات عصرية وعشرات المؤسسات الخيرية . قدر عشر هذه الأوقاف بموجب حكم صادر عن محكمة التمييز السورية عام ١٩٣١ بنحو من ثلاثة ملايين قرش تركي ذهباً .

يكمن وراء كل مؤسسة دينية اسلامية هدف خيري وثقافي ، ولو رجعنا الى نصوص وقفياتها لكشفت لنا عن صفحات مشرقة من الحضارة الاسلامية وتفننها في أساليب نشر الثقافة الدينية والى جانبها الحدب على اليتيم والمسكين والمريض ، هذا ما حملني على نشر هذه الوقفية التي تعطي فكرة واضحة عن الدافع الحقيقي الى تأسيس المعاهد الدينية واقبال المسلمين عليها وجعلها صدقة جارية ابتغاء ثواب الله ومرضاته .

حذفتُ من هذه الوقفية مقدمتها المقتصرة على إطراء مزايا الواقف والدعاء له لطولها وتشويه نصها ولأنها لا تفيد موضوعنا . وقد تعذر عليّ تحقيق هذه

الوقفية ومقابلتها على نسخة ثانية صحيحة[1] ، ولهذا لم يتبين لي وجه الصحة في بعض المواضع فنقلتها على علاتها .

بيان القرى الموقوفة

١ — الزبداني (الكامل)
٢ — كفر عامر من نواحي الزبداني (الكامل)
٣ — الكرمة من نواحي الزبداني ($\frac{١٨}{٢٤}$ قيراطاً)
٤ — الأشرفية من توابع الزبداني (الكامل)
٥ — الحارة من نواحي الزبداني (الكامل)
٦ — العادلية من توابع وادي العجم ($\frac{٢١}{٢٤}$ قيراطاً)
٧ — زاكية من نواحي وادي العجم (الكامل)
٨ — صيدنايا من توابع ناحية العسال (الكامل)
٩ — معرة صيدنايا (الكامل)
١٠ — ماطي من توابع معرة صيدنايا (الكامل)
١١ — المرج من أعمال الشام ($\frac{١٥}{٢٤}$ قيراطاً)
١٢ — المزة من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٣ — سفيرة من أعمال الشام ($\frac{١٦}{٢٤}$ قيراطاً)
١٤ — قبر الست وتعرف أيضاً بالراوية من توابع غوطة دمشق (الكامل)

---

(١) لم أتمكن من الوقوف على النسخة الأصلية التي نقلت عنها نسخة مديرية أوقاف دمشق المحفوظة لدى أحد ورثة الشيخ أسعد الصاحب متولي التكية المذكورة في العهد العثماني . وقد أفادني الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان انه يوجد نسخة ثانية في الخزانة التيمورية في القاهرة في الرسالة (٢٣) من المجموع المخطوط رقم (٢٦٦) انشاء محمد چلبي المنشيء لم أطلع عليها .

١٥ – عقربا من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٦ — القصيبة داخلة في حدود عقربا (الكامل)
١٧ — قرحتا من أعمال الشام (الكامل)
١٨ — مزرعة الفويخته من توابع قربة قرحتا (الكامل)
١٩ — دوما تابع الغوطة (الكامل)
٢٠ — مسرابا تابع الغوطه (الكامل)
٢١ — دورس من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٢ — مزرعة بلطي قرب دورس (الكامل)
٢٣ — ايعاث من توابع بعلبك (الكامل)
٢٤ — طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٥ — كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٦ — مزرعة كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٧ — سرعين من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٨ — حور تعلايا من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٩ — مزرعة الرقايق من أعمال بعلبك (الكامل)
٣٠ — بيت شامان من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣١ — الفرزل من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٢ — مزرعة كفرعنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٣ — مزرعة البروفية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٤ – مزرعة العونية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٥ — مزرعة تليلة من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٦ — قصر بنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٧ — رياق البصل من نواحي كرك نوح (البقاع) ($\frac{٢٠}{٢٤}$ قيراطاً)

٣٨ – ارعيت من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٩ – مزرعة الكفيرات من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٤٠ – القرية من أعمال الكرك نوح (الكامل)
٤١ – السعادة من أعمال الكرك نوح (الكامل)
٤٢ – الدلهمية من أعمال الكرك نوح (الكامل)
٤٣ – الطيرية من جبل عاملة (الكامل)
٤٤ – الطيبية من جبل عاملة (الكامل)
٤٥ – كوكب الهواء قضاء طرطوز اللاذقية (الكامل)
٤٦ – الماعون (الكامل)
٤٧ – ازرع من أعمال حوران (الكامل)
٤٨ – مزرعة مليحة (الكامل)
٤٩ – داريا الكبرى من أعمال اقليم الدارانى تابع الشام (الكامل)

الوظائف المحددة في الوقفية

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
متول	١	٥٠ درهماً
كاتب شهيد	١	١٥ درهماً
جاب	١	٦ دراهم
جاب قضاء بعلبك والكرك	١	١٠ دراهم
امام	٢	١٥ درهماً لكل منهما
موقت	١	٥ دراهم
بواب	١	٥ دراهم
فراش	١	٥ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
كناس	١	٥ دراهم
شعال	١	٥ دراهم
مبخر	١	٢ درهمان
رئيس الحفاظ	١	٥ دراهم
قراء حفاظ	٦	٢ درهمان لكل منهم
مُعَرِّف	١	٢ درهمان
شيخ الاجزاء	١	٤ دراهم
قراء	٢٩	٢ درهمان لكل منهم
مفرق الاجزاء	١	٢ درهمان
مراقب الدوام	١	٢ درهمان
قارئ عشر بعد صلاة الظهر	١	٤ دراهم
قارئ عشر بعد صلاة العصر	١	٤ دراهم
واعظ	١	١٠ دراهم
قارئ مجود لسورة يٰسٓ بعد صلاة الصبح	١	٣ دراهم
قارئ مجود لسورة عمّ بعد صلاة العصر	١	٣ دراهم
حافظ المصاحف	١	٢ درهمان
كناس وفراش الحرم	١	٢ درهمان
بواب الباب الشرقي	١	٥ دراهم
بواب الباب الغربي	١	٥ دراهم
فراش الضيفان	١	٥ دراهم
ناظر الطعام	١	٦ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
موزع الخبز	١	٦ دراهم
موزع اللحم	١	٦ دراهم
أستاذ الطبخ	٤	٧ دراهم لكل منهم
تلميذ لخدمة الأساتذة	٦	٤ دراهم لكل منهم
خباز	١	٧ دراهم
تلميذ لخدمة خبز الخبز	٤	٥ دراهم لكل منهم
وكيل خرج للعمارة	١	٦ دراهم
حمال صحون الأطعمة لبيوت الضيافة	٢	٢ درهمان لكل منها
حمال طاسات الأطعمة الى الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
منظف أواني بيوت الضيافة	١	٢ درهمان
منظف طاسات طعام الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
مموه ومبيض الاواني والطاسات	١	٤ دراهم
دقاق حنطة	١	٥ دراهم
خازن	١	٦ دراهم
تلميذ خازن (معاون)	١	٢ درهمان
حمال اللحم	١	٤ دراهم
منقي الحنطة	٤	٢ درهمان لكل منهم
بواب العمارة والمآكل	٢	٤ دراهم لكل منها
خازن الأنبار	١	٤ دراهم
	١٠٣	

نص الوقفية بعد حذف المقدمة

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

. . . . . .

. . . . . .

أراد الواقف السلطان المنوه أعلى الكتاب بذكره الشريف المستطاب لا زالت أعلام معالم عدله واحسانه منشورة ولا برحت بلاد الأرض بما رحبت بحمايته معمورة أن يرتب من الوقف الدار والبر البار النافع المدرار القابل للاستغلال والاستثمار ما يقوم بأوده ويمونه وما يحده حدوده ويصونه صيانه فقد وقف وأيد وأرصد وخلد عن صميم طوية على الإخلاص مطوية وصفاء نية [1] سنية جميع مأهوله وما هو له وملكه، وبيد سلطان تصرفه سلكه بمقتضى شراء شرعي صحيح .

وذلك جميع القرية المعروفة بالزبداني من أعمال دمشق الشام لها دمنة عامرة تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين بها أشجار منوعة الثمار مخرجة على أربابها حدها قبلة أراضي كفر عامر وشرقاً أراضي مضايا وشمالاً أراضي قرية الكبيرمه [2] وغرباً أراضي الحارة .

وجميع قرية كفر عامر من نواحي الزبداني المشتملة على أراضي معتملة سهلة ووعرة المحدودة قبلة قرية الزبداني وشمالاً أراضي قريه الدله ومن توابعها سريه والقصاص وحدهما قبلة أراضي الزبداني ومضايا وبينهما درب العجال وشرقاً كذلك الا أن بينهما طريقاً وشمالاً حقل المخلص وغرباً أرض قرية السفيرة .

وجميع الحصة من قرية الكرمة من نواحي الزبداني وقدرها ثمانية عشر قيراطاً

(١) في الأصل : وصفا دينه .

(٢) تأتي فيما بعد باسم قرية الكرمة ولم يتبين لي وجه الصواب .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وبساتين حدها قبلة عين الحداد وشرقاً مقلب ماء بئر الملاح وطريق مضايا وشمالاً وادي بو الخير من أرض بلودان وغرباً حقل بيت الزيني .

وجميع قرية الأشرفية من توابع الزبداني المحتوية على وعور وسهول ومعتملات المحدودة قبلة بصحايا[1] وشرقاً بقناة البويضي[2] وشمالاً بأرض داريا وغرباً بدرب معاصل[3] .

وجميع قرية الحارة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة المحدودة قبلة سحرايا(؟) وشرقاً أراضي الزبداني وشمالاً أراضي كفر عامر وغرباً أراضي كفر تفاح .

وجميع الحصة من قرية العادلية من توابع وادي العجم من أعمال الشام الحاوية على أراضي وحقول وقدرها أحد وعشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً المحدودة قبلة جملتها بمزرعة الحجَر والميصرة وشرقاً بمزرعة تل الغبار وشمالاً بالخليج وغرباً بأراضي حرجلة ولها الثلثان وسير حق شرب من مآء الأعوج المنقسم من مزاز الكسوة .

وجميع قرية زاكية من نواحي وادي العجم المحدودة قبلة بأراضي قرية الرجم وشرقاً بأرض مزرعة الدوير وتمامه قبلة الطريق الى شقحب وشمالاً بأرض العباسية ولها الثلثان حق شرب مستمد من نصف مآء الأعوج المقسوم من مزاز الحسينية .

---

(١) صوابها : صحنايا

(٢) صوابها : البويضة .

(٣) لا يتفق تحديد هذه القرية مع حقيقته المعروفة وان التشويش ظاهر في هذه الفقرة لأن القرية المذكورة هي من أعمال الشام أو الاقليم الداراني لمجاورته . واما التابعة للزبداني هي أشرفية الوادي لا هذه . وربما الناسخ قد مزج بين الأشرفيتين وأسقط من النص إحداهما .

وجميع الحصة المعلوم قدرها شرقاً من القرية المعروفة بالصيدنايا من توابع ناحية جهة العسال من مضافات دمشق المحروسة المحدودة قبلة بكروم معرة الصيدنايا وشرقاً بين الراسين والجبل المعتد على الضير (؟) وغرباً بأراضي قرية قلقاس وقرية تلفيتا .

وجميع قرية معرة الصيدنايا المحدودة قبلة جبل الخالوص وشرقاً بمقلب ماطي المنتهي مجراه منحرفاً تارة ومستقيماً أخرى الى الطريق العام وشمالاً بكروم الصيدنايا وغرباً بمقلب ماطي وتمامه كيمان أحجار .

وجميع الحصة من المزرعة المشتهرة بماطي من توابع القرية المذكورة وقدرها ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً حدها القبلي جبل الحطا والشرقي مقلب ماطي والشمالي الطريق العام والغربي أراضي منتين [١] .

وجميع الحصة من قرية مرج من أعمال الشام وقدرها خمسة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع معلومة الحدود عند أهاليها .

وجميع قرية المزة تابع غوطة دمشق المحروسة لها دمنة عامرة تشتمل على أراضي معطلة ومعتملة وبساتين وحقوق [٢] ولها شرب من مآء القناة المختصة بها المستمد من نهر بردا أحدها [٣] قبلة أراضي مزرعة القصور وتمامه أراضي دارى [٤] الكبرى وأراضي كفرسوسيه وشرقاً أراضي كفرسوسية وتمامه أراضي مزرعة الحمرية وشمالاً نهر القنوات الجاري الى طاحون الشريف ثم يأخذ مغرباً الى نهر بردا والربق [٥] وغرباً الجبل .

وجميع الحصة من قرية سفيرة [٦] من أعمال الشام وقدرها ستة عشر قيراطاً

(١) صوابها : منين .
(٢) صوابها : وحقول .
(٣) صوابها : يحدها .
(٤) صوابها : داريا .
(٥) لعلها : الربوة .
(٦) غير معروفة اليوم .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على دمنة عامرة ومعتملات ومنافع وحقول معروفة الحدود عند الجيران .

[وجميع] قرية قبر الست وتعرف أيضاً الراوية وتشتمل على أراضي معتملة وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة وحقول وشربها من ماء القناة المختص بها شرعاً ولها شرب أيضاً من ماء قناة حجيرا عدان بالتناوب حدها القبلي قناة مزرعة قوين [١] والشرقي أرض قرية عقربا والشمالي أرض قرية ببيلا والغربي الدرب السلطاني ومن توابعها الداخلة في حدودها قطعه أرض تعرف ببستان الديل .

وجميع قرية عقربا المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر وبساتين ودمنة عامرة لها من نهر عقربا شرب معلوم حدها القبلي قناة مزرعة عين كيل والشرقي أرض قرية الشعبا [٢] والساهلية والشمالي قرية تليتانا [٣] والغربي قناة قرية الجدلية [٤] .

وجميع مزرعة القصيبة [٥] المختصة بها الداخلة في حدودها .

وجميع الحصة من قرية قرحتا تابع القبلي وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني ودمنة عامرة لها من نهر الحازوم غربياً شرب ليلاً ونهاراً و شرب آخر من الماء المستمد من نهر الأعوج المحدودة قبلة بنهر الأعوج وشرقاً بنهر الغزلانية وشمالاً بأرض مزرعة الميدانية وغرباً بأرض مزرعة الأشرفية .

وجميع مزرعة الفويخة [٦] تابع القرية المذكورة المشتملة على أراضي ومنافع وحقول حدها قبلة نهر قرية قرحتا المعروف بالكسواني وشرقاً نهر ... [٧] وشمالاً

(١) غير معروفة اليوم .
(٢) صوابها : الشبا .
(٣) صوابها : تلفياثا .
(٤) صوابها : البحداية .
(٥) لعلها : قصيان اسم قناتها ما زال على الألسن وهي تخرج قرب بيوت ببيلا .
(٦) صوابها : الفويخة .
(٧) فراغ في الأصل .

وقف قطعة العرفان السامى بأبي يزيد البسطامي قدس سره وغرباً التل الرفيع ·

وجميع قرية دوما تابع الغوطة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وكروم ومنافع ولها من ماء نهر ثوره شرب معلوم ويحدها قبلة مزرعة حرستا وادبا[1] الصغرى وشرقاً قناة قرية الشفونية وشمالاً الجبل وغرباً أرض قرية حرستا ·

وجميع قرية مسرابا المشتملة على أراضي معتملات وبساتين ومنافع ولها شرب معلوم من مآء نهر ثوره ومن قناتيها المختصتين لها قبليها أرض قرية كفر مديرا وشرقيها أرض قرية بيت سوى وشماليها أرض قرية دوما وغربيها أرض مزرعة داريا الصغرى ·

وجميع قرية دورس[2] من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ووهاد وتلال ودمنة عامرة ومنافع وحقول يحدها قبلة رجيات الأحجار وشرقاً الطريق الى المقطع وشمالاً أرض مزرعة بلطي وأراضي بعلبك وغرباً الطريق ·

وجميع مزرعة بلطي بقرب القرية المذكورة تشتمل على أراضي ومنافع قبليها أراضي قرية دورس الى أراضي قرية دورس[3] الى أراضي مزرعة بردا وشرقيها أراضي قرية دورس وشماليها أراضي بعلبك وغربيها أراضي مزرعة بردا[4].

وجميع الحصة من قرية ايعات[5] من توابع بعلبك وقدرها أربعة عشر قيراطاً وثلث قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر ومنافع ودمنة معمورة يحدها قبلة مرج عدوس وشرقاً حقلة بيت الجبلي وشمالاً الطريق العام وأراضي مزرعة الرزاملة وغرباً حقل البركة وأراضي مزرعة دير النبط ·

---

(١) صوابها : داريا .
(٢) قاموس لبنان لوديع نقولا حنا ص : ١٠٥ .
(٣) لعلها مكررة .
(٤) لعلها برفا انظر قاموس لبنان ص : ٢١ .
(٥) في قاموس لبنان (ايعات) .

وجميع قرية طبشار من نواحي بعلبك وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة وسهلة وخزنه [١] ومنافع ودمنة عامرة يحدها قبلة حرق [٢] القرية والطريق ومجمع الطرق وشرقاً الطريق والجبل وشمالاً فلوة الماء منتهاه تجاه قلعة الحجارة ورجم أحجار تجاه حرنه [٣] المكبسه وغرباً أراضي مزرعة الرقايق ·

وجميع مزرعة كنيسة طبشار ويشتمل على اراضي ومنافع وحقول حدها قبلة شراك بين أراضي طبشار ومنتهاه عين زيدان وشرقاً وادي أراضي حور تعلا [٤] وشمالاً وادي العميق الى الطريق السلطاني وغرباً الطريق العام ·

وجميع قرية شرعين [٥] من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع يحدها قبلة الحجر المعروف بادريس وبيدر الحاليات وشرقاً مجمع الطريق المنتهية الى ضريح نبي الله شيث عليه السلام وتبة سقفان واعزاز وشمالاً حرف القرية ووادي المغارة وغرباً جسر الدم من المفرقين ·

وجميع قرية حور تعلا [٦] وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة ودمنة مسكونة ومنافع يحدها قبلة الشراك بين أراضيها وأراضي طبشار والبلاط الى الطريق وشرقاً قلعة الصهريج ووادي بلبود وقبر الشيخ صالح وشمالاً الطريق وبركة بحاما والرجمة الطويلة قرباً [٧] قرب قبر الكاشف وعين زيدان ·

وجميع مزرعة الرقايق بقرب القرية المعروفة وتشتمل منافع وحقول يحدها قبلة المسيل والطريق وشرقاً الرجمة المعروفة بقبر الكاشف وشمالاً الطريق النافذ وغرباً الطريق ووادي الذيب ·

---

(١) كذا في الأصل وصوابها خربة .
(٢) صوابها : حرف .
(٣) صوابها : خربة .
(٤) صوابها : حور تعلايا .
(٥) صوابها : (سرعين) .
(٦) صوابها : حور تعلايا .
(٧) كذا في الأصل ولعلها وغرباً .

وجميع قرية بيت شاما[١] من نواحي كرك نبي الله نوح[٢] عليه السلام من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وحرة[٣] ومنافع وحقول يحدها قبلة الطريق الى العمود المطمور في وادي التين وشرقاً الحجر المطمور قرب خندق بين أراضيها وأراضي مزرعة الشخجية وحقل القاضي وشمالاً النهر الشتوي وغرباً الشراك منتهاه وادي التين .

وجميع قرية فوزل[٤] من نواحي كرك وتشتمل على معتملات ومعطلات وسهول ووعور ومنافع يحدها قبلة جبل رجمات والطريق ونهر ليطا[٥] وشرقاً خندق الفلايح ومجمع الخنادق وشمالاً الطريق والنهر وعين علوقيه وغرباً الماء الشتوي وساقية يحوشيا .

وجميع مزرعة كفرعنا من أراضي القرية المذكورة وتشتمل على منافع وحقول يحدها قبلة الطريق منتهاه مرج الحمى وعين علوقيه وشرقاً مزرعة حالا وحقلة ابن عجروش منتهاه الحجر الأبيض وشمالاً آخر غيضة الصفصاف والمرج والخندق والطريق الى قرية رياق وغرباً مرج الحمى ومجرى نهر ليطا[٥] .

وجميع مزرعة البروفيه ومزرعة العونيه ومزرعة تليله المتلاصقات يشتملن على أراضي ومروج وجد[٦] وحقول يحد جملتها قبلة متابن العرب وباب الخاصة والطريق من كرك الى طاحون بروفيه وشرقاً الطريق والخندق وملتى السواقي عند طريق الدلهمية[٧] وشمالاً الطريق وحقلة الحاج علي بن سراج وطريق تربل[٨] وغرباً الحجر الأبيض على الخندق الى الطريق .

---

(١) شرقي حور تعلايا .
(٢) شرقي زحلة .
(٣) كذا في الأصل وصوابها : خربة .
(٤) صوابها : فرزل .
(٥) اي الليطاني .
(٦) كذا ولعلها (ووعر) .
(٧) قرية معروفة شرقي معلقة زحلة .
(٨) قرية معروفة شرقي الدلهميه .

وجميع قرية تمنين الفوقا[١] من أقطار كرك تشتمل على دمنة مسكونة وأراضي وبساتين وأشجار متنوعة ومنافع وحقول يحدها قبلة المقطع بين أراضيها وأراضي عرفنا وملك ابن حنصر وحقلة أولاد طبر وشرقاً أراضي بيد بيت جبريل وحقلة ابن جديد وحقول الرياسة وعين الناعمة بين أراضيها وأراضي تمنين التحتا الى الكنيسة وشمالاً النهر الشتوي وحقلة مقلد بن ساطي وحقلة ابن صلاح وطريق قصر بنا[٢] وغرباً مقلب الماء وتمامه أراضي عرفنا والمقطع .

وجميع قرية قصربنا من توابع كرك تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وسهول وتلال ومنافع يحدها قبلة كسار السطور والطريق وكرم النبعي وشرقاً الحقل وقف جامع قصر بنا وبركته عين سليمان وأراضي بيت نائل وعواميد أحجار وشمالاً العمود بين مزرعة الكنيسة والشخجية وحقلة بيت الأعرج وواد مالك والمقطع وغرباً أراضي حماندة زريق وحقلة تمنين الفوقا .

وجميع الحصة من قرية رياق البصل[٣] من أعمال كرك وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على معتملات ومعطلات ووهاد وتلال وصحارى وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة ساقية الماء بين أراضيها ومزرعة حالا وساقية النيل وطريق ارعيت وشرقاً الطريق حشمش[٤] وطريق الشام وشمالاً كرم عسكر تجاه الأشرفية الى رأس الشكارة ونصحره[٥] وغرباً صخرة القبيرات والطريق والشراك .

وجميع قرية ارعيت[٦] من ضواحي كرك تشتمل على دمنه عامرة وأراضي

(١) قرية معروفة غربي الفرزل .
(٢) انظر قاموس لبنان ص : ٢١٢ .
(٣) ملتقى الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وحلب .
(٤) قرية جنوبي رياق .
(٥) كذا ولعلها (الصخرة) .
(٦) انظر قاموس لبنان ص : ١١٩ .

سهول ووعور ومنافع وحقول يحدها قبلة الحجر الموضوع في الطريق وذيل الجبل الشرقي وشقيف الزيادت[١] وأم غيلان وشرقاً بيادر راحاب وطريق يعلبك ومرج عين الكردي وشمالاً أسفل كرم ابن زقضه وقلاع القلاب وغرباً كرم ابن سعيد وصخر القطاطين وطريق حشمش .

وجميع مزرعة الكفيرات تشتمل على أراضي ومنافع وحقول قبليها مجرى الماء بين أراضيها وأراضي حشمش الى طريق قوسيا[٢] وشرقيها قطع أرض وقف سيدنا نوح النبي عليه وعلى نبينا سلام السبوح والطريق وشماليها الطريق البراني بها الى الطريق وغربيها الطريق من كرك الى قعسايا .

وجميع القرية من أعمال كرك تشتمل على دمنة عامرة وتلال ووهاد وأراضي عمالة وبطالة وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة الجرن على مطل تربل ومضيق معذر وشرقاً شحلة وسلسلة حجازي في وادي الدير وشمالاً سلاسل وادي الدير وشومزيا وطريق عقبة حشمش وغرباً الرأس على مطل سيدنا نوح على نبينا وعليه صلاة الله وسلام السبوح وشقيف الشكارة وسفل قرية عين .

وجميع قرية السعادة من نواحي كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي معتملة وسهل ووعر ومنافع وحقول حدها القبلي جسر المذموم ولفتة الساقية وحقلة الرمادة ولفتة خندق التفاح والشرقي بنهر الخصيب والمسيل والطريق بين أراضيها ومزرعة تل بين[٣] حسين وتل مزرعة بروطيا والشمالي ساقية الحريقة ونهر الحويرق وقرية تربل والغربي تل السرجون الى جسر المزموم .

وجميع قرية الدلهمية [من] أقطار كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي وحقول ومنافع قبليها سهم بن مكي والعقيبة وسدرة القعقعية الى خربتها وشرقيها

(١) لعلها : الزيارات .
(٢) في قاموس لبنان : قوسايا .
(٣) كذا في الأصل ولعلها بيت اوبير .

الطريق الى سهم البدوي وشماليها ساقيـة المشار وحقلة الزورة المعروفة بالقرية والطريق الى جسر بروقيا وغربيها الطريق تحت حقلة النقيرة والطريق الى جسر الدلهمية الراكب على نهر ليطاني والشراك بين أراضيها ومزرعة حدوثتا ٠

وجميع قرية الطيبة [١] المستغنية عن التحديد لكونها معلومة الحدود عند القريب والبعيد ومما في قربها جميع قربة قانه [١] ٠

وجميع قربة طيبه [١] ٠

وجميع قربة الكواكب الهوا [٢] ٠

وجميع قربة الماعون المستغني كل واحدة منها عن التحديد عنـد وضيع [و] شريف وقريب وبعيد ٠

ومزرعة قبقوس ٠ ومزرعة عين العاطف المستغنية كل واحدة منها عن التحديد لكونها معلومات الحدود لدى وضيع [و] شريف وقريب وبعيد ٠

وجميع قرية ازرع [٣] الواقف [٤] بناحية بني مالك الأشراف من أعمـال حوران تابع الشام تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين ومفاره [٥] وحدها القبلي قناة القرية المنشأة بنامر [٣] والشرقي قرية البصر [٣] والشمالي قرية الشقرا [٣] والغربي الطريق السلطاني من جانب الدرب لنامر ومن توابع تلك القرية المفورة ٠

وجميع مزرعة مليحة [٦] وقطعة أرض تسمى بالدبورا وقطعة أرض تسمى بقيعة تشتمل كلها على الفوايد والعوايد ومنافع وحقول ٠

(يتبع) جعفر الحسني

---

(١) قرية معروفة في جبل عاملة ٠
(٢) في قضاء طرطوز في محافظة اللاذقية ٠
(٣) قرية معروفة الى يومنا هذا ٠
(٤) صوابها : الواقعة ٠
(٥) كذا ولعلها : ومنارة ٠
(٦) لعلها مليحة الشرقيه أو مليحة العطش في قضاء ازرع ٠

رثاء الجندي والبزم

لِمَن خلّفتما الميدانْ فَقيدي لغة القرآنْ
لمن خلفتما الميـدا نَ ، والميدانُ للفرسان . .
يُحَوِّمُ بعـد يومكما حَمِيُّ الأنف في الأقران
ويدعو الندّ من قيس يباريه ومن غسان
وتفتقد النهى من كا ن للحجة والبرهـان
لواؤكما على الفصحى وحكمكما هو الميزان

* * *

توارت أيكة الوادي وغارت نبعة البستان
وضلّ سبيلَه الحادي وأسلم للدجى الركبان
وناح وأعول الشادي وحطم كأسه النشوان
ودالت دولة النادي فلا عرش ولا سلطان
هل «الجندي» و«البَزِم» انـــــطوى علماهما الصنوان ؟

أ بالسهمين تُرمى مهـــجة ، ويصيبها السهمان ؟
وهل يلتئم الجرحا ن والجرحان قتالان !
صريعا حومة الأقدا ر شبّا للاسى نيران
رثيتُ « سليمها » و « محمّـــداً » وانهلّت العينـان
مضى « أدب » المبرّد ، وانـــقضى « نحو » أبي حيان
بكيت أبا العلاء بأو لٍ ، والشنفرى في الثان
وأخلاقاً صفت ، كالتبـــر واللؤلؤ والمرجان
وورداً كان عذب الور د للمرتشف الظمآن

* * *

ذكرتُ دمشق ، والأيا مُ ضاف ظلها فينـان
وأردية الصبا جـدد وأحلام الهوى ألوان
ليالي الأنس بالأخدا ن قبل تفرق الأخدان
على بردى وربوته وحول تلاطم الغدران
وبين خمائل النسريـــن والزنبق والريحان
وأندية البيان الحرّ قائمة على أركان
منابرهـا مَزاجرهـا لمن يطغى ، عن الطغيان

* * *

هوى بمعلّمي جيلٍ هوى الأرزاء والحِدْثانْ
وطاح بتاجي الإبدا ع في الإفصاح والتبيان
نعى قيصراً الناعي وثنّى بأنوشروان
عمادا أدبٍ ضخم رفيع راسخ البنيان
شهابا فلك غابا معاً ، في حلك الأزمان

* * *

صراعٌ منذ كان النا سُ ، بين الفَقْد والوِجدان
يعلله بنو الإنسا نِ ، ما أغبى بني الإنسان !

خير الدين الزركلي

ايوانية البحتري

- ٢ -

(فإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيةَ ارتعتَ بين رُوم وفُرس)

يظهر أن هذه الصورة مرقومة على جدران الجرماز ، وهي تمثّل للناظر صورة مدينة انطاكية و كسرى يحاصرها بجنوده . وتحت أسوارها قيصر ملك الروم يدافع عنها بجنوده أيضاً ، كذا قال في معجم البلدان عند الكلام على الإيوان ان صورة قيصر كانت أمام كسرى . ولعلها صورةُ القائد الذي ناب عن قيصر في صَدّ كسرى . أو أن المصوّر الذي صور المعركة صوّر قيصر نفسه تهكماً أو استهانةً به . وقد قال الشاعر انه منظر يُحدث الروع والخوف في نفسك إذا نظرت اليه .

أما هذه الواقعة التي تُمثّلها لنا الصورة المذكورة فهي الوقعة الثانية من الوقعتين اللتين حَدَثَتا بين الأكاسرة والقياصرة على أسوار أنطاكية . فالأولى كانت في أواسط القرن الثالث للميلاد بين شابور وڤاليريانوس ، انتهت بفتح شابور لأنطاكية وإحراقها ونهبها وسبي أهلها . والوقعة الثانية هي التي حَكَتها لنا الصورة على جدران الجرماز فوصفها لنا البحتري . وقد حدثت في أواسط القرن السادس للمسيح في عهد كسرى أنو شروان الذي وُلد النبي (ﷺ) في زمنه . وقد فتح كسرى أنطاكية بعد أن حاصرها ، فسَلَبَتْ جنوده ما في كنيستها الكبرى من أواني فضيّة وذهبيّة وحُليّ . وأخذوا بَلاطها النفيس واضرموا في المدينة النار فاحترقت ما عدا الكنيسة المذكورة والحيّ المدعو (ستراتيوم)

وكان ذلك في عهد القيصر (يوستينانيوس) ، فأرسل الى كسرى سفيرين فقابلاه وعقدا معه معاهدة صلح كان من مقتضاه أن يؤدّي قيصر الى كسرى مبلغاً سنوياً بشرط أن لا يُسمي هذا المبلغ (جزيةً) بل (تعييناً) وهذه هي الواقعة التي خلد الفرس صورتها على جدران إيوانهم العظيم ووصفها لنا البحتري .

(والمنايا موائل وأنو شر وان يُزجي الصفوف تحت الدرَفْس)

(المنايا) جمع منية : الموت و(موائل) جمع مائلة أي بارزة منتصبة أمام عيون المتحاربين و (أنو شروان) صوابه كسر الشين و (يُزجي) يسوق ويدفع . و (الدرَفْس) تفسّره معاجمنا العربية بالعَلَم الكبير كأنه لفظ عربي مع أنه لفظ فارسي وفارسيته درَفْش بالشين المعجمة فعُرّب بالسين كما عرب شاه شاهان بساسان وشابور بسابور . وقد اشتهر إطلاق (درفس) على علم خاص للفُرس له في تاريخهم قصة يتداولونها ، ورنّة فخر يتغنّون بها . وملخص القصة نقلاً عن شاهنامه الفردومي أنه قام في تاريخ الفرس القديم رجل تغلّب على العرش الفارسي واستبدّ به ويسميه مؤرخو العرب الضحّاك . وقد اختلفوا في جنسيته وزمنه . فظَلَمَ الفرسَ ظلماً عظيماً حتى اشتهر بلقب الظالم وكان في كتفيه سِلعتان تشبهان الحيّتين ولذا لُقب بذي الحيتين . وكان هو يقول انهما حيتان حقيقيتان تهويلاً على الناس . فكانتا تؤلمانه ولا تسكنان حتى يطليها كلّ يوم بدماغي إنسانين فكان يذبحهما ويطلي حيّتيه . وبهذه الصورة اشتدّ الأمر على الفرس . ثم اتفق أن الضحّاك قتَلَ ابن رجل حدّاد اسمه (كابي) أو (كاو) فعظُم على أبيه الحداد الأمر ونهض للثورة واتخذ من الجلد الذي يضعه الحدادون عادةً في أوساطهم عند الشغل علماً للحرب . والتفّ الشعب حوله . وزحفوا على الضحاك متفائلين بدرفشه أي بعَلَمه الذي اتخذه من جلد مهنته . ثم ان (كابي) والفارسيين بطشوا بالضحاك وقهروه وأرادوا

أن يملّكوا (كابي) فأبى لأنه ليس من سلالة الملوك . وأمرهم أن يولوا أفريدون وكان من سلالتهم فولّوه ، واحتفظ الفرس من يومئذ بذلك الدرفش في خزانتهم . وعظّموه وتبرّكوا به . وصار العلم الأكبر لملوكهم . وسمّوه (درفش كابيان أو كاويان) وكانوا لا يخرجونه إلا في أحرج الخطوب ، وأكبر الحروب . فكانوا ينتصرون . وكانوا يرصّعونه بالجواهر واليواقيت حتى أصبح بدعةً من البدع وبقي لديهم الى أن تغلب الإسكندر على ملكهم دارا (داريوس) فأخذه أي أخذ الدرفش . وقيل بقي الى زمن (يزدجرد) فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر فقسّم جواهره في الناس .

يقول البحتري إن صورة أنطاكية تمثل للناظر اليها اشتداد هول المعركة حتى ان المحاربين كان يرون شبح الموت ماثلاً منتصباً أمام أعينهم . ومُثول الموت بصورة شبح مرئي كثير الوقوع في كلام الشعراء ، وأبلغه ما قاله بعضهم في وصف بطل أبلى حتى قتل :

مَثَلَ الموتُ بين عينيه والذُّلُّ وكُلاًّ رآه خطباً جسيما
ثم سارت به الحميّة قُدْماً فأماتَ العِدَى ومات كريما

* * *

(في أخضرارٍ من اللباس على أصـــــفَر يختالُ في صبيغة وَرْسِ)

الظاهر من هذا الوصف أنه يرجع الى (أنوشروان) لأنه نسب اليه لباساً أخضر مسدولاً عليه . واعتلاؤه على الأصفر يُعيّن أن يكون المراد بالأصفر جواداً ملوّناً بصفرة . وهذا الجواد يختال ويتبختر في غشاء من جلدٍ أو خِرَق (صَبيغة ورس) أي مصبوغة بورس . والورس نبت كالسمسم أصفر اللون يزرع باليمن ويُصبغ به وتتّخذ منه الغُمرة وهي طلاء تَطلي به المرأةُ وجهها ليصفو لونُها . وصبيغة الورس هذه إما أن يكون المراد بها (التجفاف) وهو

جُلٌّ يُلبَسُهُ الفَرَسُ في الحرب ليقيَه الجراحات فيكون تِجفاف فرس كسرى ملوناً في هذه الصورة باللون الأصفر الورسي . ويحتمل أن يكون المراد بصبيغة الورس الميثرة . وفي الحديث الشريف (نَهى رسول الله عن مِيثَرة الأُرْجوان) قال في النهاية : هي مراكب العجم تُعمل من حرير أو ديباج وتُحشى بقطن أو صوف . وتكون كالفِراش الصغير يجعلها الراكب تحته فوق سَرْج الفرس أو فوق رَحْل البعير نَهى عنها النبي لأنها من مراكب الأعاجم . ولأن لونها الأحمر فيه شُهرة تبعثُ على العُجب والخيلاء . وانما رجَّحتُ أن يكون المراد بصبيغة الورس هنا التجفاف لا الميثرة لأن فرس كسرى في معركةِ ضربٍ وطعانٍ لا في موكب عرسٍ أو حفلة مهرجان .

(وعراك الرجالِ بين يديه في خفوتٍ منهمْ وإغماض جَرْسِ)

ومما تُمثِّلُه الصورة لعين الرائي خفوت المتحاربين أي انخفاض أصواتهم . وهذا معنى (إغماض جَرْس) أيضاً فان الجرس الصوت الخفي يقال (ما سمعت له حِسًّا ولا جَرْساً) والإغماض من غَمْضَ الكلام خفي مأخذُه . فهؤلاء الرجال كان لهم في الحرب بين يدي كسرى أصوات خفيَّة غَمَضَتْ على سامعها وخَفِي مأخذها بحيث لا يُفهم لها معنى . إذَنْ كان (الفنّان) الذي رسم الصورة حاذقٌ في صنعته حتى إنه ليخيَّل إليك أن رجال المعركة لهم جَلَبَة وضوضاء . وكَشْعُرُ مع هذا أن أصواتهم خافتةٌ منخفضة .

(من مشيحٍ يَهوي بعامل رمحٍ وُمليحٍ من السِنان بتُرس)

(من مشيحٍ) بيان للرجال المتحاربين أي أنهم كانوا على أوضاع في القتال مختلفة : كانوا ما بين مُشيح وما بين مُليح . فالإشاحة أن تحذر من الهلاك فتجِدّ وتجتهد في دفعه عنك . قال عمرو بنُ الإطنابة :

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطَل المُشيح

والمليح من ألاح بمعنى أشاح أيضاً فيكون المعنى أن المتحاربين كانوا ما بين بَطَل أمامه قِرنه فهو يخافه ويحذره فيجدُّ في مقاومته ودفعه عنه فيهوي بصدر رمحه اليه ، وما بين بَطَل آخر أمامه قِرنُه قد سَدَّد سنانَ رمحه اليه وقد خافه وحذر منه فجَدَّ دارئاً بترسه عن نفسه وواقياً لها من سنان عدوّه المشرّع عليه . والمُليح معنى آخر غير معنى (المُشيح) أستحسن أن يكون هو المراد هنا يقال ألاح بسيفه إذا ألمعَ به وحرّكه كلوّح بسيفه . فالمعنى على هذا أن بعضهم يُشيح ويجدّ في دفع عدوّه فيهوي بالرمح اليه . وبعضهم يحرك ويلمع بترسه الذي بيده ليقيَ نفسه من السنان الذي يسدّده اليه عدوّه . وعلى كلا التقديرين فإن في قوله (ومليحٍ من السنان بترس) شيئاً من إدماج وإيجاز تفصيله وبسطه ما ذكرناه .

(تَصِفُ العينُ إنهم جدُّ أحيا ءٌ لهم بينهم إشارة خُرْسِ)

قوله (إنهم) يحتمل فتح الهمزة على كونه واقعاً موقع المفرد مفعول لتصف ويحتمل الكسر على تضمين (تصف) معنى القول فيكونُ واقعاً موقع الجملة وتكون جملته مفعولاً لفعل (تصف العين) أي ان عين المشاهد لهذه المعركة لا يمكنها إلا أن تصفَ لغيرها ما رأته : فما تصف العين لنا من حالات المتحاربين أن الناظر اليهم يظنهم جِدَّ أحياء : أي تناهى اليهم تمامُ الحياة ، يقال فلان عالم جدٌّ عالم أي متناهٍ في العلم ونقول اليوم فلان عالمٌ جدًّا وبارعٌ جدًّا وقولنا هذا حَسَن . لكن البلغاء أكثر ما يقولون جِدُّ عالم وجِدُّ بارع . والمعنى أن المصوِّر أبدع في تصوير هؤلاء الأبطال حتى إنك لتظنهم أحياء مما تتخيله من الحقيقة في حَرَكاتهم وسَكَناتهم وأصواتهم الخافتة التي يُحاكون بها أناساً خُرْساً يُديرون فيما بينهم إشاراتٍ يتفاهمون بها بدل الكلام .

(يغتلي فيهم ارتيابيَ حتى تتقرّاهم يَداي بلمس)

الارتياب الشك والتردد في صحة أمرٍ ما . وتَتَقَرَّاهم تتتبعهم يقال قروت البلادَ واستقربتها وتقرَّيتها بمعنى تتبعتها أرضاً أرضاً ، ومررت فيها بقعة بقعة . ونحن نستعمل من هذه المادة فعل استقرأ . ومنه (دليل الاستقراء) في علم المنطق فهو من القرو لا من القراءة . و (يغتلي) بالغين المعجمة إما من غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، أو من غلا بالسهم إذا رمى به أبعدَ ما يقدر عليه . واغتلى البعير أسرع إسراعاً جاوز به حسن السير . فالبحتري يقول : ان ارتيابه في كون هؤلاء الرجال أمواتاً لا أحياء تعاظَم في نفسه وبلغ به أقصى الغاية حتى جعله يعتقد أنهم أحياء لا أموات وحتى كاد يمدّ يديه اليهم ويتقرّاهم أي يتتبع أعضاءهم عضواً عضواً وجارحة جارحة ليتبيَّن إن كانوا أحياء أو لا . وهذا غاية في وصف الحذق الذي أبداه المصوّر في تصوير هؤلاء الرجال .

* * *

(قد سقاني ولم يُصَرِّد أبو الغو ث على العسكرين شُرْبةَ خَلْسِ)

أبو الغوث ابن البحتري وكأنّ البحتري لما شاهد هذه الصور والتماثيل البديعة في شكلها ، ومختلف أوضاعها ، هاج هذا المشهدُ شهوةَ الشرب والتعاطي في نفسه . ولذلك التفت الى ابنه (أبي الغوث) وقال هاتها فسقاه منها ولم يصرّد ، أي لم يقلّل . و (التصريد) أن تسقي آخر ثم تمنع الشرابَ أو الماء عنه قبل أن يروَى منه . وقريب منه (التغمير) وهو أن تسقيه بالغُمَر : وهو قدح صغير تسقيه به لقلة الماء فلا يُروّي . فأبو الغوث على العكس كان يروّي أباه أي يسقيه بالصغير وبالكبير . والشربُ كان نخباً على صحة أو سلامة أو شرف العسكرَيْن : عسكر الفرس وعسكر الروم . لكن تلك الشُّربة لم تكن شربة قومٍ متمكنين متمكنين فى مجلس الشرب وإنما كانا في غالب الظن على ظهر جواديهما ، فكان ابنه يعاطيه الشربة (خَلْساً) أي في اختلاسٍ وخفّة

وعجلة . و (الشُربة) بضم الشين بمعنى المقدار المشروب من الماء أو غيره وهو مفعول به لسقاني في أول البيت و (أبو الغوث) مرفوع على التنازع ، تنازعه كل من الفعلين قبله فيرفعه أحدهما ويقدر للآخر فاعل .

(من مدامٍ تقولها هي نجمٌ ضوءُ الليل أو بُجاجة شمس)

(تقول) هنا بمعنى الظن ومثله قوله :

متى تقول القلّص الرواسما يحملن أم قاسمٍ وقاسما

و (ضوءُ) بمعنى نوّر وأضاء . والبُجاج والبُجاجة الزبق تَمُجُّه من فمك . ويستعمل مجازاً في مثل قولنا (أرض خصبة يمجُّ ثراها الندى مجّا) . وفي مثل (بُجاج المزن) وهو المطر ؛ فان المزن أي السحاب كأنه يمجُّ المطرَ كما يمجُّ الإنسان الريقَ من فمه . ومثل هذا ما قاله البحتري هنا : فانه سمّى السائلَ الذهبي الذي ينتشرُ عن الشمس بُجاجةً كأن الشمس تمجه من فمها مجّا . والتجوز عن ذلك بالمجاجة يشبه تجوزهم باللُعاب (وهو الريق الذي يسيل من الفم) عن السَّراب الذي يترقرق في الصحارى وقت الظهيرة فانهم يسمونه لعاب الشمس .

ومعنى البيت أن أبا الغوث سقى أباه مداماً فظنها لفرط لألائها نجماً ينير الظلام أو شُعاعةَ شمسٍ تنتشر حرارتها في الفضاء فتحيي الأنام .

(وتراها ـ إذا أجدّت مروراً وارتياحاً للشارب المُتحسّي)

(أفرغت في الزُجاج من كلّ قلبٍ فهي محبوبةٌ الى كلّ نَفس)

ضمير (تراها) يرجع للمدام و (أجدّت) بمعنى جدّت وأحدثت و (الارتياح) النشاط و (المتحسّي) اسم فاعل من تحسّى الشراب واحتساه وحَساه : شربه في مُهلة وتأنٍ . وهذا كما يُشرب الشاي والقهوة والمرق ونحوها . فالحسوُ خاص بالمائعات أو الأطعمة المرقّقة كالحساء فانه عند العرب طعام مرقّق يُتخذ من دقيق ودهن وماء ونحن اليوم وضعنا أرزاً مكان الدقيق وسميناه (شوربا) ثم

عدلنا أخيراً عن كلمة (شوربا) التركية الى كلمة حساء العربية ، وكلمة (شوربا) محرفة عن كلمة (شُرْبة) العربية . كما أن كلمة (Sirop) الفرنسية محرفة عن كلمة (شراب) العربية وان كان لاروس يقول إن (Sirop) مأخوذة من اللاتينية . ومما يحسن إيراده هنا أن الفرنسيين اشتقوا من (Sirop) فعل (Siroter) أي شرب لكن لا بمعنى مطلق شرب بل هو شرب في مهلة وتأن كما يشرب الشاي مثلاً وهذا المعنى لفعل (Siroter) هو نفس معنى حسا وتحسّى في العربية كما مر بيانه .

وقوله في البيت الثاني (أفرغت في الزجاج من كل قلب) جملة حالية من مفعول (تراها) في البيت الأول ، لأن الرؤية فيه بصرية أي ترى المدام - حينما تُحدث في نفس شاربها السرور والنشاط - مُفرَغَةً في زجاج الكؤوس (من كل قلب) ، أي كأنها تسيل وتعصر من القلوب لا من عناقيد العنب . والدليل على أنها معتصرة من القلوب هو أنك تراها محبَّبة الى القلوب . فلو لم تكن معتصرة من القلوب لما كانت محبَّبة اليها لأنها جزء منها . كما أن الولد جزء من أبيه ولذا يحبه . وهذا على حدّ قول الآخر :

اذا كنتَ من كل القلوب مركباً فأنتَ الى كل الأنام حبيب

وما قاله البحتري في وصف الخمرة على بلاغته من جهة الصنعة الشعرية والجمال الفنيّ فإن الأبلغ منه من جهة الصنعة الطبية والأخلاقية والاجتماعية قول بعض الحكماء (ليست الخمور سوى مصائب مجمَّعة في الكؤوس) وجاء في بعض الأسفار القديمة : (إذا أراد الشيطان أن يدخل مكاناً عسُر عليه الوصولُ اليه أرسل أمامه الخمرة) .

(وتوهمتُ أن كسرى أَبَرويـــز مُعاطِيَّ والبَلَهْبُذَ إنسي)

كلمة (كسرى) يطلقها العرب على كل ملكٍ للفرس كما أطلقوا (النجاشي)

على كل ملك للحبش . و (كسرى) محرفة عن اسم علم لأحد ملوكهم الأقدمين وهو (كيخسرو) . ويُفهم من كسرى عند الإطلاق كسرى أنوشروان المشهور بالعادل . وقد وُلد في زمنه النبيُّ (ﷺ) ، أما كسرى أبرويز المذكور في البيت فهو من متأخري ملوكهم الذين أدركهم الإسلام . والمعاطاة في اللغة المناولة ثم غلبت في مناولة كؤوس الخمر و (البَلَهْبُذ) اشتبه عليّ تفسيرها وضبطها ولا سيما انها في معجم البلدان (البلهبدى) بالدال المهملة وألف مقصورة في آخرها . ولم أجدها في المعاجم العربية . وليس لدينا معاجم فارسية يعتمد عليها . ثم هُديت الى تفسيرها بطريق ينبغي ذكره للطف اتفاقه وحسن مساقه : ذلك أنه زار مجمعنا العلمي الدمشقي (سنة ١٩٢٩ م) لمشاهدة الآثار نفر من حجاج الإيرانيين . وفيهم رجل يتزيّا بزيّ علمائهم ومجتهديهم فاستأنستُ به وطفت معه على الآثار . وسألته عن اسمه فقال : إنه من علماء رشت في خراسان العجم واسمه (ميرزا أبو الفضل) وانه مدرس في احدى مدارس رشت يعلّم طلابها الفقه . فذاكرته في معنى كلمة (البلهبذ) وأنشدته بيت البحتري المذكور ، فقال : البلهبذ بضم الباء الثانية لا بفتحها وآخرها ذال معجمة ومعناها النديم [1] ويراد منها نديم كسرى المشهور ، فقلت له : هل تأذن لي

(١) ثم ظفرنا بفوائد تتعلق بالبلهبذ في شهنامة الفردوسي المترجمة للعربية جزء (٢ ص ٢٥٤) وخلاصة ما قرأته فيها ان البلهبذ هو أكبر المغنّين في بلاط كسرى (أبرويز) وأصل اسمه بالفلهوية (بَلَهْبَتْ) وقد تحرف في العربية الى نحو عشرة تحاريف منها : (بربد) و (برباد) وبهليد وبهليذ وبابهدى الخ . وهو الذي غنّى لكسرى فأعطه بموت حصانه (شبديز) بعد ان أحجم وزراؤه عن نعيه اليه . وقد رأيت الأستاذ عبد الوهاب عزام في مجلة الرسالة في كلامه على رحلته الى ايران يضبط (البَلَهْبَذ) بفتح ثم فتح ثم سكون ثم فتح ثم ذال مرة معجمة ومرة مهملة وقال : رووا ان لكسرى أبرويز ثلاث خصائص : حصانه شبديز وجاريته شيرين ومغنّيه بِلَهْبَذ ولم يقم في العالم أحذق من بلهبذ بالعود .

أن أروي شرح هذه الكلمة عنك ؟ قال : قد أذنت لك . فشكرت له تلطُّفه وودعته بخفاوةٍ وإكرام .

وكلمة (أنسي) بضم الهمزة وهو ضد الوحشة أي ذو أنس ، وأستحسن أن تكون بكسر الهمزة صفة بمعنى الأنيس الذي يؤانسك ، يقال فلان (إنسُك وابنُ إنسِك) بكسر الهمزتين أي صفيُّك وأليفك ، وقال أبو زيد (تقول العرب للرجل : كيف ترى ابنَ إنسِك ؟ إذا خاطبت رجلاً تسأله عن نفسك) .

ومعنى البيت أن البحتري لما سقاه (أبو الغوث) نخب العسكَرَيْن وهو ينظر اليهم والى ملوكهم خُيِّل اليه أنه في مجلس شراب وأن كسرى ابرويز نفسَه يُعاطيه ، والبلهبذَ نديَه يؤانسُه ويناجيه .

(حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشك عيني أم أمانٍ غيَّرنَ ظنّي وحَدْسي)

(الحُلُم) رؤيا المنام و (أمان) جمع أمنيّة والحدس الظن والتخمين ، يقول البحتري : إن ما توهمه من معاطاة كسرى ومنادمة البلَهْبذ أهو يا ترى أضغاث أحلام انطبقت أجفانه على الشكّ والتردد في صحتها أو هو من قبيل الأماني التي تشتدّ أحياناً في النفس فيتبدّل معها الظن والتخمين إلى القطع واليقين ؟؟

(وكأنّ الإيوان من عَجَب الصنـــــعة جَوْبٌ في جَنْب أرعن جَلْسِ)

بعد أن وصف الشاعر صورة معركة انطاكية التي شاهدها في (الجرماز) ، وشرب عليها المدام اختلاساً من دون نقل ولا ماز ، عاد في الوصف الى مشهد آخر من مشاهد إيوان كسرى وطاقه المشهور . والطاق كما مر القوس الأعظم المبني بالآجر وكل آجرةٍ طولها ذراع وعرضها نحو شبر . عُرِّيَتْ تلك القنطرة من جصِّها وزينتها . ولم يبق منها إلا تلك الآجرات المقوَّسة كأضلاع الهيكل العظمي بحيث يظنُّها من يراها عالقةً في الفضاء وقد انطادَتْ صُعُداً حتى كأن لها حاجةً في السماء . هذا الطاق اذا استقبله الزائر رأى فضاءً مطوقاً بقوس

من آجر على ارتفاع ثمانين ذراعاً وقد أحاطت به من ورائه بعيدةً عنه بقايا القصور والأبنية الشاهقة ـ اذا رأى هذا المشهدَ مشاهدُه لم يحسبه إلا جَوْباً في جنب أَرْعَن جَلْس . والجوبُ الخرْق والنقْب الواسع . وكل فجوة تحيط بها البيوت من جوانبها فهي جَوْب . وأصل معنى الجوب القطع وجابوا الصخر بالواد (وهم ثمود) : قطعوه وفتحوا فيه فَجَوات ومغاور يسكنون فيها . والأرعن الجبل ذو الرَعْن . والرعن أنف عظيم يتقدّم الجبل أي نتوءٌ وبروزٌ في الجبل . و (الجَلْس) بفتح الجيم الجبل العالي الطويل .

يقول البحتري في صفة الإيوان وطاقه : إن صانعه أتى في صنعه بالعَجَب العجاب : إذ هو يشبه فجوةً واسعة في جنب جَبَل شامخ عظيم .

هذه الفجوة أو الجوْب الواسع في الجبل الذي رآه شاعرنا يذكّر بفجوةٍ أخرى أو جَوْبٍ آخر يراهُ الناظر تحت قدمه إذا أشرف من أرز لبنان على وادي نهر قاديشا المشهور بالجُبَّة . تلك الفجوة أو الهوّة الواسعة العميقة جدّ العمق والتي تحيط بها الجبال الشامخة جدّ الشموخ وكلها من صنع الطبيعة تذكّر بفجوة الطاق الهائلة وحولها الأبنية ، وكلها من صنع البشر .

(يُتَظَنّى من الكآبة إنْ يبْـــدُ لعَيْني مُصَبِّح أو مُمَسّي)

(مزعَجاً بالفراق عن أنس إلف عزّ أو مُرهقاً بتطليق عِرس)

يصف الكآبة الحزينة التي تغشى الإيوان عندما يراه الناظر وقتَ الصباح أو وقتَ المساء . و (يُتَظَنّى) بمعنى الظن أصله يتظنّن بثلاث نونات أبدلت الأخيرة ألفاً ومنه قول الحريري في مقاماته :

يا من تَظَنّى السَّراب ماءً لما رويتُ الذي رويتُ

(مُصبِّح ومُمسّي) اسما فاعل من صبّحه ومسّاه جاءه صباحاً ومساءً . و (مُزعَجاً) بفتح العين اسم مفعول من أزعجه عن وطنه ثم اضطرّه الى مغادرته وهو كاره ومنه قول ابن دريد :

وسائلي بتعجبي عن وطني ما ضاق بي جنابه ولا نبا

و (إلف عزّ) أي أليف وأنيس عزّ عليه و (المُرهَق) اسم مفعول أيضاً من أرهقه إذا أعنته وكلّفه ما لا طاقة له بحمله . والعِرس بكسر العين : الزوجة .

والمعنى أن من زار الإيوان صباحاً أو مساء ظنه مما عليه من الكآبة والعُبوس وسوء الحال رجلاً طرده ظالم من وطنه وفرّق بينه وبين أليفه المؤانس له العزيز عليه . أو يظنه زوجاً مُحباً لزوجه في رَغَد من الحياة معها أرهقه ظالم غاشم وأكرهه على تطليقها ، فإيوان كسرى يشبه أحد هذين الرجلين الحزينين المهاجر من وطنه أو المطلق لسكنته .

(عكست حظّه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس)

هذا البيت وارد على رأي الأقدمين في الطالع وأن للنجوم تأثيراً في أحوال البشر ، وشؤون حياتهم . وهو العلم الذي أبطله الإسلام . ولكن مع الأسف بقي جماعة من المسلمين يؤمنون به الى هذه الساعة .

وكوكب (المشتري) هو الذي يتجلّى على الناس بحسن الطالع في زعم المنجمين . وعلى العكس كوكب (زُحَل) فإن طالعه شؤم وشقاء عليهم . فإيوان كسرى بعد أن كان كوكب سعده كوكب المشتري عكست الليالي هذا الحظ وحوّلت المشتري الى كوكب نحس وشؤم على الإيوان .

(يتبع) المغربي

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

-٢-

(م) فان قيل (أي إن قال الشيعة) : فأنتم - في هذا المقام - تسبون الرا . . وتذمونهم وتذكرون عيوبهم .

(ت) قيل (أي يقول السنيون) : ذكرُ الأنواع المذمومة غيرُ ذكر الأشخاص المعيَّنة ... وهم يستعينون بالكفار على المسلمين ، كما جرى لجنگز خان ملك الترك الكفار ، فانهم أعانوه على المسلمين . وإما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء الى خراسان والعراق والشام ، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد .... ولم يُرَ في الاسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمَّين بالتتر ، وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين ، فهل يكون مواليًا لآل الرسول (ﷺ) من يسلّط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلين ؟؟

[وصف مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في ص ٥٧٨ من كتابه (روضات الجنات) الطبعة الثانية هذا الموقف المخزي ، فقال في ترجمة شيخهم النصير الطوسي ما نصه : « ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أي النصير الطوسي) للسلطان المحتشم في محروسة ايران ، هولاكو خان ابن تولى خان ابن جنگز خان ، من عظماء سلاطين التاتارية ، وأتراك المغول ، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد ، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد ، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد ، وإخماد

نائرة الجور والإلباس ، بابادة دائرة ملك بني العباس ! ! وايقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام . إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار ، فانهار بها في ماء دجلة ، ومنها الى نار جهنم دار البوار ، ومحل الأشقياء الأشرار !!! .. وهذا مصداق ما قرره شيخ الإسلام (ابن تيمية) منقولاً بحروفه من اعتراف الخونساري .. الذي يعدّ (القتل العام) في المسلمين من أمانيهم ورغائبهم ، عاملهم الله بما يستحقون] .

(ت) وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم (توفي سنة ٦٥٦) .

[ووثق به المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فألقى اليه زمام أموره . ولما دخلت جيوش هولاكو الوثني بلاد إيران أرسل اليه ابن العلقمي يحرضه على قصد بغداد ... فزحف هولاكو على بغداد في مائتي الف من التتار والكرج وسائر يأجوج ومأجوج ، ومثّل ابن العلقمي دوره في مخادعة الخليفة المستعصم ، وهوّن عليه الأمر ، فلما نزلت جيوش هولاكو في شرقي بغداد وغربيها ، استأذن ابن العلقمي خليفته بالخروج إليهم للتوسط في الصلح ، وبعد أن توثق الخبيث لنفسه وكاشف المغيرين بانحيازه اليهم وخيانته لدولته ، عاد فزعم للخليفة انّ هولاكو يرغب في تزويج ابنته بالأمير أبي بكر ابن الخليفة ! ! .. ودعا الخليفة وابنه وأعيان الدولة الى الخروج لزيارة هلاكو ، كما دعا العلماء والرؤساء ليحضروا عقد الزواج بزعمه ؛ فلما صاروا بعسكر هلاكو أمر بضرب أعناقهم ، وبقيت الرعية بلا راع ؛ ثم دخلت يأجوج ومأجوج بغداد ، فوضعت السيوف في الرقاب ؛ واستمر القتل والسبي والنهب أربعين يوماً ، ويقال ان هلاكو أمر بعد ذلك باحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك ، فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف ، وثمانمائة ألف ، والذي لم يحصوه أضعاف

ذلك - وقد وصف تقي الدين ابن أبي اليُسر هذه المجزرة الهمجية بقصيدة منها :

يا زائرين إلى الزوراء لا تَفِدوا فما بذاك الحمى والدار ديّارُ

أما عدوّ الله ابن العلقمي فخابت آماله كلها في إقامة الملك أو الإمامة لهم ، واحتقره هلاكو ورجاله كما يحتقر كل خائن ، وصار فيهم كمملوك من المماليك ، حتى أثر عنه أنه كان ينشد : «وجرى القضاء بعكس ما أمّلته» ثم مات كمدا ، لا رحمه الله . وهذا البلاء الأعظم الذي وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتار الوثنيين ، هو الذي وصفه مؤرخ الشيعة الخونساري بلسان الشماتة والابتهاج ، معلناً أنه ومَن على شاكلته من طائفته مخازون الى صفوف الكفار ، ومعادون لجماعة المسلمين . قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله] .

(م) وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، (فمن عاد الى مثلها فاقتلوه) .

(ت) قلنا : هذا القول الأخير افتراء ، وإنما قال : وليس فيكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبي بكر . ومعناه أن بيعة الصديق بُودر اليها من غير انتظار وتريث لكونه كان متعينا .

(م) ولم يولّ النبي أبا بكر عملاً قط ؛ بل ولّى عليه عمرو بن العاص مرة ، وأسامة أخرى . ولمّا أنفذه بسورة براءة ردّه بوحي من الله » .

(ت) قلنا من المعلوم قطعاً أن النبي (ﷺ) استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، فكان هذا من خصائصه ، كما أن استخلافه على الصلاة من خصائصه ، وكان عليّ من رعيته في الحج المذكور ، فإنه لحقه فقال (أي أبو بكر لعلي (رض) : أمير أو مأمور ؟ قال عليّ : بل مأمور . وكان علي يصلي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الحجة ، بل خُصّ بتبليغ سورة براءة » .

[لسببين : (أحدهما) أن في السورة فسخاً لعهود سابقة مع المشركين ، ومن عادة العرب أن يتولى إعلان ذلك الرجلُ المطاع في جماعته ، أو رجل من ذوي قرابته . (والسبب الثاني) أن في السورة ثناء من الله عز وجل على الصديق الأعظم رضوان الله عليه ، وهو قول الله جل جلاله : « إلاّ تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إنّ الله معنا » . فكان من مناقب الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أن يعلن هذا الثناء الإلهي عليه أخوه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما] .

(م) وأهمل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتصّ من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل » .

(ت) إن كان ترك قتل قاتل المعصوم (أي معصوم الدم) مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج شيعة عثمان على عليّ ، فان عثمان خير من أمثال مالك بن نويرة ، وقد قتل مظلوماً شهيداً ، وعلي لم يقتص من قتلته ، ولذا امتنع الشاميون من مبايعته ، فان عذرتموه فاعذروا أبا بكر ، فانا نعذرهما . وكذلك إنكاركم على عثمان حيث لم يقتص من عبيد الله بن عمر بالهرمزان . ثم إن عمر أشار عليه باجتهاد منه .

(م) وخالف أمر النبيّ في توريث بنته ومنعها فَدَك » .

(ت) قلنا : جميع المسلمين مع أبي بكر فيما فعل ، (خلا الجهلة) وذلك لرواية جماعة من الصحابة عن النبي (ﷺ) أنه قال « لا نورث » (وقد تقدم ذلك) .

[روايات هذا الحديث وما دار حوله في ص ٤٨ — ٥١ من (العواصم من القواصم)] .

(م) وعن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال في مرضه : ائتوني بدواة وبيضاء ، لأكتب لكم كتاباً لا تضلون من بعدي . فقال عمر : إن الرجل ليهجر ، حسبنا كتاب الله ، فكثر اللغط ، فقال رسول الله (ﷺ) : اخرجوا عني ، لا ينبغي التنازع لديّ ، قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب النبي (ﷺ) .

(ت) أما قصة الكتاب فقد جاء مبيّناً في الصحيحين من حديث عائشة ، قالت : قال رسول الله (ﷺ) في مرضه : ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر » ... والنبي (ﷺ) كان عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة ، فلما رأى أن الشك قد وقع ، علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة ، وعلم أن الله يجمعهم على ما أراد ، كما قال : « ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر » . ومَن توهّم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضالّ باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة ؛ أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه ، وأما الشيعة القائلون بأنّ علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون انه قد نصّ على إمامته قبل ذلك نصّاً جلياً ظاهراً معروفاً ، وحينئذ فلم يكن يحتاج الى كتاب .

(م) فكان (أي عمر) يعطي أزواج النبي (ﷺ) من بيت المال أكثر مما ينبغي ، ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة آلاف .

(ت) قلنا : كان مذهبه التفضيل في العطاء ، كما كان يعطي بني هاشم أكثر من غيرهم ، ويبدأ بهم ، ويقول : ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، وإنما هو الرجل وغناؤه ، والرجل وبلاؤه ، والرجل وسابقته ، والرجل وحاجته ، وكان يعطي ابنه عبد الله أنقص مما يعطي أسامة بن زيد ، فو الله ما كان عمر يتهم في تفضيله لمحاباة ولا صداقة .

(م) وقال بالرأي والحدس والظن » .

(ت) قلنا هذا لم يختصّ به ، وقد كان عليّ من أقولهم بالرأي ، فمن ذلك سيرُه الى صفّين ، فقال : لمْ يَعْهَدْ إليَّ فيه نبيّ الله بشيء ولكنه رأي رأيته . وأما قتاله الخوارج فكان معه فيه حديث . وأما قتال الجمل وصفين فلم يروِ أحد منهم فيه نصّا إلاّ القاعدون فانهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة [ومنهم سعد بن أبي وقّاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وأسامة بن زيد وغيرهم] .

ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به ، وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذمّاً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين ، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم ، بل نقص الخير عمّا كان ، وزاد الشرّ على ما كان ، فاذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب به فرأي عمر وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب ، مع أن عليّاً شركهم في هذا الرأي ، وامتاز برأيه في الدماء ؛ وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة ، وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة . ومن المعلوم أنّ قول عليّ في الجدّ وغيره من المسائل كان بالرأي ، وقد قال : اجتمع رأيي ورأي عمر على المنع من بيع أمهات الأولاد .

(م) إن زعم أنّ الإمام يكون منصوصاً عليه وهو معصوم » .

(ت) فليس هو أعظم من الرسول ، ونوابُه وعمّالُه ليسوا معصومين ، ولا يمكن أن ينصّ الشارع على كل معيّنة ، ولا يمكن النبيّ ولا الإمام أن يعلم الباطن في كل معيّنة . وأما علي رضي الله عنه فظهور الأمر في الجزئيات بخلاف ما ظنه كثير جدا ، فعلم أنه لا بدّ من الاجتهاد في الجزئيات من المعصومين

وغير المعصومين . وفي الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال : «أنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار» فحكمه في القضية المعينة إنما هو باجتهاده ، ولهذا نهى المحكوم له أن يأخذ ما حكم له به إذا كان الباطن بخلاف ما ظهر .

(م) وقولك : جمع (أي عمر) بين الفاضل والمفضول ، (أي في الشورى) .

(ت) فهذا عندك ، وأما عندهم فكانوا متقاربين ، ولهذا كانوا في الشورى مترددين ، فان قلت : علي هو الفاضل وعثمان المفضول ، قيل لك : فكيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول ؟ وقال بعض العلماء : مَن قدّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وفي الصحيحين عن ابن عمر ، قال : كنا نفاضل على عهد النبي (ﷺ) فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان . وفي لفظ : ثم ندع أصحاب النبي (ﷺ) فلا نفاضل بينهم ، فهذا ينقل ما كان عليه الصحابة على عهد نبيهم ، وظهر أثر ذلك فانهم بايعوا عثمان من غير رغبة ولا رهبة واتفقوا عليها ... فدلّ على أنهم إنما قدموه باستحقاق . وهذا شيء إذا تدبره الخبير ازداد به بصيرة وعلماً .

(م) وأمّا عثمان فانه ولّى مَن لا يَصلُح حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه ، وعوتب فلم يرجع .

[كلّ ما عزاه أعداء الصحابة الى ذي النورين رضوان الله عليه ، أورده القاضي أبو بكر بن العربي وسماه (قواصم) وأجاب على كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب : (العواصم من القواصم) الذي علقنا عليه بما لا يترك مقالاً لقائل . فارجع اليه لتطهر قلبك من الغل للذين آمنوا من تلاميذ محمد (ﷺ) ، وخاصة أحبابه ،

فان أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت ، وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله الحق بكتاب العواصم من القواصم ، فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة] .

(تنبيه) ذكر ابن المطهر أمثلة على انحراف الخليفة عثمان ، فأجاب عنها ابن تيمية ، وصاحب التعليقات واحدة واحدة .

(م) وأبو بكر وعمر وعثمان ما كانوا معصومين اتفاقاً ، وعلي معصوم فيكون هو الإمام » .

(ت) الرسول هو المعصوم ، وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق ، وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظر . فهذا رسول الله (ﷺ) هو المعصوم ، وأوامره معلومة ، فاستغنت الأمة به وبأوامره وبعلمه عن كل أحد ، وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلاّ . ومعلوم قطعاً أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا بمعصومين ، ولم يتولّ على الأمة من ادُّعِيتْ له سوى علي ، وكان من نوّابه على رعيته بالبلاد النائية مَن لا يدري بما أمر ولا بما نَهى ، بل كانوا يتصرفون بما لا يعرفه هو (أي باجتهادهم) .

ثم الإمام الذي وصفتَه ، لا يوجد في زماننا ، مفقود غائب عندكم ، ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم ، ومثله لا يحصل له شيء من مقاصد الإمامة ، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم (كما تدّعون) أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه ، والإمام يحتاج اليه للعلم ليبلغه ، وللعلم ليطاع في سلطانه .

[إن جميع الدلائل الشرعية والعقلية والتاريخية التي في أيدينا ـ عن آخر مَن يدّعون عصمته ـ تدلّ على أنه لم يخلق ، ويوم وقعت وفاة أبيه وحُررت تركته ، لم تقل زوجة من أزواج المتوفّى ولا أمة من إمائه إنّ له ولداً منها . وحجزت أزواجه وإماؤه في منزل مدة العدّة على احتمال أن تكون حاملاً فتلد ،

فضت مدة العدة ولم يولد له أحد . والمنزل الذي يزعمون انّ فيه سرداباً كان من يوم وفاة الحسن العسكري تحت تصرف أخيه جعفر ، وكان جعفر على يقين بأنه ما كان ولم يكن لأخيه ولد ، وللعلويين نقابة ونقيب وسجل للمواليد ، وليس فيه أي ذكر لمولود ينسب الى الحسن العسكري] .

(م) والإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وعليّ فاضل أهل زمانه فهو الإمام لقبح تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلا » .

(ت) قلنا لا نسلّم أنه أفضل أهل زمانه ، فانه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل ، ومنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية .

(م) قوله تعالى : يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك » اتفقوا على نزولها في عليّ ، روى أبو نُعيم باسناده الخ ومن تفسير الثعلبي الخ وقد روى هذا النقاش في تفسيره » .

(ت) قولك اتفقوا على نزولها في عليّ كـ ... بل ولا قاله عالم ، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يُعَدّ ، والمرجع في النقل الى أمناء حديث رسول الله ، كما أن المرجع في النحو الى أربابه ، وفي القراءات إلى حذاقها ، وفي اللغة إلى أئمتها ، وفي الطب إلى علمائه ، فلكل فنّ رجال ، وعلماء الحديث أجلُّ وأعظم تحرياً للصدق من كل أحد ، علم ذلك من علمه ، فما اتفقوا على صحته فهو الحق ، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو ساقط ، وما اختلفوا فيه نُظر فيه بانصاف وعدل ، فهم العمدة كمالك وشعبة والأوزاعي والليث والسفيانَين والحمّادَين وابن المبارك ويحيى القطّان وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع وابن علية ، والشافعي وعبد الرزاق والفريابي وأبي نعيم والقعنبي والحميدي

وأبي عبيد وابن المديني وأحمد واسحاق وابن معين وأبي بكر بن أبي شيبة والذهلي والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومسلم وموسى بن هارون وصالح جزرة والنسائي وابن خزيمة وأبي أحمد بن عدي وابن حبّان والدارقطني وأمثالهم من أهل العلم بالنقل والرجال والجرح والتعديل .

وقد صنف في معرفة الرجال كتب جمة : كالطبقات لابن سعد ، وتاريخي البخاري ، وكلام ابن معين من رواية أصحابه عنه ، وكلام احمد من رواية أصحابه عنه ، وكتاب يحيى بن سعيد القطّان ، وكتاب علي بن المديني ، وتاريخ يعقوب الفسوي ، وابن أبي خيثمة ، وابن أبي حاتم ، والعقيلي ، وابن عدي وابن حبان والدارقطني .

والمصنفات في الحديث على المسانيد : كمسند أحمد ، واسحاق ، وأبي داود ، وابن أبي شيبة ، والعدني ، وابن منيع ، وأبي يعلى ، والبزار ، والطبراني وخلائق .

وعلى الأبواب : كالموطأ ، وسنن سعيد بن منصور ، وصحيحي البخاري ومسلم ، والسنن الأربعة ، وما يطول الكتاب بتعداده .

ثم نقول : ما يرويه مثل النقاش والثعلبي وأبي نعيم ونحوهم : أتقبلونه مطلقاً لكم وعليكم ، أم تردّونه مطلقا ، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردّون ما خالف ؟ فان قبلوه مطلقاً ، ففي ذلك من فضائل الشيخين جملة من الصحيح والضعيف ، وإن ردّوه مطلقاً بطل اعتماده بما ينقل عنهم ، وان قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن المخالف ردُّ ما قبلوه والاحتجاج بما ردّوه ، والناس قد كذبوا في المناقب والمثالب أكثر من كل شيء .

ثم هذا الحديث كذب باتفاق أهل الحديث ، ولهذا لم يُروَ في شيء من كتب الحديث المرجوع اليها ، وانما يجوّز صدقه من يقول : إن النبي (ﷺ) كان على مذهب أحد الأربعة !! . . . أو أنّ قبر علي رضي الله عنه بباطن

النجف ، وأهل العلم يعلمون أنّ علياً ومعاوية وعمرو بن العاص دفن كل واحد منهم بقصر الإمارة ، خوفاً عليه من نبش الخوارج .

[أما قصر الإمارة في الكوفة الذي دفن فيه عليّ كرم الله وجهه ، فانه يقع قبلي الجامع ويطلّ على الرحبة . ويقول مؤرخ الشيعة لوط بن يحيى إنه دفن في إحدى زوايا الجامع على رحبة القصر ، بالقرب من أبواب كندة . وما زعمته الشيعة بعد ذلك من أن قبره في النجف ، فهو زعم متأخر دهراً طويلاً عن زمن عليّ وابنيه ، لأنه يرجع إلى أواخر القرن الثالث ، وقصر الإمارة في دمشق الذي يعلم أهل العلم أن معاوية دفن فيه هو (الخضراء) التي كانت تتصل بجدار القبلة من مسجد دمشق ، وتمتدّ شرقاً الى بركة جيرون ، وغرباً الى باب البريد ، وجنوباً الى قصر أسعد باشا العظم وما حوله] .

[وأما عمرو بن العاص فانه لما توفي في عيد الفطر من عام ٤٣ صلى عليه ابنه عبد الله (رض) ولم أعثر عند كتابة هذا التعليق على نص لمن قالوا انه دفن في دار الإمارة ؛ والمشهور أنه دفن في سفح جبل المقطّم بقرب مدخل الشعب . وكان الصحابة يرون أن العظماء تخلدهم أعمالهم لا قبورهم . ولذلك لم يكونوا ـ كالفراعنة والجبارين ـ يبالون بأن تقام المباني والصروح على قبور العظماء منهم والفاتحين والصالحين] .

(م) روى الجمهور قوله عليه الصلاة والسلام : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض . وقال : أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وسيد أهل بيته علي ، فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون الإمام» .

(ت) قلنا : إنما لفظ الحديث في مسلم ، عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ﷺ) خطيباً بخم ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا : كتاب الله » وأما قوله : « وعترتي » فهذا رواه الترمذي ، وتفرد به زيد بن الحسن الانماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر ، والانماطي قال فيه أبو حاتم منكر الحديث [ويعدُّه الشيعة منهم ، وله ترجمة عند المامقاني (١ : ٤٦٢) . ولكنه غير محمود عندهم ولا عندنا] . وأما حديث سفينة نوح فغير صحيح ، ولا هو في شيء من الكتب المعتمدة ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لن يتفرقا ، يدلّ على أن إجماع العترة حجة ، وهو قول طائفة من أصحابنا وذكر القاضي في المعتمد : والعترة هم بنو هاشم كلهم : ولد علي وولد العباس وولد الحارث ابن عبد المطلب . وسيد العترة هو رسول الله (ﷺ) وكان ابن عباس أفقه العترة ، وكان يخالف علياً في مسائل ، وعلي ما كان يوجب على أحد طاعته فيما يفتي به .

(الخاتمة) كل عاقل يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض ـ والله ـ لا مع عليّ ولا مع غيره ، ولا غرضهم تكذيب نبيهم ، ولا ردّ ما أمر به ، ولو علموا أن الرسول نصّ لهم على عليّ لكانوا أسبق شيء الى أمره والى التصديق به ، غاية ما يقدّر أنه خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون مَن خفيَ عليه جزء من الدين مثل ... بل يكفي من وضع .. قول المصطفى (ﷺ) : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، نعم ، ومن كتم ما نصّ عليه الرسول مراغمة لله ورسوله فهو من أصحاب النار .

(م) المنهج الرابع في الأدلة الدالة على إمامته من أحواله ، فذكر أنه كان أزهد الناس وأعبدهم ، وأعلمهم وأشجعهم . وذكر أنواعاً من خوارق العادات له .

(ت) بل كان أزهدَ الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر ، فانه كان له مال يتجر به ، فأنفقه كله في سبيل الله [أخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة ؛ أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف

درهم ، قال عروة : وأخبرتني عائشة ، أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً . ومن طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، ولقد بعث النبي (ﷺ) وعنده أربعون ألفاً ، فكان يعتق منها ويعول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ، وكان يفعل فيها كذلك] .

قال ابن زنجويه [هو حميد بن مخلد الثقة الثبت الحجة الحافظ . توفي سنة ٢٤٧] : كان علي فقيراً في أول الإسلام ، ثم استفاد الرباع والمزارع والنخيل ، واستشهد رضي الله عنه وعنده تسع عشرة مربية وأربع نسوة . وقال شريك بن عاصم : لقد رأيتني على عهد رسول الله (ﷺ) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ، وان صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفا .

ثم قد كان لأبي بكر من الولد مثل عبد الرحمن ، ومن القرابة مثل طلحة أحد العشرة ، فما استعمل هذا ولا هذا في جهاته ، وهي مكة والمدينة واليمن وخيبر والبحرين وحضرموت وعمان والطائف واليمامة ، ثم جرى عمر على مجراه ، ولم يستعمل من بني عدي أحداً على سعة عمله ، وقد فتح الشام ومصر والعراق إلى خراسان ، إلاّ النعمان بن عدي العدوي وحده ـ على ميسان ـ ثم أسرع عزله ؛ فكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد العشرة ، وأبي جهم بن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وولده عبد الله بن عمر . ثم كل منهما لم يستعمل ابنه من بعده على الأمة . . . وجدنا علياً استعمل أقاربه : ابن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقثما ومعبداً ابني عباس على الحرمين ، وابن أخته جعدة بن هبيرة على خراسان ، وابن امرأته وأخا ولده محمد بن أبي بكر على مصر ، ورضي بيعة المسلمين لابنه بعده . ولسنا ننكر أهليته وزهده وعظمته ، ولا أهلية عبد الله بن عباس للخلافة ، ولكنا نقول : إنّ أبا بكر وعمر أتمّ زهداً وأعزف عن الدنيا من زاهد يفعل المباحات .

(م) وبالجملة ، زهدُه لم يلحقه أحدٌ فيه ولا سُبق اليه ، واذا كان كذلك كان هو الإمام» .

(ت) قلنا : كلا المقدمتين باطلة : لم يكن أزهد من أبي بكر (كما تقدم) ولا كلُّ مَن كان أزهد كان أحقَّ بالإمامة ، وقال علي : لا يبلغني أن أحداً فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري ، وقد رُوي عن عليّ من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبره : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر . وقال البخاريّ : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن شدّاد ، حدثنا منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبة من خير الناس بعد رسول الله (ﷺ) ؟ قال : يا بُنيَّ أو ما تعرف ؟ فقلت : لا ، فقال : أبو بكر ، قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم عمر .

ثم عقد ابن المطهر فصلاً في الكلام على إمامة أبي بكر ، واليك مثلاً منه وجوابه :

(م) قال : واحتجوا بالاجماع ، والجواب منعه ، فان جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة وخالد بن سعيد بن العاص . . . وبنو حنيفة كافة ولم يحملوا الزكاة اليه ، حتى سمّاهم أهلَ الرِّدّة وقتلهم وسباهم ، فأنكر عليه عمر ، وردّ السبايا أيام خلافته» .

(ت) أفسُمِعَ قطُّ بمثل هذا ؟ : فقد عَلِمَ كلُّ عالم كفر بني حنيفة أتباع مسيلمة وارتدادهم ، وهذا يعدّهم من أهل الإجماع ، وإنما قتلهم وسباهم لامتناعهم عن بيعته ، ولأنهم لم يحملوا الزكاة اليه !! فنعوذ بالله من البهتان :

إذا محاسني اللاتي أُدلُّ بها كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذرُ

ومن أعظم مناقب الصدّيق قتل أولئك الأرجاس وسبيهم ، وما قاتلهم على

منع زكاة ، بل على إيمانهم بمسيلمة ، وكانوا نحو مائة ألف . والحنفية سرّية علي ـ أم محمد بن الحنفية ـ من سبيهم .

[وتسرّي علي بها اعتراف منه بشرعية حكم أبي بكر وحروبه ونتائجها (انظر رسالة مؤتمر النجف ص ٣١)] .

فأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فطوائف من العرب غير بني حنيفة استباحوا ترك الزكاة بالكلية فقاتلهم ... فأمر بني حنيفة قد خلص الى العذارى في الخدور ، وكتاب الردّة لسيف بن عمر مشهور ، والردّة للواقدي . ثم قولك إن عمر أنكر قتال أهل الردة وردّ عليهم » من البهتان ، وإنما توقف مع الصديق في قتال مانعي الزكاة فناظره ، فرجع عمر الى قوله . وأما الذين سميتهم وأنهم تخلفوا عن بيعة الصديق ... ما تخلف إلاّ سعد بن عبادة ، ومبايعة هؤلاء لأبي بكر ثم عمر أشهر من أن تنكر .

والكلام في إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها ، وإما أن يكون في استحقاقه لها . (أما الأول) فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس بأنه تولى الأمر ، وقام مقام رسول الله (ﷺ) وخلفه في أمته ، وأقام الحدود ، واستوفى الحقوق ، وقاتل الكفّار والمرتدين ، وولي الأعمال ، وقسم الأموال ، وفعل جميع ما يفعل الإمام ؛ بل هو أول من باشر الإمامة في الأمة .

وأما إن أريد بامامته كونه مستحقاً لذلك ، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الاجماع : فلا طريق يثبت بها كون عليّ مستحقاً للإمامة إلاّ وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستحق للإمامة ، وأنه أحق بالإمامة من علي وغيره . وحينئذ فالإجماع لا يحتاج اليه لا في الأولى ولا في الثانية ، وإن كان الإجماع حاصلا .....

فمن تأمل وجد فضائل الصدّيق كثيرة ، وهي خصائص له ، مثل : « إنّ

الله معنا » وحديث المخالّة ، وحديث انه احبُّ الرجال إلى رسول الله (ﷺ) وحديث الإتيان إليه بعده [أي حديث المرأة التي قال لها النبي (ﷺ) : إن لم تجديني فأتي أبا بكر ، وهو في الصحيحين] . وحديث كتابة العهد له ، وحديث تخصيصه بالصديق ابتداء والصحبة ، وتركه له ، وهو قوله : « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » وحديث رفعه عنه عقبة بن أبي مُعَيط إذ وضع الرداء في عنقه ، وحديث استخلافه في الصلاة والحج ، وشأن ثباته بعد وفاة الرسول (ﷺ) وانقياد الأمة له ، وحديث خصال الخير التي اتفقت له في يوم .

ثم له مناقب يشركه فيها عمر ، كحديث شهادته بالإيمان له ولعمر ، وحديث عليّ يقول : كثيراً ما كنت أسمع النبي (ﷺ) يقول : « خرجت أنا وأبو بكر وعمر » وحديث نزعه من القليب ، وحديث : « إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » . . . وللصدّيق في الصحاح نحو عشرين حديثاً ، أكثرها خصائص ، فمناقبه جمّة ، وفضائله عِدّة ، استوجب بها أن يكون خليل رسول الله (ﷺ) دون الخلق لو كانت المخالّة ممكنة . فلو كان مبغضاً له كما يقول . . لما حزن ، بل كان يظهر الفرح والسرور ، فأخبر الرسول (ﷺ) أنّ الله معها ، وهذا إخبار بأن الله معهما بنصره وحفظه . ومعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي قد عاداه فيه أولئك الملأ ، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره ، وهو عدوّ له في الباطن . هذا لا يفعله إلاّ أغبى الناس وأجهلهم ، فقبّح الله من جوّز هذا على أكمل الخلق عقلاً وعلما .

(م) وأما إنفاقه على الرسول فكذب ، لأنه لم يكن له مال » .

(ت) من أعظم البلايا إنكار المتواتر المستفيض القطعي . فمن ذا الذي

نقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمت .. أينكر جود حاتم وشجاعة علي وحلم معاوية وغنى أبي بكر وفضله ؟ بل هؤلاء لا ذكر لهم في القرآن ، وهو ، ففيه نصٌ صريح بفضله وغناه ، ففي الصحيحين أن مسطحاً كان أبو بكر ينفق عليه ، وكان أحد مَن تكلم في الإفك ، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله قوله : « ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟ فقال ابو بكر : بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي . فأعاد عليه النفقة . وقد اشترى بماله سبعة من المعذَّبين في الله ، وقال النبي (ﷺ) : « ما نفعني مال ، ما نفعني مال أبي بكر » . ولمّا هاجر استصحب ما بقي من ماله ، قيل : كانت ستة آلاف ، وكان يتجر . وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتُلي المسلمون بمكة ، خرج مهاجرا ، حتى اذا بلغ برك الغماد ، لقِيَه ابن الدَّغُنَّة سيد القارة ، وقال : مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرَج ، إنك تكسب المُعدَم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، واني لك لجار ، ارجع ، واعبد ربك ببلدك ، فرجع به ابن الدغنة ، وطاف في قريش فأجاره ، فقالوا له : مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّه في داره ، ولا يؤذنا ولا يستعلن بعبادته ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ... الحديث بطوله .

وقد قال النبي في مرضه ذلك على ما في الصحيحين عن عائشة أنه قال : « ادعي لي أباكِ وأخاكِ حتى أكتب لهم كتاباً ، فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر » .

فهذا من إخباره بالكوائن بعده ، ولهذا أعرض عن الكتابة لأبي بكر لما علم أن الله يجمعهم عليه ، وأن المؤمنين يبايعونه ولا يختلفون عليه : لا في

الأول ولا في الآخر عندما استخلف عليهم بعده خيرهم . أماتنا الله وإياكم على حب الأربعة ، فان المرء مع من أحب .

آخره والله أعلم

هذه شذرات اخترناها ولخصناها من ذلك المجلد الضخم (المنتقى) بلا تعليق منا عليها ، وهي تنوه بمزايا الخلفاء الثلاثة ومحاسنهم ، وتنفي النقائص التي ألحقت بهم ، وتطري ما للصحابة الكرام من فضل الصحبة ، ونشر الدعوة ، وإقامة الحجة ، وإثبات الأخوة الصادقة بين الأئمة أبي بكر وعمر وعلي ، وتفضيله لهما على نفسه ، وارسال ولديه الحسن والحسين الى عثمان شهيد الدار ؛ محافظة عليه ودفاعاً عنه (رضوان الله عليهم) ونفيه الكفر والنفاق عن محاربيه ، كما تراه في نهج البلاغة وغيره .

وبعد هذا كله ، إن لم يعمل محبوه وموالوه بنصحه وتذكيره ، يتبين أنهم لا يقيمون لرأيه وزناً ، ولا يرفعون به رأساً ، وانك لتجد في هذا (المنتقى) من (منهاج السنة النبوية) جواباً لكل سؤال ، وحلاً لكل إشكال ، وبياناً للحق في كل ما يخوض به الخائضون ، مثل : الميراث من (فدك) التي جرى فيها الإمام علي على خطة الخلفاء من قبل ، ومثل حكمه العادل في وقائع الجمل والنهروان وصفين ، ونفي سمة الكفر عنهم ، على خلاف حكم من ادعى التشيع له ، في هذه الكتب المنشرة التي تبدي وتعيد . وتطبع وتوزع وليس فيها من جديد .

ألا وان جواب إمام السنة ابن تيمية الحراني الدمشقي ، لإمام الشيعة الإمامية ابن المطهر الحلي البغدادي هو كاف واف بالموضوع . وإني أنصح لمن يقدر وقته حق قدره ، ويعرف قيمة عمره ، أن لا يضيعه بقراءة الكتب الطاعنة اللاعنة ، فهي ظالمة آثمة ، وما أثرناه عن « المنتقى » فهو الجواب الصحيح الذي نرجو أن تجتمع عليه كلمة الأمة ، إن شاء الله ، وبه المستعان .

محمد بهجة البيطار

الدراسات العربية
في الولايات المتحدة

مقدمة

أولاً أريد أن أعتذر الى القراء الكرام عن لغتي وعن عدم إلمامي الواسع باللغة العربية الكريمة .

أما بعد ، فموضوعنا هو الدراسات العربية وامتدادها الى الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة . ولكني قبل أن أطرق الموضوع نفسه يجب عليّ أن أحدّث بصورة عامة عن التربية في أمريكا ـ وربما في الغرب اجمالاً . عندنا في الغرب مجريان مهمان مشتبكان في تراثنا .

أولهما الثقافة اليونانية المسيحية ، وثانيهما روح التفتيش العلمي الطبيعي . وهنا لا أنسى قطعاً الدور العظيم الشأن الذي لعبه العرب وسائر المسلمين في تطور هذين المجريين . إني موقن كل الإيقان بأهمية تأثير الغزالي مثلاً على أفكار طوماس اكوينس (Thomas Acquinas) ومن المعلوم انه أهم المتكلمين الكاثوليكيين في القرون الوسطى وخاتمهم في علم اللاهوت حتى الآن ؛ أو من جهة أخرى بتأثير رجال العلم كابن النفيس ـ وهو ابن الفيحاء تقريباً ـ على تطور علم الطب . لقد جاهد هذان الرجلان وأمثالهما العديدون في سبيل العلم ووسّعوا آفاقه في العالم كله . ومع ذلك أظن أنّ مياه دور العرب خلال تطور المدنية الغربية الطويل هي مياه نهر فرعي تصبّ في نهر كبير ، وليست هي

جزءاً من هذا النهر الكبير في البداية . وكذلك دور المدنية الغربية في المدنية الاسلامية هو دور نهر فرعي [١] .

فلنرجع الى الموضوع ذاته . فلو فرضنا انّ هذين المجريين حقيقيان ـ وأعني بذلك الثقافة اليونانية المسيحية وروح التفتيش العلمي الطبيعي ـ ، فلا نرى مجالاً مبيناً للدراسات العربية والاسلامية ، أو نقول الدراسات الآسيوية ، أو في النهاية ، الدراسات في أية مدنية خارج الغرب . ومن هنا نسأل من أين جاءت هذه الدراسات اللاغربية . ويبدو لي أن لها مصدرين : أولهما ديني والثاني سياسي .

إننا ولا شك نذكر ان الجامعات في الغرب ـ وفي الشرق أيضاً ـ انبثقت عن حضارة مركزها الدين ، وفي أوروبا نشأت الدراسات الشرقية ، من وجه عام ، عن الاهتمام بالكتاب المقدس ، فبدأت هذه الدراسات مع لغة العهد القديم وتشعّبت في القرنين الماضيين الى الاهتمام بأقدم المدنيات في الشرق كالآشورية والفرعونية ، وفي ذلك الحين كان علماء الغرب لا يُقدّرون أهمية الجزيرة العربية كمهد العائلة السامية حق قدرها وأهميـة البدوي كأنقى ممثل لهذه العائلة من حيث اللغة وعلم الانثروبولوجيا . ولقد دُرست اللغة العربية كمساعد لغوي لدراسة لغة العهد القديم ، وأيضاً في بعض الأحيان كمساعد لعمل المبشرين . ومن الواضح بناءً على هذا الميل ان نتائج دراسات المدنية العربية والاسلامية هذه لم تُعتبر بحد ذاتها بل تحيزت ضدها قبل البحث فيها ، ومما زاد هذا الميل أفكار خاطئة عن الحروب الصليبية وخوف شديد من قوة الدولة العثمانية .

ونلاحظ اختلاطاً عجيباً كل العجب بسبب الجهل والخرافة خاصةً عن حياة

(١) بالرغم من هذا القول فاني أعتقد انه في أعمق الأسس يجتمع الإسلام والمسيحية في قيمها الأساسية باختلافها عن مناطق الهندوكية او البوذية مثلاً .

النبي العربي وشخصيته . في أول الأمر فكّر هؤلاء الاوروبيون أن محمداً إلـه معبود ! وبتطور الزمان تغيرت هذه الفكرة الى انه نبي غير مخلص ! وسيطرت وجهة النظر هذه على الرأي العام والمثقفين حتى منتصف القرن الماضي (آنئذ كان العلماء ولا شك يفهمون على أفضل طريقة ولكنهم قصّروا في إذاعة ما يعلمون في هذا الصدد) عندما كتب طوماس كارلايل (Thomas Carlyle) المؤلف الانكليزي المعروف رسالته المشهورة عن حياة النبي وهي رسالة أعطته قيمته الحقيقية الشريفة . هذا مصدر واحد ـ الميل الديني .

أما المصدر الثاني فهو ، في نظري ، ما يتعلق بالدافع السياسي أو اذا أردنا القول صراحة بالاستعمار . عندما وجد الأوربيون أنفسهم ـ في القرنين الماضيين ـ في الأقطار الآسيوية ومن وجهة نظرنا هنا في الأقطار الاسلامية كالهند وأفريقيا الشمالية ، اكتشفوا أنهم بحاجة الى أشخاص يعرفون اللغات والأديان والتأريخ والثقافة في الأقطار هذه . فأسّسوا المدارس والمعاهد المهتمة بهذه الميادين .

الولايات المتحدة

أما الولايات المتحدة فبدأت في هذه الأمور متأخرة جداً بالنسبة الى أوروبا فنجد مثلاً في سنة ألف وثمان مائة وسبعين لم يكن في جامعات أمريكا إلاّ أستاذ واحد قدّم دروساً في اللغة العربية ـ وهو حقيقةً أستاذ في اللغة السُّنسكريتية ـ ولقد كانت كل الدراسات العربية القليلة في أمريكا تابعةً للدراسات الدينية وعلم اللغات السامية . أما اللغة التركية واللغة الفارسية فلا تُدرّسان مطلقاً . وخلاصة القول هي ان المنظمات التربوية في أمريكا لم تعط دروساً في العربية حباً بها أو لأنها مفتاح لكنوز الآداب والثقافات العربية والاسلامية ذات الأهمية العظيمة في كل وجه من الوجوه ولكنها أعطت شيئاً

من هذه الدروس على نطاق ضيق جداً بدافع الميل الديني فقط دون أي دافع سياسي إذ لم يكن لأمريكا علاقات سياسية بالشرق الاسلامي .

ونرى انه ، قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يكن غير عشر من جامعات أمريكا قدمت دروساً في العربية ما عدا معاهد اللاهوت . وهنا جدير بالذكر ان عدد الجامعات والكليات العليا في أمريكا يزيد عن الألف تقريباً . وفوق ذلك يلزمنا أن نقول إن هذه الدراسات على قلتها كانت مقصورة على طالب الدكتوراه دون أن يتاح للطالب الجامعي الوقوف على هذه الدراسات ، حتى ولو اتفق لأحدهم أن رغب في ذلك . والمغزى من كل ذلك هو إظهار قلة التقدم في هذه الدراسات قبل الحرب العالمية الثانيـة .

فاذا جاءت الحرب ووجدت الولايات المتحدة نفسها مسؤولة عن قيادة حرب وقعت في كل أقطار العالم ومنها ولا أقلها أهمية الأقطار الاسلامية والعربية ، ووجد المسؤولون من العسكريين والساسة نقصاً فادحاً في الولايات المتحدة لتفهم شعوب هذه المناطق وللعمل معهم ولتغطية هذا النقص أنشئت خلال الحرب عدة برامج دراسية في العربية وحتى في التركية والفارسية . من ذلك الحين استيقظت عقلية رؤساء الجامعات والحكومة ومدراء الشركات الكبيرة التي تشتغل في الشرق الأوسط الى الحاجة الماسة الى الدراسات الإسلامية .

فهذه الأمور كلها كانت تشكل تحدّياً فلننظر الى الجواب . كانت أول الجامعات التي استجابت لهذا التحدي جامعة برنستون التي بدأت في هذا الميدان ، كما يعرف الكثير من القراء ، بفضل جهود الدكتور فيليب حتي الذي كان يحث دائماً على التدريس في هذا الميدان المجيد .

وقد بدأت جامعة برنستون ببرنامجها الجديد المنظم هذا والمفتوح للجامعيين في قسم اللغات والآداب الشرقية في سنة ١٩٤٧ . وجدير بالذكر ان هذا القسم

كان في ما مضى قسماً مختصاً بالدروس السامية واللغوية فقط . أما الجامعة الثانية التي فتحت أبوابها على نطاق واسع للدراسات الاسلامية ، فهي جامعة مِشِگن (Michigan) وفي السنة الماضية أسست جامعة هارڤرد (Harvard) مركزاً للدراسات عن الشرق الأوسط . وقدمت جامعة كُلَمْبِيَا (Columbia) منذ عدة سنوات دروساً وجهت جل اهتمامها الى العلاقات الدولية في الشرق الأوسط . وأخيراً نذكر معهد الدراسات الدولية العليا التابع لجامعة جَنْز هَپكِنْز (Johns Hopkins) ويقوم هذا المعهد في العاصمة أي مدينة واشنطن مع ان مركز الجامعة هو في مدينة بَلْتِمُور (Baltimore) . هناك برامج أخرى على نطاق أضيق ولكن البرامج المذكورة هذه هي البرامج الرئيسية . وفي المجموع يبلغ عدد الجامعات والكليات العليا التي قدمت دروساً في اللغة العربية بحسب تقرير مؤرخ في سنة ١٩٥٢ هو خمسة عشر وبموجب نفس التقرير توجد ست جامعات تقدم اللغة الفارسية وخمس جامعات تُدَرِّس التركية وأربع اللغة الأندونيسية وجامعة واحدة تقدم الأُردية . وهنا علينا أن نقول إن أقل من ثلث الأساتذة الذين يدرّسون هذه الدروس هم أميركان أصليون ، وهذه الحالة مفهومة بسهولة فإنّ سببها عدم وجود دراسات في هذه الميادين في ما مضى .

مثال لمنهاج الدراسة

أما تفاصيل منهاج الطالب في الجامعات التي تقدم الدراسات العربية والاسلامية بشكل منظم شامل فلن أتعرض لكل الجامعات ولكني سأحاول إعطاءكم على كل حال فكرة صريعة عما يجابهه الطالب الجامعي في جامعة برنستون ـ وأختار جامعة برنستون لأني أعرف برنامجها بصورة أفضل ولأنها الأقدم ـ أعني طبعاً الطالب الذي اختار التخصص في شؤون الشرق الأوسط وتأريخه . فهذا الطالب يجب عليه أن يدرس على الأقل سنتين لغة إسلامية (وأكثر من ثلاثة أرباع

الطلاب يختارون ـ وهم على صواب ـ العربية كلغتهم) . وبالاضافة الى اللغة يجب على الطالب أن يأخذ في كل نصف سنة مدرسية درسين في ثقافة الاسلام وتأريخه ـ إما قديماً أو حديثاً ـ أو في ما يتعلق بالشرق ولو بطريقة غير مباشرة . ومن الدروس المنتشرة امامه نذكر ما يلي : مقدمة للثقافة الاسلامية ، عيون الأدب الاسلامي ، الشرق الأدنى قبل الاسكندر ، الشرق الأدنى من الاسكندر حتى الرسول العربي ، نشوء الاسلام ، عالم الاسلام من عهد العباسيين حتى عهد العثمانيين ، الشرق الأدنى في العصور الحديثة ، العلاقات الاجتماعية المعاصرة في الشرق الأدنى ، العلاقات الاقتصادية في الشرق الأدنى ، السياسة في الشرق الأدنى ، الشريعة الاسلامية . وطبعاً يجد الطالب عدة صفوف أخرى تتجه الى الشرق العربي والاسلامي في طريقة غير مباشرة كصفوف قسمي الفلسفة والعلاقات الدولية وما الى ذلك[1] .

أما طالب الدكتوراه فستُطلب منه لغتان إسلاميتان ، إحداهما كلغة أولى والأخرى كلغة ثانية ويدرس الطالب فوق اللغة نفس المواد تقريباً ولكن على مستوى أعلى . وتستمر الدراسة الاختصاصية في أكثر الأوقات حوالي أربع سنوات قبل نيله شهادة الدكتوراه . وعلى وجه العموم لا يأذن أساتذة القسم لطالب الدكتوراه أن يفلت من بين أيديهم قبل أن يقضي سنة على الأقل في ربوع الشرق لأنهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن الاختبار العملي في الأقطار الاسلامية يوفر له تقديراً للثقافة والأخلاق الاسلامية لا يجدها في المحاضرات وبطون الكتب .

---

(١) لا نقصد ان يعتقد القارىء ان الأساتذة في برنستون يظنون ان منهاج جامعتهم أصبح كاملاً . فهو ما زال يحتاج الى دروس وأساتذة في مواضيع الفن الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، والإسلام كدين بذاته . وتجابه الجامعة صعوبة في ايجاد هؤلاء الأساتذة .

وقد يكون هنا مجال للاشارة الى بعض التسهيلات التي تملكها جامعة كجامعة برنستون ـ بالإضافة الى الأساتذة ـ . من هذه التسهيلات أذكر أولاً مطبعة جامعة برنستون التي لديها لينوتيب عربي والتي نشرت عدة كتب في العربية بما فيها مذكرات أسامة بن منقذ الفارس المغوار والأديب الضليع الذي كان يقيم بقلعة شيزر بالقرب من حماة في عهد الصليبيين . وثانياً مجموعة نفيسة جداً للمخطوطات العربية وعددها يزيد على عشرة آلاف مخطوط . وثالثاً فان مكتبة الجامعة قد رصدت بعض المال لشراء الكتب المطبوعة في اللغات الاسلامية والغربية لا أعرف عددها ، ولو على سبيل التقريب ، ولكن أعرف أن المكتبة تنفق خمسة آلاف دولار سنوياً على الكتب المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي .

يحق لكم أيها القراء الكرام أن تسألوني عن أغراض هذا التعليم وأهدافه . سأقول ان الغرض من تدريس الطالب الجامعي هو توسيع ثقافته العامة وتغذية روحه فقط . ويختار الطالب التخصص في هذا الميدان الشريف كما يختار التخصص ـ مثلاً ـ في الأدب الانكليزي أو الموسيقى ، أو أقول في كلمة أخرى بمائة قسم من الـ liberal education كما نسميها أي التربية الرحبة أو الحرة ، لا غاية منها في التعليم الحرفي .

وأما هدف التعليم بالنسبة لطالب الدكتوراه فينقسم الى قسمين . نصف الطلاب ـ في الغالب ـ يريدون هذه الدروس لأنهم يريدون أن يصبحوا أساتذة في الجامعات ليدرسوا تأريخ العرب ويبحثوا في تخصصهم الدقيق ، والنصف الثاني يريدون الحياة العملية في الشرق إما كموظفي الحكومة في وزارة الخارجية أو في دائرة حكومية وإما في الصناعة والتجارة مع شركات تشتغل في الشرق كشركات الزيت أو شركات الطيران .

أما عدد التلامذة في جامعة برنستون من الجامعيين وطلاب الدكتوراه فهو

يقارب خمسة عشر طالباً جديداً سنوياً ولقد بلغ مجموع الطلاب في صفوف برنستون المختلفة السالفة الذكر ما يزيد عن المائتين ، وكثيرون من هذا العدد هم طلاب في أقسام أخرى يحبون توسيع ثقافتهم العامة . فهذه صورة موجزة عن احدى الجامعات المتخصصة في الشرق الإسلامي .

الأبحاث

لا أحاول أن أعدد جميع الأبحاث التي قدمها الأمريكيون في الميدان الإسلامي ويكفيني أن أقول بأنه على رغم تأخرهم في دخول الميدان فالمستشرقون الأمريكيون قد تقدموا في عملهم تقدماً لا بأس به وساهموا مساهمةً غير قليلة في ميدانهم المختار . ولكني أذكر هنا أسماء أهم المستشرقين واختصاصاتهم[1] :

وقد كتب وِلْيَم پُپَر William Popper من جامعة كالفورنيا California أبحاثاً مهمة جداً في درس ممالك مصر وفي نشره كتب ابن تغري بردي . وسيظل كتاب جورج سَارْتُن George Sarton من جامعة هارفرد واسم كتابه Introduction to the History of Science في ثلاثة أجزاء كبيرة مصدراً أساسياً في العلم الطبيعي الإسلامي (وغير الإسلامي) في الأجيال القادمة وأفاد أَرْثُر جفريز Arthur Jeffreys من جامعة كلبيا كلّ طالب بدراساته عن نصوص القرآن القديمة وقراءته . وتعتبر كل من أبحاث ا . ر . نِكَل A. R. Nykl في الأدب الأندلسي ، والترجمة الجديدة لمقدمة ابن خلدون بقلم فرنس روزنثال Franz Rosenthal من جامعة يابل Yale وأبحاث نفس العلامة في تاريخ علم التاريخ الاسلامي ، ودروس رِتشرد أتِنْكَهَوْزِن Richard

(١) هنا أستثني العلماء الكبار كالأساتذة فيليب حتي ونبيهة عبود ومجيد خضوري وشارل عيساوي ونبيه فارس فليس هؤلاء بمستشرقين بالمعنى المعروف .

Ettinghausen من متحف الفن فريير Freer في الفن الاسلامي ، ودروس گوستاف ڤون گرُونَبَوم Gustave von Grunebaum من جامعة شيكاگو Chicago في العلاقات الثقافيـة وفي الشعر العربي ، ودروس وَالتَرْ فِشَل Walter Fischel من جامعة كالفورنيا عن ابن خلدون ، ونشر (منهج السالك) لأبي حيان بقلم سِدْنِي گْلَيْزَر Sidney Glazer ـ أقول كلها تعتبر أبحاثاً قيمة ومن الدرجة الأولى . ويمكننا الاستمرار طويلاً في التعداد ولكن القائمة المقتضبة أعلاه تعطي فكرة سريعة عن مدى الأبحاث الاسلامية في الولايات المتحدة .

منظمات أخرى

لا أستطيع ترك مسئلة المنظمات المهتمة بالشعوب الاسلامية وثقافتها بدون اشارة قصيرة لبعض المنظمات غير الجامعية ولبعض أوجه النشاط غير الدرامي . فمن أمثال عديدة أختار أربعة : أولاً علي أن أذكر مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية، وهذا المجلس ـ كما يظهر من اسمه ـ أعضاؤه هم كل الجمعيات العلمية في الانسانيات . فيقدم هذا المجلس عدة خدمات لميدان العلم في أمريكا ومنها أنه أسس سلسلة ترجمات لأهم الكتب العربية الحديثة من أنواع مختلفة وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن عشرة كتب منها : (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) للسيد قطب و (من هنا نبدأ) لخالد محمد خالد و (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) لعلال الفاسي و (عبقرية العرب في العلم والفلسفة) لعمر فروخ ، ومختارات من (مذكرات) المغفور له الأستاذ محمد كرد علي وغيرها من الكتب . فلا طريقة أفضل من الترجمة لتفهيم الفئات المثقفة في أمريكا حالة الأدب العربي ، وأحلام العرب وأفكارهم .

ثانياً يلزمني أن أذكر المؤسسات الانسانية كمؤسسة فورد Ford ومؤسسة

رُوكفلَر Rockefeller ومؤسسة كَرْنَـگي Carnegie . ومن المعروف أنّ كل واحدة من هذه المؤسسات وغيرها مما هو أقل شهرةً قد بنيت على وقف خيري لرجل كبير في الصناعة الأمريكية . ولا تقوم هذه المؤسسات مباشرةً بأية دراسات ، ولكنها تساعد المنظمات والأفراد الذين يقومون بمشروعات مختلفة ، منها الدراسات الاسلامية . وأظن أنه لا يوجد أية جامعة تقوم بمثل هذه الدراسات بدون مساعدة هذه المؤسسات . وأنا مثلاً مدين لمؤسسة فورد لإتاحتها الفرصة لي في هذا العام للدراسة هنا في دمشق .

ثالثاً ازداد على نطاق واسع عقد المؤتمرات حول القضايا الحديثة والقديمة في الشرق . ويشترك ببعضها طلاب وبالبعض الآخر رجال السياسة من عرب وأمير كان ورجال التجارة والصناعة والعلم الذين يهتمون بالشرق الاسلامي ، ولهذه المؤتمرات ـ حيث تلتقي الآراء والأفكار المختلفة ـ أهمية غير قليلة في توسيع آفاق الرأي العام عن حقائق شعوب الشرق . وربما كان أهم هـذه المؤتمرات مؤتمر الثقافة الاسلامية المنظم تحت إشراف جامعة برنستون ومكتبة المجلس النيابي أي الـ Congress عام ١٩٥٣ . اشترك فيه علماء من جميع الأقطار الاسلامية ـ ما عدا أفريقيا الشمالية ـ وكان بينهم الشيخ مصطفى الزرقا ، والأستاذ شفيق جبري من سورية ، وعلماء من أمريكا . ولقد دام هذا المؤتمر مدة عشرة أيام ، وهو من أفضل المناسبات في سبيل التعاون الفكري بين أمريكا والعالم الاسلامي .

رابعاً وأخيراً لا أنسى المتاحف العديدة التي تحفظ مجموعات عظيمة الشأن من الانتاج الفني الاسلامي . وليس من الضروري أن أعدّد أسماء هذه المتاحف ويكفيني أن أذكر متحف فْرِيَر Freer في مدينة واشنطن الذي يحفظ عدداً كبيراً من الصُوَر المُصغَّرة لروائع الفن الفارسي وغيرها من روائع الفن الإسلامي .

المستقبل

الى هنا حاولتُ أن أقدم وصفاً مختصراً عن الدراسات المفتوحة للطالب الامريكي ولكننا لا بد لنا أن نلقي نظرة على المستقبل . رأينا بداية لا بأس بها للدراسات الاسلامية ، أساسها العربية ومادتها الثانوية الفارسية والتركية . وهنا بالمناسبة نستطيع أن نلاحظ عدم وجود دراسات في اللغة الأُوردية وهي من أهم اللغات الاسلامية من حيث عدد الناطقين بها ولكن تحقيق ذلك يحتاج الى مال كثير .

ومن ناحية ثانية يجابه توسيع الدراسات الاسلامية في أمريكا مشكلة ثانية ، وهي مشكلة ازدياد سكان امريكا بشكل لا يمكن تصديقه وينجم عن ذلك ازدياد مقابل في عدد طلاب المدارس والجامعات . ويقدر أن يرتفع عدد الطلاب في جامعات أمريكا البالغ المليونين والنصف حالياً الى خمسة ملايين بعد عشرين سنة وتؤثر هذه المشكلة طبعاً في كل قسم من أقسام التربية وخاصة في جميع أقسام الدراسات الشرقية . ولماذا ؟ لأنه في الغالب لا يريد المستشرقون عدداً كبيراً من الطلاب . فليس هذا الميدان بهين ، وعدد المناصب المفتوحة للاختصاصيين فيه غير كبير ، ولذلك فالنوع أفضل بكثير عند المستشرقين من الكمية . أعني أن الدراسات الشرقية غالية وفي نفس الوقت تأخذ قليلاً من الطلاب ـ أيْ لن تساعد على حل مشكلة ازدياد هائل بعدد الطلاب . فاذاً على المستشرقين أن يجاهدوا كي يُفهموا ادارات الجامعات ـ وهي أمام إقبال شديد من الطلبة ـ أهمية الدراسات العربية والإسلامية وقيمتها حتى تصرف المصاريف اللازمة لها .

ومع ذلك كله فاني متفائل بمستقبل الدراسات العربية في أمريكا . فقد صغر العالم خلال السنين الأخيرة الى درجة اضطُر معها الناس في جميع أنحاء هذا

العالم الصغير لتحقيق التفاهم المتبادل . ولذلك أتنبأ أن يكون للجيل الجديد خمسة أو ستة مراكز مهمة للدراسات الاسلامية بالإضافة الى جامعات كثيرة فيها بضعة صفوف تمهيدية تقدم صورة عامة دقيقة عن الشرق . وأرى شخصياً توسيع الدروس في الجامعات غير المتخصصة أهم الواجبات أمام الاستشراق الامريكي في المستقبل القريب . واذا صحّ قولي هذا فسيكون لهذه الجامعات تأثير عظيم الشأن في تنوير الرأي العام الأمريكي عن حقائق ثقافة أصبحت ثقافة مجاورة .

***

استفدت استفادة خاصة في تحضير هذه المقالة من المؤلفات التالية :

١ – ابوشادي ، احمد زكي « فلسفة النحو » ، (كتاب العام) . واشنطن : صوت امريكا ، ١٩٥٥

٢ – Dodds, Harold W. خطاب الافتتاح السنوي لجامعة برنستون ١٨ ايلول ، ١٩٥٥

٣ – Fessler, Doris. « Asian Studies in the United States » International Press Service (mimeographed), 1952

٤ – Hitti, Philip K. « Arabic and Islamic Studies in the United States, » Pakistan Quarterly, Vol. IV, No, 3, pp. 11-12

Smith, Wilfred Cantwell. « The Place of Oriental Studies in a Universty » خطاب مقدم الى الجمعية الأمريكية الشرقية في مدينة تورنتو في كندا ، ٢٠ آذار ، ١٩٥٥ .

الدكتور بايلي واينر

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

-٦-

الحالة العلمية في الموصل :

كانت ديار الموصل (حدياب) من ديار العلم العريقة في العراق من قبل الميلاد ، فقد كان سكانها القدماء من الارميين العرب الممتازين بثقافتهم وعلمهم ، وكانت لغتهم الارمية من أرقى اللغات وأدقها نحواً وصرفاً وبياناً وأدباً ، ولما ظهرت المسيحية اعتنق أهلها هذه الديانة ، وعرفوا منذ ذلك الحين بالسريان تمييزاً لهم عن الارميين الوثنيين [1] ، فقد ازدهرت الحضارة وارتقى العلم في الديار الموصلية بعد ظهور المسيح منذ القرن الثاني للميلاد الى ظهور الاسلام بل وبعده بقرنين ، وقد تغلغلت الآداب اليونانية فيها وامتزجت بالثقافة الارمية فتكونت ثقافة شرقية غربية مختارة ، وقد ترجم العلماء الارميون كثيراً من الكتب اليونانية الى لغتهم وبخاصة كتب الفلسفة وعلوم الأوائل ، وقد امتد نفوذ اللغة الارمية بثقافتها الواسعة الى العراق كله ، والى سورية ، وفلسطين ، ومصر وإيران .

وقد كانت مدن (حران) و (الرها) و (نصيبين) و (اربل) وسائر ديار الموصل الكبرى من المدن التي ازدهرت فيها اللغة الارمية والآداب الارمية ، كما ارتقت فيها الفلسفة والعلوم وكثرت فيها المدارس والمعاهد والمكتبات ،

(١) راجع تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ٢ / ١٣ .

واخذ الناس من بلاد فارس والشام ومصر يقصدون هذه المعاهد للتثقف والاطلاع على علوم الأوائل [١] .

ومما هو جدير بالذكر انه قد قام في ديار الموصل وإلى جوانبها عدة أديرة ومدارس نبغ فيها جهرة كثيرة من الفلاسفة والحكماء والعلماء والمصنفين كمدرسة (بلد) ومدرسة (الرستاق) في مركا [مرج الموصل] ومدرسة (بيت بغاش) ومدرسة (بيت عبناتا) وغيرها . يقول القس الصائغ مؤرخ الموصل : « ان باباي الجبيلتي الذي عاش في أوائل القرن الثامن للميلاد أسس في حديباب ـ أي بلاد الموصل ـ أربعاً وعشرين مدرسة ينوّه توما المرجي بذكرها واحدة فواحدة ، وينقل ان باباي أسس فيها ستين مدرسة في المدن والقرى الكبيرة ، وأقام لإدارتها ستين نابغة من المبرزين في العلوم وجعل لها أوقافاً وفية وسنّ لها القوانين والنظامات العجيبة فسمى المؤرخون الارمنيون ذلك العصر عصر الأستاذ باباي الجبيلتي ، ومن هذا يتضح أن بلاد الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي راقية علمياً وعمرانياً [٢] » .

ومن مشاهير العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين حفظ الدهر لنا اسماءهم من أهل حديباب :

الشاعر الفيلسوف الكبير نرسي (— ٥٠٢ م) وقد أسس عدة مدارس وقضى عمره في التدريس والتصنيف ونظم الشعر وقد بقي من آثاره نحو ٤٠٠ قصيدة مطولة في تفسير كتب الدين وفي علم الإلهيات والعقائد الدينية .

والكاتب الأديب النحوي ابرهيم النتفري الذي كان في أواسط المئة السادسة للميلاد والذي خلف آثاراً ورسائل في الأدب واللغة .

والفقيه المفسر حنانا الحديابي (— ٦١٠) وقد خلف آثاراً كثيرة في علوم

(١) راجع كتاب مدرسة نصيبين لأدّي شير . بيروت ١٩٠٥ .
(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ١ / ٩٠ .

الدين والتشريع وتفسير الكتب السماوية ، والعقائد الإلهية ، وقد ضاعت أكثر آثاره هذه ولم يبق إلا عدد قليل من قصائده وتفسيره .

والفيلسوف النحوي يشوع باب الجدلي البطريرك الذي عاش في أوائل المئة السابعة للميلاد والذي يروي عنه المؤرخون الارميون انه تشرف بمواجهة النبي العربي الكريم (ﷺ) فأنعم عليه بكتاب توصية بنصارى بلاده ، كما أنه حظي برؤية عمر بن الخطاب فأحسن اليه وأكرمه وقد خلف مصنفات معتبرة منهـا (شرح الزبور) وكتب عديدة في التاريخ والآداب وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا نتف محفوظة في المتحفة البريطانية .

والشاعر اسحق النينوي الشهير الذي عاش في أواخر المئة السابعة للميلاد وقد خلف مؤلفات كثيرة في النحو والأدب والتفسير والشعر ، نُقل كثير منها الى العربية والحبشية واليونانية واللاتينية والايطالية والانكليزية وقد طبع ديوانه .

والكاتب الأديب يشوع باب الحدياني (— ٦٦٠) وله آثار جليلة في اللغة والأدب ومن أجلها رسائله الأدبية البليغة التي طبعت قبل سنوات .

وقد كان لهؤلاء العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة أثر كبير في تثقيف سكان هاتيك الديار ، وفي رفع المستوى الثقافي في القطر الموصلي وجعله مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافي في المشرق قبل الإسلام وبعده .

أما مدينة الموصل نفسها فقد كانت مدينة صغيرة قبل الإسلام تدعى بالارمية (حصنا عبرايا) ، وقد كان فيها بعض الأديار يأوي اليها رهبان من أهل العلم والفضيلة والدين مثل سائر الأديرة التي كانت منتشرة في هاتيك الديار ، ولما فتحها العرب في سنة ١٥ للهجرة سكنها بعض القبائل العربية فانتشرت فيها اللغة العربية وتزوج العرب من سكانها الأصليين الذين أخذوا يعتنقون الدين الإسلامي فقويت الروابط الأخوية بين الارميين وبين العرب الفاتحين ، وكان من أبرز القبائل العربية التي سكنتها بنو تغلب وكثير من بني طي وغيرهم من عرب اليمن ،

وعرب ربيعة ، ونبغ منهم في صدر الإسلام والعصر الأموي جمهرة من الأفاضل والشعراء وفي طليعتهم الأعشى التغلبي ، والنعمان بن معاوية الربعي النصراني ، وغيرهما من شعراء الدولة الأموية . ولما استخلف بنو العباس واتخذوا العراق مقرًّا لهم ازدهرت الحركة العلمية في العراق عامة وفي الموصل والبصرة وبغداد والكوفة خاصة .

وغدت الموصل في العصر العباسي من مدن العلم الكبرى التي ازدهرت فيها الحركة الدينية والأدبية واللغوية وتخرّج من جامعها الأعظم وحلقاتها العلمية التي كانت في قصر الامارة (وفي قصور الوجوه وكبار القادة والأمراء) جمهرة من كبار رجال الدين والعربية والأدب والشعر نذكر منهم :

الإمام الجليل بكار بن شُريح (— ١٦٣) وهو الفقيه البارع الذي تولى قضاء الموصل فترة طويلة وكان مشهوداً له بالفضل والنبل ، وله آثار جليلة [١] .

ومنهم المعافى بن عمران الأزدي (— ١٨٥) ابو مسعود الموصلي الإمام الجليل المجتهد الذي كان يلقب بشيخ الجزيرة والديار الموصلية في عصره . وكان أحد الثقات وكبار حفاظ الحديث النبوي ومصنفيه وقد خلف للمكتبة العربية آثاراً جليلة تعتبر من أقدم ما صنف في الخزانة العربية من كتب السنن والزهد والأدب والتاريخ [٢] . وقد خلّف المعافى ولداً نبغ في الموصل وخلَف أباه وكان من جلة شيوخ هذه المدينة وهو الشيخ عبد الكبير بن المعافى ومات سنة ٢٢١ هـ [٣] .

ومنهم الامام الزاهد سابق بن عبد الله الموصلي المتوفى في القرن الثاني للهجرة ، وكان من كبار الأئمة زهداً وعلماً وإصلاحاً ، وكانت له على الموصل وأهلها

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٢٥ .
(٢) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٦ وتاريخ ابن الأثير ٦ / ٦٧ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٥ .

أيادٍ في تهذيبهم وتوجيههم الى سبل الحق ودعوته إياهم بالحكمة والموعظة الحسنة [١] .

ومنهم الإمام الفقيه صفوان بن عيسى الموصلي (— ٢٠٠) وكان من كبار الفقهاء وأهل العلم بالحديث والسنن والأخبار وكانت له بجامع الموصل الأعظم حلقة كبرى يدرس فيها الفقه ويعظ الناس ويقرئهم الأدب والعربية والدين وهو من أقدم من عرف في الموصل من المؤدبين [٢] .

ومنهم الإمام المعافى بن داود الموصلي (— ٢٠٠) وكان من رجال الفقه والحديث وسائر علوم الدين ، كما كان من الزهاد الصالحين ، وكانت له حلقة في جامع الموصل وقد تخرج به جمهرة من أهل الموصل وحلب [٣] .

ومنهم المحدث المؤرخ الفقيه أبو يحيى ابرهيم بن موسى الزيات (— ٢٠٥) خرج من بلاده في سبيل العلم فجلس طويلاً الى المحدث المؤرخ التابعي الجليل هشام بن عروة عالم المدينة وكبير محدثيها ، وأفاد منه ثم رجع الى الموصل ينشر فيها العلم والدين [٣] .

ومنهم المحدث الإمام الفضل بن عبد الحميد الموصلي (— ٢٠٩) وكان من كبار حفاظ الحديث ورواته الثقات ، كما كان من أصحاب الأخلاق النبيلة ، وكان يعلّم ولا يأخذ على العلم أجراً وقد أفادت الموصل منه فوائد جليلة [٤] .

ومنهم الخليل بن أبي رافع جعفر بن محمد بن أبي يزيد المزني الموصلي (— ٢١٧) وكان من كبار علماء الموصل وعبّادها وأفاضلها ، وكذلك كان أبوه أبو رافع من العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان ، وبنو المزني هؤلاء من العلماء الأجلاء الذين أثروا آثاراً علمية واضحة في الموصل وأهلها في القرنين الثالث والرابع [٥] .

---

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٧٧ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٣١ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٩ .
(٤) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٩ .
(٥) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٢ .

ومنهم الامام الجليل أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خداش الموصلي (— ٢٢٢) وكان من العلماء الفحول الذين تخرجوا بالمعافى بن عمران وكان يقربه ويعتمد على فهمه وقد أفاد الناس فوائد كثيرة من أبي هاشم[١] .

ومنهم الامام المحدث الحافظ عبد الله بن يعقوب بن اسحق العطار التميمي (— ٢٧٥) وكان من أهل الحديث المكثرين ، وكان عند الحكام من المعدّلين[٢] .

وغير هؤلاء كثير من أئمة الدين الذين لو رحنا نعددهم لطال بنا التعداد .

أما أئمة البيان والشعر فنذكر في طليعتهم الأدبيين الموسيقيين المشهورين ابرهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي ، وابنه اسحق بن ابرهيم الموصلي ، وكان ابرهيم من أهل الكوفة إلا أنه سكن الموصل طويلاً وأفاد من رجالاتها علماً وفضلاً ، ونبغ في الأدب والموسيقى حتى صار أوحد زمانه في هذين الفنين وبخاصة في الموسيقى والغناء ، فانه اخترع فيها ألحاناً وأصواتاً ، ولما تسامع أهل بغداد بصيته دعوه الى مدينتهم فقدمها ورحب به أهلها ، وأذن له الخلفاء أن يغني بحضرتهم ، وأول من سمعه منهم المهديّ العباسي وكان الرشيد كثير العطف عليه الى أن مات في سنة ١٨٨ هـ فلما مات خلفه ابنه ابو محمد اسحق وكان من عجائب الدنيا أدباً وفضلاً ورواية ، عارفاً باللغة والتاريخ وعلوم الدين والكلام والفقه ، تفرد مثل أبيه في صناعة الغناء وقد أحبه الرشيد وقرّبه ، ثم سمت مكانته عند الأمين والمأمون والواثق ، وكانت له مؤلفات أجلها كتاب أغانيه وأخبارها ، وكتاب أخبار عزة الميلاد المغنية ، وكتاب أغاني معبد ، وكتاب أخبار حمّاد عجرد ، وكتاب أخبار ذي الرمة ، وكتاب مواريث الحكماء ، وكتاب جواهر الحكماء وكتاب الرقص والزفن ، وكتاب الندماء ، وكتاب النغم

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٦١ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٧ / ١٤٥ .

والابقاع ، وكتاب قيان الحجاز ، وكتاب النوادر المتخيّرة وغيرها من الكتب التي عدّدها ابن النديم وابن خلكان وياقوت في ترجمته [١] .

ومن أئمة الأدب والفن الموصليين ، الذين كان لهم أثر كبير في هذه المدنية الشاعر الأكبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الذي استوطنها وقضى شطراً من عمره فيها ، الى جانب الأمير محمد بن حميد الطوسي - وقد طبقت شهرة أبي تمام الآفاق وأفاد العلماء والباحثون في درس أدبه وعلمه وشعره مما لا مجال له هنا . وقد كان لحميد الطوسي الطاهري القائد الأمير الفاضل حلقات أدبية في الموصل وكذلك كان ابنه أبو نهشل الذي اعتنى بأبي تمام حين مات وبنى على قبره قبة عالية خارج باب الميدان على حافة الخندق . وما يزال قبره معروفاً ومزوراً الى أيامنا هذه [٢] .

وأما في علوم الأوائل من طب وفلسفة وهندسة وفلك ورياضيات فقد ظلت الموصل بعد الاسلام محافظة على المستوى الذي كانت عليه قبل الاسلام ، وظل كثير من مدارسها القديمة الملحقة بكنائسها وأديارها يحفل بالعلماء والأطباء والفلاسفة والمناطقة ، وفي طليعة هؤلاء :

الفيلسوف يشوع بن نون (- ٨٢٧ م ، ٢١١ هـ) وكان من رجال دير مار ايليا الحيري المعروف بدير سعيد ، تلقى العلم فيه ونبغ في علوم الدين المسيحي ، وفي الفلسفة وفي الرياضيات وفي الموسيقى ، وأخذ قدره يسمو حتى بلغ رتبة البطركية . وقد خلف عدة آثار في الدين وأحوال الكنائس وتواريخها ، وكتباً في الموسيقى والألحان والشعر [٣] .

(١) راجع الفهرست لابن النديم ١ / ١٤١ ، وفهرست كتاب الأغاني ، ووفيات ابن خلكان .

(٢) حدثني الكاتب الموصلي البارع السيد روفائيل بطي ان الحكومة العراقية كانت قد نقلت رفات أبي تمام عقيب الاحتلال البريطاني للموصل الى حديقة البلدية حيث بنت له بناء فخماً تكريماً للشاعر وعبقريته .

(٣) تاريخ الموصل للقس الصائغ ٢ / ٤٦ .

والطبيب الحكيم سابور بن سهل الخوزي (— ٢٥٥) وكان من كبار الأطباء بلغ في الطب مكانة سامية حتى سمي رئيساً لمستشفى جنديسابور في خوزستان ونسب اليه . وقد خلف للخزانة العربية عدة كتب في الطب والصيدلة أجلها كتاب الاقرباذين الخوزي ، وهو الكتاب المعول عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة والعقارين [١] وكتاب الرد على حنين بن اسحق وكتاب القول في النوم واليقظة ، وكتاب موتى الأطعمة ومضارها وغير ذلك [٢] .

والطبيب العالم يوحنا (يحيى) بن ماسويه الخوزي (— ٢٤٣) وكان طبيباً حاذقاً بارعاً في فنه عالماً باللغات اليونانية والكلدانية والفارسية والعربية . وكان له فضل كبير على أهل الموصل ولما ذاع صيته استدعاه الرشيد الى بغداد وعهد اليه بالقيام على ترجمة ما أراد ترجمته من كتب القدماء في الطب والفلسفة مما استحصله من كتب اليونان والروم في أنقرة وعمورية وقد رتب له الرشيد كتّاباً وأمناء حاذقين بالصناعة يقومون بخدمته . ولما مات الرشيد واستخلف المأمون زادت مكانته وجعله الرئيس على دار الحكمة والترجمة وكان مجلسه في بغداد من أعمر مجالسها العلمية والفلسفية ، وكان الخلفاء منذ عهد الرشيد الى أن مات لا يتناولون شيئاً من الأدوية والعلاجات إلا بمشورته وبحضرته وقد خلف للخزانة العربية آثاراً جد قيمة من أجلها (كتاب الحمى) و (كتاب الجراحة) وقد طبعا ، وله بعض المخطوطات العربية والعبرية والارمية في الطب مثل (كتاب نوادر الطب) و (الأدوية المسهلة) و (كتاب الكمال والتمام) وغيرها من النفائس [٣] .

والشاعر الحكيم عمانوئيل برشهارى (— ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م) وكان من رجال

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٥ .
(٢) طبقات الحكماء ١ / ١٦١ .
(٣) راجع بروكلمان G. A. L. الذيل ١ / ١٤٤ ومختصر الدول لابن العبري ٢٤٦ وطبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة ، والفهرست لابن النديم .

ديرمار جبرائيل بظاهر الموصل وكان شاعراً مجيداً بالارمية وديوانه (الاكسامبرون) أي الأيام الستة من أجل دواوين الشعر الارمي وقد بقيت بعض أجزاء من هذا الديوان في خزائن الفاتيكان ولندن وبرلين وبعض خزائن كتب أديرة الموصل . وقد نشر العلامة القرداحي في كتابه الكنز الثمين بعض آثار عمانوئيل هذا [١] .

والأديب الكاتب يوحنا (يحيى) بن خلدون الصيّاري (— في أواسط القرن الرابع للهجرة والقرن العاشر للميلاد) وكان من رجالات دير بيت صيّاري ، بارعاً بالأدب والعلم ونحو اللغة الارمية ، وله نظم جيد وآثار جليلة في الآداب والتاريخ واللغات وله ديوان شعر مملوء بالحكم والأقوال الرائعة وقد نشر العلامة القرداحي بعض آثاره [٢] .

هؤلاء هم بعض العلماء والحكماء والفلاسفة الموصليين الذين نبغوا في الديار الموصلية ونشروا فيها العلم والحكمة والفلسفة قبل العصر الذي نبغ فيه مؤلفنا العبقري أبو الفتح بن جني الرومي الموصلي ، وهم كما ترى أئمة أعلام لم يتركوا ناحية من نواحي العلم والفلسفة والأدب والمنطق والطب والنحو والصرف وغيرها من علوم الأوائل إلا درسوها وبحثوا وصنفوا فيها ، فليس عجباً أن يكون العصر الذي نبغ فيه ابن جني عصراً مزدهراً بحركته العلمية بارزاً بنشاطه الثقافي مجلياً في حلبة التأليف والتصنيف ، والبحث والتدريس ؛ فلنقف وقفة طويلة أمام ذلك العصر ، ولنعرض الى دراسته والفحص في جنباته لنرى الأئمة والشيوخ الذين نبغوا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ممن قد أفاد ابن جني من أدبهم أو درس عليهم مشافهةً أو إجازةً أو وساطةً .

***

(١) راجع الكنز الثمين طبع رومة سنة ١٨٧٥ ص ٦٨ — ٧١ .
(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ٢ / ٦٨ .

نبغ في الموصل في القرنين الثالث والرابع جمهرة من كبار العلماء والشعراء والمصنفين أشرنا الى بعضهم في مقدمة هذا البحث ، وقد غدت الموصل محجة طلاب العلم في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس بعد بغداد والبصرة والكوفة وبخاصة في عصر بني حمدان الذين كانوا يجودون على العلماء بالعطاء الواسع ويحسنون الى كل من قصدهم من الشعراء والكتاب والفلاسفة والمصنفين . وكان على رأس بني حمدان في هذا المضمار سيف الدولة ، الذي شاد للأدب والعلم دولة رفيعة الأركان في الموصل ثم في حلب ، وأبو الهيجاء الأمير العالم الذي كان لا يقل عن سيف الدولة عناية بالعلم وأهله . يقول الثعالبي : « ورزقوا — أي أدباء هذا العصر وعلماؤه — ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمعروفون بالمجد والكرم والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل فانبعثت القرائح في الإجادة وقادوا محاسن الكلام بأبين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا ، وأكثرهم اشتهاراً في ذلك سيف الدولة فكان قصره بؤرة الأدباء ، ومنتدى العلماء والشعراء كالمتنبي شاعر عصره الفريد ، والفارابي الفيلسوف الكبير ، والموسيقي البارع وكان ملازماً لخدمته حتى مات وهو مسافر معه الى دمشق ، ثم الاصفهاني الذي قدم له كتابه الشهير في الأدب والموسيقى والتاريخ فأعطاه سيف الدولة جائزة عليه ألف دينار واعتذر اليه ...[1] »

وقد جمعت الموصل في عهد هؤلاء الملوك الأكارم نخبة صالحة من كبار الأئمة أمثال السري الرفّاء أبي الحسن بن احمد (— ٣٦٦) الشاعر العالم الموصلي الذي عاش في كنف بني حمدان في الموصل وحلب ، وكان مبدعاً في شعره وحكمته ، منفنناً في نظمه ونثره ، عطف عليه سيف الدولة وقرّبه حتى

(١) يتيمة الدهر .

جعله من خواص خواصه فأقام عنده ، وكان عذب الألفاظ متقناً للتشبيهات بارعاً في التصوير ، وقد خلف آثاراً أدبية منها (ديوان شعره) ومنها (كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب)[1] وكان الشاعران الأخوان الموصليان خازنا كتب سيف الدولة المعروفان بالخالديين ينابذانه ويخاصمانه وينافسانه فادّعى عليهما سرقة شعره وأوغر عليهما صدر سيف الدولة ثم انهما تمكنا من إقناع سيف الدولة بأنه هو الذي يسرق شعرهما ، فتغير عليه سيف الدولة وقطع رسمه من ديوان مجلسه ، واضطر السريّ أن يترك الموصل وحلب ويقصد بغداد لاجئاً ، إلى أن أدركه أجله .

ويظهر أن الخصومة بين السرّي الرفاء والخالديين قد تطورت فتناقل أخبارها أدباء الموصل ومؤرخوها وتفننوا في توسيع شقة الخلاف بين الطرفين لترويج سوق الأدب واحتدام الملاحم الشعرية . والمؤرخون يزعمون أن السرّي الرفاء كان ينسخ ديوان شعر كشاجم الشاعر المؤلف الموصلي الأديب الكبير ، ويدسّ فيه أشعار الخالديين ليزيد في حجمه فينفق سوقه ، ويشنع بذلك عليهما تأكيداً لما يدعيه عليهما من السرقات الشعرية ، وقد عقد الثعالبي فصلاً في اليتيمة لسرقات الخالديين وغاراتهما على شعره وشعر السريّ . وللسريّ في ذلك أقوال كثيرة منها ما يقوله في قصيدة يمدح بها الأمير أبا البركات بن ناصر الدولة الحمداني ، ويتظلم اليه من الخالديين ومن سرقتهما شعره :

يا أكرم الناس إلا أن بعدّ أبٍ ... فات الكرام بآباء وآثار
أشكو إليك خليفيّ غارة شهرا ... سيف الشقاق على ديباج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم ... لمزّقاه بأنياب وأظفار
سلاّ عليه سيوف البغي مصلتةً ... في جحفل من صنيع الظلم جرار

(١) راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان .

... وكل مسفرة الألفاظ تحسبها صفيحة بين إشراق وإسفار
أرقت ماء شبابي في محاسنهـا حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
إن قلداك بدرٍ فهو من لججي أو ختّماك بياقوت فأحجاري
وما رأي الناس سبياً قبل سبيها بيعت نفيسته ظلماً بدينـار
والله ما مدحا حيًّا ولا رثيـا ميتاً ولا افتخرا إلاّ بأشعاري
لم يبق لي من قريض كان لي وزراً على الشدائد إلا ثقل أوزاري
أراه قد هتكت أشعار حرمته وسائر الشعر مستور بأستار
عار من النسب الوضاح منتسب في الخالديين بين العرّ والعار [1]

والخالديان هما أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عُرام بن يزيد ، وأخوه أبو عثمان سعيد بن هاشم الموصليان الخالديان من بني عبـد القيس ، وهما من سكان الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل [2] .

ولم يذكر المترجمون من تاريخ ولادتهما إلا أن أكبرهما وهو أبو بكر مات سنة ٣٨٠ هـ وأصغرهما وهو أبو عثمان مات حوالي سنة ٤٠٠ هـ وكانا عالمين جليلين وشاعرين فحلين ، يشتركان في التحصيل والدراسة ، والتأليف ، فلما نبغا نبغا معاً وكانا لا يتفارقان كالتوأمين ، وكانا يشتركان في نظم الشعر فينسب اليهما معاً ، قال الثعالبي وكان يجمعهما « من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب فهما في الموافقة والمساعدة يجريان بروح واحدة ، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان [3] » .

(١) راجع يتيمة الدهر ١ / ٤٥٣ ووفيات ابن خلكان ١ / ٢٠١ وفهرست ابن النديم ص ١٦٩ وخاص الخاص للثعالبي ص ١٢٠ .
(٢) راجع معجم البلدان (الخالدية) ومعجم الادباء ٤ / ٢٣٧ والوافي بالوفيات نسخة دار الكتب المصرية / تاريخ رقم ١٢١٩ ج ٤ / ٣١٤ ، ويتيمة الدهر ١ / ٤٧٤ وكشف الظنون ٧ / ٥٧٣ وفوات الوفيات ١ / ١٧٢ ، ٢ / ٢٧١ .
(٣) يتيمة الدهر ١ / ٥٠٧ .

قصدا بلاط سيف الدولة في الموصل ثم في حلب فقربهما ، وجعلهما من خواصه وولاهما خزانة كتبه . ولا نعلم بالضبط الوقت الذي انضما فيه الى بلاط سيف الدولة ، غير أننا نعلم أنهما حضرا مجالسه أيام اتصال المتنبي به ما بين سنتي ٣٢٧ و ٣٤٦ هـ[١] . ويقول أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أنهما تركا بلاط سيف الدولة (على حد مغاضبته)[٢] الى بغداد لاجئين الى الوزير المهلبي الذي ناصرهما وساعدهما هو وأبو اسحق الصابي على خصمهما السري الرفاء .

وقد خلفا للخزانة العربية ديوان شعر ضخما ومؤلفات في الأدب أجلها (كتاب التحف والهدايا) الذي يعني الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بنشره و (كتاب حماسة المحدثين أو حماسة الخالديين) ولا نعرف له وجوداً وكتاب (أخبار الموصل) و (أخبار أبي تمام) وكتاب (أخبار أبي تمام ومحاسن شعره) وكتاب (اختيار شعر أبي عبادة البحتري) وكتاب (اختيار شعر ابن الرومي) وكتاب (اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره) وكتاب (الديارات) وكتاب (اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه) و (ديوان الخباز البلدي) . وغير ذلك مما فقد[٣] .

وقد كان هذان الأخوان عجيبين في النظم وحسن التأليف ، مدحهما أبو اسحق الصابي وقال فيهما قصيدة طويلة منها :

أرى الشاعرين الخالديين سيرا ... قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه ... يقصر عنها راجز ومقصد[٤]

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (المطبوع على هامش شرح العكبري) مصر سنة ١٣٠٨ ج ١ / ١٧٣ .
(٢) رسالة الغفران . طبع أمين هندية ص ١٣٦ ، وطبع الكيلاني ص ٢٩ .
(٣) راجع الفهرست لابن النديم ص ١٦٩ ، والوافي بالوفيات طبع استانبول ١ / ٤٧ وكشف الظنون ١٩١/١ وخزانه الأدب ٣٩٦/٢ ومعجم الأدباء لياقوت ٢٠/٢ ووفيات ابن خلكان ١ / ٤٦ .
(٤) راجع اليتيمة ١ / ٥٠٨ .

وكان أبو عثمان أحفظ من أخيه لعيون الشعر روى عنه ابن خلكان في ترجمته أنه كان يحفظ ألف سفر من الشعر وكل سفر مئة ورقة فمحفوظاته إذن كانت مئة ألف ورقة أو مئتي ألف صفحة ولو فرضنا أن في كل صفحة ثلاثين بيتاً من الشعر كان مجموع محفوظه ثلاثة ملايين بيت من الشعر[1] وقال عنهما ابن خلكان أيضاً (انهما كانا يغصبان الشعر صاحبه حياً كان أم ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما)، وقد ظلا ينظمان الشعر ويؤلفان في الأدب الى أن توفيا . وقد جمع أبو عثمان شعره وشعر أخيه في ديوان ضخم ولكنه فُقد ولم نعثر على ذكر له في إحدى خزائن العالم حتى ان العالم المستشرق المحقق متس لم يشر اليه . وقد ضاعت أكثر آثارهما كما أشرنا اليه ما خلا كتاب التحف والهدايا وكتاب الحماسة ويعرف أيضاً بكتاب الأشباه والنظائر وهو مجموعة مختارة من عيون الشعر الجاهلي والإسلامي على نمط حماسة أبي تمام وأبي عبادة ومنها نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل[2] .

والأديب الشاعر العالم المصنف الطبيب أبو الفتح كشاجم محمود بن الحسين ابن السندي بن شاهك الرملي الموصلي وكان من كبار أئمة الأدب والشعر والفلك والتصنيف وقد شاع شعره في حياته في العالم الإسلامي حتى بلغ الأندلس والغرب وحاكاه شعراء عصره واقتبسوا منه وقد خلف ديواناً ضخماً وآثاراً عديدة منها كتاب (المصايد والمطارد) وهو أول ما صنف في فن الفروسية والصيد وأتى فيه بالمبدع الفائق، وكل من كتب بعده في هذا الفن أو البيزرة أو في علم الحيوان فهو عيال عليه أو مقتبس منه . وقد ظل هذا الكتاب

(١) راجع تاريخ الموصل للصابغ ٢ /٦١ .

(٢) راجع فهرس مخطوطات الموصل لداود الجلبي .

النفيس مجهولاً يتناقل المؤلفون والأدباء أخباره الى أن عثرت عليه في بعض خزائن إيران ونشرته في بغداد مؤخراً [١] . وقد كان كشاجم من أعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه ومعرفته حتى انه لقب نفسه بكشاجم وهو لقب انتزعه من الحروف الخمسة الأولى من كلمات (كاتب ، شاعر ، اديب ، جواد ، مصنف) وربما أضيفت اليها كلمة (طبيب) [٢] . وقد خلف كشاجم في الخزانة العربية عدا كتابي المصايد والمطارد والديوان ، كتاب أدب النديم أو لطائف الظرفاء وهو من أمتع كتب الأدب وهو مطبوع مشهور [٣] .

والشاعر أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبي المشهور بالببغاء (— ٣٩٨) وكان شاعراً مكثراً مجوداً وكاتباً مترسلاً مليح الألفاظ جيد المعاني حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف . وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وروى عنه بعض شعره عن طريق شيخه القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبي الفرج [٤] ، وكان الببغاء من أئمة الأدب وعيون رجال الشعر والنثر وقد روى التنوخي عنه كثيراً من أخباره وأشعاره في كتابيه (نشوار المحاضرة) و (الفرج بعد الشدة) وكان من المعجبين به وبأدبه وبخلقه . وقد أطنب المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع بأدب الببغاء وعدّه من بين الكتاب الذين غلب عليهم النثر « وكان لهم مع ذلك شعر جيد مثل الجرجاني علي بن عبد العزيز وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي اسحق الصابي ، وبديع الزمان الهمذاني وأبي اسحق الحصري

(١) طبع في مطبعة دار اليقظة ببغداد بعنايتي وتحقيقي في سنة ١٩٥٤ .
(٢) راجع مقدمتنا لكتاب المصايد والمطارد ، ومجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني فقد ذكرناه في مقال مفصل .
(٣) وجم أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٨٣ وزهر الآداب للحصري وبروكلمان G. A. L. الذيل ١ / ١٣٧ .
(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبع القاهرة ١١ / ١١ — ١٢ .

صاحب زهر الآداب فقد قال عنهم انهم ممن كانوا يجيدون الشعر إجادة تامة مع إجادتهم في النثر وان شعرهم كان رائعاً مثل نثرهم [١] » .

ومما قال عنه أيضاً « إنه نشأ في نصيبين ، واتصل بسيف الدولة فلما مات صاحبه تنقلت به الأحوال بين بغداد والموصل فنادم الملوك والرؤساء وقضى حياته بين النجاح والإخفاق ينعم تارةً ويشقى أخرى ، وكان البيغاء من أركان الحياة الأدبية في زمانه ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلاً فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفي لتعيين اتجاهاته الأدبية ... ومجموعة ما وصل الينا من شعره ورسائله وقصصه تدلنا على أنه لم يتصل بملوك زمانه على نحو ما كان يتصل الصاحب بن عباد أو أبو الفضل بن العميد وإنما كانت صلاته بهم عند الحدود الضيقة حدود السمر والأنس حول بساط السلاف وانا لنراه يدور حول شهواته وأغراضه النفسية في أكثر ما أثر عنه من المقطوعات والرسائل والأقاصيص ، أما شعره فتغلب عليه النزعة الوصفية وذلك يتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال وهو وان لم يستطع مصاولة فحول القرن الرابع كالرضي والمتنبي وأبي فراس يبدع أحياناً ويروع حتى لنعده في طليعة الشعراء [٢] » .

وأما نثره فيمتاز بعدة مزايا أظهرها أنه يمثل عصره من الوجهة الفنية ويمثل الكاتب في ميوله الذوقية والوجدانية فهو من جهة الصورة نثر مسجوع تغلب عليه الفطرة حيناً ويسوده التكلف أحياناً وهو من جهة الموضوع يتصل في أكثر نواحيه بما يحس الكاتب من حيث هو رجل مودات ومجاملات . وقل أن يمثل صاحبه رجل فكرة اجتماعية أو فلسفية على نحو ما نجد عند بعض كتاب القرن الرابع ... هذا ولا ننسى أن نذكر فضل البيغاء في رسائله الاخوانية الكثيرة التي خلفها لنا ، وهي لا تقاس الى براعته في نثره المرسل الذي دبج به قصصه الغرامية وقد حفظ

(١) راجع النثر الفني ١ / ٢٧ ، ١٢٨ .
(٢) راجع النثر الفني ٢ / ٢٢٦ - ٢٣٢ .

لنا الدهر منها شاهداً يعز على من رامه من أندى الكتاب قلماً وأسمامهم بياناً [١] .

والإمام الفقيه المحدث العالم أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (— ٣١٧) وكان من أئمة المحدثين وكبار حفاظ الحديث وهو صاحب المسند المعروف به والذي ظل يدرس في الموصل فترة طويلة وكان أهل الموصل يتبارکون به وبقراءته كما يحدثنا ابن خلكان [٢] .

وقد ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وأثنى عليه وبيّن محامده وآثاره وعدد شيوخه ومن أفاد منه من كبار الأئمة وقال عنه : انه حافظ متقن وثقة مشهور ولقبه الذهبي بمحدث الموصل وقد عمر طويلاً حتى ناهز المئة ورحل الناس اليه من أبعد أصقاع الإسلام وله (مسندان) في الحديث أحدهما كبير والثاني صغير [٣] .

والجغرافي البلداني الأشهر أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي البغدادي (— ٣٨٠) وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان وأصول التجارة طاف العالم القديم ودخل بلاد المغرب والأندلس وصقلية وغيرها من ديار الإسلام في أوربا وآسية وإفريقية منذ سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) ودامت رحلته هذه ثماني وعشرين سنة وقد أحصى ذكر ما رآه في العالم من أخبار وعجائب ، وأطنب في ذكر البلاد التي زارها وصفاتها وأحوالها غير انه لم يضبط الأسماء وذكر الأطوال والأعراض ، ولم تخل رحلته هذه التي دونها في كتابه « المسالك والممالك » من الأغلاط لأنه أول رحالة مسلم عربي دوّن أخبار رحلاته هذه . وقد طُبع كتابه في ليدن سنة ١٨٧١ م . وترجم الى اللغات الفارسية والانكليزية والفرنسية ، والايطالية واللاتينية . ويعد ابن حوقل الموصلي من كبار الجغرافيين الذين كتبوا ما كتبوا بعد الفحص والتدقيق . وقد كان الجغرافيون قبله

(١) راجع النثر الفني ٢ / ٢٣٣ — ٢٤٢ وبروكلمان G. A. L. ١ / ٩٠ والذيل ١ / ١٤٥

(٢) راجع وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٤ .

(٣) راجع تاريخ دول الإسلام للذهبي ١ / ١٤٦ والرسالة المستطرفة ص ٥٣ .

يكتبون معلوماتهم نقلاً عن أفواه التجار أو يجمعون الأقاصيص والخرافات جمعاً دون تمحيص [١] .

والطبيب الفيلسوف الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث (— ٣٦٥) وكان أصله من فارس إلا انه سمع بعناية بني حمدان بأهل العلم فقدم على الأمير ناصر الدين الحمداني فأكرمه وقربه واتخذه طبيبه فنال عنده مكانة سامية وأغدق عليه عطاياه وأقام بالموصل يعلم الطب والحكمة والفلسفة . وقد ترجم له ابن خلكان في الوفيات وأثنى عليه وذكر طرفاً من أخباره وعدد آثاره التي ألفها في علوم الطب والإلهيات والحيوان . وكان من أجل أعماله العلمية ترجمانه لكتب كثيرة من آثار جالينوس مع شرحها والتعليق عليها . وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ومدح علمه وفضله وآثاره ، ويذكر بروكلمان أن من آثاره العديدة التي كتبها لم يبق إلا كتابه عن الحيوان وكتابه عن تفصيل جالينوس في الاسطقسات وشرحه على رسالة جالينوس في المزاج المختلف ، وكتاب الغاذي والمعتذي [٢] .

والأديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش (٢٦٦ — ٣٥١) وكان من كبار الأئمة في علوم القرآن وقراءاته وتفسيره ، أقام بالموصل طويلاً يدرس علوم القرآن والعربية ثم رحل الى بغداد فأفاد الناس منه وقد خلف آثاراً عديدة أشهرها (شفاء الصدور) في التفسير و (الاشارة) في غريب القرآن و (الموضح) في معاني القرآن و (المعجم الكبير) في أسماء القراء وقراءاتهم و (المعجم الأوسط) في القراءات و (كتاب العقل) و (كتاب أخبار القصاص) و (كتاب ذم الحسد) و (كتاب دلائل النبوة) و (كتاب

(١) راجع دائرة المعارف للبستاني ، وكتاب آثار الأدهار للخوري وشحادة ١ / ١٩٧ واعلام الزركلي ص ٨٩٢ وقاموس الأعلام لشمس الدين سامي التركي .

(٢) راجع ابن خلكان ، وابن أبي أصيبعة ١ / ٢٤٥ وبروكلمان G, A. L. ١ / ٢٣٧ والذيل / ٤٢٢ .

إرم ذات العماد) و (المعجم الصغير في القراءات) . وقد ضاعت هذه الكتب كلها إلا قطعة من (شفاء الصدور) فانها موجودة في دار الكتب المصرية ، والمتحفة البريطانية و (كتاب الإشارة) فانه موجود في مدرسة الملا زكريا في الموصل [١] .

والشاعر الأديب الفحل أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السلامي (٣٣٦ — ٣٩٢) وهو من أهل بغداد إلا أنه نشأ في الموصل وسمت مكانته العلمية فيها فأكرمه بنو حمدان وكانت حلقاته في الموصل حلقات علمية وله مناظرات مع أهل الموصل وأدبائها وأذكيائها وكان حين دخل الموصل صبياً ينظم الشعر فيتردد على حلقات أبي عثمان الخالدي وأبي الفرج الببغاء وأبي الحسن التلعفري وغيرهم وقد أعجبوا جميعاً بذكائه وفطنته [٢] .

وبعد فان هؤلاء هم أئمة العلم والدين والفلسفة والطب والحكمة والأدب والشعر في الموصل في الفترة التي نشأ فيها أبو الفتح بن جني . وهؤلاء هم الأئمة الفحول الذين كانت تلك الديار وأهلوها يكرعون من مناهل علمهم وفضلهم وأدبهم ولا ريب في أن أبا الفتح قد أفاد منهم إما مباشرة أو بالوساطة .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

(١) راجع ابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت وبروكلمان ١ / ٣٣٤ الذيل .
(٢) راجع أخباره في ابن خلكان ١ / ٢٩٨ ويتيمة الدهر ١ / ١٧٣ .

التعريف والنقد

ابن رشد

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من سلسلة نوابغ الفكر العربي
طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٣

يشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول هي : (١) عصر ابن رشد (٢) ابن رشد في عصره (٣) جوانب ابن رشد (٤) منتخبات من آثار ابن رشد .

وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذه الفصول على نصوص ابن رشد العربية التي بين أيدينا وعلى بعض الدراسات العربية والأجنبية ، فجاءت على اقتضابها كافية لتعريف القارئ بعصر أبي الوليد وحياته وفلسفته . ولا غرو فالأستاذ عباس محمود العقاد يجيد في هذا النوع من التأليف ، فيبسط الأفكار ويجعلها على طرف التمام بأسلوب واضح وترتيب حسن .

ولئن كان من المتعذر هنا تفصيل الكلام على كل فصل من فصول هذا الكتاب فليس من المتعذر أن نقول ان كل فصل منها قد صوّر ناحية من نواحي ابن رشد تصويراً صحيحاً . فاذا أراد المؤلف أن يشرح لنا أسباب نكبة ابن رشد قال :

« فمن مجمل أحواله أنه كان رجلاً يحسن المساجلة ولا يحسن المنادمة ، ولا يبالي تزييف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه ولو كانوا من الملوك والأمراء . ومما يصح أن يشار اليه من لواحق هذا أنه غفل عن مكانة الغزالي عند ملوك الموحّدين . وهو أستاذ أستاذهم الأكبر ، فردّ عليه دفاعاً عن الفلاسفة ولم يبال في هذا الدفاع أن ينسب اليه المغالطة ـ

ومن مجمل أحوال الزمن أنه كان زمن العداوات الدينية ، وكانت أخطار الحروب فيه بين المسلمين والافرنج على أشدها ، فكان من أصعب الأمور على الحكام أن يتعرضوا لغضب العامة إذا وقع في وهم هؤلاء أن قاضياً من أعظم القضاة يشتغل بالعلوم التي يرتابون بها ويحسبونها من الكفر والضلالة . وقد اشتهر عن ابن رشد انه كان مصادقاً لأخي الخليفة وتبين من تاريخ تلك الفترة أن المنافسة فيها على الملك كانت حرباً ضروساً لا تنقطع في وقت من الأوقات ، فلا يبعد أن ينكب الخليفة ابن رشد اتهاماً له بمشايعة أخيه واتهاماً لأخيه بمصاحبة الفلاسفة وإضمار الكفر والضلالة » (ص ٢٦) .

واذا أراد المؤلف أن يتكلم على فلسفة ابن رشد قال : فلسفة ابن رشد على الأصح : « فلسفتان لا فلسفة واحدة : فلسفة ابن رشد كما فهمها الأوربيون في القرون الوسطى ، وفلسفة ابن رشد كما كتبها هو واعتقدها ودلّت عليها أقواله المحفوظة لدينا » (ص ٣٠) وبين هاتين الفلسفتين « مواضع اختلاف يمسّ الجوهر أحياناً أو يسمح بتفسير آخر في غير تلك الأحيان » (ص ٣١) .

وقد اعتمد المؤلف الفاضل في تلخيص الفلسفة الأولى على ما كتبه (موريس دوولف) في كتابه : تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، كما اعتمد في تلخيص الفلسفة الثانية على نصوص (ابن رشد) العربية التي بين أيدينا غير معوّلٍ في ذلك على مصدر من المصادر الأجنبية .

ولكن الباحث الذي يتصدّى لدراسة فلسفة (ابن رشد) كما كتبها هو واعتقدها لا يستطيع أن يهمل المصادر الأجنبية الحديثة ، لأن في هذه المصادر كثيراً من الدراسات التي توضح نصوص ابن رشد وتصور فلسفته أحسن تصوير . وقد فطن الأستاذ عباس محمود العقاد الى هذه الناحية فذكر في مصادره كتاباً لرينان عنوانه : ابن رشد وفلسفته (Averroès et l'Averroïsme) ولكنه

أهمل كثيراً من الدراسات الأخرى كدراسات (موللر) و (مونك) و (غوتيه) و (بالاسيوس) وغيرها . ولو استعان بهذه الدراسات لصور لنا عقل ابن رشد في شتى مشاركاته تصويراً أتمّ وأوفى .

وجملة القول ان صورة ابن رشد التي أبرزها المؤلف صورة آنية سريعة ليس فيها ما في فلسفة ابن رشد من نواح مختلفة ، وسبب ذلك يرجع الى أن المؤلف يكتب لجمهور القراء لا للعلماء المتخصصين ، وأظن أنّ الناس ينتفعون بهذا النوع من المختصرات أكثر مما ينتفعون بالمطولات .

جميل صليبا

نوابغ المغرب العربي (١)

الإمام المازري

حسن حسني عبد الوهاب

في طلائع هذه الرسالة (التي بلغت نحو مائة صفحة بقطع الربع) شذرات من تراجم أولئك الغُر الميامين الذين دخلوا الشمال الإفريقي من الصحابة والتابعين ، ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم إلى عصر المازري في القرن السادس الهجري .

استهل المؤلف ـ وهو الأستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب التونسي الشهير ـ استهل بحثه بذكر بعض مَن وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد الفتوح ، وهم الذين عيّنهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة لتفقيه الأفارقة في الدين ، وإرشادهم الى هديه ، وإشراب قلوبهم حبّه . وقد كان في مقدمة هذه البعثة الدينية اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي عامل عمر بن عبد العزيز على المغرب ، ورأس البعثة الدينية ، وعبد الله بن يزيد المعافري ، وعبد الرحمن ابن رافع التنوخي ، ومنهم اسماعيل بن عبيد الأنصاري ، وكل من هؤلاء قد روى عن الصحابة ، واتخذ داراً لسكناه ، ومسجداً لصلاه ، ومدرسة لتعليم

الناشئين : وقد تربّى على أيديهم جمع كبير كانوا المربين الأولين لأبناء البلاد ، وهم الذين لقنوهم علوم الشريعة . وذكر المؤلف طبقة ثانية بوافق ظهورها قيام الدولة الأغلبية في البلاد ، ومنهم أسد بن الفرات ، وقد تلقى عنه أبناء إفريقية مثل سحنون ، وسليمان بن عمران وغيرهما « ويمكن أن نعدّ أسد بن الفرات أول مؤسس للدولة الفقهية القيروانية » .

شرح الأستاذ المؤلف كيف دخلت « الحنفية » إفريقية في القرن الثاني ، والمدرسة المالكية في القرن الثالث ، ثم تتابعت الطبقات وترجم لمشاهيرها بايجاز ، إلى أن بلغ بها القرن السادس ، فترجم للإمام المازري ، وأشهر شيوخه وتلاميذه . والمازري نسبة إلى مازَرَة بصقلية ، تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي أول بلدة امتلكها الجيش الأغلبي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (م سنة ٢١٢) . ومن أشهر أساتذة المازري إماما المغرب في وقتهما أبو الحسن اللخمي (م ٤٧٨ هـ) وعبد الحميد الصائغ (م ٤٨٦ هـ) . ومن أكبر تلاميذه علماً وسياسة محمد بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية (وكانت وفاته ٥٢٥ هـ) والإمام أبو بكر بن العربي الإشبيلي (م ٥٤٣ هـ) .

ثم ذكر الأستاذ ابن عبد الوهاب ثناء العلماء عليه ، وآراءهم فيه ، وآثاره العلمية ، ونُبذاً من فتاويه وجهره بالحق . وختم بحثه بهجرة الصقليين إلى افريقية ، وبتمييز المازري عمن يشاركه اسماً ولقباً وبلدا .

وقد وقعت بالطبع هنات لا يخلو منها كتاب (عدا ما في جدول الخطأ والصواب) وهي في ص ٨٢ س ٥ : الآ ، و ٨٩ س ٢ : واحداً بالآخر ، و ٩١/١٠ خمس قرون ، وصوابها : الإله . واحد والآخر . خمسة قرون .

فنشكر للأستاذ المؤلف حسن صنيعه ، ونرجو له مزيد التوفيق في عمله العظيم .

مصادر الحق في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث

(٢)

توافق الإرادتين في مجلس العقد ، صحة التراضي ، (الغلط – التدليس – الإكراه)
ألقاها الدكتور عبد الرزاق السنهوري على طلبة قسم الدراسات القانونية

عرف الدكتور السنهوري بسعة اطلاعه على المذاهب الفقهية الإسلامية ، وعلى القوانين الموضوعة في الدول العربية ، وما يقابلها من فقه الدول الغربية ، وله مؤلفات في ذلك . وهذا هو الجزء الثاني من كتابه الفقه الإسلامي المقارن بالفقه الغربي الحديث ، الذي ألقاه على طلبة قسم الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية ، من جامعة الدول العربية ، بالقاهرة .

(ولم نطلع على الجزء الأول منه) . وأوله : المبحث الثاني في تطابق الإرادتين في مجلس العقد (أي إرادتي المتعاقدين) ، وفيه ثلاثة مطالب (١) التعاقد بين الحاضرين (٢) التعاقد بين الغائبين (٣) حالات خاصة في إبرام العقد . ثم يأتي المبحث الأول في الغلط – : وهو حالة تقوم بالنفس تحمل على توهم غير الواقع – وفيه مبحث الغلط في الفقه الغربي ، والغلط في الفقه الإسلامي . وفي المطلب الثاني : الأنواع الأخرى من الغلط ، كالغلط في الشخص ، وفي الوكالة ، وفي إجازة الظئر ، والغلط في القيمة ، والغلط في القانون .

ثم المبحث الثاني في التدليس ، والمطلب الأول منه : التدليس في الفقه الغربي ، والثاني : التدليس أو التغرير في الفقه الإسلامي .

ويليه : المبحث الثالث في الإكراه ، والمطلب الأول : الإكراه في الفقه الغربي ، والثاني : الإكراه في الفقه الاسلامي ، وفي كل من هذه المطالب والمباحث فروع تتصل بها ، وقد بلغ هذا الجزء الثاني (٢٣٥) صفحة بالقطع المتوسط .

وتجد فيما كتبه الدكتور ما امتاز به الفقه الإسلامي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة ، على اختلاف الزمن ، وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب . أثاب المولى الدكتور السنهوري ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

سيرته . بطولته . عظمته

وضع الأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب . جزآن في نحو (٥٧٠) صفحة

مما كان يردده الملك الإمام عبد العزيز آل السعود (رحمه الله تعالى) ويؤيده بالشواهد والبراهين أنّ مدار الأمة على التوحيد ، وأن العرب لم تكن لهم وحدة حقيقية ، ولا جامعة عربية يحافظون عليها ويدافعون عنها إلا بالتوحيد الذي ألف بين قلوبهم ، ووحّد كلمتهم وعملهم ، فصانوا دماءهم وحفظوا أموالهم ، وقلّصوا ظل القياصرة والأكاسرة عنهم ، بل كسروا شوكة الظالمين في أنحاء المعمور . ذلك بأن عقيدة التوحيد التي تغلغلت في نفوسهم ، وجرت في عروقهم ، قد ناطت رجاءهم في الله وحده ، لا يسألون إلاّ إياه ، ولا يخشون أحداً سواه «وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله» . وفي حديث ابن عباس : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

لمّا أخذ العرب بهذه العقيدة المثلى تركوا عبادة الحجر والشجر والبشر ، والكواكب والملائكة والجن ، وعلّقوا خوفهم ورجاءهم بفاطر الأرض والسموات ، فطهرت عقولهم من لوثات الشرك والأضاليل ، وزكت نفوسهم من الرذائل والنقائص ، وأصبحوا علماء حكماء ، لا تعرف الخرافات والأوهام الى قلوبهم سبيلا ، وأخذت معارفهم حظها من الشيوع والانتشار ، بحيث لم تبق أمة من أمم الأرض

لم تقتبس من نورهم ، أو تعطر مسامعها بشذى ذكرهم الفيّاح . هذا مجمل ما كان ينثره الملك من درره ، وكنا نسمعه في كثير من مجالسه العامة والخاصّة ، وكان له أحسن وقع وأبلغ تأثير في نفوس المستمعين . وهو ما تراه الآن موزّعاً من خطبه وأحاديثه في هذه السيرة التي رأى مؤلفها العلاّمة أن يسلك بها غير ما سلكه الكثيرون ممن أرّخوا للإمام الراحل في حياته وبعد مماته ، وكتبوا كثيراً في مآثره وصفاته ، إذ لم يتعرضوا لسرّ عظمته في نفسه الكريمة ، وما انطوت عليه من إيمان وتقوى ، (أو محاسبة ومراقبة) هما السبب الأقوى في كل ما تم على يده من الأعمال ، وما نالته البلاد في عهده الميمون من أمن وطمأنينة ، فأحبّ أن يكتب في هذه الناحية ليتخذ الناس من سيرته مُثُلاً عليا ، في هذه الحياة الدنيا . قال : « خصوصاً وإن ما دعاني إلى تأليف هذا الكتاب ما علمته من رغبة عميد الكلية العربية العامة بالباكستان ، في الحصول على معلومات مفيدة عن ملوك الإسلام وآثارهم في البلاد وطريقة حكمهم فيها ، ليدرسها النشء في هذه الدولة الناهضة (باكستان) التي يهمها أن يعلم أبناؤها الكثير عن مزايا الإسلام وفضائل ملوكه وأمرائه المعاصرين منهم والسابقين » .

وقد أهدى المؤلف كتابه بكلمة قيمة إلى سمو ولي العهد وأخيه (جلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل ولي العهد) وقدّم له مقدمة شرح فيها المذهب السلفيّ (المسمّى بالوهابي !) شرحاً وافياً من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الذي استجاب لدعوته ، إلى عهد الملك الراحل عبد العزيز (رحمهم الله تعالى) . وقد بدأه بمولده ونشأته ، وتأسيسه الملك ، وقضائه على الفتن الداخلية . ثم ذكر قضاءه على حكم آل الرشيد ، وحروبه مع الهاشميين ، وإعلان البيعة له ، وانعقاد مؤتمر العالم الإسلامي بمكة (سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) . وحادث (المحمل) ، وفتنة الدويش ، وحماية الأدارسة ، وثورة ابن رفادة ثم الأدارسة ، وتوحيد المملكة السعودية ، وبين الملك وإمام اليمن ـ عفوه

عن المبعدين ـ حل حزب الأحرار . خطب الزعماء بين يدي جلالة الملك والأمراء ـ تفاهم مصر والمملكة السعودية ـ اجتماع رضوى التاريخي ـ ميثاق الجامعة العربية ـ رحلة الملك الى مصر ـ فلسطين والاتحاد العربي ـ الملك وقضية فلسطين ـ الحرب في فلسطين ـ زيارة الملك عبد الله ـ مدة الهدنة ـ لجنة التوفيق ـ النتيجة ـ (وهي أسوأ نتيجة وأخزاها) ـ الى عموم المسلمين ، (قصيدة للمؤلف) الملك وباكستان ـ باكستان كما رأيتها ـ باكستان في أربع سنوات ـ الملك وأندونيسيا ـ خطاب المولف في القصر الجمهوري الأندونيسي . هذا مجمل ما تضمنه الجزء الأول ، في نحو ثلاثمائة وأربعين صحيفة .

وأما الجزء الثاني من سيرته الميمونة فهو خاصّ بما يتعلق بحياة جلالته الخاصّة وأخلاقه وعاداته ، وخطبه وآثاره ، وأبنائه وأصحابه وعمّاله .

قلت : وإنّ من أبرّ أعماله (رحمه الله) وأفضلها ، أنه رأى أنّ أفضل ما تداوى به القلوب ، وينتزع به منها مثارات الشكوك ، هو جمع المصلين في كل صلاة على إمام واحد ، كما تقتضيه وحدة الإسلام ، فأمر أن يتناوب الإمامة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الأربعة ، يأتم بكل واحد منهم في نوبته جميع المصلين ، فتمّ ذلك ولله الحمد على أحسن وجه . وقد قضى الإمام عبد العزيز بهذا التوحيد العملي على كلّ خلاف قديم ، وأدخل عصر التفريق والتمزيق في خبر كان ، وبات القول بأنّ النجديين يكفرون إخوانهم المسلمين وإخوانهم يكفرونهم أضحوكة العجائز والصبيان ، وأسطورة الكذب والبهتان . فنحن نذكر إخواننا المسلمين في سائر الأقطار بأن يحذوا حذو البيت الحرام ، قبلة الإسلام بالاقتصار على إمام واحد لكل صلاة توحيداً للأمة وجمعاً للكلمة ، ونحذرهم من ضرر تعدّد الجماعة في وقت واحد . والكتاب محلّى برسوم صاحب الجلالة وصاحبي السموّ ولي العهد ، ونائب جلالة الملك ، وكثير من الأمراء والأعيان ، وفي ختام هذا الجزء الثاني سجلّ الصور لبعض أمراء وعظماء المملكة العربية السعودية .

والحاصل أن هذا الكتاب من أغزر الكتب مادة في موضوعه ، وأدلّها على ما ألّف من أجله ، والمؤلف غنيّ بتآليفه وآثاره عن التعريف به .

وقد مرّت بي أغلاط قليلة كقوله في قصيدة الأستاذ الزركلي (ج ١ ص ٦٢ س ٢٥) ما استطعت ، صوابها « ما أسطعت » وفي (ص ٦٣ س ٧ منه) وللأياة : « وللأباة » بالباء ، وفي (ج ٢ ص ٨٣ س ١٥) سمحان : « سحان » (وفي ص ٨٢ س ٢٠) المقدس . المقدى . المقمى . صوابها كلها : « المقدمي » وفي ص ٨٣ س ٧ الكلام الطيب : « الكام » .

المجموع الأول

أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية

بقلم : عبد الله القلقيلي في (٧٧) صحيفة

الأستاذ القلقيلي صحافي قديم ، وكاتب مشهور ، فهو صاحب « الصراط المستقيم » التي كانت تصدر في يافا من أرض فلسطين ، وقد كانت معروفة بمعارضتها للمجلس الإسلامي الأعلى في سياسته ، ولكنها مثال الذوق والأدب ، وصدق القول والعمل ، والغيرة على الدين والوطن ، فهي تشبه جريدة البرهان التي كانت تصدر في طرابلس الشام للأستاذ المغربي ، كلتاهما كانت تصدر عن عقيدة راسخة ، وأدب جم ، وفضل وعلم ، وهذه مقالات منوعة ، افتتحت بمقدمة للأستاذ مظهر العظمة ، وبدئت بمقال الدعوة إلى الحق والخير ، ولا تعارض في الدعوة ، والفصل بين السنوحات والفتوحات ، ومحمد خاتم النبيين ، ومنها الجواب على ما يأتي : أيكون الإيمان سبباً في زيادة الشقاء ؟ هل يباح الفطر للعمال ؟ عَشاء الميت ، القراءة للميت ، وختمها بأجوبة وفتاوى على أسئلة :

« ضريبة الإنتاج والزكاة » وتأييد هذه الفتوى بالرد على من خالفها ، وتحديد النسل ، والسَّلَف على الغلة ، وقبر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والأستاذ القلقيلي في ذلك كله ، وسط بين الغلو والتفريط ، يظهر ذلك من كلامه على مقالي السنوحات والفتوحات (أي المكية لابن عربي) فمن الكتاب المكفِّر ، ومنهم المؤول ، والأستاذ قائل بالتخطئة ، وفي مقال محمد خاتم النبيين ردّ محكم على دعاة النبوة الكاذبة في هذا الزمان ، ثم بيان أن الإيمان من أسباب سعادة الإنسان لا شقائه ، واعتدال في الكلام على صيام العمّال ، والاقتصار على السنة في أمر الموتى ، وعدّ ما تنفقه الحكومة على مستحقي الزكاة من الزكاة الشرعية ، والكلام على تحديد النسل الشخصي (لا الاجتماعي العام) وإباحة التسليف على الغلة بشرطه . وهذا (المجموع الأول) كما ترى هو رائد خير ، وطليعة صلاح وإصلاح لما يأتي بعده إن شاء الله ، ففتح المطالعين على الاستفادة منه .

ومن الأغلاط المطبعية (ص ١٢ س ١) باختلاف ومتعلقها : الواو زائدة . و (ص ٢٧ س ١٢) أن يتحاكون : وهي بحذف النون . وباقي الأغلاط طفيف ظاهر ، وأكثره في جدول الخطأ والصواب .

محمد بهجة البيطار

آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)

لمحمد توفيق

عدد صفحاته (٤٠) صفحة من القطع الكبير و (٤٠) لوح مصور طبع في القاهرة سنة ١٩٥١

قدم المؤلف في هذا الجزء أولى دراساته عن جنوبي جزيرة العرب وهي بعض مشاهداته في رحلته العلمية الى جوف اليمن لدرس هجرة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . اغتنم المؤلف هذه الفرصة التي تهيأت له فقام أيضاً بدراسة جديدة لخرائب آثار هذه المنطقة والتقط لها صوراً فوتوغرافية استكملت أبحاثه القيمة .

غامر قبله منذ منتصف القرن الماضي وفي فترات مختلفة عدد من علماء الغرب ورحالته محاولين زيارة اليمن ، منهم من أصاب بعض النجاح في جولته ومنهم من لم يفلح ولقي بعضهم حتفه بصورة مفجعة .

بدأ المؤلف في هذا الجزء دراسته المستفيضة عن خرائب معين عاصمة الدولة المعينية ، فوصف مشاهداته عن آثارها ونقوشها ورقمها ونشر صورها . وسيبقى بحثه هذا مرجعاً أساسياً لدراسة آثار هذه المنطقة . ومن مميزات هذه الدراسة أنها صححت جملة نصوص كان جمعها غيره من الآثاريين وأضاف نصوصاً وصوراً جديدة تنشر لأول مرة .

ومما يدعو الى الغبطة أن نرى إقبال طائفة من علمائنا العرب على دراسة هذه المواضيع التي كانت الى عهد قريب وقفاً على علماء الغرب . ومن هو أحق من أبناء العرب بالعناية بدراسة تاريخ مدينة جنوب جزيرة العرب التي استمدت منها الحضارة العربية في الجاهلية والإسلام أصولها ؟ فللمؤلف شكرنا وتقديرنا .

J. A. Dagher - Repertoire des bibliothèques du Proche et du Moyan Orient. Paris 1951

تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط

من وضع يوسف داغر

أمين دار الكتب الوطنية اللبنانية ، يقع في (١٨٢) صفحة

من القطع المتوسط طبع في باريز ١٩٥١

أحصى المؤلف في هذا التقويم دور الكتب العامة والمكتبات الخاصة العربية والأجنبية الموجودة في بلاد جزيرة العرب ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران ، ولم نجد بينها ذكراً لمكتبات المملكة الأردنية الهاشمية ، فهل يستنتج من ذلك أنها خالية من المكتبات مع أن نهضتها الثقافية الحديثة على ما نعلم كانت شاملة ويستغرب أن تهمل هذه الناحية الهامة من نهضتها .

يقدم هذا الكتاب خدمة جليلة للمشتغلين بشؤون دور الكتب ويرشد الطلاب والعلماء الى مناهل العلم في هذين الشرقين ، ويعمل على زيادة الروابط الثقافية بين هذه البلاد وغيرها من الأقطار العالمية . ان فائدة هذا الكتاب واضحة وهي جديرة بالإكبار والتقدير .

نقوش خربة معين

(مجموعة محمد توفيق) الجزء الثاني

لخليل يحيى نامي في (٣٤) صفحة من القطع الكبير . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

اقتصرت دراسات الأستاذ محمد توفيق في الجزء الأول من هذه المجموعة على وصف آثار خربة معين ونقل صور رقمها وعهد الى الدكتور خليل يحيى نامي بنشر النصوص التي جمعها وترجمتها فيكون هذا الجزء تكملة للجزء الأول حقق

فيه الناشر تسع عشرة كتابة من خربة معين كانت بحاجة الى شرح مغلقها ودرس محتوياتها والتعليق عليها ، ويقف المطالع في هذا البحث على مدى الجهد العلمي الذي بذله الأستاذ نامي لإخراج كتابه هذا الذي يستدل منه على مكانته العلمية في موضوع جديد له صلة وثيقة في دراسة تاريخنا العربي . فللمؤلف إعجابنا والى المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة الذي خصص سلسلة من منشوراته لمثل هذه الأبحاث القيمة شكرنا .

جعفر الحسني

ابن الحريري ومقاماته

تأليف الدكتور محمد أحمد الصدّيقي

طبعة أله آباد ، بالهند . في ٢٣٢ صفحة

لم نقع للمعاصرين من كتّاب العرب على مؤلَّف في الحريري ومقاماته يستوعب البحث في حياة الرجل وآثاره . لذلك رحبنا أجمل الترحيب بهذا الكتاب الجديد يصدره أستاذ في جامعةٍ بالهند كرسالة الدكتوراة ، يسد بها ثغرة من الثغرات الكثيرة في التأليف الأدبي .

خرج المؤلف ببحث شامل حافل ، تطرّق فيه إلى العصر العباسي ، فذكر المدارس والمعاهد والمراكز العلمية في البلاد العربية وغيرها ، وأشار إلى أثر الكوفة والبصرة في الأدب والعلم والثقافة ، وانتهى الى الإشادة بالبصرة فقد كانت تُدعى قبّة الإسلام ، وفيها كانت العناية بالغة في النحو ، ومنها كان الحريري .

وتناول الدكتور الصديقي في بحثه أساليب الكتابة وأغراضها ، وسعى إلى دراسة المقالات والمقامات من حيث اللفظ والمعنى ، فعرض للصناعات اللفظية وزخرفة الكلام ، والتكلّف والتطويل والإطراء ، ليبلغ بنا الى نشأة الحريري

وتربيته ودراسته وثقافته حتى كانت منه المقامات والرسائل والمؤلفات . وقد وقف الباحث عند المقامة وقفة غير قصيرة يحلّلها ويدرسها ، فهي كلّ ما يلقى في مجتمع الناس ، وهي المجلس من الكلام ، أو هي الرواية والخطبة والعظة ، بل إنها القصّة النثرية وما يتخللها من شعر ينظمه صاحب المقامات . وموضوعها ذلاقة اللسان وفصاحة البيان ، وجمال التعبير ، في كلّ منها نكتة تدور حولها ، ولكل منها اسم تنسب اليه ، تجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب ، في أسلوب مسجع ، أنيق الوشي ، تعجّ بالأمثال والحكم .

وقد أورد المؤلف آراء المستشرقين والشرقيين في المقامات ، فرأى أن الأولين أخذوا عليها وحدة مغزاها ، ووقوفها عند ابتزاز الأموال على طريقة رخيصة مبتذلة فيها الوضيع والدنيء ، ونقدوها لما بين جنباتها من حبّ ينكره الذوق السليم وشذوذ يأباه الخلق الكريم ، وأنها قصيرة لا تتصل بالدرامة أو الفاجعة أو غيرهما مما عرف الغربيون في مسرحياتهم وقصصهم وتمثيلهم .

ودافع الدكتور الصديقي عن الحريري ومقاماته ، وذكر الدوافع التي أهابت بصاحبها إلى صنعها ، وبيّن تاريخ ذلك كما انتهى إليه عن سبيل البحث والدرس ، ورسم الأشخاص في المقامة ومصادر ألوانها وحكاياتها ، ثم رأى أن أكثر تلاميذ المقامات يعودون الى الحريري لا إلى البديع في التقليد والاستعارة والاحتذاء ؛ ووجد في أسلوبها طلاوة تسحر الألباب وبلاغة تحيّر العقول ، وأورد هنا كذلك آراء الكتاب والناقدين ، فهي تقتبس من القرآن والحديث وتمتلئ بالجناس الأنيق والسجع الرشيق . وقال إنها مرآة لحياة البصريين الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية ، وضرب الأمثلة على ذلك بنصوص أوردها مشروحة مضبوطة بالشكل ، ووازن بينها وبين مقامات البديع ، فأفصح عن المزايا والسجايا ، ونصب نفسه منصب الخطيب الأريب والمحامي الأديب والكاتب المترسل ليدافع عن

الحريري في حماسة المحبّ وغيرة المخلص ، وذلك لسبب يعلّله كاتب المقدّمة الأستاذ المفكر أبو الحسن عليّ الحسني الندوي ، معتمد دار العلوم في لكناو ، قال :

« وقد دافع المؤلف عن الحريري مدافعة قوية لأنه من أنصار الحريري المتحمسين له ، وقد يؤخذ هذا عليه كناقد ومؤرخ ، إلا أنه عقيدة وفكرة ، ولا بلام الكاتب على عقيدته وفكرته » ... ثم قال : « وقد كان حقاً على الهند ، وهي التي لم تزل ولا تزال متمسكة بأهداب الحريري في الأسلوب الأدبي وتأثير هذا الكاتب في أساليبها وأوساطها الأدبية معلوم واضح أن تقدم كتاباً لائقاً عن الحريري الذي شغفت به هذا الشغف العظيم ، وقد كان هذا دَيْناً عليها » .

وهكذا قام المؤلف الصديقي بوفاء الدين في كتابه ، فقدّمه إلى جامعة آله آباد ، وأوفى فيه على الغاية من حيث دراسته وعرضه لآثار الحريري ومخطوطاته ومطبوعاته على غرار المؤلفات الحديثة في جامعات الغرب ، فلم يفته ذكر المصادر ووصف المخطوطات ومظانّها . وقد رأينا أنه جمع بين دفتيّ كتابه ما قال القدماء والمحدثون في الحريري ومقاماته وعرض لها بالدرس والموازنة . وكان أسلوبه في ذلك البحث يتّصل حيناً بأساليب القدماء من سجع واستعارة واقتباس ، ويتصل أحياناً بالمحدثين المترسلين في البساطة والسهولة .

واذا كنا نحمد للدكتور الصديقي كتابه ، فانما نحمده أولاً ، لأنه صنعه بلغتنا العربية ؛ فجهد في ذلك جهداً كبيراً نعترف به ونشكره عليه ونثني على أياديه فيه ، فقد أراد ان يشركنا في قراءة بحثه وخلاصة درسه ، وكان لنا من ذلك متعة وفائدة ، فأضاف الى مصادرنا المتبعثرة المشتتة عن الحريري مصدراً جامعاً كثير الغناء وافر النفع ، يستوي مع الكتب الناجحة في هذا الباب ، ويستحق به صاحبه أجزل الثواب وأجمل الجزاء .

الجاحظ

تأليف الأستاذ حنا الفاخوري

دار المعارف بمصر ١٩٥٣ – في مئة صفحة

في هذه المجموعة من تراجم الأعلام في « نوابغ الفكر العربي » عقد الأستاذ حنا الفاخوري فصلاً كبيراً للجاحظ ، إمام الأدب والفكر في أدبنا العربيّ . فصوّر العصر العباسي وما اختلف إليه من فتن وثورات وحروب ومعارك . وعرض للحياة الاجتماعية فتوفر على دراسة الترف والفراغ الذي أصاب الأمة الناشئة ، وما كان من رقيق وغلمان وجوار ، وما نهض من فرق دينية وانعقد من حلقات فكرية ، وما قام من حركة علمية وثقافية ؛ ليرسم التيارات التي كانت تتجاوب في دنيا العراق من علوم الأمم القديمة وثقافاتهم ، وما أفاد العرب منها في النقل والترجمة والاقتباس ، وما قصروا خلال ذلك في ميادين الأدب اليوناني ، ليبلغ بنا إلى حياة هذا الرجل العملاق .

فقد كان الجاحظ يمثل الأديب المثقف والكاتب الاجتماعي ، « وعى في صدره جميع معارف عصره في الأدب والدين والعلم والفلسفة » وأخذ بكل ما وقع له من كتب العرب واليونان والفرس والهنود ، فصاغها ببيانه وعرضها بأسلوبه ، وضرب المثل الرائع للرجل النابغة ، حتى قال فيه أبو هفان : « لم أر قط ولا سمعتُ مَن أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلاّ استوفى قراءته ، كائناً ما كان ، حتى أنه كان بكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر » . وهذه شهادة عظيمة تنطق بفضل الجاحظ ، وتشيد بعقله الراجح وذكائه البالغ ؛ وتجعله صورة للأديب على مدى الأجيال واختلاف الأقطار .

وكتب الجاحظ التي خلفها شاهدة على روعة ثقافته وسعة علمه ؛ وصل بعضها وضاع كثير منهـا . وهي فيما يقول النقاد تنيف على ثلاثمائة وخمسين كتاباً ،

يدلّ قليلها على فيض أدبه وواسع معرفته ، فهي دائرة معارف كما يقول الغربيون . فيها من كل فن أعجوبة ، ومن كل موضوع جانبه الخطر ، وهي أحرى بأن تنسب إلى عدد عديد من الكتاب ، لكثرة ما فيها من نفع ومعرفة وأدب ، لم تغفل شاردة أو واردة في ثقافة العصر . كأنّ عقله آلة مصوّرة مسجّلة ، ترى وتسمع فتحفظ كل ما ترى وتسمع خلال السنين التي عاشها الجاحظ ، حتى أثقلت ظهره ، فناء بها ووهنت قواه ، فأصيب بفالج ، ألزمه البيت وأسلمه إلى الهرم فالفناء . فأسلم الروح وقد ناهز التسعين ، في منتصف القرن الثالث للهجرة ، وخلّف دويًّا في سمع الدنيا ، وترك آثاراً في خزانتنا العربية تزهى بها على الأمم ، ونستصغر أدباء العالم إذا ما جمعوا وأديبنا الكبير في صعيد واحد من رسالة العقل والأدب والحياة .

هذه هي الجوانب التي رسمها الأستاذ الفاخوري في كتابه عن حياة الجاحظ ، وأتبعها بفصل عرض فيه مؤلفات الرجل وتناولها بالنقد ، وأبان فضلها وأدبها وفنها ، وأسهب في البيان والتبيين ، والبخلاء ، والتربيع والتدوير ، والحيوان ، ورسائل الجاحظ . وانتهى إلى عرض منتخبات من آثاره هذه ، قدّم لها ، وعلّق عليها ، وشرح غامضها ، فاستوفى البحث ، وأدّى الأمانة . وقد كنا نتمنى على المؤلف أن يتم دراسته بنظرة الغربيين والمستشرقين الى أديبنا ، فيحلّل ويوجز ما وقع منهم في بحوثهم عنه ، كما فعل حين عرض نظرة العرب الى آثاره ؛ وهو حين يفعل ذلك يرشد أبناءنا الى آفاق لا يبلغونها بغير مرشد : يعوج على بروكلمن وغيره من المعاصرين ممن أدرجوا قائمة بمخطوطاته التي لم تطبع ، وآثاره التي لم تنشر ، وذكروا دراسات نافعة فيه تثير همتنا الى بحث جدّي جديد ، لا يعتمد على نظرة العرب فحسب وإنما يتطلع الى نظرة العالم الغربي ، حين يحلّل عباقرته ويستوفي البحث في آثارهم . ولكن هذه الهنة الصغيرة لن تقلّل من أهمية الكتاب الذي وضعه المؤلف واستحق عليه الثناء والشكر .

شاعران معاصران

تأليف الدكتور عمر فرّوخ

بيروت ١٩٥٤ ، في ٢٦٠ صفحة

أما الشاعران فهما ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي ، عاش أولهما في فلسطين ، وعاش ثانيهما في تونس ، فهما يمثلان جناحي هذا العالم العربي مشرقه ومغربه ، تجمع بينهما صفات كثيرة جعلتْ منهما موضوع كتاب واحد . فقد قضيا في ريعان الشباب ، بعد أن حملا مرضاً خطيراً في جسميهما ، ثم لفظا أنفاسهما في مستشفى أجنبي ، غريبَيْن ، فذاعت شهرتهما بعد موتهما وتناولت شعرهما الصحف والاذاعات نشيداً وغناءً ودراسة .

ولد ابراهيم طوقان في صدر القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بنابلس ، من أسرة عريقة في فلسطين وتلقى دروسه الجامعية في الكلية الأمريكية ببيروت ، فلما تخرج منها عاد إليها مدرساً بعض الزمن فما أطاق التدريس فيها ، وتقلّب على غيرها من المدارس بنابلس ، واشتغل في الاذاعة الفلسطينية ، ثم أستاذاً في بغداد . وقضى في المستشفى الفرنسي بالقدس سنة ١٩٤١ ، متأثراً بقرحة في المعدة حملها خلال حياته القصيرة كعمر الورد ، كما قضى فوزي المعلوف وأبو القاسم الشابي ، من قبل . فلم يختلف عنهما ، وانما سلك مسلكهما ليخلف دوياً بعده وأسى لفقده يتساءل الناقد في حرقة أن لو مدّ الله في أجل الشاعر لكان من الأعلام النوابغ ، ولكنها سنة الله في الآجال والأعمار .

وقد عرض المؤلف الدكتور عمر فروخ حياة ابراهيم طوقان في تفصيل دقيق لأنه رافقه في الدراسة والحياة ، وتبادل وإياه الرسائل والكتب ، فبسط لنا من دقائق عيشه ما لا يعرفه إلاّ أقرباؤه المخلصون ، وسرد لنا من حوادث حياته

ما يغفله التاريخ لولاه ، فأثبت نصوصاً من هذه الرسائل دعم بها نقده ووصفه . وذكر من الصحف ما وقف عليه وتجمّع لديه ، فالمؤلف مارس الصحافة وأصدر مجلة «الأمالي» ، لذلك أكثر من الشواهد والدلائل ما يصلح أن يكون تأريخاً للأدب المعاصر في فلسطين ولبنان فوق أنه تأريخ مفصّل لحياة صديقه الشاعر ابراهيم طوقان . ولم يفت الناقد أن يورد مختارات من شعر الشاعر قبل أن ينشر على الناس ديوانه ، فتفرد بذلك وسبق إلى إثبات قصائد في روايات تختلف عما نرى في ديوانه المنشور اليوم ، وقدّم لها وعلّق عليها . وقد عرفنا صدق الوطنية عند شاعرنا ووقوفه للمستعمر الانكليزي في فلسطين وغير فلسطين ، وقرأنا له قصائد وطنية أصبحت اليوم أناشيد للمغرب والشام ولبنان تفيض بالجرأة والصراحة والقوة على أسلوب غربيّ من التفكير وبيان عربيّ في الصيغة والتعبير ، وذلك الى شعر في الغزل جميل رقيق ، وفي الوصف دقيق رشيق . فقد رسم مهنة التعليم التي مارسها بما لا يلحقه في الرسم لاحق ، فغلب عليه طابع السخرية والغمز يلفه بذكاء عبقري ، وسيكون له أثر بعيد في الأدب إذا ما تناول الدارسون ديوانه وأخباره بالتأليف والنقد والتحليل . ولا شك في أن أقوى مصادره يجدها الباحث فيما كتب عنه الدكتور فرّوخ في هذه الصفحات فهي ثمينة قيمة غالية لأنها مذكرات شخصية بين أديبين وزميلين ، نرجو أن ينشر أمثالها لتعيننا على دراسة العصر الحاضر وأدبائه .

وأما أبو القاسم الشابيّ فقد كتب فيه الدكتور فروخ صفحاته عما قرأ في الصحف ودرس في كتاب أبي القاسم محمد كرو عنه ، ولكنه جوّد في عرضها وتلخيص حياته الشقية البائسة . فقد ناضل هذا الشاعر كذلك ضد الفرنسيين وتحمل آلام المرض ومات رحمه الله في المستشفى الإيطالي بتونس عن عمر لا يتجاوز ستاً وعشرين سنة . وقد خلف لنا كذلك ديواناً لما يطبع الى اليوم ،

ولكن مختارات منه ظهرت في مجلة (أبولو) ، وجريدة « الامام » للسحرتي بمصر وفي غيرهما من الصحف . وهي تدل على إعجاب الشاعر بأدباء المهجر واتباعه خطواتهم وترسمه لمآسي كثير منهم ، فأغرق في التشاؤم والصوفية والرمز ، فكان صورة لكثير من هذا الشعر الذي نقرؤه في الأدب المهجري . ولكنه تغزل فبكى في أسى وحرقة حبّه اليائس البائس على طريقة الرومانتيكيين من الفرنسيين . ووصف الطبيعة فأبدع فيها ، ولكنه حلّق في قصائده الوطنية لأنه استجاب الى داعي النضال في قومه ، وراجت اليوم في عالمنا العربي لأنها تصف هذا الصراع الذي يحياه العرب ضد المستعمر . وربما كانت أناشيده في تونس نفسها أشد رواجاً وأمنع في التحليق لموقف أمته في كفاحها لهذه الأيام .

ولا شك في أن الشاعرين «طوقان» و «الشابي» يحملان في ديوانيهما صوراً لمستقبل الشعر العربي تحفز نحو الجديد وتحس بآلام الأمة ، وتصف ما يقع تحت بصرها ، فتسير نحو الإبداع والاختراع ، إلى أن يتاح للجيل المقبل من الشعراء في إكمال خطتها ومتابعة نضالها للوصول بالشعر العربي إلى ذروة الشعر العالمي ، ومجاراة الشعر المعاصر في الغرب لكثير من أغراضه .

وقد كشف هذا الكتاب عن كثير من نواحي هذين الشاعرين ورسم دقائق هامة من سيرتهما ، وأثبت مختارات جميلة من شعرهما ، مما ينفع في تأريخ الأدب الحديث ، فاستحق مؤلفه ثناءً وشكراً ليده وجهده .

الشعر العربي في المهجر

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

القاهرة ١٩٥٥ ، في ٢٩٥ صفحة

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نزح كثير من اللبنانيين والسوريين الى البلاد الأمريكية ، انتجاعاً للرزق ، أو هرباً من الظلم ، أو سعياً وراء آفاق جديدة في الحياة ؛ منها الشهرة والحرية ؛ فقد كانت أمريكا تغري بالهجرة ، وترحّب باللاجئ وتفتح أمامه دروب الكسب والحياة . فلما هبطها هؤلاء الشرقيون حملوا معهم في صدورهم صور البلاد التي نزحوا منها ولغة الأمة التي نبتوا فيها ، وحبّ الربوع والأماكن التي عرفت نشأتهم وصباهم . لذلك عاشت أخلاقهم القديمة وآدابهم المعروفة وحياتهم الموروثة في أقطارهم الجديدة سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .

وكان من ذلك أن تشكلت جاليات عربية في الدنيا الجديدة الى جانب الجاليات الأوروبية ، تتمسك بتقاليدها خلال جيل كامل ، وتنقل عاداتها إلى أبنائها وتورثهم ، جهد الطاقة ، ما ورثت من أغان وسير وآداب . فلما قامت بينهم الصحف والمجلات باللغة العربية راحت تنقل من أحوالهم وتصف ما يقع لهم ، وما يحلو لهم أن يعلموا من أنباء وأخبار ، وما كان شعراؤهم يصوغون من الأشعار .

وكان هذا الشعر عربياً لا يختلف عما كان ينشده إخوانهم وزملاؤهم في المشرق وخاصة في لبنان وسوريا من حيث المعنى والمبنى ، أول الأمر . ثم ما لبث بعضهم أن طرق موضوعات غربية بأسلوب عربيّ ، كأنه يحاول التجديد . ولكن هذا التجديد نفسه استقى فيما نرى من ينابيع لبنان وسحر الأندلس وصفاء الشام ، واختلف قوة وضعفاً وإشراقاً وعبوساً . وعجز آخر الأمر عن خلق أدب جديد يساير ركب الغرب أو ينافس الآداب الأجنبية للقرن العشرين .

وهكذا أخفقت كثير من هذه المحاولات التي بذلها أبناؤنا في المهجر لاحتلال الذرى وتسلّق جبال الوحي الجديد الغربيّ ، لأن الأجنحة ما تزال لينة ضعيفة لا تعين على النهوض بهذه الأعباء الجسام والتحليق في السماوات الغريبة ، ولأن الثقافة الأجنبية لم تتغلغل في صميم هاته القلوب العربية ولم تسر في دماء هؤلاء الشعراء ، فقد كانوا يطيلون الوقوف عند معاهدنا القديمة ومواضيعنا الجديدة ، وكانوا ينشدون الشعر ليتلى في منابرنا ويذاع في ندواتنا .

وهذا الأدب المهجريّ - إذا صحّ التعبير - جدير بالدراسة والنقد والتأريخ ، فهو يمثل الأدب المخضرم الذي أخذ من القديم كثيراً من مبانيه وأخذ من الجديد كثيراً من معانيه ، فلن يستطيع مؤرخ الأدب أن يجعله في القدماء خالصاً ، ولن يجعله في الغربيين خالصاً كذلك ، وانما هو أدب جديد يجب أن نكشف فيه عن حياة هؤلاء الأعلام وآثارهم وتأثرهم بالأجواء التي عاشوا فيها ، والأهداف التي يرمون اليها ، ويعلنون عنها في مجتمعاتهم ونواديهم وصحفهم .

ولم نقع على كتاب يشبع هذا البحث درساً وتحليلاً ، فيوازن بين الشعر الجديد في سوريا ولبنان وبينه في المهجر ، ذلك لأن الدواوين في المشرق لم تطبع طباعة عملية كاملة ، والشعراء فيه ما يزالون في تردد الخجل يطمحون الى ألوان جديدة يضيفونها إلى دواوينهم لعلها تمثلهم تمثيلاً صحيحاً .

أما في المهجر فقد طبعت هذه الدواوين طباعة مشرقة ملوّنة ، تتيح للناقد أن يختار منها وأن يتناولها بالدرس والبحث ، وهذه كانت مهمة هذا الكتاب الذي سطّره الشاعر الناقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن . فقد جمع « باقات من الشعر » على حد تعبيره ، لكل شاعر عربي من الأمريكتين ، وعرضها عرضاً في هذا الكتاب لتمثل كثيراً من الألوان التي طرقها شعراء المهجر ، وقدّم بين يدي كل باقة عطرة بما كان لصاحبها من نشأة وثقافة واطلاع ، في

سطور تتجاوز الصفحتين والثلاث أحياناً لترجمة كل شاعر منهم . فهي أقرب الى التعريف بهؤلاء الشعراء والتنويه باسمهم .

وقدّم بين يدي ذلك كلّه بدراسة نقدية تقارب المئة من الصفحات ، عرض فيها لتأثر هؤلاء الشعراء بالمعاني الغربية والعربية وبسط ما للدين والتصوف والضحك والبكاء من صور في شعرهم وأثر في تفكيرهم . ثم تناول الأوزان والأساليب وتساءل عن الحياة المادية في أمريكا ونفوذها إلى شعرهم ، وانتهى إلى رغبة كثير منهم في التفلت من القيود والتسامح في اللغة ، « وارتكاب الضرورات التي لا يلجأ اليها الشعراء المحافظون إلاّ كارهين » .

وقد يخرج القارئ من هذه المقدمة البارعة الى صورة تشبه صورة الشعر اللبناني والسوري في المشرق في جملتها . فكأن هؤلاء الشعراء لم يفارقوا ذرى لبنان ووديان الشام ، ولم يبرحوا الوطن ولم يستظلوا بناطحات السحاب ، وفي ذلك فضل لا ينتقصه منصف : هو أنهم حافظوا على لغة الأجداد ونظموا في قوافيهم وأوزانهم ، وعكفوا على صورهم وتشبيهاتهم ، لأنهم عاشوا مع الكتب القديمة والدواوين في بيوتهم ، وعكفوا على التجارة وكسب الرزق في ميادين الحياة الأمريكية . فلم يخلصوا من شعر المناسبات في رثاء ومديح ووصف ، ولم يخرجوا عن تقاليد المشرق في تحية الزعماء وتأبين المخلصين والقادة ، فاشتركوا في حياة الأمة العربية على ما بين الوطن والمهجر من فرق في المسافة والمكان والأغراض .

ولذلك كان من فضل الناقد المؤلف أنه أرّخ لهذا الجناح من الشعر العربي المعاصر قبل أن يكتب ناقد في الجناح الشرقي ؛ فأفاض في الاعجاب بلغتهم وأسلوبهم ومعانيهم وقد خالف في ذلك رأي الشاعر عزيز أباظة شريكه في تقديم هذا الكتاب . ومن العجيب أن يشترك شاعران في بحث منشور وأن يختلفا الى أبعد حدود الاختلاف ، فقد رأى الشاعر أباظة ان « شعراء المهجر لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود اليها اخوانهم في لبنان ، وأن

الأدب المهجري لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم ، بحيث يفرد له أثر بعيد المدى في تطور الأدب العربي المعاصر » .

والشاعر أباظة يجد أن الشعر المهجري كالشعر الأمريكي بالنسبة إلى موطنه الأول ، فان الأدب الأمريكي لم يبلغ بعد مرحلة التألق وان كان في طريقه اليها .

وبعد ، فلا شك في أن هذا الكتاب خطوة جريئة في رسم مختارات لهؤلاء الشعراء تتصدرها سطور في تعريفهم وتتقدمها صفحات في وصف أدبهم ، نرجو أن تتبعها خطوات عملية في تأريخ هؤلاء الأدباء وبسط مراحل عيشهم ، والموازنة بينهم في الشمال والجنوب ، والبحث عن أثر ثقافتهم ونشأتهم في أدبهم ، وتطوّر هذا الشعر في مراحل حياتهم ، فليس من الخير أن نعيش معاصرين من غير أن نسجّل الرأي ونسطّر النقد ، فنظلم الجيل وأدباءه . وعلينا أن نتأثر القدماء فنعقد الموازنة والوساطة والمفاضلة لشعراء عصرنا قبل أن يعفى النسيان وتخون الذاكرة وتضيع النصوص . ولهذا يستحق الأستاذ المؤلف محمد عبد الغني حسن كل شكر وثناء .

الموشّحات الأندلسية

تأليف الدكتور فؤاد رجائي

حلب ١٩٥٥ ، في ١٣٦ + ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

قبل أن يحتضر القرن الأول للهجرة ، أقدم العرب على فتح الأندلس ، وتمّ لهم بذلك ملك ربوع كثيرة من آسيا وافريقيا وبعض أوربا . فتوسعت رقعة الحكم ، وشاع الغنى وكثر الترف ، وانصرف الأدباء إلى النشيد والغناء ، يرسلون قصائدهم في بحور كثيرة من الشعر . فلما ضاقت بهم هذه البحور اخترعوا

«الموشح» متأثرين بالموسيقا والغناء ، كأنهم عرفوا مفتاح الاختراع في العروض فقلّدوا الخليل وساروا على خطاه وجدّدوا فأضافوا إلى الأوزان المتداولة شعراً لا يحدّه وزن واحد أو عروض واحدة ، فهو واسع كالبحر نفسه يخوض فيه القائلون بحرية واسعة معتمدين على اللّحن والآلات . وهذا الفنّ الجديد نما في الأندلس وترعرع في غيطانه ورياضه وقرب جداوله ، فكان له رواج كبير سجّل في أدبنا صفحات لامعة جديرة بالدراسة والنقد والتأريخ . وقد انصرف القدماء اليه فألف ابن سناء الملك «دار الطراز» وكتب الصفي الحلّي كتاباً في فنونه ، وأنشأ غيرهما في التعريف به وتأريخه ، حتى كان العصر الحاضر فالتفت المستشرقون إلى دراسته وفيهم «هارتمان» وغيره ، وكان من الخير أن يكتب الدارسون عندنا في الإشارة اليه ، والبحث فيه ، والتعرّض لموسيقاه .

ومن خير الكتب المتأخرة التي صدرت في بابه هذا الكتاب ، ألفه طبيب وقف درسه على الجراحة ، وانتقل منها إلى الأنغام ، فعشق الموشح وأخذ به ، وأراد أن يعود مع الماضي الى نشأته وتطوره فكان منه هذا التأليف الطريف . جعل فصوله الأولى للتاريخ العربي في الأندلس ، فبسط الفتح والحكم والدول ، وعرض للأمويين ثم العباسيين ليرسم ملوك الطوائف في تفصيل يكاد يستنفد ما في تواريخنا المطبوعة في الشرق ، وذلك ليبلغ إلى الحديث عن الشعر في هذه الربوع ، فقد نقل عن القزويني قوله : «قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب ، ولو مررت بفلاح خلف فدانه ، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وفي أي معنى طلبته منه» . وضرب الأمثلة لهذا الشعر في العهود كلّها حتى سقطت غرناطة في يد الاسبان سنة ٨٩٧ هـ ، في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

وانتهى إلى أن «زرياب» وفد على الأندلس قادماً من العراق ليحمل إلى إخوانه في الفردوس الجديد مواهبه وعبقريته في الموسيقا ، فأضاف الى ما عندهم

قاعدة جديدة في الغناء ووضع القواعد في تعليمه فكأنه أنشأ أول معهد موسيقي في هذه البلاد ، ثم بيّن فضل الرجل على اختراع الموشح في الأندلس .

وعقد المؤلف فصولاً في الإيقاع واللحن والغناء ، وفصّل الأمر فيها حتى استوفى ما يريد من براهينه الموسيقية وأوزانه الغنائية ، لينتهي إلى تقطيعه وأقفاله وأغصانه وما يوافق ذلك من الألحان في أمثلة شعرية جميلة موفقة ، فاستغرق بذلك القسم الأول من كتابه في ١٣٦ صفحة .

وقد جعل القسم الثاني لإثبات نصوص الموشحات مع رسم ألحانها بالعلامات الموسيقية الغربية (النوتة) تقريباً لها من أذهان الغربيين والمستشرقين الذين يريدون أن يطلعوا على موسيقانا العربية وشعرنا القديم الذي كان يغنّى ، وفن الموشح ، ليؤمنوا أن العرب شاركوا في بناء الموسيقا العالمية ، وهدفوا الى رفعتها خلال حضارتهم ونهضتهم . وهذا الرسم الموسيقي دوّنه السيد نديم علي الدرويش ، فخدم بذلك الموشح في ميدانه الموسيقي وعمل مع زميله على نجاح الكتاب .

ولذلك نرجو لهذا المؤلف رواجاً عند أبنائنا ، يتطلّعون فيه الى اختراع الأجداد في الموشح وبراعتهم في فنونه ، ويقرءون هذا الشعر المختار الرقيق ، وينظرون الى الألحان والموسيقا نظرتهم الى تراث قديم يجب أن نعمل على رعايته وحفظه وبعثه والاعتزاز به ، وشكر من يقوم بالكتابة فيه . وفّق الله المؤلف الدكتور رجائي إلى ما فيه رفعة الموسيقا العربية ، وجزاه خيراً على ما بذل من مال وجهد .

الشيخ نجيب الحداد

تأليف الأستاذ عادل الغضبان

دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣ – صفحاته ١١٠

راجت في السنين الأخيرة طريقة جديدة في الترجمه لأعلامنا لم تكن من قبل . فقد قام في الشام ولبنان مؤلفون يكتبون في القدماء والمحدثين سِيَر الأدباء والفلاسفة والمؤرخين على نمط من التحقيق العلمي يستثير الإعجاب . فيه وصف للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي عاش فيها هؤلاء الأعلام ، وفيه بسط لدقائق هذه الحياة ، واعتماد على نصوص قديمة وحديثة تتكئ على الاستقراء والاستنباط كما يفعل الغربيون سواء بسواء . من ذلك ما ألف الأستاذ خليل مردم بك في الفرزدق وجرير وغيرهما ، وما ألف المرحوم الجندي في ابن المقفع وامرئ القيس ، وما كتب الأستاذ فؤاد البستاني في سلسلة الروائع . وقد أرادت دار المعارف في مصر أن تقوم بنصيبها في ترجمة الأعلام والتأليف في سيرة حياتهم ، فكان منها مجموعة صالحة ، فيها هذا الكتاب .

رسم فيه مؤلفه الأستاذ عادل الغضبان الحركة السياسية للنصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان وسوريا ، فوصف الحال التي كانت تسيطر على هذه الربوع ، وعرض للنفوذ الأجنبي فيها وما كانت تقاسيه الأمة العربية من احتلال وانحلال وضنك وبؤس وضيق . فقد تعاور عليها ظلم الأتراك والانكليز والفرنسيين ، وفت في عضدها فتن وقلاقل وثورات ومذابح ، اضطرت كثيراً من المفكرين إلى أن ينزحوا إلى مصر ، ففيها معان جديدة من حرية وحقوق ونظم للحكم جاءت عن سبيل اتصالها بالغرب ، فجرت فيها الأقلام وسالت فيها القصائد وراجت فيها الصحف ، وقامت مسارح التمثيل ، وانتشرت الترجمة ، فظفرت المكتبة العربية بنفائس من كتب الغرب ، واتسعت آفاق المعرفة في

القطر المصري ، وتوفرت المطبعة على إخراج كثير من الكتب نفعت المتعلمين وزادت في عدد المثقفين ، فكان نشاط كبير يبشر بخير للغة العربية وأبنائها .

وكان في جملة الوافدين إلى أرض الكنانة أسرة الحداد ، فدخل الصبي نجيب الحداد مدرسة الفرير بالاسكندرية ، وعاد مع أهله الى لبنان حين اندلعت الثورة العرابية فأكمل علومه ببيروت ، ثم عين أستاذاً للعربية والفرنسية في بعلبك ، ولكنه بعد عام واحد أجاب دعوة صاحب « الاهرام » بالاسكندرية ، فهجر الى مصر ، يكتب في الجريدة ويترجم زهاء تسع سنوات ، ينشئ بعدها جريدة « لسان العرب » مع أخيه وصديق له . وينصرف إلى الكتابة في الصحف والمجلات والتأليف والترجمة ونظم الشعر ، في جد وكفاح ليعيش مما يدره عليه قلمه إلى أن أنهكه العمل ، فدب الى صدره الداء حتى غلب العلم ؛ وطغا عليه فأسلم صاحبه الى الموت (في شهر شباط سنة ١٨٩٩) ، وهو في ربيع العمر لم يتجاوز الثانية والثلاثين من سنه . صرفها في الدرس والتحصيل والتأليف والترجمة ، رفيقاً للمحابر والأوراق ؛ يصحبها نهاره وأكثر ليله ، ليخلف في الأدب الحديث صفحات تنطق بنبوغه ومواهبه ، وتخلده في ركب النوابغ ، وتحله من أسرته محل الوارث الأمين ، فقد كان أبوه شاعراً للأمير بشير الكبير ، وأمه من بيت اليازجي ابنة الشيخ ناصيف . فأخذ عن هذين البيتين فضيلة الكتابة ونعمة الفهم ، وتأثر خطواتهما ، كما فعل النوابغ من شعرائنا القدماء يروون لغيرهم ثم يروي عنهم الشعراء والأدباء .

كذلك كان نجيب الحداد ، إذ خلّف ديواناً من الشعر هو « تذكار الصبا » وقصصاً وروايات تمثيلية تبلغ الثلاثين عدداً في عدد السنين التي عاش ، فكأنه بعد العشرين جعل لكل سنة ثلاثة من الكتب عدا ما كان منه من مقالات ومقطعات . ويبدو أن النثر والشعر اجتمعا في نصرة عبقريته فجعلاه في الكتّاب والشعراء المرموقين لعصره وبعد عصره ، فهو مشرق الديباجة في نثره وتأليفه

يترجم كما ينشئ ويكتب كما ينظم في سليقة وإبداع وفطرة وبديهة ، ويتناول مواضيع شتى من سياسة واجتماع وتمثيل ، فيشارك المصريين الوطنيين في عاطفتهم ضد المحتل ، وينهض بعبء الكاتب الاجتماعي الذي يصوّر المفاسد ويقترح السبل الرشيدة لحياة حميدة سعيدة .

وأظهر ما في آثاره ديوانه ، فقد كان فيه مجدداً ، يجمع بين الفكرة الطريفة والأسلوب المتين ، فينشد شعره في خلجات النفس ونجوى الفؤاد . فيؤدي ما لقلبه عليه من دين وما لشعوره عنده من هزة ، ويروي غليل المثقف الطموح فينشئ في المسرحية شعراً نراه من أوائل الأعلام الذين اشتهروا في أدبنا الحديث .

وينتهي المطاف بالشاعر عادل الغضبان وهو يتحدث عن الشاعر الكاتب نجيب الحداد بعد أن يستوفي الكلام في أربعين صفحة ، ليختار من آثاره ويعرض من نتاجه ، في ذوق لطيف وعرض جميل ، يحلّيه بالتعليق ، والتفسير ، والشرح ، والموازنة ، والتقديم ، فيبلغ بستين صفحة ما رسمه لكتابه . ويخرج القارئ من هذه الصفحات وهو على وقوف تام من حياة العصر والرجل وآثاره ؛ لا تفوته غاية ولا ينغّص عليه تقصير ، فقد كتبت في أسلوب الأديب المحقق ، ورشاقة الشاعر الأريب ، وبلاغة الناقد المتعمق ، وإحاطة المؤرخ الأمين ، لذلك نشكر له يده في التأليف وبراعته في الترجمة ونستزيده في العمل لهؤلاء الأعلام ، جزاه الله عن العربية كل الخير .

الدكتور سامي الدهان

تاريخ مصر ١٣٨٢ ـ ١٤٦٩

القسم الثاني ١٣٩٩ — ١٤١١

ترجمه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي
الأستاذ وليم بوبر William Popper
مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

بين يدينا القسم الثاني من تاريخ مصر الذي ترجمه الى الانكليزية الأستاذ وليم بوبر وينضمن حوادث ١٣٩٩ الى ١٤١١ في حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي المعروفة باسم «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» . وكنا أتينا في (ص ١٥٠ حزء ١ مجلد ٣٠) على ذكر القسم الأول من الفترة التي يقوم الأستاذ بوبر بنقلها الى الانكليزية وتبدأ في ١٣٨٢ أي بحكم السلطان برقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة . وقد نشرت جامعة كاليفورنيا هذا القسم الثاني كما نشرت القسم الأول في سلسلة منشوراتها في الفيلولوجيا السامية .

يشتمل كتاب النجوم الزاهرة على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عام ١٤٦٩ وهي السنة التي سبقت موت المؤلف . غير أن المترجم الأميركي اقتصر على نقل القسم الأخير من هذا التاريخ الى الانكليزية وهو القسم الذي شهد المؤلف معظم حوادثه بنفسه وقد أراد المترجم أن يقدم الى قراء الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . ويتناول هذا القسم الثاني الذي بين يدينا حكم الملك الناصر فرج (١٣٩٩ — ١٤١١) وينتهي بمقتله ومن الحوادث التي يرويها بالتفصيل دخول تيمورلنك الى حلب ودمشق والفظائع التي رافقت دخول الفاتح المغولي .

وقد أخذ المترجم المواد التي ترجمها عن المجلد السادس للنجوم الزاهرة ولكنه لم يذكر الطبعة العربية التي أخذ عنها وربما كانت طبعة جامعة كاليفورنيا .

ووضع المترجم أرقام صفحات الأصل المصري في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالسنين والشهور الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيها الحوادث واسم السلطان الحاكم . وهوامش الترجمة خالية من الايضاحات والتفاسير المتعلقة بالمصطلحات الواردة في النص ، وفيما سوى ذلك فان الترجمة دقيقة مضبوطة والطباعة متقنة . ولعل المترجم ترك الفهارس اللازمة بأسماء الأعلام والمواضيع والأماكن للجزء الأخير لأن الجزئين الأولين ليس فيهما فهارس .

جورج عداد

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني

الناشر : هلموت ريتر

طبع في استنبول بمطبعة الحكومة ١٩٥٤

ان كل مشتغل بعلوم البلاغة لينقبل هذه النشرة الكثيرة الفوائد بقبول حسن لما فيها من التصحيح والتصويب ، وقد أشار في خاتمة مقدمته الانكليزية الى نشرة المنار المصرية الأولى والثانية لأسرار البلاغة ، وذكر المخطوطة الطرابلسية التي اعتمد عليها صاحب المنار ، وما قام به الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وصاحب المنار والشنقيطي من تصحيح هذه المخطوطة وتقويم عباراتها ، بعد معارضتها بنسخة أخرى من الأسرار وجدت في احدى دور الكتب الاستنبولية ، ولم يعيّن صاحب المنار هذه النسخة ؛ وأما الناشر الفاضل ريتر فقد اعتمد في نشر أسرار البلاغة على مخطوطات أربع ، أقدمها مخطوطة خسرو باشا التي رمز اليها بحرف H ، وقد كتبت في جبل الصالحية بدمشق سنة ٦٦٠ للهجرة ، واتخذها أصلاً لهذه النشرة الحديثة ، وما بها من نقص أكمله من المخطوطات الثلاث المنقولة عن هذه النسخة الوالدة .

والمخطوطات الثلاث الأخرى هن : مخطوطة فيض الله المنسوخة سنة ٩٤٧ هجرية، وقد رمز لها بحرف F ، والثانية المخطوطة الحميدية ، وقد رمز لها بحرف D ، وهي مجموعة كتب ثلاثة أحدها أسرار البلاغة المكتوبة سنة ٩٤٢ هجرية ، والثالثة مخطوطة مراد ملا المرموز لها بحرف L ، وقد كتبت ما بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة ، وقد أشار الناشر الى هذه المخطوطات بحروفها الرمزية والى عباراتها المختلفة بدقة بالغة . وان لم يبين أحياناً لنا العبارة الصحيحة التي هي أشبه بأسلوب الجرجاني ، وأوضح لمعناه ؛ وكثيراً ما يجد الإنسان عبارة المنار التي صححها الأستاذ الإمام موافقة للنسخة الخسروية الأصلية ، أو هي أقوم قيلا .

وأما شواهد الاسرار فقد أرجعها الى دواوينها وقائليها ، وذكر أسباب قولها مع ترجمة وجيزة لكل شاعر وتاريخ وفاته ، وان لم يوجد البيت الشاهد في الديوان نبه على ذلك ، وبدلك على ما لقيه الناشر من جهد ونصب في تحقيق الاسرار ذكره للشاهد في مظانه العلمية والأدبية مع بيان الصفحات ، وقد يبلغ عدد هذه المظان نحو الثلاثين ، مما يدل على أن الناشر كعادة المستشرقين قد احتشد لهذه النشرة بذكر اختلاف النسخ الأربع ، وبترقيم الشواهد الشعرية لإحصائها ، وترقيم سطور النص في كل صفحة بوضع رقم لكل ثلاثة أسطر ليسهل الرجوع الى عبارات النسخ الأربع المعتمدة ، مع العناية بالفهارس الدراسية التي تيسر الدرس والمراجعة ، منها جدول للتصويبات والاستدراكات ، وفهرس للشعراء مع صفحات شواهدهم ، وفهرس للأشخاص الذين مر ذكرهم ، وفهرس لصدور الأبيات وآخر لقوافيها مما يوقع الباحث على ما ينشده ، وفهرس للآيات وآخر للأحاديث والأمثال والحكم وأقوال الناس ، وفهرس لأسماء الكتب المذكورة في الحواشي .

ومما نستدركه على جدول استدراكاته تصحيحه لضبط بيت المرقش الأكبر :

النشر مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكف عنمٌ

فهو في الكتاب هكذا صحيح الضبط الشعريّ ، لا النحويّ ، لأن (دنانير) ممنوعة من الصرف ، وقد رأى الناشر أن البيت مخالف لقواعد النحو فحذف التنوين من دنانير ، وهي مصروفة لوزن الشعر ، والرواية على صرفها .

وذكرنا أن المستشرقين يهتمون الاهتمام كله بجمع النسخ المختلفة ـ كما كان دأب سلفنا العربي الصالح ـ وبذكر اختلاف عبارات هذه النسخ المعتمدة ، وجلّهم لا يهتم بترجيح العبارة القويمة التي تلائم المعنى العلمي الصحيح ، ونظلم الناشر إن اطلقنا عليه هذا القول ، إلاّ انه مما سها عن ترجيحه لتصحيح المتن وتوضيحه ما جاء في الصفحة الثامنة نذكره على سبيل المثال : « فقد تبين لك ان ما يعطي التجنيسَ من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن » هذا هو نص النسخة الخسروية بتقديم (إلا) على (مستحسن) ، وفي النشرة المنارية هكذا : « ... لما وجد فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن » وعليه المعنى الصحيح .

وهذه النشرة أصح بجملتها متناً من النشرة المنارية ، وأذكر لك على سبيل المثال ما جاء في النشرتين نشرة المنار وهذه النشرة من القول بعد بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمـه حيٌّ ابوه يقاربه

ففي نشرة المنار : « فانظر أيتصوّر أن يكون ذلك للفظ من حيث أنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادفت وحشياً غريباً أو سوقياً ضعيفاً ، أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر ... » وعبارة الخسروية في هذه النشرة : « ... أيتصوّر أن يكون ذمُك للفظ ... » وهو أجلى وأعلى ، وقد يكون من غموض التعبير بحثك عن مرجع المشار اليه والضمير .

ومن السهو في شكل المتن قوله في الصفحة ١٨ والسطر الثامن : « انصرفتَ عن ظنك الأول ، وزِلتَ عن الذي سبق من التخيّل » والصواب (وزُلتَ) بضم الزاي لأنها بمعنى تحوّلت ؛ وكنا نتمنى لو أن الناشر عني بنقط الياءات

للتفريق بين (علي) العلم و (على) حرف الجر فيضع نقطتين تحت الياء المسبوقة بكسرة ، والمفتوح ما قبلها يجرّد من النقط ، كما ينقط الياء المسبوقة بسكون ، ولكنه جرّد الياءات كلها من النقط مثاله (٢١/١٢) : « وكأنها الديباج الخسروانى فى مرامى الأبصار ، ووشى اليمن منشوراً على أذرع التجار » .

هذا ولا يزال كثير من عبارات المتن التي قوّمها التصحيح بمعارضة النسخ بالخسروية في حاجة الى شرح ينير لطلاّب الآداب ما غمض عليهم من معاني الكتاب ، وذلك لا يمنعنا من الثناء الأطيب على هذا المستشرق المولع بنشر آثار أجدادنا ، وقد عرفناه بآثاره الممتعة ، وبيض أياديه على الأدب العربي ، وله بهذا الكتاب الذي بذل جُهاداه في نشره الحسن فضل مذكور وسعي مشكور .

التوخي

محاضرات في اقتصاديات سورية

للدكتور أحمد السمان

نشر معهد الدراسات العربية العالية ، الملحق بجامعة الدول العربية محاضرات في « اقتصاديات سورية » ألقاها الدكتور أحمد السمان مدير معهد الحقوق ، وأستاذ علم الاقتصاد ورئيس الجامعة السورية بالوكالة ، على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية العالية في الجامعة العربية ، بحث فيها عن الحياة الزراعية والصناعية ، والتجارية ، والنقدية فى سورية ، والتعاون الاقتصادي العربي .

وقد خص الزراعة السورية ببحث عن الأراضي السورية والأراضي المستثمرة منها ، وتربتها ونسبة أمطارها ، وكمية مياه أنهارها ، وطريقة الاستثمار ، والملكية المشاعة ، وعدد سكانها ، وبين أعمال الحكومة في مساعدة الزراعة من الوجهة المالية ، وتوسيع شبكة الري ، ومقدار الإنتاج الزراعي من الحبوب والبقول

والقطن والتبغ والشمندر والزيتون والخضر والفاكهة ، وذلك من المصادر الحكومية ، وقد أجاد في بحث ذلك .

وبحث عن الصناعة السورية الفتية ، واستعرض بإيجاز في الألفاظ ، وكثير من المعاني ضرر الانتداب الماضي على البلاد ، وفوائد الاستقلال الوطني ، وعن إعفاء الآلات الصناعية المستوردة ، وخواص الأراضي السورية ، وإمكانية وجود البترول ، وضرورة زيادة القوة الكهربائية ، وقلة رؤوس الأموال التي سببت ارتفاع فوائد الديون ، وغلاء أسعار الوقود وبين أنواع الصناعة الرئيسية في البلاد كالمطاحن والقونسروة والزيوت والسكر والتبغ والاسمنت والزجاج ، والغزل والنسيج وصناعات صغيرة أخرى ، وإنتاج كل منها ، وقد شكا من ضيق الأسواق ، وارتفاع أسعار الانتاج ، الأمر الذي حال دون مزاحمته الانتاج الأجنبي ، ودون تصديره كما ينبغي ، وقد كان موفقاً في هذا البحث الدقيق ، ولعل الحكومة تزيد في اهتمامها ، بفتح أسواق جديدة للصناعة السورية .

ولما بحث عن التجارة السورية ، ذكر المصاعب التي أوجدها الانتداب ، وأن الانتداب كان همه بسط السلطان السياسي ، والاحتفاظ بالبلاد للانتاج الفرنسي ، ثم بين المقادير المصدرة والمستوردة ، وان الجمارك كانت للحصول على الأموال ، لإملاء صندوق المفوضية الفرنسية ، على أن الحكومة السورية عندما استقلت صارت تعقد الاتفاقات التجارية ، وخاصة الاتفاقات التي عقدتها مع البلاد العربية ، وأنها أحيت مرفأ اللاذقية ، وأصدرت المرسوم رقم ١٥١ الذي عود التاجر السوري على الاتصال المباشر مع الأسواق الخارجية .

ثم أفرد بحثاً عن العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان ، واستعرضها منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى انتهائه ، ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، وأوجز الاتفاقات التي جرت بين الطرفين ، وهو يحبذ قيام اتحاد اقتصادي بينهما يلائم

مصالح البلدين ، وهذا ولا ريب خير للطرفين ، إنما تنفيذه يحتاج الى وقت تتقارب فيه القلوب ، ويقتنع كل من الفريقين بفائدة ذلك الاتحاد .

ثم بحث عن النقد السوري من أول الاحتلال الفرنسي ، حتى انتهائه ، وكيف وضعت فرنسا يدها على القطع الأجنبي الذي كان الحلفاء أعطوه الى مكتب القطع ، لأخذ ورق نقدي سوري بدلاً منه لصرفه في البلاد ، وكيف أن فرنسا أوعزت الى مصرف سورية ولبنان سنة ١٩٤٨ فأعلن أن الليرة السورية قد فقدت قوتها الابرائية في لبنان ، وأن الحكومة السورية قامت بما يجب عليها لجعل النقد السوري قوياً ، وصالحاً لإقامة نظام اقتصادي . وهذا هو واقع الحال .

وأنهى الدكتور السمان محاضراته بالبحث عن الوحدة الاقتصادية العربية ، واستعرض المباحثات التي جرت بين الحكومات العربية ، ثم قال بضرورة الوحدة الاقتصادية العربية ، لرفع مستوى العرب الاقتصادي والسياسي ، وإني أعتقد أن البلاد العربية تحتاج الى استقرار وهذا لا يكون إلا بالوحدة الاقتصادية والسياسية معاً .

الحق إن الدكتور السمان كان موفقاً في محاضراته هذه ، وقد كانت مادتها جزيلة وإن الحلول التي قال بها هي الحلول المعقولة ، ورجاؤنا أن تعيرها الحكومات العربية أذنا صاغية ، لأن البلاد العربية في أشد الحاجة الى إصلاحات جمة ، وأولها الإصلاح الاقتصادي ، ضمن الوحدة الاقتصادية العربية ، وحتى السياسية ، إذ يكفينا هذا الفقر ، وهذا التباعد في أمة واحدة ، بينما نجد الشعوب الأجنبية المتعادية بالأمس ، قد أصبحت اليوم تتكتل اقتصادياً وسياسياً .

منير الشريف

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأول سنه ١٩٥٥ برياسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين . وقد صدرت ستة مراسيم بإقرار انتخابهم وتعيينهم . وهذه أسماؤهم وأسماء أقطارهم مع تاريخ مراسيمهم وتعيين أرقامها :

الاسم	القطر	تاريخ المرسوم	رقمه
الأستاذ عبد الله كنون	مراكش	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٠
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	الهند	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤١
الأستاذ س . ديدرنغ	السويد	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٢
الدكتور بيارد دودج	الولايات المتحدة الأميركية	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٣
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	تونس	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٤
الأستاذ علال الفاسي	مراكش	٢٩ شباط سنة ١٩٥٦	١٠٤٥

وفاة الشيخ سعيد العرفي

(١٨٩٦ ـ ١٩٥٦)

فقد المجمع العلمي العربي عزيزاً من أعضائه المراسلين هو الشيخ سعيد العرفي مفتي الفرات .

ولد الفقيد في مدينة دير الزور سنة ١٨٩٦ وطلب العلم بها وبعد الانتهاء من الدراسة الرشدية سنة ١٩٠٩ دخل المدرسة العلمية وأخذ الإجازة بالعلوم النقلية والعقلية سنة ١٩١٦ من رئيس المدرسين بها الشيخ حسين الأزهري مفتي الفرات السابق .

وحضر على مشايخ من أنحاء شتى وأخذ إجازتهم منهم الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق وشيخ الشافعية في مصر والشيخ محمد النجدي من هيئة كبار العلماء في الأزهر . وكان مع ثقافته العربية يعرف اللغة التركية .

عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في دير الزور سنة ١٩١٨ ومحامياً للخزينة سنة ١٩٢١ والمدرس الأول وفي سنة ١٩٣٣ عين رئيس لجنة أوقاف الفرات والجزيرة . وفي سنة ١٩٣٦ انتخب نائباً عن دير الزور في المجلس النيابي . وفي سنة ١٩٣٩ انتخب مفتياً لمحافظة الفرات . وفي سنة ١٩٤٢ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي . كما انتخب رئيساً لمجلس الأوقاف الأعلى في إحدى دوراته سنة ١٩٥٠ .

وله عدة مؤلفات منها سيرة خالد بن الوليد ، واللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية . ومما لم يطبع من مؤلفاته تفسير القرآن ، ورسالة في الدفاع عن الفلاسفة وغيرها . وتوفي في ٢١ آذار سنة ١٩٥٦ .

عُرف الفقيد بالعلم والإخلاص والجرأة . ومواقفه الوطنية وما لقي في سبيلها من الاضطهاد في أيام الانتداب معروف .

رحمه الله رحمة واسعة .

رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين

في العدد السابق من هـذه المجلة الشطر الثاني من تعليقات واستدراكات الدكتور عبد الوهاب عزام على شرح لزوم ما لا يلزم الذي ألفه الدكتور طه حسين والأستاذ ابراهيم الأبياري وقد جاء في العدد المذكور ص ١٤٨ ما يلي :

اللزومية السادسة والخمسون

أقروا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيٌّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حل مباح رويدكم فقد بطل العتابُ

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها . والوطء النكاح ، ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ » .

ويعلق على ذلك الدكتور عزام بما يلي :

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه ، ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

هذا ما علقه الدكتور عبد الوهاب عزام .

* * *

وقد تراءى لي معنى غير ما تقدم أحببت عرضه على القراء :

فالشطر الأول من اللزومية (أقروا بالإله وأثبتوه) . فالذين يثبتون الإله ويقرون به يبعد جداً أن لا يقروا بالأنبياء والكتب المنزلة ، ولذلك أرى أن يقدر الخبر في الشطر الثاني هكذا : (وقالوا لا نبيٌّ) بعد نبينا (ولا كتابٌ)

مع قرآننا أو نحو ذلك . والمعري يريد بذلك التعريض بجماعة من الفقهاء يقرون بالإله ويقولون لا نبيّ بعد نبينا ولا كتاب مع قرآننا ثم يأتون بعد ذلك بما يخالف قولهم وعقيدتهم فيقعون في التناقض ويجحدون بما آمنوا به ، ولذلك يقول في آخر اللزومية (رويدكم فقد بطل العتاب) فلا كلام مع هذه الجماعة .

أما حل وطء البنت فالقرآن الكريم يقول (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم) إلى آخر الآية .

ولكن بعض الفقهاء بحثوا في البنت التي تولد من سفاح هل هي بنت شرعية أم لا ؟ فقد نفوا ذلك وجعلوها غريبة عن أبيها ، وبنوا على ذلك جواز نكاح الأب لها وتزوجه بها ، وقد أثار ذلك نقداً لاذعاً من الفقهاء الآخرين ممن لا يقولون بهذا القول .

والمعري كان من هؤلاء الناقدين في هذه اللزومية . ولكنه سلك مسلك الابهام في نقده خوفاً من قيام الفقهاء عليه .

وقد أشار لهذا النقد الزمخشري في قصيدته التي يقول فيها :

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلمُ
فإن حنفياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرمُ
وإن مالكياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب، وهم همُ
وإن شافعياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرمُ

الى أن يقول :

تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلم

وبعد فإني أرى أن المعري المتوفى سنة (٤٤٩) يشير في هذه اللزومية الى هذه المسألة الفقهية التي كانت مثار بحث ونقد حتى زمن الزمخشري الذي كانت ولادته بعد وفاة المعري بثماني عشرة سنة .

محمد أحمد رضوان

ترجح - وتأرجح

إننا من زمان ، نسير مع العلامة الأستاذ المغربي نتابع الفصول التي يكتبها في تصويب ألفاظ فشا خطأ استعمالها في منشورات بعض المنشئين والكاتبين . وقد رأينا ، وما نزال نرى في تلك الفصول دروساً كبيرة الفائدة لكل من يتصدّى للكلام وللكتابة ، ويتوخى معرفة الأصول اللغوية وحقائق أحوالها . وقد طالعنا كلمته المنشورة في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في ا تموز سنة ١٩٥٥ ، ونرى أن تكون لنا مع الأستاذ وقفة يسيرة حول إحدى التصويبات .

أخذ - حفظه الله - على نشرة مصرية استعمالها « التأخلق » في قولها : « الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية . » ورأى في تصويبها أن يقال « التخلّق » ثم استطرد فقال : وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم : تأرجح الأمر بين كذا وكذا . ورأى في تصويبه أن يقال : ترجح .

هنا نود أن نقف مع الأستاذ ، وأن ندلي برأينا في ناحية من نواحي هذا الفعل .

إن مادة الكلمة « رجح » . ثم أدخلت عليها الهمزة والتاء ، فالفعل ثلاثي مزيد بحرفين ملحق بالرباعي المزيد بحرف .

والإلحاق باب جائز وقد نص عليه ، بأن يزاد على أصول بناء حرف أو حرفان ليصير البناء على مثال كلمة أخرى في أنواع تصريفها . مثل تجلبب مادتها « ج ل ب » ، ثم زيدت باء ثانية في آخرها وتاء في أولها لتصير على مثال تدحرج في تصاريفها .

على أن بالمعاجم من هذه المادة ، « مرجوحة وأرجوحة » ، فما المانع أن

يصاغ من هذين الاسمين فعلان على وزن تفعلل ، فنقول : تمرجح وتأرجح ؟

ان الصوغ من الأسماء الجامدة وارد ، فقد قالوا : تمسكن ، وتمندل ، وتمدرع ، من المسكين والمنديل والمدرعة .

وقالوا : رَأَسَهُ ، وعضده ، وصدره ، وظهره ، إذا ضرب رأسه وعضده وصدره وظهره . وقالوا : سافَهُ ورَحَهُ وعَصاهُ إذا ضربه بسيف ورمح وعصا . وقالوا : أرض مأسدة ومسبعة ، من الأسد والسبع .

هذا وان مجمع اللغة العربية بمصر قد أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان الجامدة فقال : « ومع كثرة الاشتقاق من أسماء الأعيان لم يصرح المتقدمون فيه بالقياسية ، وحملهم على ذلك أمران : الأول قلة ما ورد من مشتقات الأعيان بالنسبة الى ما ورد من مشتقات المعاني . والثاني أن المشتق يحمل دائماً الحدث إما مع الذات أو الزمان أو المكان ؛ والذي يقيد الحدث وحده حتى يكون مناطاً للاشتقاق انما هو المصدر ، لكن لما كانت كثرة المشتقات من الأعيان في ذاتها مُطَمْئنة وحاجة العلم لا الأدب ماسة الى الاشتقاق من أسماء الأعيان رأى المجمع اللغوي اعتباره قياساً . »

وبعد فان اشتقاق « تأرجح » من الأرجوحة يختلف قليلاً عن اشتقاق « تأخلق » من الأخلاق . ذلك لأن الهمزة موجودة في الشكل الافرادي للأرجوحة وليست موجودة في الشكل الإفرادي للأخلاق ؛ أي في الخلق . والاشتقاق من المفرد جائز دون الاشتقاق من الجمع . فهناك كثيرون قد اشتقوا أفعالاً من أسماء مفردة واستعملوها في كتاباتهم فقالوا : تَمَدْبَن ، وتأقلم ، وتمذهب ، وتمنطق .. من المدينة والاقليم والمذهب والمنطقة . فهل هناك من اشتق أفعالاً من أسماء مجموعة ؟

ونزيد فنقول : إن الفعل « ترجح » في المفهوم العام يعني أن يغلب جانب

على جانب ويرجح عليه ، أكثر مما يعني التذبذب والتردد بين الجانبين بخلاف الفعل « تأرجح » الذي لا دلالة لهُ إلاّ على ما يظهر من حركة الأرجوحة ، وهي التردد بين الجانبين والجهتين جيئةً وذهابا .

وليس من الصواب استعمال اللفظ الدال على الأعمّ في حين إرادة الأخصّ . وعلى هذا يكون فعل « تأرجح » أوفى بالمراد وأوضح دلالة على المعنى الموضوع له .

وبعد فاننا نرى اشتقاق تأرجح من الأرجوحة وترجح من المرجوحة ولا نرى ما يمنعها .

ولست أقف عند هذا الحد فيما نحن بصدده بل أرى أن أقيس على « تأرجح » فأتناول من هنا وهناك معاني لا أراها تؤدّى بسوى أفعال مشتقة على نحو ما اشتق فعل تأرجح . أرى أن أشتق من الأجنبي والاقطاعي ، فأقول في المُواطن الذي يفعل فعل الأجنبي والاقطاعي : « تأجْنب » و « تأقْطع » كما يقال : تفرْنس وتأمْرك .

ولست أرى فعلَيْ « تجنّب وتقطّع » يغنيان شيئاً في الدلالة على المعنى المطلوب لذلك .

وما أذهب فيما كتبت إلى أني أخذت على الأستاذ المغربي في اللغة مأخذاً ، أو اني استدركت عليه أمراً نَدَّ عنه ، ولكني أرى في هذا وأمثاله موضع نظر ومجال بحث ، فعسى أن يطالعنا الأستاذ من ذلك بما يجلو الغمّة وينقع الغلّة .

عارف ابوشقرا

منتخبات من معجم الكواكبي

— ١ —

المقدمة

دفعني الى القيام بهذا العمل الشاق ، ما كنت أجده من الصعوبة في مراجعة كثير من المصادر العلمية والفنية واللغوية للوقوف على معنى لاصطلاح كيمياوي أو شرح لكلمة فيزيائية أو صيغة لمادة دوائية مبعثرة هنا وهناك لم أكن لأتعرض لمثلها لو كان في خزانة الكتب العربية الفنية معجم يعنى بتفسير لجميع المصطلحات الكيمياوية وما يحتاج اليه الكيمياوي والفيزيائي والصيدلي والطبيب وطالب هذه الفروع . فشعرت بلزوم التشمير عن ساعد الجد والعمل لملء الفراغ في هذه الخزانة تلافياً لما قصر عنه السلف .

فبدأت متكلاً على الله مستمداً منه المعونة ، بجمع هذه الشوارد المتبعثرة في بطون الكتب والمجلات والمحاضرات وبعض المعاجم شارحاً بايجاز فيه الكفاية ، وجعلتها في كتاب أسميته (معجم الكواكبي في الكيمياء وما اليها) يكون مرجعاً بين أيدي المشتغلين بالتأليف والترجمة وطلاب الطب والصيدلة وفروعها يغنيهم عن الاستعانة بكثير من الكتب والمجلات والمؤلفات والمعاجم العربية والافرنجية للوصول الى ما يبغون من معنى لكلمة ، أو مدلول لمصطلح لا يعثرون عليه إلا بشق النفس وإلا اذا وجدت لديهم مكتبة غنية بالكتب الفنية على اختلاف أنواعها وموضوعاتها ولغاتها مما لا يتيسر إلا للقليل الفني الشغف بالمطالعة والدرس والتأليف .

وها أنا ذا كر على صفحات مجلتنا هذه منتخبات من هذا المعجم مما هو من وضعي مع اشتقاقه العربي (وأحياناً اشتقاقه الغربي) ثم شرحه الفني . وأرحب

بكل نقد وتشريح إظهاراً للحقيقة التي ينشدها الجميع حتى إذا ما وجدت الحق بجانب الناقد النزيه لكلمة (أو مصطلح) بحثت عن غيرها ناظراً بعين الاعتبار الى ما أبداه من نقد أو ملاحظة شاكراً له اهتمامه في تحري الصواب . والله سبحانه أسأله التوفيق في الحال والمآل .

ملاحظة :

وزن (فَعَل) يدل على عاهة أو حالة غير اعتيادية من علة أو فساد .

وزن (فُعَالَة) يدل على بقية شيء أو رديئه أو بيان حالته .

وزن (فَعُول) يدل على القابلية .

وزن (فَعُولِيَّة) للاسم أو الحالة من (فَعُول) .

وزن (فُعَال) أكثر ما ورد في ألم أو مرض أو عرض .

وزن (مَفْعَلَة) يدل على (الذي يفعل) عدا عما ورد كاسم آلة وفيه معنى الذي (يعمل ويفعل) مثال : مِحْثَرَة للآلة التي تحثر ـ مِخْلَصَة ، التي تخلص ـ مِحْلَجَة ، التي تحلج الخ .

وزن (فَعَلان) يدل على الاضطراب والحركة .

بعض الإشارات الاختزالية الخاصة بهذا المعجم :

= للمعاني المترادفة .

|| للمعاني المختلفة .

ث للثقل النوعي .

صه للانصهار .

غل للغليان .

ف لتجريف النور .

: للمثال أو الشرح .

— بدلاً من الكلمة الأصلية .

* إشارة للكلمة التي هي من وضعنا .

غ غرام .

صغ سنتغرام .

ملغ ملغرام .

ملم ملمتر .

* * *

١) Å أ

رمز وحدة الأطوال الصغرى . اختصاراً من اسم (آنغستْرم) الفيزيائي السويدي المشهور بتجاربه وأبحاثه على الطيف الشمسي ، تخليداً له . هذه الوحدة تساوي 10^{-10} من المتر أو 10^{-7} من الملم .

٢) Abat فُشَاشَة .

لغةً : من (فَشَّ الوطبُ أخرج ما فيه من الريح) . فنّاً : الجلد الذي أخذ انتفاخه بالزوال ، من مصطلحات فن الدباغة .

٣) Abats (suif d' —) شَحْم السُّلابة *

(من اللاتينية à battuere : الضرب ، الضغط ، الذبح) . لغة : (وزان فُعالة ، اشتقاقاً ، من (السَّلَب وهو من الذبيحة إهابها وأكرُعها وبطنها الخ) . فنا : الشحم يتكون بغلي معدة البقر ورؤوسها .

٤) Abeilles (cire d' —) شَمَع ، مُوم .

(من cera اللاتينية : الشمع) . لغةً : الشمع ، محركة وتسكين الميم ، مولَّد ، هذا الذي يستصبح به أو موم العسل) . (شَمَعَ شُمُوعاً شَمْعاً مَشْمَعَةً ، لَعِبَ وَمَزَحَ . || والشيءُ شموعا تفرَّق . || مسك مشموع بالعنبر ، مخلوط به . || أشمع السراجُ سطع نوره . || شَمَّعه تشميعاً ألْعَبَه . والثوبَ غمسه في الشمع المذاب) .

(الموم : بالضم ، الشمع . ا أداة للحائك يضع فيها الغَزْل وينسج به «مكوك») .

فنّ : الشمع أو الموم : مادة لينة ضاربة للصفرة يصنع منها النحل خلاياه . = مادة سائلة تنفرز من كثير من النباتات . ا مزيج صمغ اللك والتربنتين يستعمل لإرشام الرسائل و (الطرود) البريدية ونحوهما .

الشمع الذي يصنعه النحل الأهلي : يتركب من حمض شمع العسل (سه روتيك) وحمض شمع النخل (ميريسيك) وغول (السّروتي) و (الميريسي) و أستراتها . ث ٩٦٦ . صه ٦٢ ـ ٦٣ . يضرب الى الصفرة ، ويُقصر بتعريضه للشمس والندى .

من أنواعه الشمع البكر (vierge —) صه ٦٢ . والشمع المبيّض (blanchie —) وهو المضاف اليه ٢ — ٥ ٪ من الشحم ، صه ٦٧ .

استعماله : للتلميع . ويمزج بأقلام الطبع على الحجر ، وبشمع الإرشام (الأختام) . ولصنع شموع الإضاءة .

الشمع النباتي : ما يفرزه كثير من النباتات (بعض أنواع النخيل الشمعية cirlers) . يستعمل في دور الصناعة لعمل الشموع والصابون .

(يتبع) الكواكبي

تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	٢١	الصفدي	الكتبي
٢١٠	٢	المتس	المتلمّس
٢٢٥	١٨	جاب قضاء ..	جابي قضاء ..

صفحة

فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والثلاثين

١٧٧ مجموعة ابن النقيب أو بواكير الحدائق والغرف للأستاذ خليل مردم بك . .
١٨٧ الاصطلاحات الفلسفية (٢) . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .
٢٠٢ رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار . . للأستاذ عبد الهادي هاشم . .
٢٢٢ التكية السليمانية في دمشق (١) . . . للأمير جعفر الحسني . .
٢٣٨ رثاء الجندي والبزم . . . . . للأستاذ خير الدين الزركلي .
٢٤١ إيوانية البحتري (٢) . . . . . الأستاذ عبد القادر المغربي .
٢٥٣ بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية (٢) . للأستاذ محمد بهجة البيطار . .
٢٧١ الدراسات العربية في الولايات المتحدة . . للدكتور بايلي واينور . .
٢٨٣ أبو الفتح بن جني (٦) . . . . . للدكتور محمد أسعد طلس .

التعريف والنقد

٣٠٢ ابن رشد . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .
٣٠٤ نوابغ المغرب العربي (١) . . . . .
٣٠٦ مصادر الحق في الفقه الإسلامي . . . . } للأستاذ محمد بهجة البيطار . .
٣٠٧ الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
٣١٠ المجموع الأول . . . . . .
٣١٢ آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول) .
٣١٣ تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط } للأمير جعفر الحسني . . .
٣١٣ نقوش خربة معين . . . . . .
٣١٤ ابن الحريري ومقاماته . . . . . .
٣١٧ الجاحظ . . . . . .
٣١٩ شاعران معاصران . . . . . } للدكتور سامي الدهان . .
٣٢٢ الشعر العربي في المهجر . . . . .
٣٢٥ الموشحات الأندلسية . . . . . .
٣٢٨ الشيخ نجيب الحداد . . . . . .
٣٣١ تاريخ مصر ١٣٨٢ — ١٤٦٩ . . . . للدكتور جورج حداد . .
٣٣٢ اسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني . . للأستاذ عز الدين التنوخي .
٣٣٥ محاضرات في اقتصاديات سورية . . . للأستاذ منير الشريف . .

آراء وأنبـاء

٣٣٨ انتخاب أعضاء مراسلين . . . . . .
٣٣٩ وفاة الشيخ سعيد العرفي . . . . . .
٣٤١ رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين . للأستاذ محمد أحمد دهمان . .
٣٤٣ ترجم وتأرجم . . . . . للأستاذ عارف أبي شقرا . .
٣٤٦ منتخبات من معجم الكواكبي (١) . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٣٤٩ تصويب لتطبيع وقع في هذا الجزء . . . . . .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش

٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .

٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل

٣٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٥ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٦ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٧ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخيلي الحلبي

بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٦ ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٧٥

مع حافظ ابراهيم

يوم الخميس في ١٨ آذار سنة ١٩٢٦ و ٤ رمضان سنة ١٣٤٤

كنت ضيفاً عند صديقي حسين بك الحسيني في حلوان ، فقال لي : يسكن بالقرب منا حافظ ابراهيم ، وقد أخبرته بأنك ضيف عندنا ، وسيأتي الليلة للسلام عليك . وجلسنا بعد الإفطار (والوقت رمضان) نتحدث بشعر حافظ ، وكان في المجلس معنا شيخ بعمامة بيضاء اسمه الشيخ محمد رأفت . ولم يمض زمن طويل حتى سمعنا من الفسحة المؤدية الى غرفة الاستقبال كلاماً بصوت عالٍ ، فقال صاحب الدار : هذا حافظ بك ، ولم يكد يتم كلامه حتى دخل حافظ ابراهيم وسلّم ، ووقع نظره على الشيخ الذي لم يكن بعيداً من الباب ، فقال له وهو واقف : أأنت هنا يا شيخ ؟ وتهذر ؟ أما كلت الشامي بالسجع والجناس وأريته براعة المصريين ؟ ثم دنا مني وصافحني وجلس بجانبي . وهو طويل مستقيم القامة ضخم الأعضاء أسمر اللون خفيف شعر الرأس والشاربين ،

يغلب عليه الشيب وتبدو على وجهه ملامح الإجهاد والتعب ، يضع على عينيه نظارة منوطة بأذنيه ، تبدو من خلفها عينان صغيرتان ظاهر على انسانيها وجفونها أثر الكلال ، ولبسه حسن من غير تنوق ، ولا يكاد السيكار يقع من بين إصبعيه .

جلس وبيده عصا غليظة يقرع بها الأرض أثناء كلامه وقال لصاحب الدار : أكرم ضيفك يا حسين ، أين الشاي ، أسرعوا بالقهوة ، هاتوا الخلطة (نوع من الأفاويه السائلة تضاف الى الشاي والقهوة كالعنبر أو الزعفران) ، أين السكاير ؟ لماذا لم تأت بضيفك وتأكلوا عندي ؟ ثم التفت إليّ وقال : لا بد من أن تأكل عندي ، قل لي ماذا تريد أن أصنعه لك من الطعام ، قلت : الفول المدمس ، فقال : الله الله أأنت أتيت الى مصر لتأكل المدمس ، قلت أشكرك على كل حال فأنا مسافر غداً ، قال : ما يصح .

ودخل على اثر حافظ فتى بدين حسن الوجه أبيض اللون مشرب بحمرة ، سمعتهم يدعونه بالسيد علي ، فجلس غير بعيد من الباب .

كان مجلس حافظ بجانبي ويليه صاحب الدار وكان بيده ديوان حافظ ، فقال له : كنا نقرأ شعرك قبل أن تأتي . فقال حافظ : ليس في الجزء الأول من الديوان شيء ، وفي الجزء الثاني والثالث أشياء حسنة منها : (غادة اليابان) :

لا تلم كفي إذا السيف نبا صحّ مني العزم والدهر أبى

ورثاء الشيخ محمد عبده :

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ سلامٌ على أيامه النضراتِ

و (الأمتان تتصافحان) :

لمصر أم لربوع الشام تنتسبُ هنا العلى وهناك المجد والحسب

و (زلزال مسينا) :

نبئاني إن كنتما تعلمان ما دهى الكون أيها الفرقدان

و (رأس السنة الهجرية) :

لي فيك حين بدا سناك وأشرقا أملٌ سألت الله أن يتحققا

وأشباه هذه ، ولقد نظمت قصيدة جديدة أعددتها ليوم افتتاح الجامعة . فقال له الحسيني : أسمعنا إياها . فأجاب : ادفع الفلوس حتى تسمع ، كل شيء له ثمن .

قلت : وإذا سألتك أنا أن تنشدنا .

قال : هيهات ، لا أنشد إلا بالفلوس .

قلت : ما ذا عسى يعطيك رجل مهاجر منكوب .

قال : وأنا منكوب في بلدي .

قلت : فاجعل الثمن نسيئة .

قال : مَن لي بالوفاء ؟ ولكن أراني أضرب في حديد بارد ، كل شيء تغير في هذه الحياة ، كان الأمير في الماضي يقول : من في الباب من الشعراء ؟ أفيقول الشاعر اليوم : من في الباب من البكوات ؟ وعلى كل حال فان أبيتم إلا منعاً فأنا أعطي .

ثم أنشد مختارات من شعره ، منها قصيدة زلزال مسينا وكان شديد الإعجاب بهذا البيت منها :

خسفتْ ثم أغرقتْ ثم بادتْ قضي الأمر كله في ثوان

أنشده مخوراً وقال : بيت واحد أحاط بما منيتْ به مسينا ، وهو على شدة إيجازه قد صور الفاجعة تصويراً كاملاً .

ثم أنشد أبياتاً من قصيدة في مظاهرة للسيدات كانت سنة ١٩١٩ أولها :

خرج الغواني يحتججـــــن ورحت أرقب جمعهنْ

ومنهـا :

وإذا بجيش مقبـل والخيل مطلقة الأعنه

وإذا الجنود سيوفها قد صُوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنا دق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد ضربت نطاقاً حولهنه
والورد والريحان في ذاك النهار سلاحنه
فتطاحن الجيشان سا عاتٍ تشيب لها الأجنه
فتضعضع النسوان والنسـوان ليس لمن مُنّه
فليهنأ الجيش الفخو ر بنصره وبكسرهنه

وقال : لم أدفع هذه القصيدة الى صحيفة من الصحف ، ولم أقل إنها لي ، ولكن رواها الناس وتناشدوها وعرفوا أنها لي لأنه ـ كما قال لي أحد الإخوان ـ لا يقول مثل هذه القصيدة في مثل هذا المقام ويختار لها هذا الوزن وهذه القافية إلا من كان واسع الرواية للشعر مطلعاً على تفنن الشعراء في اختيار الأوزان الملائمة لمعانيها . ألم تطلع على هذه القصيدة ؟

قلت : (مُبْتَلى) [1] وكأنه لم يسمع الميم الساكنة في أولها .

فقال بصوت أجش : اسمع العربي الفصيح يا حسين ، قال (بلى) ولم يقل (نعم) في جواب هذا الاستفهام المسبوق بالنفي ، ولو قال (نعم) لانعكس المعنى . فقلت في نفسي : رمية من غير رام .

ثم قال : وقصيدتي بتهنئة الملك فؤاد بعيد جلوسه فيها أبيات حسنة منها :

واضرب بسوط البأس أعـطاف الزمان إذا استبدا

والملك فؤاد لو قال له قائل في أيام الخديوي عباس إنك ستكون مكانه لظن أنه يسخر منه ، ولكن هكذا الدنيا تخفض وترفع .

قلت : من الرفش الى العرش .

(١) هي (بلى) ولكن الدماشقة يزيدون في أولها ميماً ساكنة في كلامهم ولا يلتزمون الدقة في استعمالها .

فاستعاده وأعاده وقال : أهذا مثل ؟ يعجبني هذا المثل ، وجعله وسيلة للتندر على الملك فؤاد فقال : استدعى الملك في إحدى زياراته للاسكندرية قائد خفر السواحل وبدأ يوصيه وينبهه ، فكان مما قاله له : « خذ بالك ... إياك ... مهربين ... كوكائين ... سيف الدين[1] ... »

ولم يطل في إنشاد شعره بل عاد الى الحديث وكان يسرع في كلامه ، ويكاد يتكلم بيديه ورأسه وعينيه ، حلو الألفاظ ، يميل الى الدعابة والمزاح وإيراد النكات ، ولا يتأثم من التصريح بذكر ما يكنى عنه .

واسع الرواية للشعر والنثر ، يعتد بنفسه ، فخور بجيد شعره ، يدعي أنه أول من نظم الشعر الاجتماعي ، ولا ينكر أن له أشياء كثيرة من سخيف الشعر وسفسافه يدعوها (الشعر التجاري) ويدعي أنه كان يحفظ مائة الف بيت من جيد الشعر ، ولكن لم يبق منها في حفظه الآن إلا نصفها . يقدس المولدين من فحول الشعراء كبشار بن برد ومن أتى بعده ممن هو في طبقته ، مفتون ببلاغة العرب ، يجاهر بعجز المعاصرين عن إدراك شأوهم في التأدية والأسلوب ويقول نحن عيال عليهم ، ولكنه لا يستسيغ الشعر الجاهلي . ويتندر على العويص منه كما يتندر على اللين والركيك من الشعر المنثور .

تكلم حافظ كثيراً ولا سبيل لتدوين كل ما قال ، وإنما أثبت خلاصة حديثه . ذكر من الشعراء بشار بن برد وأبا نواس ومسلم بن الوليد وأبا تمام الطائي والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبا العلاء المعري ومهيار الديلمي . فقرظ بشاراً كثيراً وروى من شعره . وأطنب في مدح أبي نواس وقال انه أطبع الناس على الشعر وهو أشعر الناس صاحياً ولكن قلما يصحو (ابن الكاب) وروى من شعره ، وكان شديد الإعجاب بقوله :

---

(١) سيف الدين : ابن عم الملك فؤاد كان اختلف وإياه قبل أن يتسنم ملكاً فأطلق سيف الدين عليه الرصاص فأصابته رصاصة في عنقه فلم تقتله ولكن بقي يسعل من أثرها ، وفر سيف الدين من مصر .

أخذتُ بحبلٍ من حبال محمدٍ أمنتُ به من طارق الحدثانِ

تغطيتُ من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

وأثنى على صريع الغواني مسلم بن الوليد ورفع كثيراً من قدر أبي تمام الطائي وأشاد بذكره وقال : « إنه شاعر العظائم وقصيدته في فتح عمورية :

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعبِ

كلها غرر وكلها عيون وما فيها بيت ساقط وليس للعرب مثلها » . ووقف وأنشد طائفة منها . ثم قال اذا سما أبو تمام فلا يدانيه أحد ، ولكن لم يخل شعره من السخيف . وروى له بيتاً هو :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

ودعاه بالشعر الأزهري وتلاه على طريقة المشايخ في الأزهر ، فقد كان يكرر الشطر وهو يقبل بصدره الى الأمام وينأى بظهره الى الوراء ويقول : ظاهر ؟

فلما أتى على ذكر البحتري قال لي : من تفضل من الشعراء الثلاثة ، أبا تمام أم البحتري أم المتنبي ؟ قلت البحتري ، قال أنت شاعر والشعراء يفضلون البحتري ، البحتري سيد المطبوعين وأقدر الشعراء على حسن التأدية ، وشعره من السهل الممتنع . إذا تلوتُ شعره ظننتني أقعد في حضنه أداعبه وبداعبني وأفهم عنه ويفهم عني ، بل أحيط بما في نفسه كما يحيط بما في نفسي ، وهو يعطيك من المعنى بالرفق واللطف ، ما يعطيكه سواه بالعنجهية والعجرفة ولهجة الآمر أو الأستاذ شأن المتنبي ، والبحتري لا يأبه للتشبيهات والاستعارات ، بل يحدث عن ذات نفسه بلا كلفة ولا عناء ، وهذا هو الشعر ، والعجيب أنني لم أفقه ذلك إلا بعد أن بلغت من العمر خمساً وأربعين سنة ، أنا اليوم ابن أربع وخمسين سنة ، وقد قضيت عمري في الشعر ، روايةً وقولاً ولم أحط بهذه الحقيقة إلا منذ عشر سنين ، عجيب غريب ... اسمع قول البحتري :

نظرتُ إلى طدان فقلت لبلى هناك ، وأين لبلى من طدانِ
ودونَ لقائها إيجاف شهرٍ وسبعٍ للمطايا أو ثمانِ
نصوبت البلاد بنا إليكم وغنّى بالإياب الحاديانِ

هذا هو الشعر . واسمع هذين البيتين المنسوبين لابن سينا في ولده :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا فيحنو عليّ وأحنو عليهْ
لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إليّ ومني اليه

أنا أموت في مثل هذه الرقة ، هذا والله هو الشعر .

وأنشد لفتاة أعرابية قولها تشكو لأمها ريبة لمحتها في نظر محبوبها :

ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني إذا نظرا

فكان يقوم ويقعد ويتواجد ويقول « يابت كب[1] ، رحتِ في داهية ، جالك البلى ، كنتِ تحبين فتى كالسي علي » .

وكان يترنح طرباً ويهتز جميعه .

أما قول امرئ القيس :

اذا ما الثريا في السماء تعرضتْ تعرض أثناء الوشاح المفصل

فأنا لا أفهمه كما اني لا أفهم قول مي :

« نامت الشمس وأرخى الشفق سدوله ولفقت حواشي السحب بخيوط الذهب والفضة وماجت في الأفق بحيرات الياقوت وبرك الزمرد .... »

ثم تناول المتنبي فقال : « أنا أحترم المتنبي كثيراً وأجله ، وإذا سمعته يقول :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحل الثاني

وقفتُ بين يديه وزررت معطفي ووضعت يدي على جبيني وقلت نعم صدقت . ألست ترى ان هذا البيت هو خطة حربية يلقيها القائد الأكبر على قواده

(١) يريد (يا بنت الكلب) كما يلفظها المصريون .

ورجاله ، نعم أنا أنحني أمام عظمة المتنبي ولكني أقول إنه لم يوفّق الى ما وفق اليه البحتري من السلاسة والطلاوة والسهولة وحسن الديباجة . انظر كم يستعمل المتنبي ذا وذي في شعره ، فهو أكثر الشعراء استعمالاً لها ، ولقد كان محمود سامي البارودي رحمه الله يقول لي : كأن المتنبي انكليزي لكثرة ما يتوكأ على ذا وذي .

أما الشريف الرضي فتستخفني رقته وانسجامه كما تبهرني قوته وإحكامه . أية فريدة تلك المرثية التي يقول في مطلعها :

منابت الشيح لا حامٍ ولا راع مضى الردى بطويل الرمح والباعِ

وقد حاولت أن أجاريه في رثائي للشيخ محمد عبده . فنظمت المطلع من هذا البحر وعلى هذا الروي ثم انقطعت ولم أقو على الاستمرار ، ولكن الله أعان ونظمت التائية :

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ سلامٌ على أيامه النضراتِ

وهي من الغرر .

على أنني لا أرتاح لقصيدة الشريف الرضي التي يرثي بها أبا اسحق الصابي ويقول :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ أرأيت كيف خبا ضياء النادي

الشريف الرضي كان يطمح الى الخلافة ، دخل عليه مرة فتى حسن الوجه مثل السيد علي (أفاهم أنت يا مي علي) وقبل يد الشريف فقال أبياتاً دعني أمثل لك الشريف في عظمته وزهوه وتيهه وأنشدها ، وهنا رفع حافظ رأسه وصعر خده ونظر شزراً وقبض أصابعه وأنشد برفق وتأن وصوت خافت :

ومقبلٍ كفي وددتُ بأنه أوما الى شفتيَّ بالتقبيلِ
جاذبته فضل العتاب وبيننا كبر الملول ورقة المملول
جذلان ينفض من فروج قميصه أعطاف غصن البانة المطلول

وتلميذ الشريف الرضي مهيار الديلمي تعجبني رقته ، دعني أنشدك شيئاً من شعره بلهجته الفارسية . واندفع ينشد وكأنه فارسي ينشد شعراً عربياً :

آه على الرقة في خدودها لو أنها تسري إلى فؤادها
بالبان لي دين على ماطلةٍ يبيس غصن البان في أبرادها
سلطت الوجد على جوانحي تسلط الخلف على ميعادها

وأنشد أيضاً من شعر مهيار :

أيا صاحبي أين وجه الصبا ح وأين غدٌ صف لعيني غدا
أسدوا مسارح ليل العرا ق أم صبغوا فجره أسودا

وأعاد البيت الثاني غير مرة مادّاً كفّنا بيديه ومحركاً أصابعه ثم قال : ولكني لا أقدر أن أجد في شعر مهيار من الرقيق البارع أكثر من مائتي بيت .

ثم قال : وأبو العلاء المعري ، حفظت في حداثتي من شعره ديوان سقط الزند . أما فلسفته فمبثوثة في اللزوميات ، ولقد كان يمجد الخالق ويشك في النبوات وينتقد الشرائع ويعرض بموسى ومحمد دون عيسى عليهم السلام ، لأنه يرى أن موسى ومحمداً طال عمرهما فأتيح لهما أن يعملا ما شاءا أن يعملا ، أما عيسى فهو صغير السن ولم يعمل شيئاً ، وانما انتقد أبو العلاء من جاء بعد المسيح من الأحبار الذين ألّهوه .

* * *

وانتقل حافظ من الشعراء الى المنشئين ، فذكر ابن المقفع وبراعة إنشائه فأطنب في مدحه وقال: أعدت قراءة كتاب كليلة ودمنة مرات كثيرة ، أكثر من مائة مرة .

ثم ذكر الجاحظ فقرظه كثيراً وتلا فقراً من كلامه وروى عنه نوادر مستملحة ، وكذلك قرظ أبا الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني وقال: انه قرأ

الأغاني مرات واستظهر الكثير مما فيه من الشعر وقال : إن إنشاء أبي الفرج غاية في الحسن والجودة ومحال أن يستبدل الانسان من إنشائه كلمة بكلمة . وحدث عن الصاحب بن عباد وما كان من كرمه وجوده ، وقص شيئاً من ملحه وطرفه .

وروى فقرة لاسحق الموصلي لم يبق في ذهني منها إلا قوله (أجد نغزاً في قلبي) قال : كنت مستلقياً على سريري وبيدي كتاب أقرأ فيه ، فلما مررت بهذه الجملة حفزني حافز ألقاني عن سريري فما وجدت نفسي إلا قائماً أرقص لحسن هذه الجملة الخلابة .

ثم نال من القاضي الفاضل وعاب أسلوبه في الانشاء وتعمله فيه ، وأنحى باللوم كثيراً على سجع العماد الاصفهاني الكاتب وتكلفه . قلت لعلك تعني سجعه في كتابه « الفتح القسي في الفتح القدسي » قال : حفظت مائة ألف بيت وأنا عاجز عن حفظ مثل هذا الاسم .

وانتقل الى التحدث عن شوقي فأطال الكلام وانتقده انتقاداً لاذعاً وغمزه ولمزه وخلط الهزل بالجد وتندر عليه وشهد له في النهاية بالشاعرية المنقطعة النظير .

عاب كثيراً من شعره ونعى عليه أسلوبه وذم ألفاظه وسخر من تنطعه ، قال : ما رأيت أحداً يكثر من الدعوة الى مكارم الأخلاق كشوقي وهو الذي يقضي ليله طائفاً حوالي مواطن الريبة ومتنقلاً في عربات الترام .

بماذا يفسر قوله للخديوي عباس من قصيدة يمدحه بهـا :

أنا من ملكت فؤاده فافعـل به ما أنت فاعلْ

أما قصيدته في بيروت فقد كشف الله بها عن حقيقة أمره في سوء مذهبه واضطراب قوافيه ، فبينما هو يقول في بيت : (عرفته)[1] يقول في بيت آخر

(١) إشارة الى البيت :

فازورّ غضباناً وأعرض نافراً حالٌ من القيد الملاح عرفته

(ملكوته)[1] ولا تسل عن مكارم الأخلاق حين يحدث عن أحور[2] بكفية وكيف زحمه .

وقصيدته في دمشق ، ما أشد تنطعه حين يقول :

لولا دمشق لما كانت طليطلةٌ ولا زهت ببني العباس بغدانُ

فمن أي معجم استدعى كلمة بغدان وفي أي ديوان وقع عليها وفي أي قاموس غاص حتى استخرجها هل رأيت شاعراً استعملها في شعره ؟ ليست البلاغة في استعمال المهجور من الألفاظ ، فأنا أحفظ من متن اللغة ما لم يقرأه شوقي ، ولا أستعمل في شعري إلا كل مأنوس قريب من الفهم ، فما قيمة الشعر إذا احتاج سامعه أن يرجع الى دواوين اللغة .

وما أعجب لشيء كعجبي لأهل الشام في غلوهم بالاحتفاء به ومبالغتهم في تكريمه ؛ وفي قصائدهم التي قالوها فيه ما هو أحسن من قصيدته . قلت ما أظن ذلك . قال : كذا كما أقول لك ؛ ولكن قل لي كيف أنشد شوقي قصيدته ؟ قلت أنشدها غيره وقعد هو بجانب المنشد . قال أف له من جبان ألكن ، لو كنت في دمشق بتلك الحفلة لأريتكم كيف يكون إنشاد الشعر ؛ ليس في مصر من يدانيني في الالقاء ، فاذا أنشدت الشعر في حفل أقمت وأقعدت وفعلت بالألباب ما شئت ، وكم شهد لي بذلك سعد زغلول .

قلت كان الشاميون يتوقعون زيارتك لهم ، ولو فعلت لاحتفلوا بك كثيراً . قال — وهل يعرفونني ؟ قلت كيف لا يعرفونك ، وأكثر أدبائهم ومتأدبيهم

---

(١) إشارة الى البيت :

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته

(٢) إشارة الى قوله :

وأغن احور من سها بكفيةٍ علقت محاجره دمي وعلقته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل فأتيت دون طريقه فزحمته

يروون شعرك ، قال ويحبونني ؟ قلت نعم . فتهلل وجهه وقال : كنت ناويًا زيارة الشام في الصيف الماضي ، ولكن لما ذهب شوقي عدلت ، لم يكتف شوقي بالذهاب الى الشام وحده حتى استصحب معه محمد عبد الوهاب ، وكان هناك أحمد زكي باشا المسهب المكثار ، والدكتور محجوب ثابت وأمره معروف مشهور ، فكيف أدخل الشام ما دام هؤلاء فيها ، وما أدري ما قال أهل الشام عنهم ، ولكن لا بد لي من زيارة الشام في الصيف المقبل مع حسين بك .

ثم عاد الى نقد شعر شوقي فقال : يقول شوقي :

أأخون اسماعيل في أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا

كيف رضي لنفسه أن تلده أمه بالباب ، ولو كان هذا الأمر حقيقة لوجب كتمانه ، فكيف والحال هنا كناية عن أنه ربيب نعمة اسماعيل .

ويقول شوقي :

سلامٌ من صبا بردى أرقُّ ودمعٌ لا يكفكف يا دمشقُ

والصبا الريح الشرقية وهي في دمشق ليست من الرياح الطيبة .

ويقول :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا وفاز بالحق من لم يأله طلبا

وهل الراحة الكبرى غير الموت .

ويقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا

وهو يريد أنه أخذ الكتب وترك الصحاب فاستعمل العكس لأنه لا يعرف أن الباء تدخل على المتروك .

ولقد أغرمي هذا الرجل بكلمة (قم) واختارها مطلعًا لكثير من قصائده كأنها (حتم) ، منها قوله :

قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما

قم ناج أهرام الجلال وناد هل من بنانك مجلس أو ناد

قم حي هـذي النيرات حي الحسان الخيرات

قم حي أنقرةً وقل ببنيكِ ملكٌ بنيت على سيوف بنيكِ

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداث وأزمانُ

قم للمعلم وفّهِ التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا

فأي شاعر ارتكب مثل هذا ؟ قال لي محمد المويلحي : أخبرني كيف يقوم الانسان في فم الدنيا ويحيي الأزهر أهكذا ؟ ووضع حافظ سبابته معترضة في فمه بعد أن فغره .

لقد طبع شوقي الجزء الأول من ديوانه وقد ورد فيه من (قم) الشيء الكثير . أما جبريل فقد ردد ذكره سبع عشرة مرة منها قوله :

جبريل هل في السماء وكبر واكتب ثواب المحسنين وسطِّرِ

جبريل أنت هـدى السما . وأنت برهان العنايهْ

ولا تسل عن عيسى ، فما تكاد تخلو قصيدة في شعر شوقي من ذكره ، نعم أنا أومن بنبوة عيسى وموسى وسائر الأنبياء كما أومن بمحمد ولكنني أكتفي بمحمد وبما جاء به من الهدى .

يظن شوقي انه أمن عادية النقد في ديوانه وإظهار مساويه والتشهير بسفساف بعد أن رشا أرباب الصحف ، فقد نظم قصيدة في رثاء ابن حسين هيكل رئيس تحرير السياسة أولها :

الضلوع تنقـدُ والدموع تطـردُ

وأخرى في تقريظ كتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض صاحب كوكب الشرق وهي التي غلط في مطلعها فقال :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

أما صاحب الكشكول فهو من حزبه . ولكن ما يصنع بالعقاد الذي أخذ أهبته وأعد عدته لنقد الديوان نقداً قاسياً لا مراعاة فيه ، وقد أزمع على أن يقدم بين يدي النقد فصلاً في حياة شوقي وهو إذا فعل فقد أصبح شوقي وديوانه هباءً منثورا .

وهنا عطف حافظ على العقاد والمازني والدكتور طه حسين فقال : العقاد كاتب مليح ألم تقرأ له شيئاً ؟ قلت : قرأت له الفصول ومطالعات ، قال هما كتابان جيدان . وأما المزني (المازني) فذاك سبّاب وأنا لا آبه له في كل ما انتقدني به وأخذه عليّ ، يكثر من الانتقاد ويعتبر الصواب خطأً ، وسبب ذلك قلة بضاعته من المعرفة ، فكل ما لم يحط به علمه يعتبره خطأً ، وما أقل ما يعلمه وأكثر ما يجهله ، وهكذا يكون هذا النوع من الناس ، يسرعون الى التخطئة لأن معرفتهم قليلة هزيلة ؛ فاذا أضيف الى ذلك سوء النية مثل صاحبه أقبح تمثيل . وكل نقد يوجه اليّ على تلك الطريقة أضعه تحت قدمي فأعلو به . وأما طه حسين فأسلوب عجيب ، اسمع اذا شئت : « تنكرون أن القضية هي قضية ، ولكم رأيكم في أنها ليست قضية ، ولنا رأينا في أنها قضية ، وانما نريد أن نتكلم من حيث أنها قضية ... » والحق إنه جاحظ هذا العصر في مقدرته وقوة طبعه ومطاوعة القول له وطول نفسه ، والحرب التي تدور رحاها الآن بينه وبين الرافعي من أجل الشعر الجاهلي شغلُ الصحف والنوادي الأدبية ، والذي يطيل عمر هذه الحرب أن طه حسين معها

هدر وهدد وتوعد وحشر ونادى لم يسمعه الرافعي ، وأن الرافعي مهما أرغى وأزبد وبرق وأرعد وصال وجال ولوّح بسيفه وهز برمحه لم ينظر طه حسين إليه ، والذي يعجبني من الرافعي أسلوبه العربي الخالص .

ثم عاد الى شوقي فقال : « ما قلته في شوقي وشعره قليل من كثير ، ولكنه بالرغم من كل ذلك شاعر عظيم ، ولقد شاء القدر أن يقرن اسمي باسمه ، فما يذكر شوقي إلا ذكر حافظ ، وما يذكر حافظ إلا ذكر شوقي ، كالنمل وشراكها والقبقاب وسيره ، ولئن أخطأ في بعض شعره فلم يخل شاعر من الخطأ ، أذكر من أغلاطي في اللغة قولي في مطلع قصيدة لي بذكرى شكسبير .

يجيبك من أرض الكنانة شاعرٌ شغوفٌ بقول العبقريين مغرمُ

فليس في العربية شغوف (وكنت أظنها صحيحة) بل مشغوف . ولم يظهر لي ذلك إلا بعد أن تليت القصيدة في الاحتفال الذي أقيم في بلاد الانكليز لمرور ثلاثمائة سنة على وفاة شكسبير وبعد أن نشرت في الصحف بزمن طويل .

على أن لشوقي من الإحسان ما يمحو له كل سيئة ، من ذلك أن له بيتين وددت لو كانا لي بنصف ديواني ، قلت ما هما ؟ قال قوله في قصيدته (ذكرى كارنافون) :

أفضى إلى ختم الزمان ففضه وحبا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

ثم ذكر الشيخ محمد عبده فأثنى عليه وامتدح سيرته وحسن أخلاقه وعلمه وبلاغته وصحة ذوقه في الأدب قال : كنت والشيخ محمد عبده نجري في ليلة على قارب في النيل وكان أحد النوتية يغني (حار الفراش بهم للآن ما ناموا) فقال لي الشيخ : يا حافظ خذ هذا المعنى وانظمه فانه حسن . فنظمته في بيت من قصيدة :

حار الفراش بنا مما نكابده وضاق صدر الليالي عن تشكينا

ثم نظمته أيضاً في قصيدة ثانية وزدت عليه فقلت :

حار الفراش وحرت فيه فأنثنا تحت الظلام معذب ومؤرّقُ

قال وكان الشيخ رحمه الله إذا استحسن شيئاً من شعري قال (مش بطال) لم يزدني على درجة (مش بطال) شيئاً .

وقال : سمرت ليلة مع الشيخ وبت عنده ، فلما كان الفجر قام الشيخ وتوضأ وصلى وطلعت الشمس وانتظر طويلاً حتى استيقظت ، فلما دخلت عليه قال لي : يا حافظ لم أتمكن على طول صحبتك لي من إصلاحك ، ولم تقدر على إفسادي .

ثم أتى على ذكر خليل مطران فلم ينله بسوء وقال : انه شاعر أديب وروى له فقرة بليغة من النثر ، ولما رآني استحسنت معناها قال : انه أخذ هذا المعنى من ڤيكتور هوغو ، ثم روى له مقطوعة من الشعر أولها :

أنا لا أخاف ولا أرجّي فرسي مهيئةٌ وسرجي

وقرظها وقال : قلت لخليل مطران ضع (خرجي) مكان (سرجي) لأنك متى قلت «فرسي مهيئة» علم بالضرورة أن السرج فوقها ، وإلا فما معنى تهيئة الفرس ، وخرج كلمة صحيحة فصيحة .

وعلى ذكر خليل مطران ، اختلفنا مرة في أينا أجمل وبعبارة أصح في أينا أقبح من الآخر ، فكنت أدعي أنني أجمل منه وهو أقبح مني ، وكان يزعم عكس ذلك ، وطال الخلاف بيننا حتى اتفقنا على أن نحتكم الى اسمعيل صبري باشا ونقبل بما يحكم به . فذهبنا اليه وشرحنا له دعوانا ، وبعد أن استقصى في سؤال كل منا عما يدعيه لنفسه وعلى خصمه ، وبعد أن أطال النظر في وجه كل منا ، أعلن ختام المحاكمة وأصدر حكمه بقوله : «حافظ ابراهيم أجمل قرد ، وخليل مطران أقبح إنسان» فانصرفنا وعند كل واحدٍ منا أنه حكم له على

صاحبه ، فانا أقول ان الحكم لي وهو يزعم أن الحكم له وما زلنا مختلفين في تفسير الحكم الى الآن . فما تقول أنت ، هل حكم لي أم عليّ ؟

قلت : بل حكم لك .

فقال : أصبت ، لأنه لما قال : « أجل قرد » وصفني بالجمال على كل حال ، في حين وصف المطران بالقبح .

ثم سألني عن شعراء الشام وهل فيهم من يعادل شعراء مصر ، قلت : انهم يقدمونكم على أنفسهم ويعتبرونكم أئمة . ولكن عندنا من المنشئين من ليسوا دون منشئيكم . قال : مثل من ؟ قلت : مثل شكيب أرسلان ومحمد كرد علي قال : صحيح .

ثم قال لي : من هو الشاعر الشامي الذي ألقى قصيدة في الحفلة التي عقدت لخليل مطران بالقاهرة وقال في مطلعها :

لمشتَ الى الأهرام أرض الشام لو تستطيع جوىً الى الأهرام

قلت شبلي الملاّط ، قال هو شاعر ، ولكن ما أبشع ذاك المطلع . ثم قال والشاعر الذي كان عندنا منذ سنة ؟ قلت لعلك تعني الزهاوي ، قال نعم . قلت ذاك عراقي وليس بشامي ، قال كله واحد . قلت لقد رأيت الزهاوي بدمشق بعد عودته من مصر واجداً في نفسه عاتباً عليك لأنك لم تزره . قال نعم ، الشعر الذي نشره عندنا ليس بذاك ، فضلاً عما فيه من الزندقة والإلحاد ، وهل في شرع الذوق والأدب أن يحيي الضيف مدينة إسلامية كالقاهرة بمحاربة الإيمان ومظاهرة الإلحاد ؟ لك أن تقول : في مصر أيضاً من يجاهر بالالحاد ويدعو اليه ، وجريدة السياسة ميدان يتبارى فيه دعاة الإلحاد ، وصاحبها حسين هيكل ينفخ في بوق الإلحاد ، تهاجم هذه الجريدة الإسلام في أصوله وأركانه ، والمسلمين في سننهم وعاداتهم ، وتدعو الى نبذ

كل ما هو شرقي والأخذ بكل ما هو غربي ، حملت منذ مدة هذه الجريدة على الطربوش ودعت الى لبس البرنيطة ، ولبسها أحد محرري الجريدة . نعم ذاك أمر تافه ولا يضر الإسلام في جوهره شيئاً ، ولكن الفلاح المصري لا يفهم من لبس البرنيطة إلا ترك الإسلام ، وليس من مصلحتنا أن نجعل هذه الملايين من الفلاحين تعتقد أننا تركنا الإسلام . ونعود الى الزهاوي ، لم أزره لأني كنت أيضاً غير مالك صحتي ، قلت : هذه إضافة زائدة . قال ماذا أصنع ، قلما تعتدل صحتي ، ولقد خلصت بمثل هذه المعذرة من رثاء سليم سركيس الذي أقيمت له حفلة تأبين منذ بضعة أيام .

وانتقل الى عبد المحسن الكاظمي فقال : شاعر قوي البديهة ولكنه منذ نزل مصر وقف حيث هو ولم يماش الزمن .

وروى بيتين للسيد توفيق البكري وقرظها كثيراً ولكنه قال ان معناهما مأخوذ وذكر المأخذ .

وبعد أن طال السمر وانقضى أكثر الليل ودخل وقت السحور ، نهض حافظ وقال : لا بأس وإن طال السهر فان تحت التراب نوماً طويلاً .

ثم قال لي : ألا تزال مصراً على السفر ؟ قلت سأسافر الى الاسكندرية يوم غد إن شاء الله . قال سنراك هناك قريباً باذن الله ولعل ذلك يكون في العيد .

خليل مردم بك

الشعر الأندلسي

من أكبر مميزات الشعر الأندلسي التي تطالعنا عند بحثه أولاً ، أنه شعر حضري لا جاهلية له . وليس يشبهه في ذلك شعر قطر من الأقطار العربية . حتى العراق الذي بذ الأندلس في الحضارة نجد في شعره أثارة من هذه الجاهلية لا تخفى على الناقد البصير . أما في الألفاظ فانها تكاد تلمس ، وأما في المعاني فان رواسب من أفكار شعراء الجاهلية لا تفتأ تطفو حيناً بعد حين على صفحة هذا الشعر الرقراق الذي قيل ـ ويقال حتى الآن ـ عند ضفاف الرافدين .

ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية الى جساوة في الطباع ، وقساوة في البقاع ، فان الاقليم في الشرق ، ولو في العراق ، غيره في الغرب ولا سيما الأندلس . والمزاج يتكيف بتكيف الاقليم رقة وغلظة ، ولينا وشدة ، ما في ذلك شك . وقد كان شعراء العراق كغيرهم ، يخرجون الى البادية ، فينتقلون في القبائل لأخذ اللغة عن أربابها ، وتعلم الفصاحة من أصحابها ، كما نرى في ترجمة المتنبي والبحتري وأضرابهما ، فلزمتهم هذه البداوة وظهر أثرها في شعرهم . وأين هي هذه البادية من شعراء الأندلس الذين ولدوا في بحبوحة الحضارة ونشأوا في غضارة الترف ، فولد الشعر معهم ونشأ حضرياً مترفاً .

ومن بدا منهم كابن عبدون فانما قصاراه من البداوة المظهر الذي غرّ الوزير أبا بكر بن زهر[1] ، وأما المخبر ، فانه الذي انجلى عن قصيدة :

« الدهر يفجع بعد العين بالأثر »

(١) انظر حكايته معه في المعجب للمراكشي .

وأما هؤلاء الشعراء الذين طرأوا مع الفتح من مثل أبي الخطار الكلابي والصميل بن حاتم فانهم وان كانوا يذهبون في شعرهم مذهب أهل الجاهلية ، فاننا لا نعدهم بحال من شعراء الأندلس ؛ لأنهم لم ينشأوا فيها ولم يشتهروا بشعر كثير فيؤثروا فيمن أتى بعدهم ، فبقي الشعر الأندلسي مصوناً من عنجهية البدو ، لا جاهلية له مطلقاً .

ولقد استمر الحال بعد الفتح على ما يقتضيه طور التمهيد والتنظيم من الانصراف عن شؤون الأدب والشعر الى أن قدم عبد الرحمن الداخل ، أي نحواً من ٤٦ سنة . وحينئذ انفسح المجال أمام شعراء الأندلس للتحليق في جو « الصقر »[1] الذي القى الى النخلة بهذه النفثة السحرية :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول اكتئابي عن بنيّ وعن أهلي

ومن ذلك اليوم تحدد موقع الشعر في الجزيرة ، فمن الوجهة الاجتماعية كان الأمير المنشئ للدولة المؤثل لمجد الاسلام شاعراً يعبر عن عواطفه بشعر بليغ ونظم رقيق ، فلم يستنكف من أتى بعده من الشعراء أن ينسجوا على منواله في تعاطي الشعر وحب الأدب حتى كان كل أمراء بني أمية وخلفائهم تقريباً شعراء . وكذا ملوك الطوائف الذين خلفوهم من بعد ، والناس على دين ملوكهم كما يقال ، فقامت للشعر دولة ببلاد الأندلس لم يكن له مثلها بالبلاد الأخرى . وبينما كان « الشعر بالعلماء يزرى » في المشرق كما أتى في بيت للشافعي رحمه الله[2] ، كان العلماء في الأندلس يتسابقون لنظم الشعر ويتباهون بمعرفته ، ولا يعدون العالم كاملاً إلا إذا شارك في علوم الأدب بأوفر نصيب[3] .

(١) يلقب عبد الرحمن الداخل بصقر قريش .
(٢) وهو قوله :
ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد
(٣) انظر الرافعي ، ص ٢٨٥ تاريخ آداب العرب ج ٣

ولهذه المكانة التي كانت له في النفوس كثرت رغبة الناس فيه ، وصار طلبة الخاصة والعامة ، حتى قيل في مدينة شلب ان قليلاً من أهلها من لا يقول الشعر ، ولو مررت بالفلاح في فدانه وسألته عن الشعر قرض في الحال ما اقترحته عليه[1] .

ومن الوجهة الأدبية ، فان الشعر في الأندلس لم يكن رجعاً لصدى الشعراء القدماء ولا طبعاً على الرواسم (الكليشيات) المعهودة ، فان عبد الرحمن لما كان فريداً غريباً في بلاد غير بلاده ورأى النخلة في موطن غير موطنها أشبه شيء به ، هاجت شاعريته ونطق بذلك الشعر الذي عبر عن ذات نفسه ، ولم يكن صنعة ولا زوراً من القول ، فلفت نظر الشعراء بعده الى هذه الطبيعة البديعة ، أو قل ان هذه الطبيعة التي أنطقته ، لفتت نظرهم الى جمالها الفتان وسحرها العجيب فقالوا فيها ما شاءوا وتفننوا ما أرادوا .

ومن ثم كان أكثر شعرهم في الوصف والتصوير ولا سيما لمظاهر الطبيعة من الرياض والأزهار ، والجبال والأنهار ، والسحاب والأمطار ، حتى عدّ ابن خفاجة أكثر وصّاف الطبيعة وأحسنهم قولاً فيها ، وألف أبو الوليد الحميري من أدبائهم كتاباً كاملاً من شعرهم في نعت الرياحين والزهور سماه «البديع في وصف الربيع» وهو ممن عاش في أول القرن الرابع ، فما بالك بما قيل بعده في هذا الصدد ؟

ولعل أول شاعر أندلسي يمثل بروحه الخفيفة وأدبه المرح ، هذا المحيط الحضري الرائق الذي نشأ فيه الشعر الأندلسي ، هو يحيى الغزال المتوفى حوالي سنة ٢٥٠ ، وشعره مرآة صادقة لنفسه الطروب ؛ وقد كان ذهب سفيراً الى بلاد الروم فأعجب به الملك والملكة أيما اعجاب لفرط أدبه وجماله ، وجرت له مع الملكة محاورات جميلة ، وقال في ذلك أشعاراً لطيفة .

(١) ياقوت في معجم البلدان .

ثم يأتي بعده أديب الأندلس أحمد بن عبد ربه مؤلف كتاب «العقد» المعروف، وكان الجو الأدبي بالأندلس يزداد صفاء كل يوم فلذلك جاء شعره ينفح بعطر الحضارة ويكاد يشرب من رقته وعذوبته ، وهو ان ألّف لقومه أدب المشارقة ، فقد أعطى لهؤلاء نماذج من أدب الأندلس في مقطوعاته البديعة التي ضمنها كتابه الفريد . ولئن قال الصاحب ابن عباد في العقد لما وقف عليه ، « هذه بضاعتنا ردت الينا » فلقد قال المتنبي في صاحب العقد ، « ايه يابن عبد ربه ، لقد تأتيك العراق حبوا » وذلك عندما سمع أبياته العديمة النظير :

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا ورشا يتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله درّاً يعود من الحياة عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه ألفيت وجهاً في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا [1]

وقد كان هذان الأديبان هما طرفا الأدب في القرن الثالث [2] وذكرهما يغني عن ذكر غيرهما .

فلما دخل القرن الرابع دخلت الأندلس معه في عصرها الذهبي ، حيث بلغ التمدن بها أوجه تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والمنصور ابن أبي عامر فانتشرت العلوم والفنون ، وارتقى المستوى الفكري غاية لم يصلها من قبل .

وفي هذا العصر كان التعليم قد عم سائر الطبقات ، فقلما تجد انساناً لا يعرف القراءة والكتابة ، والرجال والنساء في ذلك سواء [3] واذا عمّ التعليم بهذه الصفة تنبهت المشاعر وتهذبت الأذواق ونشطت الحركة الأدبية من عقالها وتقدمت

(١) المقري في نفح الطيب ج ٤ ص ٢١٨
(٢) الرافعي في تاريخ آداب العرب ج ٣ ص ٢٧٥
(٣) دوزي في كتابه الاسلام الاسباني .

أشواطاً بعيدة في ميدان الابتكار والتجديد ، لأن الأمة التي نضجت أفكارها لا تقبل من الانتاج إلا ما كان حرياً بالقبول . وكان من أثر هـذا النضج الأدبي اختراع الموشحات التي صارت زينة الشعر العربي ، وهي هدية المغرب الى المشرق التي تقبلها بكامل السرور وسنتكلم عنها فيما بعد .

وقد أظل هذا العصر كبار شعراء الأندلس من مثل أبي القاسم بن هانئ وابن درّاج القسطلي والرمادي ، وناهيك بهؤلاء الثلاثة .

فأما ابن هانئ فهو الذي يقال له متنبئ المغرب ، عاش عيشة الاستهتار حتى تألب عليه أهل بلدة اشبيلية وخرج منها ولحق بالعدوة فلقي الخليفة المعز الفاطمي ومدحه فحظي عنده وكان يريد استصحابه الى مصر ، فمات مختضراً في عنفوان الشباب نتيجة اسرافه في السكر والمجون .

ولما بلغت وفاته المعز أسف عليه وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك . وكان يذهب في شعره مذاهب شتى من التفلسف والاستخفاف بالدين ونقد المجتمع . وله أسلوب متين وعبارة جزلة ، واشتهر بحسن التشبيه وإجادة الوصف . ومن جيد شعره قوله :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحفا ... وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدّجا ... بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده ... وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يداً ... ولم يبق اعنات التثني له عطفا

الى آخرها وهي قصيدة شهيرة .

وأما ابن دراج فقال فيه الشقندي : انه شاعر الأندلس . وقال الثعالبي : هو بالصقع الأندلسي كالمتنبي بصقع الشام ، وكان شاعر الدولة العامرية غير مدافع ، وتأخر به الزمان الى أوائل القرن الخامس ، وأدرك ملوك الطوائف . وله القصيدة الرائية الرائعة التي عارض بها أبا نواس فأربى عليه ، وفيها يقول :

ألم تعلمي أن الثواء هو الثوى وأن بيوت العاجزين قبور
وان خطيرات المهالك ضمن لراكبها ان الجزاء خطير

وأما الرمادي فهو يوسف بن هرون الكندي . كان معاصراً للمتنبي ، وكان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس في الافتتاح لأنه من كندة على ما هو معروف ، والمتنبي والرمادي في الاختتام لانتسابهما معاً في كندة [1] . وكان شاعر الحكم المستنصر واختص بالحاجب المصحفي فأصابه شرر النكبة التي أنزلها المنصور ابن أبي عامر بالحاجب المذكور ، وله من قصيدة هذه الأبيات البليغة .

في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي أو قلت في قلبي فثم غليلي
لكن جعلت له المسامع موضعاً وحجبتها عن عذل كل عذول

واذا تخطينا عتبة القرن الرابع الى الخامس ، عصر ملوك الطوائف ، وجدنا أن هيبة الخلافة الأموية وعزة سلطانها وان زالا معها فان مجدها الأدبي بقي متمثلاً في عدة عواصم بعد أن كان محصوراً في قرطبة ... فهذه اشبيلية وفيها بنو عباد أصبحت تنافس قرطبة وتجاذبها رداء الفخار في هذا المضمار ، وهذه طليطلة - وفيها بنو ذي النون - وسرقسطة - وفيها بنو هود - وبطليوس - وفيها بنو الأفطس - وغرناطة - وفيها بنو زيري - والمرية - وفيها بنو صادح - ومالقة - وفيها بنو حمود - في كل منها بلاط حافل بأهل العلم والأدب وملوك يتسابقون الى الحصول على المشاهير من الكتاب والشعراء (فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني) [2] .

(١) ابن خلكان
(٢) الشقندي في رسالة المفاضلة بين الأندلس والمغرب .

واذا كانت قرطبة قد احتجبت في عهد الخلافة الأموية سائر أهل الكفاءات الأدبية ، فقد أديلت منها هذه العواصم الأخرى ، وكان ذلك في صالح العلم والأدب حيث ان ازدحام البلاط القرطبي بأهل الفضل والنبل كان لا يدع مجالاً للناشئين والوافدين من غير أهل الشهرة . وحسبك بما وقع لصاعد في أيام المنصور بن أبي عامر وما قاساه من مكائد المنافسين له . وأما الآن فان الأديب أصبح بالخيار على زمنه ، وحكمه نافذ على أميره ، لأنه اذا آنس اهمالاً أو تضييعاً سرعان ما يتحول الى حيث العز والكرامة في بلاط آخر . وعلى كل حال فان هذا التنافس قد أبرز من الملكات ما كان خفياً ، ومن الشخصيات ما لولاه لكان نسياً منسيا ، وبذلك كانت الحياة الأدبية في هذا العصر أزهى وأزهر منها في كل عصر آخر من عصور العرب في الأندلس ، فان عدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر لا يكاد يأتي عليه الاحصاء .

وكانت الظاهرة الأدبية الغالبة على أدبائه ومثقفيه بل وفقهائه وعلمائه هي الشعر . . فلا تجد عالماً ولا فقيهاً فضلاً عن أديب لا يتعاطى الشعر ولا ينظم منه شيئاً ولو قليلاً . وقد طغى ذلك على ما عند بعض العلماء فكانت صفته الشعرية أبرز جوانب حياته أو على الأقل تجد جانب الشعر من حياته يتكافأ مع جانب العلم ، كما نرى في أبي بكر بن باجة الذي عرف للعالم بكونه أديباً موهوباً وشاعراً بليغاً كما عرف بكونه فيلسوفاً وطبيباً وموسيقياً ونباتياً بارعاً في الجميع . وكم له من نظير بين العلماء وبين الفقهاء . وقد ترجم الفتح في «القلائد» و «المطمح» لكثير من العلماء وما اعتبر فيهم إلا الناحية الأدبية والشعرية كأنها هي المقصودة بالذات وما زاد عليها فانما هو فضل ونافلة من القول والعمل .

واذا ذهبنا نعرض أسماء الشعراء البارزين في هذا العصر نجد في طليعتهم أبا الوليد بن زيدون الذي يطلق عليه بحتري المغرب [1] لرقة ديباجته وتفننه

(١) ابن بسام الذخيرة ج ل ص ٣٢٦

في ضروب الشعر . وحقيقة فانه اذا كان ابن هانيء كالمتنبي يعتمد في إثارة الشعور على إظهار القوة باصطناع الألفاظ الجزلة وتجسيم الأحداث الخطيرة مع تحكيم العقل فيما يعرض من وقائع الحياة ، فان ابن زيدون كالبحتري انما يعتمد على الناحية الوجدانية فلا ضوضاء ولا جلبة وانما هي معان جميلة وصور سحرية لهواجس النفس وأحاسيس الضمير في ألفاظ رقراقة كالثمرة الناضجة تتدفق مائية وحلاوة . فقارئه اذا كان متفتق الذهن مرهف الحس يشعر كأنه ينطق بلسانه ويعبر عن ذات نفسه ، لأنه يمتزج به امتزاجاً ويهيم معه في أودية الخيال الفسيحة فلا ينتبه لنفسه إلا إذا انتبه الشاعر ، فرجع من رحلته وأفاق من غيبوبته .

ويكفي أن يستعرض الباحث قصيدته الفريدة التي يقولها في التشوق الى حبيبته ولادة بنت المستكفي ليرى حسن الافتنان في الوصف وجمال التصوير للعواطف ورقة الشعور في الحب ، وهي القصيدة التي لم يقل - مع طولها - في التشبيب أرق منها[1] فبعد أن يفتتحها بوصف حاله في البعد وشكوى الزمان في التفريق بينه وبين حبيبته فيقول :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... ونأب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً ، وكانت بكم بيضاً لياليا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانية ... قطوفها ، فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم ، عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

(١) الشقندي

يقول في وصفها ونشأتها الارستوقراطية وتوصله اليها بكفاءة المودة :

وبيت ملك كأن الله أنشأه ... مسكاً وقد أنشأ الله الورى طينا
أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه ... من ناصع التبر ابداعاً وتحسينا
إذا تأود آدته رفاهيـة ... تدمي العقول وأدمته البرى لينا
كأنما نبتت في صحن وجنته ... زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا
ما ضر ان لم نكن أكفاءه شرفاً ... وفي المودة كاف من تكافينا

ويطول بنا الحال اذا تتبعنا ما فيها من عيون الأبيات وفرائد المعاني . وقد ولد ابن زيدون في قرطبة في أعقاب الدولة الأموية ولكنه لم ينبغ ولم يشتهر إلا بعد انقراضها . وخدم ابن جهور في قرطبة والمعتضد بن عباد في اشبيلية ثم ولده المعتمد وزين له غزو قرطبة فملكها . وكان يلقب بذي الوزارتين ، وبلغ في علو القدر ورفعة الشان ما لم يبلغه أديب غيره . وتعشق ولادة بنت المستكفي وكانت أديبة شاعرة إلا ان الوزير ابن عبدون كان ينافسه في حبها واستأثر بها دونه وكاد له بسبب ذلك مكائد . وتوفي عام ٤٦٣ .

وكان ابن عبدون عند بني الأفطس في بطليوس كابن زيدون عند بني عباد باشبيلية ، وهو نظيره في الأدب والشعر . وسيّر في رثاء مواليه لما دالت دولتهم على يد المرابطين قصيدته الخالدة التي يقول فيها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك منصحة ... عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدى مسالمة ... والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه ... يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر
ما الليالي ـ أقال الله عثرتنا ... من الليالي ـ وخانتها يد الغير

في كل حين لها في كل جارحة منا جراح وان زاغت عن النظر
تسرُّ بالتي ، لكن كي تغرَّ به كالأيم ثار الى الجاني من الزهر

... وقد ذكر فيها مصارع الملوك وعظماء الرجال الى زمنه ، ثم بكى بني الأفطس بما لم يبك به شاعر دولة . ومن أبياتها الفذة هذا البيت الذي عبَّر فيه عن عَلَوية في براءة عُلْوية :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

ويقول بعده مشككاً في اغتيال الحسن بن علي بما هو أبلغ من اليقين :

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة الألباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ومنها في ذكر المتوكل وولديه العباس والفضل من بني الأفطس :

ويح السماح ويب البأس لو سلما وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية تعزى سماحاً اليهم لا الى المطر

الى أن يقول :

على الفضائل ـ إلا الصبر ـ بعدهم سلام مرتقب للأجر منتظر

وبالجملة فانه مهما قيل في وصف هذه القصيدة وتقريظها فان القائلين لم يوفوها حقها ولم يكونوا مبالغين فيما قالوه عنها . وأحسن شيء فيها هو ما سلكه ابن عبدون من البكاء والاستبكاء على ضياع ملك سادته ، وإبادة الدهر لهم من غير أن يعرض بخصومهم المرابطين ولا أن يتناولهم بأدنى تجريح ، وتلك لعمري براعة تشهد له بحسن التصرف في القول والتفنن في الكلام . وكان المتوكل بالمكان الذي وصفه ابن عبدون وأعظم نبوغاً في العلوم والآداب مع رسوخ قدم في الجود والشجاعة . ولم يكن في ملوك الطوائف أفضل منه ولا

من المعتمد بن عباد ، فانهما كانا فرسي رهان في جميع الفضائل وخاصة العلم والأدب . وكان المعتمد أشعر والمتوكل أكتب [١] .

واذا ذكرنا المعتمد فلا بد أن نعطي صورة مصغرة عنه وعن أدبه ، فقد كان هذا الملك الشاعر فذاً في الملوك ، فذاً في الشعراء . حتى لقد بلغ من شأنه أنه لا يمكن أن يذكر ملوك الطوائف بل ملوك الأندلس على العموم ولا يذكر المعتمد ، وانه لا يمكن أن يذكر شعراء الأندلس أو الشعر العربي على العموم ولا يذكر المعتمد . وكان مما انطوى عليه من الفضائل واحتواه من المكارم بحيث لو لم يثبت وجوده تاريخياً لقلنا انه شخصية خيالية أضفى عليها الشعر والقصص حللاً وبروداً من الإجلال والتقديس . ففي حالة الشدة والبأس نجده مكافحاً عبقرياً لإثبات ملكه وتوسيع نفوذه ، ومجاهداً متفانياً في صد موجة الاكتساح الاسباني الذي أراد أن يستصفي الأندلس في أواسط القرن الخامس . وفي حالة الرخاء والنعيم نجده ذلك المترف المرفه الذي أسرف في المتاع وأسرف في الاستهتار حتى كان له يوم الطين الذي لم يكُن لملك غيره [٢] . وفي الشعر والأدب نجده ذلك العلم المفرد بين الملوك والرؤساء ، قد انقطع لمطارحة شعراء وقته من وزراء وكتاب بالقصائد البليغة والأبيات النادرة حتى يحسبه الانسان أنه لا شغل له إلا قول الشعر والاجتهاد في إجادته وإحسانه . وكيف لا وقد نشأ في بيت الشعر والأدب والرياسة والملك ، فقد كان أبوه المعتضد وجده أبو القاسم شاعرين . وكان لأبيه دار مخصوصة بالشعراء وديوان تقيد فيه أسماؤهم ، وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه فلا يدخل على الملك فيه غيرهم [٣] .

واجتمع بحضرة المعتمد منهم ما لم يجتمع بحضرة غيره ، فكان عنده ابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة ، وكل واحد من هؤلاء فيه كفاية .

---

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٣
(٢) انظر النفح ج ٢ ص ٤٨٤
(٣) النفح ج ٢ ص ٤٦٨

على أن شخصية المعتمد زادت بروزاً بهذه النكبة التي حاقت به وتركت الأكباد تتقطع حسرة على ما أصابه من أمى وفضيحة بعد سابق العز والسلطان . وزاد شعرُ المعتمد في هذه المدة إثارة للبلابل في الصدور وتحريكاً للشجو والنفوس ، فكان والحق يقال أشجى شعر قيل في نكبة حقت بعظيم . ومن شعره هذا :

لما تماسكت الدموع وتنهنه القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضو ع على فمي السم النقيع
إن تستلب عني الدنا ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطبا ع ، أيسلب الشرف الرفيع
قد رمت يوم نزالهم ألاّ تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـــص عن الحشا شيء دفوع
وبذلت نفسي كي تسيـــل اذا يسيل بها النجيع
أجلي تأخر لم يكن بهواي ذلي والخشوع
ما سرت قط الى القتا ل وكان من أملي الرجوع
شيم الألى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

ومنه في يوم عيد وهو بالسجن :

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مسرورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين ، والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
أفطرتَ في العيد لا عادت إساءته فكان فطرك في الأعياد تفطيرا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً فردك الدهر منهياً ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالأحلام مغرورا

واذا ذكر المعتمد ذكر معه بالطبع ابن عمار وزيره ورفيقه ونظيره في الشعر . وهو ممن كان يذهب مذهب المتنبي ويأخذ أخذه في طلب المعالي والتهمم بالسلطان . وشعره مرآة لنفسه القوية وطبعه الجموح . على أنه كسائر شعراء الأندلس رقيق الغزل لطيف المحاولات لفنون الشعر المختلفة ، وكان قد لحق بخدمة المعتضد بن عباد واختص بولده المعتمد ولزمه ملازمة شديدة حتى صار لا يُرى إلا معه . ولما ولي المعتمد على مدينة شلب من قبل والده استوزره وسلم إليه جميع أموره فغلب عليه ابن عمار غلبة شديدة وساءت السمعة عنها ففرق بينهما المعتضد وأبعد ابن عمار عن ايالته فلم يزل مبعداً حتى توفي المعتضد فاستدعاه المعتمد وقربه أشد تقريب . ثم وقع بينهما ما أوجب سجنه وقتله . وقد تشفع له ابن عمار واستعطفه ببليغ الأشعار فلم يؤثر ذلك فيه شيئاً ، والملك كما يقولون ، عقيم ، لا يرعى على ولي أو حميم . ومن شعره يستعطفه :

سجاياك إن عافيت أندى وأسمح وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية فأنت إلى الأدنى من الله تجنح
وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا سوى أن ذنبي ثابت ومصحح
وإن رجائي أن عندك غير ما يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح
أقلني لما بيني وبينك من رضى له نحو روح الله باب مفتح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم فكل إناء بالذي فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبه فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
ألا إن بطشاً للمؤيد يرتمي ولكن حلماً للمؤيد يرجح

ومن شعره قصيدته التي صارت أشرد من مثل [1] في مدح المعتضد، وكانت سبب تقريبه له . وأولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبرا

ومن أبياتها بيت قال فيه المراكشي صاحب « المعجب » انه لم يسمع لمتقدم ولا لمتأخر مثله [2] وهو قوله :

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب إن كانت بعينك منبرا

وله حين فرق المعتضد بينه وبين المعتمد ، وهو مما تظهر عليه نزعة المتنبي :

عليّ ، والا ما بكاء الغمائم وفيّ ، وإلا ما تباح الحمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب لثأر وهز البرق صفحة صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها لغيري ولا قامت له في مآتم

واذا كان عصر ملوك الطوائف قد انتهى مع هؤلاء الشعراء ، فانه قد امتد مع غيرهم كابن اللبانة وابن خفاجة وسواهما الى عصر المرابطين .. فأما ابن اللبانة فهو أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي من أهل مدينة دانية . وقد اشتهر بوفائه للمعتمد ورثائه له بعد موته ، وهو شاعر من أهل الإجادة والإحسان . وفد على المعتمد في أواخر أيامه ومدحه . ثم بعد زوال ملكه لحق بجزيرة ميورقة وبها مبشر العامري فحظي عنده ، وله فيه أمداح . ومنها قصيدة غريبة المنزع جعلها من أولها إلى آخرها ، صدر البيت غزل وعجزه مدح ، وهي :

وضحت وقد فضحت ضياء النير فكأنما التحفت ببشر مبشر
وتبسمت عن جوهر فحسبته ما قلدته محامدي من جوهر
وتكلمت فكأن طيب حديثها متعت منه بطيب مسك أذفر

(١) الشقندي
(٢) المعجب ص ١١٧

هزت بنغمة لفظها نفسي كما هزت بذكراه أعالي المنبر
أذنبت واستغفرتها فجرت على عاداته في المذنب المستغفر

وأما ابن خفاجة فهو شاعر الطبيعة المبدع في وصف آثارها ومظاهرها ، من الرياض والرياحين والماء والغمام والشمس والظل والجبال والأشجار وما إلى ذلك . لم يلتفت إلى منصب ولا إلى جاه . ملأ جمال الدنيا عينيه فمال بكليته إليه ، يغني ويشرب ، ويشعر ويطرب ، إلى أن توفي بمسقط رأسه من جزيرة شقر . ومن شعره يصف نهراً :

لله نهر سال في بطحاء أشهى ورود من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكنفه ، مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء
والماء أسرع جريه متحدراً متلوياً كالحية الرقطاء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وله في بلاد الأندلس :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت أختار
لا تخشوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وبعد ملوك الطوائف والمرابطين أظل الأندلس ملك الموحدين ، وقد بلغت الى أقصى غايات المجد العلمي والرقي الفكري . ففي عهدهم نبغ الفلاسفة العظام مثل أبناء زهر وابن طفيل وابن رشد ، وزادت النهضة الأدبية اتساعاً حتى أصبح الشعراء يعدون بالعشرات . ولقد جلس لهم المنصور الموحدي يوماً وجاءوا يهنئونه بانتصاره في موقعة حربية ، فكانوا من كثرتهم إنما يلقون البيت الأول من قصائدهم

ويضعون الورقة التي كتبت فيها القصيدة أمامه ، فما انتهى عددهم حتى كانت الأوراق تحول بينه وبين الناس من كثرتها [1] . ولا نستطيع أن نعد جميع الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر ، وانما نقتصر على ذكر ثلاثة أفراد منهم نعتقد أنهم يمثلون عصرهم أحسن تمثيل . وهؤلاء هم الرصافي وابن مجبر وصفوان ابن ادريس .

فالرصافي هو محمد بن غالب البلنسي ، نسب الى رصافة بلنسية ، وكان شاعراً مجيداً نزيهاً عفيفاً ، وله في عبد المؤمن بن علي القصيدة المشهورة التي أولها :

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

وفيها يصف جبل طارق ـ وكان عبد المؤمن يسميه جبل الفتح ـ وصفاً بليغاً ويذكر مجمع البحرين وأسطول الموحدين الحربي ويمدح المهدي ابن تومرت وعبد المؤمن مشبهاً لهما بموسى ويوشع عليهما السلام . وهاك قوله في وصف الجبل :

لله ما جبل الفتحين من جبل معظّم القدر في الأجيال مذكور
من شامخ الأنف في سحنائه طلس له من الغيم جيب غير مزرور
معبراً بذراه عن ذرى ملك مستمطر الكف والأكناف ممطور
تمسي النجوم على إكليل مفرقه في الجو حائمة مثل الدنانير
وربما مسحته من ذوائبها بكل فضل على فوديه مجرور
وأدرد من ثناياه بما أخذت منه مفاحمُ أعواد الدهاريز
محنّك حاب الأيام أشطرَها وساقها سوق حادي العير للعير

وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري من أهل بليش ؛ قرية قرب مالقة ؛ كان من أشعر أهل زمانه وكان مختصاً بالمنصور الموحدي ملازماً له ، وكان المنصور يعظمه ويقدمه على غيره من شعراء وقته وله

(١) النفح ج ٢ ص ٤٣٠

فيه أمداح كثيرة ، وهو القائل في وصف المقصورة « الأوتوماتيكية » التي أنشأها المنصور بجامعه بمدينة مراكش بعد ما عجز الشعراء عن وصفها :

طوراً تكون بمن حوته محيطة ... فكأنها سور من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوءة ... فكأنها سر من الأسرار
وكأنها علمت مقادير الورى ... فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالأمير يزورها ... في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده ... كتكوّن الهالات للأقمار

وأما صفوان بن ادريس فهو أبو بحر التجيبي من أهل مرسية ، كان شاعراً وكاتباً وله كتاب « زاد المسافر » الذي هو أحد المجموعات التي تؤلف خزانة الأدب الأندلسي ، ومن شعره الهمزية المشهورة بين أدباء المغرب وأولها :

جاد الربى من بانة الجرعاء ... نوآن من دمعي وغيم سماء
فالدمع يقضي عندها حق الهوى ... والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت ... تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبيّ وإنما ... ذخر الصديق لآكد الأشياء
يا صاحبي ولا أقلّ ـ اذا أنا ... ناديت ـ من أن تصغيا لندائي
عوجا نجار الغيث في سقي الحمى ... حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن في سقي المنازل سنة ... نمضي بها حكماً على الظرفاء

ويأتي بعد هذا العهد عهدُ غرناطة وملوك بني الأحمر ، وحسبنا أن نذكر غرناطة فنذكر الشعر والشعراء والحياة الأدبية الراقية التي قضتها هذه المدينة في عهد ملوكها الرافلين في حلل النعيم في قصور الحمراء الزاهية وبين ظلال جنات العريف الوارفة . ولا حاجة بنا الى ذكر شعراء هذا العهد ، فان واحداً منهم يكفي للتنويه بنهضة الشعر فيه وهو لسان الدين بن الخطيب الذي ملأ الدنيا شعراً وأدباً ، وعفى ذكره على السابقين واللاحقين من أدباء الأندلس ، فما من مجال

إلا وله فيه ذيل سحب ، وما من موضوع إلا وقد تناوله بذراع رحب ، وبقدر ماله في الشعر من الآيات البينات ، فان له في النثر الفني والكتابة العلمية والتاريخية الآثار الخالدات . وبالجملة فقد كان معجزة قطره ومفخرة عصره ، ولم يبالغ من قال فيه انه شاعر الدنيا وأديب الأندلس ؛ اذا كان يقصد دنيا العروبة في هذا العهد . ولا نستطيع أن نقدم نماذج من شعره تمثل نفسيته وطابعه الأدبي ، فان شعره كثير ومناحيه الفنية متعددة ، فلنقتصر على قطعة أو قطعتين منه «وعن البحر اجتزاء بالوشل» قال ينشوق :

سقى الله نجداً ما نضحت بذكرها ... على كبدي إلا وجدت لها بردا
وآنس قلبي فهو للعهد حافظ ... وقلّ على الأيام من يحفظ العهدا
صبور وان لم يبق لي إلا ذبالة ... اذا استقبلت مسرى الصبا اشعتلت وقدا
وقد كنت جلداً قبل أن يُذهب النوى ... ذمائي وأن يستأصل العظم والجلدا

وقال مخاطباً السلطان أبا عنان المريني وكان وفد عليه من قِبَل سلطانه الغني بالله في جملة من أعيان مملكة غرناطة مستنجداً به ، فحين مثل بين يديه أنشده وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر ... علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ... ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى ... لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس ... لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن بها مذ وصلت حبلهم ... ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الأمر أنه وطن ... في غير عياك ماله وطر
وقد أهمتهم نفوسهم ... فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الأبيات وأذن له في الجلوس وقال له ما ترجع اليهم إلا بجميع طلباتهم . قال القاضي أبو القاسم الشريف شارح مقصورة حازم

وهو من مشائخ لسان الدين وكان معه في هذه الوفادة : «ما سمعنا بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا» . ولا شك أن ذلك من براعة لسان الدين الرائعة وبلاغته الفائقة .

* * *

وهذا الاستعراض على سرعته لا يتم إذا لم نتعرض لنوابغ النساء الأندلسيات في الشعر ، وما كان لمشاركتهن من بليغ الأثر في الحياة الشعرية بالأندلس . وقد بدأ نبوغهن مبكراً في أول عهد الدولة الأموية ؛ لما قلنا من أن الشعر الأندلسي نشأ حضرياً من أول يوم . ونبوغ النساء في العلوم والفنون هو وليد الحضارة والحياة العقلية المترفة .

وقد كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر من الأديبات الشاعرات المتفوقات ، وكانت تعاصرها حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر ، والشاعرة الغسانية ، وحفصة بنت حمدون . واشتهرت بعد هؤلاء عائشة القرطبية التي لم يكن في زمنها من حرائر النساء من يعدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة ، تمدح الملوك وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة ، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء سنة ٤٠٠ [1] . ثم اشتهرت في القرن الخامس مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الشاعرة الأديبة التي كانت تعلم النساء الأدب ، وأم العلاء بنت يوسف الحجازية ومولاة أبي المطرف بن غلبون العروضية ، وولادة بنت المستكفي الشهيرة ، ومهجة القرطبية ، ونزهون الغرناطية ، وحمدونة بنت زياد المؤدب ، والعبادية والدة المعتمد ، واعتماد محظيته وبُثَينة بنته وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح وغاية المنى جاريته . ثم اشتهرت في أوائل القرن السادس الأديبة الشلبية ، وأسماء العامرية وحفصة الركونية وغيرهن ممن استوعب المقري ذكرهن وأتى على كثير من أشعارهن ولطائفهن .

(١) النفح ج ٢ ص ٤٩٢

ونحن نكتفي بذكر اثنتين من هذا العدد الكثير وهما ولادة وحمدونة :

فأما ولادة فهي بنت الخليفة المستكفي بالله ؛ كانت واحدة زمانها في الأدب والشعر ، حسنة المحاضرة لطيفة المعاشرة مع الصيانة والعفاف . وكان ابن زيدون يتعشقها وله فيها القصائد الطنانة والمقطعات البديعة ، وكانت أولاً تطارحه شعراً بشعر وتبادله حباً بحب ، ثم قلبت له ظهر المجن وصارت تهجوه ، وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير . ومن بديع شعرها ما كتبت به الى ابن زيدون :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكتم للسر
ولي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

وأما حمدونة بنت زياد المؤدب فهي التي يقال لها خنساء المغرب لقوة شعرها وسمو إبداعها . ولها المقطوعتان العجيبتان المشهورتان بالمشرق والمغرب واللتان ما زال أهل البلاغة يجعلونهما مثالاً أعلى للنسج على منواله والحذو حذوه وهما : هذه :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة وقلّ حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وهذه :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

* * *

ولعلنا وقد انتهينا من هذا الاستعراض ، قد ظهرنا منه بالرغم من قصره على تلك الظاهرة التي أسلفنا الكلام عليها ، وهي أن هذا الشعر الأندلسي حضري مترف لا جاهلية له ولا بداوة ، وأنه منذ نشأ كان كذلك ، لم يحمل من معاني الشعر الجاهلي وألفاظه ما حمله غيره من الشعر العربي في الأقطار الأخرى غير الأندلس ، ولم يمثل غير نفوس أصحابه ومجتمعهم ومحيطهم .. على أنه لما ضاق به مجال التعبير ، واحتاج الى التحرر من القيود اللفظية لم يخرج عن مواضعات القوم إلا بمقدار ما تسمح به طبيعة اللغة العربية المحافظة على إرث الأجداد ، فاخترع هذا التوشيح الذي هو فن أندلسي محض ، أدخل على الشعر العربي تحسيناً في الصناعة كما جعله ألين مراساً وأسلس قياداً ، مما كان عليه قبل ، إذ كانت القافية تتحكم في الشاعر فتركبه المراكب الصعبة للبلوغ إلى مقصده ، ويضطر بذلك الى استعمال الألفاظ المألوفة وغيرها ، دع عنك سآمة النفس ونبو الطبع عن سماع نغمة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير منذ بدء القصيدة الى نهايتها . وربما تكون طويلة جداً ، ولا كذلك هذا النظام البديع الذي يقوم عليه التوشيح من الأسماط والأغصان ؛ فانه أوقع في النفس وأخف على السمع . وبه ظهرت براعة أهل الأندلس فانهم جددوا وحافظوا في آن واحد ؛ جددوا في أسلوب الشعر ونظمه ، وحافظوا على أوزان العروض والقافية فلم يقعوا فيما وقع فيه بعض أدباء العصر من الدعوة الى نبذ القافية جانباً والتحلل من الأوزان والبحور الشعرية المعروفة ، فلما تناقض عملهم مع طريقة الشعر المعروفة دعوا ذلك بالشعر المنثور ؟ ...

وأشار ابن خلدون الى قريب مما ذكرناه ؛ من أن اختراع التوشيح كان نتيجة لكثرة الشعر وحب التفنن فيه فقال : « أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصاناً أغصانا ، يكثرون منها

ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة »[1] .

وكان المخترع لهذا الفن هو مقدم بن معافى شاعر الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذه عنه ابن عبد ربه صاحب كتاب « العقد » ، ولكن الذي أحكم صناعته ونهج طريقته هو عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية .. قال أبو بكر بن زهر : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بدر تم شمس ضحى غصن نقى مسك شم
ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما أنم
لا جرم من لحا قد عشقا قد حرم

وكان بعد عبادة ، ابن رافع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ثم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقى وأبو بكر بن باجة الفيلسوف الموسيقار المشهور ، ثم محمد بن أبي الفضل بن شرف وأبو بكر بن زهر الحكيم المشهور وسهل بن مالك وغيرهم كثير . واشتهر على الخصوص بين أدباء المغرب موشح ابن سهل الاسرائيلي شاعر اشبيلية وأوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله لسان الدين بن الخطيب فقال :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

وكان ابن الخطيب من المبرزين في صنعة التوشيح شأنه في كل فن من فنون الأدب .

(١) المقدمة ص ٦٨٩

ولا يمتاز الشعر الأندلسي من ناحية الصناعة اللفظية فحسب ، بل إن له مميزات من الناحية الموضوعية لا تكاد تخفى على أحد ممن تعمق في دراسة الأدب العربي على العموم وقارن بين الشعر الأندلسي وغيره من شعر الأقطار العربية الأخرى .. وقد تقدمت الإشارة الى هذه البراعة في الوصف التي تميّز بها الأندلسيون خاصة في وصف مظاهر الطبيعة وآثارها البديعة من الرياض والأزهار والرياح والأمطار والمياه والأنهار وما الى ذلك حتى كان شاعرهم في هذا الباب وهو أبو اسحق بن خفاجة فذاً في شعراء العربية كلهم لم ينافسه أحد منهم في استحقاق لقب شاعر الطبيعة .. ومع ذلك فان موضوعاً آخر لم نر من نبه عليه ، ولم ينتبه اليه الشعراء العرب إلا في هذا العصر الحديث حين وجدت بواعثه وأسبابه ، فصار عندهم من الموضوعات الشعرية الرئيسية ، ألا وهو الشعر الوطني . فالأندلسيون بما كانوا فيه من عراك دائم مع القوات الاسبانية التي تنتقص بلادهم من أطرافها يوماً فيوماً وتحاول أن ترمي بهم خارج حدود الجزيرة الايبيرية في كل وقت وحين ، ولم يزالوا كلما خرجوا من بلدة أو قرية وفقدوا السلطة على مدينة أو ناحية ، يبكون سالف مجدهم وعزهم ويحنون الى معاهد أنسهم ولهوهم ويتفجعون لما نزل بها من الذل والهوان ويستثيرون الهمم لإنقاذها واسترجاعها من يد الكفر والطغيان .. وهكذا تكوّن موضوع جديد فى الشعر العربي وهو الشعر الوطني الذي يضرب على وتر الوطنية ويستغل الحماسة الدينية للجهاد والقتال من أجل تحرير البلاد .

وهذه الوطنية لم تكن عند الأندلسيين شعوراً عابراً ولا فكرة عارضة ، وانما هي عقيدة ثابتة وإحساس متأصل في نفوسهم . يدلك على ذلك كثير من أقوالهم حتى في غير الشعر الذي نحن بصدده .. فمثلاً نجد الفتح بن خاقان عند ترجمته لابن حزم العالم المشهور يفتخر بأنه لم يرحل الى المشرق وأن نبوغه فاق من رحل اليه [1] . ونجد إسمعيل بن حبيب في مقدمة كتابه « البديع في وصف الربيع »

(١) مطمح الأنفس ص ٦٣

يباهي بأنه لم يورد فيه شعراً إلا لأهل بلده الأندلس ، ويزري بأشعار المشارقة التي ابتذلت فلم تعد النفوس تميل الى سماعها ، ثم يشير الى سبق الأندلسيين للمشارقة في أحسن المعاني مجتلى ، وأطيبها مجتنى ، وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتاب (يعني وصف الربيع) فلهم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ، ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه » . ونرجع الى ما كنا بسبيله من الشعر الوطني الأندلسي فنورد منه بعض الأمثلة . يقول أبو المطرف بن عميرة في قطعة بليغة :

زدنا على النائين عن أوطانهم ... وان اشتركنا في الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استسقَوا لها ... من بعد ما شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا ... مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا ... لعدونا ؛ أفيستقيم لها الهوى ؟

ويقول أبو عبد الله الفازاري في قطعة أخرى :

الروم تضرب في البلاد وتغنم ... والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة ... والجند يسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم واحد ... إلا معين في الفساد مسلّم
أسفي على تلك البلاد وأهلها ... الله يلطف بالجميع ويرحم

فهاتان القطعتان من أشجى الشعر الوطني وأبلغه ، ولا تقصران عما ينظم منه الآن في البلاد العربية التي يتلاعب بها الاستعمار[1] .

* * *

ودون هذا وذاك فان هناك فنوناً أخرى من النظم برع فيها الأندلسيون وتفوقوا على غيرهم وان كانت لا تعد من الشعر في حقيقة الأمر ، وهذه مثل الأنظام العلمية التي تضم أشتات العلوم وقواعدها وتتضمن أبوابها وفوائدها ،

(١) انظر فصلا خاصاً بهذا الموضوع في كتابنا « التعاشيب » .

ومن أول الموضوعات التي ضبطها بالنظم وقيدها بالوزن التاريخ ، فلابن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها غزوات عبد الرحمن الناصر [١] . بل قيل ان ليحيى الغزال الذي عاش قبل ذلك بكثير تاريخاً للأندلس منظوماً . وكذا لابن الخطيب تاريخ منظوم وهو المعروف « برقم الحلل في تاريخ الدول » . وفي غير التاريخ نرى منظومة لابن عبد ربه أيضاً في علم العروض وهي في غاية السلاسة [٢] . كما نرى لابن مالك الجياني « ألفية » النحو المشهورة ولابن عاصم الغرناطي « تحفة الحكام في علم القضاء والأحكام » ، وغير هذه المنظومات كثير .

على ان البراعة الحقيقية التي امتاز بها الأندلسيون في هذا الصدد هي الأنظام العلمية الملغوزة . وتختلف طرق الألغاز فيها عندهم ، فبعضها لا تكاد تشعر بأنه نظم علمي ، وانما تقول انه قصيدة شعرية فريدة في حين انه يتضمن اشارات ورموزاً الى قواعد علمية معروفة . وبعضها يكون فيه الرمز واضحاً لا خفاء معه وانما فائدته أنه يتضمن المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة بحيث تشتمل القصيدة ذات الأبيات المعدودة على قواعد علم كامل بجميع مسائله وأغراضه . فالأول كما في قصيدة (غرامي صحيح) لابن فرج الاشبيلي التي ضمنها أصول علم الحديث ولم يصرح بشيء من غرضه فجاءت كأنها قصيدة غزلية بحيث لو عرضت على عربي خالص لما فهم منها إلا ما يفهم من قصائد الشوق والوجد وهذا أولها :

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ودمعي ووجدي مرسل ومسلسل

والثاني كما في قصيدة الشاطبي في علم القراءات ، وهي مشهورة بين علماء هذا الفن ، وتعد من أمهات الكتب فيه . وقد بناها على إشارات الحروف الأبجدية ، وبذلك توصل الى اختصار هذا العلم الواسع وتضمينه في نظم مهما كثر فانه قليل بالنسبة الى سعة موضوعه [٣] .

(١) انظرها في ج ٢ من العقد .
(٢) انظرها في الجزء ٣ من العقد .
(٣) توسعنا في الكلام عن هذا الموضوع في فصل ضمناه كتاب « واحة الفكر » .

... وقد ظهر بهذا العرض السريع وهذه الإلمامة العجلى أن الشعر الأندلسي لم يتأثر بشيء خارجي عنه ، حتى الأدب المشرقي كان تأثره به في دائرة عامة ، وأما السمات الخاصة به فانما كانت من وحي البيئة والمحيط . وهذه العناصر الجديدة التي وجدت فيه مع الأيام سواء في اللفظ أو المعنى إنما كانت ذاتية وتلقائية ، فلا صحة لما يقال من أن الأدب الأندلسي تأثر بالأدب الاسباني وأخذ عنه ، كما أثر هو عن حق في هذا الأدب وكما أخذ هذا الأدب من غير شك عنه . فليت شعري أين هو هذا الأثر ؟ وما هذا الذي أخذه الأدباء الأندلسيون عن الأدباء الاسبان ؟ وأي فن جديد هذا الذي أضافه الأدب الأندلسي الى فنون الأدب العربي باستثناء الموضوع الذي لمحنا اليه وهو الشعر الوطني الذي كان وليد الظروف السياسية الداخلية للبلاد ؟ وما باله لم يُطلّ على دنيا القصص والتمثيل ، إن كان حقاً تأثر بالأدب الاسباني ، وليس في هذا الأخير ما يؤخذ أفضل من هذين الفنين ، لو كانا موجودين فيه إذ ذاك ؟

أما القول بأن مرثية ابن عبدون لملوك بني الأفطس هي من قبيل الشعر القصصي ، وانها تدل على اقتباس هذا الفن من الاسبان ، فانما هو قول من يلقي الكلام على عواهنه ولا يعنى بتحقيق ما يقول . ولهذه المناسبة نشير قبل أن نختم هذه الكلمة ، الى أن هناك قصيدة أخرى شبيهة بمرثية ابن عبدون ، ولكن قل من ينتبه لها مع أنها في غرض الرثاء مثلها وتضمنت من عبر الدهر ما يجعلها مأساة تاريخية كقصيدة ابن عبدون . وهذه هي قصيدة الأعمى التطيلي في رثاء أحد فتيان اشبيلية الأجواد وكان يتعهده ويحسن اليه ، فأصبح قتيلاً ذات يوم . وأولها :

خذا حدثاني عن فل وفلان لعلي أرى باق على الحدثان [1]

عبد الله كنون

(١) انظر قلائد العقيان ص ٢٨٦ — ٢٨٩

الاصطلاحات الفلسفية

-٣-

الاشارة

في اللاتينية Signum

في الفرنسية Signe

في الانكليزية Sign

أشار اليه أوماً ، يكون ذلك باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب الخ .. وأشار به عرّفه ، وأشار عليه بالرأي إذا ما أمره ونصحه ودله على وجه الصواب ، ومبلغ الاشارة كما يقول الجاحظ أبعد من مبلغ الصوت ، وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان (البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٠ مصر ١٩٢٦) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

والاشارة قسمان : اشارة حسية واشارة ذهنية ، أما الاشارة الحسية فتطلق على معنيين أحدهما أن يقبل الاشارة بأنه هنا أو هناك ، وثانيهما أن يكون منتهى الاشارة الحسية أعني الامتداد الموهوم الآخذ من المشير منتهياً الى المشار اليه . وأما الاشارة الذهنية فهي كاشارة ضمير الغائب وأمثالها مما يحتاج في إثباته الى استدلال العقل ، أو كاشارة المتكلم الى معان كثيرة لو عبر عنها لاحتاج الى ألفاظ كثيرة . مثال ذلك قوله تعالى : وغيض الماء ، فانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة المطر وبلع الأرض وذهاب ما كان حاصلاً من الماء على وجهها .

والاستدلال باشارة النص إثبات الحكم بالنظم غير المسوق له ، كما ان الاستدلال بدلالة النص إثبات الحكم بالنظم المسوق له .

وابن سينا يسمي الفصل المشتمل على حكم يحتاج في إثباته الى دليل وبرهان ، بالاشارة ؛ كما يسمي الفصل المشتمل على حكم يكفي في إثباته تجريد الموضوع والمحمول من اللواحق أو النظر فيما سبقه من البراهين ، بالتنبيه . (راجع شرح الاشارات للطوسي ، الجزء الأول ص : ٤ ، من الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ١٣٢٥ هـ) . فالاشارة في اصطلاحه هي الحكم الذي يحتاج إثباته الى دليل ، ويقابله التنبيه ، وهو الحكم الذي لا يحتاج إثباته الى دليل .

وللاشارة في اصطلاحنا ثلاثة معان :

١) الاشارة شيء مدرك بالحواس يجوّز التصديق بشيء آخر غير مدرك أو غير ممكن الادراك . كازدياد النبض ، فهو اشارة الى وجود الحمّى ، وكإضاءة المصباح الأحمر على الخط الحديدي ، فهي اشارة الى مرور القطار ، وكزمر سيارة الاطفائية فهو اشارة الى اندلاع الحريق ، وكذلك الدخان ، فهو اشارة الى النار ، كما أن البكاء اشارة الى الحزن .

٢) الاشارة فعل خارجي مدرك الغرض منه التعبير عن إرادة . والمثال من ذلك انك تشير بيدك الى الرجل فتستوقفه ، أو تطلب منه المجيء اليك ، أو تضع السبابة على فمك طالباً منه السكوت . فأنت تعبر بهذه الاشارات كلها عن ارادتك ، فتأمر وتنهى ، أو تبلغ باشاراتك ما تريد من الأفكار والعواطف .

٣) الاشارة شيء متحقق في الخارج من شكل أو صوت ينوب عن شيء غائب أو غير ممكن الادراك ، وهو يساعد على اخطار هذا الشيء الغائب الى الذهن ، كالاشارات الدالة على المعادن في علم الكيمياء ، أو ينضم الى غيره من الاشارات المجانسة له لإجراء عمليات متعلقة بالأشياء المشار اليها ، كاشارات اللغة واشارات الحساب والجبر وغيرها .

لا جرم ان هذه المعاني الثلاثة تشترك في معنى عام واحد ، وهو أن الاشارة شيء يخبر بشيء آخر أو يعرّف به ويحل محلّه . وهذا يفرض وجود سبب يمنع الوصول الى الشيء المشار اليه ، أو يجعل الوصول اليه صعباً . لذلك كانت الاشارة في غالب الأمر إدراكاً حسياً حاضراً ، أو شيئاً مادياً ، أو شيئاً بسيطاً ، وكانت الأشياء المشار اليها حقائق بعيدة ، أو حقائق غير مادية ، أو عمليات ذهنية ، أو مجموعات معقدة . ولكن هذا المعنى العام لا يخلو من الالتباس ، لأن الاشارة لا تحل دائماً محل الشيء المشار اليه . ان الدخان مثلاً لا يحل محل النار وهبوط (البارومتر) لا يحل محل العاصفة .

وتنقسم الاشارات بنوع آخر من القسمة الى اشارات طبيعية (Signes naturels) واشارات اصطلاحية (Signes artificiels) .

فالاشارات الطبيعية لا تدل على الشيء المشار اليه إلا لعلاقة طبيعية بينها وبينه ، كالدخان الذي يشير الى وجود النار ، أو كالسحب التي تشير الى قرب هطول المطر . ويطلق اصطلاح اشارات التعبير (Signes expressifs) على الاشارات التي تعبر عن حالات النفس وحركاتها ، كاصفرار الوجه المعبر عن الخوف ، واحمرار الوجه الدال على الخجل ، (راجع ظواهر الهيجان في مادة هيجان) . وهذه الاشارات الطبيعية إما بصرية وإما سمعية ، فالحركات الدالة على الهيجان اشارات بصرية ، والصراخ الدال على الألم اشارة سمعية .

والاشارات الاصطلاحية هي الاشارات التي تكون علاقتها بالشيء المشار اليه مبنية على حكم إرادي جماعي . وهي ثلاثة أنواع بصرية وسمعية ولمسية . فمن الاشارات البصرية اشارات الجبر ، واشارات الموسيقا ، والاشارات البحرية ، واشارات الصم والبكم ، واشارات السير ، وحروف الكتابة ، ومن السمعية ألفاظ اللغة ، ومن اللمسية حروف الكتابه المستعملة في تعليم العميان على طريقة (برايل — Braille) .

وبين الاشارات الطبيعية والاشارات الاصطلاحية درجات متوسطة . فأبسط اشارات اللغة الصراخ ، وأصوات التعجب والنداء ، وتقليد أصوات الطبيعة ، وأعلاها الألفاظ الواضحة التعبير ، والاصطلاحات العلمية المستعملة في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها .

والناس لا يتفاهمون بالاشارة الا اذا عرفوا تأويلها وأدركوا علاقتها بالشيء المشار اليه . ان الاشارات لا تدل على علاقات مادية فحسب ، بل تدل على علاقات مادية ممزوجة بتصوراتنا وعواطفنا ، وعلاقة الاشارة بالمشار اليه إنما هي علاقة متصوّرة لا علاقة وجودية .

ان البحث في علاقة الاشارات بالعقل موضوع فلسفي بالغ الخطورة ، لأن اللغة كما قلنا جملة من الاشارات (راجع لفظ اللغة) .

ومن الاشارات ما يستعمل للدلالة على بعض الاعتقادات والمذاهب كاشارة الصليب عند النصارى ، أو اشارات السرّ عند الماسونيين ، ومنها اشارات بروج السماء ، واشارات الجيوش ، واشارات البواخر الحربية .

واذا دلت الاشارة على جملة من التصورات المتشابهة واقتصر عملها على اخطار هذه التصورات في الذهن اصبحت رمزاً (راجع هذا اللفظ) . ويشترط في ذلك (١) أن تكون الاشارة دالة على معنى خاص (٢) وأن تكون علاقتها بالتصورات المتشابهة واحدة .

الاشتراكية

في الفرنسية Socialisme

في الانكليزية Socialism

الاشتراكية مأخوذة من الاشتراك ، تقول اشترك القوم في كذا أي تشاركوا ، وهي اصطلاح جديد يطلق على المذهب القائل ان مجرد الاعتماد على حرية الأفراد في الحياة الاقتصادية لا يكفي لايجاد نظام اجتماعي صالح ، وانه من الممكن ،

لا بل من المرغوب فيه أن يستبدل الناس بالنظام الحاضر نظاماً موافقاً يحقق العدل الاجتماعي ويساعد على نمو الشخص الانساني نمواً تاماً . (لفظ سوسيالزم مشتق من سوسيال «Social» ومعناه الاجتماعي ، استعمله لأول مرة وفي وقت واحد تقريباً السن سيمونيون في فرنسة ، وروبراون في انكلترا . ويظهر ان بيار لورو «Pierre Leroux» أول من أوضح معناه فدل به على مذهب اجتماعي مضاد للمذهب الفردي ، وهو المذهب الذي يعلق حياة الفرد بحياة المجتمع راجع: Revuue Encyclopédique, Novembre 1833, tome LX, pp. 114 - 116).

والمذاهب الاشتراكية كثيرة منها[1] :

١) اشتراكية الذين أنكروا المزاحمة الحرة ، وأنكروا في الوقت نفسه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، ولكنهم زعموا مع ذلك ان المسألة الاجتماعية يمكن أن تحل بتأسيس جمعيات حرة يدخلها المتعاقدون ويخرجون منها بمحض إرادتهم . من هذه المذاهب اشتراكية (روبر أوون - Robert Owen) واشتراكية التكافل (Mutuellisme)، والاشتراكية التعاونية (Coopératisme)، والاشتراكية الجماعية (Collectivisme) ، والشيوعية الفوضوية (Communisme anarchique) .

٢) اشتراكية الذين اعتمدوا على تدخل السلطات العامة ، ولا سيما الدولة ، في تحقيق النظام الاقتصادي الجديد وتثبيته كاشتراكية البلديات (Socialisme Municipal) التي تعد اشتراكية متوسطة بين اشتراكية الجمعيات (Socialisme d'association) واشتراكية الدولة (Socialisme d'Etat) لأنها تقرر إمكان الاشتراك على أساس التعاقد بين بلديات كثيرة .

(١) راجع: Vocabulaire technique et critique de la philosophie, art: Socialisme .

وكاشتراكية الدولة التي ذهب اليها (ماركس) و (انجلس) في بيانهما الشيوعي (Marx et Engels, le Manifeste Communiste 1848) .

تنقسم اشتراكية الدولة الى نوعين الأول ديموقراطي والثاني ارستقراطي . أما النوع الديموقراطي فيهدف الى غاية سياسية ، وهي إقامة الحكم على أساس ديموقراطي يجعل الدولة خادمة لجميع المصالح الشعبية ، لأن الدولة في مذهبهم هي الفيض المباشر لارادة الشعب ، ولأن خدمة الشعب من لوازم ماهيتها . المثال من ذلك اشتراكية (لوي بلان - Louis Blanc ١٩٤٨ ، واشتراكية الماركسيين في أيامنا هذه) . وأما النوع الارستقراطي فيثبت أن انفكاك الفرد عن الدولة وهم باطل ، لأن الفرد إنما وجد لتحقيق الغايات المثالية المجتمعة في الدولة ، ولأن انضمام الفرد الى الدولة هو الواسطة الوحيدة لتثبيت حقوقه . (المثال من ذلك مذهب هيجل ، وكارليل ، ورودبرتوس ، وآدولف فغنر) . ان هذه الاشتراكية مضادة للفردية الفرنسية والانكليزية التي انتشرت في القرن الثامن عشر .

٣) اشتراكية الذين زعموا أن تأسيس النظام الجديد لا يتم بالقهر والقسر ، بل يتم بالطرق الشرعية . وتسمى اشتراكيتهم هذه باشتراكية الاصلاح ، أو اشتراكية التطور (Socialisme réformiste ou évolutionniste) .

٤) الاشتراكية الثورية (Socialisme révolutionnaire) وهي القول ان النظام الجديد لا يتحقق إلا بثورة العمال أي بتبديل السلطات العامة والقوانين الحاضرة بطريق الانقلاب والقهر والقوة .

٥) الاشتراكية الخيالية أو الطوبوية (Socialisme utopiste) وهي التي تتخيل مجتمعاً فاضلاً يحقق لأفراده في المستقبل جميع أسباب السعادة كالمدينة الخيالية التي تصورها (توماس موروس - Thomas Morus) أو كالنظام الاجتماعي الذي تخيله كل من (سن سيمون Saint - Simon) و(فوريه - Fourier) .

٦) الاشتراكية التجريبية (Socialisme cxpérimental) ، وهي القول ان تعريف النظام الاقتصادي الذي ينشأ عن الغاء النظام الرأسمالي والتنبؤ به قبل بلوغه محال . المثال من ذلك النقابية (Syndicalime) التي ذهب اليها (جورج سوريل - Georges Sorel) ، والماركسية المعاصرة ، والاشتراكية الفوضوية (Socialisme anarchiste) وغيرها .

وجميع هذه المذاهب على اختلاف طبقاتها وأنواعها تشترك في الأصول الآتية :

آ — الإيمان بالحتمية الاجتماعية . فاشتراكية (سن سيمون) و (فوريه) و (برودون) مبنية على فلسفة التاريخ وحتمية وقائعه ، كما ان اشتراكية (كارل ماركس) العلمية مبنية على المادية التاريخية (matérialisme historique) .

ب — تنظيم قوى الانتاج وربط الوظائف الاقتصادية بالدولة أو بمراكز موجهة . ويعبرون عن ذلك بقولهم ان الاشتراكية هي تصنيع الدولة أو تخليق الصناعة . حتى لقد قال دوركهايم : « تطلق الاشتراكية على كل مذهب يريد أن يربط جميع الوظائف الاقتصادية المشتتة أو بعضها بالمراكز الاجتماعية الواعية والموجهة (Rev. Meta, Juillet 921, p 494) . لايدرك الأفراد حريتهم الحقيقية إلا إذا نظمت الحياة الاقتصادية تنظيماً عادلاً . فليست الاشتراكية مضادة للحرية ولا للفردية بل الفردية الكاملة والمنطقية تستلزم الأخذ بالنظام الاشتراكي .

ج — الاعتقاد ان العمل هو الأساس الشرعي لكل تملك ، ولولا هذا الاعتقاد لما انتقد الاشتراكيون نظام التملك الفردي ، لأن هذا النظام في نظرهم يجلب لبعض الأفراد دخلاً من دون عمل ويحرم العمال نتائج سعيهم وتعبهم . فالاشتراكية لا تلغي إذن حق الملك الفردي ، بل تقيم هذا الحق على أساس شرعي ، وتريد أن تحسن حال الطبقة الفقيرة الكادحة . فلا ملك إلا لمن يكدح في العمل ، ولا حق في الحياة إلا لمن يستحق الحياة . (راجع : تعاونية ، وتكافل ، وجماعية ، وحرية ، وشيوعية ، ونقابية) .

الاشتقاق

في اللاتينية Derivatio

في الفرنسية Dérivation

في الانكليزية Derivation

الاشتقاق في اللغة هو أخذ شق الشيء ، تقول اشتق الكلمة من الكلمة أي أخرجها منها ، وهو عند أهل العربية أن تجد بين اللفظين تناسباً في أصل المعنى والتركيب فترد أحدهما الى الآخر ، أو هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يناسب معناه . فالمأخوذ مشتق ، والمأخوذ منه مشتق منه . والاشتقاق ثلاثة أقسام : (١) الاشتقاق الصغير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب نحو ضرب من الضرب . (٢) الاشتقاق الكبير ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جبذ من الجذب . (٣) الاشتقاق الأكبر ، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق من النهق . (راجع تعريفات الجرجاني ، الاشتقاق) .

والاشتقاق في العلم الرياضي هو البحث عن مشتق تابع (Dérivée d'une fonction) . ويعرفون مشتق التابع بقولهم هو نهاية نسبة تزايد التابع الى تزايد المتحول عندما ينتهي تزايد المتحول الى الصفر . وينتج عن ذلك : أن التابع يكون متزايداً أو متناقصاً في مجال ما عندما يكون مشتقه موجباً أو سالباً في ذلك المجال ، وانه يكفي لايجاد قيم المتحول ، التي تجعل التابع أعلى أو أدنى ، و أن تبحث عن القيم التي تجعل مشتق هذا التابع مساوياً للصفر . وان المثل الزاوي للماس في نقطة من منحني تابع ما يساوي قيمة المشتق العددية الموافقة لفاصلة هذه النقطة .

والاشتقاق في علم الري هو أن تشتق من النهر قناة موازية له ، كما ان الاشتقاق في علم الطب هو أن تحول السبب المرضي الى ناحية أخرى من البدن .

والاشتقاق في علم النفس هو أن تستبدل بالفعل الموافق للظروف ، المحتاج الى توتر نفسي عال لا يستطيع المرء تحقيقه ، افعالاً أو ارتكاسات سهلة غير نافعة أو غير موافقة . فاذا خف التوتر أو الاشتداد النفسي حلت محل الأفعال العالية حوادث وطيئة كالفعل والادراك الخاليين من الغرض ، والتخيل الوهمي ، وارتجاج الدماغ والقلب والأحشاء ، واضطراب الحركات . ويسمى احلال هذه الحوادث الوطيئة محل الأفعال النفسية العالية بالاشتقاق النفسي . ولكن الاشتقاق لا يقتصر على استبدال الوطيء بالعالي ، لأن هناك اشتقاقاً يحول النزعات والغرائز والميول الضارة الى ميول نافعة . والدليل على ذلك ان وراء الحياة النفسية الظاهرة حياة مظلمة مؤلفة من النزعات الخفية والأحلام المكبوتة ، فاذا استبدل الانسان بالميول المكبوتة ميولاً مباينة لها في الظاهر ومطابقة لها في الباطن سمي فعله هذا باشتقاق الميول أو تحويلها ، فيتحول الطمع الى قناعة والطموح الى كرم ، واذا غير الانسان أهداف ميوله فرفعها من طور أدنى الى طور أعلى سمي فعله هذا بالتصعيد (Sublimation) ، فتنقلب الغريزة الجنسية الى نزعات أسمى منها كالعشق ومحبة الجمال والشعر والموسيقا . (راجع Pierre Janet, les névroses 2e prtie ch. IV. 4 ، راجع أيضاً اصطلاحات اللاشعور ، والتصعيد ، والكبت ، والتحليل النفسي) .

الاشتهاء

في اللاتينية	Appetitio
في الفرنسية	Appétition
في الانكليزية	Appetence

اشتهى الشيء وتشهاه أحبه ورغب فيه رغبة شديدة ، والاشتهاء أو التشهي اصطلاح يستعمله الفيلسوف (ليبنيتز) للدلالة على الفاعلية التي يتصف بها المناد

« Monade » (راجع هذا اللفظ) . قال : « الاشتهاء هو فعل المبدأ الداخلي الذي يحدث التغير أو الانتقال من إدراك الى آخر . نعم ان الشهوة لا تستطيع دائماً أن تصل الى كل الادراك الذي تنزع اليه ، ولكنها تدرك منه دائماً بعض الشيء وتنتهي إلى إدراكات جديدة » ، (راجع Leibnitz, La monadologie, 15) .

والمناد في نظر (ليبنيتز) جوهر روحي متوسط بين الصور العقلية والجواهر الفردة الجسمانية ، وهو جوهر بسيط لا يولدولادة طبيعية ، ولا يموت موتاً طبيعياً ، وله طبيعة داخلية شبيهة بطبيعة النفس البشرية . وهو متصف بالإدراك الذي يهب له ذاتية شخصية تجمع بين الكثرة والوحدة . ومن صفاته أنه دائم التغير ، دائم الانتقال من حال الى آخر ، وانه ذو شعور وحياة وفاعلية عفوية ، وان حالاته المختلفة تؤلف وحدة لا مادية ، فهو إذن قوة ونزوع وفعل ، والاشتهاء هو تلك الفاعلية الروحية التي يتصف بها المناد ، وله وجهان أحدهما خارجي والآخر داخلي ، فاذا نظرت الى الاشتهاء من الناحية الخارجية كان قوة طبيعية ، واذا نظرت اليه من الناحية الداخلية كان نزوعاً ورغبة وشوقاً وإرادة . وجميع تغيرات المناد انما هي نتيجة لهذا الاشتهاء ، وهي تغيرات متصلة ، فكل حالة حاضرة ناشئة عن حالة سابقة ، وكل تغير فهو مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل .

الاشراق

في اللاتينية	Illuminatio
في الفرنسية	Illumination
في الانكليزية	Illumination

الاشراق في اللغة الاضاءة والانارة ، يقال أشرقت الشمس طلعت وأضاءت وأشرق وجهه أي أضاء وتلألأ حسناً ، وأشرق المكان أنار باشراق الشمس ، وأشرقت الشمس المكان أنارته .

وفي اصطلاح الحكماء هو « ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية » (السهروردي ، حكمة الاشراق ، طبعة كُربين طهران ١٩٥٢ ، ص ٢٩٨) .

وحكمة الاشراق (Philosophie illuminative) هي الحكمة المؤسسة على الاشراق الذي هو الكشف (راجع هذا اللفظ) ، وهي عين حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس ، وهذا المعنى يرجع في الحقيقة الى المعنى الأول لأن حكمة المشارقة أيضاً ذوقية وكشفية ، ولا فرق بهذا الاعتبار بين حكمة الاشراق والحكمة المشرقية (Philosophie orientale) التي تكلم عنها ابن سينا ، لأن الشرق هو المنبع الرمزي لإشراق النور . وتختلف حكمة الاشراق عن الفلسفة الارسطية بأنها مبنية على الذوق والكشف والحدس ، في حين ان الفلسفة الارسطية مبنية على الاستدلال والعقل . واكتساب النفس للمعرفة في فلسفة ابن سينا لا يتم بالاحساس ولا بالخيال ولا بالوهم بل يتم بالعقل ، وأعلى درجات العقل الإنساني العقل المستفاد الذي يتلقى الاشراق من العقل الفعال . قال ابن سينا : « فان الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس في قبول الفيض كما ان الحدود الوسطى معدة بنحو أشد تأكيداً لقبول النتيجة وان كان الأول على سبيل ، والثاني على سبيل أخرى ، كما ستقف عليه ، فيكون النفس الناطقة إذا وقعت لها نسبة ما الى هذه الصور بتوسط اشراق العقل الفعال ، حدث فيها منه شيء من جنسها من وجه وليس من جنسها من وجه » (ابن سينا ، كتاب الشفاء ، الفصل الخامس ، من المقالة الخامسة ، من الفن السادس من الطبيعيات ص ٣٥٦ من طبعة طهران) .

وقد بين السهروردي صاحب حكمة الاشراق انه لا شيء أظهر من النور ولا شيء أغنى منه عن التعريف ، فالشيء في نظره ينقسم الى نور وضوء في حقيقة نفسه أي في ذاته ، والى ما ليس بنور وضوء في حقيقة نفسه وهو الظلمة ، فان الظلمة هي عدم النور .

أما النور في نفسه ولنفسه فيسمى بالنور المجرد والنور المحض . وهذا النور المجرد إما أن يكون محتاجاً وفقيراً كالعقول والنفوس ، وإما أن يكون غنياً مطلقاً لا افتقار فيه بوجه من الوجوه ، إذ ليس وراءه نور ، وهو الحق سبحانه ، ويسمى نور الأنوار ، والنور المحيط ، والنور القيوم ، والنور المقدس ، والنور الأعظم الأعلى ، ونور النهار ، والنور الاسفهبد ، لأن الاسفهبد في اللغة الفهلوية زعيم الجيش ورأسه .

وأما ما ليس بنور في حقيقة نفسه فيقسم الى مستغن عن المحل كالجوهر الغاسق فانه مظلم لا نور فيه ، والى ما هو هيئة لغيره كالنور العارض أو العرضي ، وهو لا يقوم بذاته ، بل يفتقر الى محل يقوم به سواء كان محله الأجسام النيرة كالشمس أو الأجسام المجردة .

وكل جسم فهو في وجوده مفتقر الى النور المجرد ، والنور هو الظهور ، ونسبة النور الى الظلمة كنسبة الظهور الى الخفاء . وخروج الموجودات من العدم الى الوجود انما هو خروج من الظلمة الى النور ، فيكون الوجود كله نوراً ، بهذا الاعتبار ، ويكون أقرب الموجودات الى نور الأنوار أكثرها كمالاً ، ويكون أبعدها عنه أقلها نوراً وبهاءً ، والمثل الأعلى للحكيم أن يتوغل في التأله والبحث . واذا كانت السياسة بيد حكيم متأله كان الزمان نورياً . واذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبة (راجع كتاب حكمة الاشراق لشهاب الدين السهروردي ، نشره المستشرق هنري كربين في مجموعة دوم مصنفات شيخ اشراق ، بطهران سنة ١٩٥٢ ، وكتاب « Avicenne et le rècit visionnaire » لهنري كُربين Henry Corbin أيضاً طبع في طهران سنة ١٩٥٤) .

(يتبع) جميل صليبا

أفكار أبي حنيفة الدينوري
في العلوم الطبيعية

إنّ أبا حنيفة أحمد بن داود بن ونند الدينوري من كبار علمائنا في القرن الثالث للهجرة . ومن أشهر تآليفه كتاب النبات الذي كان في ستّ مجلدات كبار ، وكان شرحه محمد بن معمر ابن اخت غانم في ستين مجلدة كما ذكره المقّري في نفح الطيب ، وكفى من فضله ما يقول عنه الفاضل الألماني زِلبربرْج[1] (وكان نباتياً ومستشرقاً معاً) : ان اليونانيين بلغوا الى ما بلغوا في علم النبات في مدّة ألف سنة (ومنتهى علمهم كتاب ديسقوريدس) ؛ ولكن ما بلغ إليه المسلمون في قرنين أو ثلاثة فاق اليونانيين بكثير . ومما يجدر بالذكر ههنا أنّ كتب النبات اليونانية لم تكن تترجم الى اللغة العربية قبل وفاة الدينوري . فعلمه علم المسلمين وعلم الشرق .

إنّ نسخة كتاب النبات كانت موجودة زمن الأتراك في إحدى مكاتب حلب ، كما تذكر فهرستها ، ولكن لا توجد هناك منذ عدة سنين . ويوجد المجلد الخامس منه في مكتبة جامعة استانبول (وقد نشر النصفَ الثاني من هذه المخطوطة المستشرقُ برنارد ليوين من أهل أبسالا بأسوج . ويشتمل على قاموس أبجدي للنباتات من حرف الألف الى الزاي) . والمجلد الثالث منه أيضاً يوجد في مكتبة جامعة يَيل (Yale) في أميركا ، ولكن قواعد تلك المكتبة التي

(1) Bruno Silberberg, Die Pflanzenbuch des Abū Hanīfa ad-Dīnawarī, ein Beitrag zur Geschichte der Botanik bei den Arabern (Zeitschrift der Assyriologie, Strassburg, 1910. pp. 225 - 60; 1911, pp. 39 - 68.

كتب بها إليّ مدير تلك المكتبة تجعله صعب الاستفادة لي . وكنت قد ظفرت بقطعة من هذا الكتاب في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بك في المدينة المنورة لما كنت هناك في السنة ١٩٤٦ م ، فنقلتها بيدي .

انّ كثيرين من العلماء اعتنوا في السنين الحالية بالأفكار النباتية عند أبي حنيفة الدينوري ، خاصة زلبربرج الألماني ، وأحمد عيسى بك المصري ، والأمير مصطفى الشهابي السوري . ولكن لم يعتن أحد الى الآن ، فيما أرى ، بأفكاره وآرائه في العلوم الطبيعية .

لما تصفّحنا قطعة المدينة المنورة ، والمجلد الخامس من كتابه (أي مخطوطة استانبول) وكذلك اقتباساته التي توجد في كتب اللغة ـ مثل المحكم لابن سيده ، والصيدنة للبيروني ، والمفردات للغافقي ، وغير ذلك من المخطوط والمطبوع الذي وصل الينا من حسن حظّنا ؛ وقد جمعتُ تلك الاقتباسات في ١٥٠٠ صفحة تنتظر الطبع ، وفيها أيضاً القاموس الأبجدي للنباتات من حرف السين الى الياء ـ وجدنا أن أبا حنيفة الدينوري يذكر في أثناء توصيف النباتات المختلفة أشياء كثيرة تتعلق بالعلوم الطبيعية . لستُ من المتخصصين ولا من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، وليس غرضي من هذه الأسطر القليلة إلا لفت أنظار زملائي المتخصصين بالعلوم الطبيعية أن يعتنوا أيضاً بهذه الناحية ليكملوا تأريخ العلوم الطبيعية عند المسلمين وعند العرب .

أنا ألتقط بعض ما كتب الدينوري عن المسائل الطبيعية ، على سبيل المثال ، من قطعة كتابه التي توجد في المدينة المنورة ، وسيتمكّن القاريء منها أن يعرف آراء الدينوري خاصة في مسئلة النار :

(١) باب في وصف الزناد : وهذا باب جمعت فيه أحسن ما حضرني من وصف الزناد ، ومن أيّ الشجر يختار ، وكيف يقتدح بها .

أفضل ما اتُّخذت منه الزناد شجرتا المَرْخ والعَفار . فتكون الانثى ، وهي الزندة السفلى ، مرخا ، ويكون الذكر ، وهو الزند الأعلى ، عفارا .

واختُلف في العفار . فزعم بعض أهل الرواة وبعض الأعراب أيضاً أنه ضرب من المرخ . ولا أحسب كذلك ، وان كان الزندان جميعاً كثيراً ما يكونان من الشجرة الواحدة . وأخبرني بعض علماء الأعراب أن العفار شجر يشبه شجر الغُبيراء ، منظره من بعيد كمنظره . وأما المرخ ، فقد رأيته ؛ وليست صفته هذه الصفة . المرخ ينبت قضباناً سمحة طوالاً سلباً ، لا ورق لها ... ومن فضيلة المرخ في كثرة النار وسرعة الوَرْي ما ذكر أبو زياد الكلابي فانه قال : ليس في الشجر كله أورى زناداً من المرخ . قال : وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً ، فهبّ الريحُ ، فحكّ بعضه بعضاً ، فأورى ، فاحترق الوادي كلُّه . قال : ولم نر ذلك في شيء من الشجر . وهذا شيء من أمر المرخ معروف . وقد ذكر غير أبي زياد أيضاً . (ورقة ٢٤٨/ب — ٢٤٩/ ألف) .

(٢) [صفة الزناد والاقتداح بها] . وصفة الزندة : انها عود مربَّع في طول شبر أو أكثر ، وفي عرض اصبع أو أشفّ . وفي صفحاتها ، وهي خدودها ، فُرَض ، وهي نقر . الواحدة منها فُرضة ؛ وتجمع أيضاً فِراضاً . والزند الأعلى نحوها غير أنه مستدير ، وطرفه أدقّ من سائره . فأما وصف الاقتداح بها ، فانّ المقتدح اذا أراد أن يقتدح الزناد ، وضع الزندةَ ذاتَ الفرض بالأرض ووضع رِجليه على طرفيها ، ثم وضع الزندة الأعلى في فُرضة من فراض الزندة ـ وقد تقدّم ـ فهيّأ في الفرضة مجرى للنار الى جهة الأرض بحزّ ، وقد حزّه بالسكين في جانب الفرضة . ثم فتل الزند بكفه كما يَفتُل المثقب . وقد ألقى في الفرضة شيئاً من التراب يسيرا ، يبتغي بذلك الخشونة ، ليكون الزند أعمل في الزندة . وقد جعل الى جانب الفرضة عند منفضى الحزّ ريشة تأخذ فيها النار . فاذا فتل الزند ، لم يلبث الدخانُ أن يظهر . ثم يتبعه النار ، فتنحدر في الحزّ ، وتأخذ في الريشة . وتلك النار هي السقط ... وقال أبو زياد : يقال ارتجل فلانٌ الزندةَ اذا وضعها تحت ابهامَي رِجليه ، أو

جرّ في رجليه . ثم يجعل الزند في فرضة الزندة ، ثم يدير الزند في الفرضة ، وتحت الزندة خرقة ، ويعكّي الدخان . والتعكية تصعيد الدخان في السماء . فاذا خرجت النار ـ وانما تخرج في تلك الحكاكة التي خرجت بين الزندين ـ فصارت في الخرقة ، ضَمّ الخرقةَ عليها وطرح الزندين ... فالريّة كل ما أوريتَ به النارَ من خِرقة أو عطبة أو قشرة ... فان كان بعرة ففتّها ليأخذ فيها النارَ ، فهي فتّة ... وقال أبو زياد : خرفع العُشَر من أجود الحُرّاق ، يعني للزناد . وضروب الحرّاق كثير ، فمنها قشر شجر السِيداق الذي يغسل برمادها الكتّان . (ورقة ٢٥٠ / ألف — ٢٥٥ / ألف) .

(٣) كشّ يكِشّ كشًّا : صوّت ؛ وسمعت كشّة الزند ، وذلك إذا همّ الدخان أن يتحوّل ناراً من قبل أن يقوى حرارتُه ، فيحدث من ذلك كما يحدث من الحطب إذا اندفع من جوفه دخان شديد الانزعاج كأنه النفخ ، وأرادت النار العَلوق به فلم تقدر لقوّة اندفاع الدخان ، فحدث بينهما الصوت الذي يقال له « النَحيح » . (ورقة ٢٥٤ / ألف) .

(٤) وإذا كان الصوت من الحطب ، فذلك « نَقيض » و « كَصيص » . وإذا اشتدّ ، كان فَرقعة كفرقعة المِلح . وأكثر ما يكون ذلك إذا ركبه ملح ، أو يبس من ذاته ، أو كان نِقدا فيه القَتَع ـ وهو الأكل ـ أو كان رطباً ، أو مستكنًّا فيه ماء . (ورقة ٢٥٨ / ألف) .

(٥) باب في ألوان النيران والأرمدة والأدخنة ... فأما الجمر ، فلون جميع الحطب لون واحد أو قريب . ولكن في ألوان اللهب اختلاف ، وكذلك في ألوان الأدخنة والأرمدة . فاختلاف ألوان الأدخنة علّة اختلافِ ألوان اللهب . واختلاف أجناس الحطب ، مع اختلاف أحواله في الرطوبة واليبس ، علّة اختلافِ ألوان الأدخنة والأرمدة . على أنّ الأرمدة يلحقها اختلاف الألوان من جهة أخرى ، وهو النحو الذي ينطفئ عليه الجمر . وقد يعرض مثل

هذه العلة للدخان أيضاً . فأما العلة التي تعرض في اختلاف ألوان الدخان من قِبل اختلاف جنس الحطب فكالذي يعرض لدخان التَّنضُب فانه أبيض في مثل لون الغبار . ولذلك شبَّه الشعراء الغبارَ به . . . ودخان الرِمث أشدّ سواداً من دخان التنضُب ، ولم يبلغ أن يكون أسود ، ولكن أورق كلون الذِئب . ولذلك شبّهت العربُ لونَ الذئب بلون دخان الرِمث ، والذئب أورق . (ورقة ٢٥٩/الف ـ ٢٥٩/ب) .

(٦) [ماهية النار والدخان] : قالوا : إنّ لهب النار على قدر ألوان الدخان . فكلما مال الدخان الى البياض مال لون اللهب الى الشقرة . وكلما كان الدخان أشدّ سواداً كان اللهب أشدّ حمرة . حتى اذا اشتدّ سواد الدخان اكمأتّ اللهب . وبين دخان الحطب الواحد في أوّل ما تشتعل فيه النار ، وبينه إذا توسّطت الحال ، واذا تناهى حمْي الحطبِ وقهرته النارُ ، اختلاف كثير . فانّ النار في أول ما تأخذ من الحطب يكون لهبها أقرب الى السواد . ولا سيما ان كان الحطب رطباً . ثم ترى اللهب يصفو ويميل الى الشقرة على قدر احتدام الحطب ورقّة دخانه . حتى اذا كان أخيراً وذكت النار ورقّ الدخان ، اشقارّ اللهب . حتى اذ انقطع الدخان الغليظ البتة وعاد الحطب جمراً ذا كيّ متوهّجاً ، رأيت له لهباً لطيفاً قليل الشقرة قريباً من البياض . وذلك هو الأُوار . وما بقي له من لون حينئذ فهو من قِبل جنس الجمر . ألا ترى أنّ أُوار الحُمم أخضر . وذلك لغلبة السواد على الفحم . وانما اللهب دخان حمي فآض ناراً . وكل شيء يحمرّ حتى يتناهى في الحرارة ويحوّل ناراً . وانما النار دخان انتهى في الحرارة ، أو جمرٌ . ألا ترى أن كل شيء لا دخان له ، فانك إذا أحميته آض جمراً من غير أن يكون له لهب ، كالحجارة والحمم والحديد وما أشبه ذلك . وان كان في الحمم بقية من الصنف الذي يصير من الحطب دخاناً ، صارت تلك البقية أوارا ، وهو أرقّ من الدخان وألطف . ولذلك يكون لون الأوار أيضاً أضعف

الألوان وأرقّ من لون اللهب . قال الأموي : الأوار مقلوب : أصله كان الوءار ، كما قالوا « يئس » ثم قالوا « أيس » . واذا عريت النارُ من دخان أو أوار أو جمر ، كانت بيضاء خالصة من البياض . كلون نار المياة التي تقوم مقام القدّاحة ، وكلون نار المِرآة المحرّقة . فانّ هاتين النارين بيضاوان من أنه لا دخان هناك ، ولا جمر . واذا ألهبنا الريّة المدخّنة ، كان اللهب الساطع من الرية أحمر من أجل الدخان . وانما ألهبتها نار بيضاء كالبَردة . وليس هذا الكتاب موضع هذا الكلام لولا أن قوماً ممن ينظر في اللغة التبس عليهم أمر النار فيما وصفنا منه ، حتى ذهبوا مذاهب بعيدة ناكبة عن القصد . (ورقة ٢٦٠/ألف ـ ٢٦٠/ب) .

(٧) ومن النبات ما يستوقد رطباً ، كما يستوقد اليابس . وأكثر ذلك من أجناس الحمض . وأفضل الحمض القَيسَب ، فانه ليس بين رطبه ويابسه فرق . (ورقة ٢٦١/الف) [وفي لسان العرب وتاج العروس في مادّة قسب ما يأتي : « والقيسب ضرب من الشجر . قال أبو حنيفة : هو أفضل الحمض . وقال مرّة : القيسبة ، بالهاء شجيرة تنبت خيولاً من أصل واحد ، وترتفع قدر الذراع . ونَورتها كنورة البنفسج . ويستوقد برطوبتها كما يستوقد اليبيس] .

(٨) ونيران الأدهان والصموغ والكباريت والزرانيخ شديدة اختلاف الألوان . منها الأسود ، ومنها الأخضر ، ومنها الأصفر ، ومنها الأحمر ، ومنها الأورق ، ومنها الأشهب ، في ألوان كثيرة غير محدودة .

وكذلك أرمدتها ، وأرمدة الأحطاب وحرّاقات الأشياء . فانّ منها الأسود والأصفر والأخضر والأحمر . وترى رماد النار العظيمة أصنافاً . وهو رماد ساعته ، فترى ظاهره بخلاف وسطه ؛ ووسطه بخلاف أسفله . وفيه الأبيض والأسود والخصيف . ولذلك قيل للرماد أخرج ؛ والخُرجة لونان يختلفان . وقيل له أيضاً أورق وخصيف . ورماد الحجارة ، وهو الكلس ، أشدّ بياضاً . وكل ذلك على قدر الشيء المحترق ، وعلى قدر حاله في النفَس والاختناق ،

وبلوغ الغاية وقصوره عنها ، وعلل بين ذلك يدل مذكورها على ما لم يُذكر ...

والطائفة المشعلة من النار : « شِهاب » ، والجمع : شُهُب . قال الشاعر ، ووصف الشعرى العَبورَ فشبّهها لعظم نورها بشهاب نار :

وقد غارت الشعرى العبور كأنها شهابُ غَضاً يرمى به الرجوانُ

واختار الغضا لذكاء ناره . وليس في الشجر أذكى ناراً ولا أبقى جمراً منه ، يقال انه ربما أوقدت منه النارُ العظيمة ، ثم يرتحلون فتهمد أولاً أولاً ويبقى الجمر في عُقرها تحت الرماد الحينَ الطويل وقد هبّت عليه الأرواحُ وضربته الأمطار فدافع عنه ما فوقه من الرماد . أخبرني بذلك غير واحد . ولا أعلم ، بعد الغضا ، أكثر ناراً وأقل رماداً من حطب القَرَظ . أخبرني غير إنسان أنهم كانوا يوقدون ، وهم بمصر ، بحطب السَّنْط (وهو قرظ ينبت بنواحي سُوان) ، قالوا : فكنّا ربما أوقدنا به النهار كله والليل كله فلا نجد من الرماد إلا اليسير مع ذكاء وقوده ... والعَصَل فى ذلك مثل الغضا . والعصل يشبه الدِفلَى . وكذلك حطب المَلْظ ، ويتخذ منه داذِين يستوقد استيقاد الشمع . ويتخذ من أطراف العصل فِلْي . والضُبار أيضاً كذلك في جودة الحطب . وليس في الشجر اذا اشتعلت فيه النار وهو رطب أشد فرقعة منه ؛ انما هو بمنزلة المَخاريق . (ورقة ٢٦١ / ألف ـ ٢٦٢ / ألف) .

محمد حميد الله

ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت

- ١ -

وجّه مجمع العلوم السوفيتي دعوة الى المجمع العلمي العربي بدمشق لتكليف أربعة من أعضائه بالسفر الى بلاد الاتحاد السوفيتي ، وكانت الغاية كما جاء في نص الدعوة الاطلاع على النشاط العلمي واطلاع العلماء السوريين على نشاط المؤسسات العلمية والثقافية وحياة الشعب السوفيتي .

وقد كلّف رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق كلاً من الأعضاء : الأمير جعفر الحسني والشيخ محمد بهجة البيطار والدكتور سامي الدهان وكاتب هذه الكلمة ، وكان مني أني لم أتردد لحظة في قبول هذا التكليف الذي صادف هوى في نفسي وقد جبلت على حب السفر والسياحة في أرض الله الواسعة ، فسرعان ما تهيأت للأمر واتخذت له عدته ، ولم تمض أيام حتى أنهيت ترتيب شؤوني الخاصة في جانب المعاملات الرسمية التي انتهت في غاية من السرعة ، وغادرت دمشق صحبة الزملاء المذكورين مساء الأحد الواقع في ٣١ من تشرين الأول سنة ١٩٥٤ على متن احدى طائرات شركة S A S التي انطلقت بنا في الجو الرحب مع ركابها الذين يربون على الخمسين ، وكانت تطوي الفضاء تعلو السحب تارة حاجبة عنا رؤية اليابسة والبحر ، وتخترقها تارة اخرى دون أي انزعاج ، ناهيك بمضيفاتها الحسناوات اللواتي تم بهن تلطيف وعثاء السفر وتخفيف وحشة الانطلاق في هذا الفضاء ، ونحن في ارتفاع عن الأرض يعدو في بعض الأحيان ألفي متر . وما هي إلا زهاء خمس ساعات من الطيران حتى حطت في مطار روما فتوقفت

فيها ساعة واحدة وكذلك فعلت في كل من جنيف وفرانكفورت وكوبنهاغن ، كنا نمضي هذه الفترات من الزمن على وجه البسيطة آكلين شاربين وفاحصين عن أوجه جديدة نراها وعن معروضات صناعية منوعة تنم على ما تنتجه تلك العواصم من طرائف ، الى أن انتهى بنا الطيران الى استوكهولم عاصمة بلاد السويد بعد ١٤ ساعة من الطيران قطعنا بها أو قطعت بنا مسافة ٤٦٥٠ كيلومتراً ، وانتقلنا بعد إتمام الاجراءات النظامية المتعلقة بالأمن والمكوس ، الى فندق وسط في صميم تلك العاصمة الجميلة ضيوفاً على شركة الطيران الاسكندنافية لنبيت ليلة واحدة ثم نتابع الرحلة . وما أن أخذنا قسطاً قليلاً من الراحة حتى سرنا طائفين في شوارع تلك العاصمة ، مستبضعين بعض الحوائج ، وكذلك كان دأبنا في ضحى اليوم الثاني . وغادرناها على متن الطائرة ذاتها ظهر ذاك اليوم ووجهتنا الشمال الشرقي من تلك الأصقاع الشمالية إلى أن حطت الطائرة في هلسنكي عاصمة فنلاندا بعد ساعتين كان يملأ نظرنا خلالها مناظر الجزر العديدة التي تغص بالأحراج . وفي هلسنكي ودعنا طائرتنا وودعنا ملاحوها ، وكان في لقائنا في المطار بعض موظفي السفارة السوفيتية في تلك العاصمة . وانتقلنا بعد توقف ساعتين من الزمن الى طائرة سوفيتية ذات محركين ، وهي دون طائرتنا السابقة ذات المحركات الأربعة مظهراً وحسناً ، خلو من الزخرفة إلا أنها والحق يقال بالغة حد الاتقان في حسن الطيران والمهارة البالغة في الانطلاق عن سطح الأرض ومنتهى الهدوء في الهبوط ، والغريب في الطيران السوفيتي عامة أنه لا يطلب فيه الى الركاب أن يوثقوا بوثاق المقعد كما هو الشأن في سائر الطيارات ، كما انه ليس ثمة أي تحذير من التدخين إبان صعود الطائرة وهبوطها ، في جانب الراحة التامة التي يشعر بها الراكب مع النقص الظاهر في كل ما يدعى كمالياً . وبعد طيران ساعة ونصف الساعة كنا نمتع البصر في منظر الأحراج الكثيفة والجزر الصغيرة المبعثرة في الخضم ، هبطت الطائرة في مطار لينغراد ، وسرعان ما صعد

اليها أحد موظفي الأمن السوفيتي محيياً وفاحصاً جوازات سفر الركاب الذين لم يكن عددهم ليزيد عن العشرين بينهم بعض الضباط برتب كبيرة . ولم تستغرق هذه المعاملات الشكلية سوى دقائق ، أذن لنا بعدها بالنزول من الطائرة ، وسرنا مع ركاب الطائرة تتقدمنا سيدة من موظفات المطار الى قصر قديم قيل إنه من بقايا عهد القياصرة ، فيه مطعم فسيح جلسنا والرفاق على إحدى موائده حيث تناولنا العشاء وعدنا بالترتيب نفسه الى الطائرة التي حلقت بنا في سماء لينغراد باتجاه موسكو ، فلاحت لنا أنوارها عن بُعد بعد ما يقرب من ساعة واحدة ، ولم تمض سوى ٤٥ دقيقة إلا وحطت الطائرة عصى الترحال في المطار .

وما ان نزلنا من الطائرة حتى لقينا في استقبالنا لفيفاً من أعضاء مجمع العلوم السوفيتي يرافقهم بعض التراجمة وفيهم من يتكلم العربية الفصحى ، وهو شاب أسمر اللون طويل القامة عرفنا أنه آشوري الأصل يقيم في تلك البلاد منذ سنين ، ورجحنا أن تكون اللغة الفرنسية لغة التفاهم مع التراجمة الذين خصصوا لمرافقتنا باعتبار أنّ زملاءنا يتقن أكثرهم هذه اللغة . وألقى أحد المستقبلين كلمة بالروسية مرحباً بنا باسم مجمع العلوم السوفيتية ، ترجمت الى العربية من قبل الترجمان الذي تقدم ذكره ، فرد عليه رئيس الوفد الأمير جعفر الحسني بكلمة مناسبة شكر للمستقبلين حسن الاستقبال ، نقلها الى الروسية الترجمان الآشوري ، ولكننا فضلنا بعد ذلك كما هم فضلوا أيضاً أن تكون لغة التفاهم معهم الفرنسية ، لا سيما وان ترجمانة روسية اسمها ناديا (وتلفظ في الروسية نادين) كانت الترجمانة المفضلة لحسن ترجمتها وسرعتها فيها بما يثير الاعجاب .

لم تفتح حقائبنا ولم يجر أي بحث عما معنا أعطينا سيارتين أقلتانا بعد مسير نصف الساعة من المطار الى المدينة في طريق عريضة وحسنة الإضاءة ، استدعى انتباهنا في طريقنا بناء جامعة موسكو الذي يقرب طراز بنائه من طراز ناطحات السحاب ، والشوارع التي اجتزناها كلها فسيحة ونظيفة ، الى أن توقفت سيارتانا أمام الفندق الذي خصص لمقامنا في موسكو ويعرف بفندق سافوي .

والذي علمناه فيما بعد أن هذا الفندق هو أحد الفنادق الكبيرة المعدة لاستقبال الأجانب تتبع مصلحة عامة من مصالح الدولة اسمها انتوريست ومعناها السياح الأجانب وعددها في موسكو ثلاثة وسيضاف اليها فندق رابع جديد لعله من أعظم الفنادق في أوروبا . يقف على باب كل من هذه الفنادق شرطي يتناوب وأحد زملائه ليلاً ونهاراً لا يفارقه أبداً .

وقد خصص لكل منا غرفة فسيحة تكاد تكون جناحاً خاصاً تشتمل على بهو للاستقبال حسن التأثيث مع بيانو ، في جانب غرفة المنام والحمام وتوابعه . والمطعم في الطابق الأرضي وكانت غرفنا موزعة بين الطابقين الأول والثاني .

لقد كان وصولنا الى موسكو مساء الثاني من تشرين الثاني ١٩٥٤ ونظم برنامج زيارتنا في اليوم التالي بأن زارنا الموفد من قبل مجمع العلوم وقدمت الى كل منا الخطوط الرئيسية للبرنامج المعد تاركين الينا الخيار فيما نقدمه في جانب ذلك . واليكم برنامج تلك الزيارة مترجمة عن الفرنسية :

الثلاثاء ٢ / ١١ الساعة ٢١٫٢٠ قدوم الوفد الى موسكو

الأربعاء ٣ / ١١ الساعة ١١٫٠٠ النقاش مع الوفد في برنامج الاقامة في الاتحاد السوفيتي

الساعة ١٥٫٠٠ زيارة العاصمة

الساعة ١٩٫٣٠ اوبرا (غالكا)

الخميس ٤ / ١١ الساعة ١٠٫٣٠ المعرض الزراعي

الساعة ١٥٫٢٠ متحف الثورة

الساعة ٢٠٫٠٠ السيرك

الجمعة ٥ / ١١ الساعة ١٠٫٣٠ معهد العلوم الشرقية

الساعة ١٠٫٣٠ المعهد الطبي

الساعة ١٦٫٠٠ الاستقبال في مجلس مجمع العلوم للاتحاد السوفيتي

الجمعة ٥ / ١١ الساعة ٣٠و٢١ باله «بحيرة البجع»
الساعة ١٥و١٠ معهد الآداب الدولي
السبت ٦ / ١١ الساعة ١٥و١١ مكتبة لينين
الساعة ٠٠و١٦ السينما
الساعة ١٥و٩ الساحة الحمراء
الأحد ٧ / ١١ الساعة ٣٠و١٩ اوبرا
الاثنين ٨ / ١١ الساعة ٠٠و١٠ قاعة الصور لتريتا كوف
الساعة ٠٠و١٦ حفلة موسيقية
الساعة ٠٠و٢٠ حفلة موسيقية في الكونسرواتوار
وقد ترك هذا اليوم في الأصل فارغاً
ثم جرى ملؤه بعد موافقة أعضاء الوفد
الثلاثاء ٩ / ١١ الساعة ٠٠و١١ معهد طبي
الساعة ٠٠و١٢ فرع العلوم التاريخية
الساعة ٣٠و١٥ معهد اللغات
الأربعاء ١٠ / ١١ الساعة ٣٠و١٠ جامعة موسكو
الساعة ٠٠و١٢ معهد طبي
الساعة ٠٠و١٩ — ٠٠و٢٠ الاستقبال في المفوضية السورية
(وقد ترك في الأصل مكانه فارغاً)
الخميس ١١ / ١١ ستوديو
الجمعة ١٢ / ١١ الساعة ٣٠و١٠ معمل السيارات
الساعة ٣٠و١٠ معهد طبي

ونظم برنامج مماثل في زيارة كل من لينغراد وستالينغراد وطاشكند، وهو يبدأ من التاسعة والنصف أو العاشرة صباحاً حتى الرابعة عشرة، ومن الساعة الخامسة عشرة والنصف حتى التاسعة عشرة والنصف مساء، ولم تخل ليلة من

الليالي من السهر في أحد الملاهي من نوادي موسيقية الى أوبرا ودور التمثيل أو السيرك ، ولم يترك لنا من الفراغ سوى ساعات الطعام والمنام ، وانفردت عن رفاقي الثلاثة ببرنامج خاص تتضارب أوقاته وأوقات الزيارات الأخرى في معظم الأحيان ، كان يشتمل على زيارة بعض المؤسسات الطبية والمشافي ، كما أنه قد جرى بعض التعديل الطفيف في البرنامج باضافة زيارة بعض الأماكن لم تلاحظ في البرنامج المرسوم .

غادرنا موسكو مساء السبت ١٣ من تشرين الثاني بالقطار الى لينغراد وحللنا في نزل استوريا وبعد قضاء خمسة أيام فيها عدنا في ١٨ من الشهر بالقطار أيضاً الى موسكو حيث زرنا أماكن أخرى لم تكن في البرنامج السابق وفي صباح ٢٢ من تشرين الثاني غادرناها بالطائرة الى ستالينغراد ومكثنا فيها ٣ أيام عدنا بعدها بالطائرة الى موسكو ، وتركناها بعد استراحة ليلة واحدة وبالطائرة الى طاشكند في ٢٥ تشرين الثاني قضينا يوماً واحداً في سمرقند وعدنا في ٢٩ منه الى موسكو وزرنا في هذه المرة إحدى التعاونيات الزراعية وأقيمت لنا حفلة وداع رسمية في مجمع العلوم السوفيتي مساء ٣٠ من تشرين الثاني وغادرنا موسكو نهائياً على متن إحدى الطائرات الروسية الى هلسنكي بعد أن ودعنا في مطار موسكو لفيف من أعضاء مجمع العلوم وبعض المستشرقين الذين تعرفنا عليهم إبان مقامنا في العاصمة المذكورة ، وبعد أن هبطت الطائرة في مطار لينغراد مكثنا فيه ساعة واحدة تناولنا خلالها طعام الغداء . وفي هلسنكي انتقلنا الى إحدى طائرات الشركة السكندينافية ذات المحركات الأربعة متجهين الى ستوكهولم التي لم نمكث فيها سوى ثلاث أيام زرنا خلالها بعض معالمها وانفردت بزيارة أحد المستشفيات فيها وفي ٤ من كانون الأول غادرنا ستوكهولم الى كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك حيث قضينا فيها ٥ أيام وزرنا خلالها بعض المتاحف والمستشفيات وغادرناها على متن إحدى طائرات الشركة السكندينافية في ٨ من كانون الأول

عائدين الى دمشق بعد توقف ساعة واحدة في كل من فرانكفورت ومونيخ واستانبول وبيروت .

بلاد الاتحاد السوفيتي

سوفيت (Soviet) بالروسية معناها المجلس ، وأطلق في الأصل على مجلس مندوبي العمال والجنود الذي عقد في بتروغراد (لينغراد) خلال الثورة الروسية عام ١٩١٧ ، ثم على الدولة الروسية في النظام البولشفيكي . كما انه أطلق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية U. R. S. S. على الاتحاد الفيدرالي الذي يجمع بلاد روسيا القيصرية وما انضم اليها من بلاد مجاورة ، بلغ عددها ١٦ دولة .

وهي تعد بحق (على حد قول لينين) عالماً قائماً بذاته لا من حيث اتساع مساحة البلاد فحسب ، بل بعدد السكان ناهيك بالموارد الطبيعية والامكانيات الصناعية ، فبالسعة تبلغ مساحة هذه البلاد ضعفي مساحة الصين وأضعاف الولايات المتحدة و ٣٠ ضعفاً من مساحة فرنسا . وتبلغ من الطول زهاء ١٠٠٠٠ كيلومتر (ما يقرب من ربع محيط الأرض) ومن العرض ٦٠٠٠ كيلومتر . وتوازي جنوباً الخط ٣٥ وشمالاً الخط ٨٠ مما يجعلها أوسع من أمريكا الشمالية بكاملها .

وقدرت مساحة البلاد السطحية بـ ٢١٩٢٣٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع بما يقارب من سدس اليابسة بأجمعها . ويجعل هذا الامتداد الهائل لبلاد الاتحاد السوفيتي ان فرق الساعة يبلغ بين أقصى طرفيها ١١ ساعة ، إذ عندما ينتصف النهار في موسكو تكون الساعة في الحدود الروسية البولونية ١١ بينما هي ٢٢ في مضيق بهرينغ ، وليس الفرق في الساعة بين باريز وتوكيو بأكثر من ٥ ساعات .

ومع هذا الامتداد الوحيد في نوعه في العالم كله ، فان لبلاد الاتحاد السوفيتي من المناخ ما يكاد يكون متجانساً ، وهي خلافاً لما هو باد في معظم بلاد القارة الأوروبية من سهولة الانتقال القريب من بلد يختلف عن سواه اختلافاً بيناً في درجة الحرارة وحالة الجو وما الى ذلك من الفوارق التي تبدو بجلاء في بعض

البلاد (كفرنسا مثلاً) فان بلاد الاتحاد السوفيتي الشاسعة ليوجد بين أطرافها المترامية تشابه في الاقليم والمناخ . والثلج يستر أرضها كلها في الشتاء بشكل بساط واسع يمتد من الشمال بالقرب من أصقاع القطب الشمالي حتى الجنوب في سواحل البحر الأسود ، ولا ينجو من برده القامي سوى بعض السواحل من شبه جزيرة القريم المحمية بسلسلة من الجبال يجعلها تنعم ببعض الدفء في الشتاء [1] .

ويصعب تعليل السبب في هذا المناخ القامي والمتشابه عندما يكتفى بالقاء نظرة عابرة على مواقع تلك البلاد بالنسبة الى ما يجاورها من بلاد القارة الأوروبية ، والخرائط التي بين أيدينا لا تتيح لنا معرفة موقع موسكو بالضبط ، فبينما تشير هذه الخرائط الى أن العاصمة المذكورة في مستوى باريز أو في الجنوب منهـا قليلاً ، نراها في الحقيقة تقع شمال باريز بـ ٨٠٠ كيلومتر ، ولينغراد شمال باريز بـ ١٤٠٠ كيلومتر ، ولا يوازي باريز في خط الطول سوى ستالينغراد وان يالطة الواقعة في أدنى جنوب البلاد توازي الخط المار من بوردو ، مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي بمجموعهـا ذات مناخ شمالي بالنسبة الى سائر بلاد القارة الاوروبية .

وتمتاز بلاد الاتحاد السوفيتي في جانب هذا المناخ الموحّد والسعة المنقطعة النظير بكثرة عدد السكان أيضاً . ففي أطلس اوكسفورد (the Oxford atlas) طبعة ١٩٥٤ ان عدد سكان هذه البلاد هو ١٩٣٫٠٠٠٫٠٠٠ استناداً الى إحصاء سنة ١٩٤٦ ، ويغلب للظن (كما يؤكد ذلك المطلعون) ان هذا الرقم قد ارتفع الى ٢٢٠ مليوناً في الوقت الحاضر . ولم يبلغ هذا العدد سوى ١٧٠٫٤٦٤٫٠٠٠ في احصاء سنة ١٩٣٩ ، واذا كان مرد بعض هذا الفرق الى اندماج بعض دول البالطيق وبولندا وفنلاندا واحدى مقاطعات رومانيا [2] ، فانه مما لا شك فيه

(١) تبلغ درجة الحرارة الوسطى في يالطه + ٣٫٥ في كانون الثاني و – ١٥٫٤ شمالي سلسلة الجبال التي تحمي هذه البقعة (آستراخان) .

(٢) يروي تقويم (Wheitaker) ان الاندماج الذي تم سنة ١٩٤٠ قد زاد في مساحة الأرض الى ٩٫١٣٨٫٠١٢ ميلاً مربعاً وعدد السكان الى ١٨٢٫٥٦٥٫٠٠٠ مما يجعل نصيب كل ميل مربع ٢٠ شخصاً .

ان عدد السكان في بلاد الاتحاد السوفيتي آخذ بالزيادة المطردة بعد أن تحسنت الحالة الصحية في البلاد تحسناً ملموساً وقضي نهائياً على الأوبئة المستوطنة في بعض المقاطعات وما تعني به الحكومة من تطبيق أساليب الوقاية من العلل والأمراض المختلفة بما تكاد تكون الوحيدة من نوعها في العالم أجمع (وسأشرح ذلك في بحث خاص) .

واذا قيس عدد السكان بمقتضى إحصاء سنة ١٩٣٩ مع عدد السكان في الأقطار لوجدنا ان الرقم المذكور يساوي نصف عدد سكان الصين وهو دون عدد سكان الهند (سنة ١٩٣٩) بكثير ، إلا انه يزيد على عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٤٠ مليوناً ، ويبلغ أكثر من ضعفي عدد سكان اليابان ، وثلاثة أضعاف والنصف من عدد سكان بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية . مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد أكبر البلاد الآهلة بالسكان في العالم ، نجد مواطناً سوفيتياً بين كل عشرة من سكان العالم . ومع ذلك فانه ما يصيب الميل المربع من السكان لم يكن سوى (٢١) سنة ١٩٣٩ وأصبح (٢٤) سنة ١٩٤٦ وهو أعظم بكثير مما هو عليه في كندا (٣ في كل ميل مربع) أو استراليا (٢) ولكن أين منه في عدد المملكة المتحدة (٥٠٩) ومن اليابان (٤٠٠) وايطاليا (٣٤٣) والمانيا (٣٤٧ سنة ١٩٣٩) والصين (٢٣١) وبولندا (٢٣٣) وفرنسا (١٩٧) والولايات المتحدة (٤٤) .

ولا يغرب عن البال من ان في بلاد الاتحاد السوفيتي مساحات كبيرة متجمدة لا يمكن الاستفادة منها في جانب الأحراج الكبيرة البكر ، تخلو هذه وتلك من السكان مما ينبغي معه إسقاطها من مجموع المساحة السالفة . وعلى ذلك فاذا نظر الى البقاع الصالحة للزراعة وحدها لبلغت كثافة السكان بنسبة ١١٢ لكل ميل مربع مقابل ٩١ في الولايات المتحدة . ومع ذلك لا تجد بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد البلاد الكثيفة السكان بل على العكس قليلتها .

وليس توزع السكان واحداً في جميع الأنحاء ، فناحية موسكو التي تكثر فيها المراكز الصناعية يصيب الميل المربع من مساحة أرضها ٢٥٩ شخصاً ، وفي أوكرانيا ذات التربة السوداء (Chernozion) التي لا تماثلها في الخصب أي تربة أخرى يختلف نصيب الميل المربع فيها بين ١٥٠ و ١٨٠ شخصاً ، ويبلغ هذا العدد ١٣٠ في المقاطعات المتاخمة لنهر الفولغا . أما في سيبريا فاذا تركنا جانباً بعض النواحي الصناعية فان كثافة السكان فيها لا تتخطى ٢٥ أو ٤٠ حتى في الجنوب الغربي ، وهي أقل بكثير في البقاع المركزية وفي الجنوبية الشرقية . وتختلف نسبة كثافة السكان في تركستان وفي القوقاز بين ٩٥ و ١٥٠ شخصاً في الميل المربع ، كما ان من الأماكن النائية ما تكاد تخلو من السكان تماماً (صحارى الأورال) وعلى الجملة إن كثافة السكان تتدنى من الغرب الى الشرق ولو تشابهت البلاد في المناخ .

وتتشابه مرامي السياسة في البلاد وسياسة العهد القيصري ، في صهر الأقوام المختلفة باللغات والعادات والدين في بوتقة الاتحاد السوفيتي ، واللغة الروسية هي هي السائدة في جميع جمهوريات الاتحاد ولو تمتع بعض هذه بما يسمى بالاستقلال الداخلي أو الحكم الذاتي . وعدد هذه الجمهوريات الآن ١٦ موزعة نفوسها كما يلي :

اسم الجمهورية	عاصمتها	عدد النفوس
روسيا	موسكو	١٠٩٢٢٨٠٩٠٠٠
اوكرانيا	كيف	٤٠٩٠٠٠٩٠٠٠
روسيا البيضاء	مينسك	١٠٩٣٨٦٩٠٠٠
جورجيا	تفليس	٣٩٥٤٠٩٠٠٠
أرمينيا	اربوان	١٩٢٨٢٩٠٠٠
آذربايجان	باكو	٣٩٢١٠٩٠٠٠

اسم الجمهورية	عاصمتها	عدد النفوس
قاراقستان	آلما آتا	٦٩١٤٦٩٠٠٠
قيرخيزستان	فرونز	١٩٥٠٠٩٠٠٠
تركانستان	عشقتآباد	١٩٢٥٤٩٠٠٠
اوزبكستان	طاشكند	٦٩٣٠٠٩٠٠٠
طاغستان	ستالينآباد	١٩٤٨٥٩٠٠٠
كاريلوفنلاند	فلبوري	٤٧٠٩٠٠٠
مولدافيا	كيشنف	٢٩٢٠٠٩٠٠٠
ليتوانيا	فيلنا	٢٩٨٨٠٩٠٠٠
لاتافيا	ريغا	١و٩٧١و٠٠٠
استونيا	تالين	١و١٣١و٠٠٠

(للبحث صلة)

الدكتور مسني سبح

ايوانية البحتري

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

— ٣ —

(فهو يُبدي تجلُّداً وعليه كَلْكَلٌ من كلاكل الدهر مُرْسِي)

(الكلكل) الصدر ، والبعير إذا برك وألقى ثقله على الأرض فانما يكون مركز الثقل تحت كلكله ، فاتخذ البلغاء الكلكل مثلاً لشدة الوطأة وقوة الضغط

(مالي وللدهر يَرميني بكلكله)

و (مُرسي) اسم فاعل من أرسى الشيء ورَسَا : ثبت ورَسَخَ ومنه رست السفينة . والمعنى أن إيوان كسرى كالرجل العاقل يبدي الصبر والتجلد على شدائد الدهر أمام الناس ، حالة كونه رازحاً تحت كلكل عظيم من كلاكل الدهر أطبق عليه .

(لم يَعِبْهُ أنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الديـــباج واستُلَّ من سُتور الدِمَقْس)

(بزّه) سلبه ومنه المثل (من عزّ بزّ) وربما كان أصل معنى فعل (بَزّه) سَلَبه بَزّه أو بزّته أي ثيابه . ثم عم استعماله في كل سلب . ومن التوارد في ذلك كلمة (dérober) الفرنسية فانها بمعنى سلبه وبديهي ان أصل معناها سلبه ثوبه . وبُزّ واستُلّ في بيت البحتري مجهولان . والدِمَقْس الحرير أو الأبيض منه . يقول : إن الإيوان لم يعبه أن سُلِب وجُرِّد من بُسط الديباج ولا أن استُلّ وعُرِّي من ستور الحرير . أي اذا كان في زمن سكانه الأكاسرة مفروشاً بالبسط ومجلَّلاً بالستائر وأصبح بعدهم مُعَرّى منها فليس ذلك بِمُزرٍ به ، ولا حاطّاً من قدره . إذ أن له الآن من جلالته وروعته ما يكسوه مَهابة في النفوس فوق مهابته مذ كان مغشًّى بالحرير والديباج .

(مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو له شُرُفات رُفِعَتْ في رؤوس رَضوى وقُدْس)

المشمخرّ من الجبال : المرتفع العالي ، ومنه قول البديع في قصيدة بشر بن عوانة :

فخرٌ مضرّجاً بدمٍ كأني هدمتُ به بناءً مشمخراً

و (رَضوى) بفتح الراء جبل بين مكة والمدينة على مسيرة يوم من ينبُع .
و (قُدْس) بضم القاف جبل عظيم بأرض نجد : أي إن ذلك الإيوان عال مرتفع كأنما شُرُفاته مرفوعةٌ على رؤوس ذينك الجبلين . وهذا كقول عنترة في البطل الذي قتله :

(بَطَلٌ كأن ثيابه في سَرْحةٍ)

أي إنه طويل القامة كأن ثيابه مُلْقاةٌ على شجرة من شجر السَرْح .

(لابساتٌ من البياض فما تُبْـــــصِرُ منها إلا غلائل بُرْسِ)

قوله (لابسات) صفة للشُرُفات . وشُرُفات القصر أعاليه المحيطة بإجّاره . والإجّار السطح وجمعه أجاجير . والمراد من (البياض) الثياب البيض ، يقال فلان (يلبس السَّواد والبيَاض) . والغلائل جمع غلالة : الثوبُ . والبُرْس بكسر الباء وتضم : القطن يقال (طارَ له لُغام كالبِرس المندوف) واللُّغام الزَبَد الذي يظهر على فم البعير . وهو كالرؤال للفرس وكاللُّعاب للانسان . وفي بعض النسخ أيضاً (لفائف برس) جمع لفيفة ما التف واجتمع من الشيء . ورواية الغلائل أحسن الروايتين ، وقد جاءت قافية (البِرس) في معارضة شوقي مضافةً الى العصائب مذ قال :

(جَلَّل الثلجُ دونها رأسَ (شيرى) فبدا منه في عصائبِ برْس)

والعصائب جمع عِصابة : منديل يعصب به الرأس والعِمامة نفسها تسمى عِصابة أيضاً . أما (شيرى) فهو اسم جبل ويظن ان اسمه أعني شيرى محرف من كلمة (منشار) العربية وكانوا يطلقونها أي كلمة منشار على سلسلة الجبال . وجاءت (برس) أيضاً في لزوميات المعري قال .

لباسِيَ البرْسُ فلا أخضرٌ ولا خَلوقيٌّ ولا أدْكَنُ

يقول : إنه يلبَسُ من الثياب البسيط : فلا يلبس ثياب الشهرة ولا ثياب أهل الترف ولا الصوفية .

ومعنى بيت البحتري أن شرفات الإيوان تجلببت من الكِلْس ثياباً بيضاً ، فلا يقع نظرك منها إلا على غلائل قطنٍ أبيض ، أو على (كُبَب) غزل من قطن أبيض أو على سبائب أي لفائف من قطن أبيض مندوف . أما شوقي في شعره فجعل الثلج على رأس جبل (شيرى) عمائمَ متخذةً من نسيج قطنٍ وهو ما يسمى الشاش أو اليشمق بالتركية .

(ليس يُدرَى أَصُنعُ إنس لجنٍّ سكنوهُ أمْ صُنعُ جنٍّ لإنسِ)

أي ان الناظر الى الايوان يحار فيمن بناه ولأي غرض بُني هل هو مما بَنَتْه الإنس للجن أو الجن للإنس . أما إنه من بناء الجن للإنس فظاهر لأن البشر اعتادوا أن ينسبوا كل بناء فخم عظيم الى صنع الجن ، من ذلك قول النابغة في تدمر :

إلاّ سليمان إذ قال الإلـهُ له قُمْ في البريَّـة واحددها عن الفَنَد
وخَيِّسِ الجنَّ إني قد أذنت لهم يبنُون تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَد

فلا عجب اذا توهم البحتري أن الإيوان من صنع الجن بنوه للأكاسرة . أما توهمه في كونه من بناء الإنس للجن فمغزاه أن البشر إنما يسكنون في قصورٍ وأبنية معهودة لنا . وضخامةُ الإيوان وارتفاع طاقِهِ وعلوّ قصوره وجدرانه كل ذلك لم نعهد مثله لسكنى البشر ، فلم يبق إلا أن الإنس بنوه لمخلوقاتٍ غريبةٍ من غير جنسنا وهم الجن ، فهو يرتاب في أن الأكاسرة كانوا يسكنونه ويقول في نفسه ربما كان الجن هم الذين سكنوه وعَمَرُوه .

(غير أني أراهُ يشهد أنْ لم يَكُ بانيه في الملوك بِنِيكْس)

(النِكس) الضعيف الدنيء الذي لا خيرَ فيـه . وضمير أراه يرجع الى الايوان فالبحتري يقول إني مهما ترددتُ في أمر صانع الإيوان وفي غرضه

من تشييد هذا البناء العظيم فلن أتردد في حقيقةٍ يشهد لي بها الإيوان نفسُه وهي أن بانيَه لم يكن نِكْساً دنيئا ضعيفاً في الملوك . فنحن إذا لم نعرف الباني عرفنا عَظَمتَه من أثره الذي تركه لنا وهو هذا البناء .

إنّ البناء اذا تعاظم قدره أضحى يدلُّ على مقام الباني

(فكأنّي أرى المراتبَ والقو مَ اذا ما بلغتُ آخرَ حِسّي)

قوله (فكأني الخ ...) شروع في وصف مشهدٍ آخر من مشاهد الايوان لم يره بعينيْ رأسه وانما رآه بعيني خياله وتوهّمه ، ذلك أنه تخيل كسرى في مجلسٍ له عام اتخذه في فضاء الإيوان حيث لا تُظلّلهم سقوف ولا كنان . وقد شهدتْ هذا الاجتماع طبقاتٌ مختلفةٌ من رعيّته : عظماء المملكة ووفودِ الأقاليم والندماء والحظايا والقِيان وغيرهم ممن لفهم هذا الزحام الذي تمثّله الشاعر في نفسه ، كأنه مشاهد ملموس . ويحتمل أن يكون رأى صورة في جدران الإيوان تُمثّل هذا المجلس تمثيلاً رآه بعيني رأسه . لكنه بالطبع ليس حقيقياً ومن ثمّ جاز له أن يقول فكأني وكأني أي كأني أرى كسرى وقومه بأنفسهم لا برسومهم وصورهم . فتكون أرى بصرية وقد حذف كلمة (حقيقةً) التي هي حال من المفعول . ويؤيد هذا المعنى البيت الآتي (وكأنّ الذي يريد اتباعاً الخ ...) على ما سيأتي في شرح معناه . فهو يقول إني اذا أجهدتُ نفسي واستنفدتُ آخر قوةٍ من قُوى شعوري وحسّي كنتُ كأني أرى مراتبَ منسّقةً درجاتٍ درجاتٍ وقد تبوّأها القومُ بحسب منازلهم وأقدارهم : من وزراء كسرى وموابذته وأساورته وعظماء مملكته . والمراتب في قول البحتري أراد بها جمع مرتبة وهي صدر المجلس وتكون المراتب بمعنى مناصب الدولة كما قال الرضي :

ومن عجبٍ صدودُ الحظّ عنا الى المتعمّمين على الخزايا
ففاقوا في المراتب والمعالي وفُقنا في الضرائب والسجايا

ثم شرع (أي البحتري) في وصف ما رآه من اجتماع الناس في هذا المجلس خيالاً محضاً أو صوراً مُخيّلة فقال :

(وكأنّ الوفود ضاحين حسرى : من وُقوفٍ خَلْف الزّحام وجِلْسِ)

(ضاحين) جمع ضاحي من ضَحَا يضحُو أو من ضَحِيَ يَضْحَى إذا برز للشمس ووقعت عليه أشعتها . و (حسرى) جمع حسير وهو الكليل المُعيي و (وُقوف) جمع واقف و (جِلس) بكسر الجيم المجالس . وهو يقع على الواحد والجمع والمؤنث والمذكر . يقول الشاعر إنه حين طاف في أفنية الإيوان وتخلّل ساحاته مثّل له الخيال أو أنه رأى رسماً يمثّل جلوس كسرى الى عظماء مملكته في تلك الساحات وخُيّلَ اليه أن وفوداً من أقاليم بلاده شهدوا حقيقةً ذلك الاجتماع فكان منهم المجالس للملك ومنهم من لم يجد محلاً لجلوسه فبقي واقفاً خلف الزحام . وكلهم بارزون للشمس تعبُون مُعْيُون . وتعبهم الذي تخيّله الشاعر إما بسبب مجيئهم من بلاد بعيدة فيكونون قد أتعبهم المسير والإسراع فيه لئلا يفوتهم شرَفُ شهود هذا الاحتفال . أو أن تعبهم ناشئ عن فرط الزحام مع التعرض لحرارة الشمس . وفي أكثر النسخ (خُنْس) بالخاء والنون مكان جِلْس بالجيم واللام . و (جلس) رواية معجم البلدان طبع أوربا . أما (خُنس) فهي في النسخ الأخرى . واشتقاقها من خَنَسَ إذا تأخر وتنحى . والخانس المتأخّر : فيكون المعنى أن رجال الوفود لما لم يجدوا مكاناً يجلسون فيه ظلّوا واقفين خلف الزّحام . ومنهم رجال تأخروا وتنحّوا عن أولئك الواقفين ، إذ لم يمكنهم أن يبلغوا محل الزحام أيضاً . ويحتمل أن يكون قوله (خُنس) من خنس من بين أصحابه اذا استخفى وتوارى ، ويكون المراد بهؤلاء طائفة النساء اللواتي كن مستخفين عن الأنظار وبينهن القِيان كما يأتي :

(وكأنّ القيانَ وسْطَ المقاصيـــــر يُرجّعن بين حُوٍّ ولُعْسِ)

لم يقف الخيال بالشاعر عند حد ما رآه في الساحة الكبرى وإنما تخطّى به الى القيان أي المغنيات اللواتي كنّ في المقاصير جمع مقصورة وهي الغرف

المقصورة على النساء لا يدخلها غيرهن . فالشاعر رأى بخياله أو بعينه صورةً خَيَّلَتْ له القيان في المقاصير وهن يُرَجِّعن في الغناء أي يُردّدن أصواتهن في حلوقهن تفنُّنا وإبداعاً في الصنعة . ثم وصف الشاعر هؤلاء القيان بالحسن والجمال واقتصر من أوصاف حسنهن على وصف الحوّة واللَّعَس فقال : إنهن كنّ (حُوًّا) جمع حواء (لُعْساً) جمع لعساء . والحُوَّة واللَّعَس وكذلك اللَّمى ثلاثتها بمعنى واحد : وهو أن يضرب احمرار الشَّفَة الى السواد فإن ذلك من المستملح عند العرب ، ويظهر أن جدتنا الأولى (حواء) كان فيها هذا الضرب من الملاحة فكانت شفتاها ضاربتين الى السواد ولذا سميت (حواء) . وكذلك جدنا الأول آدم (صلوات الله عليه) كان أسمر اللون لأن اشتقاق اسمه من (الأُدْمَة) وهي السمرة . أما ان الحُوَّة واللَّعَس واللَّمى بمعنى واحد فدليله قول ذي الرُّمة :

لمياء في شفتيها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللثاث ، وفي أنيابها شَنَب

فهو قد قال عنها انها لمياء أي ذات لَمَى ثم فسَّر لنا معنى اللمياء فقال ان في شفتيها وفي لِثاتها حوّة وكأنه نظر بعين الغيب الينا والى قصورنا في فهم معاني كلمات لغتنا فأبدل من الحوة كلمة (اللَّعَس) تفسيراً لها . أما (الشَّنَب) فهو بردٌ ورقة وماء في الأسنان . وقد جمع أحمد شوقي في معارضته لهذه القصيدة بين الكلمتين أيضاً فقال :

لا تحسّ العيون فوق رُباها غيرَ حُورٍ حُوِّ المراشف لُعْس

ومن أنواع البديع نوعٌ يسمى (الأحاجي) وهي من قبيل الألغاز : تعمد الى كلمتين مستقلتين وتسأل مخاطبك على كلمتين مرادفتين لهما بحيث يتألف منهما كلمةٌ واحدة مستقلة في معناها فتقول له مثلاً أحاجيك في (انهض انهض) فتقول (قُمقم) وهو اسم للإناء المعروف . وتقول له أحاجيك في (سار في الليل مدةً) فتقول في الجواب (سراحين) جمع سرحان بمعنى الذئب . ويسألك عن (اسكت ارجع) فتقول صهباء ، ثم يسألك شعراً :

يا من له حسن لفظٍ تثني عليه المثاني
ما مثل قول الحاجي أحوى الشفاه جفاني

جوابه (العسقلاني) وهو اسم ابن حجر المحدث المشهور فقوله : (أحوى الشفاه) يراد فيه (ألعس) وقوله (جفاني) يراد فيه (قلاني) فإذا جمعَ بين (ألعس) و (قلاني) تألف منهما اسمٌ واحد مستقلٌ وهو (العسقلاني) . والغرض من هذا البيان إثبات أن الحوّة واللّعس شيء واحد وأن قول البحتري بين (حُوّ ولعس) هو من قبيل عطف التفسير . وبناءً على هذا يرد على البحتري اعتراض نحوي أو لغويٌ، وهو أن كلمة (بين) لا تضاف إلا الى متعدد وقد وقعت (أي بين) في كلامه مضافةً الى شيء واحد لا متعدد فهو يقول إن تلك القيان هنّ ما بين نساء حوّ لُعس أي سمر الشفاه ثم سكت وكان من المنتظر أن يقول كن بين نساء حو لعس ونساء أُخر حمر الخدود مثلاً . وقد يقال في الجواب انه ذكر الموصوفات بالحوّة واللعس وسكت عن الباقيات ليذهب الذهن في تعيينهن كل مذهب ، كأنه قال بين حوّ لُعس وبين غيرهن من ذوات الأوصاف المختلفة . هذا وربما كان المعنى الصحيح للبيت غير ما ذكرنا ، وهو أن (بين) هنا ليست لتنويع القيان وتقسيمهن الى لُعس وغير لُعس وانما هي هنا ظرفيّة بمعنى وسط والمراد بالحوّ اللعس نساء القصر كلهن فالشاعر يقول إن المغنّيات كن يرددن أصواتهن في وسط نساء القصر اللواتي كان أظهرُ أوصافهن وأملحُها حوّة شفاههن ولعسها .

(وكأنّ اللقاء أولَ من أمـــــس ووشكَ الفراقِ أولَ أمسِ)

مغزى هذا البيت والذي بعده دقيق جداً : وهو منتزع من خيال غاية في السموّ ولطفِ المأخذ : ذلك أن الشاعر لما تمثل أو رأى كسرى وعظماء مملكته ووفودَ أقاليمه ونساء قصره كأنهم أمامه حقيقةً يرى مراتبهم وأوضاعهم بل كلامَهم وإعياءهم ويسمع قيانهم كما يرى الحو اللعس من نسائهم ـ تمثل

ذلك كله قريباً من زمنه الذي هو فيه حتى كأنّ لقاءهم واجتماع بعضهم لبعض كان أول من أمس أي قبل ثلاثة أيام ثم تفرقوا أول أمس أي قبل يومين . أما استعمال أمس وأول من أمس فقد أوضحه صاحب لسان العرب بقوله (تقول ما رأيتُه مذ أمسِ فإن لم تره يوماً قبل ذلك قلتَ ما رأيتُه مذ أول من أمس . فان لم تره يومين قبل ذلك قلت ما رأيتُه مذ أول من أول من أمس) . ولكن الظاهر من هذا الكلام أنه لا فرق بين (أول أمس) و (أول من أمس) أما في شعر البحتري فيُفهم أنه فرّق بينهما فهو جَعَلَ اللقاء والفراق في يومين : (أول أمس) الفراق و (أول من أمس) اللقاء . فأول أمس قبل يوم . وأول من أمس قبل يومين . فهل له دليل من كلامهم ؟

(وكأنّ الذي يُريد اتّباعاً طامعٌ في لحوقهم صُبحَ خَمْس)

هذا البيت كما قلنا آنفاً يدل على أن الشاعر يريد أنه رأى بعينه صورةً مرسومةً على الجدران تمثّل له كسرى وقومه : فهو يرى صُوَرهم بعينه لكن المصوِّر كان حاذقاً جداً حتى جعله يتخيّل أنه كان يراهم حقيقةً بأجسامهم وأشكالهم وأوضاعهم الطبيعية ، ولذلك كان يقول كأني وكأني . وفي هذا البيت أبدع الشاعر في خياله أيّ إبداع ، فهو يقول إن الذي يراهم مصوّرين أمامه تجدّد نفسه باتباعهم واللحوق بهم . لكن المصوِّر أتقن تصوير الأشخاص من حيث القرب والبعد والمسافة فمن ينظر اليهم يظنهم بعيدين عنه مع أنه لو أراد لمسهم بيده لَفَعَل . وقد حدّثني صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك (رحمه الله) بمناسبة هذا البيت أن مراسم التمثيل تكون عادةً مصدَّرة بستار يُنقش عليه رسم شارع مستطيل وتكون على جانبيه الدور والقصور . ومن دقة الصنعة في التصوير يحسب الرائي أن هناك مسافةً حقيقيةً ممتدةً بين الأبنية الشاهقة القائمة على الجانبين مع أنك لو لمستَ الستار لوقعت يداك على أصباغ منقوشة على سطح مستوي . قال وقد اتفق لي يوماً أن كنت على مرسح من هذه المراسح

في بعض المدارس فتمشّيتُ نحو الستار وكدتُ أصدمه بجبيني ظاناً أن أمامي منفسحاً للسير . ثم انتبهتُ فجأة للأمر فوقفتُ متعجباً . والحاصل أن مصوّر مجلس كسرى أبدع في تصويره حتى يخيّل للرائي ان الرسم بعيد عنه وأنه اذا أراد اللحوق بالقوم الذين فيه لا يطمع أن يبلغهم إلا في صبيحة اليوم الخامس من سيره نحوهم .

* * *

(عُمِرَتْ للسُّرورِ دَهْراً فصارَتْ للتعزّي رباعهم والتأسّي)

رَجَع الشاعر في هذا البيت الى صحوه من خياله ، واستأنف الكلام على الإيوان نفسه . وضمير (عُمرت) يرجع الى المقاصير المذكورة قبيل البيت أو الى (الحَلَل) أي المنازل المذكورة قبل أبيات وعَمْرُ المنازل في كلام البلغاء أكثر ما يستعمل بمعنى سكناها ، وإقامة أهلها فيها . عَمَروا المكان بالتخفيف والتشديد جعلوه عامراً آهلاً بحلولهم فيه . وهذا هو المراد بقوله (عُمِرَتْ) مجهولاً بالتخفيف وبالتشديد : أي إن منازل كسرى وربوع إيوانه كانت مسكونةً آهلةً بهم زمناً طويلاً ؛ أما اليوم فقد تغيرت ودَرَسَت وتحول الغرض من بنائها : فبعد أن كانت تلك الربوع للسرور واللهو أصبحت للتعزّي والتأسّي أي للعظة والاعتبار . يراها المُصاب المحزون فيتسلّى ويتعزّى ويتخذ من كسرى وقومه الذين رماهم الدهر بكلكله أسوةً لنفسه فيصبر ويتجلّد . والرِباع كالربوع جمع رَبْع بمعنى الدار والمنزل يَنْزل فيه القوم أيام الربيع . ثم استُعمل في المنزل مُطلقاً نزلوه في الربيع أو في غير الربيع . واستعمال (عمر المكان) بمعنى أنهم جعلوه آهلاً بحلولهم هو الأغلب في كلام البلغاء أما في شعر البحتري هذا فيحتمل بل هو الأقرب تناولاً أن يكون المراد بقوله (عُمِرَت) العمارة التي هي البناء بالحجر والطين . أي أن تلك المنازل والربوع بُنِيَتْ وشُيِّدَتْ بقصد اللهو واغتنام فرص السرور ولكنها أصبحت الآن خراباً يَبَاباً للاتعاظ والاعتبار .

(فلها أن أعينها بدموعٍ موقفاتٍ على الصَّبابةِ حُبْسِ)

يقول الشاعر: أما وقد زرتُ منازل كسرى وتسلَّيت برؤيتها عن مصيبتي بمقتل (المتوكل) فقد أصبح من حقها عليَّ أن أُعينَها فأذرفَ دموعي عليها • وأجعلها (أي أجعل الدموع) وقفاً محبوسةً على الصبابة والأسى • وذكر الإعانة بالدمع كثيرٌ في أشعار المتأخرين • وكان العرب ونساؤهم يعبّرون عنه بالاسعاد وهو الإعانة والمساعدة على الندب والبكاء على الميت • ومما قاله أبوتمام في الاعانة والاسعاد :

ما في وقوفك ساعةً من باس تقضي ذِمام الأربُعِ الأدراس
فلعل عينك أن تُعين بمائها والدمعُ منه خاذلٌ ومواسي

ومعنى الصبابة الشوق أو أرق الشوق • ويُريد بها هنا لوعة الأسى التي لذَعت قلبه برواية هذه الآثار • ووَقَفَ وحَبَسَ بمعنى واحد يقال وقفتُ الدابةَ وحبستُها ، ووقفتُ الدارَ في سبيل الله وحبستُها ونحن نسمي الأوقاف في بلادنا أوقافاً أما أهل المغرب فيسمونها أحباساً • وقول البحتري (مُوقفات) اسم مفعول من (أوقف) بالهمز وليس بفصيح بل الفصيح في الاستعمال (وَقَفَ) الثلاثي فكان الفصيح أن يقول هنا (مَوْقُوفات) • و (حُبُس) بضمتين جمع حَبِيس بمعنى محبوس •

(يتبع)

التكية السليمانية في دمشق

- ٢ -

وجميع أراضي قرية داريا الكبرى من أعمال اقليم الدارانى تابع الشام تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأدانى وأشجار ودمنة عامرة ووهاد وتلال ومفازة [١] وبساتين ومنافع وحقول المعلومة الحدود عند الأهالي والجيران والمبينة الحقوق لدى كل ذي وقوف وعرفان كل قاطن بتلك الأراضي والأماكن بجميع حدودها وحقوقها ومرافقها ومنافعها وتوابعها ولواحقها سهولها وعوامرها ومطمئنتها وغوامرها ومنابعها وسواقيها وسوافلها وعواليها وجبالها وقلالها ووهادها وتلالها ومخنشها [٢] وغياضها ومروجها ورياضها ومصيفها ومقتصبها ومشتاها ومحتطبها وجميع حقه هو للأوقاف المذكورة المرصدة الموضحة المعمورة ذكرت أم لم تذكر ، حررت أو لم تحرر وقفاً شرعياً وتأبيداً صحيحاً وارصاداً مرعياً وتخليداً صريحاً . ولقد تبين ذلك واتضح ، ووضح شأنه وصح ، حيث أقرّ واعترف جناب المقر الأشرف العالي المدرار درهم العوالي زين الفخر والفخار رهين القدر والوقار ملاذ الاقبال انسى [٣] السناء والاقبال الحلي التمكين الجليل المكين ليث غابة غاية الصولة المدبر أمور جمهور الدولة ضيغم غيضة الوغاء يفترس ممن بغى صدر العزة الغراء ركن السلطنة الزهراء بزابيز (؟) الاسارة آصف صف الوزارة المشير الأكرم الوزير الأعظم رستم باشا [٤] وفقه الله لما يشاء وأدام أيامه وأبقاه عوناً وغوثاً للملة الباهرة الوكيل باقرار المشروع بالوقف والرجوع الآتي ذكر المجموع المتحقق

---

(١) كذا ولعلها : ومنارة أو ومفازة . (٢) لعلها : محتشها . (٣) صوابها : اسنى .
(٣) تصدر الوزارة في زمن السلطان سليمان مرتين مشهود له بالدراية والاقتدار على زيادة أموال الدولة . توفي عام ٩٦٨ هـ ودفن في جامع شهزاده وله خيرات ومبرات .

وكالته بالعموم والخصوص على موجب الشرع المنصوص من جانب السلطان الواقف خادم خير المعاكف ظل الله الأعلى الأعلم على وفود وقود (؟) خليفة العالم وكل الله اليه نظام السداد وكل أمر كما يراد مدى الاحماد[1] وأمد الأسناد بأن السلطان الواقف الذارف العوارف مد ظله الوارف وقف جميع ما ذكر وعين ان يصرف ما يتحصل من أصول الأوقاف الموصوفة من القرى والمزارع المرصدة الموقوفة مع ما يتحصل منها من ساير حاصلها المتعارف في أفكار ذلك الطرف في مصالح الجامع الشريف المشنف بأشرف تشنيف والعمارة العامرة المتبع ذكرها السابغ نعمها وشكرها . وشرط أن يرتب متول متحل عن الخيانة متعال عن الجناية ، متحل بحلى العفاف والأمانة ، مطرز بطراز الأمانة ، يشغل الأوقاف على كمال الديانة ، ويشتغل بتنظم أحوالها باعتناء بأعباء استغلالها ويستقل في ... [2] غلالها واصلاح اختلالها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيها[3] ، ولا يدع حقيرة ولا خطيرة إلا أبداها يصون صلة ضميره عن عايد الحرام ، ويتحاشى عن آثام الأنام ، يحفظ الزوايد وفضلة العوايد لإصلاح الرقبات ومرمة الخربات ، لا يوانى في خدمة ، وتفريغ ذمته ، عما في عهدته ، ويعطى له كل يوم خمسين درهماً . وان يرتب كاتب شهيد ، لا ينقص ما أتمن ولا يزيد ، يكتب كما علمه الله غير ساه ولا عاب[4] ولا لاه ، في أنواع حواصل الوقف كما وكيفاً ، ولا يرى على الورى في ذلك حيفاً ، ويضبط ما أصرف في مصارف الوقف ووظائفه ، ويوزع على كل خادم وظائفه وتنظيمه في سمط الجمع والحساب ، على نمط السداد والصواب ، ويعطى له كل يوم خمسة عشر درهما .

وان يرتب على الأوقاف الموقوفة بقضاء الشام ، حرس الله تعالى قُطانها عن الشآم والسآم .

(١) صوابها : الاعمار او الآماد .
(٢) بياض يتسع لكلمة واحدة ولعلها : تحصيل او جباية .
(٣) نكتبها اليوم : أحصاها
(٤) لعلها : عابث .

وان يرتب جاب ليجبي مال الوقف وغلاله ويسير ساعياً وهاده وتلاله ، متماشياً على جادة الاستقامة مجتنباً عما يؤديه الى الندامة ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب على الأوقاف الكائنة في قضاء بعلبك وناحية كرك جاب آخر أمين ، وثيق لا يمين ، يسعى في استحصال الغلال أصيلاً ، ويجد في مصالحه بكرة وأصيلا ، يجمع حقوق الوقف ومغاله ، لا خائناً له ولا عاله ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم . وأشرط السلطان ذو السلطان الواقف العلي الشان الجلي البرهان لا زال ذكران ذكراه الباهر عن خطبة خطبة السلطنة الزهراء أن يرتب بالجامع الشريف ، خطيب متدين عريف ، ورع مصقع فصيح ، بارع جهوري نصيح ، عالم بمعالم خطاب الخطابة ، يتقي ويرعى كتابه ، يبين للناس ما نزل اليهم ، ويتحرى طباعهم لما فرض عليهم ، يخطب يوم الجمعة في الجُمَع والعيد في الأعياد ، على الدين المشروع المعتاد ، ويدفع اليه كل يوم عشرة دراهم .

وأن يرتب امامان من أهل الصلاح ، يتفرس منهما سيما الفلاح ، مجودان مجيدان يرتلان كلام المجيد بايمان ، دينان ، تقيان ، عن مسالب المناهي نقيان نعمانيا المذهب ، صفيا الاعتقاد ، ثابتا القدم على سبيل سنن الرشاد ، عالمان بأركان الصلوة وواجباتها وسننها وآدابها ومستحباتها ، يؤمان الجماعة بالجامع المعمور ، ويقيمان خدمته على الوجه المبرور . يحضر كل واحد منهما بنوبة كل وقت من الصلوات الخمس المكتوبة ، والتراويح المسنونة المندوبة ، ويدفع الى كل واحد منهما كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب ثمانية مؤذنين ليقيموا الأذان والتحميد ويؤدوا إقامة الصلوات يستلذ الصماخ في صوتهم ، دينين متورعين ، متناوبين متوزعين ، ويعطى لكل واحد منهم كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب موقت ماهر في علم الميقات يوقت للمصلين مواقيت الصلوات ، ترصد بمرصد المرصاد ، ويكون ربعه أنس الأرصاد ، لا يرقى في درجة الا وفقها ، ولا ينال دقيقة الا حققها ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وا[ن] يقام مرقى يقيم الخطيب من قاعته ، ويدله على المنبر من ساعته ، آخذاً سيف السنة بيده ، ويرقي الخطيب الى معضده ، وينقل حديث الالفات بألذ الأصوات ، ويعطى له كل يوم درهم واحد .

وان يرتب بواب وفراش وكناس وشعال ، يثبكر بفتح الباب وتغليقه بالغدو والآصال ، ويفرش الفرش ، ويبسط البسط ، أشرف فرش ، وأحسن بسط ، ويكنس الجامع كما دعى اليه داعي الاستدعاء ، ويشعل المشاعل حين يغشى ، ويوقد القناديل بالليل اذا يغشى ، يتحفظ على الفرش والبسط تحفظاً ، ويتيقظ في تنظيف المشاعل وحمايتها تيقظاً ، ويفتح في الصدد بعد ساعة الاداء وينفذ ، ويعطى لمن يتعهد ذلك كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب مبخر يبخر في الجمع والأوقات المعتادة حسبما كانت عليه العادة بروح الروح . . . [1] ويعطر مشام الانس والجن ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب سبعة قراء حفاظ ، مجودين بأجود ترتيل واحتفاظ ، يكون أجودهم تجويداً وترتيلاً شيخاً على الباقين ، ورئيساً جليلاً يفتح بعشر من كلام الله الفتاح ، عاصماً لهم عن السهو نافعاً بالافتتاح ، ويقرأ كل منهم عشراً من القرآن العظيم والفرقان المجيد الكريم ، ويعطى للشيخ الرئيس كل يوم خمسة دراهم ، ويعطى لكل من الباقين كل يوم درهمان .

وان يرتب مُعَرِّف يعرف نعم المقتضى الانعام ، ويعلم معالم الشكر على الأنعام ، ويدعو لبقاء السلطان الجليل والخاقان النبيل ، ويهدي ثواب ما تيسر من القرآن ، الى أرواح أنبياء الهادي المستعان ، لا سيما نبينا محمد المصطفى عليه وعليهم سلام من اصطفى . ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب ثلاثون رجلاً من القراء يقرأ كل واحد منهم في الجامع الشريف والمسجد اللطيف بكرة النهار بكل يوم جزءاً كريماً من القرآن المجيد ، على الترتيل

(١) بياض يتسع لكلمتين .

والتجويد ، ويكون واحد منهم شيخاً لهم، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم ، ولغيره كل واحد منهم درهمان .

وان يرتب رجل يفرق الأجزاء الكريمة عند التلاوة في الوقت المعهود ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل يراقب من حضر ومن غاب من القراء المذكورين ويضع النقطة إذا لم يحضر واحد منهم ، ثم يعلم المتولي في رأس الشهر عند التفريق على الموظفين ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجلان يقرأ كل واحد منهما على الكرسي عشراً من القرآن العظيم أحدهما بعد صلوة الظهر والآخر بعد صلوة العصر ، ويعطى لكل واحد منهما كل يوم اربعة دراهم .

وان يرتب واعظ ليعلم الناس الدين ويحقق لهم اليقين في ثلاثة أيام من الأسبوع منها الجمعة ويعطى له كل يوم عشرة دراهم .

وان يرتب قارئ مجود من حسان الأصوات ، اذا قرأ القرآن مالت اليه المسامع للانصات ، يقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح سورة[1] يس ، لتنتشر بركاتها بين الحاضرين المستمعين ، ويدعو بعدها بالدعوة الصالحة الجامعة لازدياد درجات واقفه العلي الشان ، قوي البرهان ، كان الله معه ، ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب قارئ مجود يحسن التجويد والترتيل يرتل كلام الله المجيد ممن يميل الى حسن صوته وتلاوته المستمعون ، يقرأ كل يوم بعد صلاة العصر سورة[1] عمّ يتساءلون ، ويدعو بعده للواقف الواقف على مواقف الخيرات ويستنزل له من حضرة القدس مزيد البركات . ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب رجل موصوف بالأمانة ، معروف بحسن الديانة لحفظ المصاحف الشريفة الموضوعة هنالك من المواضع الخفيفة ، ويعطى له كل يوم درهمان .

---

(١) في الأصل : صورة .

وان يرتب كناس وفراش للحرم يكنسه ويفرشه عند الحاجة على الوجه المحترم ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب بواب بالباب الشرقي يرصد ويكنس الاصطبل الشرقي على النهج السديد ، وبواب آخر بالباب الغربي قائم بخدمته ويكنس الاصطبل الغربي لدى حاجته ، وعليهما مؤنة حمل زبل الاصطبلين الى المزبلة . ويعطى لكل منهما كل يوم خمسة دراهم .

وشرط السلطان الجليل والخاقان النبيل الواقف المشار اليه لازال بنياناً من المنان مشاراً اليه وما برحت عمارة العالم عامرة بوجوده ، منعمة برحب نواله وجوده ، أن يرتب فراش ينزل المسافرين والضيفان النازلين في منازلهم حسبما شرطه الواقف الخطير ، ويكرمهم كما رسمه رسول الله الكريم القدير ، ولا يهتك أستار أعراضهم لدى الاضافة ، ويهتم في إحضار النزيل وأكل الضيافة ، ولا يتوانى في خدمته ، ويهتم اهتماماً ، ويقوم برعايتهم بالأدب قياماً ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وأن يرتب شيخ ينظر في طعام العمارة المعد للمستحقين ويذوقه ويتعرف استواءه وطعمه واعتدال أجزائه حسبما يروقه ويتفرغ على نظر تعرفه ومعرفته علماً وحكمة غرفه وبكيفيه تفرقه [1] على أهل الفقر وفرقته كل غدوة وعشا ما بداه رطب وخشن ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب نقيبان عتيدان رقيبان دينان تقيان عن طمع قطم الحق ، أحدهما يوزع الخبز والآخر اللحم ، على المستحقين حسبما بان استحقاقهم المبين ، ويكون وظيفة كل منهما ستة دراهم .

وان يرتب أربعة أساتذة لرسم طبخ الطعام المعد لإطعام أولي الاستطعام ، مهرة في تسوية أجزائه وامتزاجه واخلائه وحسن انضاجه متناوبين مثنى على السنين الأسنى ، ويعطى لكل أستاذ منهم كل يوم سبعة دراهم .

(١) لعلها : وبكيفية تفرقته .

وان يرتب ستة تلاميذ لرسم خدمة الأساتذه باعداد العدد ، وامدادهم في الطبخ بكل مدد ، بحسن التعاون على مراسم الطبخ من غير تهاون ، مقتدين لهم في التناوب ونوب التعاقب ، ويكنس المطبخ من ينعهد الطبخ ولا مساهي ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم أربعة دراهم .

وان يرتب خباز ماهر أستاذ ، قادر على تعديل العجين واخبازه ، واعطائه حسن تمييزه وامتيازه ، ويعطى له كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب أربعة تلاميذ لخدمة خبز الخبز وامداد الخباز ، لنخل الدقيق وعجين الخمير وتقطيعه عند الاعواز ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم خمسة دراهم .

وأن يرتب وكيل خرج للعمارة يشتري مهماتها في ابانها ، ويدخر حوائج الطعام في اوانها ، لا يتوانى ولا يتكاسل ، فان شوهد [1] الجهد أحلى من عسل الكسل ، يعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب رجلان لرسم حمل الصحون المشحونة ، بألوان أطعمة ممنونة ، منظمة كلآل مكنونة ، الى بيوت الضيافة وروادها في أماكنها واعادتها الى مخازنها ، ويعطى لكل منها كل يوم درهمان .

وان يرتب ثلاثة رجال لحمل الطاسات المحشوة بالطعام الى فقراء الأنام الحاضرين بها غدواً وعشياً ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل لغسل أواني بيوت الضيافة ، وتنظيف مواعين دور الضيافة ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وثلاثة رجال لغسل تلك الطاسات ونظيرها بنقيرها وتنقيرها ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

ورجل لتمويه الأواني والمواعين وتبييضها إذا الجأت التحسين ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

---

(١) لعلها : شري أي حنظل .

ودقاق للحنطة بدقها كما يحتاج اليه ، ويتوقف حسن طبخها عليه ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وخازن حفيظ أمين ، وثيق مكين ، يتعهد حفظ ما في مخزن العمارة متجانباً عوار الطمع وعاره ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وتلميذاً للخازن يعطى له كل يوم درهمان .

وحمال يحمل اللحم الى محله بالعمارة المعمورة ، ويؤدي خدمته على طريقة الامان المبرورة ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

واربعة نفر لتنقية الحنطة والأرز حسبما تستريح أسنان الطاعم عند صدمة دقاق الحجارة عند تناول المطاعم ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وبوابان يقومان بأبواب العمارة والمآكل يكتنفانها غدواً وعشياً ويعطى لكل منها أربعة دراهم .

وخازن حفيظ فظ غليظ أمين غير غدار ، يصرف المخزون من الحنطة بالأنبار ، والمتخذ من الحطب بالمحاطب عند الحاجة من غير نصب ، ويعطى له كل يوم اربعة دراهم .

وعيّن الواقف الشامل الاحسان ان لكل قاص ودان أن يطبخ كل غدوة للأضياف المسافرين الأرز المفلفل والمرق الحامض أحسن تعيين ، وعين له سبعة عشر منّاً من الأرز النقي ، وعيّن أن يطبخ لهم كل عشي الأرز المفلفل والحلو المزعفر ، وأعد لها عشرين منّاً من الأرز الصافي واللأطعمة المعدة المزبورة بكرة وأصيلاً عشرة منّاً من سمن البقرات السمان . وعين الواقف الواجب الاحترام محيي سنة أملح الأنام أمده الله برعايته ، ونظر اليه بعين عنايته ، للمزعفر المعد للضيفان من العسل المصفى ستة أمنان ، وثمنا الملح الأطعمة والخبز من الملح ، وثمن الحمص والتوابل ومحسنات المرق الحامض كل يوم عشرين درهماً فضياً ، ولخبز المسافرين كل يوم خمسين منّاً من الدقيق الطيب على التحقيق لطبخ الأطعمة المذكورة كل يوم قنطاراً من الحطب يجلب من كل حدب ، ولخيل المسافرين كل يوم أربعة وعشرين كيلاً شعيراً بالكيل الشامي ، ويوزع

كل من الأطعمة صباحاً ومساء غدواً وعشياً على حساب أربعة وعشرين صحناً موزعاً على أربعة وعشرين بساطاً لكل من بيوت الضيفان من الأسمطة سفرتان وعلى كل سفرة من الجلاس خمسة أنفس ، ويضاف الى كل سفرة من الطعام المعد للفقراء الطعام الآتي تفصيله : صحن واحد تشتمل كل سفرة على صحن لحم وثلثة ألوان من الطعام ويعطى لكل سفرة عشرة أخباز .

وعين السلطان الواقف النبيه المنوه شانه بأنوه نوبه ، لا زالت نعم انعامه دايمه على العباد الى ميعاد المعاد والتناد ، لطعام عامة الفقراء مخصوصاً ، معيناً منصوصاً ، من لحم الضأن المبين الشأن ، كل يوم مائة منّ وسبعة وثلاثين منّاً ونصف منّ ، وشرط أن يطبخ نصفها بكرة ونصفها الباقي عشية . وشرط السلطان مد الله ظلال اجلاله على مستمد نوال أفضاله أن يطبخ في ليالي الجمع وليالي رمضان المبارك الشريف ويومي العيدين وليلة البراءة المنيفة الأرز المفلفل والحلو المزعفر ، وعين لكل مرة ثلاثة وتسعين منّاً من الأرز النقي ، وللطعامين المرقومين لكل مرة ستة وعشرين منّاً وثلثة أدافي[1] من السمن البقري ، وللمزعفر منها لكل نوبة ثمانية وعشرون منّاً من العسل الحرى . وعين عين الدولة الباهرة ، زين السلطنة الزاهرة ، السلطان المندوب لله ، مبتغياً رضاه ، مرتجياً مزيد آلائه لا زال جامع وجوده الرشيد مستنيراً بأنوار التأييد لثمن استماع[2] الكافور والزيت والحصر للجامع الشريف ، وبيوت الضيافة ، والمطبخ المنيف ، والمخزن العامر ، في كل سنة عشرة آلاف درهم .

ثم شرط الواقف الجلي البرهان أسبغ الله عليه سوابغ نعمه وهناه بما هيأ له من هناء كرمه لطعام الضيفان خاصة ، على العموم ناصة ، كل يوم من لحم الضأن الطري السمين الشان اثنين وسبعين منّاً من الله المنان عليه منا ، يطبخ نصفه ستة وثلاثون منّاً صباحاً يوزع على أربعة وعشرين صحناً ، ونصفه الباقي يطبخ رواحاً ، يوزع أيضاً على ما صرحنا .

(١) لعلها : اواقي . (٢) لعلها : ابتياع .

وعين، تقبل الله له عمله، وأظفره ما أمله، لأنواع الأطعمة والخبز كل يوم من الملح النقي اثني عشرة منًّا ونصف من ومن الحمص ثمانية أمنان ونصف من، ولثمن التوابل واللبن والحصرم والفلفل وساير محسنات طعام الفقراء كل يوم ثلاثين درهماً فضة، وسبعة قناطير حطب.

وشرط السلطان أيده الله بر بالبر بره، وكثر بالخير خيره ودره، لخبز الفقراء ما يأتي: خمسة وسبعين منًا دقيق خالص نقي في التدقيق. وشرط السلطان أيده الله ونصره وقواه وأظفره أن يطعم بالمأكل كل غدوة ثمانمائة فقير عايل وعشياً كذلك بلا نهر عايل، ويقطع خمير الخبز المعد للفقراء بعد ما عجن واستعد الفا خبز ويقطع اللحم المطبوخ على أن يكون كل قطعة ثمانين درهماً وزيتا ويقطع الخمير على أن يستقر بعد الاختيار كل كثرة على مائة درهم وزنه غير محترق ولا في ويوزع المرق المعد سداً للرمق صباحاً ورواحاً على خمسمائة طاس، لكل ماية ثمانية أمنان من الأرز وكيل من القمح مع ما لزمه، ويعطى لكل اثنين من فقراء الناس طاس، ويعطى لكل فقير خبز من غير تقتير.

وشرط السلطان الباني للخير ابتغاء لفضل الله خير شكر لشكور سعيه في المبرات، ومر عالم السر بالمسرات أن يفرز من غلال وقفه المسطور ومحصول مرصده المبرور كل يوم مائة درهم فضي على الوجه المذكور المرضي، ويصرف للعلماء العاملين المنقطعين المنجذبين اطعاماً في اقتناء الكمالات الانسية، وحرصاً على اقتناص الملكات القدسية، تجرداً عن رياسة الرياسة الفانية، ورغبة في ذات اللذات الباقية الى طريقة التجريد للترقي الى مراقي التوحيد امداداتهم بنظم معايشهم وبحسن انتعاشهم في معاشهم ويوجه الى كل من الموصوفين المتخذين [1] المسغوبين كل يوم قدر يمده على قضاء أوده من درهمين الى سبعة دراهم حسب استحقاقهم ومراتب طبائهم لا يزاد ولا ينقص مما نطق به الكتاب ونص، فمن

(١) لعلها: المنجذبين كما سبق اعلاه.

أخل بخدمته بطرف فتور وتوان أخذه الله بنكال الهون والهوان ، وما يأخذه من الأجر يكون سحتاً وحراما ، ويبؤ مبوأ دار البوار مقاما .

وشرط جعل الله قيام خيام اقباله على عمدان الخلود ، وربط أطناب سرادقات اجلاله بأوتاد أبد الأبود ، أن يكون جملة أمور الأوقاف ومصالحها منوطة بصائب رأيه وصالحها بحيث يتصرف فيه كيف يتراءى لرأيه النبيه من نقص وظايفها ، وزيادة مصارفها ، وبدئها وإعادتها ونقصها واجارتها ، وعزل أصحابها ، ويستبد في تبديل الشرايط ويستأثر في تحويل الضوابط الى ما هو أحسن وأنفع وأعجب وأبدع مرة بعد أخرى على النهج الأخروي .

وشرط الواقف الجليل الشان الجلي البرهان لا زال منظوراً بنظر عين الله التي لا تنام وبلغه عزّاً لا يحام حوله ولا يرام ، أن يكون كل من يتولى قضاء دمشق الشام من كرام العلماء الأعلام ناظراً على أوقافه المزبورة على الوتيرة المبرورة ، بحيث لا يجل جليل من مراسمها عن إحاطة علمه ، ولا يدق دقيق من معالمها عن احاطة فهمه ، ويحاسب متعاطي محصولها في فروعها وأصولها دخولاً وخروجاً من كل الأرجاء تعييناً مرضياً وشرطاً مرعياً . وأقربآئه[1] :

اخرج الأوقاف المذكورة عن ملكه ، ونقض ربقة سلكه ، وعزل سلطان تصرفه عن حاطته ، ولم يتمكن سطوة تمكنه من احاطته ، وسلّم جميع المزارع والقرى المرقومة بأسرها لأفخر المفاخر والأكارم ، مستجمع المفاخر والمكارم ، عمدة من عليه الاعتماد ، معدن شيم البر والسداد ، عين أعيان الخزانة الخاقانية ، أسعد السعاد في نماء الأموال السلطانية ، المشرف بالمجد الجلي ، المشنف بالقدر العلي ، مولا محمد چلبي الدفتري الشهير بابن شريفه أفاض الله عليه من فضله الشريف ، بعد ما نصبه نصبة للتولية تخليه لأمر الوقف وتخليه الى استثبات أمر

(١) صوابه : وأقر بأنه .

التسجيل والاستتياب لحكم التسجيل . وقد تسلمها من الواقف الرفيع القدر المنيع الصدر سلطان سلاطين الانسان انسان عين العدل والاحسان سلمه الله السلام ومد ظله على أمد المدد أشرف ظله تسلماً خاوياً عن جماح الموانع ازمة رمتها وتسلماً حاوياً لصحاح الشرايط بحجة جملتها اقراراً صريحاً ، واعترافاً صحيحاً ، مصادقاً للتصديق الحقيق بالاعتداد من قبل المتولي المشار اليه المعان في جميع ما نظم في سمط الرق المنشور ، من أمور الوقف المبرور المشكور ، فلما انتظم نظام تمامه واشق [1] نسق اختتامه بحسن اهتمامه ، وانتهى ما خطته أقلام المقال ، وآل حال الوقف الى هذا المآل ، أراد الوكيل الجليل المشار اليه ، لا زال ببنان الأعيان مشاراً اليه ، أجود ارادة رايد راد جادة الاجادة أن يرجع من جهة الواقف المزبور ومحرز البر المبرور مسترداً اياها عن المتولي المتحلي المستخلي مستبدلاً بنقض ما أبرمه الواقف وأبده وبفسخ ما أحكمه وشاده وشيده معتنياً به ، سجل ما عقده وسد باب ماسدده عانيا نظم الأوقاف : مزارعها وقراها ، بأمر رقيها وربقة عراها ، في سلك ملك الملك المالك ، على أسلم المسالك ، فتخاصما وتنازعا ، وتحاكما وترافعا ، الى المولى الفضل المولى الكامل الخير المجد مجير المتشرع النحرير النجيب في كمال تورع محق حق الطريقة الطريفة ، رافع علم العلم والشريعة الشريفة ، الناطق بالصواب الصدر المصدر أعلى الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب أدامه الله مدى الأحقاب ، فشرع في استرداد ما بيد المتولي من الأوقاف الموقوفة على الوتيرة الموصوفة ، مستمداً بعد لزومها بخصوصها وعمومها على قول المجتهد الهمام ، القرم القمقام ، الركن الراسخ ، العلم الشامخ ، ذي السناء الشارخ الحيز الجلي الأشم ، الحبر اللجي [2]

(١) صوابها : واتسق .
(٢) لعلها : البحر اللجي .

الخضم ، الجليل الضخم النبيه الأعلم ، رافع مورد الغموض عن حدود عرائس التنزيل على حدود الأخدود ، المجدود المعهود ، النبيل سراج الأمة ، تاج الأئمة ، عنوان ديوان السداد ، سلطان سرايرالاجتهاد الهمام الأكرم ، الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان حفه الله تعالى بنعيم الرضوان .

نظم :

ان المذاهب جلها وأجلهـا يعزى الى البحر الخضم الكوفي
هذب به نفسا وخذه مذهبا اذ من قضاه كفاه آخر كوفي

فعارضها المتولي المزبور اعراضاً على الوجه المبرور بأن وقفية تلك المزارع والقرى حسبما قصه نص الكتاب وأقر وان لم تكن لازمة مقدمة عند أعظم أئمة الأمة تاب التواب عليه ، وأحسن بالمغفرة اليه ، لكنها عند المجتهد الأكرم الهمام الطمطام الامام ابي يوسف تلزم ، بقول الواقف : وقفتُ ، وعند المجتهد الامام القرم القمقام الامام محمد رحمها الله الصمد يلزم بالتسليم الى المتولي على ما وضعت فطالب المتولي الحاكم بحكم نص الكتاب النظر في أمر الوقف والحكم بلزومه كما يستطاب على منطوق قولهما السديد ، وموجب مذهبهما الرشيد ، فنظر في ذلك نظراً أنيقا وتدبر في الأمر تدبراً وثيقا ، وشاهد في يد المتولي برهاناً جليا ، وغاية دليله سلطاناً عليا ، فرأى رأيه الصائب ، وبدا لنظره الثاقب ، أن تمهيد أركان الخير وتشييد مباني الوقف هو الأوفق لا غير وان حسنة مجلبة الحسنى ، وترجيح جانب التقرب وسيلة الفوز الأسنى ، فحكم بصحة الوقف ولزومه ، وصحة شرايطه ورسومه ، وقضى بذلك بخصوصه وعمومه ، حكماً محكماً ، وقضاء مبرماً ، مستوفياً ما يجب في الحكم رعايته حسبما عرجت اليه دراية الفرع وروايته ، فصارت جملة ما وقف على ما وقف عليه ، ووصف فيه وصفاً ، ووقفاً لازماً مستجلاً منيراً ، لا ينهدم قواعده ، ولا يتصلى مقاعده ، ولا تغير شرايطه ، ولا ينخرط في سلك التحريف خرايطه ، ولا يحل لأحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر من سلطان

أو وزير أو أمير أو قاضٍ أو وارث غايب أو حاضر تغيير هذا الوقف المرفوع السقف عن نسقه ، المحرر المقدر بعدما تحرر وتقرر ، فالذي يتعرض لتحويله ويسعى في تبديله ويبتغي نقض عراه ويتبع في ذلك هواه ويجنح الى جناح تغييره ، ويطمع في إبطاله بتزويره ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وليتبوأ مقعده ومبواه [1] من سجن سجين وليتجرع ما لا يسيغه من غسلين .

فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم . واجر الواقف على الحي الكريم ، ووقع الاشهاد والتحرير على النمط المنظوم في سمط التقرير في سابع الشهور شهر الله الفرد الأصم رجب المرجب لسنة أربع وستين وتسعمائة ، من هجرة من بعث الى كل فئة .

جعفر الحسني

(١) لعلها : ومثواه .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٧ —

آراء ابن جني في العربية

نظرياته الخاصة ومذاهبه التي انفرد بها

أحب الامام أبو الفتح بن جني اللغة العربية وأغرم بها حباً وغراماً عجيبين ولا غرو فان ذلك الامام المصنف المرهف الحس الذي آتاه الله عقلاً كبيراً ، وعلماً واسعاً ، وملكة عجيبة قد اطلع على أسرار هذه اللغة العربية الشريفة فأحبها الى درجة التدلّه بها وبأسرارها ، وصنّف الكتب في تبيين غرائبها وكوامن دررها ، وتعداد فضائلها ، يقول في مقدمة كتابه التنبيس (الخصائص) وهو يهدي الكتاب الى الأمير بهاء الدولة بن بويه : «هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور بهاء الدولة ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له عاكفاً الفكر عليه ، منجذب الرأي والروية اليه ، وادّاً أن أجد مهملاً أصله به ، وخللاً أرتقه بعمله ... هذا مع إعظامي له واعتصامي بالأسباب المتناطة به واعتقادي فيه انه من أشرف ما صنف في علم العرب ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة» [1] .

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١/٢ ، ٣

ويقول أيضاً : « هذا أمر قدمناه امام القول على الفرق بين (الكلام) و (القول) ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها ، وبديع ما أمدّ به واضعها ومبتدئها »[1] . ويقول أيضاً : « اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك عليّ جوانبَ الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر »[2] .

وابن جني من شدة إعجابه باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والشعر العربي والأحاديث النبوية يكاد يؤمن بأن هذه اللغة لغة تسحر من يتعمق في دراستها ، وتفهّم أسرارها ، وإعجاز مبانيها حتى يقول : « وكلام العرب لمن عرفه وتدرب بطريقتها فيه جار مجرى السحر لطفاً وإن جسا (أي جفا) عنه أكثر من ترى وجفا ... »[3] .

فأنت ترى من هذا القول ومما سلف من أقواله قدر الدرجة السامية التي وصلت اليها اللغة العربية في قلبه . ولا ريب في أنه ما قال هذه الأقوال إلا بعد الفحص والتمحيص الدقيق ، وإلاّ بعد أن قرأ وسمع وحفظ ، ووسع عقله من علوم العرب والإسلام الشيء الكثير . فقد كان رحمه الله واسع المعرفة لا في علوم العربية من نحو وصرف وعروض وأدب وبيان وحسب بل في جميع مناحي العلم والمعرفة التي بلغها الناس في عصره ؛ فهو من كبار علماء الكلام ، وكثيراً ما كان يذكر أقوال علماء الكلام في كتبه ويناقشها ويرد عليها[4] ، وهو من علماء الفقه يذكر كثيراً من أقوال رجال هذا العلم ويناقشها ، ولعله كان حنفي المذهب فقد كان ذا صلة شديدة بكبير فقهاء الحنفية في عصره وهو الامام ابو بكر احمد ابن علي الرازي الجصاص (– ٣٧٠) ، وكان يناقشه ويذكر فضل شيخه أبي علي الفارسي

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ١٥
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٥
(٣) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٢
(٤) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣٠

في حضرته [١] وهو ينقل بعض آراء أبي حنيفة النعمان في كتبه ويقيس عليها في العربية [١] .

وكان ابن جني من علماء بعض اللغات الأجنبية كالفارسية فقد ظهر ذلك مرات في كتبه ، ولا غرابة في ذلك فانه كان عالماً لغوياً يبحث في فقه اللغات وأحوالها ، وجدير بمثله أن يتقن بعض اللغات الأجنبية ليقيس عليها ويستشهد ببعض أحوالها وأوضاعها في القضايا اللغوية ، ثم ان كثرة مخالطته لشيخه الامام ابي علي الفارسي وهو من أرباب هذه اللغة وعلمائها ، تجعله يتعلمها ويتقنها ، وينقب عن الشواهد والمصطلحات التي تعينه في دراساته اللغوية فقد ذكر في (الخصائص) في فصل عنوانه (القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح) : إن العلماء قد انقسموا في هذا الأمر الى قسمين ؛ قسم يرى انها إلهام من الله سبحانه ، وقسم يرى أن الناس اصطلحوا على ذلك ، وهو أميل الى القسم الثاني ، وأن اللغة تواضع واصطلاح لا وحي من الله ولا توقيف ، وقد أطنب في بيان ذلك والتدليل عليه ، ومما قال : « فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فأومأوا اليه وقالوا انسان انسان انسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق . وإن ارادوا سمة (عينه) أو (يده) أشاروا الى ذلك وقالوا (يد ، عين ، رأس ، قدم) ونحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من غير هذا عرف معينها وعلم جرا ... ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة الى غيرها فتقول الذي اسمه انسان فليجعل مكانه (مَرْدْ) والذي اسمه رأس فليجعل مكانه (سَرْ) وعلى هذا بقية الكلام ... » [٢] . وكلتا (مرد) و (سر) فارسيتان معنى الأولى رجل ومعنى الثانية رأس .

وله أقوال أخرى كثيرة في (الخصائص) و (سر الصناعة) تدل على معرفته باللغة الفارسية والشعر الفارسي وأوزان العروض وأصول تلك اللغة .

***

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٤
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٢ – ٤٣

وكانت لأبي الفتح نظريات خاصة في اللغة والنحو والصرف انفرد بها ، واعتمد فيها على بحوثه الخاصة ومعارفه العامة وتوسّمه في مباحث فقه اللغات ، ولم يكن أبو الفتح ميالاً الى مذهب بعينه ، فانه لم يكن بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً وانما كان صاحب طريقة منفردة خاصة به ؛

فمن ذلك قوله بالاشتقاق الأكبر: وقد عقد له باباً مطولاً في الخصائص ذكر فيه ان هذا البحث الذي لم يبحثه أحد قبله من أئمة النحو البصريين أو الكوفيين ، وان كان أستاذه ابو علي الفارسي قد ألم به بعض الالمام واستعان به وخلد اليه ولكنه لم يسمّه وانما كان يبحث في بعض مسائله عند الضرورة ، ولكن صاحبنا ابن جني نظم أموره وسماه حيث يقول في باب (الاشتقاق الأكبر) : « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن اباعلي رحمه الله كان يسمعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمه وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه ، ويتعلل به ، وانما هذا التلقيب لنا نحن ، وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم .. وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك رُدّ بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد ... نحو : (ك ل م) و (ك م ل) و (م ك ل) و (م ل ك) و (ل ك م) و (ل م ك) ، وكذلك (ق و ل) و (ق ل و) و (و ق ل) و (و ل ق) و (ل ق و) (ل و ق) [1] . وقد ذكر في صدر الكتاب أن هناك فرقاً واضحاً بين أصلي هاتين المادتين (قول) و (كلم) وان مادة (ق و ل) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره انما هو للخفوف والحركة ،

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ ، ٥٢٥ - ٥٢٦

وجهات تراكيبها الستة مستعملة كلها ، لم يهمل شيء منها . . . وأما مادة (ك ل م) فهذه أيضاً حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناهـا الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة والمهمل منها أصل واحد وهو (ل م ك) فلم تأت منه في ثبت .

ومن ذلك قوله بنظرية ترافع الأحكام : فقد عقد لها باباً خاصاً في الخصائص فقال : « باب في ترافع الأحكام ، وهذا موضع من العربية لطيف لم أر لأحد من أصحابنا فيه رسماً ولا نقلوا الينا فيه ذكراً ، ومن ذلك مذهب العرب في تكسير ما كان من (فَعَلَ) على (أفعال) نحو : عَلَم وأعلام ، وقَدَم وأقدام . . . قال سيبويه فان كان على (فَعَلَة) كسّروه على (أفْعُل) نحو : أكمة وآكم ، ولأجل ذلك حمل (أمة) على انها (فَعَلَة) لقولهم في تكسيرها (آم) الى هنا انتهى كلام سيبويه ، الا انه أرسله ولم يعلله ، والقول فيه عندي ان حركة العين قد عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث وذلك في الادواء نحو قولهم (رَمِثَ رَمَثاً) و (حَبِط حَبَطاً) و (حبج حبجاً) فاذا ألحقوا التاء أسكنوا العين فقالوا (حَقِل حَقَلَةً) و (مَغِلَ مَغَلَةً) فقد ترى الى معاقبة حركة العين تاء التأنيث ، ومن ذلك قولهم (جَفْنَة وجَفَنَات) و (قَصْعَة وقَصَعَات) لمّا حذفوا التاء حرّكوا العين فلما تعاقبت التاء وحركة العين جَرَيا لذلك مجرى الضدّين المتعاقبين فلما اجتمعا في (فَعلة) ترافعا أحكامها فأسقطت التاء حكم الحركة وأسقطت الحركة حكم التاء فآل الأمر الى أن صار كأنه (فَعْل) ، و (فَعْل) باب تكسيره (أفْعُل) وهذا حديث من هذه الصناعة غريب المأخذ لطيف المضطرب فتأمله فانه مُجدٍ عليك مقوٍ لنظرك [1] » .

فأنت ترى أن ابن جني في ملاحظته الدقيقة العجيبة هذه قد كشف عن سر من أسرار هذه اللغة لم يتنبه اليه احد من العلماء الكبار قبله ولا حوّم حوله

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢ ٥

أحد بعده وهذا يؤيد ما قلناه عنه من رهافة الحس ، ودقة النظر في البحث عن أسرار لغة القرآن وانتظام أحوالها اللغوية انتظاماً عجيباً يدهش كل من ينظر اليه .

ومن ذلك قوله بنظرية وضع أصول العربية : وحرصه على أن يكون لعلم النحو أصول مثل أصول الكلام وأصول الفقه ، فقد كان ابن جني عالماً استقرائياً متتبعاً ، ومنطقياً مدققاً ، اطلع على أسرار العربية وخصائص نحوها فرأى أن العلماء الأقدمين أهملوا ناحية مهمة في التأليف وهي ناحية ايجاد فن بين فنون العربية أطلق عليه فن أصول العربية و « ذلك اننا لم نر أحداً من علماء البلدين ـ الكوفة والبصرة ـ تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه »[1] وان كتابيْ ابي الحسن الأخفش الذي سماه (المقاييس في النحو) وأبي بكر بن السراج الذي سماه (كتاب الأصول) لم يكونا في هذا الصدد على الرغم من أن ابا الحسن الأخفش « قد كان صنّف في شيء من المقاييس كتيباً اذا أنت قرنته لكتابنا ـ أي الخصائص ـ علمت بذلك انا نبنا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولانا من علومه المسوقة الينا ، المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أقواماً نزرت من معرفة هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم ، الى الطعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله »[1] فهو يقدّر عمل أبي الحسن حق قدره ، ويحمل على أولئك العلماء الذين غمطوه حقه ، ولم يعرفوا مبلغ الجهد الذي بذله ، فابن جني عالم منصف نبيل ، كريم الخلق ، يعطي كل أحد من العلماء الذين سلفوه حقه ، وابن جني حين يحاول ايجاد علم أصول العربية يريد أن يجعل ذلك العلم ذا قواعد ثابتة ، منطقية تعتمد على الاستقراء والبحث ، وان تكون علل تلك القواعد أشبه بعلل المتكلمين لا بعلل الفقهاء فان علل المتكلمين تحيل الى الحس ولا كذلك علل الفقهاء في زعمه حيث يقول « اعلم ان علل النحويين وأعني بذلك حذّاقهم المتقنين لا ألفافهم

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣

المستضعفين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين وذلك انهم يحيلون على الحسّ ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك علل الفقه وذلك أنها إنما هي اعلام وأمارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا »[1] . ونحن وان كنا لا نشاطره رأيه في أن علل الفقهاء هي كما وصف ، فاننا نذهب مذهبه في وجاهة علل المتكلمين ، ولا نرى ان ثمة فروقاً بين علل حذاق المتفقهين وحذاق المتكلمين وليس ههنا موضع المناقشة في ذلك وانما نريد أن نبين رأيه في وجوب إيجاد علم أصول العربية ، وقد كان رحمه الله مغرماً بذلك وقد كرر هذا القول مراراً في (الخصائص) و (سر الصناعة) فقال في بعض تلك المواضع : « واعلم انا مع ما شرحناه وعنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بعلل الكلام لا ندّعي انها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها براهين المهندسين غير انا نقول ان علل النحويين على ضربين أحدهما واجب لا بد منه لأن النفس لا تطيق في معناه غيره ، والآخر ما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه له »[2] .

والحق أن ابن جنى قد جاء في هذا الباب بأقوال ونظريات رائعة ولكنه لم يكن في ذلك إلاّ متقيّلاً آثار شيخه الإمام أبي علي الفارسي ، فقد كان رحمه الله شديد الميل الى تقعيد قواعد العربية ، وتنظيم علم أصول لها ، وضبط أقيستها وعلى غراره نشأ تلميذه ، فنظم تلك القواعد ورتّبها وتعمق في البحث أكثر من أستاذه وقد ذكر في الخصائص بعد أن أورد بعض مسائل القياس في العربيّة وقال : « فإن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك ان مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس ، قال لي أبو علي رحمه الله بجلب سنة ست وأربعين : أخطيّ في خمسين مسألة

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٦ والطبعة الثانية ١ / ٤٨
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٩٠

في اللغة ولا أخطيء في واحدة من القياس »[1] فهذا يدلنا على شدة عناية أبي علي الفارسي بالقياس وضبط القواعد وتقنين قوانين اللغة العربية ، وهو يرى أن جهله بالمسائل اللغوية أو خطأه فيها أمر لا بأس عليه منه أما جهله بالقياس وتخليطه فيه فأمر لا يصح التساهل فيه والوقوع فيه .

ومن ذلك وضع كثير من قواعد علم فقه اللغة: فان علم فقه اللغة ، وهو الذي اصطلح المحدثون اطلاقه على علم الفيلولوجيا « Philologie » ، هو علم محدث في اللغة العربية لم يكتب فيه أحد من الأقدمين العرب ولا المحدثين إلا بعد أن اتصلوا بالثقافات الغربية الأوربية .

على ان علماء اوربة المحدثين يختلفون في مدلول هذه الكلمة فمنهم من يذهب الى ان هذا العلم هو مجرد علم قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار الأدبية ومنهم من يذهب الى أنه ليس إلا درس اللفظ ومناقشة أحواله وأوضاعه ، ولكنه درس شامل للحياة العقلية اللغوية من جميع وجوهها ، واذا صح هذا فمن الممكن ان تدخل في دائرة علم الفيلولوجيا كافة فنون اللغة المختلفة من تاريخ اللغة ، ومقابلتها باللغات الشقيقة والبعيدة ، ودراسة النحو ، والصرف ، والعروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب بمعناه الواسع ، فيدخل فيه إذن تاريخ الأدب الخاص ، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية ، وتاريخ الفقه اللغوي من حيث تدوين اللغة في المجاميع والمعاجم ، كما يدخل فيه تاريخ الدين من حيث درس الكتاب المقدس ، والكتب الدينية الأولى ، وكتب علم الكلام ، ولا سبيل الى معرفة كنه هذه الحياة العقلية إلا بدرس أحوال المركز الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية[2] .

ولا شك عندنا في أننا اذا تتبعنا ما كتبه أبو الفتح بن جني في (سر الصناعة) و (الخصائص) و(شرح تصنيف أبي الحسن) وجدناه يحاول محاولات صادقة في وضع

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٨٢
(٢) راجع النثر الفني لزكي مبارك ٢ / ٣٨

أسس علم الفيلولوجيا العربية أو علم فقه اللغة كما يسميه بعض العلماء المحدثين .

والحق أن ابا الفتح كان له نصيب وافر في ايجاد علم فقه اللغة العربية من ناحية دراسة اللغة العربية ، والبحث في أصول مفرداتها واشتقاقها ، ودرس قواعدها ونقد نصوصها الأدبية وآثارها اللغوية ، والدينية ، مع ملاحظة كثير من الأسباب العقلية التي عملت في تكوين هذه اللغة وتطور مفرداتها .

وقد حاول في عصر (ابن جني) وبعده بقليل جماعة من أئمة النحاة والصرفيين ان يسيروا في السبيل التي سار عليها إلا انهم لم يوفقوا ولم يستطيعوا ان يتمموا ما بدأ هو به ، فقد أراد الإمام اللغوي ابو الحسين احمد بن فارس الرازي النحوي (– ٣٩٥) أن يؤلف في هذا الموضوع كتاباً فألف كتابه المعروف (بالصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) ، ولكن كتابه هذا خرج وكأنه ككتب الأقدمين ، أو كأنه أقرب الى كتب اللغة منه الى كتب فقهها وعلم أسرارها .

أما ابن جني فانه ألف كتبه في صلب هذا العلم الذي يبحث عن نشأة الألفاظ العربية والوقوف على أسرارها وطرق توليدها وتفريعها وتقلبها .

وصن ذلك رأيه في نشأة اللغات : فقد ذهب كثير من العلماء القدماء وبعض المحدثين الى ان اللغات توقيفية ، بمعنى ان الله سبحانه أوحى بها الى أنبيائه وأوقفهم على مفرداتها كلمةً كلمةً ثم انهم علموها لتابعيهم ، وقال آخرون : بل إن اللغات مشتقة من أصوات الحيوانات والطبيعة وان الانسان الأول قد حاكى هذه الحيوانات وتلك الطبيعة واشتق من ذلك ما أعانه على تفهيم مراده لسامعيه . وقال فريق ثالث : بل ان اللغات انما اخترعها الانسان بمحض تفكيره وخالص إرادته ، وانه تواضع عليها كأن يجتمع اثنان أو أكثر فيحتاجون الى تسمية بعض الأشياء فيتفقون فيما بينهم على التسمية وتنتشر بعدئذ .

وقد ذهب كثير من علماء المسلمين القدماء الى القول الأول مستدلين على

ذلك بالآية الكريمة التي قالها الله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام وهي : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة »[١] وقالوا إن معنى هذه الآية هو أن الله تعالى علم آدم أبا البشر جميع الألفاظ في جميع اللغات وان آدم علمها أبناءه فتناقلوها من بعده وهكذا اختلفت لغات سكان الأرض .

وهو قول عجيب غريب لا نرى في الرد عليه أبلغ مما سمعناه من أستاذنا المرحوم العلامة الشيخ احمد الاسكندري في بعض محاضراته التي ألقاها علينا في كلية الآداب بالجامعة المصرية في سنة ١٩٤٨ فقد قال : إن البداهة تقضي ببطلان هذا القول ، فان شهادة العقل والاستقراء وتتبع نطق الأطفال تشهد بأن اللغة تتدرج وتنمو بحسب الحاجة اليها . فلا يصح أن يقال إنها كلها قد وجدت دفعة واحدة وما ذهب اليه شيخنا الاسكندري هو الصحيح الذي قال به ابن جني وتوصلت اليه اليوم مباحث علماء فقه اللغة وعلماء الاجتماع وهو ان اللغات هي كائنات حية تعيش كما يعيش كل حي ، وتموت كما يموت ، وان منشأها الأصوات الأولى ، ولم يقل العلماء قولهم هذا إلا بعد التجربة العلميه والدراسة العميقة وبعد أن ذهبوا بأنفسهم الى مواطن الشعوب البدائية في القارات والجزر النائية واتصلوا بأفراد هذه الشعوب وعاشوا معهم فترة من الزمان وتأملوا أقوالهم وعاداتهم وتكبدوا كثيراً من المتاعب والمشقات في سبيل جمع معلوماتهم ، وما كانوا يشعرون بقيمة لمعلوماتهم إلا اذا توفروا على جمعها بأنفسهم عن طريق الملاحظة المباشرة والتدقيق فيما جمعوه وتصنيفه ومقارنته باللغات الحية وتحديد أوجه الشبه وأوجه الخلاف والمفارقات بين اللغات مما أداهم الى هذه النتيجة[٢] .

(١) يشبه هذا ما نجده في سفر التكوين ، الاصحاح الثاني رقم ١٩ — ٢٠ : « وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية واما لنفسه فلم يجد معيناً لنظيره » .

(٢) للتوسع في هذا راجع ترجمة (المدخل الى علم الاجتماع) تأليف موتيه الفرنسي طبع مصر ص ٦٩ و ٨٦

أما ابن جني فقد ذهب الى هذا القول منذ أكثر من ألف سنة فقد قال في الفصل النفيس الذي عنونه بقوله (باب القول عن أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على ان اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها» وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله ، اقدر آدم على ان واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله لا محالة .... والقديم سبحانه لا يجوز ان يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء إذ قد ثبت ان المواضعة لا بد معها من إيماء واشارة بالجارحة نحو المومأ اليه والمشار اليه والقديم سبحانه لا جارحة له فيصح الايماء والإشارة بها منه .. وذهب بعضهم الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وصهيل الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولّدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل [1] .

مذهبه في علم اللغة :

كانت دراسات علم اللغة قبل مجيء أبي الفتح محصورةً بطريقة من الطرائق الأربع التالية وهي الإملاء ، والإفتاء ، والتعليم ، والرواية . وقد وصف لنا الجلال السيوطي ترجمة طريقة الأقدمين هذه فقال : «وظائف الحافظ في اللغة أربعة أحدها وهي العليا (الإملاء) كما ان الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير فأملى ثعلب مجالس

(١) الخصائص الطبعة الثانية ١ / ٤٦ – ٤٧ . ولنلاحظ ان ابن جني بعد ان قال بهذا القول في أصل نشأة اللغات رجع عن رأيه هذا في اللغة العربية خاصة وله في ذلك حجج فارجع اليه اذا شئت في آخر الفصل القيم الذي عنوانه « باب القول على أصل اللغة » من الخصائص الطبعة الثانية ص ٤٠ وما بعدها .

عديدة في مجلد ضخم وأملى ابن دريد مجالس كثيرة .... وطريقتهم في الاملاء كطريقة المحدثين سواء يكتب المستملي أول القائمة : مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ويذكر التاريخ ثم يورد المملي باسناده كلاماً عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج الى التفسير ثم يفسره ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ومن الفوائد اللغوية باسناد وغير اسناد ما يختاره وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً ثم ماتت الحفاظ وانقطع املاء اللغة من دهر مديد .. والوظيفة الثانية (الافتاء) وليقصد التحري والإبانة والإفادة والوقوف عند ما يعلم وليقل في ما لا يعلم ـ لا أعلم ـ واذا سئل عن غريب وكان مفسراً في القرآن فليقتصر عليه ..... والوظيفة الثالثة والرابعة : (الرواية والتعليم) ومن آدابها الاخلاص وان يقصد بذلك نشر العلم وإحياؤه والصدق في الرواية والتحري والنصح في التعليم والاقتصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلم[1] » .

وكان العلماء المتقدمون قبل ابن جني يوردون معلوماتهم اللغوية إيراداً غير منظم لا رابط بها إلا قليلاً وكان اهتمامهم مصبوباً الى الجزئيات أكثر منه الى الكليات بل كان قليل منهم من يعنى بالاهتمام بالكليات والضوابط العامة وكانوا يتبعون الطرق التي أشار اليها السيوطي في مزهره فيملون معلوماتهم عن اللغة وعن مفرداتها مفردة مفردة كالذي نجده في كتب المبرد (— ٢٨٥) وكتب الأصمعي (— ٢١٦) بل وكتب أبي علي القالي (— ٣٦٥) وهي كتب تشتمل على كثير من أخبار العرب ومباحث الأدب وقصص التاريخ والمفردات اللغوية ، وقد ظل هذا الحال حتى أطل القرن الرابع للهجرة فأخذ علماؤه من شيوخ ابن جني وطبقته يعمدون الى تنظيم مباحث علم اللغة وشعروا بضرورة تنظيم المباحث اللغوية تنظيماً يعتمد على المنطق والترتيب وهكذا (فتح القرن الرابع للهجرة فتحاً جديداً في كل من الناحيتين الرئيستين لعلوم اللغة العربية وهما

(١) المزهر للسيوطي . طبع القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ٢ / ١٦٢ — ١٦٩

(النحو) و (عمل المعاجم) وقد تخلص علم اللغة كما تخلص علم الكلام من طريقة الفقهاء ومناهجهم حتى من الناحية الشكلية)[1] .

والحق أن القرن الرابع كان مبدأ تطور عام لا في علوم العربية بل في سائر علوم الاسلام . أما ما يتعلق بعلوم العربية وبعلم اللغة خاصة فقد أخذ علماء هذا القرن يسيرون على الخطة التي كان الخليل بن احمد (— ١٧٠) قد بدأ بها ولكن أحداً من علماء عصره أو الذين جاءوا بعده لم يتمّها الى ان كان القرن الرابع ، ولا شك في ان اطلاع هؤلاء الأئمة على طرائق العلماء الأقدمين من يونان وسريان وروم قد كان له بعض تأثير في تطور هذا العلم في القرن الرابع ، حتى أصبحنا نجد هذه الأبحاث اللغوية تدور في مجالس بعض الأمراء كعضد الدولة البويهي (— ٣٧١) قال الأستاذان ميتز وريشر : إن أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري قد شعروا بالحاجة الماسة الى منهج يسيرون عليه والى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة ، وقد كان لمعرفة العلماء العرب المحدثين بعلوم اليونان اللسانية اثر كبير في ذلك ، وكان البحث يدور في مجلس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصول استنباطها . وقد ميّز أبو سليمان السجستاني النزعة الجديدة في النحو بأن قال : (نحو العرب فطرة ونحونا فطنة) [راجع أخبار العلماء للقفطي . طبع اوربا ص ٢٨٣] وإذا وجدنا ابن فارس (— ٣٩٥) يؤلف لأول مرة مقدمة في النحو فينبغي ألاّ نرى في هذا سوى وليد للمقدمات (الايساغوجي) التي كتبها علماء اللغة اليونانية . وأكبر ما تم على أيدي علماء اللغة هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم ونجد ههنا حداً واضحاً يفصل بين عهدين وطريقتين وكان حمزة الاصفهاني (— ٣٥٠ أو ٣٦٠) خاتمة اللغويين القدماء الذين كانت كتبهم لا تشتمل إلا على عبارات للخطباء والبلغاء الذين ألفوا كتباً من المترادف وأخرى يستعين بها الخطباء في الخطبات ففي كتاب الموازنة مثلاً

(١) آدم ميتز في (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع) ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريده ص ٣٨٧

ذكر أربعمائة كلمة في معنى (الشق) وكذلك جمع في كتاب الأمثال أكثر ما يعرض في لغة الخطباء من عبارات المفاضلة نحو : أبيض من الثلج ، وأجشع من الفيل ... وقد كان جمعه وافياً بحيث لم يصنف علماء القرون التالية شيئاً اليها ، وكان سلفه قد جمع من هذه العبارات ثلاثمائة وتسعين فجمع هذا ألفاً وثمانمائة ... وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديّة الاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني الموصلي (— ٣٩٢) .. وهو الذي ينسب اليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره الى اليوم والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا وقد كان ابن جني معتزاً بنظريته هذه [1] .

والحق أن عمل ابن جني في الاشتقاق الأكبر ، والتراتيب اللغوية ، والمباحث الكلامية ، والدراسات الصرفية التي خلفها في كتبه العديدة التي سنعرض لها في آخر هذه المقالات ، هو العمل الجدي المثمر الذي طوّر مباحث اللغة وجعل لها أسلوباً جديداً انتظم أمره بابن جني ولكن أحداً من العلماء بعده لم يتمم ما بدأ به .

مذهبه في النحو :

انقسمت مذاهب النحو الى اربع مدارس رئيسة هي : مدرسة أهل البصرة ومدرسة أهل الكوفة ، ومدرسة أهل بغداد ، ومدرسة أهل الأندلس . وأصل هذه المدارس وأولها مدرسة أهل البصرة ؛ ففي هذه المدينة نشأ علم النحو العربي ، ومؤرخو الآداب العربية يختلفون في أولية وضع النحو العربي بين أربعة من أهل العلم هم : الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأبو الأسود الدؤلي ، ونصر بن عاصم الليثي ، وعبد الرحمن بن هرمز .

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٨٧ ، ٣٩١ وراجع بحث الأستاذ O. Rescher في كتابه عن الامام ابن جني ص ٢٠ Studien uber Ibn Ginni - Z. A. 1909

أما الامام علي : فأقدم من نَسَبَ اليه ذلك هو أبو العباس المبرد (— ٢٨٥) حيث يقول : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود وسئل عمن أرشده الى الوضع في النحو فقال تلقيته عن علي »[١] . ويقول ابن النديم (— ٣٨٥): « وزعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه »[٢] .

وأما أبو الأسود (— ٦٩) فقد أجمع كل من كتب في تاريخ النحو على نسبة وضع هذا العلم اليه ، وأول من ذكر ذلك هو محمد بن سلاّم الجمحي (— ٢٣٢) فقد ذكر في مقدمة كتابه طبقات الشعراء ما يلي : « وكان أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي .... ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم »[٣] . وجاء بعد ابن سلاّم الامام ابن قتيبة (— ٢٧٦) فقال : « ... لأنه أول من عمل في النحو كتاباً » . وجاء بعد ابن قتيبة أبو العباس المبرد (— ٢٨٥) فقال : « ... أول من وضع العربية ونقط المصاحف ابو الأسود الدؤلي » . وجاء بعد المبرد ابن النديم صاحب الفهرست وقد رأيت قوله فيما سبق ، ثم تتابع المؤرخون بعدهم ينقلون أقوالهم .

وأما نصر بن عاصم (— ٨٩) فقد كان فقيهاً وعالماً بالعربية وفصيحاً بارعاً ، تعلم من أبي الأسود الدؤلي وروى عنه القرآن الكريم قال ابن النديم في الفهرست : « وقال آخرون : رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي »[٤] . وقال ياقوت : « أول كتاب وضع في النحو على التحقيق هو كتاب نصر بن عاصم »[٥] .

(١) أورد هذه العبارة ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (— ٣٥٠) في كتابه طبقات النحاة . وهو مخطوط في خزانتنا

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٩

(٣) الشعر والشعراء طبعة الباني الحلبي ٢ / ٧٠٧

(٤) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الأستاذ الجليل طه الراوي ص ٧٦ وما بعدها .

(٥) ارشاد الأريب في ترجمة نصر بن عاصم

وكان نصر هذا من نبهاء أصحاب أبي الأسود وتلاميذه وهو الذي روى عنه صحيفته في العربية وهي المعروفة (بالتعليقة) حتى قال بعضهم : إن أول اسناد علي عرف في الأدب هو اسناد نصر الى أبي الأسود في تعليقته هذه . وقد ألف نصر في العربية كتاباً لم يصل الينا [1] .

وأما عبد الرحمن بن هرمز (— ١١٧) فقد كان أحد القرّاء العلماء بالعربية والأنساب ، وقد قيل في ترجمته إنه أول من ألف في النحو . وكان من تلاميذ أبي الأسود وأصحابه أيضاً . قال الزبيدي : كان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش .

والذي نراه في هذه القضية ان أبا الأسود هو الذي وضع أسس هذا العلم ولعله أطلع الإمام علياً على ما أراد أن يضعه أو أنه فعل ذلك الوضع برأي الإمام وتوجيهه . وأما عمل نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فهو قيامهما باتمام ما بدأ به أستاذهما أبو الأسود ، ويقال ان نصراً هو الذي قام بتمييز الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، والصاد والضاد والطاء والظاء وما يشبه ذلك . كما يقال ان عبد الرحمن هو الذي رتب ما تلقاه من شيخه أبي الأسود وألفه في كتاب ، وخصوصاً إذا عرفنا أن نصراً وعبد الرحمن قد عاشا طويلاً بعد أستاذهما فكان طبيعياً ان يكملا ما بدأ به .

وصفوة القول ان أبا الأسود هو الذي وضع أساس بناء النحو في البصرة وذلك بأن ضبط قراءة القرآن الكريم [2] ثم وضع بعض القواعد العامة المتعلقة بالمرفوع والمنصوب والمجرور أو ما أشبه ذلك .

هذا ما نرتأيه في المقدار الذي ساهم به أبو الأسود وأصحابه في وضع العربية أما ما يقال من أنهم وضعوا أبواب النحو ، كما تذكر ذلك بعض المصادر العربية

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الأستاذ الراوي ص ٧٦ وما بعدها
(٢) راجع نزهة الألباء لابن الانباري ص ١١

القديمة ، وأنهم قسموا الكلمة الى اسم وفعل وحرف وذكروا النواصب والجوازم ، وبوّبوا النحو وغير ذلك فأمر يستبعد وقوعه في ذلك الزمن المبكر ، ولكن الذين بحثوا في هذه الموضوعات وبوّبوا النحو ، هم رجال الطبقة الثانية التي جاءت بعد أبي الأسود وتلاميذه في القرن الثاني للهجرة أمثال عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن احمد ، وعيسى بن عمر الثقفي . فقد كانت البصرة بيئة عربية لقربها من المربد الذي كان يقصده عرب البادية العربية يتناوبون ويتناشدون الأشعار حتى غدا أجلّ سوق للعرب في الجاهلية والاسلام . وكان هؤلاء العلماء البصريون أصحاب قياس وتقنين يحاولون ضبط أساليب اللغة بالقواعد المنطقية التي أفادوها من الاطلاع على المنطق اليوناني ، الذي ترجم في عصرهم . وكانوا حريصين على القياس وطرد القواعد واهمال كل ما يخالف أقيستهم ونظرياتهم اللغوية التي وضعوها مستنيرين بالعقل السليم والمنطق الصحيح ، والفلسفة اليونانية حتى قال صاحب الانصاف : « إنهم بنوا كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة والمحافظة على أن تجري الأبواب على سنن واحد ، وقالوا ألا ترى انهم حملوا المضارع على الماضي اذا اتصل به ضمير جماعة النسوة نحو نضربن وحذفوا الهمزة من اخوات أَكْرَمَ نحو تكرم ويكرم ، والأصل فيها تؤكرم ونؤكرم ويؤكرم كما قال :

فانه أهل لأن يؤكرما

وكذلك حذفوا الواو من اخوات يَعِدُ نحو أعد ، وتعد ، ويعد ، والأصل أوعد ، ويوعد ، وتوعد ، حملاً على يَعِد ، كل ذلك لتحصيل التشاكل والفرار من نفرة الاختلاف [1] » .

مدرستا البصرة والكوفة :

يوجب البصريون سير اللغة في سبيل واحدة متشابهة متشاكلة لا شذوذ فيها ولا اختلاف وهم يشبّهون القياس النحوي بالقياس الفقهي ويقولون لا بد لكل

(١) الانصاف ص : ٣ — ٤

قياس من أركان أربعة : أصل وفرع وعلة وحكم ، ويقولون قد يخرج على القياس شيء من كلام العرب ولكنه يظل مسموعاً ولا يقاس عليه غيره ، ويقولون : يُحمل الأقل والأندر على الأعم الأكثر ، وهذا أولى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر[1] ، ويقولون : لا بد لكل أمر من دليل وعلة ، ويقولون : لكل قاعدة أصل ولا يصح العدول عن هذا الأصل ، ومن عدل عن الأصل بقي مرتهناً باقامة الدليل[2] .. وما الى ذلك من القواعد والأصول والأقيسة التي تعتمد على علمي المنطق والأصول ، ونظريات الفلسفة .

وأما مدرسة الكوفة فقد كانت مدرسة تميل الى التوسع وعدم التقييد وكان رجالاتها يعتمدون على سعة روايتهم وكثرة محفوظهم كما كانوا لا يتقيدون بالقواعد النحوية ، ويقولون ان كثيراً مما نظن انه شاذ عن الأسلوب العربي لمخالفته الأقيسة انما هو صحيح ... فمذهبهم أقرب الى السليقة منه الى الصنعة ولعل سبب ذلك هو انهم كانوا يعتمدون على المعين الأدبي الذي تدفق عليهم ، أكثر من اعتمادهم على المنطق اليوناني وتعقيداته ، وعلى الفلسفة وقواعدها كما كان يفعل رجال المدرسة البصرية الذين أغرقوا في الاعتماد على نحو السريان ، وعلوم اليونان ، وثقافات الفرس ، على عكس الكوفيين الذين كانوا أميل الى الانطلاق عن كل هذه القيود .

وأوائل من عرف من الكوفيين بالاهتمام بالعربية جماعة منهم :

أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي (— ١٦٤) الامام النحوي المقرئ المؤدب الذي كان من كبار رجال علم القرآن والحديث والعربية ، ولد في البصرة ولكنه أقام في الكوفة وتعلم على رجالاتها وروى القرآن عن عاصم بن بهدلة ابن أبي النجود الأسدي الكوفي إمام القراء وأحد القراء السبعة ، وقرأ العربية

(١) الانصاف ص : ٢٧٧
(٢) الانصاف ص : ١٣٤

على أبي عمرو بن العلاء وطبقته .. وروى عنه الحسين بن علي الجعفي الكوفي الامام الزاهد وأحد أعلام القراءات . وله كتاب في الحديث ، وقصد في آخر عمره بغداد وفيها مات [١] .

وأبو مسلم معاذ بن مسلم الهرّاء (— ١٨٧) مؤدب عبد الملك بن مروان ، وشيخ أبي الحسن الكسائي إمام نحاة الكوفة ، وأبي جعفر الرؤاسي أول من صنف من أهل الكوفة وكان الهراء من أئمة النحاة الرواة ، أخذ عن الامام جعفر الصادق ، وكان صديقاً للكميت الشاعر ، وله شعر لا بأس به ، وقد عمّر طويلاً ، قال ابن خلكان : قرأ على الكسائي وروى عنه وصنف في النحو كثيراً وكان يتشيع ، وله شعر كشعر النحاة وكان في عصره مشهوراً بالعمر الطويل ، وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باقٍ [٢] ويقول ابن الأنباري في النزهة : وقيل إنه كان يكنى أبا علي وهو من موالي محمد بن كعب القرظي ، وهو عم أبي جعفر الرؤاسي ... ولا مصنف له يعرف .

وأول من عرف من الكوفيين بالتصنيف والبحث عالمان جليلان هما :

أبو جعفر الرؤاسي محمد بن الحسن بن أبي سارة النيلي النحوي (— ١٩٠) وقد تلقى العلم عن عمه معاذ بن مسلم الهرّاء وعن أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى ابن عمر الثقفي ، وكان بارعاً بالنحو والصرف والقراءات ، وكانت له اختيارات في القراءة والوقوف . وقد روى عنه يحيى بن زياد الفراء ، وخلاّد بن خالد الصيرفي ، وعلي بن حمزة الكسائي [٣] . وكان سيبويه يجله ويثق بعلمه وكما قال في كتابه (قال الكوفي) عناه . قال ابن درستويه : زعم أبو العباس

(١) راجع تهذيب التهذيب ٤ / ٣٧٣ ، وغاية النهاية لابن الجزري ١ / ٣٢٩ وتاريخ علوم اللغة للراوي ص ١٢٢

(٢) راجع بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٣ ، ونزهة الالباء لابن الانباري ص ٦٤ والكنى والألقاب للقمي ٣ / ٢٣٩

(٣) انظر النهاية لابن الجزري ٢ / ١١٦ والبغية ص ٣٣ والنزهة ص ٦٥ .

احمد بن يحيى ثعلب : إن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو الرؤاسي والفراء . وقال الفراء : لما خرج الكسائي الى بغداد قال الرؤاسي قد خرج الكسائي الى بغداد وأنت أميز منه فجئت الى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ماعندي فحزت قوماً من علماء الكوفيين فكانوا معي فقال : مالك قد أنكرت لعلك من أهل الكوفة ، فقلت : نعم فقال : الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته . وقال الرؤاسي : أرسل إليّ الخليل بن احمد يطلب كتابي فبعثته اليه فقرأه ووضع كتابه[1] ويقال لكتابه (الفيصل) . وقال المبرد : عرف الرؤاسي بالبصرة وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت اليه ولم يجسر على إظهاره لما سمع كلامهم . وقد ألف الرؤاسي كتباً عديدة منها (الفيصل) و (معاني القرآن) و (التصغير) . و (الوقف والابتداء الكبير) و (الوقف والابتداء الصغير) وقد ضاعت هذه الآثار كلها فيما أعلم .

والكسائي الامام علي بن حمزة بن عبد الله بن بهرام (— ١٨٩) وكان شيخ الكوفة الأعظم وموطد قواعد مذهبها في النحو والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة المشهورين ، قرأ على حمزة ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع العلم من سليمان بن أرقم ، وأبي بكر بن عياش ، وسفيان بن عيينه ، وتعلم النحو من الرؤاسي ومعاذ الهراء ولزمه حتى انفد ماعنده ، ثم خرج الى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته فقال له رجل من الأعراب تركت أسداً بالكوفة وتميماً وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة ! ! ثم انه قال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة

(١) انظر ارشاد الأريب ٢ / ١٣٨ والبغية ص ٣٥ والنزهة ص ٦٦ والمزهر ٢ / ٢٠١ وطبقات الزبيدي ص ٦١ وبركلمان C. A. L. ١ / ١١٥ والذيل ١ / ١٧٧

قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ماحفظ ، وقدم البصرة فوجد الخليل قد مات ، وفي موضعه يونس بن حبيب فجرت بينهما مسائل أقر له فيها يونس وصدّره في موضعه . قال ابن الاعرابي : كان الكسائي أعلم الناس ضابطاً عالماً بالعربية قارئاً صدوقاً إلا أنه كان يديم شرب النبيذ . وقال ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه ما أفسد النحو بذلك[1] » . ولا شك في ان ابن درستويه إنما قال ذلك بعقلية نحاة البصرة المنطقيين المتشددين . وقد نبغ من تلاميذه ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم . وله كتب كثيرة ذكرها الخطيب البغدادي في ترجمته والزبيدي في طبقاته وياقوت في معجمه ، وابن خلكان في وفياته ، واحمد امين في ضحى الاسلام . ولم يبق من هذه الكتب إلا رسالة في (لحن العامة) وكتاب (المتشابه في القرآن)[2] .

ويلي الكسائي عند الكوفيين تلميذه يحيى بن زياد بن عبد الله بن الفراء (— ٢٠٨) الذي تصدر في الكوفة بعد أستاذه الكسائي . قال ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأمره المأمون أن يجمع أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه ... حتى حققت (الحدود) وأمر المأمون بكتبه في الخزائن . وكان أعلم الكوفيين بعد الكسائي ، وكان يميل الى الاعتزال ، زائد العصبية على سيبويه وقد ألف عدة

(١) راجع البغية ص ٣٣٦ والنزهة ص ٨١

(٢) راجع بروكلمان G. A. L. ١ / ١١٥ والذيل ١ / ١٧٨

كتب ذكرها الخطيب البغدادي ، وياقوت ، والسيوطي ولم يبق منها إلا كتاب (معاني القرآن) و (الفاخر) في الأمثال و (المقصور والممدود) و (المذكر والمؤنث) و (الأيام والليالي)[1] .

هؤلاء هم أئمة المدرسة الكوفية التي كانت في أول أمرها بعيدة عن طريق المناطقة والفلاسفة ولكنها لم تلبث في عهد الفراء أن تأثرت بالمنطق والقياس على طريقة أهل البصرة ولكنها لم تغال غلو أهل البصرة[2] .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

(١) راجع بروكلمان G. A. L. ١ / ١١٦ والذيل ١ / ١٧٨

(٢) راجع الانصاف طبعة بريل ص ٤٥ ، وتاريخ علوم اللغه للراوي ص ١٢٢

التعريف والنقد

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم شعراء الشام ، الجزء الأول

ألّفه العماد الاصفهاني وحقّقه الدكتور شكري فيصل ونشره المجمع العلمي العربي في ١٨ + ٦٩٠ صفحة (١) و ٨ رواميز - المطبعة الهاشمية بدمشق ، سنة ١٩٥٥

عُنِي العرب ، في مطلع عصر التأليف ، بالشعراء القدامى ؛ فجمعوا ما أثر عنهم وشرحوه ونقدوه . ثم جعلوا أولئك الشعراء طبقاتٍ في الزمان وفي الإتقان ، وترجموا لهم وقوّموهم . ولكنّ هؤلاء المؤلفين لم يلتفتوا إلى عصريهم ، ولم يُقرّوا لهم بأيسر الفضل ؛ ولذلك دواعٍ ، من أعظمها ، فيما نظن ، عناية هؤلاء المؤلفين الأوائل بسلامة اللغة وصحة التعبير قبل كل شيء ، وهما إنما يُلتمسان في عصري الجاهلية وصدر الإسلام .

ثم دخل الشعر العربي في طور جديد ، ونبغ فيه من المتأخرين مَن لا يقلّ عن المتقدمين ، في إشراق الديباجة وصحة الحوك وجمال المعاني والصور وتنوع الأغراض ؛ ففطن القوم إلى هذا الشعر الجيّد الجديد ، وأخذوا يؤلفون في طبقات الشعراء المحدثين والمولّدين ، ويعكفون على تذوّق منظومهم ، وينزلونهم المنزلة التي هم أحق بها . وفي المكتبة العربية تصانيف كثيرة ، كتبها أصحابها في هذا الشعر الحديث وشرحه ونقده ، وفي شعراء أواخر القرن الثالث وما بعده

---

(١) أخطأ الطابع في ترقيم بعض الصفحات ، فانتقل من ص ١٦٠ الى ص ١٧٧ ، وتجاوز الأرقام ١٦١ إلى ١٧٦ ، وعلى ذلك يقع نص الكتاب في ٦٧٤ صفحة فقط .

إلى يوم الناس هذا . ومن أجلّ هذه التصانيف كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) .

مؤلف هذا الكتاب هو عماد الدين القرشي الاصفهاني الكاتب (٥١٩ — ٥٩٧هـ) . نشأ في فارس ، وطوّف في بلاد العراق والشام ومصر ، ولقي فضلاءها وأدباءها ، وأخذ عن كبار علمائها وشيوخها ، وصحب نور الدين وصلاح الدين ، وشهد حروبهما مع الفرنجة . وكان عالماً فاضلاً ، كاتباً شاعراً ، متمكناً من الفارسية ، مالكاً ناصية العربية ، طويل الباع فيها ، مولعاً بالنثر المصنوع المعقّد ، يصوغ به رسائله ، ويفرغ فيه ما يؤلفه في تاريخ عصره الأدبي والحربي والسياسي ، ويكثر من التسجيع والترصيع والتجنيس والمطابقة ، حتى ليعسر على الحافظ استظهار أسماء بعض كتبه ، ككتابه (نصرة الفترة وعصرة القطرة) في تاريخ السلاجقة ، و (الفتح القسي في الفتح القدسي) في فتوحات صلاح الدين ، و (نحلة الرحلة وحلية العطلة) في اضطراب البلاد بعد موت صلاح الدين ، و (خريدة القصر وجريدة العصر) الذي نعرّف به هنا .

ويطول بنا الكلام إذا شئنا التحدث عن المصنفات التي ألف العماد كتاب (الخريدة) على نسقها ، وعن الكتب التي أُلّفت بعده على غراره ، وعن المؤلفين الذين اعتمدوا (الخريدة) ، ونهلوا من معينها ، كياقوت وابن خلكان وابن شاكر والصفدي وابن السبكي وابن الفُوَطي وسبط ابن الجوزي وأبي شامة وابن كثير . . . .[1] فنقتصر هنا على التعريف (بالخريدة) فحسب .

كسّر العماد كتابه هذا على اثني عشر جزءاً ، جعلها أقساماً أربعة ؛ فقصر القسم الأول على شعراء العراق ، ووقف الثاني على شعراء العجم وفارس وخراسان ، وخصّ الثالث بشعراء الشام والموصل وجزيرة بني ربيعة وديار بكر وأضاف إلى هذا القسم شعراء الحجاز وتهامة واليمن ، وجمع في الرابع شعراء مصر وصقليّة

(١) أقرأ كلمة في ذلك كله في : (الخريدة) ، القسم العراقي ، الجزء الأول ، المقدمة : ص ص ٨٢ — ٩٦ .

والمغرب وبلاد الأندلس . ولئن انفسحت رقعة مواطن هؤلاء الشعراء في المكان (فامتدت من أقصى المشرق العربي آنئذ إلى أقصى المغرب) فقد ضاقت في الزمان ، إذ يقول العماد : «وقد ذكرتُ أهل عصري ، وأهل عصر آبائي وأعمامي ، فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضي ، والحاضر النامي . وأكثرُ ما أوردتُه شعرُ مَن أروي عن واحد ، عنه ، إنْ لم أكن أدركتُه وسمعته منه . ولم أقتصر على المنتقى المنتقد ، والمتنخّل المنتخب ، بل ذكرتُ لكل شاعر ما وقع إليَّ من شعره ، وأثبتُه : إما لمعنى غريب ، أو لفظ مستحسن ، أوأسلوب رائق ....» [1] . وقد اعتمد الدكتور شكري فيصل ماقاله ابن خلكان في ترجمته العماد ، إذ جعل الخريدة تحتوي على تراجم (الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) [2] . وما نرى قولَ ابن خلكان حقًّا ، ففي الخريدة مثلاً ترجمة للشريف أبي الحسين علي بن حيدرة العقيلي ، وكان يعيش في النصف الأول من القرن الخامس [3] ، وأخرى للباخرزي صاحب « دُمية القصر » وقد توفي سنة ٤٦٧ هـ ، وثالثة للأمير تاج الملوك أخي صلاح الدين ، وقد توفي سنة ٥٧٩ هـ .

وقد يحسب القارئُ بادئَ بدء أن (الخريدة) موقوفة على الفحول من الشعراء ، ولكنه لا يلبث ، إذا ما مضى في مطالعتها ، أن يرى فيها شعراً للمغمورين منهم ، بل ولبعض الفقهاء والمحدثين وأبناء الأجناد ، ثم يرى ، إلى جانب هذا الشعر أيضاً ، قدراً وافراً من نثر عصر العماد ، وقد غلبتْ على أكثره الصنعةُ ، وأثقله البديع ، فغاضت محاسن معانيه ، بالتأنق المتكلف في زخرفة مبانيه ؛ ولا عجب ، فالعصر عصر القاضي الفاضل وليّ نعمة العماد ، وأستاذه في هذا المذهب الفني ، ورافده في تأليف جزء الخريدة المتعلق بالمغرب .

(١) المصدر السابق ١ / ٧ .
(٢) راجع (الخريدة) ، قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، المقدمة : ص ٣ .
(٣) راجع (الخريدة) ، قسم شعراء مصر ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٢ – ٦٣ .

من عادة العماد في (الخريدة) أن يوطئ للكلام على الشاعر أو الكاتب بترجمة مسجّعة له ، ويعقّب على ذلك بايراد نتف من أخباره ، وأنباذٍ من رسائله أو أشعاره ، وقد ينسق هذه الأشعار على القوافي المتلاحقة على حروف المعجم ... ، ولكنه لا يلتزم ذلك كله دائماً ، ولا يتبع في التوطئة نسقاً واحداً ؛ فقد يغفل ذكر تاريخ ولادة المترجَم له أو وفاته ، أو يقتصر على ذكر اسمه وينتقل إلى ذكر شيء مما اختاره له . ووصفُه لهؤلاء الأدباء غامض مبهم في الحين بعد الحين ، فالعماد يُضفي على أكثرهم ثوباً واحداً في معناه ، من الإشادة بمحاسنهم ، والتنويه ببراعتهم ، فكلهم « قسٌّ في الفصاحة ، وقيسٌ في الحصافة ، وحاتم وعمرو في السماحة والحماسة » . وقد يكون هذا الثوب من الثناء ضافياً فضفاضاً على بعضهم ، وضيقاً قصيراً على الآخرين . فأكثر أحكامه النقديه لا يعيننا اليوم على إحلال الشاعر المنزلة التي يستحق ، بل ولا على تبيّن المنزلة التي كانت له عند العماد وأهل عصره ، وليست (الخريدة) في جملتها إلا قصائد ومقطّعات من الشعر وشذوراً من النثر ، اختارها أصحابها أو انتقاها المؤلف ، منها الحسن ومنها ما هو دون ذلك ، تسبقها توطئة في التعريف بصاحبها ، ليست من حرّ النقد الأدبي كما نفهمه اليوم إلا في الندرى . على أن (الخريدة) رغم هذا كله قد تعين مَن يتصدى لكتابة تاريخ الأدب والنقد في القرنين الخامس والسادس .

وقد يودع العماد (الخريدة) نتفاً من أشعاره ، ويقول في بعضها : « وما أوردتُها لجودتها ، على أنها ما تقصر عن الغاية ، بل لمناسبتها وكونها لائقة بهذا الموضوع . »[1] .

* * *

نهض بعض أفاضل علماء العراق ، بتكليف من المجمع العلمي العراقي منذ أكثر من خمس سنوات ، لتحقيق القسم العراقي من (الخريدة) ،

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ١ / ٣٠ .

وصدر في أوائل هذا العام (١٩٥٦ م) الجزء الأول منه ، كما كان قد صدر في القاهرة قسم شعراء مصر ، الجزء الأول سنة ١٩٥١ والجزء الثاني سنة ١٩٥٢ م .

أما القسم الشامي فقد عهد المجمع العلمي العربي بتحقيقه إلى الدكتور شكري فيصل ، الأستاذ في كلية الآداب في الجامعة السورية ، وصدر الجزء الأول منه في أواخر العام ١٩٥٥ م ، واعتمد المحقق خمسة مخطوطات تتفاوت قيمها ، ولكن أجلّها مخطوط المكتبة الوطنية في باريز ، ويقدّر الدكتور فيصل أن يقع قسم شعراء الشام في ثلاثة أجزاء ، ويرجو - عندما يفرغ من نشرها - أن يعقّب عليها بدراسة (للخريدة) ومؤلفها ، وللشعر في هذه الفترة .

وفي هذا الجزء الأول من قسم شعراء الشام ترجمة ومختارات لخمسة وأربعين علَماً : من شعراء بلاد الساحل الشامي (٣) وشعراء دمشق (١٠) وعلماء دمشق والقدس (١٠) وفضلاء دمشق (٨) وحمص (٢) وحماة (٢) وبني منقذ (١٠) . وفي تضاعيف هذا الجزء فصول ورسائل نثرية طويلة ، كرسالة (النسر والبلبل) ، للمهذب الدمشقي ، ورسالة في الصيد والشراب ، للأمير بغمر بن عيسى .

أنفق المحقق الفاضل ، مشكوراً محموداً ، الكثير من الجهد والوقت في إخراج هذا الجزء للناس ، وطبعه طبعة علمية نقدية منقّحة صحيحة ، فجمع ما تيسّر له من أصول الكتاب ، وقارن بين الروايات ، وتخيّر أفضلها ، وضبط الكلمات التي يتوقّف جمهور القرّاء عندها ، وشرح معنى الغريب منها ، وترجم لمن وردت أسماؤهم في المتن ، واستند في ذلك إلى المراجع العربية الموثوقة ، فيسّر بذلك قراءة هذا السفر الثمين ، وهوّن الإفادة منه على أيسر وجه وأهدى سبيل . ووطّأ المحقق بمقدمة تعرّف بالكتاب ومؤلفه ، وتصف الأصول التي اعتمدها ، تقفوها روامز هذه الأصول . ثم ألحق بهذا الجزء مستدركاً أودعه ما بدا له فيه رأي مستأنف بعد أن سبق طبعه ، وعقّب على ذلك بستة فهارس لأبواب هذا الجزء ، وأسماء شعرائه ، والمختار من منظومه ومنثوره ، وللأماكن ،

والأعلام ، والمراجع والكتب الواردة في متنه وحواشيه . ووضعُ فهارس متقنة وافية لمثل هذا الكتاب الوسيع أمر محتّم في كل طبعة نقدية ، ولا يقدرها حق قدرها إلا الباحثون المتتبعون ، ولا يعرف عناء وضعها على الوجه الأكمل إلا من اضطلع بمثل هذا الأمر وكابد مشقاته . وفهارس هذا الجزء متقنة وافية تدل على الدقة والدأب والتبصر ؛ ولكننا كنا نودّ لو تبسط المحقق في التعريف بالكتب التي اعتمدها هو أو أشار اليها العماد، في فهرس (المراجع والكتب) ، فذكر فيه حذاء المطبوع منها الطبعة والطابع ومكان الطبع وزمانه ؛ والى جانب المخطوط خزانته ورقمه ووصفه بايجاز . وليس في فهرس (الأعلام) ما يميز صفحات الكتاب وحواشيه التي ورد فيها تعريف وافٍ بالعَلَم من الصفحات التي أشير فيها إليه إشارة عابرة ، وفي العادة أن يوماً إلى ذلك بأرقام متباينة . هذا واننا لنرجو أن يقوم المحقق أو أحد تلامذته ـ بعد أن يتم نشر الكتاب بأصباره ـ بوضع فهرس آخر لألفاظ (الخريدة) التي تنكرها المعاجم ، أو تغفل المعنى الذي حُمِّلَتْه تلك الألفاظ في ذلك العصر ، حتى تتسنى معرفة لغة أدبائه ، ويمهّد بذلك إلى وضع معجم تاريخي بأطوار لغتنا العربية .

وقد يؤخذ على المحقق بعض الحواشي ، فهو مثلاً إذا ورد اسم الإمام الشافعي في المتن (ص ٣٣) ذكر في الحاشية : « أنه أشعر الناس وآدبهم » . وليس في مثل هذا التعريف بالإمام الشافعي كبير غناء ، ولا يشفع للمحقق أنه أخذ هذا الوصف عن غيره ، أو أن عدوى أسلوب العماد قد سرت إليه فيه .

وفي الكتاب تطبيعات ، أثبت الفهرس الثامن أكثرها وفاته بعض ما لا يفطن جمهرة القراء إليه ، كذكره كتاب « معجم الآداب في معجم الأسماء والألقاب » (ص ٥) ، والصواب « مجمع الآداب في .... » ، وقوله : « والمثل مجمع في الأمثال » (ص ٣٨٥) وصوابه : « والمثل في مجمع الأمثال . » وقوله : « بكا على ما كان . » ص ٢٨٨ وهي « بكى ... » .

... هذه الهنوات وأمثالها لا تقدح في محاسن هذه الطبعة النقدية ، ولا تعفي المنصف من إزجاء أطيب الثناء والحمد للمحقق الدكتور شكري فيصل ، فبجهوده وجهود ثلة من المحققين في هذا العصر أتيح لهذا الجيل أن يطلع على الكثير من ذخائر تاريخنا وأدبنا ، مجلوّةً في أجمل عرض وعلى أصح نهج وأيسر سبيل ، وغدا فضل بعثها من خزائنها ، ونشرها نشراً علمياً لا تجارياً ، مشاعاً بين علماء العرب والمستشرقين .

* * *

وكلمة أخيرة ، هي أن (الخريدة) هذه الموسوعة الثمينة ، مقسمة الى أقسام ، اضطلع بتحقيق جزءين منها باحثون من مصر ، وجزء ثالث باحثان عراقيان ، وجزء رابع باحث دمشقي ، ووُلّي كلٌّ من هؤلاء وجهة مستقلة ، فكانوا طرائق قِدَداً في نهج التحقيق والشرح ووضع الفهارس ، وفي الاعتماد على الأصول ؛ واطلع بعضهم على مخطوطات لم يطلع عليها الآخرون فيُفيدوا منها ، وطبعت هذه الأجزاء بأحجام مختلفة ... فحبّذا لو تضامّ المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي ، وأقرّا طريقة واحدة في نشر الأجزاء الباقية من قسم شعراء الشام والعراق ، ثم حفزا همة (الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية) كيما تشترك معهما في نشر أقسام الكتاب الأخرى التي لم يتصدّ أحد لتحقيقها ، كقسم شعراء العجم وفارس وخراسان وصقلّيّة والمغرب والأندلس ، وفي إعادة نشر القسم المصري على النسق الذي يقر الرأي عليه ، وفي وضع فهارس موحدة شاملة وافية للخريدة في أجزائها كلها ، ليعم نفعها ويسهل على الباحثين الرجوع إليها ، ولهم ولمن يعينهم على تحقيق هذه الأمنية وافر الشكر واصبا .

عبد الهادي هاشم

طبقات الأطباء والحكماء

تأليف أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل

ألفه سنة ٣٧٧ هـ . حققه فؤاد سيد ، امين المخطوطات

بدار الكتب المصرية . مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي

للآثار الشرقية بالقاهرة (١٩٥٥)

هو أول مؤلف في تاريخ الأطباء والحكماء ظهر في الأندلس . وهو من أقدم ما كتب في هذا الموضوع . ويعد مع الفهرست الذي ألفه ابن النديم في نفس السنة التي ألف فيها ابن جلجل كتابه هذا وذلك في حدود سنة ٣٧٧ هـ من أقدم الوثائق الهامة في تاريخ العلوم بعد كتاب تاريخ الأطباء والحكماء لاسحق ابن حنين المتوفى في سنة ٢٩٨ .

نقل عنه نقولاً كثيرة صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء وطبقات الأطباء ، وابن القفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وابن العبري في مختصر تاريخ الدول وغيرهم . ويتميز هذا الكتاب كما أشار اليه المحقق بأن مؤلفه يعتمد فيما رجع اليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية . بينما أكثر الكتب التي نقلها العرب او غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية . والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية . مما جعل لهذا الكتاب قيمة علمية خاصة . وقد استقى ابن جلجل ما جاء في كتابه هذا من مصادر منها ما هو عن طريق النقل من الكتب التي اطلع عليها ككتاب الألوف لأبي معشر وغيره . ومنها الأخبار المروية بالسماع ممن عاصره من العلماء وقد انفرد بها ونقلها عنه من جاء بعده . ومن هذه النصوص ترجمة مامرجويه لكتاب إهرن القس أيام مروان بن الحكم . وان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب وانه استخار الله في إخراجه الى

المسلمين وبثه في أبديهم . ولا يخفى ما لهذا النص من الأهمية في تاريخ حركة النقل والترجمة وحفظ المؤلفات في خزائن خاصة في صدر الدولة الأموية .

ومما تحسن الاشارة اليه ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه من أنه ألف هذا الكتاب إجابة لسؤال شريف أديب من أشراف عصره ، ووصفه بالشريف الأصل الطيب النجد . الأموي القرشي . نجل الخلفاء وسلالة الأئمة الداعين الى الهدى . فقد سأله أن يكتب اليه عن أول من وضع صناعة الطب وتكلم فيها . وذلك لأنه لم ير لأحد من المتقدمين في ذلك كتاباً مرضياً ولا كلاماً مقنعاً مشبعاً . مما يدلنا على ما كان عليه علية القوم من ملوك وأشراف وأمراء في الأندلس في ذلك العهد الذهبي الغابر من ولع شديد بالتنقيب عن الحقيقة والمعرفة ومن أثر خالد في الحض على التأليف ونقل العلوم ونشرها بين الناس وازدهار الحضارة .

اعتمد المحقق في تحقيق هذا الكتاب على نسخة وحيدة لم يعثر على نظيرها في مكتبات العالم على ما بلغ اليه بحثه . وقد اعتبر النصوص المنقولة من ابن جلجل في كتب من ألف في هذا الموضوع كابن أبي أصيبعة والقفطي والعمري وصاعد وغيرهم نسخاً غير مباشرة صحح بها النص وحقق منها الخلاف الوارد في العبارة أو اللفظ مع المحافظة على نص المؤلف كما ورد في النسخة المخطوطة . وانما بين ذلك في الحواشي معزواً الى مصادره .

وقد عني المحقق عناية كبرى يشكر عليها بالبحث عن تراجم الشخصيات التي وردت في المتن . على ما في ذلك من صعوبة ومشقة . فأتى بتراجمهم مع ذكر مصادرها ، كما عني بالتعريف بالكتب والمصنفات الواردة في تراجم الأطباء وتعيين أماكن وجودها في العالم . وقد ألحق بكل ترجمة تعريفاً موجزاً بصاحبها لتعيين عصره وتاريخ مولده ووفاته وذكر اسمه كاملاً . متمماً بذلك النقص الكبير الوارد في الأصل إذ المؤلف أوجز في ذلك إيجازاً شديداً حتى انه لم يذكر تواريخ الوفاة لمن ترجمهم .

ويربو ما أضافه المحقق على كتاب ابن جلجل في مقدمته وفي حواشيه وذيوله من الشروح والتراجم والوثائق التاريخية والملاحظات القيمة على عدة أضعافه مما يوضح لنا الجهود الجبارة التي بذلها لإخراج هذا الكتاب القيم على الصورة الكاملة التي ظهر بها والتي لا يحتاج الناظر فيها الى الرجوع لأي مصدر آخر لإيضاح غامض . أو معرفة ما ليس بمعلوم لديه .

ويقع الكتاب بـ ١٨٠ صفحة منها ٤٠ صفحة حوت المقدمة و ١١٦ صفحة حوت كتاب ابن جلجل مع حواشي المحقق . وقد صنف المؤلف الأطباء والحكماء الذين أتى على تراجمهم في تسع طبقات ذكر في الأولى الطبقة العالية الأولية ممن تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية . ثم الطبقة الثانية الحكمية الرومية اليونانية ثم الطبقة الثالثة من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس ممن شهر في الطب والفلسفة . ثم الطبقة الرابعة من حكماء اليونانية ممن تكلم في الدولة القيصرية بعد بنيان روما . ثم الطبقة الخامسة من الحكماء الاسكندرانيين . ثم الطبقة السادسة ممن لم يكن في أصله روميا ولا سريانيا ولا فارسيا . ثم الطبقة السابعة من حكماء الإسلام ممن برع في الطب والفلسفة ، ثم الطبقة الثامنة من حكماء الإسلام ممن سكن المغرب ، ثم الطبقة التاسعة الأندلسية الحكمية منهم والطبية .

وقد اختتم الناشر هذا المؤلف بتعريف الكتب التي تكرر ذكرها في المراجع مختصرة . ثم بفهرست الأعلام . ثم بفهرست الأماكن . ثم بفهرست أسماء الكتب الواردة في متن الكتاب . ثم بثبت المراجع وبيان طبعاتها ثم بفهرست الكتاب .

هذا ولا يسعني بعد هذا الوصف الموجز لهذا الكتاب القيم إلا أن أثني على ما بذله المحقق من العناية الكبرى في إخراج هذا الكتاب الذي يُعد بما أضيف اليه من الحواشي من أنفس التحف التاريخية التي يفخر بها أدبنا وتاريخنا العلمي .

الدكتور أسعد الحكيم

أعيان الشيعة

تأليف السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي
الأجزاء : السابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون

ان مؤلف «أعيان الشيعة» لمن أبرك المجتهدين الاماميين على مقلديهم في الديار الشامية لما قام به من الاصلاح المذهبي والاجتماعي ، فقد حارب البدع السيئة ، وعمل بروح تسامحه وقوة عقله على تقريب القلوب بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين من السنة والشيعة ، وأشار على قومه بأن يصلّى عليه بعد وفاته في الجامع الأموي الكبير ، وقضى رحمه الله حياته كلها في العلم والتعلم وإصلاح العقول والأرواح ، وأكبر مؤلفاته أعيان الشيعة ، وهو دائرة معارف رجالية كبيرة لا يستغني عنها عالم ولا أديب في أبحاثه ، فقد كتب عن دعبل الخزاعي مئة صفحة في الجزء الثلاثين ، ومن أهم ما في هذه الصفحات إيراده القصيدة التائية التي زادت عن مئة وعشرين بيتاً ، وقد نوّه بذلك الأستاذ فرّاج مؤلف «دعبل الخزاعي» ودعا للمؤلف بأن يجزيه الله أعظم الجزاء ، كما نوّه بفضل الفقيد الدكتور عبد العزيز عزت أستاذ الأخلاق وعلم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة في كتابه «ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها» ، وذكر أن ما كتبه الفقيد في الجزء العاشر قد بلغ خمساً وستين صفحة تشتمل على خير ما ذكره العلماء عن مسكويه ، وخير ما لهذا الحكيم من منظوم ومنثور في الحكمة والأدب .

وفي هذه المعلمة من العلماء والأدباء من يراهم السنة من أعيانهم ، وإذا كان من يحب آل البيت ، ويتخذ حبهم ذريعة تقربه زلفى الى الله ، يعدّ شيعياً ، فما أحرى هذه المعلمة الرجالية : أن تبلغ من الأجزاء ألوفاً ، فهي على ذلك من مظاهر جمع الشمل وتوحيد الكلمة الإسلامية مما كان فقيدنا يسعى اليه ويجمع القلوب المتنافرة عليه رحمه الله .

وتحتاج الأجزاء الباقية الى عناية تامة بتصحيح نصوصها ، فان فيما نشر بعد وفاة المؤلف من الأغلاط أو الهفوات المطبعيـة ما ليس مهماً فلا نتعرض له ، ومنها ما لا يحمل وقوعه في مثل هذه المعلمة ولا يرضى صاحبها تمّا يفسد المعنى بعضه ، أو ينكسر به وزن الشعر ، ولم ينبّه له في التصحيحات كما في البيت التالي (٣٧ / ٤٥) ، وهو من الخفيف :

ما حنيني الى زرود ولا را مة لولاكم ما بهـا لي مرامُ

فان صدر البيت سليم وعجزه غير قويم ، وما هو كذلك في ديوان الشاعر ، ويستقيم الوزن لو قيل :

ما حنيني الى زرود ولا را مة ما لي بهـا سواكم مرامُ

وجاء في (٣٧ / ٥٠) :

لي الله كم لي وقفة بعد وقفة مع الدهر ردت علا الدهر أجذما

والصواب : « مع الدهر قد ردّت ... » .

وفي (٣٧ / ٥٣) قوله :

لو طلبتم لي مزيداً في الهوى ما وجدتم فوق ما بي مزيدا

ويستقيم وزن العجز لو قال : (فوق ما فيّ ...) .

وقوله والضمير يرجع لمهجته (٣٧ / ٥٦) :

تركتهـا بين نَدمان غطارفة غروا غلمـة بيض مصاليت

والصواب : « غروا بها غلمة ... » .

ومن هفوات العروض أو المطبعية قوله (٣٧ / ٥٩) :

وانهضن بهمة حازم أنت الذي رصّعت تيجان الرياسة جوهرا

ويجبر كسر الشعر بعدم توكيد الفعل : « وانهض بهمة ... » .

وجاء في البيت الذي يليه : (جادعاً نين) والصواب (عرنين) وهو من المطبعة ، وجاء في البيت الذي يليه من ظلم المطبعة : (والمجرة مبرا) والصواب

(منبرا) ، وبذلك لم يخل بيت من هذه الأبيات الثلاثة المتواليـة من هفوة ، وقد ذكرتها على سبيل المثال .

وانظر الى هذا البيت (٣٧ / ٦١) وهو من مجزوء الكامل :

وأنا اذا استنجدت لم يكن بك منجـدي

فانك تجد ان الشطر الثاني (يكن بك منجدي) مكسور .

ومن محاسن الجزء الثامن والثلاثين بحث عن ديك الجن عبد السلام بن رغبان في ثمان صفحات ، وفي ترجمته من الشعر والأخبار ما قلما يعثر عليه ، وفي الجزء التاسع والثلاثين ترجمة الأمير الأديب عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي صاحب سر الصناعة[1] والذي كان يتشبه بالشريف الرضي في شعره ، فقد جاءت ترجمته في ٣٧ صفحة ، وفيها من خبره ومختارات شعره الشيء الطريف .

وكنا نود لو أشبع المؤلف البحث عن الإمام أبي الفتح عثمان بن جـني ، فقد ترجمه في سطر واحد ، وذكر أنه من مشائخ السيد الرضي ، وما أدري لعل بقية الترجمة لم يعثر عليهـا .

ومن هفوات الجزء الثامن والثلاثين (٣٨ / ١٧) البيت التالي :

وما انا ان شط المزار بذاهل عن الود حتى تجتويني مصاوعي

والصواب البيّن (مصارعي) ، وجاء في (٣٨ / ١٩) :

خليـلي عرّجا بالديار وسائلا أهيل الحمى عن عهدنا المتقادم

والصواب (عوجا) ، وجاء في (٣٨ / ٣١) :

وضع الدهر عليهـم بركة فأبيدوا لم يغادر غير نَسْلْ

والصواب (بركه) أي صدره ، وهذا البيت من قطعة شعرية مطلعها :

سألتني جارتي عن أمتي واذا ماعيي ذو اللب سألْ

والصواب (وإذا ما عيّ) ، وإلا اختل الوزن .

---

(١) وقد نشره أخيراً الأستاذ عبد المنعم الخفاجي نشرة علمية صحيحة .

وجاء في الجزء (٣٩ / ٣٥) : « الامام جمال الدين بن مظهر » وأظن الصواب « المطهر » . ومن هفوات النحو في هذا الجزء مما سلم منـه الأصل ما جاء (٣٩ / ٤٣) : « وكان يحب الانصاف بين الرعية ، ولكنه جاهلا بأمور الرعية » والصواب (جاهل) ، ونحسب ان (كان) قد سقطت حين الطبع ، وان الأصل (ولكنه كان جاهلاً ...) .

وجاء في (٣٩ / ٣٩) :

فالله أعلم حيث جعـل علمه في جوف طاهرْ

ويستقيم الوزن بقوله (حيث يجعل) .

وجاء في (٣٩ / ٩٦) :

قضى الله فيها ما قضى ثم انقضى وما ما مضى إلا كأضغاث حالمِ

ويستقيم الوزن بقوله (ثمت انقضى) وأحسبه كان في الأصل قبل النشر .

ومن جنايات المطبعة (٣٩ / ١٠٣) :

فكم أمر أغالب فيـه نفسي ركبت فكان أدنى للجناحِ

والصواب للنجاح كما لا يخفى .

هذا ما ذكرته من الهفوات على سبيل المثال ، وقد يكون فاتني ولا شك كثير من السهو الواقع في هذه الأجزاء الثلاثة مما لا يتسع له صدر هذه المجلة فتركته وأنا أعتقد أن ذلك كله لا ينقص من قدر هذه المعلمة الممتعة شيئاً ، وأرجو أن يهتم السيد الحسن نجل الفقيد بنشر الأجزاء التالية نشراً حسناً يليق بهذا الكنز الدفين .

الثائرون في التاريخ

الملك سيف

تأليف دار الحكمة باشراف علي ناصر الدين

تقوم دار الحكمة البيروتية للتأليف والترجمة والنشر بأعمال علمية وأدبية جليلة للأمة العربية وقضيتها ، فقد نشرت أبحاثاً ممتعة عن الثائرين من العرب في التاريخ وهي سلسلة أدبية ذهبية والملك سيف بن ذي يزن الحلقة الثانية منها ، وتريد دار الحكمة أن تجلو بها صفحة مجيدة من تاريخنا العربي القديم تدل بهـا على نبل النفس العربية ومبلغ هيام العربي بالحرية وتقديسه لهـا واستعداده الطبيعي للثورة في سبيلها ، وقد دلت قبلاً على ذلك بالحلقة الأولى التي خصتها بدراسة (الملك أذينة والملكة الزباء) . وشبيبتنا العربية الناهضة أو الثائرة اليوم في حاجة حاقة الى مثل هذه الدراسات القومية التي تكشف الحجب عن كثير من الحقائق كانت مطموسة فتضرم في قلوبهم جذوة الحماسة العربية وتحمل كل فتى منهم على اقتباس قبس منها .

وتعنى هذه الحلقة الثانية بدراسة لسيف بن ذي يزن وثورته على الأحباش الذين غزوا اليمن العربية وعاثوا فيها فساداً ، والملك سيف هذا هو البطل العربي الشعبي الذي تتداول قصته ملايين الأيدي العربية في مختلف الأقطار ، وليس فيها من شخصية الملك سيف ولا من حقيقته العقلية والوطنية شيء ذو بال يستحق أن يعتبر به شبابنا العربي المتعلم المستنير لما في تلك القصة من السطحية والمبالغات التي تطمس نور الحقيقة وتحمل على الاستخفاف وقلة المبالاة .

وملكنا العربي هذا قد لعب وهو فتى في تاريخ الوجود العربي دوراً بطولياً رائعاً ، وجعل من قضية بلاده وتحريرها قضيةً دولية ، فنجح بمساعيه السياسية والتفاف قبائل اليمن حوله وهي ثائرة للاستقلال وتحطيم الأغلال ، فحرّر بلاده

العربية بقوة الإيمان ، وحطّم بجوافر جواده وجياد بني قومه سيوف الأحباش فآبوا الى بلادهم مذمومين مدحورين .

وفي هذه الدراسة السيفية كثير من المواقف القومية التي تهز أعطاف الفتوة العربية . وهي خليقة بالتحدث عنها لولا ضيق النطاق . ومن الخطأ النادر الذي وقع فيها ما جاء في شعر تبع يصف صنعاء :

ليس بؤذيهمُ فيها وهج الحر ولا القرّ في زمان اقترار

والصواب بها بدل (فيها) ، ولا يسعنا إلا الشكر لدار الحكمة لما تنشره من هذه الدراسات الأدبية والقومية باشراف الأديب العربي المبين الأستاذ علي ناصر الدين جزاه الله عن الأدب وقومه العرب خيراً .

التنوخي

رد على ميخائيل نعيمة في « مرداد »

بقلم الأب بوحنا الحوري ب . م .

٢١٣ صفحة بالإضافة إلى الفهرس ومقدمة سعيد عقل

الحجم : ١٤ × ٢٠ سم — المطبعة البولسية بصيدا ، ١٩٥٦

حين وقعت عيني على الرمز الذي وُشّح به هذا الكتاب « أفعى رهيبة متلوية على نسر طائر تنهش صدره » خطرت ببالي الصورة الرائعة الشهيرة في إلياذة هوميروس . وتساءلت : أيصحُّ أن أتخذ من هذا الرمز مثل المعنى الذي اتخذه منه العرّاف بوليداماس ، فأرى فيه — هذه النوبة — شؤماً (لا على هكتور بطل طروادة) بل على ميخائيل نعيمة الكاتب ؟ . . ولكنني ما لبثت أن ذكرت أن الإلياذة تضيف أن القائد استشاط يومئذ غضباً من الإرهاص وقال للعرّاف : « ما أنا من يبالي كلام الطير حين أتلقى كلام زفس رب الجبابرة ! » وإذ ذاك عزفتُ عن الطيرة وفتحت الكتاب .

علامَ مدار الجدل ؟

كان الكاتب المهجري ميخائيل نعيمة وضع كتاباً بالإنكليزية ونقله بنفسه إلى العربية بعنوان « كتاب مرداد منارة وميناء »[1] . ويظهر أن قد تمتع هذا الأثر بحظوة رفيعة لدى المتأدبين في أرجاء واسعة من العالم ، حتى لقال في حقه الشاعر سعيد عقل : « في لبنان نقرأ مراد على أنه رائعة بشرية ، وفي مصر يقولون إنه كتاب العصر في اللسان العربي ، وفي الهند يتلمسونه في ترجمته (كذا) الإنكليزية المطبوعة هناك ، كأنه وحي آخر وفد إليهم من جوار وطن يسوع » . واعتقادي أن سحر هذا الكتاب راجع ، بالدرجة الأولى ، إلى ألغازه المغربة المثيرة المحرّضة بغموضها وبوضوحها على السواء ؛ وبالدرجة الثانية لأن فيه من حيث الصياغة حرارة أسلوب نيتشه وطعمه ورائحته في « هكذا تكلم زرادشترا » . يضاف إلى هذا وذاك أنه عَرَض ، في ثوب فنيّ مبتكر ، أفكاراً عسرة الهضم ، من حيث الأصل ، مردُّها إلى الميتافيزياء الجرمانية المتصلة بوحدة الوجود (Panthéisme) ولا سيما إلى مثالية فيخته الذاتية (Idéalisme Subjectif) التي تجعل « الأنا » مبدأً أعلى لأنها « المفكّر والمفكَّر به في آنٍ معاً » ولأنها « الخالق والمخلوق في آن معاً »[2] .

ومع أن ميخائيل نعيمة لم يكتب مطوّلاً في الفلسفة « الجدلية » ، وإنما كتب أثراً أدبياً - شعرياً بمعنى من المعاني - ليدلّل على قيمة النظرة الشخصية في التفكير وفي الإبداع (ولذلك اضطر إلى بعض المفارقات التي تُرعب رجال الدين) فقد حسب الأب بوحنا الخوري أن عليه أن يقاضيه أمام محكمة لاهوتية ، فنصب موازين الحساب وجاء يدينه على الكبائر والصغائر . فكذلك إذا كتب

(١) نشرته مكتبة صادر ببيروت سنة ١٩٥٢ .

(٢) راجع في كتاب نعيمة الفصل الثاني بعنوان : في الكلمة المبدعة « أنا » هي الينبوع والمحور .

نعيمة : « هذا كتاب مرداد كما دونه نروندا أصغر رفاقه سناً وأقلهم قدراً منارةً وميناءً للتواقين الى التغلب أما غير التواقين فليحذروه » كلّف الأب بوحنا الخوري نفسه عناء الرد فكتب : « هذا كتاب مرداد كما دونه نروندا أصغر رفاقه سناً وأقلهم قدراً تظليلاً وتضليلاً في لجج الشك لمن خانتهم المعرفة فسقطوا وارتطموا أما ذوو اليقين فليتقوه . » حتى إن نعيمة حين يجترئ فيُجري على لسان شمادم (الراهب المسحور) مجرد قوله : « لقد اشتعلت نار الحرب بين مرداد وبيني ، ووَقْعُ الضغائن في القلوب لأشدُّ فتكاً من وقع السيوف القواضب [...] ولو أن رفاقي نصروني عليه لسحقته في النهاية سحقاً ، ولانتزعت قلبه من صدره وأكلته أكلاً » ، لا يلبث الناقد الأب المحترم أن يجيب : « كفى ، يا ميخا [= ميخائيل ؟] ... ومن الراهب الذي شبَّ على روح الحقد هذه ؟ لست أظن راهباً في العالم تثور فيه سورة الغضب ويضطرم فيه حب الانتقام إلى هذا الحد ، إلا إذا كان شيطاناً رجيماً صعد من الهوة السوداء وتسلّل بين الرهبان بزي واحد منهم » . وهكذا لا تجد فصلاً من فصول نعيمة إلا وللأب بوحنا تعقيب عليه ومناقشة دينية حادة تدعمها أقوال الأحبار والنصوص المقدسة : فهناك كلام طويل حول « ثالوث مرداد » و « كلمة الله وكلمة الإنسان » و « طريق الخلاص » و « الدينونة ويوم الدين » و « الإرادة الكلية » الخ ... وكلُّه محمول على الظاهر ، مع أن للكلام الرمزي ـ كما هو معروف ـ ظاهراً وباطناً .

هذا وقد لاحظنا في الكتاب بعض الخطيئات (المطبعية في أيسر الأمر) فمن ذلك ص ١٦ أنه روى مطلع قصيدة « المساء » لخليل مطران رواية كسر بها البيت فقال :

داه ألم بي نخلت فيه شفائي من صبوتي فتضاعفت بُرحائي

وواضح أن « بي » جاءت هنا على سبيل تطفيف الموازين ! ومن ذلك قوله

ص ١٠٠ : « فاستبدلت خالقك بمخلوقك » مع أن العكس هو المراد على ما ورد في الآية الكريمة : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ » .

على أنه لا بد من القول أن الناقد الأب الخوري قد أنفق في عمله — والثواب على قدر المشقة — جهداً جدلياً متعباً ، حتى إنه شعر في موضع من المواضع بالحاجة الى سرد الأدلة المدرسية (الكلاسيكية) على وجود الله على نحو ما نلقاه عند فلاسفة كالقديس أوغسطين وابن سينا وخاصة توماس الأكويني . ولكن ترى أكلّ هذا الجهد المضني يستلزمه أثر أدبي اتخذ لغة الرمز والإشارة ؟

في رأينا أن الأدب يجب ألا يُطرح على هذا الصعيد .

الدكتور حكمة هاشم

المدخل الى تاريخ الحضارة

(الجزء الثاني) تأليف الدكتور جورج حداد

يقع في (٥٧٠) صفحة من قطع الوسط طبع في دمشق سنة ١٩٥٤

سبق لي في هذه المجلة نشر كلمة عن الجزء الأول من هذا التأليف القيم أطريت فيها جهد المؤلف وسعة اطلاعه وصدق مصادره وأكبرت فيه هذه المحاولة الجريئة بنقله هذا العلم الحديث وادخاله قصة الحضارة الى مسرح الحياة العلمية العربية .

بحث المؤلف في هذا الجزء شروط الحضارة ومصادرها ومظاهرها وعن مآثر الحضارة وتفاعلاتها وانتشارها في الشرق الأقصى والهند وإيران وبيزنطية والبلاد العربية منذ فجرها حتى نهاية العصور الوسطى . وقد جال فيها جولة دلت على علم غزير واختبار صحيح جعلا هذا الكتاب مرجعاً ومنهلاً للباحثين . وقد جاءت أبوابه وفصوله وحدة متماسكة بعد أن بسطها المؤلف بأسلوب شيق مقرب لأفهام القارئ مهما كانت ميوله واختصاصه .

اعترضت هذا الكتاب ـ كغيره من المؤلفات التي عالجت مواضيع دخيلة على الثقافة العربية ـ عقبة المصطلحات الفنية الحديثة ، وهي مهمة شاقة بقدر صعوبتها من عاناها . وقد توفق المؤلف في أكثرها ، غير ان في بعضها غموضاً في تحديد مدلولها كاستعماله لفظة (الهلينية) و (الهلنيسية) في مواضع لا تتفق مع مدلولها .

وقد بدا لي بعض الملاحظات على تعابير وردت في الكتاب يضاف اليها أخطاء مطبعية رأيت من الفائدة الإشارة اليها :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٠	ابتدائية	بدائية أو فطرية
٣١	بدون طبخ	النيء
٤٠	حدد	هدد
٤١	الجنيون	لعلها (الحشيون)
٦٥	البابيروس	البردي
٧٥	الآجر المخبوز	حذف المخبوز لأن الآجر هو الطين المخبوز
٩٠	أخطأ في تقدير المسافة بين حدود الامبراطورية الرومانية والهند فهي تساوي أضعاف ما قدره لها	
٩٣	الخيرزان	الخيزران
١٠٢	البيروتي	البيروني
١٠٥	قشر الشجر	اللحاء
١٢٥	يانغ شاه	يانغ شاو
١٢٩	دراجون	تنين
١٩٨	شهر طاق	جهار طاق
٢٠٧	هركول	الجبار

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢١٢	جانباً	ضلعاً
٢٢٧	الصرب	العرب
٢٣٣	ماتوا بدون وصية	ماتوا بدون وريث
٢٣٦	الفورم	الفوروم
٢٧٣	قلب اللوزة	قلب لوزة
٢٧٤	ان زخارف قصر المشتى هي هيلنسية سورية أكثر منها فارسية .	
٢٨٩	الهليل الخصيب	الهلال الخصيب
٣٠١	معبد بعل	معبد بل
	لوحات بارزة	ركائز
	الكتابة على الكتف	فوق الكتف
	القول ان أصل سكان تدمر قبائل عربية مبالغ فيه وينطبق هذا الزعم على فئة منهم	
٣١٥	الجابية في الجولان	في الجيدور
٣٢٣	قوله (كانت الاعتقادات ترتكز على القمر الذي يرعى البدوي أغنامه على ضوئه) هذا التعليل لا يتفق مع طبيعة الغنم لأنها لا ترعى ليلاً ولا في ضوء القمر .	
٣٥٣	قوله ان بعض مآذن الجامع الأموي بنيت على أنقاض أبراج الكنيسه التي كانت قبلاً هو زعم باطل والأصح أن يقال على أنقاض أبراج الهيكل الوثني .	
٣٥٦	إن رواية نبش قبور خلفاء بني أمية من قبل العباسيين هي رواية متأخرة وضعيفة لا يؤخذ بها .	
٣٧٦	قوله ان زمسكس البيزنطي دخل دمشق فاتحاً . لم أعثر على ذكر هذا الخبر عند مؤرخي العرب .	

الصفحة

٣٨٥ قوله أكمل المعظم بناء المدرسة العادلية الكبرى التي بدأها العادل والصحيح ان أول من أنشأها هو نور الدين محمود بن زنكي ثم بنى بعضها الملك العادل ثم أتمها ولده الملك المعظم .

٤٤٣ تربيعات قاشاني ، الأصح أن يقال ألواح قاشاني لأنها مختلفة الأشكال منها المربع والمستطيل والمضلع وغير ذلك .

٤٨٥ قلعة السبيبة ، الصواب : الصبيبة

وقد استعمل المؤلف في بحثه عن العصر الاسلامي اسم سورية بدلاً من الشام الذي اشتهرت به عند العرب . كما اعتمد في أكثر وقائع ذاك العصر التاريخ الميلادي دون التاريخ الهجري الذي لا يصح أن يغفل في مثل هذا البحث .

نسجل للمؤلف الشكر لجهده الموفق وإقدامه على هذه البادرة الطيبة فأضاف الى تراثنا العلمي عنصراً جديداً كنا نشعر بنقصه مع شدة الحاجة اليه .

جعفر الحسني

محاضرات في القانون المدني اللبناني

ألقاها الدكتور صبحي المحمصاني

على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

يتابع معهد الدراسات العربية العالية ، الذي أنشأته في القاهرة جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٣ ، الطريق التي بدأها بدعوة رجال العلم من مختلف البلاد العربية لإلقاء محاضرات عامة على طلابه ، وتشمل هذه المحاضرات جميع الفروع التي يقوم المعهد بمنح شهادات فيها تحقيقاً لأغراضه العلمية الثقافية .

ولقد كان من بين العلماء الذين دعاهم المعهد سنة ١٩٥٥ الدكتور صبحي المحمصاني عضو المجمع العلمي العربي ، الذي حاضر طلاب قسم الدراسات القانونية

عن القانون المدني اللبناني ، وتبعاً للخطة التي يسير المعهد عليها ، في حصر المحاضرات في ناحية محدودة من نواحي البحث المقرر والتوسع فيها والتعمق في دراستها ، فقد انتقى الدكتور المحمصاني ، من أبحاث القانون المدني الواسعة ، موضوع (انتقال الالتزام ، حوالة الحق وحوالة الدين) ، وحاضر فيه عدة محاضرات طبعها المعهد سنة ١٩٥٦ في كتاب جاء في ٦٠ صفحة من القطع الكبير .

بدأ الدكتور المحمصاني محاضراته القيمة ببحث فكرة انتقال الحق الشخصي في الشرائع القديمة التي كانت لا تقرّ انتقال الحق الشخصي بسهولة كما كانت تقر انتقال الحق العيني ، ثم بين المحاضر كيف تطورت النظريات الفقهية والقانونية وأخذت تنظر في الحقوق والالتزامات الى قيمتها المادية لا الى قيمتها الشخصية ، وكيف قبلت الشرائع الحديثة ، بعد هذا التطور ، فكرة انتقال الحق أو الدين بالإرث أو بالعقد .

وقد بحث الدكتور المحمصاني في الباب الثاني من محاضراته حوالة الحق أو انتقال دين الدائن ، بعد أن قدم للبحث بلمحة تاريخية مقارنة لخص فيها آراء الفقهاء المسلمين تلخيصاً جامعاً موفقاً ، ثم تكلم على شروط انعقاد حوالة الحق وعن آثار هذه الحوالة بين المتعاقدين وقبل المدين والغير ، وفي الباب الثالث تكلم المحاضر عن حوالة الدين أو انتقال دين المدين وشروط انعقاد الحوالة وآثارها .

وكان الدكتور المحمصاني خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً الى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الاسلامية في مختلف مذاهبها وذلك بأسلوبه القانوني المركز الذي عودنا إياه في كتبه العديدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة يجدر بجميع رجال القانون الاطلاع عليها .

الدكتور عدنان الخطيب

أمراء دمشق في الإسلام

تأليف صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ)
وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٥٥)
وهو في (٢٢٢) ص بحجم هذه المجلة

للأستاذ البحاثة المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد ولع زائد في مدينة دمشق ، فقد نشر وألف عدداً كبيراً من الموضوعات المتعلقة بها تثير الإعجاب بجهده وإخلاصه لبلده ، كما تدعو الى شكره على عمله المبرور .

نذكر على سبيل المثال نشره الجزء الأول والثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وفضائل الشام ودمشق للربعي ، ودور القرآن بدمشق للنعيمي ، ومختصر تنبيه الطالب للعلوي ، وأرجوزة في محاسن دمشق لابن خداويردي ، وعدة الملات في تعداد الحمامات ـ حمامات دمشق ـ لابن عبد الهادي ، وتاريخ مسجد دمشق للبرزالي (؟) وحريق جامع دمشق ، وخطط مدينة دمشق ومخطط دمشق القديمة كلاهما للدكتور صلاح الدين المنجد ، وغير ذلك مما يطول تعداده .

وها هو يتحف أخيراً المكتبة العربية بكتاب نفيس عن أمراء دمشق في الإسلام للصلاح الصفدي بعد أن كان نشر كتابين في هذا الموضوع ، أحدهما : ولاة دمشق في العهد السلجوقي ، الثاني ولاتها في العهد العثماني .

يتألف كتاب الصفدي الذي نحن بصدده من أربعة أقسام :

الأول ـ المقدمة ، وقد مهد بها للكتاب الدكتور المنجد بذكر الكتب والمصادر التي ألفت في هذا الموضوع ، ووصفَ النسخَ التي نشر هذا الكتاب عنها ، وأبان عن نهج التحقيق فيه ، ونشر نماذج مصورة عن الأصول المذكورة ، كما ترجم المؤلفَ ترجمة موجزة وأحال الى المصادر التي توسعت في ترجمته .

الثاني ـ المعجم الصغير للصفدي الذي ذكر فيه « من ولي إمرة دمشق المحروسة

في الإسلام ودخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» وقد جعل لهذه التراجم أرقاماً ليسهل الرجوع الى المطلوب ٠

وهذا المعجم عبارة عن تراجم الولاة المذكورين ترجمة تتراوح بين سطر واحد وبين خمسة أسطر وتبلغ صفحات هذا القسم (١٠٣) ص ٠

الثالث ٠ — أرجوزة للصلاح الصفدي المذكور سماها « تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » فان المؤلف المذكور بعد أن وضع معجماً في أسماء ولاة دمشق ومن دخلها من الملوك والخلفاء نظم معجمه هذا في هذه الارجوزة بعد أن أضاف اليها إضافات أخرى اطلع عليها بعد ذلك وبلغت صفحات هذا القسم (٦٤) ص ٠

الرابع ٠ — الفهارس والملاحق وهي تحتوي على فهارس متعددة تسهل الرجوع الى المطلوب من أقرب الطرق ، وأهم الملاحق ما ورد في ص (١٩٤ — ١٩٨) للأستاذين المفضالين : سبولر ، وبريتساك فقد نظرا في الأعلام الأعجمية الواردة في هذا الكتاب من تركية ومغولية وفارسية فضبطا الكلمات الواردة من ذلك بالحركات ووضعا الى جانبها كيفية النطق بها بالأحرف اللاتينية ورمزا الى الكلمة التركية بـ « ت » والى المغولية بـ « م » والى الفارسية بـ « ف » وهو ملحق قيم يفيد الباحث منه كثيراً ٠ وتبلغ صفحات الفهارس والملاحق (٥٢) ص ٠

وبالختام فلا يسعنا إلا شكر المجمع العلمي العربي على نشره هذا الكتاب القيم كشكرنا الدكتور المنجد على جهوده وتحقيقاته وتعليقاته القيمة المفيدة ٠

محمد أحمد دهمان

آراء وأنباء

نائب رئيس المجمع العلمي العربي
الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي
(١٨٦٧ ـ ١٩٥٦ م)

وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

في الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٥ هـ (٧ / ٦ / ١٩٥٦ م) فجع المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ، ثاني اثنين رفعا للناس قواعد المجمع ، وأقاما دعائمه الراسخة ، وجعلاه حرماً آمناً لأفاضل العلماء والأدباء ، أولهما الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وقد لقي وجه ربه منذ لواذ ثلاث سنوات ، وها هو ذا رفيقه وصديقه يلحق به إلى الملأ الأعلى .

ولد الأستاذ المغربي عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) في طرابلس الشام ، وتلقى العلم على أبيه وأفاضل أسرته وبعض كبار العلماء في الشام والقسطنطينية ؛ ثم صحب المصلح العالم العامل السيد جمال الدين الأفغاني ، فأفاد من هذه الصحبة في تفتح ذهنه إلى وجوب الإصلاح ، وكتب مذكراته عن الأفغاني ، وقد نشرت في الجزء (٦٨) من سلسلة دار المعارف : اقرأ . ثم أولع بعدئذ بدراسة آثار الشيخ محمد عبده ، واستجاب إلى دعوته الخيّرة ، وشرع يصدع بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي . فاستدعاه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى مصر حيث المجال للدعوة الإصلاحية آنذاك أرحب وأوسع ؛ ولكن ما لبث الأستاذ الإمام أن لقي وجه ربه ، فانصرف المرحوم المغربي الى الصحافة ، وكتب في كبريات جرائد مصر مقالات أثارت العزائم الوانية وشحذت الهمم الغافية . فلما أعلن الدستور العثماني ، رجع إلى طرابلس مسقط رأسه ، وأصدر فيها جريدة (البرهان) ؛ وغرضه من ذلك الدعوة إلى سبيل النهضة ـ على وجوهها ـ بالحكمة والموعظة الحسنة . واشترك من بعدُ في تأسيس كلية دار الفنون في المدينة المنورة والكلية الصلاحية في بيت المقدس ، وكانت الغاية منها تخريج طبقة من العلماء يجمعون بين معرفة العلوم الدينية والعصرية . ثم نزل دمشق واتخذها موطناً له . فلما تنادى علماء الشام لإقامة المجمع العلمي العربي حفاظاً

على اللغة العربية وآدابها ، كان المرحوم المغربي من أوائل من لبوا هذا النداء الكريم ؛ وانتُخب ، منذ تأسيس المجمع عام ١٩١٩ في عهد الملك فيصل بن الحسين ، عضواً عاملاً فيه . ثم أخذ يحاضر طلاب الجامعة السورية في العربية وآدابها . وفي العام ١٩٣٤ سمي عضواً عاملاً في المجمع اللغوي في القاهرة ، ثم سُمّي في السنة ١٩٤١ نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وفي العام ١٩٤٩ اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي . وقد ظل يعمل لهذه المجامع الثلاثة ويمدها ، حتى يوم وفاته ، بنضيج رأيه وسديد حكمه ووسيع اطلاعه ودائب جهده ، لا يكلّ ولا يملّ ، ولا تنال السنون من همته العالية وتفكيره الخصب وعلمه الغزير .

ألقى الأستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي العربي المئين من المحاضرات العامة في برهة عشرين عاماً ، وكان أدباء العاصمة وفضلاؤها وعيون زائريها من المستشرقين والعرب يقبلون ، زرافات ووحداناً ، كل أسبوع ، على المجمع للاستماع إليها والانتفاع بها ، وكان لها أعظم الأثر في تحبيب العربية إلى الناس ، وإطلاع الناشئة على ذخائر الأجداد . ومردّ إقبال القوم العظيم عليها هو أسلوب المحاضر الفذ الطريف في تأليفها وإلقائها ، وفيما يضمّنها من النكت البارعة والطرف المستملحة ، إلى جانب الحكم الصائب والتحقيق الواسع .

وقد ألف المرحوم المغربي الكثير من التصانيف النافعة ، منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطاً . ومن تآليفه المطبوعة كتاب (الاشتقاق والتعريب) وقد طبع أول مرة عام ١٩٠٨ ثم أُعيد طبعه فيما بعد ، وفيه أبحاث مسهبة في جواز التعريب واقتباس الكلام الأعجمي حيث تدعو الحاجة ؛ ومنها كتاب (البيّنات) في جزءين أودعهما مقالات ورسائل في الإصلاح الديني والاجتماعي والنقد والأدب ؛ ومنها كتاب (الأخلاق والواجبات) وقد ألفه باقتراح المربّي العربي الكبير ساطع الحصري عندما كان وزيراً للمعارف في عهد فيصل بن الحسين

ملك الشام بعيد الحرب العالمية الأولى ، ولا تزال بعض المؤسسات العلمية تقرّره لطلابها الى اليوم ، وقد جاء إلى دمشق قبيل وفاة الأستاذ المغربي ممثل إحدى دور النشر الكبرى في المغرب الأقصى يستأذنه في إعادة طبع هذا الكتاب في مراكش ، لشدة الإقبال عليه فيها وتفاد نسخه من أسواقها ، فأذن له بذلك رحمه الله .

وقد ظل الفقيد يمد مجلة المجمع العلمي العربي بمقالاته وأبحاثه اللغوية والأدبية منذ صدورها حتى يوم الفجيعة به .

والمجمع العلمي العربي الذي نشط الأستاذ المغربي في رحابه من أجل نشر رسالته أكثر من خمسة وثلاثين عاماً يرجو أن تقر عين الراحل الكريم بزكاء النبتة التي ساهم في غرسها ، واتّقاد القبس الذي غذاه بفيض عقله وقلبه وعمله .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

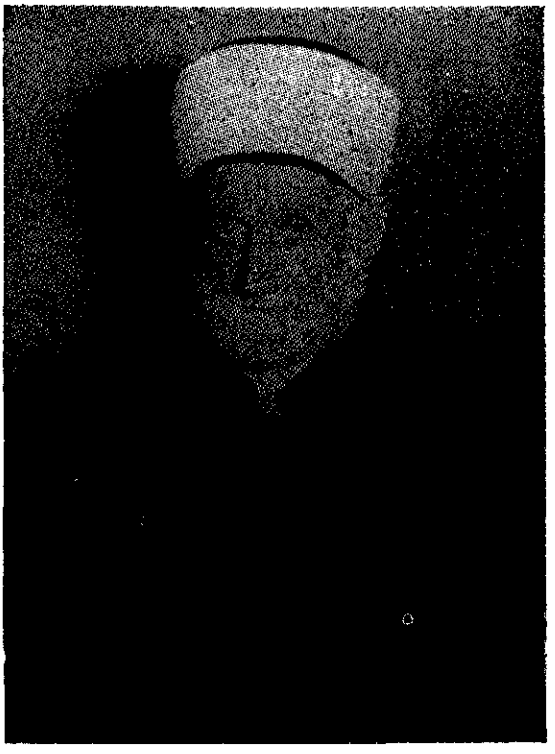

الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الحميد الكيالي

(١٨٧٩ ـ ١٩٥٦ م)

وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي

قضت مشيئة الله أن يصطفي إلى جواره في خاتمة شهر أيار سنة ١٩٥٦ م الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي مفتي حلب وعضو المجمع العلمي العربي .

ولد الفقيد رحمه الله في حلب حوالي العام ١٨٧٩ م ، وتلقى مبادئ العلم في صغره في المدرسة الأشرفية فيها ، ثم انتقل الى المدرسة العسكرية ؛ ولكنه لم يلبث فيها إلا قليلاً ، لعزوف نفسه عن العلوم العسكرية ، وحرصه على تحصيل العلوم الدينية واللغة العربية . ثم سافر إلى مصر ودخل الجامع الأزهر ، ودرس فيه الفقه والأصول والتفسير والأدب العربي وعلوم الآلة على جلة الأساتذة فيه ، كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ سيد علي المرصفي . وبعد أن تزود من الدراسة فيه قدراً كافياً ونال إجازات أساتذته له عاد إلى مسقط رأسه حلب ، واشتغل بالتدريس في جوامعها . ثم قام بالإفتاء بُعَيْد الحرب العالمية الأولى في (قضاء جبل سمعان) ، وبإدارة المدارس الدينية الإسلامية في حلب ، ووضع لها نظاماً لا تزال سائرة عليه إلى يومنا هذا . ثم اختير سنة ١٩٢٢ م مفتياً للشهباء ، وظل في هذا المنصب منذئذ حتى لقي وجه ربه ، خلا فترات قصيرة أقصي فيها عن الإفتاء . وقد أصبح عضواً في المجمع العلمي العربي منذ ٢٣ آذار ١٩٢٣ م .

كان رحمه الله متمكناً من الفقه الحنفي ، طويل الباع فيه ، مدققاً محققاً لأصوله ، واسع الدراية بالأدب ، وأساليب العرب . وكان رضيّ الخُلُق ، لطيف المعشر ، قوي الحجة ، جميل الحديث ، عفّ اللسان واليد ، يغضي على القذى ، ويدفع بالتي هي أحسن .

تغمده الله برحمته وجعل الجنة مثواه .

المستشرق المغفور له الأستاذ كارل بروكلمن

(١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م)

وفاة المرحوم الأستاذ كارل بروكلمان

في السادس من شهر أيار ١٩٥٦ قضى عضو المجمع العلمي العربي العالم الكبير المستشرق الألماني كارل بروكلمان في مسقط رأسه بألمانيا عن حياة حافلة في خدمة العربية يقتضينا الوفاء التنويه بها والإشارة إلى جلائل آثارها بايجاز واقتضاب .

وُلد الرجل في روستوك « Rostock » من أعمال مكلنبورغ بألمانيا في ١٧ إيلول سنة ١٨٦٨ ، ودرج على حب المشرقيات وتاريخ الإسلام والبحوث التركية ، فأخذ يتعلّم اللغات السامية وفيها اللغة العربية على شيوخ المدرسين في بلاده آنذاك ، وهم الأساتذة فيلي وبريطوريوس ونولدكه ؛ فدرس متنقلاً بين الحواضر الألمانية : روستوك وبروسلاو واستراسبورغ . وظل دائباً في دراساته حتى لمع في فقه اللغات السامية والتاريخ الإسلامي ؛ فعيّن مدرّساً في جامعة برسلاو « Breslau » (١٨٩٣—١٩٠٣) ثم في كونيغسبرغ «Königsberg» (١٩٠٣ — ١٩٠٩) ثم في هالّه « Halle » (١٩٠٩ — ١٩٢٠) ثم في برلين (١٩٢٠ — ١٩٢١) وعاد ثانية أستاذاً إلى برسلاو (١٩٢١ — ١٩٣٥) .

وقد أُحيل الى التقاعد بعدها ، ولزم مدينة هالّه — على نهر الزّال — أستاذ شرف منذ سنة ١٩٣٧ . وعُيّن مديراً لخزانة الجمعية الألمانية للمستشرقين ، يعيش من الراتب بعد أن فقد موارد رزقه ، وظلّ فيها حتى أواخر أيامه حيث أقعده مرض عضال توفي على أثره عن ثمانية وثمانين عاماً .

وقد قضى هذا الأستاذ حياته في الجدّ والسعي والبحث والتنقير فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة وأخرى في اللاهوت . وأخرج الى جانب مقالاته كتباً كثيرة نلمع إلى بعضها على سبيل الذكر لا الإحصاء .

١ — نشر ذيلاً لديوان الشاعر الجاهلي لبيد سنة ١٨٩٢ وهو لما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، فأكمل ما بدأ به المستشرق هوبر .

٢ — ألف « تاريخاً للأدب العربي » قبيل الثلاثين من عمره ، ونشره في ويمار بين سنتي ١٨٩٨ — ١٩٠٢ وعنوانه « Geschichte der arabichen Litteratur » ثم أعاد نشره بعد أربعين عاماً في جزءين كذلك بلغت صفحاتها قرابة ألف وثلاثمائة صفحة . واشتهر بين العلماء لأنه اختط فيه خطة جديدة في البحث والعرض ، فقد اشتهر قبله تاريخ الأدب « لهامر پورغشتال » في أجزاء ضخمة ولكنه إعادة وترجمة للكتب العربية القديمة . ولكن المستشرق بروكلمن ألمّ بالعصور الإسلامية كلها وبالعلماء المسلمين كلهم على اختلاف أقطارهم من أطباء وفلاسفة ومنجمين ونحاة ومؤرخين وأدباء ، جعلهم في تاريخه كلما وجد عندهم تراثاً يضاف الى عبقرية اللغة العربية . وقد اقتصر في تراجمه على كلمات قليلة وإشارات سريعة خلت من الأحكام الأدبية أو النقد المذهبي ، وانما ذكر المظان التي يحتاج اليها الباحث في معرفة المترجمين وآثارهم ومواضع طبعها أو أرقام مخطوطاتها من خزائن الغرب والشرق ، إلى ذكر الصحف والمجلات والكتب التي تعرضت لها أو تحدثت عنها .

وقد ظل هذا الكتاب موضع عنايته يعود إليه ليستكمل أسبابه ويتم مباحثه ، فسعى وراء فهارس الخزائن وأخبار الوراقين ونشاط الناشرين ليضيف إلى جزازاته كلّ ما يجدّ من طباعة كتاب أو اكتشاف مخطوطة حتى تجمعت لديه معلومات كثيرة نادرة ضافية في الأقدمين والمحدثين المعاصرين . فنشرها في ثلاثة أجزاء كبيرة منذ سنة (١٩٣٧ — ١٩٤٢) وسماها ذيلاً لتاريخه « Supplementband » وبلغت صفحاتها قرابة ثلاثة آلاف صفحة عدا الأصل .

وفي هذا الكتاب فهارس وافية للأعلام والكتب تغص بالأرقام والاشارات ، وتضلّ فيها العين ، لذلك وقعت في هذا التاريخ الشامل الحافل أرقام مطبعية مضطربة كان لا بد من وقوعها ، فقد نقلها الرجل بيده ورتبها بنفسه ، ولبث يعمل لها حياته عمل عصبة من أولي العزم والعلم . فقد فرش بيته بالجزازات

وعمر رفوفه بالفهارس والمراجع ، وانفرد بهذه الخدمة الجليلة التي نرجو أن تلقى مثيلاً لها عند أبناء الناطقين بالضّاد في نقل الكتاب أو تأليف شبهه [1] .

ونحن لا نكتب هنا في دراسة هذا التاريخ أو نقده وانما وقفنا عنده لأنه من أهم كتب الراحل خدمة لأدبنا وتراثنا .

٣ - نشر المستشرق قسماً كبيراً من «عيون الأخبار» لابن قتيبة عن مخطوطتي القسطنطينية وبطرسبورغ في أربعة أجزاء ، وطبعه في غوتنگن سنة ١٨٩٩ — ١٩٠٨ ، فلفت الأنظار إلى ابن قتيبة قبل أن يحتضر القرن التاسع عشر .

٤ - أرسل دراسة في الكامل لابن الأثير بيّن فيها ما أخذه من الطبري .

٥ — طبع رسالة «تلقيح فهوم أهل الأثر» لابن الجوزي .

٦ — طبع جزءاً من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد .

٧ — نشر فهرسين لخزانتي برسلاو وهامبورغ ، عرّف فيهما بالمخطوطات العربية النفيسة في البلدين .

٨ — ألّف كتاباً في نحو اللغة العربية بالألمانية نشره سنة ١٩٤٨ بليبتسيك في ٣٤٣ صفحة .

٩ — ألف كتاباً في «تاريخ الشعوب الإسلامية» ترجم إلى اللغات الغربية ونقل إلى العربية في خمسة أجزاء صغيرة .

والى جانب هذه الدراسات عن العربية ، اهتمّ المستشرق باللغات السامية الأخرى فأصدر الكتب التالية :

١٠ — معجماً للغة السريانية ببرلين سنة ١٨٩٥ .

١١ — كتاباً في صرف السريانية ونحوها ببرلين ١٩٢٥ ، في ٣٥٣ صفحة .

١٢ — كتاباً في الأدبيات السريانية .

---

(١) كتب المستشرق بروكلمن في سنة ١٩٥٠ أن الأستاذ المرحوم أحمد أمين عرض عليه ترجمة هذا الكتاب باسم الجامعة العربية ، ولكن المشروع لم يتم بعد ذلك .

١٣ — موجزاً في تاريخ اللغات السامية ، تُرجم الى الفرنسية .

١٤ — ترجمة قصة يوسف .

١٥ — ترجمة ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري، نشره في ليبتسيك ١٩٢٨ .

١٦ — صنع كتاباً في نحو اللغة التركية الشرقية بآسيا الوسطى ، نشره سنة ١٩٥٤ بليدن ، في ٤٢٩ صفحة .

١٧ — دراسات عن الحبشية ، في برلين ١٩٥٠ (٦٠ صفحة) .

وهكذا انصرف الرجل خلال خمسين عاماً إلى تدريس اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة والتأليف في صرفها ونحوها وأدبها ولغتها . فكان نادرة عصره في النشاط والكتابة والبحث ، وموضع تقدير الهيئات العلمية والعلماء في الشرق والغرب .

وقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، سنة ١٩٢١ ، كما انتخبته الأكاديميات العلمية في ليبتسيك وبرلين وأوبسالا وبودابست عضواً فيها . وكذلك جمعية المستشرقين الألمان ، والجمعية الأسيوية الملكية بلندن ، والجمعية الأسيوية بباريس ، والجمعية الأمريكية بفيوهافن ، والجمعية اللغوية في بالتيمور .

ولا شك في أن موت الفقيد خسارة كبيرة للعلم والاستشراق واللغة العربية وآدابها .

ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية (١)

يسرني أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية عربية خالصة ، وأن أتمنى لمصر العزيزة ، رئيساً وشعباً وحكومةً ، خير ما يتمناه الشقيق الصغير لشقيقه الكبير . أعزّ الله العروبة والعربية بجهد العاملين المخلصين من رجالات هذا القطر العربي الصميم .

وبعد :

كنتُ أجملتُ في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » القواعد السديدة التي أقرها مجمع اللغة العربية في وضع المصطلحات أو تحقيقها . ولستُ الآن في سبيل بحث تلك القواعد . فبحثها طويل ، والزملاء الأفاضل أعرف الناس بها . ولا أظن أن أحداً من اللغويين أو من واضعي المصطلحات يخالفهم فيها . ولكني أقف عند قضية ما برح علماء العربية وعلماء العلوم الحديثة يجادلون فيها أيما جدال . وهي قضية حدود التعريب ومداه في وضع المصطلحات العلمية للعلوم الحديثة .

لقد اتخذ هذا المجمع الموقر القرار الآتي في التعريب :

« يجيز المجمع أن يُستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب في تعريبهم » .

فكلمتا « عند الضرورة » هما بيت القصيد . وهما مثار الجدل والنقاش . فالضرورة عند بعض علمائنا كلمة صغيرة رخوة جد قابلة للمط والتأويل . ولهذا رأيناهم يرجحون فتح باب التعريب على مصراع أو على مصراعين .

والضرورة عند آخرين كلمة قوية في مبناها وفي معناها . فهي في نظرهم

---

(١) خطاب القاه الأمير مصطفى الشهابي في حفلة افتتاح الدورة الثانية والعشرين « ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ » لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

جديرة بأن تراعى بدقة في تعريب الألفاظ العلمية . وهي تحتم البحث العميق عن ألفاظ عربية النجار حتى لأدنى ملابسة بين معانيها ومعاني الألفاظ العلمية الأعجمية .

وبين هذا الفريق وذاك ، أي فريق المتساهلين وفريق المتشددين في أمر التعريب ، يقف واضعو المصطلحات العلمية حائرين يتساءلون عن أصلح خطة تُتبع في نقل كل لفظة علمية الى لغتنا الضادية .

وكلنا نعرف أن كلا الفريقين إنما يتشبث برأيه اعتقاداً منه أن رأيه هو الذي ينهض باللغة العربية فيجعلها صالحة للتعليم العالي وللتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة .

فأنصار التعريب الواسع يقولون : إن الألفاظ الأعجمية ، كثرت أو قلت ، ليست من مقوّمات اللغة . واللغات تتميز بعضها من بعض بتراكيب جملها ، وبحروف معانيها ، أي بما اختصت به من قواعد في الصرف والنحو وأساليب الاشتقاق والقياس وغير ذلك . ففي الإنكليزية والفرنسية والألمانية مثلاً آلاف مؤلفة من الألفاظ العلمية المشتركة ومع هذا نجد كلاً من اللغات الثلاث مستقلة عن الأخرى . وينتهون الى القول بأن فرط التعريب لا يضر بلغتنا بل يدنيها من لغات العالم الأوربية ، ويجعلها قادرة على استيعاب العلوم الواسعة الحديثة .

أما المتشددون فيرون ان المعرّبات العلمية لا توحي الى القارئ العربي بشيء من معانيها ، وأن هذا القارئ لا يفهمها ما لم تُشرح له شرحاً وافياً . خذ مثلاً حشرة من الحشرات . وقل للطالب الفرنسي انها تنسب الى رتبة الـ Orthoptères فهو يدرك على الفور ، أي قبل قراءة الشرح ، أن لهذه الحشرة أجنحة مستقيمة . وسبب ذلك اطلاع هذا الطالب على مبادئ اليونانية واللاتينية . أما اذا اقتصرت على ذكر الكلمة الفرنسية وحدها للطالب العربي فهو يلبث فاقد الفهم حتى تشرحها له ، أو تترجمها بلغته العربية فتسميها مستقيمة الأجنحة ، مثلما تسمي

رتب الحشرات الأخرى عصبية الأجنحة ومغمدة الأجنحة وعديمة الأجنحة وذوات الجناحين وهكذا .

ويقولون : لقد آمنا بأن هنالك أسماء لا بد من تعريبها كالتي تكون منسوبة إلى أعلام ؛ وآمنا بأن مجال التعريب واسع في نقل كثير من أسماء الأعيان كأسماء بعض الأدوية والعقاقير والمركبات الكيمياوية ، وأسماء بعض أجناس النباتات والحيوانات مما له معان لا يستطاع ترجمتها بكلمة عربية واحدة سائغة الخ . ولكن لماذا يراد منا تعريب الكثير من ألفاظ المعاني الأعجمية التي لا يشق على علمائنا إيجاد ألفاظ عربية سائغة تعبر عنها ؟ أ لأن العربية عاجزة عن ذلك ؟ أم لأن التعريب لا يقتضينا أدنى مشقة في تحري الألفاظ العربية الصالحة ؟ وهل من الصحيح ان الإكثار من التعريب هو وحده العامل الذي ينهض بلساننا الى مستوى ألسن العلم المعروفة ؟

والذي أراه أن الفريقين إذا راعيا الروح الذي يجب أن يسود في نقل المصطلحات العلمية الى لغتنا العربية انتهيا لا محالة الى وفاق . فكلاهما يريد أن تتسع لغتنا للعلوم والمخترعات الحديثة . وكلاهما يريد أيضاً أن لا تصبح هذه اللغة شبيهة بلغات الزنوج بسبب الإفراط في التعريب بلا ضرورة .

ومما لا مرية فيه أن أعضاء مجامعنا العلمية ، وأساتيذ جامعاتنا العربية ، وجمهرة أدبائنا وكتابنا ، على تفاوت آرائهم ، ينظرون الى هذا الموضوع نظر المخلصين المؤمنين بضرورة رفع العربية الى مستوى اللغات الحية الكبيرة . فجدير بالعاملين منهم في وضع المصطلحات العربية أن يراعوا عند البحث في كل لفظة أعجمية قواعد النقل العامة التي يتبعها اليوم هذا المجمع الموقر ، مثلما اتبعها في الزمن الماضي قدماء النقلة والمؤلفين العرب وخلاصتها على التتابع :

أ — تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي . وهذا يستلزم أن يكون

الناقل مطلعاً اطلاعاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية وفي كتبنا العربية القديمة .

ب — اذا كان اللفظ الأعجمي دالاً على معنى علمي جديد لا مقابل له في اللغة العربية ، تُرجم بمعناه كلما كان قابلاً للترجمة . أو اشتُق له لفظ عربي مقارب . وُيرجع في وضع اللفظ العربي الى وسائل الاشتقاق أو الى المجاز أو النحت .

ج — واذا تعذر على الناقل الكفء وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد الى التعريب مراعياً قواعده على قدر المستطاع .

ومن الواضح ان دور التعريب في هذه القواعد لا يأتي إلا بعد العجز عن إيجاد كلمات عربية سائغة . والصعوبة كل الصعوبة إنما تكون في معرفة متى نرجح الكلمة العربية ، ومتى نرجح الكلمة المعرّبة .

ولقد قلت في كتابي الذي ألمعتُ اليه في بدء هذا الكلام :

« من السهل معرفة هذه القواعد الحسنة ، ولكنه ليس من السهل العمل بها . ففي كل علم مصطلحات متنوعة . وكل لفظ علمي يحتاج الى دراسة خاصة لمعرفة أصلح لفظ عربي أو معرب يقابله . وفي هذا المجال الوعر تتعارض آراء علمائنا . وفيه تُعرف كفاية العالم الثبت ، ودقة نظره ، وسلامة ذوقه جميعاً . »

وبعد لا بد للقادر على وضع المصطلحات العلمية من أن يضع نصب عينيه أن النهوض باللغة ، مع الاحتفاظ بسلامتها ، هما الأساس الذي يقوم عليه عمله ، وعندئذ يصبح من غير المتعذر عليه إدراك حدود التعريب ومداه في كل لفظة علمية اعجمية يعالج نقلها الى لساننا في صبر العالم الثبت وأناته ، وفي حسن ذوق الأديب المطبوع ودقة نظراته .

ملاحظات على رسم بعض المعرّبات [1]

للأمير مصطفى الشهابي

١ — كثيراً ما نضطر الى تعريب كلمات أعجمية رسمها واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها مختلف مثل Tulipe , Micron , Fibrine الخ . فهي عند الفرنسيين تُنطق بقولهم فيبْرين وميكْرُون وتُولِيب وهي عند الانكليز فَيْبَرين ومَيْكرون وتيُوليب . وقد تكلم الزملاء الأفاضل غير مرة في هذه الألفاظ وأشباهها . ورأوا أن المنطق الصحيح والذوق السليم يحملاننا على ترجيح النطق السهل وهو النطق الفرنسي فيما تمثلتُ به من ألفاظ .

والظاهر أن المجمع لم يتخذ قراراً بذلك . ولهذا ما برحنا نجد في عدد كبير من الألفاظ التي عربتها اللجان رسماً يختلف باختلاف نوع الثقافة عند خبراء هذه اللجان . ويبدو لي أن معظم الخبراء درسوا بالانكليزية ، فاختاروا النطق الصعب بدلاً من النطق السهل .

لذلك أرى من المفيد اتخاذ قرار بترجيح أسهل نطق في رسم مثل هذه الألفاظ المعربة .

٢ — من القواعد التي اتخذها المجمع في الجزء الرابع من مجلته رسم الحرف (G) اللاتيني (ويقابله في اليونانية الحرف غَمَّا) غيناً عربية . ومع هذا ما برحت لجان المجمع ترسمه جيماً وتقتصر على الجيم وحدها . فاذا كان لا بد من مراعاة النطق القاهري للحرف جيم العربي يكون من المفيد اتخاذ قرار بأن يُرسم الحرف (G) الأعجمي ، في الكلمات التي يعربها المجمع ، جيماً وغيناً جميعاً ، وبأن لا يُكتفى بالجيم وحدها فيقال مثلاً جلبسرين وغليسرين وهكذا . والأسباب معروفة لا تحتاج إلى شرح .

---

(١) قدمها الى مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر فأقرها المؤتمر في جلسة الخامس من كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٥٦ .

٣ — كثير من الكلمات الأعجمية التي نضطر الى تعريبها تنتهي بالحرف (A) أو بالكاسعة (gie) الدالة على العلم . وقد لاحظتُ عند تعريب هذه الكلمات أن بعض الخبراء ينهون الكلمة المعربة بالتاء ، وأن بعضهم ينهيها بالألف ، مثل جيولوجية وجيولوجيا ، وبيولوجية وبيولوجيا ، ومغنولية ومغنوليا وهكذا .

ومن المعروف أن قدماء النقلة لم يسيروا على خطة واحدة في هذا الموضوع . ولكن المعرَّبات بالتاء كانت تفوق عندهم المعربات بالألف . والسليقة العربية تجعلنا نرجح إنهاء الكلمات المذكورة بالتاء . فمن رأيي اتخاذ قرار بهذا الترجيح .

٤ — في اللغات الأوربية الكبيرة عدد من الألفاظ اقتُبست من العربية وحُرفت ، فعند نقل هذه الألفاظ الى العربية أرى إعادتها الى أصلها العربي فنقول مثلاً الحمراء لا ألهمبرا ، والقصر لا الكازار ، وعَدَنِيَّة لا أدِنْيا ، وعَرَبِية لا أرابيت ، وحَرْشَف لا أرتيشو وهكذا .

هذه أربع ملاحظات لاحظتها أثناء مشاركتي لبعض لجان المجمع في أعمالها . فأقترح إما مناقشتها في المؤتمر واتخاذ ما ترونه فيها ، وإما إحالتها الى اللجنة المختصة بهذا الموضوع ، أو الى مجلس المجمع الموقر ليرى رأيه الموفق فيها .

رسائل ابن الأثير

بين مخطوطات مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت مخطوطة قديمة ، هي الجزء الثاني من رسائل ضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر . ويرجع عهدها الى السنة ٦٥٦ للهجرة ، أي الى ما بعد وفاة منشئها بنحو ٢٢ سنة فقط .

ولما كنت — ولا أزال — من المعجبين بما لهذا الكاتب من مقدرة بيانية وإنشائية سُررت بوجود هذا الجزء من رسائله ، ورأيت أن أدرسه ثم أنشره خدمة للأدب والتاريخ ؛ فعمدتُ الى ما لديَّ من فهارس المخطوطات والمطبوعات المعروفة وإذ لم

أجد فيها إلاّ إشارات لا تروي الغليل اتصلت بصديقي النجّاثة الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات في أمانة الجامعة العربية ، فتكرّم باعلامي أنه يوجد في مكتبة أحمد الثالث باستنبول نسخة من الجزء الثاني من رسائل ابن الأثير المذكور كُتبت سنة ٦٥٥ هـ بخط نسخي حسن وانّ في معهد الجامعة العربيـة « ميكروفيلم » عنها . وأمّا الجزء الأول من الرسائل فلا علم له بوجوده . وقد وعدني متلطّفاً أن يرسل لي نسخة مكبّرة عن الميكروفيلم الموجود لديه لكي أقابله بنسخة الجامعة الأميركية . ومتى وصلني فسأباشر دراسة هذا الأثر النفيس وتحقيقه . وها أنا مثبتٌ على صفحات مجلة مجمعنا العلمي وصفاً وجيزاً للجزء الذي بين يديّ لعلّ مطّلعاً من علمائنا الأفاضل يعرف عنه أو عن سواه من الأجزاء ما لم أطّلع عليه بعد فيفيدني بعلمه ويخدم العلم والأدب بفضله وكرمه .

تقع المخطوطة المذكورة في مئتين وثلاثين صفحة متوسطة الحجم من الورق السميك الضارب الى الصفرة وهي مكتوبة بالحبر الأسود بخط نسخي جيّد ويفصل فقراتها بعضها عن بعض مثلّثات من نقط حمراء وتنتهي بهذه العبارة « تمّ الجزء الثاني من ترسّل المولى الصاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرّة صفر من سنة ست وخمسين وستماية » . وتتضمّن المخطوطة خمساً وخمسين رسالة كلّها من إنشاء ابن الأثير ماعدا الأخيرة وهي كتاب كتبه السلطان الملك الأفضل نور الدين ابن صلاح الدين جواباً عن رسالة كان ابن الأثير قد أرسلها اليه من الموصل الى حصن صرخد .

ولكلّ رسالة في المخطوطة مقدّمة وجيزة تكتب عادة بسطور أقصر من سطور الرسالة ، والأرجح أنها بقلم الناسخ قدّمها ليعرّف القارئ بمضمون الرسالة وسبب كتابتها كقوله مثلاً في صدر رسالة ـ « كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الاخوان وقد وصله عَتبُه لانقطاع كتبه عنه فأصدر هذا الكتاب معتذراً عن الانقطاع والبطء » .

أو قوله ـ « كتاب كتبه عن نفسه إلى الصاحب الوزير صفيّ الدين أبي عبد الله محمد بن شكر وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب شفاعةً في حق الشيخ الأمين زكي الدين أبي عبد الله بن سلام الرقيّ وهو من مشاهير التجار الدمشقيين » . وهكذا سائر الرسائل .

والرسائل عموماً نوعان : نوع كتبه عن سواه ويبلغ ١٤ رسالة ، ونوع كتبه عن نفسه ويبلغ الأربعين . وليس بينها جميعاً الا عشر ذات تاريخ . وأسلوبه الإنشائي العام هو الأسلوب المسجّع المحلّى بالبديع على عادة المترسلين في ذلك العهد ، وقد يأتي متكلّفاً كقوله من رسالة الى بعض الإخوان يصف فيها بستاناً أقام فيه مع بعض إخوانه في يوم من أيام الربيع وقد شاقه ما رآه فيه من زهور ورياحين :

« ثم انّا ذهبنا في أطراف ذلك البستان ، وأقبل كلٌّ منا على ما يروقه من الريحان . فمن جانٍ نرجساً وهو يقول هذا صاحب القد المايس ، والذي عينه عين متيقّظ ، وجيده جيد ناعس . ومن جاني بنفسجٍ وهو يرى أنه أجمل لباساً ، وأضوع أنفاساً . ويقول هذا هو المشبّه بعذار الحبيب ، وبأطراف الكبريت اذا أخذت باللهيب . ومن جاني شقيقٍ وهو يقول هذا اسم وقع على مسماه بلا خلاف ، ولما كان شقيقاً للحسن ترك المضاف اليه ودُلّ عليه بالمضاف . ولا عيب فيه سوى انه يأتي والربيع في سنّ المشيب وما عُهد قبله انّ ولد الشيخ يخلّف في هذا الرواء العجيب » .

على ان أسلوبه لا يجري دائماً مجرى التصنع ، بل كثيراً ما يسلس تركيبه وتروق معانيه ، كقوله من رسالة : « فالسعيد من اغتنم زمانه ، وبادر إمكانه وابتنى المعروف وأحكم بنيانه . فانّ الأوقات ظروف تشتمل على مساوئ الأشياء ومحاسنها ، ولا تعطيك إلاّ ما ادّخرته من بواطنها . وهي كالرياح العاصفة ، والبروق الخاطفة . فمن يُرد الله به خيراً يفقّهه في عمارتها بالأعمال الصالحة ، ذوات الموازين الراجحة » .

أما الذين كتب عنهم أو اليهم فكثيرون ، ومنهم أمراء وعظماء كالملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأخويه الملك الظاهر والملك العادل ، والأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل ، والأمير مظفّر الدين سنقر أمير الحج العراقي ، والأمير علاء الدين بن الأمير مجاهد العادي ، وابن شداد قاضي قضاة حلب ، وابن رافع قاضي القضاة بالشام ، والصاحب صفي الدين محمد بن شكر وزير الملك العادل ، وديوان الخلافة ببغداد وسواهم .

وتتناول رسائله شتى الأغراض الترسّلية من تهنئات وشفاعات وتعزيات وتقاليد أميرية ومباسطات إخوانية وما إلى ذلك مما كان شائعاً في ترسل ذلك العصر .

والذي يراجع هذه الرسائل يرى فيها ما قد يزكّي أقوال المؤرخين في منشئها . ويظهر أن حياته لم تكن دائمة الهناء ولعلّ ذلك لاضطراب الأحوال السياسية من جهة ثم لعدم كياسته في معاملة الناس من جهة أخرى . واذا أخذنا بقول ابن خلكان معاصره نجد انه لما كان وزيراً للملك الأفضل بدمشق وصارت أمور الناس تُردُّ اليه لم يحسن عشرة أهلها ، فلما أخذت دمشق من الملك المذكور وانتقل الى صرخد همّ الدمشقيون بقتل ابن الأثير فهرب مستخفياً الى مصر . وكذلك خرج من مصر بعد أن أقام فيها مدّة من الزمن . ولما انتقل مخدومه الملك الأفضل الى حصن سميساط على الفرات قصدهُ الى هناك ثم فارقه لخدمة أخيه الملك الظاهر في حلب فلم يطل مقامه ولا انتظم أمره ، وخرج مغاضباً الى الموصل . وفي الموصل أيضاً لم يستقم حاله فتركها الى إربل ثم الى سنجار ولم يوفّق فيها فعاد الى الموصل واتخذها دار إقامته وكان قد بلغ الستين من عمره .

ومهما يكن من أمره فقد كان مشهوداً له بالترسّل ويكفي أن يكون له «المثل السائر» الذي يدلّ على غزارة مادّته البيانيّة وتمكّنه من النقد والبلاغة . وبرغم ما له من الميل الى الإشادة بنفسه والاعتداد ببلاغته كان له مقام عال بين أدباء عصره .

قال ابن خلّكان : « ولقد تردّدت الى الموصل أكثر من عشر مرات وهو مقيم فيها وكنت أودّ الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المودّة الأكيدة فلم يتفق ذلك . ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلتُ الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة . ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة » .

ومع علمي أن الكثيرين من قراء هذه المجلة قد درسوا ابن الأثير واطّلعوا على أدبه فاني أغتنم هذه الفرصة لأثبت فيما يلي انموذجاً من ترسّله كما ورد في إحدى رسائل المخطوطة التي نودُّ تحقيقها ونشرها . وهي كما يقول كاتب المخطوطة : « كتاب كتبه عن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف الى السلطان الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل رحمه الله يسلّيه عن هزيمة هزمها . . . . وذلك انه خرج الى نصيبين وحصر قلعتها وأشرف على أخذها وهي يومئذ لابن عمّه الملك المنصور قطب الدين ابن أتابك صاحب سنجار . ثم انه عاد عنها بغير سبب ولا مزعج إلاّ لأمر يريده الله . فاستنجد صاحبها الملوك المجاورين له كصاحب جزيرة بني عمر وصاحب دارا وصاحب ماردين وصاحب آمد وديار بكر . فنزلوا نصيبين بالحملة الكبيرة . وطلب صاحب نصيبين من صاحب الموصل المصافّ [1] فأجابه اليه واتفق أن يكون بين نصيبين والموصل على قرية تعرف ببُوشزّى » . ويؤخذ من تتمّة هذه المقدّمة ان صاحب نصيبين وحلفاءه سبقوا الملك العادل الى المصفّ . واحتلوا المكان المناسب فيه . وأسرى اليهم الملك العادل آخذاً ثلاث مراحل في مرحلة واحدة . فلما وصل كان جيشه متعباً فلم يعطه خصومه فرصة للراحة بل بادروه بالقتال فكان ذلك سبب الهزيمة . قال ابن الأثير ـ بعد أن افتتح رسالته بكلمة حكمية على لسان الملك الأفضل مخاطباً « المجلس السامي العادلي » أي الملك العادل ـ :

(١) المصافّ جمع مصفّ . والمصف مكان التقاء الصفوف للقتال .

وقد تفاءل الخادم بأن « المجلس » نور والله كفيل باتمامه ، وصادٌّ عن اظلامه ، ولم تكن هذه الحادثة إلاّ شحذاً لغربه ، وصقالاً لعزمه وقلبه . وكما أنّ وَقد النار زائد في رونق النُضار ، فكذلك وقد الأهوال (زائد في رونق) [1] الرجال والتجارب معيار . وفي الرجال درهم ودينار . وواحدهم من ساجلته الأيام وساجلها ، وقاتلته وقاتلها . فليلق هذا الأمر بالاعتزام والاهتمام . وليتأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام . فقد نال العدوُّ منه منالين اثنين ، كيوم أحد ويوم حُنين . ولم يكن ذلك نقضاً لأمره ، بل امتحاناً لصبره . وينبغي للمجلس ان يصدف عمّا فات ، وينظر بما هو آت . وأن يركب في جيش من عزيمة الصبر ، وسعة الصدر ، فانها أقوى مددا ، وأقوى عددا ، وأعنى في تشتيت شمل الأعداء ولو كانوا لبدا . ولا تظهر فضيلة الرجل إلاّ عند مكافحة الشدائد ، وتورّد ما يتورّده الرجال من الموارد . والخادم يقول ما يقوله من علمه ـ وقد يشهد الطِّرف الوغى وهو مجنوب ـ وهؤلاء الأعداء رؤوس متعدّدة ، وهممٌ متبدّدة متغايرة ، وآراءٌ متنافرة . وعلى ما بلغ الخادم فانهم لم يكونوا كفؤاً لرجاله ، ولا كانت رماحهم كرماحه ولا نصالهم كنصاله . لكنّ المجلس أمرى اليهم على بعد المسرى ، وأطلّ عليهم وخيله حسرى . وما ذلك من طريق الكيد الذي يدبّ صاحبه الخَمَر ، ولا من طريق الأيد يُجهر به ولا يضرّه ان جهر » ... الى أن يقول :

« والآن فلا ينبغي للمجلس ان يعرّج على طريق النَّدم ، ولا يجعل نبوة السيف سبباً لنبوة الهمم . ويكفيه فضلاً انه لم يُنل منه لأمر يرجع الى تقصيره ، بل لأمر يرجع الى تدبيره . فليقتل الأعداء نفوسهم ، وليهلّوا رؤوسهم . فللمجلس في قلوبهم داء لا يهدأ ألمه ، ولا يُلمّ سقمه . وقد أوقدوا ناراً وسيكونون لها حطباً ، وزرعوا شوكاً وسيجنون منه شوكاً وسيجنيه المجلس

(١) ما بين قوسين غير واضح في الأصل .

عنبا . وملاك هذا الأمر أن يُجرَّد له سيفان صبراً ومخذماً ، وينفق فيه مالان رأياً ودرهماً [1] . وأمَّا الخادم فانه للمجلس من الوقاية بمنزلة الجفن من الناظر ، وفي المساعدة بمنزلة الجناح من الطابر . ولما بلغ المملوك خبر هذه الوقعة ودّ لو اصطلى حرّ شفارها ، ولم يصطل حرّ أخبارها . وقد أقسم انه لا يزال أشعث أغبر إلى أن يدرك ثاره ووتره ، ويستعيد نصره . فلا يقلّم ظفرا ، ولا يقصّر شعرا ، ولا يزيل درَنا ، ولا يغسل ثوباً ولا بدنا . وهذه من سنّة المُحرم إذا دخل في إحرامه ، وقد سلكها الخادم عند دخوله في ثوب اعتزامه . وما ينفّس كربه وقد أخذ بكظمه ، وكظّ على همّه . إلاّ ما يعلمه من عزم المجلس الذي يردّ الخطوب تدمى ، ويبصر خفايا عواقبها والبصاير عنها تعمى . واذا جدّ شكت السيوف فراق مضاجعها وبكت الرماح تحطُّم اضالعها . فأهون بالخطوب اذا جاذبته ، فكيف بالأعداء اذا حاربته . فلا يرعْ ما احتمل السيل من زبدهم فانه يذهب جُفاءاً ، ويمضي عفاءاً والمجلس هو الذي يمكث في الأرض ، ويعود على ما أبرموه بعوادي النقض » .

ويستمر على هذا المنوال حتى يختم الكتاب بقوله ـ « والله تعالى يؤيد المجلس بالجندين جند الدعاء وجند القتال ، وينصره على الجيشين جيش الأعداء وجيش الليال ، وللآراء العالية مزيد العلوّ ان شاء الله تعالى » .

هذا ما رأيت ان أعرضه من هذه المخطوطة القديمة وعسى أن أحظى على صفحات مجلتنا الغراء بما يسهل عليّ مهمة التحقيق ، وسلفاً أقدّم الشكر لكلّ ذي يدٍ وبالله التوفيق .

أنيس المقدسي

---

(١) كذا في الأصل والأشبه ان يكون الصواب « ان يجرّد له سيفين وكذلك ان يُنفق فيه مالين » .

منتخبات من معجم الكواكبي

- ٢ -

٥) Abscisse فَصيل ٠

(من اللاتينية abscissus : المفصول ، المقطوع) ٠ لغةً : الفَصْل : الحاجز بين الشيئين = فَطْمُ المولود كالافتصال ، والاسم الفِصال = الحجز = القطع) ٠

الفَصيل : حائط قصير دون سور البلد ٠

فنّاً : في المصطلحات الهندسية : أحد الخطين البيانيين اللذين بهما يتعين موضع منحن سطحي ، وهو الخط الأفقي ٠ أما الآخر العمود على الفصيل فهو (الرَّتيب ordonnée) ٠

٦) Absolu صِرْف = مُطْلَق ٠

(من اللاتينية ab, solutus : غير مقيَّد = كامل ، تام) ٠ لغة : الصرف : الخالِص من الخمر ونحوها ٠ صَرَفَ الشرابَ : لم يمزجه وهو مصروف ٠ الصَّريف : اللبن ساعة حُلب ٠٠٠ المُطْلَق : من (طَلَقَ يده بخير يَطلِقها كأطلقها : فَتَحَها ٠٠٠ أطلق الأسيرَ : خلاّه) ٠

(— alcool : غَوْل صِرف : غول لا يشوبه ماء مطلقاً وهو بعيار ١٠٠ درجة) ٠

(— température : الحرارة المطلقة : التي يعبر عنها بدرجات مئوية على سلّم صفرها (— ٢٧٣) مئوية أي الصفر المطلَق الذي هو أدنى درجة من الحرارة يمكن نظرياً بلوغها وينعدم عندها كل تَغَضان * ذري [1] ٠ عملياً أمكن الوصول الى (— ٢٧٢٫٨٧) درجة تحت الصفر في عام ١٩٣٤) ٠

٧) Abstrait مُخَلَّصَة ٠

(من اللاتينية : abs, traherer : سَحَبَ ، جَذَبَ || استخرج ، استخلص) ٠

(١) agitation moléculaire

لغةً : خَلَصَ خُلُوصاً وخالِصة : صار خالصاً ... الخالص : كلُّ شيء أبيض .
خُلاصة السمن (بضم الخاء وكسرها) ما خَلَص منه ... أخلصَ السمنَ : أخذ خلاصته ... خلَّص تخليصاً : أخذ الخلاصة || فلاناً نجّاه فتخلص ... خالَصَه : صافاه ...

استخلصه لنفسه : استخصَّه .

فناً : في فن الصيدلة : خلاصةٌ سحوق تعادل ضعفي وزن العقار المهيأة منه . وليست هي (الخلاصة extrait) ذلك الشكل الصيدلاني المعروف الذي هو محصول تبخير ، لدرجةٍ معلومة ، للمحلولات المستحصلة من معالجة مادة نباتيـة بسواغ بخور * كالماء والغول والأثير .

٨) Acclimatation أقْلَمَة .

(من اليونانية Klima : المَيْل ، المَيَلان) .

لغةً : الإقليم كقنديل : واحد الأقاليم السبعة .

فناً : تعويد الكائن الحي من حيوان أو نبات على العيش في بيئة غير التي كان فيها بأتباع جملة قواعد موضوعة لهذا الغرض ، فكأنما يجعل بهذا مَيّالاً (ذا ميل) للعيش في البيئة الجديدة التي نُقل اليها .

٩) Acclimater أقْلَم .

من (الأقلمة) الآنفة الذكر : عوّدَ الكائن الحي على العيش في بيئة غير التي كان فيها .

١٠) Acclimater (s') تأقْلَمَ .

من (الأقلمة) الآنفة الذكر : تعوّد على العيش في بيئة غير التي كان فيها .

١١) Accumulateur مُذَّخِرة .

(من اللاتينية accumulare : التكديس = الجمع = الخزن) .

لغةً : ذَخَرَه ذُخْراً وأذْخَرَه : اختاره واتخذه ... الذَّخيرة : ما أُذْخر كالذُّخر .

فناً : آلة كهرباوية تُخزن (تذخر) فيها القدرة الكهرباوية حيناً لتستعمل بعده تياراً كهرباوياً . وتتألف من صفيحتين من الرصاص مغموستين في ماء محض متوازيتين ومتقاربتين جداً . احداهما كقطب ايجابي والأخرى كقطب سلبي . تملأ بربط القطبين ببطارية أو بتيار حتى تنشحن بالكهربا ، فيقطع اتصالها بالتيار فتكون مهيأة للاستعمال بوصل قطبيها بما يراد (التيار الجديد بعاكس الأول) .

١٢) acescence خُلُول .

لغة : عرَض يعرض في كل حلو فيغير طعمه الى الحموضة .

فناً : مرض يصيب الأشربة الغولية كالنبيذ وغيره فيجعلها حامضة ، لتحوّل الغول فيها الى حمض الخل بفعل الخميرة المسماة (الفطور الأدمية الخلّية Mycoderma aceti) . هذه الفطور تسطو ترجيحاً على الخمور الحديثة والقليلة الغول . يحال دون حدوثه بالنظافة التامة وبسلفتة * الدنان sulfitation .

١٣) Acétificateur مُخَلِّلة .

(من اللاتينية acetum : الخل) .

لغة : خَلَّلَت الخمرُ وغيرها حَمُضَت وفَسَدت والعصير صار خَلاً .

فناً : دولاب مؤلف من صفيحة مُحَلْزَنَة *[1] من الصاج وعليها قطع من خشب الزان حتى اذا دار الهواء والخمر فيها تكوّن حمض الخل بسرعة وبكمية زهيدة .

١٤) Acétification تخليل .

لغةً : خلَّلَ الخمرَ جعلها خلاً ، لازم متعد .

فناً : تخصيصاً ، العمل الذي يتم معه تحويل مادة ما الى حمض الخل .

١٥) Acétifier (s') تَخَلَّلَ .

وكذا اُختُلَّ . من الكلمة الآنفة الذكر .

(١) spiralé, enroulé en spiral

١٦) Acétolat خُلاَلة .

لغةً : وزان فُعالة ، من الخل .

فناً : دواء يهيأ بتقطير نُقاعة النباتات في الخل .

١٧) Acétolature مُسْتَخَلَّة .

لغةً : من (استخلّ) . فناً : دواء يهيأ بنقع النبات الطازج في الخل .

١٨) Acétolé خَلَيَّة .

لغة : (من الخل) . فناً : دواء يهيأ بحل المواد المختلفة في الخل . والخلية ، غير المستخلة ، من الوجهة الصيدلانية .

١٩) Acétolyse خَلْمَهَة .

لغةً : نحتاً من (خل ، إماهة) . فناً : عمل يتم فيه تحليل مادة ما في حمض الخل ، مثال : خلمهة السلولوز ، بمزيج من حمض الكبريت وبلا ماء حمض الخل .

٢٠) Acétomel خَلْسَل .

لغةً : نحتاً من (خل ، عسل) . فناً : دواء مؤلف من شراب العسل ممزوجاً بالخل وهو المعروف بالفارسية (سِرْكَنْكَبِين) ادغاماً من كلمتين (سِرْكة : خل) و (أنكَبين : عسل) .

٢١) Acétonémie تَخَلْوُن الدم .

(من Acétone : الخلّون ، ومن اليونانية haima : الدم) .

لغةً : اشتقاقاً من معرّب الكلمة الافرنجية : (الخُلّون acétone) ، ذلك الجسم العضوي المعروف .

فناً : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في الدم .

(يتبع) الكواكبي

مخطوطات قيمة تُهدى إلى دار الكتب الظاهرية

لا تزال بعض بيوتات العلم في المشرق العربي تحتفظ في خزائنها الخاصة بمخطوطات كثيرة ثمينة ورثها الخلف عن السلف ، فزانوا بها دورهم ، وعمروا بها صدورهم . على أن هذه المخطوطات تظل في أغلب الأحيان محجوبة عن أنظار جمهرة الباحثين ، ومعرضة للسرقة والتلف والإهمال وعوادي الزمن إذا آلت إلى أيدي الجاهلين ، فمن الخير كل الخير أن تودع المخطوطاتُ الخاصة دورَ الكتب العامة ، حفظاً لها وتيسيراً للانتفاع بها .

ومن أعظم بيوتات العلم في دمشق أسرة آل حمزة ، انتهت إلى الكثيرين من أبنائها : المتقدمين والمتأخرين ، نقابة الأشراف والفتيا في الشام ، وضمت خزائنهم نوادر المخطوطات العربية التي عكفوا على جمعها السنين الطوال ، وأنفقوا في تخيُّرها النفيس من الزمن والجهد والمال ، وقد أعانهم على ذلك انصرافهم إلى التبحر في العلم كابراً عن كابر ، وحرصهم على التكثر منه والتعمق فيه . وعميد هذه الأسرة اليوم هو السيد سعيد حمزة نقيب السادة الأشراف في الشام ، وأحد أكابر رجال الفضل والعلم فيها .

اختار السيد سعيد حمزة من خزانته العامرة ثلاثمائة مخطوط في علوم مختلفة ، فأهداها إلى دار الكتب الظاهرية منذ أيام ، وانكب العاملون فيها على دراسة هذه المخطوطات ووضع فهرس لها يشتمل على وصف كل منها والتعريف به ، حتى يستفيد رواد الظاهرية من هذه المخطوطات . وإننا لنرجو أن يتاح لنا سرد أسماء هذه المخطوطات وبيان ما فيها في العدد المقبل من مجلتنا هذه .

نوّهت بهذه المأثرة الحميدة كبريات الصحف السورية ، وبعث المجمع العلمي العربي للمهدي الكريم ، رسالة يشكر له فيها جميل صنعه ، ويرجو أن يأتسي المخلصون الغُيُر به ، ويسيروا على هديه .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة

٣٥٣ مع حافظ ابراهيم . . . . . للأستاذ خليل مردم بك . .
٣٧١ الشعر الأندلسي . . . . . للأستاذ عبد الله كنون . .
٣٩٧ الاصطلاحات الفلسفية (٣) . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .
٤٠٩ أفكار أبي حنيفة الدينوري في العلوم الطبيعية للدكتور محمد حميد الله . .
٤١٦ ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (١) . للدكتور حسني سبح . . .
٤٢٧ إيوانية البحتري (٣) . . . . . للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي
٤٣٧ التكية السليمانية في دمشق (٢) . . . . للأمير جعفر الحسني . . .
٤٥١ أبو الفتح بن جني (٧) . . . . . للدكتور محمد أسعد طلس . .

التعريف والنقد

٤٧٣ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) . . . . . للأستاذ عبد الهادي هاشم . .
٤٨٠ طبقات الأطباء والحكماء . . . . . للدكتور أسعد الحكيم . .
٤٨٣ أعيان الشيعة . . . . . للأستاذ عز الدين التنوخي .
٤٨٧ الثائرون في التاريخ . . . . . للأستاذ عز الدين التنوخي .
٤٨٨ ردّ على ميخائيل نعيمة في « مرداد » . . للدكتور حكمة هاشم . .
٤٩١ المدخل الى تاريخ الحضارة (الجزء الثاني) . للأمير جعفر الحسني . . .
٤٩٤ محاضرات في القانون المدني اللبناني . . للدكتور عدنان الخطيب . .
٤٩٦ أمراء دمشق في الإسلام . . . . . للأستاذ محمد أحمد دهمان . .

آراء وأنبـاء

٤٩٨ وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي . . . . . .
٥٠٢ وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي . . . . . .
٥٠٤ وفاة الأستاذ كارل بروكلمن . . . . . .
٥٠٩ ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية . للأمير مصطفى الشهابي . .
٥١٣ ملاحظات على رسم بعض المعرّبات . .
٥١٤ رسائل ابن الأثير . . . . . للأستاذ أنيس المقدسي . .
٥٢١ منتخبات من معجم الكواكبي (٢) . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٥٢٥ مخطوطات قيمة تُهدى إلى دار الكتب الظاهرية . . . . . .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش

٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .

٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل

٣٤ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة

٣٥ — ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس

٣٦ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٧ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٨ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٩ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخيلي الحلبي

بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ ٢٥ صفر سنة ١٣٧٦

حافظ ابراهيم على سجيته

الاسكندرية في ١٥ نيسان سنة ١٩٢٦ و ٢ شوال سنة ١٣٤٤

ذكرت في آخر مقالي السابق [١] عن حافظ ابراهيم أنه قال لي : سنراك في الإسكندرية قريباً ولعل ذلك يكون في العيد .

لقد وفى بما قال ، فزار الإسكندرية ومعه حسين الحسيني في عيد الفطر سنة ١٣٤٤ منتصف نيسان سنة ١٩٢٦ ، فقضينا معه نهاراً بطوله ووصلنا به ليلة طويلة . وكان حافظ في هذه النوبة مرسلاً نفسه على سجيتها في كل ما يقول ، وكثيراً ما يؤثر الدعابة على الجد ، ويرتاح لإيراد النكت والفكاهات البلدية مهما يكن نوع الحديث .

كان الموعد أن نجتمع في الصباح بقهوة نلسون ، فلما أقبلت عليه قال لي : خشيت ألاّ تهتدي الى المكان ، وأن يلتبس عليك نلسون بولسون ، فاللفظان

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ص ٣٥٣ مجلد ٣١

متقاربان ، على أن أحدهما قائد الأسطول الانكليزي والآخر الرئيس الأميركي . ثم قال : قل لي هل أفطرت ؟ فأنا لم أفطر بعد ، وسأطلب فطوراً لي ولك ، قلت : شكراً لك لقد أفطرت . قال ماذا أكلت ؟ قلت الخبز والجبن . قال هل كنت في القسم [1] ؟ فهذا أكل رجال البوليس . ما أعجب شأنكم يا أهل الشام ، تبلّون ثريدكم بماء الحمص بدلاً من ماء اللحم وترشون على وجهه حبات من الحمص [2] بدلاً من اللحم ، أهكذا يكون الثريد ؟ لست أدري أتأكلون مثل هذا الطعام تقشفاً وزهداً أم على سبيل الحمية ؟

والتفت يمنة فقال : أتريد أن تعرف رجلاً لم يأكل ولم ينم منذ ثلاثين سنة ؟ هذا هو إنه مقبل علينا ، فلما قرب قال له : أين كنت يا أستاذ ؟ أكنت تأكل ؟ فقال : لا والله ما أكلت (ش) . قال إذن كنت نائماً ، فقال : لا والله ما نمت (ش) . قال لي أرأيت ؟ هذا الشيخ عبد العزيز البشري صديقي منذ ثلاثين سنة ، لم أره مرة ـ وما أكثر ما أراه ـ إلا قال لي ما أكلت (ش) ولا نمت (ش) . ثم التفت إليه وقال : سأطلب لك فطوراً ، قال ما تشتهي نفسي الطعام ، قال ماذا وصف لك الأطباء ؟ قال وصفوا لي من المقبلات فراخ الطير ، وتأبى نفسي أن أجمع أمهات الطير بفراخها فضلاً عن إيلام الفراخ بالذبح لكي أشحذ شهوتي الى الطعام ، فما أقسى الإنسان وما أشد ظلمه . فقال حافظ : إذا عجز الأطباء عن علاجك ، أما في الحي عندكم واحدة من أولئك العجائز اللواتي عندهن لكل داء دواء ؟ فقال البشري عندنا عجوز في صدرها دائرة معارف ، تجيب قبل السؤال ، وتعالج جميع الأمراض ، وتسفه الأطباء وتنكر عليهم علمهم ومعرفتهم ؛ ولم يبق عليّ إلاّ أن أذهب اليها . وسأله حافظ عن ولديه فقال : هما بخير والحمد لله وياليتهما لم يأتيا لهذه الحياة التي كلها آلام ،

(١) يعني المخفر .
(٢) يريد بذلك ما يسمى في دمشق (لتسقية) .

وأنا الجاني عليهما . فقال له حافظ : هون عليك فالحياة أهون من أن يهتم لها الإنسان ، رحم الله محمد البابلي فقد كان يسخر من الخطوب ولا يأسى على ما فاته أو خسره من عرض الدنيا ، أعسر مرة فاستدان مبلغاً من المال ورهن ملكاً له عند الدائن ثم باع الملك ؛ فسمعته يروي حديثاً موضوعاً في هذا الشأن ـ وكثيراً ما كان يضع الأحاديث على سبيل التظرف ـ فيقول : « خيركم من رهن ثم باع » قلت له ولماذا ؟ قال لأنه يقبض الثمن مرتين . هذا الرجل الذكي الألمعي المتوقد الذهن الوفي الذي كان حديثه بهجة النفوس ونزهة الخواطر ، أنكره المصريون يوم وفاته فلم يشيع جنازته غير بضعة أشخاص ، لم أر بلداً أقل وفاء وأكثر هضماً لحقوق رجاله من مصر .

وسكت حافظ متأثراً فاغتنم هذه الفرصة حسين الحسيني وقال لي : الأستاذ البشري صاحب مقالات (في المرآة) التي تنشر في (السياسة الأسبوعية) ، فأسرع البشري وقال بلهجة المستغني عن التقريظ والثناء : بعضها بعضها .

ثم التفت إليَّ حافظ وقال : متى ضرب الافرنسيون دمشق ؟ قلت في تشرين الأول سنة ١٩٢٥ . فقال : لا مؤاخذة إذا قلت لك ترجم فلقد نسينا نحن في مصر أسماء الأشهر المعرّبة وأضعنا استعمال الحساب العربي وأصبحنا لا نعرف الأشهر إلا بالأسماء الافرنجية ، فنقول ابريل ومايو ويونيو وهكذا . . . وهذا مما يؤسف له . ولكن دعنا من مسأله الحساب الآن وخبرني عن غرام السوريين بالثورات ، بالأمس ثرتم على الأتراك فأنكر عليكم المصريون ذلك وعدوا عملكم ضرباً من الخيانة ؛ أما أنا فقد عذرتكم ، لأن التركي في حكمه لا يطاق « عشرة [1] وأنا سيدك » هكذا هو ، وأنا اتغاظ (اغتاظ) من الأتراك لهذا الصلف العجيب . وما كدتم تتخلصون من الأتراك حتى ابتليتم

(١) مثل عامي مصري يصف الشحاذ التركي في مصر ، يطلب منك عشر بارات ويقول لك أنا سيدك ، يقابله في أمثال العرب « أنف في السماء واست في الماء »

بالإفرنسيين وهم أدهى وأمر ، جمعوا الى الصلف الغرور والى الأنانية الحمق والى القسوة الظلم وهم أشد الناس خفةً وطيشاً وأكاد أقول جنوناً ، ولعل الله ابتلاكم بهم لمشابهتهم لكم من بعض الوجوه ؛ على أن الشامي معروف عند المصريين بالبرودة فيقال برد شامي ، ولقد رأيت مرة بعض أصحابي مع شامي فقلت له ما الجامع بينكما ؟ فقال أبترد ببرودته . ولا شك في أن أقوى الشعوب اليوم في العالم ثلاثة وهم الإنكليز والألمان والإفرنسيون ، ولي فيهم قول مأثور صنفهم ووصفهم وصفاً صادقاً يصور على إيجازه كلاً منهم في نفسه وفي حكمه لغيره : فالانكليزي يعلم ويرحم ، والألماني يعلم ولا يرحم ، والإفرنسي لا يعلم ولا يرحم .

أما نحن وأنتم وبقية المسلمين فصائمون دايخون نائمون ، أضعنا ما بأيدينا ولا نكاد نعلم من أمور الدنيا شيئاً ، لقد خسرنا الدنيا ونطمع بالجنة في الآخرة ، وأخشى — إن تحقق أملنا — أن نحتاج للأوربيين حتى في الجنة ، لأنه لو طرأ عطل هناك على شيء من أدوات الترف والنعيم ، لما كان بين المسلمين من يقوم بإصلاحه ، ولاحتاجوا الى استدعاء بعض الأوربيين من النار .

وانتقلنا من قهوة نلسون الى مطعم على البحر ، وروى حافظ آنئذ خبراً غريباً قال : لما كان السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في باريز زارهما أمير عربي ، وذكر لهما أن ابراهيم بك المويلحي حصل على وثائق من عنده بحيلة ، وفي هذه الوثائق ما يغضب فرنسة على الأمير ، وأن المويلحي أنذره بأنه اذا لم يدفع له ألف ليرة ذهباً سيسلم الوثائق الى الحكومة الافرنسية ، وذكر الأمير أنه في ضيق لا يملك هذا المبلغ من المال ، ورجا منهما أن ينجياه من شر المويلحي ؛ فاستشاط السيد جمال الدين غضباً ، وكان حاد المزاج ، وقال : ينبغي زجر المويلحي وتأديبه واسترداد الوثائق منه . فقال الشيخ محمد عبده : لا فائدة من أخذه بالشدة بل ربما كان في الشدة ضرر ، فدع هذا الأمر إليّ لعلي أتمكن بالرفق واللين والحيلة من استرداد الوثائق . وبعد أيام زار الشيخ محمد عبده

ابراهيم بك المويلحي في الغرفة التي هو نازل فيها وتكررت الزيارات بينهما حتى أنست صاحبة الدار بالشيخ ، فجاء يوماً ولم يكن المويلحي في الدار ، ففتحت له الغرفة وتركته وحده ، فأخذ الوثائق وقعد قليلاً ثم خرج وأسرع بها الى صاحبها الأمير ؛ فلما علم المويلحي بالأمر جن جنونه وذهب الى الشيخ وقال له : ان ما فعلته يا أستاذ خلاف الأمانة ؛ فضحك الشيخ وقال له : والذي فعلته أنت ما هو ؟ أمانة ؟

قال حافظ : رحم الله الشيخ فقد مليء علماً وعقلاً ومروءة ، وقد فقدت مصر بوفاته ركناً عظيماً ، وكأنما الشاعر عناه ساعة دفنه بقوله :

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيا معا

وكان المطعم مزدحماً جداً ، فلم نكد نفرغ من الطعام حتى غادرناه وركبنا عربة قاصدين قهوة نجلس بها بعد الطعام ، فلما نزلنا من العربة وقف حافظ ابراهيم وسلم على رجل من عامة الناس قصير القامة مكتنز الجسم زري الملبس وصافحه وهز يده طويلاً وهش له ، فقال له الرجل القصير : أنت نسيت أصحابك يا حافظ بك ، فأجابه : لا والله ولكن أين أراك ؟ فقال له : اسأل عني ترني .... فودعه ضاحكاً . ثم دخلنا قهوة صغيرة وأقبل بعد قليل بهي الدين بك بركات وقعد بجانب حافظ ابراهيم ، وجاء خادم القهوة ووجه الكلام لحافظ واحتفى به وسأله عما يريد من المشروب ، فقال له حافظ مالك تحتفي بي هل تعرفني ؟ قال : كيف لا أعرفك ، أنت شاعر مصر الكبير . قال حافظ : يعني العجوز ، قال : لا والله ما قصدت هذا ، فسر حافظ بذلك وضحك .

ونشأت في السماء سحابة وسقطت منها قطرات من المطر ، فرفع حافظ بصره الى السماء وقال : يعجبني قول الشاعر في مثل هذه الحال يعني سقوط المطر غير المنتظر :

عليَّ وإلاَّ ما بكاء الغمائم وفيَّ وإلاَّ ما نواح الحمائم

وعني أثار الرعد صرخة طالب بثأر وهز البرق صفحة صارم

وردد الشطر الأول غير مرة وقال : إذا كان المطر في غير وقته فما هو إلاّ بكاء الغمائم عليه وعلى أمثاله من الشعراء .

ثم قال : والشيء بالشيء يذكر وان كان لأدنى ملابسة ، يعجبني قول شاعر عامي في مطر شديد مستمر وفيه دعابة ونكتة :

أقلعي بالله عنهم وارحميهم يا سما ما هم من قوم نوح إنهم من قوم لوط

وكان يردده مخاطباً السماء ويضحك .

وهيجت هذه اللمحات من الشعر حديث الشعر في نفسه فقال : جاءني وأنا في شبابي رجل من دعاة الشيخ أبي الهدى الصيادي ، وزين لي أن أذهب الى استانبول بقصيدة أمدح بها الشيخ وأكون ضيفاً عليه وأكون شاعره ، ومناني كل ما تصبو اليه النفس من عرض الدنيا ، وبقيت مدة بين المقدم والمحجم ، وكدت أجيب الدعوة ، ثم انصرفت نفسي عن الإجابة فاعتذرت ، وأحمد الله على أنني لم أسلك ذلك المسلك ، ولو فعلت لكنت مثل غيري من الشعراء المداحين الذين كانوا يتهافتون على أبواب الملوك والأمراء والرؤساء ، واذا سئل عنهم قيل من في الباب من الشعراء ، كأنهم من الخدم ، ولما أتيح لي أن أعنى بالشعر الاجتماعي ، وأشارك في نقل الشعر من الهزل الى الجد ومن المواضيع التافهة الى المواضيع ذات البال .

وعلى ذكر الشعر قال : دعيت مرةً لإنشاد قصيدة من شعري في حفلة جامعة ، فلما اكتمل الجمع وصعدت المنبر وشخص الناس بأبصارهم إليّ وحبسوا أنفاسهم مصغين منتظرين ما سأقول ، أنشدت البيت الأول من القصيدة كأحسن ما ينشد شاعر . ويظهر أنه كان بجانب مكان الحفلة اصطبل فنهق فيه حمار نهيقاً منكراً تردد صداه في قاعة الحفلة ، فقطعت الإنشاد حتى سكت الحمار فضحك الناس ، ولما عدت الى الإنشاد عاد الحمار الى النهيق ، فقلت للحاضرين : إما أنا أو هو ، فضجّ الناس بالضحك والتصفيق ، فقلت لهم : أنا جاد ولست

بهازل ، لئن لم تسكتوه لأتركن المنبر ؛ ولما أقصي عن المكان أتممت إنشاد القصيدة .

ولم يكد يتم هذه الفكاهة حتى نهض وكان الوقت بعد الغروب بقليل . والذي لاحظته أن بهي الدين بركات منذ جاء الى أن انصرف ظل ساكتاً سكوتاً طويلاً .

وتركنا هذه القهوه وذهبنا لنتعشى في دار الدكتور أحمد قدري إجابة لدعوته ، فلما بلغناها بالغ صاحب الدار بالحفاوة بحافظ ابراهيم ، فكان يقول له عقب كل كلمة يقولها حافظ : أمرك سيدي ، تأمر ، مرني بما تشاء ، فلما طال ذلك على حافظ قال له على سبيل الدعابة : آمرك أن تسكت ، ما هذه المبالغة في الحفاوة ؟ قال : لأن الله اختصك بموهبة لا يختص بها إلا القليل النادر من عباده هي موهبة الشعر ؛ فقال حافظ : اسكت يا شيخ أنت عالم ، ثم قال سأختبر علمه في الطب ، فان جعل ناقتي تسير بي نحو المنزل الخالي شهدت له بالحذق .

وبعد قليل قدم للحاضرين ما يقدم عادة قبل الطعام من المقبلات ، فتناول حافظ كأساً جرع منها جرعة أغمض منها عينيه والتهم شيئاً من النقل يمسح به حرافة الجرعة ، وكانت التي تقدم المقبلات فتاة تركية وسيمة ، فأشار إليها بعض الحاضرين أن تجور على حافظ ابراهيم بمعاطاة الكؤوس ، فكانت تقدم له الكأس تلو الأخرى ، تعطيه الملأى وتأخذ الفارغة . فقال لها : بس ؛ فقيل له إنها لا تفهم العربية ، وتظاهرت هي بأنها لم تفهم ما قال ، فقال لها : (نودر) والتفت الى الحاضرين وقال : لقد كلمتها بالتركية ، وهل التركية غير (در ودن وده) وما إلى ذلك من الأدوات . و (no) أصبحت تركية بعد أن ذئبت بـ (در) .

ثم قال لي أنشدني شيئاً من شعرك ، قلت : لا أعتني بحفظ شعري . قال أذكرتني بقولك هذا قصة سأقصها عليك ، لما كنتُ في المدرسة اتفق أن جاء

مفتش ونحن في درس اللغة الافرنسية وبدأ يختبر معرفة التلاميذ بها ، فاستدعاني إليه وقال لي «Parlez-vous français» فأشرت إليه برأسي (لا) فقال لي : ولا (non) يا شاطر . أتريد أن تعمل مثلي لست بتاركك ، ولك عليّ أن أجبر لك برأيي من غير مواربة . فقرأت له قصيدة عنوانها (شهيد ايرلنده) أولها :

أبى رق الحيـاة فمات حرا وأبلغ نفسه في ذاك عذرا

فقال بعد أن سمع البيت الأول « طيب يا واد » وكرر هذه الجملة عقب كثير من أبيات القصيدة ؛ فلما انتهيت قال اسمع : « لن تكون كالمتنبي ولكنك كالبحتري » فشكرته وحملت ما قاله على المبالغة في المجاملة .

وكأنما تنبه في نفسه حديث الشعر والأدب ، فذكر كتاب الأغاني وقرظ طبعته الجديدة وقد صدر منها الجزء الأول ، وقال لا أدري متى ينتهي طبع بقية الأجزاء لأننا في دار الكتب ندقق في تحقيق الأصل وتصحيحه وقد تبقى حروف الملزمة مصفوفة في المطبعة شهراً أو أكثر لأنه إذا توقف المصححون في دار الكتب بشيء عرضوه على أهل العلم الثقات كأحمد تيمور باشا وأضرابه .

وذكر أحمد بن يوسف الكاتب وأثنى على كتابه (المكافأة) وقال : لقد استظهرت كثيراً من كتاب المكافأة .

وذكر الجاحظ وأثنى عليه كثيراً وقال : إنه بليغ هذه الأمة وأحسن البلغاء بياناً ، فضلاً عن سعة العلم ورجاحة العقل وخفة الروح ، وروى عن الجاحظ هذه الحادثة قال : « وضعت حلقة من حديد في النار حتى صارت حمراء ، ثم ألقيتها على الأرض ووضعت في وسطها نملة ، ووقفت أنظر ما تصنع النملة ، فمشت النملة إلى جهة الشرق فلما أحست بوهج النار انكفأت الى جهة الغرب فلما أحست أيضاً بحر النار عادت وقصدت الى كل جهة من جهات الحلقة فلما لم تجد مخرجاً وقفت في أبعد مسافة عن النار » قال حافظ فانظر الى الجاحظ كيف عبّر عن مركز الدائرة الذي لم يكن معروفاً وقتئذ بأبعد مسافة .

وأورد من دعاباته وفكاهاته ما يلي قال : سأل بعض الناس الجاحظ أن يعطيه كتاب توصية الى بعض العمال ، فدفع الجاحظ اليه كتاباً مختوماً ، وبدا لهذا السائل أن يفض الكتاب فاذا فيه : « هذا الكتاب مع من لا أعرفه ، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وان رددته لم أذمك » فلما سئل عن ذلك قال : هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به ، فقال المكتوب لأجله : أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف ... وأم من يسأله حاجة . فلما استنكر منه ذلك قال : هذه علامتي فيمن أشكره . فضحك الجاحظ . كان حافظ يروي هذه القصة بفمه وبيديه معاً ويغرب في الضحك .

وانتقل الى الكلام عن سعد باشا زغلول واستقلاله بعظائم الأمور ، وقيامه بالشؤون الهامة في الحزب والحكومة ومجلس النواب ، حتى إذا ذلل الصعاب ولم يبق غير الأمور اليسيرة ترك كرسي الرياسة واستدعى نائبه فقال « تعال يا نحاس » قال حافظ ذلك وقام من كرسيه نصف قيام محاكاةً وتمثيلاً لسعد .

وسألني عن الأستاذ محمد كرد علي فقلت له : إنه بخير ويذكرك بالخير ، فقال : هذا رجل عظيم .

ثم سألني عن الشيخ فؤاد الخطيب وقال : إنه شاعر ؛ فمد الألف ووقف على الراء بقوة .

وكأنما استبطأ الدعوة إلى المائدة فقال :

قد جن أصحابك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

ثم قمنا الى المائدة فبدأ يهدر بكلامه هدراً وألهاه الكلام عن الطعام وتندر على المصريين والشاميين ، قال : للمصري فهم عجيب ومنطق أعجب ، وقف مرة فلاح مصري أمام قاضٍ في المحكمة ، فسأله القاضي الأسئلة المعتادة عن الاسم والسن والحال والصنعة والبلد ، فكان جوابه عن سنه « سنة زرع أفندينا

القطن » فزاده القاضي سؤالاً وقال « متزوج أنت أم عزب » فقال : « نعم يا أفندم متزوج مَرَهْ » فنهره القاضي وقال : ما هذا الكلام الفارغ ، وهل يتزوج أحد غير امرأة ؟ فقال « نعم ... أخي ... أخي متزوجة راجل » وحملق في وجه القاضي كمن أقام الحجة الدامغة . وكان حافظ يغرب في الضحك من جواب المصري ويقول أجاب جواباً لا يرد .

وقال : أراد أن يسافر فلاح مصري من قريته إلى القاهرة ، فجاء الى المحطة وسأل قاطع التذاكر عن الأجرة ، فذكر له تفاوت الأجرة باختلاف الدرجات ، وزيادة في الإيضاح قال له : يعني فوق أغلى من تحت ، وتحت أرخص من فوق ؟ فقال له الفلاح : احفر لي أسفل من تحت وخذ مني أرخص ، ثم قال : لا تظن أن الشامي يقصر عن المصري في هذا الباب ولعله يفوقه ، اسمع هذه القصة : جاء مرة رجل شامي الى الاسكندرية في طريقه الى القاهرة ، فركب القطار من الاسكندرية ومعه عباءته وخرجه ، فسار القطار ولما وقف في المحطة الأولى بسيدي بشر ، ثار الشامي من مكانه وعلى كتفيه العباءة والخرج وهمّ بالنزول وسأل حارس القطار : وصلنا مصر سيدي ؟ فأجابه : كلا أين أنت من مصر عد إلى مكانك . وكان كلما وقف القطار على محطة فعل الشامي ما فعله في محطة سيدي بشر . فلما ضاق به الحارس قال له : مالك يا أخي ، اقعد في مكانك ، هل ملت من الركوب ؟ فقال له الشامي : إي والله سيدي ملت أريد أن أصل إلى مصر . فقال له الحارس : إذا كنت ملت ولم تمض عليك ساعات في القطار ، فماذا أقول أنا ، أنا في هذا القطار من ثلاثين سنة . ففتح الشامي فمه وجحظت عيناه وقال للحارس : « من أي محطة أنت راكب سيدي ؟ »

والتفت بغتة ويسرة ونظر تجاهه فوجد القاعدين مشغولين بالطعام ، فرفع بصره الى الفتاة التركية الواقفة على المائدة وقال لها : (بو — وأشار إلى القاعد عن يمينه — غيبوت ، وبو — وأشار الى القاعد عن شماله — غباوت ، والضيف

— وأشار إلى نفسه — ضايع در) فهج الحاضرون بالضحك وقالوا له : ختمتَ اللغة التركية ؛ وغلب على الفتاة الضحك حتى كاد ينزلق صحن الطعام من بين يديها على كتفيه ، فقال : قلت لها أطعميني ولم أقل لها أطعمي ثيابي . وصبت له في كأسه ماء فظنه من الأشربة الحارة فقال لها : أنا مسلم [1] صبي لا أشرب غير الماء والأشربة الحلوة .

وكان الليل قد مضى أكثره فانصرف الحاضرون ولسان حالهم ينشد :

نود أن سواد الليل دام لنا وزيد فيه سواد القلب والبصر

***

ذيل

(في ما رُوي لي من أخبار حافظ ابراهيم ولطائفه)

حدثني حسين الحسيني قال : حافظ ابراهيم عصبي المزاج يكره الحلاقة ولا يصبر على الحلاق وعمل أدواته في الشعر ولا سيما المقص منها ، ولا يكاد يذهب إلى الحلاق إلا اضطراراً ، وقع يوماً بحكم الاضطرار بين يدي حلاق ، فأعمل برأسه المكنة والمقص والموسى ثم انحاز إلى قفاه وبدأ مقصه يجول ويسفسق علواً وسفلاً ، وطال الأمر على حافظ ابراهيم ، فقال له : متى تنتهي ؟ قال لم يبق إلا جهة الشمال . فنهض حافظ ونزع الفوطة من عنقه واتجه نحو الباب وهو يقول : نكتفي الآن بجهة اليمين وفي المرة الآتية تكمل الباقي في جهة الشمال .

---

(١) يريد بالمسلم الصبي : المسلم الجلد التقي . وقد كنت أظن هذا القول مما يتمثل به في مصر ، سألت عنه مرة الدكتور عبد الوهاب عزام فقال لي : لا أعرفه قلت سمعته من حافظ ابراهيم ، قال : كان حافظ يضع الأمثال لنفسه .

وقال : المشهور عن حافظ أنه جواد كريم ، والواقع كذلك وليس للمال قيمة في عينه ، سهر مرة في القاهرة يلعب الطاولة مع أصدقائه ، فلما طال أمد اللعب نبهه بعض الحاضرين الى أن آخر قطار يسير من القاهرة إلى حلوان (حيث يسكن حافظ) قد دنا وقته ، فلم يلتفت إليه حافظ حتى إذا انتهى من اللعب بعد فوات وقت القطار طلب الى الشركة أن تجهز له قطاراً خاصاً من القاهرة الى حلوان ، وكان الأمر كذلك ودفع الأجرة الضخمة المعينة لمثل هذه الحال .

وقال : سألته مرة كيف ينظم الشعر وكم بيتاً يقدر أن ينظم في اليوم ؟ فقال : ليس هناك قاعدة ثابتة ، فقد تمضي الأيام والشهور ولا أجد نفسي تنشط لقول الشعر ، وقد يستعصي عليّ إذا طلبته في مثل هذه الحال فلا أقدر على نظم بيت واحد أرتضيه ولو حاولته طول يومي ، أما اذا ارتاحت نفسي الى الشعر وكان الباعث عليه يلائم هواي فأقول الأبيات في اليوم الواحد من غير كد ولا جهد .

وقال : يظن بعض الناس أن حافظ ابراهيم من المولعين بالشراب ، وليس كذلك ، وإنما هو مولع بالسيكار وبأجود أنواعه ، ولو نفدت ذخيرته منه وقيل له ثمن كل واحد جنيه لاشتراه .

وقال : قال لي حافظ ابراهيم : كان لأولى زلات الصبا التي كانت مني ، تأثير عجيب في نفسي ، فقد خشيت أن يعجّل الله لي العذاب كأن يخسف بي الأرض أو يسقط عليّ كسفاً من السماء ، وخُيّل إليّ أني إذا ظهرت بين الناس لم يخف عليهم ما اقترفت من الإثم ، فبقيت واجماً ولزمت الدار مدة لا أخرج منها إلا لأمر لا بد منه ، فلما توالت الأيام أطمعني حلم الله ورجاء عفوه .

وحدثني الشيخ فؤاد الخطيب قال : كانت قهوة سبلندديار في القاهرة أشبه بندوة لكثير من الأدباء يجلسون بها في العشايا ويتناشدون الأشعار ، وكان رئيس القوم في تلك الندوة اسمعيل صبري باشا شيخ الشعراء المشهور بنفوذ

بصره ورهافة سمعه وصحة ذوقه في نقد الشعر بعرض الشعراء عليه قصائدهم ومقطعاتهم ويسألونه رأيه فيها ؛ وكان حافظ يحضر تلك العشايا ويشيع فيها المرح بفكاهته ودعابته ، وحافظ مشهور بتثقيف شعره وإعادة النظر فيه وعرضه على إخوانه والإصغاء إلى مآخذهم عليه ، جاء ذات عشية وأنشد قصيدة سياسية رنانة في وداع اللورد كرومر واستقبال خلفه السير غورست مطلعها :

بنات الشعر بالنفحات جودي فهذا يوم شاعرك المجيد

فاستحسنها اسمعيل صبري باشا وكان مما أخذه عليه بها لفظة (ارتفع) في قوله :

إذا ارتفع الصياح فلا تلمنا فإن الناس في جهد جهيد

قال وما أقول مكانها ؟ قال هذا ليس من شأني ، عليّ أن أنتقد وعليك أن تتلافى . فقال حافظ : موعدنا عشية غد ، وجاء في الوقت المعين ووجهه يطفح بشراً وأنشد :

اذا اعلولى الصياح فلا تلمنا فإن الناس في جهد جهيد

فقال صبري باشا : أحسنت ما شئت ، فكان حافظ يكرره ويكاد يرقص طرباً .

وقال الشيخ فؤاد : كنت ليلةً وحافظ ابراهيم سائرين في أحد شوارع القاهرة ، فسمعنا وراءنا وقع حوافر خيل وإذا بعربة فخمة تقف بجانبنا ، وإذا بالراكب فيها السيد توفيق البكري يناديا اتركب معه ، فقال له حافظ : إلى أين ؟ قال إلى الدار حيث نسمر معاً هذه الليلة . قال حافظ : رحم الله من قال (جوعٌ وأحاديث) نحن لم نتعش بعد ، فهل تعشيت أنت ؟ قال نعم وهذه خمسة جنيهات لعشائكما وسأسبقكما إلى الدار ، فتعشيا في أحد المطاعم ثم اقصداني في الدار فأنا بانتظاركما ، قال ذلك وذهب ، وبقيت مع حافظ ، واختلفنا في أي المطاعم نأكل فالمبلغ يخولنا أن نأكل في أفخم المطاعم ثم نركب الى دار السيد البكري أفخم العربات ، وشرع حافظ يبذر في القهوة والمطعم بين ثمن المشروب والمأكول وحلوان الخدم وثمن السيكار ، وفكاهاته لا تنقضي

الواحدة إلا بأخف منها حتى لم يبق من المبلغ شيء حتى ولا أجرة عربة وكاد الليل ينتصف وبقي السيد البكري بانتظارنا وما أشك في أنه هجانا .

وقال الشيخ فؤاد : لحافظ ابراهيم قصيدة طويلة في (عمر بن الخطاب) هي أطول قصيدة قالها ، وهي من عيون شعره تشتمل على سيرة عمر أولها :

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أني إلى ساحة الفاروق أهديها

وكان حافظ في سنة ١٩١٧ آخذاً في نظم هذه القصيدة لم يفرغ منها بعد ، وكنا كلما اجتمعنا إذ ذاك نركب عربة ويقول حافظ للسائق : اذهب بنا حيث شئت ولكن خلصنا من الضجيج ، ويبدأ حافظ ينشد هذه القصيدة من أولها إلى المكان الذي انتهى إليه ، وكان من أحسن خلق الله إنشاداً للشعر ، فاذا أسرع السائق قال له حافظ «يا أسطه واحده واحده» يعني خفف السير . وركبنا مرة وأخذ حافظ على عادته ينشد القصيدة ، وأسرع السائق بعد برهة فقال له (يا أسطه واحده واحده) وتكرر ذلك عدة مرات ففمزت السائق في ظهره وقلت له أما تسمع ما يقوله لك ، فالتفت إليّ وأشار الى حافظ بعينه وفمه وكأنه يقول : هذا مخبش وانت مالك ؟ فضحك حافظ طويلاً .

وحدثني المرحوم عمر الفاخوري قال : لما زار حافظ ابراهيم بيروت ذهبت مع جماعة من الأدباء في ضحوة من نهار للسلام عليه ، وكان كل واحد منا يذكر له اسمه حين يصافحه ، ولما انقضى وقت الزيارة نهضنا للانصراف فودع الجميع وطلب إليّ أن أبقى ، فسررت لإيثاره لي على جميع من كان معي ، وتلاحق المسلّمون عليه فكان كلما انصرف جماعة منهم أستأذنه بالانصراف فيستبقيني ، ثم قال لي في آخر مرة هممت بالانصراف : نتغدى معاً يا أستاذ ، فازداد سروري لهذه العناية الخاصة ، وبقيت معه وتركت عملي في الحكومة ذلك النهار ، وتغدينا معاً وهو يرسل النكتة تلو النكتة ثم شربنا القهوة واستأذنته بالانصراف بعد أن شكرته بأساليب متعددة ، فوقف وقال لي : «شرّفت

يا أستاذ ، آنست يا أستاذ ، هل يمكنني أن أعرف الاسم الكريم ؟ » فبهتُّ وكدت أصعق ، وقلت في نفسي : يدعوني ، ويعزم عليَّ ، ويؤثرني على جميع من زاره ولا يعرف من أنا ، وغالبت نفسي وقلت له (عمر الفاخوري) فقال : أهلاً وسهلاً يا أستاذ عمر ، أنا والله سعيد بلقائك ، يا ليتني عرفتك قبل الآن ، إذن لقلَّ عتبي على الزمان ، أتدري لماذا احتفيت بك عن غير معرفة ؟ قلت لا ، قال اسمع إذن ، كنت أظن أن الله لم يخلق أقبح مني ، فلما رأيتك خاب والحمد لله ظني ، ووجدتك مثلي إن لم تكن أشد قبحاً ، فكيف لا أكون سعيداً بلقائك ، فضحكت وضحك .

خليل مردم بك

الاصطلاحات الفلسفية

— ٤ —

الأصل

في اللاتينية Origo

في الفرنسية Origine

في الانكليزية Origin

الأصل أسفل الشيء ، وهو في اللغة عبارة عما يفتقر اليه ولا يفتقر الى غيره ، وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره ، ولا يبنى هو على غيره ، أو هو ما ثبت حكمه بنفسه وبني عليه غيره . والابتناء إما أن يكون حسياً ، وإما أن يكون عقلياً . فالابتناء الحسي مثل ابتناء السقف على الجدار ، والابتناء العقلي مثل ابتناء الأفعال على المصادر ، والمجاز على الحقيقة ، والأحكام الجزئية على القواعد الكلية ، والمعلولات على عللها ، وما يشبه ذلك .

وللأصل في اصطلاحنا عدة معان :

١ — الأصل بدء الشيء أي أول ظهوره ونشأته كما في قول ابن خلدون : « زعم أنه (الكلام على التوبذري) الفاطمي المنتظر تلبيساً على العامة هنالك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته » (المقدمة ، ص : ٨٨) . وهذا البدء قد يكون زمانياً ، كما في قول ابن خلدون أيضاً : « ان البدو أقدم من الحضر ، وسابق عليه ، وان البادية أصل العمران ... ان الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ، لأن الضروري أصل والكمالي فرع ... وذلك يدل على أن أحوال الحضارة

ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها » . (المقدمة ، ص : ٦٨) . وقد يكون مكانياً ، كما في قولنا ان نقطة الصفر تعتبر أصلاً بالنسبة الى تبدل قيم المتحول ، وقد يكون مطلقاً كما في كلامنا على أصل الوجود ، أو مبدأ الوجود ، فهو لا يتضمن معنى زمانياً ، بل يشير الى ابتناء العالم كله على علة أولى قديمة .

٢ — وقد يطلق الأصل على أقدم صورة لشيء متبدل ، فيكون مبنى وأساساً لذلك الشيء ، كما في قول (رينان) : « يجب أن يشتمل تاريخ أصول المسيحية على تاريخ العهد المظلم الذى امتد من أوائلها الى الوقت الذي أصبحت فيه حادثاً عاماً شائعاً ومعلوماً لدى الجميع » (E. Renan, Histoire des Origines du Christianisme, t. I introd. p XXX III) . وكما في قول (دور كهايم) : « ان الدراسة التي شرعنا بها ضرب من اعادة النظر في مسألة أصول الأديان بشروط جديدة . لا شك اننا اذا عنينا بكلمة أصل بدءاً مطلقاً أول وجب استبعاد هذه المسألة لخلوها من أية صفة علمية . فالمسألة المقصودة هنا هي غير هذه تماماً . اننا نريد أن نجد وسيلة لتمييز الأسباب الحاضرة دائماً ، وهي أسباب الصور الأساسية للتفكير والعمل الديني . فكلما كانت المجتمعات التي نشاهدها أقل تعقيداً كانت ملاحظتها أسهل ، ذلك هو السبب الذي من أجله حاولنا التقرب من الأصول » : (Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, p. 11) . وكما في قوله أيضاً : « أنت ترى أن لكلمة أصول عندنا معنى اضافياً ككلمة أوائل . ان هذا اللفظ لا يدل على البدء المطلق ، بل يدل على أبسط حالة اجتماعية معلومة ، لا يمكننا في الوقت الحاضر أن نرتقي الى حالة أبسط منها ، فاذا تكلمنا على الأصول أو على بدايات التاريخ أو على التفكير الديني ، فليفهم من هذه الألفاظ ما عنينا » . (دور كهايم ، المصدر نفسه ، ص ١١) .

٣ — الأصل هو الحالة القديمة التي تبدلت فخرج منها الشيء ، كما في قولنا : أصل المسيحية اليهودية والهلينية . وقد يطلق الأصل على مجرد الحالة القديمة كما في قولنا : الأصل في الأشياء الإباحة ، والأصل في الماء الطهارة ، والأصل في الأشياء العدم ، أي العدم فيها متقدم على الوجود .

٤ — وقد يطلق الأصل على المبدأ والقاعدة ، فاذا أطلق على المبدأ سمي أصلا منطقياً بخلاف الأصل الزماني والتاريخي ، واذا أطلق على القاعدة دل على قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على جزئيات موضوعها ، وتسمى تلك الأحكام الجزئية فروعاً ، واستخراجها منها تفريعاً . وحمل المفهوم الكلي على الموضوع على وجه كلي بحيث تندرج فيه أحكام جزئياته يسمى أصلاً وقاعدة ، وحمل ذلك المفهوم على جزئي معين من جزئيات موضوعه يسمى فرعاً ومثالاً . والأصول من حيث انها مبنى وأساس لفروعها سميت قواعد ، كما في قول الغزالي : « ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها » . (المنقذ ، ص ٩٥) ، ومن حيث انها مسالك واضحة لها سميت مناهج ، ومن حيث انها علامات لها سميت أعلاماً . والعلوم الأصلية هي العلوم المشتملة على المبادئ والقواعد الكلية . قال ابن سينا : « وهذه (الكلام على العلوم المتساوية النسب الى جميع أجزاء الدهر) منها أصول ومنها توابع وفروع ، وغرضنا هنا هو في الأصول ، وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة » (منطق المشرقيين ، ص ٥) .

٥ — وقد يطلق الأصل على السبب كما في قولنا : « إن حب الذات أصل الخجل » . فالسبب أصل من جهة احتياج المسبب اليه ، وابتنائه عليه ، والسبب المقصود أصل من جهة كونه بمنزلة العلة الغائية ، كما في قول صاحب الرسالة الجامعة : « وأنا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على أول مبدع أبدعه وجعله أصلاً لخلقه بما أفاض عليه من جوده » (الرسالة الجامعة ، الجزء الأول ص ١٢ — ١٣) .

ولكن الأصل لا يطلق لغة إلا على العلة فنقول أصل هذا السرير خشب ولا نقول أصله الغاية التي صنع من أجلها .

٦ — وقد يطلق الأصل على الدليل بالنسبة الى المدلول عليه كما في قولنا الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة . وقد يطلق على الراجح بالنسبة الى المرجوح ، أو على ما هو الأولى ، كما يقال : الأصل في الإنسان العلم أي العلم أولى به من الجهل . وقد يطلق على المحتاج اليه كما في قولنا الأصل في الحيوان الغذاء . وقد يطلق على حادث كان سبباً في استعمال لفظ أو حدوث خطأ ، أو نشوء عادة ، أو اكتساب نمط من أنماط الفعل . وقد يكون الأصل مرادفاً للتكوين (راجع هذه الكلمة) . وقد يدل على الوالد بالنسبة إلى الولد ، كما في قولهم ليس له أصل ولا فصل ، فالأصل الوالد والفصل الولد ، وقيل الأصل الحسب ، والفصل اللسان ، والأصيل المتمكن في أصله .

٧ — ويستعمل الأصل في منطوق كثير من المسائل الفلسفية . من هذه المسائل :

(آ) مسألة أصل تصوراتنا أو أصل معارفنا (Problème de l'origine des idées ou de l'origine de nos comaissances) : يطلق الأصل هنا إما على نشوء التصورات والمعارف بالنسبة الى الفرد ، وإما على نشوئها بالنسبة الى الانسانية عامة ، أو يطلق في نظام أحوال النفس (على الأحكام البديهية ، والمفاهيم التي لا يمكن إرجاعها الى الاحساس) ، أو يطلق في نقد مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها وأصلها المنطقي (على الأسباب الفاعلة أو الظرفية المؤثرة في تكوين معارفنا) ، أو يطلق في نظرية المعرفة (على المبادئ القبلية الموجودة في الادراك الحسي والتفكير) .

(ب) مسألة أصل الأنواع (Problème de l'origine des espèces) : هل الأنواع الحية ثابتة على حالها لا تتغير منذ القدم ، أم هي متبدلة تنتقل من

صورة الى صورة على التعاقب ، واذا صح أنها متبدلة فما هي أسباب تبدلها وما هي مراحله .

(ج) مسألة أصل الحياة (Problème de l'origine de la vie) : هل الحياة مجرد تفاعل فيزيائي ـ كيميائي ، أم هي ظاهرة أصيلة دائمة ، واذا كانت ظاهرة أصيلة فكيف حدثت في الماضي على كوكب كالأرض لم يكن مشتملاً على جميع الشروط اللازمة لحدوثها .

(د) مسألة أصل اللغة (Problème de l'origine du langage) ، وهي مسألة عويصة : هل تولدت اللغة من وحي إلهي ، أم من غريزة أو وحي طبيعي ، أم هي نتيجة تواطؤ واختراع أم نتيجة تطور تاريخي ! (انظر كتاب رينان : Renan, origine du langage) .

(هـ) مسألة أصل الشر (Problème de l'origine du mal) ، وهي أعوص من المسألة السابقة : لماذا وجد الشر في عالم خلقه إلـه خير كامل . أفلا يتعارض وجود الشر ووجود الله ، ألا يبطل أيضاً وجود الخير إذا كان الله غير موجود .

ينتج من هذه المسائل أن لكلمة (أصل) معنيين أساسيين ، فهي تطلق أولاً على الأصل المطلق (Origine absolue) الذي تريد الفلسفة الوضعية أن تجتنب البحث فيه ، وهي تطلق ثانياً على معنى اضافي نسبي ، أي على مجموع العوامل التي توضح نشوء الشيء : كالمواد السابقة ، أو الأسباب والظروف التي أدت الى حدوثه . وهذا المعنى الثاني لا يتعارض وشروط البحث العلمي . على أن في هذا المعنى الأخير التباساً ، لأنك اذا بحثت عن الأصل ولم تعين البدء الزماني انقلب بحثك عن التاريخ الواقعي الى البحث في تاريخ خيالي مجرد ، كبحث فلاسفة القرن الثامن عشر عن « الحالة الطبيعية » التي اعتبروها أصلاً للاجتماع الانساني ، ولأنك اذا بحثت أيضاً عن الأصل تضمن بحثك بالضرورة إشارة الى أصل واحد تفرعت عنه الأشياء ، أو إشارة الى حالة قديمة لم يكن الشيء المبحوث عن أصله

موجوداً فيها ، كبحث (جان جاك روسو) مثلاً عن أصل التفاوت بين الناس . ان العقل العلمي الفلسفي يبحث دائماً عن الوحدة ، ويريد أن يرجع الأشياء الى أصل واحد ، أو الى مبدأ واحد معين . وهذا أمر بعيد المنال ، لأن هناك في الواقع أحوالاً ثابتة دائمة لا يمكن تعيين أصل لها ، كما أن هناك لكل حالة حاضرة أصولاً كثيرة أثرت في تركيبها .

الإضافة

في اللاتينية	Relatio
في الفرنسية	Relation
في الانكليزية	Relation

الإضافة في اللغة نسبة الشيء الى الشيء مطلقاً ، وفي الاصطلاح نسبة اسم الى اسم جر ذلك الثاني بالأول نيابة عن حرف الجر أو مشاكله . وقيل الاضافة ضمّ شيء الى شيء ، ومنه الاضافة في اصطلاح النحاة ، لأن الأول منضم الى الثاني ليكتسب منه التعريف والتخصيص .

وللاضافة عند الفلاسفة عدة معان :

١ — الاضافة هي المقولة الرابعة من مقولات أرسطو ، وهي جمع تصورين أو أكثر في فعل ذهني واحد كالهوية ، والمعية ، والتعاقب ، والمطابقة ، والسببية ، والأبوة والبنوة وغيرها . والإضافة تلحق جميع المقولات ، وذلك انها تعرض للجوهر كالأبوة والبنوة ، أو تعرض للكم كالضعف والنصف والقليل والكثير ، أو تعرض للكيف كالشبيه والعلم والمعلوم ، أو تعرض للأين كالتمكن والمكان ، أو تعرض لمتى كالمتقدم والمتأخر ، أو تعرض للوضع كاليمين واليسار ، أو توجد في الفعل والانفعال . قال ابن رشد : « والفرق بين هذه الخمس (الكلام على المقولات) التي تنقوم بالنسبة وبين الإضافة التي أيضاً

وجودها في النسبة ان النسبة المأخوذة في الاضافة هي نسبة بين شيئين تقال ماهية كل واحد منهما بالقياس الى الثاني مثل الأبوة والبنوة . وأما النسبة المأخوذة في الأين ومتى وسائر تلك المقولات فانما يقال ماهية أحدهما الى الثاني فقط . ومثال ذلك ان الأين كما قيل هو نسبة الجسم الى المكان ، فالمكان مأخوذ في حده الجسم ضرورة ، وليس من ضرورة حد الجسم أن يوجد في حده المكان ، ولا هو من المضاف ، فان أخذ من حيث هو ممكن لحقته الاضافة ، وصارت هذه المقولة بجهة ما داخلة تحت مقوله الاضافة . وكذلك سائر مقولات النسب ... وقد تلحق الاضافة سائر لواحق المقولات مثل التقابل ، والتضاد ، والعدم ، والملكة . وهي بالجملة قد تكون من المعقولات الأول ومن المعقولات الثواني كالإضافة التي بين الجنس والنوع » . (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ، ص : ٨ — ٩) .

٢ — والإضافة هي إحدى مقولات (كنت) الأربع التي تتضمن نسبة العرض الى الجوهر ، ونسبة العلة الى المعلول ، ونسبة الاشتراك (أي التأثير المتبادل بين الفاعل والمنفعل) . وتنقسم الأحكام عند (كنت) من حيث الإضافة الى ثلاثة أقسام : (١) المطلقة (Catégoriques) وهي التي لا يتقيد الاسناد فيها بشرط أو فرض ، (٢) الشرطية المتصلة (Hypothétiques) كقولك : اذا كان الجو معتدلاً . خرجت من البيت ، (٣) الشرطية المنفصلة (Disjonctifs) كقولك : اما أن يأتي ، واما ان لا يأتي .

٣ — والاضافة هي نسبة بين شيئين تصور احدهما يمنع التصديق بالآخر ، ولكنه لا يمنع التفكير فيه ، وذلك لأنهما يتضمنان تصور شيء ثالث يربط بينهما . قال (هاملن Hamelin) « كل إثبات لشيء يمنع إثبات عكسه ، وكل تصديق برأي يمنع التصديق بضده ، ولا معنى للرأيين المتضادين إلا اذا

حال أحدهما دون الأخذ بالآخر . وهذا المبدأ الأول يُتمَّم بآخر ليس أقل ضرورة منه ، وهو أنه لما كان لا معنى لأحد المتضادين إلا بالنسبة الى الآخر وجب أن يكون المتضادان متصورين معاً لأنهما جزآن لكل واحد . ولذلك يجب أن نضيف الى المرحلتين اللتين وجدناهما في التصور الذهني مرحلة ثالثة ، وهي مرحلة التأليف ، فالرأي وضده والتأليف بينهما قانون عام ، وهو في مراحله الثلاث أبسط قانون للأشياء ونحن نطلق عليه اسم الاضافة » . (Hamelin, Essai sur les éléments principaux de la représentation, I, § 1.) .

(انظر الفرق بين هذا الرأي ورأي هيجل في كلمة تضاد) .

٤) الإضافة هي علاقة بين شيئين من شأن أحدهما أن يتبدل بتبدل الثاني ، كتبدل التابع بتبدل المتبوع ، أو كتبدل كمية محصول الأرض بتبدل كلف الشمس (رأي جيفونس Jevons) . وتسمى الاضافة في هذه الحالة علاقة ، وتطلق على كل قانون يعبر عن رابطة بين شيئين أو عدة أشياء متحولة ، كما في قول كورنو : « يجب معارضة مسلمات الملاحظة بالاضافات (أي بالعلاقات) التي عرضتها النظرية » (Cournot, théorie des Chances Ch. XII, p. 261) .

وتقسم الاضافة الى ما يختلف فيه اسم المتضايفين كالأب والابن ، والى ما يتوافق فيهما الاسم كالأخ مع الأخ ، والى ما يختلف فيه بناء الاسم مع اتحاد ما منه الاشتقاق كالعالم والمعلوم والحاس والمحسوس . وامارة اللفظ الدالة على الإضافة التكافؤ من الجانبين ، فان الأب أب للابن ، والابن ابن للأب . ومن شرائط هذا التكافؤ أن يراعى فيه اتحاد جهة الاضافة حتى يؤخذ كله بالفعل أو كله بالقوة . ومن خواص الإضافة انه اذا عرف أحد المضافين محصلاً به عرف الآخر أيضاً كذلك ، فيكون وجود أحدهما مع وجود الآخر لا قبله ولا بعده . (راجع الغزالي ، معيار العلم ، ص ٢٠٥) .

الاعتقاد

في الفرنسية Croyance

في الانكليزية Belief

ولفظ (Croyance) الفرنسي محرف عن (Créance) واصله في اللاتينية (Crédentia وهو مشتق من فعل (Credere) اللاتيني ومعناه (اعتقد) .

* * *

الاعتقاد في المشهور هو الحكم الذهني الجازم القابل للتشكيك بخلاف اليقين . وقيل هو إثبات الشيء بنفسه ، وقيل هو التصور مع الحكم . والفرق بين الاعتقاد والاقتناع واليقين ان الاقتناع حكم ذهني جازم لا يقبل التشكيك ، وان اليقين اقتناع مستند الى أسباب وحجج ثابتة . والفرق بين الاعتقاد والعلم أن العلم حكم جازم لا يقبل التشكيك كالاقتناع واليقين ، في حين ان الاعتقاد يقبله . ولكن بعضهم يطلق الاعتقاد تارة على العلم وتارة على اليقين ، وتارة على التصديق مطلقاً ، ويجعله أعم من أن يكون جازماً أو غير جازم ، مطابقاً أو غير مطابق ، ثابتاً أو غير ثابت . الا ان الاعتقاد بمعنى اليقين غير مشهور وبمعنى التصديق مشهور . واذا كان الاعتقاد مطابقاً للواقع كان صحيحاً ، واذا كان غير مطابق له كان فاسداً .

والاعتقاد معنيان آخران أحدهما عام والآخر خاص . فالاعتقاد بالمعنى العام يطلق على الرأي والظن ، ويشتمل كالرأي والظن على درجات متفاوتة من الرجحان . والاعتقاد بالمعنى الخاص يطلق على الثقة برأي الشاهد أو على الركون الى قول عالم حصل التصديق بقوله لأسباب خارجية دون أي تفحص مباشر .

ويطلق الاعتقاد كما في اصطلاح (كنت) ومدرسته على كل تصديق تام لا يقبل التشكيك دون أن يكون له بالضرورة صفة عقلية أو منطقية . فاما

أن يكون هذا التصديق مستنداً الى عوامل فردية أو عواطف أو مصالح عملية نفعية ، واما أن يكون مستنداً الى مبادئ كلية مشروعة كما في الأخلاق ، وعند ذلك يكون الاعتقاد فعلاً إرادياً مبنياً على عوامل مقبولة تصلح للتفاهم إلا انها مباينة لمفهوم الشيء المصدق به .

وقصارى القول ان الحكم يتضمن الاعتقاد ، وهو تصديق مطلق لا يشترط فيه أن يكون مستنداً أو غير مستند الى حجج منطقية ، فاذا استند الى هذه الحجج أصبح علماً لا اعتقاداً .

واذا قلنا ان الحكم فعل ارادي حر كان الاعتقاد المستقل عن العوامل المرجحة دالاً على حرية الاختيار ، ويسمى الاعتقاد في هذه الحالة ايماناً .

ولقد زعم الفلاسفة الاسكوتلانديون أن مبادئ المعرفة اعتقادات أو تصديقات فرضت بالضرورة على العقل دون أن يستطيع العقل تسويغها وتعليلها . وزعم (مين دوبيران) ان الاعتقاد اقتناع مستقل عن التأمل والانتباه ، وانه مضاد للحكم ، لأنه فعل غريزي ، ولكن الاعتقاد تابع لأسباب حيوية ونفسية واجتماعية ، فاذا نظرت اليه من ناحية المنطق بحثت عن كونه صحيحاً أو فاسداً ، مطابقاً أو غير مطابق ، واذا نظرت اليه من الناحية النفسية بحثت عن الأسباب المؤثرة في تكوينه . وهذه الناحية النفسية أغلب على الاعتقاد من الناحية المنطقية . فاذا قلت ان لبعض هذه الأسباب المؤثرة قيمة كلية أصبح الاعتقاد ذا قيمة أخلاقية عامة ، وان كان ذاتياً شخصياً . واذا كان اليقين كما يقول (هاميلتون) مستنداً الى تصديقات لا يمكن البرهان عليها كان الاعتقاد أساساً لكل يقين ، واذا صح ان التصديق كما يقول (رينوفيه) لا يحدث بدون عوامل انفعالية وإرادية كان الاعتقاد ممازجا لليقين دائماً ، وكان اليقين المحض غاية مثالية أو حداً نهائياً ، لا حالة واقعية .

الاقتصاد

في الفرنسية Economie

في الانكليزية Economy

في اليونانية Oikonomia

الاقتصاد مأخوذ من القصد ، والقصد استقامة الطريق . والاقتصاد ، فيما له طرفان افراط وتفريط ، محمود على الاطلاق ، وقد يكنى به عما تردد بين المحمود والمذموم كالواقع بين الجور والعدل .

ومبدأ الاقتصاد (Principe d'économie) هو المبدأ القائل ان الطبيعة لا تسلك لبلوغ غاياتها أعوص الطرق بل تسلك أبسطها . والمقصود من أبسط الطرق ، الطرق التي تستلزم الأقل من المواد والجهد والاختراع والمبادهة وهو مبدأ مختلف فيه لأنه خال من الضبط . (راجع مبدأ الفعل الأقل في كلمة فعل) .

وطريقة الاقتصاد (Méthode d'économie) في الاستظهار هي الطريقة التي اخترعها (ابينغوس) لحساب مدة بقاء الأثر في النفس بعد التعلم (راجع لفظ استظهار) .

وعلم الاقتصاد السياسي (Economie politique) علم يبحث في ظواهر توزيع الثروة وانتاجها واستهلاكها ، ويحاول الكشف عن قوانين هذه الظواهر . والثروة في الاصطلاح تطلق على كل ما ينتفع به ، أو تطلق على كل ماله قيمة تبادل . فالعمل بهذا المعنى ثروة ، وعامل من عوامل الثروة معاً . لذلك صحح بعضهم حدّ هذا العلم بقوله انه النظر في قوانين التبادل . قال (ج . ب . مي ـ J. B. Say) : ان علم الاقتصاد السياسي هو علم قوانين انتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها . وتصحح كتب علم الاقتصاد هذا التعريف باضافة بحث رابع الى موضوع هذا العلم ، وهو تداول الثروة . ولكن بعض العلماء يعتقد ان هذه

الاضافة زائدة ، لأن التداول حالة من حالات التوزيع . نعم ان فكرة التبادل لعبت دوراً هاماً في تطور هذا العلم ، ولكن قيمتها عند المعاصرين أقل مما هي عليه عند المتقدمين . ثم ان مفهومي الانتاج والاستهلاك يتضمنان معاني كثيرة لا علاقة لها بالاقتصاد ، كبعض المعاني الصناعية الداخلة في مفهوم الانتاج أو كبعض المعاني الفيزيولوجية أو الاتنوغرافية والاخلاقية الداخلة في مفهوم الاستهلاك . فالانتاج والاستهلاك متصلان بمفهوم التوزيع وعلاقتهما به كعلاقة المعلول بالعلة .

ومهما يكن من أمر فان لعلم الاقتصاد السياسي تعريفات كثيرة تختلف باختلاف المذاهب الاقتصادية . فهناك مدرسة تعتقد ان هذا العلم استنتاجي ، لأنه يمكن تأليف الظواهر الاقتصادية من عدد محدود من المعاني البسيطة (من هذه المدرسة الاستنتاجية الفيزيوقراطيون الفرنسيون في القرن الثامن عشر ، وريكاردو ، والمدرسة النمسوية : ك منجر ـ K. Menger ، وبوهم بافرك ـ Böhm-Bawerk ، ومن هذه المدرسة أيضاً علماء أخذوا بالطريقة الرياضية في دراسة الظواهر الاقتصادية ، ككورنو ـ Cournot ، وستانلي جيفونس Stanley Jevons ، وفالراس ـ Walras ، وباريتو ـ Pareto ، وبانتاليوني ـ Pantaleoni) . وهناك مدرسة تاريخية تعتقد ان هذا العلم لا يوصل فيه الى علاقات ضرورية كلية ، وانه من الخير له أن يكتفي بوصف العلاقات الاقتصادية وبيان اختلافها باختلاف الزمان والمكان (روشر ـ Roscher ، وشمولر ـ Schmoller) .

وأخيراً ، ان اصطلاح (علم الاقتصاد السياسي) اصطلاح غامض ، فقد استعمله (انطوان دو مونكرتيان ـ Antoine de Mont - chrétien) لأول مرة في كتابه : (Traité de l'œconomie politique) سنة ١٦١٥ للدلالة على فن ادارة أموال الدولة ، واستعمله كذلك (آدم سميث) بمعنى قريب من هذا في كتابه (Richesse des Nations) ، وهو من حيث الاشتقاق يدل على فن تدبير الدولة ، لأن معنى السياسي الاداري ، ومعنى الاقتصاد تدبير المنزل أو ترتيب أجزاء الكل

ترتيباً يحقق غاية مقصودة . وأول من استعمل هذا الاصطلاح للدلالة على علم نظري الفيزيوقراطيون ، ساقهم الى ذلك مذهبهم الغائي ، فقالوا ان العناية أو الطبيعة ترتب ظواهر العالم الاقتصادي ترتيباً يحقق انسجام المصالح والمنافع ، وان علم الاقتصاد السياسي يدرس العلاقات السببية والضرورية التي هي في الوقت نفسه علاقات غائية . ولا يكفي لتصحيح هذا الاصطلاح أن نستبدل به اصطلاحاً آخر كعلم الاقتصاد الاجتماعي (Economie Sociale) لأن هذا الاصطلاح يدل عند بعض الكتاب الفرنسيين على البحث في حياة العمال المادية والخلقية ، وعلى الوسائل اللازمة لتحسين شروط حياتهم . وهذا الموضوع مختلف عن موضوع علم الاقتصاد السياسي . وقد فرق (فالراس) بين موضوع علم الاقتصاد السياسي وموضوع علم الاقتصاد الاجتماعي فقال : ان علم الاقتصاد السياسي يبحث في قوانين الحياة الاقتصادية كما هي ، أما علم الاقتصاد الاجتماعي فيعين للنظام الاقتصادي مثلاً أعلى ويبين ما هي الوسائل المؤدية الى تحقيقه .

ومن الأصلح لنا في اللغة العربية أن نحذف كلمة (سياسي) من اسم هذا العلم ، وأن نسميه بعلم الاقتصاد أو العلم الاقتصادي . وليس هذا العلم في نظرنا سوى قسم من علم أعم منه ، وهو علم العلاقات الاجتماعية .

الاكتساب

في اللاتينية Acquisitio

في الفرنسية Acquisition

في الانكليزية Acquisition

الاكتساب في اللغة العربية مرادف للكسب ، تقول اكتسب مالاً أو علماً طلبه وربحه ، وكسب الشيء جمعه وكسب الاثم تحمله . ومن فرق بين الاكتساب والكسب قال الكسب ينقسم الى كسب الانسان لنفسه ، والى كسبه لغيره ، ولهذا قد يتعدى الى مفعولين فيقال : كسب فلاناً

علماً أي أناله اياه . أما اكتساب الانسان فلا يكون إلا لنفسه ، فكل اكتساب كسب ولا عكس . وفرقوا أيضاً بين الاكتساب والكسب من ناحية أخرى فقالوا : ان الاكتساب يستدعي التعمل والمحاولة والمعاناة ، أما الكسب فيحصل بأدنى ملابسة ولذلك خص الشر بالاكتساب ، والخير بالكسب .

ويطلق الكسب أيضاً على طريقة تحصيل المجهول من المعلوم كما في قول ابن سينا « ان من شأن النفس ادراك ماهية الكمال بكسب المجهول من المعلوم والاستكمال بالفعل » (النجاة ، ص : ٤٨٢) .

واختلفوا في جواز الكسب بغير النظر ، فمن جوزه جعل الكسبي أعم من النظري ، ومن لم يجوزه قال النظري والكسبي متلازمان .

والاكتساب علم يحصل بالكسب . وهو مباشرة الأسباب بالاختيار ، كصرف العقل والنظر في الاستدلاليات ، والاصغاء ونحو ذلك في الحسيات . فالاكتسابي أعم من الاستدلالي ، لأن الاستدلالي هو الذي يحصل بالنظر في الدليل ، فكل استدلالي كسبي ولا عكس .

وأما الضروري فانه اذا دلّ على ما ليس تحصيله مقدوراً لمخلوق كان مقابلاً للاكتسابي ، واذا دلّ على ما يحصل بدون نظر وفكر في دليل كان مقابلاً للاستدلالي . ولذلك جعل بعضهم العلم الحاصل بالحواس اكتسابياً أي حاصلاً بمباشرة الأسباب بالاختيار ، وبعضهم جعله ضرورياً أي حاصلاً بدون الاستدلال .

وفرقوا بين الكسب والخلق فقالوا ان الكسب مختص بالانسان ، والخلق مختص بالله ، هذا اذا كان الخلق بمعنى الايجاد . فالأفعال منسوبة الى الله تعالى خلقاً ، والى الانسان كسباً . لذلك قال الأشاعرة ان الكسب عبارة عن تعلق قدرة الانسان وإرادته بالفعل المقدور . قالوا ان أفعال الانسان واقعة بقدرة الله وحدها ، وليس للانسان تأثير في خلقها ، بل الله أوجد في الانسان قدرة واختياراً ، فاذا لم يكن هناك مانع أوجد الفعل المقدور للانسان مقارناً

لقدرته واختياره ، فيكون الفعل مخلوقاً لله احداثاً وابداعاً ، ومكسوباً للانسان .

أما الجبرية فقد زعموا أن المؤثر في فعل الانسان قدرة الله ، ولا قدرة للانسان أصلاً ، لا مؤثرة ولا كاسبة .

وأما الماتريدية فقد أسندوا الى الانسان كسباً باثبات قدرة مرجحة ، وكذلك الصوفية . لكن قدرة الانسان عند الصوفية مستعارة ، وعند الماتريدية مستفادة .

وذهب امام الحرمين الى أن القدرة الحادثة مع الدواعي توجب الفعل ، فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه هو الذي وضع الأسباب المؤدية الى دخول هذه الأفعال في الوجود ، والانسان هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله القدرة والداعية القائمتان به . ان نسبة الأثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك الأثر منسوباً الى مؤثر آخر بعيد ثم الى أبعد الى أن ينتهي الى سبب الأسباب وفاعل الكل .

ولكن جمهور المعتزلة يقولون ان أفعال الانسان واقعة بقدرته وحدها بالاستقلال والاختيار . وان القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل القدرة على الفعل والترك الناشئة عن الاختيار هي التي توجبه .

ويطلق الاكتساب عند بعض الفلاسفة المحدثين على طريقة تحصيل المعرفة وعلى طريقة تثبيت العادات . فالمعرفة عندهم تكتسب بالحواس ، والعادة تثبت بتصحيح الأخطاء ، وبتكرار التمارين وتفريقها . ويسمى قانون تكون العادات بقانون الاكتساب ، وهو مطابق لقانون الفعل الذي يمثل بمنحنى على شكل S (راجع الألفاظ الآتية : العادة ، الكسب ، التعلم ، المعرفة ، الكسبي ، والمكتسب) .

جميل صليبا

الدراسات العربية
في الاتحـــاد السوفياتي

سيدي معالي الرئيس ، سادتي حضرات أعضاء المجمع !

يسعدني جداً أن أحرز الشرف الرفيع بأن أحيي هذا المجمع الجليل أجمل تحية . نحن مسرورون جداً إذ أتيحت لنا فرصة الاتصال بهذه المؤسسة العلمية التي لها أثر ظاهر في الشعب العربي وثقافته الجليلة ، ونحن نعرف أنها قد لعبت دوراً هاماً في انبعاث حيويتكم الروحية والعقلية التي صنعت أمجادكم الأدبيـة وعبقريتكم الثقافية .

وقد أسدى هذا المجمع الكريم خدمة هامة في دراسة تاريخ لغتكم وآدابكم وماضيكم المجيد . وقد صدق حضرة الأمير جعفر الحسني ، الذي كان في السنة الماضية ضيفاً في بلادنا مع وفد المجمع العلمي العربي ، لما قال في إحدى مقالاته الرقيقة : إنه لا يمكن عزل المستقبل عن الماضي . « فالحاضر هو امتداد الماضي ، كما أن المستقبل هو وليد الحاضر . وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر . »

نحن نرى أيضاً أنه صعب علينا أن نفهم الحاضر بلا معرفة الماضي ، ولذلك ندأب على دراسة تاريخ بلادنا ولغاتنا وآدابنا . وقد اتضح لنا في مجرى هذه الدراسات أن معرفتنا للماضي لن تتم وتكتمل إنْ لم نطلع على ما انطوت عليه من أخبار بلادنا خزائنُ الكتب بلغات مختلفة وخصوصاً باللغة العربية .

ونظراً لذلك نحن ندرس تاريخ العرب وآدابهم ولا سيما اللغة العربية ، هذه اللغة الواسعة القوية التي كانت يوماً تعلّم أوربا ، والتي هي جديرة بأن تكون في الوقت الحاضر احدى اللغات العالمية الكبرى في الحضارة الراهنة .

إن لدراسة اللغة العربية والحضارة العربية تقاليد قديمة في بلادنا . فثمة عدد كبير من شعوب بلادنا مثل شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ربطتها بالشعوب العربية منذ العصور القديمة روابط ثقافية وتاريخية وثيقة . وقد بقي من هـذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات وغير ذلك من الآثار الثقافية ، لا بلغات بلادنا فحسب ، بل كذلك باللغة العربية .

وأقدم هذه الآثار يعود إلى القرن الأول الهجري ، فمنها مثلاً رسالة على الرق أرسلها صاحب صغد في طاجيكستان ديواشتي الى القائد العربي الكبير الأمير الجراح بن عبد الله سنة ٩٩ — ١٠٠ للهجرة ، أو مثلاً نقش عربي عثر عليه منذ أمد قريب على مقربة من تبليسي على حجر من أحجار الأميال يعود الى القرن الأول الهجري ، وقد كتب على الحجر (بسم الله الرحمن الرحيم ، ثلاثة أميال من تفليس) . هذا فضلاً عن الآثار الكثيرة العائدة الى مرحلة زمنية أقرب الينا .

إن كثيرين من ممثلي شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ساهموا في القرون الوسطى مساهمة كبيرة في إنشاء الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، القائمة على اللغة العربية - ومن هؤلاء مفكرون كبار كالخوارزمي والبيروني وابن سينا لا تفخر بهم الشعوب التي أنجبتهم وحسب ، بل تفخر بهم البشرية التقدمية كلها .

وقد بقيت التقاليد العربية في بلادنا حتى الآونة الأخيرة ، فقد كانت العربية اللغة الأدبية الوحيدة في شمال القفقاس طيلة فترة طويلة . لقد نشأت في شمال القفقاس تقاليد أدبية وآثار أدبية خاصة هي فرع من الآداب العربيـة فريدة في بابها .

ولا غرو أن يُظهِر العلماء في بلادنا منذ الزمن القديم اهتماماً خاصاً بدراسة هذه الآثار .

ففي أول القرن الثامن عشر (إذا ضربنا صفحاً عن المحاولات التي جرت قبل

هذا التاريخ في هذا الاتجاه) ابتدأ تدريس اللغة العربية في موسكو من قبل المستشرق ع . يا . كيهر المعروف في زمنه . وفي أواسط القرن الثامن عشر طبع القرآن في بطرسبرغ بحروف جرى صبها على أساس كتابة خطاط من كبار الخطاطين المسلمين في ذلك العهد ، وغدت فيما بعد أساساً لنماذج طبعات القرآن في قازان ، النماذج التي انتشرت سواء في روسيا أو في الغرب ، والتي شرع المسلمون في البلدان الأخرى يقلدونها في البدء في القرم وتركية ، ومن ثم في مصر والهند . وبعد هنيهة من الزمن شغلت اللغة العربية المكان اللائق بها في برامج الدراسات الشرقية في مختلف معاهد روسية ومدارسها .

وبعد صدور « النظام الجامعي » سنة ١٨٠٤ نشأت في خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبرغ وغيرها من المدن مراكز للدراسات الشرقية ، وجهت للغة العربية انتباهاً كبيراً . ونشأ بعد ذلك القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ ومعهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وغيرهما من المدارس ، التي لعبت دوراً كبيراً في تطور الدراسات العربية الروسية والعالمية .

ويعرف عالَم العلم أسماء العلماء الكبار : دورن وبولديريف وفريهن وغيرغاس وروزين وقوقوفتسوف وميدنيكوف وكريمسكي وكراتشكوفسكي وغيرهم .

وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى استمر العمل بدأب في المركزين القديمين : لينغراد وموسكو ، ونشأت عدا ذلك مراكز جديدة . لقد نشأت في لينغراد مدرسة جديدة للمستعربين ، على رأسها علامة بلادنا الكبير ، وأحد كبار المستعربين في العصر الراهن ، عضو المجمع العلمي العربي ، الأكاديمي إغناطيوس كراتشكوفسكي ، الذي كان ، يوماً ، مشهوراً في الشرق العربي باسم غنطوس الرومي .

وواصل العمل النشيط في موسكو العضو المراسل في المجمع العلمي العربي البروفيسور يابرتليس والبروفيسور خ . ق . بارانف والبروفيسور اي . ا . بيلايف والبروفيسور ب . م . غرانده والمدرسة المساعدة كلثوم نصر عوده واسيليفا (وهي عربية من الناصرة) وغيرهم .

وقد ترأس الدراسات العربية في كبيف الاكاديمي اغافانفيل كريمسكي الذى اشتهر بمعرفة الشرق والأدب العربي ، ومعاونه توفيق بن جبرائيل كزما (وهو عربي أيضاً من دمشق) .

ويعمل في خاركوف تلميذ البروفيسور كريمسكي آ . ب كوفاليفسكي . وفي طشكند البروفيسور ا . اي شميدت الذي اشتهر بمؤلفاته في ميدان تاريخ الاسلام والفقه ، و ا . ا . سيميونوف مشهور بعميق معرفته لآسيا الوسطى و م . ا . ساليه مترجم « الف ليلة وليلة » الى اللغة الروسية وغيرهم .

وأسس تلاميذ الأكاديمي كراتشكوفيسكي مدرستهم للدراسات العربية في تبليسي (في جورجيا) .

وقد قام المستعربون السوفياتيون بعمل كبير في دراسة اللغة العربية . يدل على ذلك العدد الكبير من الكتب المدرسية التي أصدروها في الآونة الأخيرة . ومن أروع ما وضع في هذا الحقل كتاب قواعد اللغة العربية الفصحى للبروفيسور ن . ف . يوشمانوف . ويشغل هذا الكتاب من حيث تفرده ودقته مكاناً مرموقاً بين الكتب المدرسية العربية ، وكتاب في نحو اللغة العربية الأدبية الحديثة للبروفيسور ن . ف . سيميونوف ، ومختارات في اللغة العامية السورية للبروفسور سيميونوف أيضاً .

وخليق بنا أن نَوْبَهَ بأول مختارات الادب العربي الحديث التي أصدرتها ك . ف . عوده فاسيليفا بمقدمة الاكاديمي كراتشكوفسكي ، والتي ترجمت إلى عدد من لغات الغرب . واستخدمت المختارات نفسها بصفة كتاب مدرسي في المراكز العلمية كلندن ونيويورك وبرلين وأوبسالا وهامبورغ والجزائر .

ووضع البروفيسور خ . ق . بارانوف قاموساً عربياً روسياً جمع لأول مرة مفردات اللغة العربية الأدبية الحديثة بصورة وافية . ولم يصدر في الغرب قاموس من هذا النوع إلا منذ أمد قريب جداً وهو قاموس لهانس فهر العربي الألماني .

أما البروفيسور و . م . غرانده في موسكو فقد أصدر كتاباً عرض فيه مجموعة نماذج لصيغ الأفعال .

وفي المختارات العربية لليف ز . بيساريفسكي (لينغراد) عرضت نصوص من « ألف ليلة وليلة » ، وكذلك من الكتب التاريخية .

وقد أصدر توفيق جبرائيل كزما في كييف قواعد اللغة العربية الفصحى بصورة بسيطة .

وقد صدرت في تبيليسي مجموعة منتخبات أدبية عربية ، تتضمن جزئياً بعض نصوص عربية لم تكن قد نشرت قبل ذلك ، أو نصوصاً مستقاة من المخطوطات العربية مثل « أخبار بلاد الكرج » لمكاريوس البطريرك الانطاكي ولمؤرخ مدينة ميافارقين ابن الأزرق الفارقي وغيرهما من الكتاب .

وصدر عدا ذلك أول قاموس عربي ـ جورجي ، يتضمن فيما يتضمن بعض مفردات نادرة وغير واردة في قواميس عربية أخرى .

وقد نشر مدرّس اللغة العربية في الجامعة التبيليسية ا . س . ليقياشويلي كتاب نماذج لأشكال صيغ الأفعال في اللغة الأدبية العربية ، عرض فيها جميع صيغ تصريف الأفعال على اختلافها في اللغة العربية الفصحى . وهذه المجموعة تفوق من حيث الحجم جميع ما سبق أن نشر في هذا الموضوع من قبل .

وقد وضع المستعربون السوفياتيون في باكو وتشكند وقازان وغيرها من المدن كتباً مدرسية وأدوات تعليمية كي يوفروا للطلاب المستشرقين المواد اللازمة .

ولكن المستعربين السوفياتيين لم يقتصروا على إعداد الكتب التعليمية ، بل وجهوا الانتباه اللازم لدراسة المسائل الهامة في تاريخ بلاد العرب واللغة العربية وآثار الحضارة المادية ، وقد ترأس الأكاديمي كراتشكوفسكي في الاتحاد السوفياتي المباحث العلمية في ميدان الدراسة العربية . وخلّف نحو خمسمائة من المباحث الكبيرة والصغيرة تتناول في معظمها دراسة اللغة العربية والحضارة العربية .

ومن هذه المباحث عدد من الدراسات ذات الأهمية اشتهرت في العالم ، منها مثلاً دراسة ديوان شعر أبي الفرج محمد بن احمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي الذي حققه وأعاد طبعه عضو المجمع العلمي العربي الدكتور سامي الدهان ، ويعرف الجميع دراسات الأستاذ كراتشكوفسكي للشاعرين العربيين النابغين : أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري . ولا بد لنا من أن نَوْبَهَ بنشره مقدمة رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري وترجمتها وبحثها ، وبإصدار نص كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز ، وبمبحثه عن العالم المصري الذي كان يدرس اللغة العربية في جامعة بطرسبرغ الشيخ محمد عياد الطنطاوي وغيرهم .

ويعرف الحضور مباحث كراتشكوفسكي هذه ، كمباحثه الكثيرة الأخرى . ولكن ترك كراتشكوفسكي بعد موته عدداً من المباحث الهامة لم تُطبَع بعد ، وما تزال محفوظة بين مخطوطاته . ويشغل بينها مكاناً مرموقاً مبحث هام يتناول المؤلفات الجغرافية العربية .

وقد أبدى الأستاذ كراتشكوفسكي الاهتمام الكبير بمؤلفات العرب الجغرافية منذ بدأ نشاطه العلمي ، ففي سنة ١٩٠٩ أثناء جولته العلمية في الشرق العربي سمع في جامعة القاهرة محاضراتٍ ألقاها ، باللغة العربية ، في تاريخ علم الفلك العربي ، الاختصاصي الكبير في حقل علم الفلك وجغرافية العرب الرياضية ، العالم الايطالي المشهور ك . نللينو (C. Nallino) الذي استفاد المؤلف ، على نطاق واسع ، من دراسته في مبحثه هذا .

وبعد ذلك شرع كراتشكوفسكي إثر عودته إلى بطرسبرغ يلقي المحاضرات في القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ في مختلف مسائل اللغة العربية والحضارة العربية .

وقد قرأ كراتشكوفسكي خلال سنوات ١٩١٠ — ١٩١٧ في جامعة بطرسبرغ محاضرات ، شغل بينها مكاناً مرموقاً « استعراضُ المؤلفات الجغرافية مع قراءة

مختارات » . وقد جدد فيما بعد في سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ الأكاديمية تحت اسم « المؤلفات التاريخية الجغرافية العربية »

وعند قراءة هذه المحاضرات استُخدمت للمطالعة أشهر المؤلفات العربية الجغرافية التي كانت معروفة في ذلك الحين ، وكان المؤلف يقوم مع الطلاب بترجمة مختارات من النصوص العربية الى اللغة الروسية بقصد دراستها . وقد ضم العالم هذه النماذج من المؤلفات الجغرافية العربية إلى مجلده لوصف أسلوب وطريقة عرض هذا المؤلف أو ذاك .

وقد نما هذا البحث من المحاضرات التي ألقاها الأكاديمي كراتشكوفسكي عن مؤلفات العرب الجغرافية . وفي غضون أربعين سنة ونيّف كان هذا البحث يكتمل ويتم تبعاً لظهور معلومات ومكتشفات جديدة ، للمؤلف نفسه في ظهورها أيادٍ بيضاء .

وكان كراتشكوفسكي ينوي أن يتم استعراض المؤلفات الجغرافية حتى أيامنا ، ولكن الموت لم يتح له تحقيق نيته ، وقد وفق الى عرض المؤلفات الجغرافية العربية حتى القرن التاسع عشر فقط .

ومن المعروف أنه قد كرس لمؤلفات العرب الجغرافية عدد كبير من الاستعراضات العامة والدراسات الخاصة ، ابتداءً من مبحث رينو (Renaud) الكلاسيكي . وخلال عقود السنين الأخيرة اكتسب هذا العمل نطاقاً واسعاً ، واغتنى جداً بفضل المباحث الرائعة التي وضعها بارتولد (Barthold) ومينورسكي (Minorsky) وكراميرس (Kramers) وروسكا (Ruska) وفيران (Ferrand) وغيرهم من كبار الاختصاصيين في جغرافية العرب التاريخية .

ولكن مبحث الأستاذ كراتشكوفسكي الذي بعد للطبع يشغل مكاناً خاصاً بين جميع هذه المباحث .

عُرف كراتشكوفسكي في عالم العلم بوصفه عالماً من المستعربين واسع الأفق

جداً . كان يهتم كلّ الاهتمام بوقائع إبداع العرب الثقافي ، الكبيرة منها والصغيرة ، ابتداءً من روائع المتنبي وأبي العلاء المعري ، وانتهاءً بالحكايات البسيطة من الناصرة ، وكان يعتقد أن ثقافة الشعب تتألف من جميع هذه العناصر ، وأن دراسة هذه الثقافة كما ينبغي ، تقتضي تحديد مكان كل ظاهرة في التطور العام وإقامة التسلسل بينها .

وكان كراتشكوفسكي يعتبر المؤلفات الجغرافية جزءاً لا يتجزأ من الآداب العربية بوجه عام ، كما كان يعتقد أن فهمها على الوجه اللازم يتطلب النظر إليها من وجهة نظر تاريخ الآداب ، والحضارة العربية بمجموعها . وقد أشار في مبحثه الى أن طريقته الأساسية هي طريقة دراسة الأدب ، وأنه لا يضع نصب عينيه مهمة إعطاء تاريخ علم الجغرافيا عند العرب أو المكتشفات الجغرافية ، وهو بوجه ذات الاهتمام للمؤلفات العلمية والشعبية التي تمت للجغرافيا بأية صلة بما في ذلك الأقاصيص والرحلات التي تحمل الطابع الأدبي أو الأسطوري الصرف .

وبالرغم من ذلك يتفق له طبعاً أن يتناول تاريخ علم الجغرافيا ومكتشفات العرب الجغرافية ، وقد أعطى في مبحثه صورة واضحة عن هذا النوع من فروع العلم عند العرب وعن دورهم البارز في تطور علم الجغرافيا .

وقد بيّن المؤلف ذلك بجلاء مستشهداً بالخوارزمي وألُغ بك والبيروني وربّان فاسكو داجاما احمد بن الماجد ، الذي اكتشف كراتشكوفسكي نفسه نسخ مؤلفاته الثلاثة في معهد الاستشراق ، وبكثيرين غيرهم من ممثلي علم الجغرافيا .

لقد عرض كراتشكوفسكي المؤلفات الجغرافية العربية عرضاً منتظماً ، ابتداءً من ظهور التطورات الجغرافية الأولى عند العرب ، هذه التطورات التي نجد ما يشير اليها في الآثار القديمة وفي القرآن . واستناداً على المصادر الأولى ، وعلى كل ما توصل اليه العلم الحديث ، يتتبع المؤلف ظهور الجغرافية عند العرب ، ويتتبع صلاتها بالعلم اليوناني والهندي ، ومجرى نشوء مختلف فروع العلم الجغرافي ،

(الجغرافيا الوصفية والرحلات والخطط والجغرافية البحرية والجغرافية العامة والجغرافية الاقليمية الخ) ومراكزها ومدارسها العلمية واتجاهاتها ومختلف ألوانها .

هذا ويعطي المؤلف وصفاً لمعظم المؤلفين الأساسيين والنموذجيين من ممثلي جميع ألوان التآليف الجغرافية العربية واتجاهاتها ، مع تبيان صلاتهم بعضهم ببعض وتأثيرهم بعضهم على بعض . وبنتيجة التحليل المفصّل لعدد كبير من المؤلفين يزيد على مائتين وستين يقرر كراتشكوفسكي مبلغ صحة المعلومات التي يذكرها المؤلفون وأهميتها باعتبارها مصادر لدراسة الجغرافية التاريخية للبلدان التي تحدثوا عنها .

ويتضمن البحث إلى جانب ذلك قائمة وافية تقريباً بالكتب المتعلقة بالموضوع ، ابتداء من القرون الوسطى حتى أيامنا ، مع انتقاد النصوص المنشورة والدراسات الخاصة المكرسة لهذا الأمر . ويحمل هذا الطابع الفصلان (١٦ و ٣١) المكرسان للمؤلفات الجغرافية الفارسية والتركية التي جرى عرضها بمقدار صلاتها بالتقاليد العربية .

إن هذا البحث الذي أتمه كراتشكوفسكي قبيل انتهاء نشاطه العلمي ، والذي يضم هذه الوفرة من المواد ، سواء فيما يتعلق بالمصادر الأولى أو الدراسات العلمية الموضوعة عنها ، لا يوجد في جميع الدراسات العربية نظير له ، ونحن نأمل أن يصبح نموذجاً لمباحث كثيرة في نواحي تاريخ الأدب العربي الأخرى .

إن الاستنتاجات الأساسية التي تستخلص من دراسة المبحث بانتباه هي التالية :

الأول : لقد دقق المؤلف كما لم يوفق أحد من قبل وأثبت بوضوح استناداً إلى كمية كبيرة من المستندات ، الأمر الذي هو معروف للجميع ، مبلغ أهمية الحضارة العربية في التاريخ العالمي وبرهن أن العلم الجغرافي العربي يشغل في هذا الميدان مكاناً من أمكنة الصدارة .

الثاني — لقد دقق وبرهن المؤلف بوضوح أنه قد ساهم مساهمة نشيطة في إنشاء هذه الحضارة ، عدا العرب ، ممثلو العالم الثقافي في آسيا الوسطى والقفقاس وايران

وتركية وعدد من البلدان الأخرى التي أنجبت عدداً من موصلي تقاليد العلم الجغرافي العربي المجيدة .

والاستفتاح الثالث — هو استفتاح منهاجي ، فدراسة جميع آثار التآليف الجغرافية العربية الأساسية دراسة مفصلة تظهر أن الباحث المدقق يستطيع أن يجد حتى فى الوصف الخيالي لمختلف البلدان والمدن وحتى فيما يسمى بالعجائب ، ما قد يطابق الحقيقة لهذا الحد أو ذاك ويمكن أن يكون ذا نفع في دراسة مسائل الجغرافية التاريخية ومسائل علم الآثار وعلم عادات الشعوب وغيرها من العلوم .

ولكن أهمية مبحث كراتشكوفسكي تتعدى ذلك ، فقد طُرقت فيه قضايا كثيرة تتطلب من علمنا الحل العاجل ، وأعتقد أن صدوره سيكون حافزاً لظهور مباحث عديدة تجعل من مبحث كراتشكوفسكي نقطة الانطلاق . وعما قريب ستصدر أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي مبحث كراتشكوفسكي هذا ، فيجد الباحثون الامكانية التامة لتقويم أهميته للعلم .

ومن الآثار الأخرى التي تركها الأكاديمي كراتشكوفسكي والتي تجذب الاهتمام الكبير ترجمة روسية موجودة بين مخطوطاته لمؤلف عبد الله بن المعتز : «كتاب البديع» أحد أكابر المصادر لدراسة تاريخ علم البلاغة العربي .

وحري بنا أن نذكر أيضاً ترجمة كراتشكوفسكي للقرآن وأهميتها من وجهة نظر العلم لفهم كتاب المسلمين المقدس .

لقد وضع معاونو كراتشكوفسكي وتلاميذه وكذلك المستعربون السوفياتيون الآخرون ، عدداً كبيراً من المباحث والمقالات في دراسة تاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وتاريخ اللهجات الدارجة ومختلف الألفاظ العربية .

ولقد وجد تاريخ الاسلام والخلافة في بلادنا باحثين جدداً تابعوا ذلك العمل الذي قام به بنجاح كبير في حينه مؤرخ الشرق الكبير الأستاذ ف . ف . بارتولد . إنّ مؤرخنا م . ن . تيخوميروف قد أعار انتباهاً كبيراً الى المصادر

الشرقية ، ومنها العربية ، في مؤلفه « مصادر تاريخ الاتحاد السوفياتي » ، وقد صدر منذ أمد قريب مبحث للبروفيسور ن . ا . سميونوف عنوانه : « حول الأبحاث المتعلقة بالإسلام في الاتحاد السوفياتي » ، ويعطينا هذا المبحث صورة واضحة عن العمل الذي تم عندنا في هذا الحقل ، من العصور السالفة إلى أيامنا .

وقد كرّست البروفيسور ن . ف . بيغولياڤسكايا جملة من المباحث الهامة لتاريخ العرب مباشرة قبل ظهور الاسلام ، مستندة على المصادر السريانية . وتتناول مباحث البروفيسور ي . ا . بيليايف تاريخ صدر الاسلام ومسائل علاقات الحنيفية ومسيلمة من اليمامة بالاسلام .

وقد تناول البروفيسور ياكوبوفسكي والبروفيسور شميدت وعدد آخر من العلماء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في عهد الخلافة ، وأعاروا انتباهاً خاصاً لكتاب « الخراج » لأبي يوسف يعقوب ، وهو أحد المصادر الكبرى لدراسة التاريخ الاجتماعي للبلاد العربية في القرون الوسطى .

ويجدر بنا أن نشير إلى مباحث علمائنا المتعلقة بالمصادر العربية المتصلة بتاريخ أوربا الشرقية وجنوب روسيا والقفقاس وآسيا الوسطى .

وقد تناول الاكاديمي آ . غوردليفسكي في مؤلفه الكبير « تاريخ الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى » (موسكو ١٩٤١) المصادر العربية بالتفصيل ، ولا سيما معلومات السائح العربي المشهور ابن بطوطة .

إنّ لنشر المواد المتعلقة بتاريخ التركمانيين وتركمانستان بما فيها المواد العربية ، مرفقة بمقالة ف . اي . بيليايف عن تطور تاريخ علم الجغرافية العربية ، أهمية كبرى ، لا من وجهة نظر دراسة تاريخ تركمانستان وحسب ، بل كذلك من وجهة النظر المنهاجية .

وقد أصدر كوفاليفسكي ترجمة جديدة لرسالة أحمد بن فضلان عن سياحته إلى بلغار الفولغا . وقد وضع الترجمة على أساس مخطوطة مشهد المشهورة .

ويجري الآن إعداد طبعة جديدة تضاف اليها الشروح المطولة والدراسة العامقة ، وسيكون صدورها مفيداً جداً لبحث هـذا الأثر النفيس من التأليفات الجغرافية العربية .

لقد نشر تلميذ ف . ف . بارتولد اي . اي . اوميا كوف جملة من المقالات القيمة عن خارطة العالم لمحمود الكاشغاري وعن الخزر والأتراك ، على أساس معلومات الجغرافي إسحاق بن الحسين وغيره من المؤلفين .

وللمباحث التي وضعها البروفيسور آ . يو . ياكوبوفسكي و ب . ن . زاخوديو عن الروس على أساس معلومات المصادر العربية أثر ظاهر في هذا الحقل .

وقد وجه علماؤنا انتباهاً كبيراً أيضاً لتاريخ البلدان العربيـة الحديث ، فقد خُصص لبلدان الشرق العربية مكان هام في المؤلف الكبير المطبوع في موسكو سنة ١٩٥٣ بعنوان « التاريخ الحديث لبلدان الشرق الأجنبي » .

وعدا ذلك فقد تناول البروفيسور ب . ف . لوتسكي و م . ف . تشوراقوف وغيرهما من العلماء جملة من المباحث في التاريخ الحديث لمصر وسورية ولبنان وأقطار الشرق العربي الأخرى .

وقد نشرت خ . اي . كيلبيرغ مبحثاً عن ثورة عرابي باشا في مصر . ولها أيضاً ترجمة بمقدمة خ . ف بارانوف لمؤلف أمين سعيد المعروف : « الثورة العربية الكبرى » .

ونشرت ل . ن . فاطوطينا مبحثاً بعنوان « مصر المعاصرة » ، وجملة من المقالات الأخرى تناولت فيها تاريخ البلدان العربية المعاصر .

ويوجه المستعربون الشباب في موسكو ولنينغراد وتبيلبسي وغيرها من مراكز بلادنا انتباهاً خاصاً لتاريخ بلدان الشرق العربي المعاصر .

وتدرس دراسة خاصة عندنا المصادر العربية الموضوعة في شمال القفقاس ، وفي الآونة الأخيرة قام اي . يو . كراتشقوفسكي و آ . ن . غينكو

وبارابانوف و ت . مارغويلاشويلي وغيرهم من علماء بلادنا بنشر عدد كبير من هذه الآثار وترجمته وبحثه . وقد وجه العلماء في بلادنا مثل هذا الانتباه للنواحي التاريخية المساعدة . ويجدر بنا أن نشير بهذا الصدد إلى جملة من المباحث الكبيرة وإلى العدد الكبير من المقالات التي كتبتها زوجة الأكاديمي اي . كراتشقوفسكي البروفيسور فيرا آليكساندروفنا كراتشقوفسكي في حقل علم الخطوط والكتابات العربية وكذلك في حقل الفن الاسلامي ، فابتدأ من سنة ١٩٤٧ بإدارتها نشر مجلة خاصة « خطوط الشرق وكتابته » . تنشر فيها كثير من الكتابات والنقوش العربية التي عثر عليها في شتى أنحاء الاتحاد السوفياتي .

وفي الآونة الأخيرة نشر ر . ر . فاسمير و آ . آ . بيكوف وغيرهما من العلماء كثيراً من النقود عليها كتابات عربية .

وقد اكتشفت في دمانيس (قرب تبيليسي) نقود عليها نقش عربي ، مكّن من اكتشاف دار جديدة لضرب السكة في دمانيس ، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد كانت مجهولة سابقاً .

وقد نشر ف . اي . بيليايف مقالاً كبير الأهمية بصدد مجموعة أوراق البردى العربية في الاتحاد السوفياتي ، التي تجد بينها وثائق تعود الى القرن الأول الهجري .

ومن الأحداث الهامة في تاريخ الدراسات العربية مبحث أصدره في طشقند البروفيسور آ . آ . سيميونوف ، ووصف فيه مجموعة المخطوطات الشرقية المحفوظة في أكاديمية علوم جمهورية ازبيكستان الاشتراكية السوفياتية (وقد صدر المجلد الأول سنة ١٩٥٣ وصدر المجلد الثاني سنة ١٩٥٤) .

وقد وضع العلماء السوفياتيون جملة من المباحث القيمة في تاريخ العلوم ، وحسبنا أن نشير إلى المجموعة المكرسة لمفكر من كبار المفكرين في القرون الوسطى : أبي الريحان البيروني ، والى ترجمة مبحثه المشهور « كتاب الجماهر في معرفة الجواهر » ، فقد ترجمه إلى اللغة الروسية آ . م . بيلينيتسكي وليملين .

وخليق بنا أن نشير إلى أول ترجمة روسية لسفر وضعه مفكر آخر من كبار مفكري الشرق هو أبو علي بن سينا : « القانون في الطب » ، وتصدرها الآن أكاديمية العلوم في ازبيكستان باشتراك المترجم م . آ . ساليه الذي اشتهر بترجمته « ألف ليلة وليلة » إلى اللغة الروسية .

تشغل بلادنا في حقل دراسة الأدب العربي مركزاً مرموقاً ، وذلك بفضل المباحث التي وضعها البروفيسور اي . كراتشقوفسكي . وفي سنة ١٩٤٩ أصدر البروفيسور اي . فينيكوف كتاباً بعنوان « ايغناطي يوليانوفتش كراتشقوفسكي » ذكر فيه جميع مباحث هذا العالم ، ولذلك لن أطيل الكلام عن هذه المباحث ، وحسبي أن أقول إن الأستاذ كراتشقوفسكي هو الأول بين العلماء الغربيين الذي بدأ دراسة الآداب العربية الحديثة بصورة منتظمة .

ولقد كتب أي . كراتشقوفسكي سنة ١٩٣٣ في مقال من مقالاته : « ان الماضي المجيد قد حجب العرب عن أنظار الأوربيين ، فهم يقرنون باسمهم دون تردد القرآن وألف ليلة وليلة ، ولكن في ما يخص الحاضر تنتصب جملة من الصور الشاحبة الخيالية الغامضة ... »

« ووراء هذه الصور تُحجَب تماماً حقيقةُ الواقع . فلا يزال مجهولاً وجود صحافة دورية غزيرة تصدر في أربع أو حتى في خمس من قارات العالم ، ووجود عدد من الأحزاب الاجتماعية والسياسية تختلف اتجاهاتها الفكرية كل الاختلاف . وتبقى البلدان العربية حتى في الوقت الحاضر عاملاً اقتصادياً كبيراً ، حلقة من الحلقات الضرورية في التداول العالمي مع شواطئ البحر الأبيض المتوسط . والعرب أنفسهم بالمعنى البشري العام أرقى شعوب الشرق الأدنى ثقافة وزعيم العالم الاسلامي كما كانوا زعيمه في القرون الوسطى . وهم في الوقت نفسه طليعة التأثير الأوربي . ولقد تنشأ عن هذا اللقاء بين الغرب والشرق تشابكات خارقة . ومن جميع وجوه الحضارة الراهنة يمكننا أن نجد أوضح موضوع للدراسة ، الأدب الذي يحدد تاريخ انبعاثه ، بيسر كبير ، بأوائل القرن الثامن عشر » .

وقد بذل اي . كراتشقوفسكي نفسه جهوداً كبيرة لبحث هذا الأدب الذي كان يتطور خلال عقود السنوات الأخيرة، في الاتجاه الذي تحدث عنه الأستاذ المرحوم منذ أوائل قرننا .

وقد وجه مثل هذا الانتباه الكبير لدراسة مسائل الأدب العربي : حديثه وقديمه ، عالمٌ آخر من علماء بلادنا ، هو الأكاديمي كريمسكي الذي وضع كتاباً في تاريخ الأدب العربي الحديث ، وقد أخرت الحرب صدوره .

وقد وجه عدد آخر من علماء بلادنا انتباهاً كبيراً ، وأظهروا اهتماماً بالأدب القديم ، والأدب العربي في الأندلس ، وكذلك بالأدب العربي في شمال القفقاس ، والأدب العربي المعاصر .

ويستحق الذكر بهذا الصدد المبحث الذي وضعه البروفيسور برتيلس عن الشعر العربي للفضولي ، وكذلك مبحث د . ف . سيميونوف المكرس لتحليل الرواية الحديثة للكاتب المصري إبراهيم المازني والمباحث الأخرى .

ويوجه اللغويون السوفياتيون انتباهاً خاصاً للغة العربية وبنائها وتاريخها وتطورها .

ولا بد من إشارة خاصة إلى مباحث المرحوم ن . ف . يوشمانوف الذي كان كبعض العلماء العرب ، يعتبر أن الجذور العربية كانت في الأصل تتركب في معظمها من حرفين ، أما الحرف الثالث أو الرابع في الأصول الثلاثية والرباعية فهو عنصر زائد في اشتقاقه ، وكان يُستعمَل للإشارة الى نوع الأشياء كحرف الراء للإشارة إلى أقسام الجسد (مثلاً في الكلمات ظهر وصدر وشَعر وغيرها) أو كحرف الباء للإشارة إلى نوع الحيوانات كما في الكلمات : (ذئب وعقرب وثعلب وأرنب الخ) .

وقد كرس آ . س . ليقياشويلي ، وهو لغوي من تبيليسي ، جملة من المباحث تناول فيها قضايا بناء الجذور العربية ، وهو يعتبر كذلك أن أغلب الكلمات ترجع في اشتقاقها إلى جذور ذات حرفين ، وأن الكلمات العربية مركبة من

جذر ذي حرفين ومن ثالث إضافي ينشأ على الصعيد اللفظي ، أو لتحديد الأصول أو هو باقية من كلمة أخرى مستقلة .

وقد اتفق المستعربون في بلادنا في بحثهم هذا الموضوع مع ما توصل إليه بعض علماء العرب الذين يثبتون أيضاً فضل الثنائية على المعجمية وتفوقها على نظرية « الثلاثية » (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ص ٧٧٠ ـ ٨٨ ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) .

وقد وجه اللغويان س . س . ميزل و ف . ب ستارينين (موسكو) بحثهما إلى قضايا قلب الحروف أي تأخيرها وتقديمها في العربية ودورها في تكوين الأصول .

وقد أعد العالم الليننغرادي المرحوم يا . س . فيلينشيق قاموساً عربياً روسياً كبيراً للهجة سورية ، يشتمل على مواد وافية من المخطوطات والمطبوعات .

وقد توصل العلماء السوفياتيون بنتيجة دراستهم للهجات العربية إلى اكتشاف لهجات عربية جديدة وبحثها في آسيا الوسطى لم تكن معروفة سابقاً .

ويعيش في الوقت الحاضر في مقاطعتي بخارى وقاشقاداريا في آسيا الوسطى أكثر من خمسة آلاف عربي يتكلمون العربية . ولا نستطيع أن نجزم بما إذا كان هؤلاء العرب أحفاداً لأولئك العرب الذين تغلغلوا في آسيا الوسطى تحت ألوية الإسلام في عصر الفتوحات الكبرى ، أو أنهم قد استوطنوا هذه المناطق في القرن الرابع عشر بعد أن نفاهم تيمورلنك من سورية والعراق إلى هذه الأقطار . ولكن مهما يكن من أمر فان كون بعض عرب آسيا الوسطى ظلوا محتفظين بلغتهم العربية طيلة هذه القرون منذ نزوحهم إلى هذه البلاد ، هو واقع ذو أهمية كبيرة جداً .

وقد دلت البحوث على أن اللغة العربية المستعملة في آسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كالمالطية ، وتشغل مكاناً خاصاً بين اللهجات الأخرى ، على الرغم من أنها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الأخرى بلهجات البدو في أواسط شبه الجزيرة العربية .

وقد ثبت عدا ذلك بنتائج الدراسات أنه توجد في آسيا الوسطى في الوقت الحاضر على الأقل لهجتان مستقلتان تختلف إحداهما عن الأخرى اختلافاً بيناً بحيث لا يفهم عرب بخارى وقاشقادريا بعضهم بعضاً .

وقد وقعنا في مجرى دراستنا للعربية في آسيا الوسطى على شيء أعجبنا غاية الإعجاب ، وهو أننا وجدنا اسم بطلة القصيدة الجورجية المعروفة التي وضعها الشاعر الجورجي الكبير شوتا روستاويلي محفوظاً بين القبائل العربية في آسيا الوسطى ، فقد وضع شوتا روستاويلي في القرن الثاني عشر قصيدة كبيرة في نحو من ستة آلاف وستمائة وثمانين بيتاً أطلق عليها اسم « ذويردة النمر » أي « فارس في بردة النمر » ، وقد أطلق الشاعر على إحدى بطلات قصيدته اسم « نيستان داريجان » ، وكنا حتى الآونة الأخيرة لا نعرف من أين أخذ الشاعر هذا الاسم ، وكان العلماء يفترضون ان الاسم فارسي المنشأ ، ولكن لم يكن معروفاً استعماله في النصوص الفارسية ، وإذا بنا قد عثرنا على هذا الاسم في الحكايات العربية بشكل « نسطارجهان » ، وما من شك في الوقت الحاضر في أن الاسم فارسي ومعناه « لا نظير لها في الدنيا » أي « الغادة التي لا نظير لها في الدنيا بجمالها » ، وقد وجدوا بعد ذلك هذا الاسم في التأليف لفخر الدين البنداري الاصبهاني المسمى « بزبدة النصرة ونخبة العصرة » ، ووجدوه بعد ذلك أيضاً في شعر نظامي كنجوى وفي بعض النصوص الأخرى ، ولكن قد تلاقت بطلة القصيدة الجورجية باسمها لأول مرة بين عرب آسيا الوسطى .

يرى كراتشكوفسكي في اكتشاف لغة العرب في آسيا الوسطى وبحثها أساساً لتعديل النظر المقرر حول اللهجات العربية تعديلاً محسوساً ، وذلك نظراً لحصول مصدر جديد لدراسة اللغات السامية لم يكن معروفاً في السابق .

وتنشر عما قريب نصوص كثيرة ومواد أخرى سجلت بين عرب آسيا الوسطى ، وكذلك نتائج بحوث هذه اللغة .

ولذلك نأمل أن نساهم ، ولو بنصيب متواضع ، في دراسة لغة العرب وحضارتهم الجليلة .

ولم يقتصر المستعربون في بلادنا على البحوث العلمية النظرية بل أبدوا اهتماماً كبيراً لترجمة نخبة من الآثار الأدبية الفنية .

فقد ترجمت إلى الروسية والاكرانية والجورجية والازبيكية وغيرها من اللغات الأخرى - عدا القرآن وألف ليلة وليلة - كليلة ودمنة وكتاب بلوهر وبوداسف وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ وطوق الحمامة لابن حزم ولامية العرب للشنفرى ومعلقات امرئ القيس وزهير ولبيد والنابغة الذبياني وغيرهم ، وترجم شعر الأخطل والفرزدق وجرير الذي كرس له حضرة الرئيس خليل مردم بك منذ أمد قريب مقالة شيقة ، كما ترجم شعر المتنبي ، وأبي العلاء المعري ، وترجمت كذلك نخبة نماذج الآداب العربية من مؤلفات جرجي زيدان وعبد الرحمن الكواكبي وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وعمر الفاخوري ومحمود تيمور وغيرهم من كتاب الحاضر والماضي .

ولقد قدمنا صورة مختصرة جداً عن عمل العلماء السوفياتيين في حقل دراسة لغة العرب وحضارتهم ، وان كان المستعربون في بلادنا أقل عدداً من الممثلين عن الفروع الأخرى لدراسة الشرق ، غير أن الأعمال التي قاموا بها ، عظيمة القدر ، ولم تغب عن أذهانهم ، لدى دراستهم الآثار العربية القديمة ، أهمية العرب في الحضارة الحديثة .

ونحن نتابع تقدمكم بعطف كبير ، ونتمنى لكم بحرارة قلوبنا النجاح الأكبر دائماً في عملكم الشريف لصالح علمكم وآدابكم وحضارتكم الجليلة .

اقبلوا منا فائق الاحترام ودمتم مناراً للأدب والعلوم بين أبناء العرب .

والسلام عليكم .

جيورجي ڤسيرغيلي

ايوانية البحتري

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

— ٤ —

(ذاك عندي وليستِ الدارُ داري باقترابٍ منها ولا الجنس جِنْسي)

(ذاك) إشارة الى المذكور في البيت الذي قبله ، من إعانته ربوع كسرى بدموعه التي حَبَسَهَا على الصَبَابة والأسى . أي أن هذا كل ما عندي لتلك الربوع ، وكل ما يُمكنني أن أعينها به ، حالةَ كونهـا ليست هي داراً لي فأقترب منها وأتبوّأ لي من مقاصيرها مسكناً . ولا جنس الفرس الذين كانوا يعمُرونها بالسكنى فيها من جِنسي وعُنصري العربي : هم فرس آريُّون . وأنا عربيّ سامي . إذن لماذا تبكي ؟ فأجاب بقوله :

(غير نُعْمى لأهلها عند أهلي غَرَسُوا من زَكائِها خيرَ غرس)

المراد بالنُعمى هنا اليدُ البيضاء أي المنّة والفضل والمعروف تصطنعه الى آخر ، يقول انه بكى على الربوع التي ليست بداره ولا أهلها عَرَبًا من جنسه وبِجَاره ، غير أن هناك يداً وصَنيعَة قديمةً اصطنعها أهلُ تلك الدار وهم الفرس عند أهلي وقومي وهم عرب اليمن . والزَكاء بالزاي بمعنى السخاء والخِصب ، يقال زكت الأرض إذا كانت طيبة التربة خِصبة . وضمير زكائها يرجع الى النُعمى فهو قد جعلها نباتاً ونَسَبَ اليها الزَكاء والخِصب . أي أن الفُرس غرسوا من زَكاء النُعمى التي صنعوها عندَ قومي خيرَ غرس . كأنه يقول إن معروفهم عندنا غير ضائع ، بل هو يبقى زاكياً نامياً مغروساً في نفوسنا خيرَ

غرس لكونه مصطنعاً عندنا نحن العرب الذين يحفظون الجميل ، ويعرفون للمحسن إحسانه . وقد عَنى البحتري بأهله الذين أسدى اليهم الفرس معروفاً قبيلةَ طيِّئ التي ينتسب هو اليها كما ينتسب اليها أيضاً أستاذه (أبو تمام) ولذلك يطلق عليهما أحياناً اسم (الطائيين) .

وطيئ من كهلان . وكهلان أخو حمير . ينتميان كلاهما الى قحطان وقحطان جدُّ عرب اليمن . كما أن عدنان جدُّ عرب الحجاز . وقد هاجرت طيئ من اليمن عقبَ حادثة سيل العَرِم فنزلوا نجداً في جبلي أَجأ وسَلْمى المشهورين . واشتهرت طيئ قديماً عند السريان والفُرس حتى غَلَب اسمُهـا على (العرب) فسموا كل العرب طيئاً . أما اليوم فجبَلا (طيئ) وهما أجأ وسلمى سميا جَبَل شَمَّر . وبقايا طيئ سموا أيضاً شَمَّر باسم الجَبَل . بقي أن نعرف ما هي المِنَّة التي أسداها الفرس الى عرب اليمن قومِ البحتري ؟ لقد أشار اليها البحتري نفسه بقوله :

(أيدوا مُلكنا وشدُّوا قُواه بكُماةٍ تحت السَنَوَّر حُمْسِ)

(وأعانوا على كتائبِ (أرْيا ط) بطعنٍ على النحور ودَعْسِ)

ضمير (أيدوا) يرجع الى أهل الايوان يعني بهم الفرس . وقوله (مُلكنا) أي معشر أهل اليمن . و (الكُماة) جمع كميّ البَطَل المدجَّج بالسلاح . والسَنَوَّر بفتح السين السِلاح عامةً أو هي الدُروع من قِدٍّ أي جلد . وحُمْس بضم الحاء جمع أحمس وهم الشديدون في دينهم الأقوياء في الدفاع والمقاومة اذا اعتدي عليهم معتد ، وأرياط أول قائد نزل بلاد اليمن واستولى عليها من قِبَل (أصحمة) نجاشي الحبش . ودَعْس بمعنى طعن ، معطوف على طعن عطف تفسير . يقول إن النُعمى واليد البيضاء التي للفرس علينا معشر العرب اليمانين هي تأييدُهم مُلكنا بأبطالهم وإعمالهم الرماح في أقفية جيوش (أرياط) الحبشية . هذه هي النُعمى ملخصةً . أما ما قاله المؤرخون في تفصيل هذه الحادثة أو النُعمى ففيه ما يدلُّ على خطأ البحتري في قوله (أرياط) وكان الصواب

لو قال (مسروق) . ذلك أن ملوك حمير ظلموا نصارى بلادهم فأرسل (أصحمة) ملك الحبش (والحبش نصارى) جيشاً مع أحد كبار قواده المسمى (أرياط) ومعه قائد آخر اسمه (أبرهة) ففتحا بلاد اليمن وأذلا ملوكها من حمير . وكان ذلك في أوائل القرن السادس للميلاد . ثم وقع خلاف بين (أرياط) و (أبرهة) فقُتل (أرياط) واستبدّ (أبرهة) ببلاد اليمن ، فجار وظلم وأنزل بأهلها المحن . وبنى كنيسةً سميت (القَلِيس) بمعنى الكنيس والكليس هي (الكنيسة) أي الكنيسة . وأراد صَرْفَ وجوهِ العرب عن الكعبة اليها أي إلى القليس ، فجاء شيطان من شياطين عرب الحجاز فتغوّط فيها ففضب أبرهة وزحف الى الحجاز ليهدم الكعبة المشرّفة ، فرده الله بأن أرسل عليه الطير الأبابيل في قصة مشهورة لخّصتها سورة الفيل (ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الى آخر السورة . ثم هلك (أبرهة) وخلفه ابنه (مسروق) . وفي زمنه نشأ سيف بن ذي يَزَن الحميري فهاله ما نزل بقومه . فذهب الى قيصر مستنجداً به على الحبش فلم يفعل قيصر شيئاً لأن الحبش نصارى . فحول سيف وجهه الى فارس ، واستنجد بكسرى . فتعلّل ببعد بلاد اليمن وقلّة فائدته من فتحها . ووهب له مالاً فخرج سيف من لدنه مُغضَباً ونثر المال يميناً وشمالاً على رؤوس الخَدَم . فاستاء كسرى واسترجعه وسأله عن السبب في استهانته بعطيته . فقال إنما جئتك لتدفع عني الظلم . وإلا فان بلادي تنبت الذهب والفضة . فتأثر كسرى واستمهله أياماً . واستشار وزراءه . فأشار عليه كبيرهم بأن يُرسل الى نُصرته المساجين في مملكته فشحَنَهم في ثماني سفن . غَرِقت منها اثنتان ونجا الباقون . حتى بلغوا اليمن . فنزلوا ساحلها وأحرق قائدهم (وهرز) السفنَ . كما فعل طارق بن زياد بعد ان وطئ أرض الأندلس . وقال وهرز لقومه : إما الفتح وإما الهلاك . أما الرجوع فلا . ثم التفت الى (سيف بن ذي يزن) وقال له : وما لنا عندك ؟ قال (لك مني رجلٌ عربي ودمٌ عربي) ثم قتلوا مسروقاً وطردوا الحبش من

اليمن . وولوا سيفاً ملك آبائه ، فجاءت وفود العرب تهنئه وفي جملتهم سيدنا عبد المطلب (جد النبي ﷺ) ومعه أُميَّة ابن أبي الصلت شاعر قريش يومئذ فقال في مدح (سيف) القصيدة التي منها :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في قصر غمدان داراً منك محلالا
تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لَبَن شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وهكذا انتصر الفرس [1] لعرب اليمن وأعادوا اليهم ملكهم فحفظت العرب هذه اليد لهم وسجَّلوها بلسان شاعرهم الطائي اليماني فقال :

أيَّدوا مُلكنا وشدُّوا (عراه) بكُماةٍ تحت السَّنَوَّر حُمْس
وأعانوا على كتائبِ (مسْرو قٍ) بطعن على النحور ودَعْس

ثم ان البحتري ختم (ايوانيَّته) بهذا البيت العامر بمعاني الإنسانيَّة فقال :

(وأراني من بعدُ أكْلَفُ بالأشـــــراف من كل سِنْخٍ وأسِّ)

(كَلِفَ) به : أحبه وأُولع به . و (السِنخ) بكسر أوله و (الأُسُّ) مثلث الأول كلاهما بمعنى الأصل . يقول أرى نفسي بعد أن كان ما كان من مساعدة أشراف فارس وأحرارها لقومي العرب كَلِفاً مُولعاً بحب الأشراف من أي جنسٍ كانوا عرباً أو عجماً ومن أي أرض نبتوا في جزيرة العرب أو في بلاد فارس أو غيرها بشرط أن يكونوا أشرافاً أحراراً ذوي مُروءة ونجدة .

هذه هي قصيدة البحتري أو معلقته في وصف إيوان كسرى ، وأرى أن نسميها (الإيوانية) كما تسمى كل قصيدة قيلت في وصف الأبنية التاريخية أو الأثرية القديمة (إيوانية) ومجموع تلك القصائد (الإيوانيات) . من ذلك (إيوانية) احمد شوقي الذي عارض بها (إيوانية) البحتري مذ كان في

(١) وبقايا هذا الجيش الفارسي توطنوا بلاد اليمن ونسلوا فيها وسموا أولادهم (الأبناء) حتى اذا قيل في ترجمة أحد اليمانين انه من الأبناء أرادوهم .

منفاه أيام الحرب . وزار قُرطبة وقصر الحمراء وسائر الآثار العربية الخالدة هناك فقال في مطلع ابوانيته :

(اختلافُ النهار والليلِ يُنسي أُذكرا لي الصِبا وأيامَ أُنسي)

ثم تشوق وطنه مصر ومما قاله في ذلك :

(وطني لو شُغلتُ بالخُلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي)

الى أن قال :

(وعظ البحتريَّ إيوانُ كسرى وشفتني القصورُ من عبد شمس)

يريد بقصور عبد شمس الأبنية التي شيَّدها ملوك أمية من سلالة جدهم الأكبر في الجاهلية وهو عبد شمس إلى أن قال :

(مشت الحادثات في غُرَف الحمـــراء مشيَ النعيِّ في دار عُرسِ)

ومنها قوله في الثلج الذي على قمَّة جبل شِيرى :

(جلَّل الثلجُ دونها رأسَ شيرى فبدا منه في عصائبِ بِرْس)

ومنها في وصف بلاد اسبانية اليوم :

(لا تحسُّ العيون فوقَ رُباها غيرَ حُورٍ حوْرِ المراشف لُعْسِ)

ثم ختم إبوانيته بقوله :

(إمرة الناسِ همَّةٌ لا تَأَتَّى لجبانٍ ولا تسنَّى لجبْس)

(واذا ما أصابَ بنيانَ قومٍ وهْيُ خُلْقٍ فإنه وهْيُ أُسِّ)

وبلغني أن أحد كبار شعراء فارس الموسوم بالخاقاني زار إيوان كسرى منذ مائتي سنة كما زاره البحتري قبله ، ونظم ـ أي الخاقاني ـ في وصف الإيوان قصيدةً (إبوانية) بديعةً باللغة الفارسية . زعموا أنه أبرَّ فيها على (إبوانية) البحتري . هذا والأمم الواعية اليوم انما يتحقق وعيها بالمحافظة على تراث أجدادها ولا سيما ما خلَّدوه تحت الأرض أو فوقها من الآثار . وقد انتبهنا معشر العرب

أخيراً الى العناية بآثار الأجداد . لتكون درساً وذكرى للأبناء والأحفاد . وأبلغ ما نُقل عن أسلافنا في الحض على حفظ الآثار والنهي عن إضاعتها وتدميرها قول القاضي (أبي يعلى المعرّي) وهو :

(مررت برسم في (سياثَ) فراعني به زَجَلُ الأحجارِ تحت المعاول)
(تناولها عَبْلُ الذراع كأنما رَمَى الدهرُ فيما بينهم (١) حَرْبَ وائل)
(أتُتْلِفُها ؟ شأت يمينك خَلْقَها لمعتبرٍ أو زائرٍ أو مسائلِ)
(منازلُ قومٍ حدّثتنا حديثَهم ولم أرَ أحلى من حديث المنازل)

***

قصيدة البحتري

صُنْتُ نَفْسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفْسي وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كُلِّ جِبْسِ
وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعْزَعَنِي الدَّهْـ ـرُ ٱلْتِماساً مِنْهُ لَتَعْسي وَنَكْسي
بُلِّغْ مِنْ صُبابَةِ ٱلعَيْشِ عِندي طَفَّفَتْها ٱلأَيّامُ تَطْفيفَ بَخْسِ
وَبَعيدٌ ما بَيْنَ وارِدِ رَفْـهٍ عَلَلٌ شُرْبُهُ وَوارِدِ خِمْسِ
وَكَأَنْ ٱلزَّمانَ أَصْبَحَ مَخْبو لاً : هَواهُ مَعَ ٱلأَخَسِّ ٱلأَخَسِّ
وٱشْتِرائي ٱلعِراقَ خُطَّةَ غُبْنٍ بَعْدَ بَيْعي ٱلشّامَ بَيْعَةَ وَكْسِ

(١) أي في ما بين عبل الذراع وبين أحجار تلك المدينة وآثارها . يقول ان هذا الضرب والهدم بينه أي بين عبل الذراع وبين الآثار كأنها حرب وائل أو أن المراد ان بغضه لها كالبغض الذي شبت بسببه حرب وائل وهي المشهورة بحرب البسوس . وعبل الذراع أي مفتول الساعد كناية عن قوة العامل في الهدم .

لا تَزُرْنِي مُزاوِلاً لاخْتِباري ... عِنْدَ هٰذِي البَلْوى فَتُنكِرَ مَسِّي
وَقَدِيمًا عَهِدْتَنِي ذا صِفاتٍ ... آبِياتٍ عَلَى الدَّنِيئاتِ شُمْسِ
وَلَقَدْ رابَنِي نُبُوٌّ ابنِ عَمِّي ... بَعْدَ لِينٍ مِنْ جانِبَيْهِ وَأُنْسِ
وإذا ما جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا ... أنْ أُرَى غَيرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي
حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فَوَجَّـ ... ـتُ إلَى أَبْيَضِ المَدائِنِ عَنْسِي
أَتَسَلَّى عَنِ الحُظُوظِ وَآسَى ... لِخَلٍّ مِنْ آلِ ساسانَ دَرْسِ
ذَكَّرَتْنِيمُ الخُطوبُ التَّوالِي ... وَلَقَدْ تُذْكِرُ الخُطوبُ وَتُنْسِي
وَهُمُ خافِضُونَ فِي ظِلِّ عالٍ ... مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العُيونَ وَيُخْسِي
مُغْلَقٍ بابُهُ عَلَى جَبَلِ القَبْـ ... ـقِ إلَى دارَتَيْ خِلاطٍ وَمُكْسِ
حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلالِ سُعْدَى ... فِي قِفارٍ مِنَ البَسابِسِ مَلْسِ
وَمَساعٍ لَوْلا المُحاباةُ مِنِّي ... لَمْ تُطِقْها مَسْعاةُ عَنْسٍ وَعَبْسِ
نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الجِـ ... ـدَّةِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضاءَ لُبْسِ
فَكَأَنَّ الجِرْمازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ ... ـسِ وَإِخْلاقِهِ بَنِيَّةُ رَمْسِ
لَوْ تَراهُ عَامْتَ أَنَّ اللَّيالِي ... جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسِ
وَهُوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجائِبِ قَوْمٍ ... لا يُشابُ البَيانُ فِيهِمْ بِلَبْسِ
فَإِذا ما رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطا ... كِيَةَ ارْتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ
وَالمَنايا مَوائِلٌ وَأَنوشَرْ ... وانُ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ

في ٱخْضِرارٍ مِنَ ٱللِّباسِ عَلَى أَصْـــفَرَ يَخْتالُ في صَبيغَةِ وَرْسِ
وَعِراكُ ٱلرِّجالِ بَيْنَ يَدَيْهِ في خُفوتٍ مِنْهُم وَإِغْماضِ جَرْسِ
مِنْ مُشيحٍ يَهْوي بِعامِلِ رُمْحٍ وَمُليحٍ مِنَ ٱلسِّنانِ بِتُرْسِ
نَصِفُ ٱلْعَيْنُ إِنَّهُمْ جِدُّ أَحْيا ءٍ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشارَةُ خُرْسِ
يَغْتَلي فيهِمُ ٱرْتِيابِيَ حَتّى تَتَقَرّاهُمُ يَـدايَ بِلَمْسِ
قَدْ سَقاني وَلَمْ يُصِرَّ أَبُو ٱلْغَوْ ثِ عَلَى ٱلْعَسْكَرِيْنِ شَرْبَةَ خَلْسِ
مِنْ مُدامٍ تقولها هِيَ نَجْمٌ ضَوْأُ ٱللَّيْلَ أَوْ مُجاجَةُ شَمْسِ
وَتَراها ـ إِذا أَجَدَّتْ سُروراً وَٱرْتِياحاً لِلشّارِبِ ٱلْمُتَحَسِّي
أُفْرِغَتْ فِي ٱلزُّجاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهِيَ مَحْبوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسِ
وَتَوَهَّمْتُ أَنَّ كِسْرَى أَبَرْوِيـــزَ مُعاطِيَّ وَٱلْبَلَهْبُـذَ إِنْسي
حُلُمٌ مُطْبِقٌ عَلَى ٱلشَّكِّ عَيْنِي أَمْ أَمانٍ غَبَّرْنَ ظَنّي وَحَدْسي
وَكَأَنَّ ٱلإِيوانَ مِنْ عَجَبِ ٱلصَّنْـــعَةِ جَوْبٌ في جَنْبِ أَرْعَنَ جَلْسِ
يُنَظَّنى مِنَ ٱلْكَآبَةِ إِنْ يَبْـــدُ لِعَيْنَيْ مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي
مُرْعَجاً بِٱلْفِراقِ عَنْ أُنْسِ إِلْفٍ عَزَّ أَوْ مُرْهَقاً بِتَطْليقِ عِرْسِ
عَكَسَتْ حَظَّهُ ٱللَّيالي وَباتَ ٱلْـــمُشْتَري فيهِ وَهُوَ كَوْكَبُ نَحْسِ
فَهُوَ يُبْدي تَجَلُّداً وَعَلَيْـــهِ كَٱلْكَلِمِنْ كَلاكِلِ ٱلدَّهْرِ مُرْسِي
لَمْ يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ ٱلدِّيـــباجِ وَٱسْتُلَّ مِنْ سُتورِ ٱلدِّمَقْسِ

مُشْمَخِرٌّ تَعْلو لَهُ شُرُفاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رِضْوى وَقُدْسِ
لابِساتٌ مِنَ الْبَياضِ فَما تُبْـــصِرُ مِنْها إلا غَلائِلَ بُرْسِ
لَيْسَ يُدْرَى أَصُنْعُ إنسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ
غَيْرَ أَنِّي أَراهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنَكْسِ
فَكَأَنِّي أَرَى الْمَراتِبَ وَالْقَوْ مَ إِذا ما بَلَغْتُ آخِرَ حِسِّي
وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضاحِينَ حَسْرى مِنْ وُقُوفٍ خَلْفَ الزِّحامِ وَجَلْسِ
وَكَأَنَّ الْقِيانَ وَسْطَ الْمَقاصِيـــرِ يُرَجِّعْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُعْسِ
وَكَأَنَّ اللِّقاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمْـــسِ وَوَشْكَ الْفِراقِ أَوَّلَ أَمْسِ
وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّباعاً طامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ
عُمِرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْراً فَصارَتْ لِلتَّعَزِّي رِباعُهُمْ وَالتَّأَسِّي
فَلَها أَنْ أَعِينَها بِدُمُوعٍ مُوقَفاتٍ عَلَى الصَّبابَةِ حُبْسِ
ذاكَ عِنْدي وَلَيْسَتِ الدَّارُ داري بِاقْتِرابٍ مِنْها وَلا الْجِنْسُ جِنْسي
غَيْرَ نُعْمى لِأَهْلِها عِنْدَ أَهْلي غَرَسُوا مِنْ زَكائِها خَيْرَ غَرْسِ
أَيَّدوا مُلْكَنا وَشَدُّوا قُواهُ بِكُماةٍ تَحْتَ السَّنَوَّرِ خُمْسِ
وَأَعانُوا عَلَى كَتائِبَ (أَرْيا ط) بِطَعْنٍ عَلَى النُّحُورِ وَدَعْسِ
وَأَراني مِنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بِالْأَشْـــرافِ مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأُسِّ

ما سمعت وما رأيت
في بلاد السوفيت
-٢-

موسكو :

وهي عاصمة الاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية الاشتراكية (احدى الجمهوريات الست عشرة التي يتألف منها الاتحاد) وكانت من قبل عاصمة إمارة عرفت بمسكوفية (Moskovy) ومنه اشتقاق كلمة موسكوف التي كانت تطلق على سكان هذه البلاد (الشعب الروسي) .

أقمنا في هذه العاصمة معظم المدة التي قضيناها في بلاد السوفيت ، ولم تكن هذه المدة القصيرة كافية لزيارة معاهدها العلمية وأماكنها الأثرية ، إذ اقتصرت زيارتنا على ما جاء في البرنامج الذي ذكر آنفاً مع ما أضيف اليه من مؤسسات ومتاحف خلال مقامنا القصير بين الرحلتين من هذه العاصمة الى ليننغراد وستالينغراد والعودة منها .

وموسكو ليست من المدن العريقة في القدم إذ لم يأت لها ذكر قبل سنة ١١٤٧ ميلادية وليس لها من العمر إذن سوى ٨٠٠ سنة . وأول ما بنيت المدينة على رابية في ضفتي نهر موسكوا (Moskova) وعظم شأنها منذ أن اشتد أزرها ببناء الحصن الشهير فيها وهو الكرملين (Kremlin) صداً لغارات الغزاة ، واتسع البنيان حول هذا الحصن على ممر الزمن اتساعاً على شكل دائرة تحيط به من الجهات الأربع ولذلك بقي في مركز المدينة كأنه قلبها الخفاق مع بقاء معظم الأبنية الهامة على الضفة اليسرى من النهر المذكور .

ولقد أتاح لموسكو موقعها الجغرافي أن جعلها بمعزل عن السبيل التي يسلكها الغزاة القادمون من الشرق ، كما ان مركزها في حوض نهري الدون والولغا ساعدها على الازدهار ، لا سيما وهي العاصمة السياسية القديمة والعاصمة الدينية (مقر الكرمي البطريركي منذ سنة ١٣٢٨) . على أنها لم تنج من صولة المغول والتتار عليها عدة مرات حتى اتخذها الأمراء الروس في القرن الخامس عشر مركز الحشد لصد المغيرين وطردهم . وعرف ايفان (يوحنا) الثالث وايفان الرابع بقيصري موسكو إذ ازدهرت في عهدهما المدينة واطرد فيها النمو والاتساع في القرن السادس عشر مع ما أصابها من حرائق واسعة (١٤٩٨ و ١٥٤٧ وغيرهما) ومع احتلال البولونيين إياها . وبدأت حركة المقاومة من موسكو سنة ١٦١٨ لتحرير البلاد حتى أطلق عليها اسم المدينة المقدسة . ورأى بطرس الأكبر بعد أن أنشأ مدينة جديدة على الساحل وقام بالاصلاحات الكثيرة أن ينقل العاصمة من موسكو الى تلك المدينة (وقد عرفت بمدينة بطرس بتروسبورغ ثم بتروغراد ولينغراد حالياً) مع احتفاظها بلقب المدينة المقدسة حيث يتوج فيها القياصرة وبقاؤها مقراً للمجمع المقدس (السينود) والمقام البطريركي .

وغزاها نابوليون سنة ١٨١٢ فتم له فتحها بعد معركة دامية عرفت بمعركة موسكوا ثم اضطر الى مغادرتها إثر الحريق الكبير الذي قيل إنه أوقده سكان البلد بتحريض قادتهم والذي أتى على ما قيل على $\frac{4}{5}$ المدينة وأصاب الروس فيه زهاء ١٥٠٠٠ جريح ، وكانت مغادرته إياها في ١٩ من تشرين الأول . ونسف الجنرال مورتيه (Mortier) الذي خلفه فيها قلعة الكرملين . ويفتخر القوم بالمزيّة الشنعاء التي أوقعوها بالجيش الافرنسي الذي لقب في ذلك الحين بالجيش الذي لا يغلب وتراهم مزهوين بنقش أسماء الجنود الذين أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن البلاد بنقش أسمائهم على لوحة تذكارية يراها الزائر في أحد جدران الكرملين بعد أن كوفئوا بمنحهم لقب فرسان صليب القديس جورج ، كما أن متحف الكرملين يضم البنادق الكثيرة التي غنمها الروس مع الأعلام العديدة .

وفي آخر سني الحرب العالمية الأولى دارت معارك قوية في معظم المدن الروسية وكانت موسكو مسرحاً للحرب الأهلية وبعد الثورة البولشفيكية غادر بتروسبورغ الى موسكو في الثامن عشر من آذار سنة ١٩١٨ قطار يقل أركان حكومة السوفيت الجديدة وأصبحت منذ ذلك التاريخ عاصمة الجمهورية الروسية وعاصمة الاتحاد معاً، وأقرّت المادة ١٤٥ من الدستور السوفيتي اعتبارها العاصمة الوحيدة لبلاد الاتحاد وأصبحت القوانين والمراسيم والبلاغات لا تصدر عن الحكومة إلا وهي متوجة بالكلمتين الآتيتين : الكرملين ، موسكو .

مساحة المدينة السطحية ونفوسها :

لقد اتسع نطاق موسكو مع مرور الأيام حتى قدرت مساحتها السطحية مؤخراً بما ينيف على ٣٠ ألف هكتار مربع وتبلغ المسافة بين أقصى الشمال والجنوب من المدينة زهاء ٢٥ كيلومتراً . أما السكان فان آخر إحصاء رسمي جرى سنة ١٩٣٩ (قبيل الحرب الأخيرة) بلغ عددهم فيه ٨٦٦٣٠٠٠ نسمة ولا أظن أنها زادت على هذا الرقم كثيراً في الآونة الأخيرة .

ومناخ موسكو لا يفترق عن مناخ بلاد الاتحاد السوفيتي الأخرى تهبط درجة الحرارة فيه الى ما دون الصفر في الشتاء وتجمد مياه الأنهر ١٣٥ — ١٦٠ يوماً في السنة ودرجة الحرارة الوسطى في كانون الثاني — ١٠ بينما ترتفع في تموز الى ١٩٫٢ وسطياً وقد شاهدناها تهبط في آخر تشرين الثاني الى — ٨ . لذلك يسترها الثلج في معظم الشتاء وارتفاع موسكو عن سطح البحر يختلف بين ١٦٥ و ٢٨٥ متراً والرياح الغالبة فيها جنوبية وجنوبية غربية .

نظرة عامة :

إن من الصعب على من أقام في موسكو تلك المدة القصيرة التي أقمناها أن يفي وصف العاصمة حقه مع كثرة ما فيها من معالم ومعاهد ومؤسسات فلا

غرو إن اجتزأت بذكر بعض ما سمعت وما رأيت وما قرأت عنها ، قبل ذكر المؤسسات والمعاهد العلمية .

تعد موسكو ولا شك من أعظم مدن العالم دع عنك شأنها السياسي في هذه الآونة باعتبارها عاصمة بلاد تبلغ مساحتها سدس اليابسة ، وحاملة لواء المعسكر الشرقي ضابط التوازن الدولي ، وهي من المراكز الصناعية الهامة تحوي المعامل الكثيرة لمختلف الصناعات ، ناهيك بمركزها الثقافي والعلمي وكثرة ما فيها من معاهد وان جامعتها التي سيأتي وصفها تعد من أكبر جامعات العالم (ان لم تكن أكبرها فعلاً) .

فمظاهر المدينة تدل على عظمتها في شتى النواحي والقادم اليها من المطار يخترق الى قلب المدينة شوارع فسيحة حسنة الإضاءة ليلاً على غاية من النظافة بما لا ترى له مثيلاً في العواصم الأخرى (ولا أنفرد بهذه الشهادة بل سبقني إليها غير واحد من الغربيين الذين زاروها) . ولا غرابة اذا علمت ان هذه النظافة وهذا النظام البديع الذي تسير عليه المرافق العامة مردهما الى تضافر العمل بين زهاء نصف مليون من العمال والمهندسين والفنيين يشرفون على تسيير شؤون العاصمة والسهر على تحقيق ما تحتاج اليه من صيانة الطرق وتنظيفها الذي لا ينقطع حسبما تستلزمه فصول السنة ، وضمان حسن السير فيها وتعهد الأشجار والنباتات المختلفة المغروسة في جوانبها وفي حدائقها العامة ، وما لا ندحة عنه لرفاه الفرد والمجموع من كهرباء وماء وغاز وتدفئة وغيرها .

ويضفي على تلك الشوارع الفسيحة الأبهة والعظمة ما يحيط بجانبيها من أبنية شامخة بيضاء لا أثر فيها للسواد الصادر عن دخان المعامل الذي يملأ جو مثيلاتها من العواصم الأوربية . وانه لمن الخطأ أن يظن ظان ان ليس في موسكو سوى هذه المناظر البهيجة التي تأخذ بمجامع القلوب إذا لم يخرج السائح الغريب نزيل أحد الفنادق المخصصة للأجانب والتي تقع في قلب المدينة ، عن هذا

النطاق المضروب . ولكن متى سنحت لك سانحة وجزت تلك الدائرة المحيطة بك مشياً فان عينك سترى ولا شك مناظر نقيض ما تقدم : أزقة ضيقة ودوراً صغيرة من الآجر الأحمر وطرقاً سيئة التعبيد لما تمتد اليها يد الإصلاح والتنظيم بعد . هذه هي موسكو القديمة من بقايا القرون الماضية وتلك موسكو الحديثة التي تم تنظيمها وفاقاً لمشروعي السنوات الخمس والسنوات العشر ، وهي إحدى المفارقات بين الماضي والحاضر . وهل خلت روما وباريز ولندن من مثل هذه الأحياء في يومنا هذا ؟

فقد سمعنا ان موسكو لم يكن فيها في مطلع هذا القرن سوى ٨٠٠ بناء عديد الطوابق (يحوي أكثر من طابق واحد) ولم يكن سوى دور مركز المدينة مجهزة بوسائل الراحة العصرية مما حمل إحدى الجرائد الانكليزية سنة ١٩١١ على القول بأن موسكو تحتاج الى ٥٠٠ سنة لتصبح مظاهرها تحاكي مظاهر عواصم العالم . إلا ان المنهاج الذي وضع لتجميل موسكو بعد أن أصبحت العاصمة وما بذله المهندسون من جهد عظيم قد أثمر أينع الثمر والتطور فيها غدا مستمراً ، ومظاهره تطغى على القديم بسرعة فائقة . وها هو قد تم لها في بضع عشرات من السنين ما ظن أنه يستغرق خمسمائة سنة . فقد شقت في هذه الفترة شوارع جديدة ووسع ما كان منها ضيقاً (مع بقاء بعضها ماثلاً للعيان الآن ، حتى قيل لنا ان ما كان منها بعرض ١٦ و ١٨ متراً أصبح عرضه ٤٠ أو ٤٥ متراً وإن منها ما بلغ من العرض ٧٠ متراً واضطر المشرفون على شؤون المدينة في سبيل هذا التوسيع والتعريض الى هدم ما ينبغي هدمه وإبقاء ما لا يجوز الاستغناء عنه فعمدوا حفاظاً عليه الى أن يعولوا على طريقة سبقهم إليها الغربيون ولكنهم أتقنوا التنفيذ وأحسنوه على نطاق واسع ، وهو أن يخلوا ما تحت أرض البناء وأن يجعلوا هذا يستند الى أعمدة حديدية متينة رصفت أفقياً ثم أن يدفعوا الى الوراء بالبناء الذي أصبح كأنه على عجلات ـ المسافة المطلوبة

دفعاً تدريجياً يستلزم مدة غير قليلة من الزمن . ونجا من الهدم على هذه الطريقة عدة أبنية ورأيت في شارع غوركي كيف ان المستشفى القائم هناك قد زحزح بضعة عشر متراً مع تغيير طفيف في الاتجاه فيه ، وقد روى الدليل أن أعمال المستشفى في أثناء ذلك لم تتوقف ولم يتوان الجراحون عن المثابرة على التوسط الجراحي خلال هذا النقل العجيب .

قلت إن موسكو القديمة آخذة بالزوال لتخلفها موسكو الجديدة التي حق لها أن تباهي ببنيانها الأبيض لكثرة استعمال الحجر الأبيض في البناء مع ما يستلزمه طراز البناء العصري من ميكانيكيات ضخمة رأيت بعضها في البنيان القائم إبان زيارتنا ورأيت نماذج مصغرة عن بعضها الآخر في أحد المتاحف التي زرناها . وإن من الأبنية الحديثة ما هو مخصص للسكن ومنها ما يبنى لاتخاذه مقراً لدوائر الحكومة والمؤسسات العامة . فما يبنى لأجل السكن بناؤه مماثل ، الشكل فيه على هيئة حرف U بحيث تترك الساحة بين الأضلاع الثلاث للفضاء تتعرض لنور الشمس ولا تحجب هذا عن أجزاء البناء الرئيسية ، وتتخذ حديقة يملؤها النبات في جانب باحات الألعاب الرياضية فتصبح متعة لسكان تلك الدور ومرتع لعب ولهو لأطفالهم ويمثل وحدات السكن هذه قد حلت أزمة السكن [1] .

(١) لم يتح لي الاطلاع على حقيقة ماترويه المصادر الغربية من اشتداد أزمة السكن في المدن السوفيتية الكبيرة وفي موسكو خاصة . وإن من غريب ماقرأته في دائرة المعارف البريطانية في مادة موسكو قولها : ان ازدياد عدد السكان الناجم عن تمركز الحكومة في موسكو منذ ثورة ١٩١٧ واشتداد النزوح والهجرة من أنحاء الامبراطورية الشاسعة كل ذلك قد أوجد ازمة في أماكن السكن لم تكن لتكفي حتى سنة ١٩١٣ . وفي سنة ١٩٢٣ لم يكن سوى ٨ ٪ من السكان يملك غير غرفة واحدة أو أكثر و ٥٤،٧ ٪ كان يعيش كل اثنين منهم في غرفة واحدة و ٣١،٨٪ خمسة في كل غرفة و ٤،٩ ٪ أكثر من ثمانية أشخاص في الغرفة الواحدة . وتقضي دائرة المعارف قائلة وبالرغم عن هذه الشروط القاسية فان تقدماً عظيماً قد طرأ على الحالة الصحية وعلى رعاية الأطفال مما أفضى الى نقص بيّن في نسبة الموت . أقول ولا أظن أن احصاء دائرة المعارف المذكور ينطبق على حالة السكن وأزمته في الوقت الحاضر بعد ما رأيت الكثير من وحدات السكن تبنى على نحو ماتقدم وهي مؤلفة من مئات من البيوت التي لاينقصها شيء من وسائل الرفاه العصري .

وقد أدخل في برنامج التعمير سنة ١٩٤٧ تشييد الأبنية العديدة الطوابق (Multi-storied) نظير ناطحات السحاب في الولايات المتحدة ، وأشهر هذه الأبنية جامعة موسكو ويتألف جناحها المركزي من ٣٢ طابقاً (وسيأتي وصفها في مقال آخر) وأبنية الوزارات في (Lermontov) و (Kotelnicheskaya) وغيرهما من الأبنية التي يزيد عدد الطوابق فيها على ٢٠ ويميل المهندسون السوفيت الى التفنن في المظهر الخارجي والتزيين ، وهي ولا شك من أجمل الأبنية وأحسنها مظهراً وإن شابهت في الظاهر مثيلاتها في البلاد الغربية . ونرى هذا التفنن والتنويع في المظهر الخارجي في الأبنية العامة الأخرى كمحطات سكك الحديد ومحطات المترو خاصة . فمثل هذه الأبنية وبوحدات السكن السالفة الذكر قد تغير وجه موسكو وبدأ يتطور سنة بعد سنة .

وتكثر التماثيل في شوارع موسكو وحدائقها العامة وهي في الغالب تماثيل شخصيات الثورة والعسكريين وكبار الأدباء والشعراء الذين هيأوا السبل لها أما تماثيل الزعيمين لينين وستالين فلا تقع تحت حصر ناهيك باللوحات العديدة التي تمثلها في حالات مختلفة والتي لا يخلو منها أي مكان .

والشوارع كلها مفروشة بالاسفلت والرئيسية منها لها في جانبيها رصيفان لا يقل عرض بعضها عن ١٠ أمتار مخصصة للمشاة أما السيارات فلها ثلاث طرق فما كان منها في الجانبين فهو للسيارات العامة كل واحدة منها لأحد الاتجاهين في السير والثالثة بينهما مخصصة لسير سيارات الاسعاف والحريق بحيث لا يخل مرور هذه بأقصى السرعة مرور السيارات الأخرى في الجانبين . وربما كان هذا الطراز من التنظيم هو الوحيد من نوعه ولم أر مثيله في العواصم الكبرى التي زرتها .

وطبيعي أن لا يعرقل سير السيارات على نحو ما ذكر ، سير المشاة الذين لا يتخلون أبداً عن الرصيف مع المحافظة التامة على نظام السير ، وما إن

يصل هؤلاء الى قرب مفترق الطرق إلا وتراهم شاخصة أبصارهم الى اشارات السير الكهربائية حتى إذا ما آذنت هذه بالمرور رأيت عشرات من الخلق بين رجال ونساء وأطفال تمر بنظام بديع ٠

ويتم تنظيف الشوارع بين كنس وغسل في الصباح الباكر من كل يوم وذلك بمعونة الآلات الضخمة العديدة حتى ان شارعاً كبيراً كشارع غوركي لا يستلزم تنظيفه أكثر من ساعة ونصف الساعة ٠ هذا في الصيف أما في الشتاء فان الآلات ذاتها تضاف اليها أجزاء جارفة تجرف الثلج عن الطرق في الصباح الباكر أيضاً ٠ وقد سمعت أن في موسكو زهاء ألفين من هذه الآلات ٠ وكثيراً ما رأيت قبيل منتصف الليل وأنا عائد الى الفندق مشياً من يقوم على ذر الرمل على الرصيف المستور بالثلج وفيهم بعض النساء تسهيلاً لمرور المشاة ٠

والأشجار الباسقة في جانبي الطرق يبدو بعضها حديث العهد ، ويعنى القوم بغرس الأزهار وتنسيقها تنسيقاً بديعاً ولا سيما في الحدائق العامة التي لا يكاد يخلو منها أحد الشوارع الكبيرة ينم ترتيبها على ذوق سليم ٠ ولعلّ حديقة بوشكين (Pushkin) التي أنشئت مؤخراً من أجمل تلك الحدائق الغناء فيها البحيرات والنوافير الجميلة التي يسقط منها الماء على هيئة شلالات بهيجة ناهيك بالممرات الجميلة بين الخمائل والرياحين ٠ وانه ليزيد في جمال المنظر ما كان من الشوارع الفسيحة على ضفتي نهر موسكوا أو القناة التي وصلت ما بين نهري الولغا وموسكوا حيث ترى جموعاً من المتنزهين والمتنزهات على تلك الأرصفة الواسعة في جانب الجالسين والجالسات على المقاعد العديدة ٠ وكان من أثر شق القناة المذكورة اتساع حركة العمران ووصل موسكو بالبحار الخمسة كما سيأتي بيانه وضمان ما تحتاج إليه العاصمة من ماء وقد قدر بمليون ليتر في الدقيقة ٠

ومن طابع هذه البلاد الخاص أن لا ترى أسماء تشير الى أصحاب المخازن

الكبيرة والمتاجر المختلفة في جانب الشوارع ولا أسماء القائمين على إدارتهـا ، وتعرف متاجر المخازن والمتاجر لكل حرفة من الحرف بأرقامها المتسلسلة ، فالصيدليات مثلاً تجد في الشارع الفلاني الصيدلية ذات الرقم ١١٠ وفي غيره الصيدلية ذات الرقم ١٥٠ وكذلك المكتبات والبقاليات ومخازن المأكولات لكل من هذه رقمه الخاص الذي يعرف به ، وواجهات متاجر المأكولات تحوي نماذج مصنوعة من الشمع تمثل الأصناف التي تباع في داخلها كاللحم والبيض والخضراوات وما إليها . والمدارس وقد زرنا إحداها في ضواحي موسكو كان رقمها ٧٠٢ وقيل لنا إن في موسكو ٧٢٠ مدرسة ثانوية مثلها .

وساعات العمل وأوقات الدوام في هذه المحلات التجارية وفي دوائر الحكومة والمؤسسات العامة موحّدة تختلف في بلاد الاتحاد السوفيتي عنها في البلاد الأخرى . يبدأ العمل فيها كلها في الساعة العاشرة ويتوقف في تمام الساعة الثانية ليستأنف من من الساعة الرابعة حتى الثامنة . ويستثنى من ذلك باعة المواد الغذائية من ألبان ومشتقاتها ومخابز وما إليها فان العمل فيها يبدأ من الصباح الباكر . وإن من المشاهد المألوفة في بلاد الاتحاد السوفيتي الكبيرة وأخصها موسكو أن ترى جمعاً من الناس بين رجال ونساء ينتظمون أمام تلك المخازن والمتاجر وغيرها بما فيها دور اللهو والمسارح على شكل حبل (ويسميه الغربيون ذيلاً Queue) قد يبلغ من الامتداد والطول حداً كبيراً . فترى الحبل أمام بائع اللبن في الصباح الباكر وفي الشتاء القارس ، وترى مثله بعد الظهر أمام المخازن الكبيرة قبيل وقت افتتاحها حتى إذا آن وقت هذا الافتتاح في تمام الساعة الرابعة على الضبط فتح الباب ودخل أفراد ذاك الجمع بكل هدوء وسكون ، ولو أتيح لك أن تتابع طريقة العمل في داخل أحد تلك المخازن لرأيت أن أولئك المشترين يذهب كل منهم الى قسم الصنف الذي يود شراءه وما هي إلا دقائق حتى تتألف حبال أخرى أمام البائع فيتقدم كل واحد ويشتري ما يريده

(بالسعر المحدود) فيعطيه المشرف على البيع ورقة تبين الصنف المشترى وثمنه فيحملها الشاري ليأتي أمام مكتب الصندوق فينتظم في حبل آخر منتظراً دوره حتى اذا بلغه دفع الثمن واسترد الورقة التي أشير فيها الى دفع الثمن وعاد الى بائع الصنف الأول واقفاً في عداد أفراد حبل آخر ليقدم في حينه الورقة الموقعة من الخازن ويستلم الصنف المشترى ويخرج بعدئذ من هذه الجولة غير القصيرة بسلام متأبطاً ما اشتراه ، وينتظم القوم في هذه الحبال أو الأذيال داخل المخازن أو خارجها مثنى مثنى ولا ترى أحداً يسابق الآخر . وإن وقوفهم الطويل وانتظارهم المديد وصبرهم على ذلك قد أصبح مضرب الأمثال بين الأمم الأخرى ومدعاة للتنكيت حتى قال أحد الظرفاء الأجانب عن الشعب السوفيتي أنه يقسم ساعات يومه أثلاثاً : ثلث للعمل وثلث للنوم والثالث للانتظام والوقوف في تكوين الحبال . وإن من أطول الحبال التي شاهدناها (وكنا في عداد أفراده) ما كان مؤلفاً استعداداً لزيارة ضريح لينين وستالين في الساحة الحمراء وسيأتي وصفه حين ذكر الكرملين والساحة الحمراء .

وإن مما ينتبه اليه الغريب عن هذه الديار أمارات الجد والهدوء البادية في حركات أهلها وسكناتهم ، فانك لا ترى أبداً من يقهقه في قارعة الطريق حتى ولا من يبتسم اللهم إلا إذا كان حدثاً ، فضلاً عن أن ترى سكران أو معربداً ولو كان طوافك في المزبع الأخير من الليل . وطابع الجد الغالب عليهم يتجلى بأجلى مظاهره عندما تحضر إحدى المسرحيات الهزلية ، وأذكر اننا حضرنا مرة المسرح الذي يعرف بكوكلي (Kokli) ويعرف بالفرنسية بـ (Marionette) وأبطال التمثيل فيه دمى كبيرة بحجم الإنسان الكهل يحركها ويسيرها من تحت المسرح فنانون مهرة حتى ان المشاهد لتلك الدمى وهي تمثل الأدوار الدقيقة (بما فيها الشعوذة) باتقان خارق ليشك في حقيقة أمرها ، وإن المفاجئات التي لا بد وأن تتخلل ذاك التمثيل الهزلي لما يضحك

الشكل ، ومع ذلك فانك إن سمعت أو رأيت في القاعة الفسيحة المكتظة بالحضور أحداً يضحك بملء فيه فتأكد أنه ليس من أهل البلاد بل هو أحد السياح الأجانب .

ولباس أهل هذه العاصمة تغلب عليه البساطة فليس للأناقة فيه أثر إن في الشوارع أو في المسارح (ولا سيما دور الأوبرا) أو في الأعياد (وقد شهدنا أحدها) . فاذا ظننت (ولك الحق) أن من يقع عليه نظرك من المارة في الطرق هم عمال كادحون أو من ذوي الأشغال الذين ليس لهم أن يتأنقوا في الملبس ، فما بالك بشهود السهرات ولا سيما في الأوبرا حيث اعتاد الغربيون أن يأخذوا أحسن زينتهم فيها ، واني لأذكر في باريز مثلاً كيف يشترط على شهود بعض المسارح ولا سيما الأوبرا لباس السهرة الخاص بالرجال والنساء على السواء وسمعت رد المشرفين عليها من لم يلبس اللباس المطلوب وإعادة ما دفعوه اليهم . هذا في المجتمعات الغربية أما في المجتمع السوفيتي فلا أثر لما ذكر مطلقاً ، اللهم إلا أفراد بعض الجاليات الأجنبية إذ يحافظون على ما اعتادوا عليه من لباس خاص في مثل هذه المناسبات . ولا عجب فان الطبقة الأريستوقراطية التي اشتهرت بها روسيا القيصرية قد انقرضت عن بكرة أبيها وورثها كبار موظفي الحكومة والمبرزون من العمال لينعموا بنعماء أولئك .

وإن مما يسترعي الانتباه في هذه البلاد مظاهر الحشمة البادية في النساء وفقد الخلاعة ، وأن لا يرى ما أصبح مألوف المنظر في العواصم الكبيرة الأخرى من بنات الهوى اللواتي يتفنن في نصب الأشراك لتصيد طلاب اللذة الأثيمة ، شأن ما هو شائع في حي مونمارتر بل وفي جميع شوارع باريز عندما يرخي الليل سدوله ، ودائرة بيكادللي في لندن ، وجوار المحطة الكبيرة في روما ، نعم لا أثر للمومسات المحترفات في موسكو ولينغراد وغيرهما من المدن السوفيتية الكبيرة . وقد أعجبني ما كتبه القسيس الانكليزي (Mervy Stockwood) [1]

(١) في كتاب له عنوانه ذهبت الى موسكو (I went to Moscow) طبع في لندن سنة ١٩٥٥

وقد أذهله ما لاحظه من فقد المومسات في بلاد الاتحاد السوفيتي مقايساً ذلك بما اعتاد أن يراه في لندن من كثرة بنات الهوى الآخذة بالزيادة سنة بعد سنة ، فسأل السفارة البريطانية في موسكو وقد أكدت له صواب ملاحظته بأن لا أثر ظاهراً للدعارة في هذه البلاد ويمضي قائلاً : لا أدعي أن من يود من الرجال استجابة رغبته الشهوانية أن يعدم الواسطة أو لا يجد السبيل اليها ، ولكن ليس بوسع أحد من الناس أن يظهر هذه الرغبة على ملأ الخلق . ولما سألت دليلي (كلام القسيس) إلى أي شيء يعزو انطفاء جذوة البغاء في هذه البلاد أجابني بقوله إن على النساء أن يشتغلن أحد الأشغال ويقمن ببعض الأعمال ولا حاجة لمن للكسب من قارعة الطريق ، وان الشرطة لتقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أي عمل مخل ليرسل الى أحد مراكز التهذيب والتثقيف ، وأحر بنا (كلام القسيس) أن نتعلم من السوفيت ، إن حالة لندن لمعيبة ولا لوم على الغرباء بكل ما يظنون بنا ، لقد حان الوقت للحكومة أن تسلك الخطة القويمة ، وينبغي جعل البغايا في بيوت يتاح لهن فيها التدريب ليخرجن منها وهن نافعات في المجتمع ، عوضاً من فرض العقوبة الطفيفة عليهن ، وعلى القصاص أن يكون وفاقاً للذنب كالسجن مدى الحياة لمن يتخذ الدعارة مهنة تجارية . ويختم كلمته أخيراً بقوله اني لآسف ان حكومة لادينية قد نجحت فيما أخفقت فيه حكومة مسيحية .

وانه لتدعم صيانة الأخلاق العامة بما رواه القسيس نفسه بعد نزوله من الطائرة التي أقلته الى موسكو عندما فتشت حقائبه في المرفأ الجوي من أن التفتيش المذكور لم يقتصر على ما قد يحمله من بضائع تخضع لرسوم المكس بل تعداه الى ما قد يكون في تلك الحقائب من كتب ومجلات وصحف ، ويقول القسيس لم تكن الغاية من هذا التنقيب الخشية من الشؤون السياسية وحدها بل قد خصص بما اشتهرت به الصحافة الغربية من دناءة (كذا) ولا يسمح للصحف السوفيتية أن تذكر أخبار الجرائم الأخلاقية ولا أثر فيها للصور الشائع نشرها

في المجلات الانكليزية وقد أخبروني (قول القسيس) عن الوصمات غير اللائقة التي يصمون بها صحفنا ولا سيما بعض الصحف الصادرة أيام الأحد . وطبيعي أن يعزو (السوفيت) استئثار الغريزة الجنسية الى الخطة الميكانيكية التي يسلكها رأسماليو الصحافة (Press barons) .

والمرافق العامة من ماء جار بارد وحار وكهرباء وغاز وتدفئة غاية في الترتيب والنظام ولا سيما في وحدات السكن الحديثة ، فللتدفئة المركزية التي يعتمد عليها في التغلب على البرد القارس ، مصلحة عامة تشرف على توزيع الماء الحار الى الأبنية المختلفة بأنابيب تجري فيها تحت الأرض ولا حاجة إذن لاستعمال المراجل الموضعية المولدة للماء الحار ولا يقتصر توزيعها على الدور والمخازن فقد لاحظت التدفئة على أتمها في المراحيض والمباول العامة التي يغشاها الناس في شوارع المدينة . والكهربائية كثيرة الذيوع للاستعمالات البيتية على اختلاف أشكالها ، وكذلك الغاز الذي لا يزال يعتمد عليه بالتدفئة في الدور القديمة التي لما يسعدها الحظ بامتداد أنابيب الماء الحار اليها .

ووسائل النقل العام والمواصلات تتلاءم وعظمة العاصمة تماماً ففي جانب السيارات الصغيرة المعدة للأجرة (تاكسي) ولها مواقفها الخاصة في الشوارع الكبيرة ، والسيارات الخاصة الآخذة في الزيادة بعد أن تحول انتاج معامل السيارات من الانتاج الحربي الى الانتاج المدني ، في جانب هذه وتلك الباصات الاعتيادية والباصات المسيرة بالطاقة الكهربائية (Trolley - Buses) دون خطوط حديدية وعلى عجلات من المطاط والترام (الحافلة الكهربائية) ثم المترو (Metro) والبواخر الجواري في الأنهار والقنوات . فالحافلات الكهربائية آخذة في الزوال (شأن الحال في معظم المدن الغربية) وتخلفها الباصات الكهربائية والباصات العادية ولكليها الخطوط العديدة وكلها نظيفة وتسير بنظام دقيق . ويعد المترو من مفاخر هذه العاصمة إذ بذت به أمثاله في العواصم الأخرى قاطبة لا بنظافته ودقة العمل فيه

فحسب بل بفخامة التصميم ومظاهر الترف الماثلة في محطاته البادية فوق الأرض وفي مماشيه الفسيحة المحفورة تحت الأرض . فقد بدئ بانشاء الخطوط الحديدية تحت الأرض في سنة ١٩٣٢ تخفيفاً للازدحام الذي بدا في وسائل النقل المختلفة في جانب السرعة الفائقة في التنقل بين أجزاء المدينة المختلفة ورخص الأجرة . واقتصر امتداد الخطوط الأولى على ما وصل ما بين المرافق العامة كمحطات سكك الحديد والحدائق العامة والمسارح وبين مركز العاصمة بأقصر طرق الوصول وتم الانشاء سنة ١٩٣٥ واتسع بعدها نطاق شبكة المواصلات هذه حتى خلال الحرب الوطنية (هكذا يسمون الحرب العالمية الثانية) مما جعلهم يشيرون الى ذلك في بعض الأماكن من الخط المذكور . ومحطات المترو حري بها أن تدعى بالقصور لفخامة مظهرها وسعة المماشي تحت الأرض وما زينت به جدرانها من رخام وتماثيل ولوحات التصوير فاهيك بمحلات بيع المرطبات وبيع الجرائد وبعض المآكل ، وانتظام السير في القطارات والنظافة البالغة في أماكن الجلوس ، والسرعة التي تبلغ فيها ٦٠ كيلومتراً في الساعة . وقد أحصي عدد الركاب اليومي فبلغ مليونين . وقد شاهدت هذا الترتيب البديع عندما ركبت فيه مع رفاقي من المحطة المركزية الى المحطة القريبة من المفوضية السورية ولم نلحظ أثراً للضوضاء التي ترى عادة في مثل هذه الحال ، ولاحظنا بين الركاب احترام الشباب والشابات للمسنين والمسنات وللأطفال وتركهم لهم المقاعد في حال الازدحام .

هذا وإن الصرامة التي تطبق بها القوانين والأنظمة المسنونة قد جعلت الناس يتحاشون المخالفة ، فلم أر ولم أسمع خلال إقامتي في هذه البلاد عن أي حادث اصطدام أو دهس أو سواه مما يكثر حدوثه في البلاد الأخرى . وقد علمت أن إجازة السير التي تعطى الى السائق يتغاضى فيها عن إتيانه بثلاث مخالفات مدى قيامه في العمل يكتفي حيال هذه الثلاث بالجزاء النقدي أو تنزيل المرتب

الشهري ، وفي الإجازة الممنوحة إليه ثلاث دوائر صغيرة يحق للشرطي أن يثقب كل واحدة منها إثر اقتراف السائق إحدى المخالفات ومتى تم ثقب الدوائر الثلاث وأتى السائق بمخالفة رابعة سحبت منه إجازة السوق فوراً وما عليه بعدها إلا أن يرقب مصيره الجديد بأن يكسب قوته من عمل شاق آخر إن في بلده أو في أقصى مجاهل سيبريا .

وترتبط موسكو بالبلاد الأخرى بشبكة من سكك الحديد عددها ١١ خطاً توصل بينها وبين أقصى البلاد في الشرق . وإن من الخط الحديدي الذي دشن في مطلع عام ١٩٥٤ ما يوصل بين هذه العاصمة وبكين . وتنتهي هذه الخطوط أو تبدأ من محطات أقيمت في إحدى الساحات العامة وعددها ٩ بناؤها أشبه بالقصور ويختلف المظهر الخارجي في كل منها عن الآخر اختلافاً بيناً ، وإن من أقدم هذه المحطات محطة (Leningradsky) وقد سافرنا منها الى لينغراد ومضى على تشييدها أكثر من مائة عام وأحدثها محطة (Kazansky) وهي أوسعها وأضخمها تمتاز بما تحويه من غرف عديدة الانتظار مع وسائل الراحة الكاملة لآلاف من الركاب ولهذه المحطة فندقها الخاص في جانب المطعم الأنيق والمخازن المعدة لتنظيف الثياب ورفوها والوحدة الطبية التي تتألف من عدة أطباء وممرضات ومكاتب للبرق والهاتف والبريد وباعة المرطبات وغيرها .

ومحطات سكك الحديد لكل منها وسائل النقل المختلفة من حافلات كهربائية وباصات وخطوط مترو في جانب المواقف المخصصة لسيارة الأجرة العديدة .

والخطوط الحديدية التي تربط العاصمة وضواحيها مسيرة بالطاقة الكهربائية ، بينما الخطوط الطويلة لا تزال تسير بالوقود واستبدال هذه بالكهربائية آخذ بالامتداد سنة بعد أخرى وسيأتي وصف داخل هذه القطارات عند ذكر سفرنا من موسكو الى لينغراد والعودة منها .

وينضم الى وسائل النقل البرية المذكورة وسائل النقل النهرية التي تنشط في فصل الصيف ففي سنة ١٩٥٢ افتتحت القناة التي توصل بين نهري الولغا (Volga) ودون (Don) وبها تم ربط موسكو ببحار أوروبا الخمسة جاعلة إياها مرفأ لها . ومع شق هذه القناة فقد عُمق نهر موسكوا حتى أصبح صالحاً للملاحة النهرية ، وتوفرت به المياه الغزيرة التي تحتاج اليها العاصمة لأجل شؤون المدينة أو لمعاملها المختلفة ، وبالسدود السديدة التي أنشئت أمكن توليد الطاقة الكهربائية المستعملة في الشؤون المختلفة ، وتوفر نقل المحاصيل الزراعية والبضائع المختلفة بأقصر الطرق وأقلها كلفة .

(للبحث صلة)

الدكتور حسني صبح

أهل الكهف

في غرناطة ودمشق وبزنطية

وجدتُ ، أثناء اشتغالي بوضع فهرس عام للمخطوطات العربية في اسبانية ، مخطوطاً في المكتبة الوطنية بمدريد ، اسمه « كتاب الجغرافية في مساحة الأرض وعجائب الأصقاع والبلدان »[1] لم يثبت اسم مؤلفه عليه ، ولكن تبيّن لي من قراءة المخطوط أنه أُلِّف في القرن السادس الهجري . وقد ساق المؤلف فيه نصاً ذا شأن ، يدلّ على أن الرواية الشعبية في غرناطة وما جاورها ، في القرن السادس ، كانت تذكر أن بقرب غرناطة كهفَ الرقيم ، وأن فيه أهلَ الكهف . وقد لفت هذا النص انتباهي ، لأن الرواية الشعبية تذكر أيضاً في دمشق ، حتى أيامنا هذه ، أن أهل الكهف هم في سفح قاسيون ، كما أن المصادر المختلفة تذكر أن أهل الكهف هم في بزنطية أو غيرها من البلدان .

إن تعدّد مكان مقدّس واحد في بلدان مختلفة ظاهرة تثير الانتباه . وأكثر الأماكن تعدّداً ما كان له صبغة دينية مقدّسة كقبور الأنبياء ، وقبور بعض الصحابة ، وقبور بعض آل البيت .

ففي دمشق يوجد رأس يحيى بن زكريا ، وفي حلب أيضاً .

ويقولون إن في مسجد دمشق قبر هود ، ويذكر ياقوت أنه بحضرموت .

ويزعمون أن في الكثيب الأحمر ، قرب مسجد القدم ، قبر موسى ، ويقولون إنه في فلسطين .

---

(١) انظر : F. G. Robles, *Catalogo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Mabrid. p. 60*, No CXXI

ويجعلون قبر عائشة في قبة المال الغربية بمسجد دمشق ، وفي البقيع .
وقبر سُكينة بنت الحسين بدمشق وفي المدينة [١] .
الى غير ذلك من الأمثلة .

وتفسير ذلك أن كل بلدة من البلدان الإسلامية كانت تريد أن تختصّ بفضل يجعلها مباركة أو مقدّسة أو متقدّمة على غيرها . وهذا لون من ألوان التنافس بين البلدان الإسلامية الذي ظهر على أشكال مختلفة [٢] . فليس من الغريب أن تتعدّد أماكن الكهف فتدّعيه دمشق ، وغرناطة ، والبلقاء ، وبزنطية وغيرها .

ونودّ أن نقدّم هنا النصّ المتعلّق بكهف جبل شنيل قرب غرناطة ، ثم نقايسه بما ورد من نصوص تتعلق بكهف دمشق وكهف بزنطية .

قال مؤلف الكتاب :

« وفي أسفل هذا الجبل (هو جبل شنيل) ، من ناحية المغرب ، مدينةُ غرناطة عمرها الله . وهي مدينة عظيمة من أحسن بلاد الأندلس ، وبقرب منها باثني عشر فرسخاً الكهف الرقيم . وصورة هذا الكهف جُرُف عالٍ ..... وفيه خمس (كذا) أناس من بني آدم ، قد يبست جلودهم على أعظامهم ، إذا نقر من أحدهم ظنّ طنيناً كالنحاس ، قد تقشّر من بعض جلودهم شيء بتقليب الناس لهم ، إلاّ الأوسط منهم فإنه لم يقشر . والكل منهم قائم الذات لم ينفصل من أحدهم عظم واحد . وعند الأوسط منهم عظام كلب .

قال مؤلف هذا الكتاب : رأيتُ هذا الكهف عام اثنين وثلاثين وخمس مئة ، وعلى هؤلاء الأشخاص ملحفة من الكتان ، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية . وهم في خلقتهم أعظم ما يكون من الناس في هذا الزمان . وقد يبسوا . وأما (آخر ص ١٧ من المخطوط) حين كانوا أحياء كانوا والله أعلم في أعظم خلقة .

(١) انظر عن هذه الأمثلة ياقوت ، معجم البلدان (مادة دمشق) ؛ والهروي في الزيارات ؛ والربعي في فضائل الشام ودمشق ؛ والمدوي في كتاب الزيارات

(٢) انظر الوانا أخرى من التنافس في مقدمتنا لكتاب فضائل الشام ودمشق للربعي

قال المؤلف : قد عددتُ عظام هذا الكلب فلم ينقص شيء . ولقد رأيتُ في فِقار ظهره ثلاثة أو أربعة (كذا) منفصلة ، ومن مفاصله كذلك . ولولا تقليب الناس لهم ما تناثر من عظامهم <شيء> غير أنها لم تأكل الأرض منها شيء ...

وذكر أهل التاريخ : لما دخلوا المسلمين (كذا) الأندلس عام احدى وتسعين سألوا الروم عن الكهف والذين فيه . فقال علماء الروم والأساقفة : ما لنا بهم علم . غير أن آباءنا وأجدادنا أخبرونا أنهم لما دخلوا هذه البلاد سألوا أهلها عنهم ، فما كان فيهم من يعرف لهم خبرا ، وقالوا : هكذا وجدناهم حين دخلنا هذه الأرض ... ...

قال المؤلف : من أعجب ما رأيتُه ، ومن أغرب ما أبصرتُه في هذا الكهف ، أمرٌ إذا نُظر اليه بعين البصيرة ودُبّر بالعقل ظهر فيه برهان أهل الكهف . وذلك أنه اجتمع في مدينة لوشة — وهي على مقربة من هذا الكهف — أقوام من أهل الفساد ، فجعلوا جُعلاً لمن يمشي لهذا الكهف ويأتيهم بامارة واضحة . وكان هذا كله بالليل . فخرج منهم رجل من أهل غرناطة فقطع أذن الأوسط وأتى بها الى أصحابه . فعندما دخل عليهم بالأذن صاح صائح حتى ارتعدت له لوشة ولم يبق فيها صغير ولا كبير إلا استيقظ ، وصاحبُ الصوت يُنادي : قد قُطعتْ أذن يمليخا من أهل الكهف ، وارتجّت المدينة لذلك ، وأتى الناس كأنما قادهم قائد الى ذلك . فأخذوا الأذن منهم . وأخذ القومَ محمدُ بنُ سعادة ، وكان يومئذ صاحب الشرطة ، فضربهم بالسياط حتى هلكوا . فلما أصبح الله بخير الصباح سار محمدُ بن سعادة وجماعةٌ من الناس معه الى الكهف فوجدوا أذن الواحد منهم قد قُطعت ، وهو المعروف بيمليخا ، فخاطوها في موضعها ، وأمر محمد بن سعادة ببنيان الرقيم الذي كان على رأس الكهف . وذلك أنه كان عليه أثر مسجد قد دثر . فأقامه محمد بن سعادة وردّ محرابه الى القبلة .

وذلك في آخر عام اثنين وثلاثين وخمس مئة .. (آخر ص ١٨ من المخطوط) اهـ .

فيظهر من هذا النص أن الناس بلوشة وما جاورها كانوا يعتقدون أن هؤلاء أصحاب الكهف ، وأن محمد بن سعادة [١] صاحب الشرطة أعاد بناء الكهف والمسجد . وأن علماء الروم وأساقفتهم كانوا لا يعلمون من خبرهم شيئاً عندما دخل المسلمون الأندلس عام ٩١ هـ ، وإنما سمعوا من آبائهم وأجدادهم أنهم وجدوهم على حالتهم تلك . ومعنى ذلك أن نسبة المكان الى أصحاب الكهف ، واعتبار الموتى فيه أصحابَ الكهف المذكورين في القرآن من صُنع المسلمين أنفسهم بتأثير ما ورد في القرآن الكريم [٢] .

★

أما كهف دمشق في جبل قاسيون ، فما تزال الرواية الشعبية ، المتداولة على ألسنة العامة ، تذكر أنه الرقيم ، وأن فيه أصحاب الكهف . وقد جاءت النشرة الجديدة لتاريخ دمشق تبطل هذه الرواية .

ليس بين أيدينا نصوص تصف هذا الكهف وأصحابه ، إلا ما ذكره ابن عساكر [٣] . ومنه يظهر أن الكهف بُني في سنة ٣٧٠ هـ ، بناه أبو الفرج محمد بن عبد الله المعروف بابن المعلّم ، المتوفى سنة ٤١٠ هـ . وعندما عدّ أبو الحسين الرازي الآثارات بمدينة دمشق [٤] لم يجعله فيها لأنه لم يكن بُني بعد . وكان اسمه كهف جبريل وكهف محمد . وعندما بدأ المقادسة يسكنون جبل قاسيون

(١) ترجم له ابن الأبار في التكملة . رقم الترجمة ٧٤٦ . توفي محمد بن سعادة سنة ٥٦٦ هـ

(٢) ذكر ياقوت (مادة الرقيم) أن في برّ الأندلس أيضاً موضعاً يُقال له جنان الورد به الكهف والرقيم أيضاً ، وبه قوم موتى عدتهم ثلاثة عشر رجلاً .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (المجلدة الثانية ، القسم الاول) ص ١١١ — ١١٢ . (تحقيقنا)

(٤) المصدر السابق

كان الكهف فيما وجدوه في السفح [١] . ولم يسمّ قطّ في النصوص القديمة إلا كهف جبريل ، حتى في المصادر المتأخرة ، فقد ذكره النعيمي ثلاث مرات في التنبيه بهذا الاسم [٢] . وكذلك ذكره ابن طولون . أما سبب بنائه فرؤيا رآها ابن المعلم [٣] . وقد تحدّث هو بنفسه عن ذلك فقال :

« بالله أعتصم من الكذب ، وأسأله أن يُنطق لساني بالصدق . رأيتُ جبريل عليه السلام في المنام ، فقال لي : إن الله تعالى يأمرك أن تبني مسجداً يُصلّى فيه له ، ويُذكر اسمُه ، وهو هذا . فقلتُ : وأين هذا ؟ فسار الى هذا الموضع الذي أنا سميتُه كهف جبريل فقال : ها هنا . قلتُ : أنّى لي بذلك ؟ قال : إنّ الله تبارك وتعالى سيوفق لك من يُعينك عليه .

« قال أبو الفرج : وأنا سمّيتُه كهف جبريل عليه السلام ومسجد محمد ﷺ ، رأيتُهما في المنام فيه . وموضعٌ يُرى فيه جبريلُ ومحمد ... من أجلّ بقاع الأرض . وجبل دمشق هذا ما نبت شجرة قط ولا ظهر فيه ثمرة . فلما رأيتُ جبريل ومحمداً عليهما الصلاة والسلام أنبت الله تعالى ببركتهما الشجر ، وظهر فيه الثمر وأكل الناس ما لم يؤكل فيه قط . وصار مسجداً من مساجد الله تعالى يذكر فيه اسمه .. » اهـ .

فهذا النص يبطل الرواية الشعبية ، وأعتقد أن وجود كهف في جبل قاسيون ،

---

(١) ابن طولون ، القلائد الجوهرية ١ : ٤١ (تحقيق دهمان ، دمشق ١٩٤٩)

(٢) النعيمي ، تنبيه الطالب (طبع باسم الدارس في تاريخ المدارس ، بتحقيق الأمير جعفر الحسني) ، انظر الزاوية الداودية ، والزاوية العمادية ، والتربة الكاملية

(٣) انظر ترجمة ابن المعلم في الوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٣٢٢ (تحقيق ديدرنغ دمشق ١٩٥٣)

وتأثير القرآن في نفوس الناس دعاهما الى الاعتقاد بأن الكهف هو الرقيم (*) .

★

في بزنطية

أما كهف بزنطية فقد وردت عنه روايتان ، الأولى عن عُبادة بن الصامت في القرن الأول ، والثانية عن محمد بن موسى المنجم في القرن الرابع . وتختلف الروايتان في تحديد مكان الكهف . فيجعله عُبادة في جبل أحمر بالقرب من قسطنطينيّة ، وتجعله الرواية الثانية بين عُمورية ونيقية على عشرة أيام من طرسوس .

الرواية الأولى : يقول عبادة :

« بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، سنة استُخلف ، الى ملك الروم أدعوه إلى الإسلام أو آذنه بحرب . قال : فسرتُ حتى دخلتُ بلد الروم . فلما دنوتُ الى قسطنطينيّة لاح لنا جبل أحمر قيل إن فيه أصحاب الكهف والرقيم . فوصلنا الى دير ، وسألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل . فقلنا لهم : إنا نريد أن ننظر اليهم . فقالوا : أعطونا شيئاً . فوهبنا لهم ديناراً . فدخلوا ودخلنا معهم في ذلك السرب . وكان عليه باب حديد . ففتحوه ، فانتهينا إلى بيتٍ عظيمٍ محفور في الجبل ، فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود ، وعلى كل واحد منهم جبة غبراء وكساءٌ أغبر قد غطوا بها رؤوسهم الى أرجلهم ، فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أو وبر أم غير ذلك ، إلاّ أنها

(*) ليس الكهف هو الرقيم ، لا في القرآن الكريم ، ولا على ألسنة الناس ، بل قال المفسرون : الكهف : النقب المتسع في الجبل ، وما لم يتسع فهو غار ، قال القرطبي بعد أن سرد روايات في معنى الرقيم : ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث وذلك من نبل المملكة وهو قول مفيد . وهذه الأقوال مأخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم .
وكيف يكون الكهف نفس الرقيم في القرآن وقد عطف فيه الثاني على الأول ، والعطف يقتضي التغاير ؟ فالكهف غير الرقيم (لجنة المجلة)

كانت أصلب من الديباج . واذا هي تتقعقع من الصفاقة والجودة ، ورأينا على أكثرهم خفافاً الى أنصاف سوقهم وبعضهم منتعلين بنعال مخصوفة ، ولخفافهم ونعالهم من جودة الخرز ولين الجلود ما لم ير مثله . فكشفنا عن وجوههم رجلاً بعد رجل ، فاذا بهم من ظهور الدم وصفاء الألوان كأفضل ما يكون للأحياء ، واذا الشيب قد وَخَطَ بعضهم ، وبعضهم شبان سودُ الشعور ، وبعضهم موفورة شعورهم ، وبعضهم مطمومة ، وهم على زيّ المسلمين . فانتهينا الى آخرهم ، فاذا هو مضروب الوجه بالسيف ، وكأنه في ذلك اليوم ضُرب . فسألنا أولئك الذين أدخلونا عن حالهم ، فأخبرونا أنهم يدخلون اليهم في كل يوم عيدٍ لهم ، يجتمع أهل البلاد من سائر المدن والقرى الى باب الكهف فنقيمهم أياماً من غير أن يمسّهم احد ، فننفض جيابهم وأكسيتهم من التُراب ، ونقلّم أظافيرهم ، ونقصّ شواربهم ثم نُضجعهم بعد ذلك على هيئتهم التي ترونها . فسألناهم : مَنْ هم وما أمرهم ومنذ كم هم بذلك المكان ؟ فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم بمكانهم ذلك من قبل مبعث المسيح عليه السلام بأربعمائة سنة ، وأنهم كانوا أنبياء بُعثوا بعصر واحد ، وأنهم لا يعرفون من أمرهم شيئاً . »[1]

إن هذه الرواية منقولة عن عبادة بن الصامت . وعُبادة هو ـ كما هو معروف ـ أحد النقباء الاثني عشر . ويذكر ابن سعد[2] انه « خرج الى الشأم حين غزاها المسلمون فلم يزل بالشأم الى أن توفي » في الرملة من أرض الشام سنة أربع وثلاثين . وورد أنه ذهب الى فلسطين ، أرسله اليها عمر ليعلّم أهلها القرآن فأقام بها الى أن مات[3] . وذكر أن عمر وجهه الى الشام قاضياً ومعلماً

(١) انظر ياقوت ، معجم البلدان (مادة الرقيم)
(٢) ابن سعد ، الطبقات ٣ / ٢ : ١١٣
(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥ : ١١٢

فأقام بحمص ثم انتقل الى فلسطين ومات بها[١] ولكننا لم نجد من ذكر أمر إرساله الى ملك الروم .

وأما الرواية الثانية فنقلها محمد بن موسى - وكان الواثق وجهه الى بلاد الروم للنظر في أصحاب الكهف - قال : فوصلنا الى بلد الروم ، فاذا هو جبل صغير قدر أسفله أقل من ألف ذراع ، وله مسرب من وجه الأرض ، فتدخل السرب فتمر في خسف من الأرض مقدار ثلاث مئة خطوة فيُخرجك الى رواق في الجبل على أساطين منقورة . وفيه عدة أبيات منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة عليها باب حجارة فيه الموتى ورجل موكّل بهم يحفظهم معه خصيّان ، واذا هو يحيدنا عن أن نراهم وننفشهم ويزعم أنه لا يأمن أن يصيب من التمس ذلك آفة في بدنه . يريد التمويه ليدوم كسبه . فقلت : دعني أنظر اليهم وأنت بريء . فصعدتُ بمشقة عظيمة غليظة مع غلام من غلماني فنظرت اليهم ، وإذا هم في مُسوح شعر تتفتت باليد واذا أجسامهم مطلية بالصبر والمرّ والكافور ليحفظها ، وإذا جلودهم لاصقة بعظامهم . غير أني أمررتُ يدي على صدر أحدهم فوجدتُ خشونة شعره وقوة ثيابه . ثم أحضرنا المتوكل بهم طعاماً وسألنا أن نأكل منه ، فلما أخذناه منه ذقناه وقد أنكرت أنفسنا وتهوّعنا ، وكأنّ الخبيث أراد قتلنا ، أو قتل بعضنا ليصحّ له ما كان يموّه به عند الملك أنه فعل بنا هذا الفعل أصحابُ الرقيم . فقلنا له : إنا ظننا أنهم أحياء يشبهون الموتى وليس هؤلاء كذلك . فتركناه وانصرفنا[٢] .

وهذا النص لا يذكر عدد أصحاب الرقيم ولا يذكر كلبهم . فضلاً عن أن قول محمد بن موسى « ظننا أنهم أحياء يشبهون الموتى » يشعر بأنهم لم يؤمنوا بأنهم أهل الكهف .

(١) ابن العماد ، شذرات ١ : ٤٠
(٢) ياقوت ، معجم البلدان (مادة الرقيم)

وإذا استبعدنا دمشق ، لأن النص الذي نقلناه واضح أن الكهف الذي في جبلها كهف جبريل ، نجد أن النصوص التي نقلناها عن كهف غرناطة ، و كهف جبل الورد ، و كهفي بزنطية متضاربة . تتضارب في عدد الموتى ، ووجود الكلب وفقدانه ، وملابس الموتى ، وهيئاتهم ، وأماكن وجودهم . ولقد أنكر ياقوت ـ مثلاً ـ أن يكون عددهم ثلاثة عشر فقال : والصحيح أن أصحاب الكهف سبعة ، وإنما الروم زادوا الباقي من عظماء أهل دينهم وعالجوا أجسادهم بالصبر وغيره على ما عرفوه .. »

وكل ذلك يدل على أن مكان وجود الكهف غير ثابت . وأغلب الظن أن المسلمين ، كانوا ، بتأثير القرآن الكريم ، يحسبون كل كهف وجدوه في بلد من البلدان رقيماً ، ويظنون الموتى الذين يصادفونهم في الكهوف والمقابر الرومانية القديمة أصحاب الكهف المذكورين في القرآن . ومن هنا تعددت الأماكن ، وتعدد أصحاب الكهف .

الدكتور صلاح الدين المنجد

ياقوت الكلام في ما ناب الشام

لابن حجة الحموي

المقدمة

وقعت الفتنة عام ٧١٩ هـ بين الملك الظاهر برقوق [١] وبين نائب حلب يلبغا الناصري الذي انضم اليه تمربغا الأفضلي المدعو منطاش نائب ملاطية . وتفاقم أمر العصاة حتى انهم تقدموا الى القاهرة وخلعوا السلطان وسجنوه في قلعة الكرك . ثم أعيد الصالح حاجي بن الأشرف للسلطنة ولقب بالمنصور . واختلف منطاش مع يلبغا ؛ فبينما كان الأول يود أن يأمر بقتل برقوق في سجنه ، كان الثاني يعارض في ذلك ولم يلبث يلبغا أن سُجن بأمر منطاش .

واستطاع السلطان برقوق أن يتخلص من سجنه ليجمع الأعوان ، وسار يريد دمشق . فهزم متولي نيابتها جنتمر أخو طاز بشقحب [٢] قرب دمشق ، واستمال كثيراً من أمراء الشام فانحازوا اليه ، وصار في عسكر كبير فنزل على قبة يلبغا وقد امتنع أهلها بها وبالغوا في تحصينها فحصرها وأحرق القبيبات وخربها ، وأهلك خلقاً كثيراً ، وجدّ أهل المدينة في قتاله ، واستمر جنتمر يقاوم من القلعة .

وعندما ورد الخبر الى منطاش خرج من القاهرة ومعه الخليفة والسلطان المنصور والقضاة والعلماء والجند ، فاضطر برقوق أن يترك حصار دمشق ليصدم العسكر

---

(١) برقوق أول سلاطين دولة المماليك الشراكسة تولى الحكم سنة ٧٨٤ هـ وتخلى عن العرش حاجي بن الأشرف آخر ملوك المماليك البحرية . وتوفي برقوق سنة ٨٠١ هـ انظر السلوك .

(٢) انظر السلوك للمقريزي منسوخ سنة ١٣٤٧ هـ على نفقة دار الكتب المصرية عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة لديها برقم ٤٥٥ .

المصري . ودارت الدائرة عليه أولاً ثم أتيحت له فرصة فريدة فاستولى على خيمة الخليفة والسلطان ، وعاملهما بالحسنى ، وانضم اليه الجند من كافة النواحي فأمرع بالعودة الى مصر حيث أفرج عن بلبغا ، وأرسله لقتال منطاش وعينه أميراً على دمشق .

وسار الظاهر برقوق الى دمشق وكان يحاصرها منطاش فأسرع هذا بالفرار ودخل السلطان المدينة بحفاوة بالغة لأنه أعلن العفو عن كل الناس ، ثم تقدم الى حلب حيث خان رئيس البدو حليفه منطاش ، فسلمه الى السلطان فعذبه بالكي حتى مات سنة ٧٩٥ هـ .[١]

وتتضمن هذه الرسالة المقروءة على المؤلف ابن حجة الحموي وصفاً رائعاً للحريق الكبير الذي أصاب دمشق أثناء الحصار الذي ضربه عليها السلطان برقوق كما تقدم ذكره . وقد أرسل الرسالة الأصلية الى فخر الدين بن مكانس[٢] ناظر دولة المماليك الشراكسة في القاهرة .

والرسالة تعطينا صورةً حية نادرة المثال ، واضحة مؤثرة عن فاجعة الحريق الذي أصاب دمشق الجميلة ومحلاتها ، وأنهارها ، ومتنزهاتها ، وينتقل إلى رثائها ومقابلة حالتها الحاضرة المحزنة بما كانت عليه من عيش رغيد ، وظل مديد ، وماء كثير . والمؤلف برعَ خلال وصفه في إيراد صور بديعية تحفز الحنين والوجد ، وتلملم الذكريات الممتعة الكامنة في نفسه .. فيطوف في دروبها ضائع الخطى ، يحبس اللهفة ، ويبث القارئ شكواه وتشاويقه . وقد ذكر ابن العماد الحنبلي هذه الرسالة في الشذرات فقال فيها إنها (مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها .)[٣] . غير أنه يجعل تاريخ الحريق في شعبان سنة ٧٩٤ هـ بينما الرسالة تذكر أنه كان في سنة ٧٩١ هـ والصحيح

(١) نفس المصدر ٣ : ٥٦٩ وما يليها
(٢) اغتيل بالسم سنة ٧٩٤ هـ انظر السلوك ٣ : ٥١٤ والشذرات ٦ ، ٣٣٤
(٣) شذرات الذهب ٣ : ٣٣٢ القاهرة ١٣٥١ هـ

ما ذكره ابن حجة لأنه شاهد عيان معاصر ، كما أن المقريزي في السلوك وابن أياس في تاريخ مصر يجعلانه في سنة ٧٩١ هـ .[١] .

يصل كاتب الرسالة ابن حجة الى دمشق فيرى الخريق ؛ ويطوف بظاهر البلد مبتدئاً من قبة يلبغا ويمماً الى الشمال من البلد ، وينحرف الى الشرق فالجنوب منها ويصف أثناء ذلك حالة القلعة والفراديس والسبعة والباب الشرقي فباب كيسان فالباب الصغير ويعود من حيث بدأ .

ثم يذكر الأنهار وانقطاعها والربوة والشرف والوادي . وأخيراً يدخل البلد ليرى المسجد الجامع الأموي ومأذنته العروس وباب البريد ويدور حول المسجد ويسرد أحوال أهل المدينة في كل محلة يمر بها بأسلوب جميل مسجع يحتوي ضروباً من الاستعارة والتورية والجناس والمقابلة والاقتباس والمجاز .... والسجع جعله لا يراعي النحو في نهاية العبارة مما يلحظه القارئ بسهولة .

أما مؤلف الرسالة فهو تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ، أديب وشاعر كبير ولد بحماة سنة ٧٧٧ هـ وقدم دمشق ومدح أعيانها واتصل بخدمة نائبها الأمير شيخ المحمودي وقدم صحبته القاهرة . فلما تسلطن قرّبه وجعله من ندمائه ، وعظم في الدولة ومات في حماة سنة ٨٣٧ هـ على ما يذكر ابن العماد[٢] .

وقد اعتمدت في نشر هذه الرسالة على النسخة الفوطوغرافية منها الموجودة في خزانة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة والمنقولة عن الأصل الموجود في مكتبة (خدابخش تبنة) بالآستانة .

وتقع الرسالة في ثماني ورقات من القطع الصغير ، في كل صفحة (١٩ سطراً) وطول السطر (٧ سنتمترات) وهي بقلم محمد بن أحمد الملا الحلبي في القرن العاشر أو الحادي عشر . وقد جهدت ، ما وسعني ، إلى إيضاح النص وإثبات ما يحتاج شرحه من الكلمات في ذيل كل صفحة .

أحمد طربين

(١) انظر السلوك وابن اياس ١ : ٢٨٢
(٢) انظر الشذرات ٧ : ٢١٩

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال أخبرنا الشيخ أبو بكر بن علي المعروف بابن حجّة الحموي ، قراءةً عليه ، وكتب بها الى القاضي فخر الدين بن مكانس بالقاهرة ، وسماها (ياقوت الكلام فيما ناب الشام) وذلك حين كان الملك الظاهر برقوق يحاصر دمشق سنة احدى وتسعين وسبعمائة وحرقت في حصاره المذكور ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ [١] يقبل الأرض التي من يمّمها أو تيمّم بثراها حصل له الفخر والمجد . فلا برح هيام الوفود إلى أبوابها أكثر من هيمان العرب إلى ربا نجد . ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها وتركض في ذلك المضمار . وتهيم بواديها الذي يجب أن تُرفع فيه على أعمدة المدائح بيوتُ الأشعار . وتُنهي بعد أشواق أمست الدموع بها في محاجر العين مُعْثَرَة ، ولو لم يقرأ إنسانها برسلات الدمع لقلت في حقه ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [٢] ، وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيالبته قُبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول . ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول . فنظر المملوك إلى قبة يلبغا [٣] وقد طار بها طير الحمام (١ آ) وجثت حولها تلك الأسود الضارية ، فتطيرت في ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية . ودخلت بعد ذلك الى القبيبات [٤] التي صغر اسمها لأجل التحبيب ، فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنساً بحبيبه فأنشده لسان الحال : « قفا نبكِ من ذكرى حبيب » [٥] . ونظرت بعد القباب الى

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٥٨
(٢) سورة عبس ٨٠ : ١٧
(٣) قبة ظاهر دمشق ، السلوك ٣ : ٢٦٩
(٤) القبيبات محلة الميدان الفوقاني اليوم
(٥) مطلع معلقة امرىء القيس

المصلى [١] وما فعلت به سكان تلك الخيام [٢] . والتفت الى بديع بيوته التي حسن بناء تأسيسها وقد فسد النظام .

فسالَ ، وقد وقفتُ ، عقيقُ دمعي على أرض المصلى والقباب

ونظرتُ الى ذلك الوادي الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا . فتوهمت أن وادي المصلى [١] قد تبدل بوادي الغضا .

فسقى الغضا والساكنيه وإن همُ شبوه بين جوانح وقلوب [٣]

ونظرت إلى النار وقد أرادت سبي ذلك النادي فشفت عليه من فوارس الغارة . ولقد كان والله ربيعاً لسرح العيون فلم يبق به ربيع ولا عمارة . وركضت في ميدان الحصا [٤] فوجدت اركانه كما قال تعالى ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [٥] . ودخلت قصر الحجاج [٦] وقد مدت به النار من ضرورة في موضع القصر . وأصبح أهله في خسر ، وكيف لا وقد صار عبرة لأهل العصر . وتأملت تلك الألسن الجرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع وكلت السكان . وتطاولت بألسن الألسنة وانغنام [٧] الأتراك فاندهش أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان . ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه في سورة (١ ب) الدخان . فوجب بأن أجري الدمع على وجيب كل ربع وأنشد ، وقد دخل صبري بعد إنّ في خبر كان :

---

(١) محلة باب المصلى في الميدان اليوم ، انظر دمشق القديمة للمنجد

(٢) سكان الخيام يعني المحاصرين من عسكر برقوق

(٣) للبحتري في مدح يعقوب بن أسحق النوبختي ، ديوان البحتري ص ٥٧ مطبعة هندية بمصر سنة ١٩١١

(٤) ميدان كان جنوبي الباب الصغير وسميت محلة الميدان باسمه

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٤

(٦) محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية منسوب للحجاج بن عبد الملك بن مروان معجم البلدان لياقوت طبعة وستنفلد ج ٤ ص ١١

(٧) انغنام من الغنمة وهي السجعة في المنطق (القاموس المحيط)

«دمعٌ جرى فقضى في الربع ما وَجبا» (١)

ووقفت أندبُ على عرصاتها التي قمحت بالبين فخابت من أهلها الظنون . وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدق المثل بأن القمح يدور ويجيء الى الطاحون . وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين (٢) وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد . ﴿آتوني زبر الحديد﴾ (٣) . ولقد كان يوم حريقها ﴿يوماً عبوساً قمطريراً﴾ (٤) . وضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا ﴿سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾ (٥) . هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ، ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك من الإقامة بمصر فأنشدت من شدة الكرب :

آهاً لمصر أين مصر وكيف لي بديار مصر مراتعاً وملاعبا
والدهر سِلْمٌ كيف ما حاولته لا مثلُ دهري في دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق في هذا المأتم السواد . وطُبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسُلقوا من الألسنة بألسنة حداد .

ولقد نسفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة لغادية . وكم رؤي في ذلك اليوم ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾ (٦) . وكم أرجل تلا عند لهيب بيته ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ (٧) وخرج هارباً ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ (٨) وشكى الناس من شدة الوهج (٢آ) وهم في الشتاء وصاروا من هذا الأمر يتعجبون . فقال لهم لسان النار أتعجب من الوهج والحريق

(١) صدر بيت للمتنبي في مدح المغيث العجلي – العرف الطيب للبازجي ص ٩٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٢
(٢) محلة تحت القلعة
(٣) سورة الكهف ١٨ : ٩٧
(٤) سورة الدهر ٧٦ ، ١٠
(٥) سورة الدهر ٧٦ : ٤
(٦) سورة الغاشية ٨٨ : ٣
(٧) سورة تبت (اللهب) ١١١ : ١
(٨) سورة تبت (اللهب) ١١١ : ٤

هو في كانون ؟ ولعمري لو عاش ابن نباتة [١] ورأى هذا الحال وما تم على أهل دمشق في كانون لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال :

يا لهف قلبي على وادي دمشق ويا حزني عليه ويا شجوي ويادائي
في شهر كانون وافاه الحريق لقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائي

ونظرت بعد ذلك الى القلعة [٢] المحروسة وقد قامت قيامة حربهـا حتى قلنا ﴿أزفت الآزفة﴾ [٣] . وقد ستروا بروجها من الطارق [٤] بتلك الستائر وهم يتلون ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ [٥] . واستجليت عروس الطارمة [٦] عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الأرواح مهر . وقد أقعدت على رأسها تلك العصائب [٧] وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الأبيض سوار النهر . وغازلت بحواجب [٨] قسيّها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال . وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالاً كانت السهام لها أميال . وطلبها كل من المحاصرين وقد علا دست الحرب وسمح وهو على فرسه بنفسه الغالية . وراموا كشفها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عالية . وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرص في الاسحار ، وقد استيقظوا لحمل قسيّهم ولم تنم أعينهم عن الأوتار . فأعيذُ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسّس المحجوج [٩] . وأحصنّها قلعة بـ ﴿السماء ذات البروج﴾ (٢ ب)

(١) ابن نباته هو خطيب سيف الدولة الحمداني . انظر الشذرات
(٢) قلعة دمشق
(٣) سورة النجم ٥٣ : ٥٨
(٤) الطارق إشارة إلى العدو الحاصر « وفيه تورية بسورتي البروج والطارق »
(٥) سورة النجم ٥٣ : ٥٧
(٦) الطارمة بيت كالقبة من الخشب وهي من الفارسي المعرب ـ محيط المحيط وتاج العروس ويريد هنا مئذنة القلعة
(٧) العصائب ج عصابة : جماعة المحاربين في القلعة
(٨) حواجب قسيّها : المجموعة خلف الفجوات في القلعة
(٩) المحجوج أي المقصود وهنا البيت العتيق (الكعبة) .

وتطاولتُ إلى السور المشرّف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات . فما وقفنا له على باب إلا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح [1] تلخيصاً لما أبداه من المشكلات . فقلت ما أحقه بقول من قال :

فضائله سور على المجد حائط وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصره . ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبَخ لهم على كل باب قدرَه . فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ﴿ ونُفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾ [2] وإلى المحاصرين وقد جاؤوا راجلاً وفارساً ليشهدوا القتال لقلت ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ [3] ، وإلى كواكب الأسنة وقد انتثرت ، وإلى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت ، وإلى كرّ الفوارس وفرّها لقلت ﴿ علمت نفس ما قدّمت وأخرت ﴾ [4] . وإلى نار النفط وقد نفطت [5] . من غيظها . وإلى ذكور السيوف وقد وضعت المنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها .

ومن العجائب أن بيض سيوفهم تلد المنايا السود وهي ذكور

وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء ، وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء ، وإلى كل هارب سُلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع ، وإلى كل مدفع وقد وجد له عند حكم القضاء دافع ، وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق . فاستصوبت عند ذلك رأي من قال : عرج ركابك (٣ آ) عن دمشق [6] . ونظرت بعد ذلك

(١) المفتاح : مفتاح العلوم للسكاكي والتلخيص هو تلخيص المفتاح للخطيب القزويني وفي الكلام توربة
(٢) سورة قٓ ٥٠ : ٢٠
(٣) سورة قٓ ٥٠ : ٢١
(٤) سورة الانفطار ٨٢ : ٥
(٥) نفَط ينفُط أي غضب أو احترق غضباً (تاج العروس)
(٦) اشارة إلى البيتين المشهورين :

عرّج ركابك عن دمشق فانها بلد تذل له الأسود وتخضع
ما بين (جابيها) و (باب بريدها) قمر يغيب وألف شمس تطلع

إلى العشير وقد استحل في ذي الحجة المحرم ، وحمل كل قيسي يمانياً [١] وتقدم ، فجزع النساء وقد أنكرت منهم هذا الأمر العسير . فقلت غير بدع للنساء إذا أنكرن العشير . وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر [٢] فعوذته بالإخلاص [٣] وزدت شكراً وحمداً . وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد في سورة الفتح والمحاصرين ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ﴾ [٤] . كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة ﴿ وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [٥] . ونظرت الى ما تحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلاً قد محت النار آثاره . وأهلها يتلون ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ﴾ [٦] . فما منهم إلا من همى شأنه [٧] على ﴿ صاحبته وبنيه ﴾ [٨] . وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله تعالى ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ [٩] . فوقفت أنشد في تلك الأسواق : « ألا موت يباع فأشتريه » . ونظرت إلى المؤمنين الركع السجود . وهم يتلون على من ترك في بيوتهم أخدوداً من وقود ، وقد سُعِّرت النار وقعد لحريهم في ذلك اليوم المشهود : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ [١٠] . هذا وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار .

---

(١) السيف اليماني

(٢) غربي دمشق وكان اسمه باب الجنان لما يليه من البساتين . انظر مخطط دمشق القديمة للمنجد

(٣) سورة الإخلاص : ١١٢

(٤) سورة يس ٣٦ : ٩

(٥) سورة الحديد ٥٧ : ١٣

(٦) سورة الجمعة ٦٢ : ١١

(٧) الشأن مجري الدمع من العين وهمى سال .

(٨) سورة عبس ٨٠ : ٣٦

(٩) سورة عبس ٨٠ : ٣٧

(١٠) سورة البروج ٨٥ : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾ [١] . ونظرت إلى ضواحي البلد وقد استدت في وجوههم المذاهب (٣ ب) فلم يجدوا لهم من الضيق مخرج . ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ [٢] لما غلق في وجوههم باب الفرج [٣] . فقلت : اللهم اجعل لهم من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ولعدم أموالهم من كل عسر يسراً ، ولانتهاك محذراتهم من كل فاحشة ستراً ، ولقطع الماء عنهم إلى كل خير سبيل . فالله حسبنا ونعم الوكيل . هذا وكم نظرت إلى سماء ربع غربت شمسه بعد الإشراق فأنشدت وقد ازددت كرباً من شدة الإحراق :

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنتَ الشرقَ للشمس والغربا

وانتهيت إلى الطواقيين [٤] وقد أسبل عليهم الحريق قندسه [٥] فكشفوا الرؤوس لعالم السرائر . وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بغبنه دائر . هذا وكم ناهدات

أسبلن من فوق النهود ذوائبا فتركن حبات القلوب ذوائبا

ووصلت إلى ظاهر الفراديس [٦] وقد قام كل منهم إلى فردوس بيته فاطلع في سواء الجحيم . واندهشت لتلك الأنفس التي ماتت من الخوف وهي تستغيث لـ ﴿ الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ [٧] . ونظرت إلى

(١) سورة المؤمن ٤٠ : ٤١

(٢) سورة التوبة ٩ : ٢٦

(٣) باب المناخلية اليوم ، انظر دمشق القديمة للمنجد

(٤) الطواقيين : باعة الطواقي وكان لهم محلة في جنوب الجامع الاموي

(٥) القندس من الفارسي المعرب وهو حيوان يتخذ من جلده فرو تلبسه الأروام على رؤوسها — شفاء الغليل للخفاجي ١٦٥

(٦) محلة الفراديس شمال دمشق وباب الفراديس هو باب العمارة والمحلة هي محلة العمارة (ابن عساكر ٢ : ١٨٦)

(٧) سورة يس ٣٦ : ٧٩

باب السلامه[١] وقد أخفت النار أعلامه . ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال في الصحة والسلامه . وإلى الشلاّحة[٢] وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود . وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الأرض ونضجت منهم الجلود . ولقد والله عدمت لذة الحواس الخمس وضاقت عليّ الجهات الست فلم ترقَ لي دمعة . وأكلت الأنامل من الأسف لما سمعت (٤آ) بحريق أطراف السبعة[٣] . فأعيذ ما بقي من السبعة بالسبع ﴿المثاني والقرآن العظيم﴾[٤] فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾[٥] وتغربت إلى ظاهر الباب الشرقي[٦] فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب . ولقد كان أهله من دار عنبه وكرومه الكريمة في ﴿جنتين من أعناب﴾[٧] . وتوصلت إلى ظاهر كيسان[٨] فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رياها . وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت ﴿باسم الله مجراها﴾[٩] وكابرت الى أطراف الباب الصغير[١٠] فوجدت فاضل النار لم ﴿يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[١١] . فيالهفي على عروس دمشق التي

(١) من شمال دمشق ، سمي بذلك تفاؤلاً لأنه لايتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار ، ابن عساكر ج ٢ ص ١٨٦ . ثم عرف بباب السلام ويسمى بباب الفراديس الصغير ، محاسن الشام للبدري ص ٢٦

(٢) شمال القيمرية اليوم ، انظر مخطط دمشق القديمة للمنجد

(٣) محلة في شرق مسجد القصب تسمى محلة السبعة أنابيب القديمة

(٤) سورة الحجر ١٥ : ٨٧

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٨٤

(٦) سمي بذلك لأنه شرق البلد ، ابن عساكر ج ٢ ص ١٨٥

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٣٢

(٨) محلة في الشرق الجنوبي من البلد ، انظر مخطط دمشق القديمة للمنجد ، وكيسان هو مولى معاوية ، محاسن الشام ٢٤

(٩) سورة هود ١١ : ٤١

(١٠) سمي بذلك لأنه أصغر أبواب دمشق حين بنيت ، يقع في جنوب البلد ، محاسن الشام للبدري ٢٤

(١١) سورة الكهف ١٨ : ٥٠

لم يذكر مع محاسنها أسماء ولا الجيداء [١] . لقد كانت ست البلاد فاستعبدها ملك النار حتى تركها جارية سوداء . ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام . وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدي الغمام ، فاستسقيت لها بقول ابن أسعد الموصلي :

سقى دمشق وأياماً مضت فيها مواطرُ السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه حواملُ المزن في أحشا أراضيها
فما نضا حبَّه قلبي لنيرَبها ولا قضى نحبَه ودّي بواديها
ولا تسليتُ عن سلسالِ ربوتها ولا نسيت مبيتي جارَ جاديها [٢]

هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها إلى ﴿ربوة ذات قرار﴾ [٣] وكم كان بها يطرب طير جرح بعد ما كان يطرب على عود وطار . وبطل الجنك [٤] (٤ ب) لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبق له معنى . وكسر الدف [٥] لما خرج نهر المغنية عن المعنى . واستسمج الناس من قال [٦] :

انهضْ الى الربوة مستمتعاً تجدْ من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده في الروض بين الجنكِ والدف

وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة . ولقد كان أهلها في ﴿ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة﴾ [٧] فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم . وضاع من غير تورية عطره الناسم . ولم ينتظم الزهر المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم سحرية . وكيف لا وقد نُحي سَجْعُ المطوّقِ [٨]

(١) جيداء : طويلة العنق حسنته تاج العروس ٢ : ٣٣٣
(٢) الجادي : الزعفران ـ تاج العروس
(٣) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥١
(٤) من متنزهات دمشق في غربي المدينة ـ غوطة دمشق لكرد علي ص ٧٢
(٥) من متنزهات دمشق في غربي المدينة ـ غوطة دمشق لكرد علي ص ٧٢
(٦) للشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ـ محاسن الشام ص ٨٧
(٧) سورة الواقعة ٥٦ : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
(٨) سجع : ترجيع الحمام . المطوّق من الحمام : نوع له مايشبه الطوق على عنقه

من طروس تلك الأوراق النباتية . وكم عروس زهر قعد لمعصمها النقش فلما انقطع عنها النهر صحّ أنها قشرت السوار . وكم دولاب نهر [١] كان قد حسن غناه على تشبيب النسيم بالقصب وهو في تلك الأدوار . فوقفت أندب ذلك العيش الذي كان بذلك التشبيب موصول . وأنشد ومُنْهَلٌ دمعي قد ترك القلب مثله معلول :

لم لا أشبّب بالعيش الذي انقرضت أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص يزيد [٢] فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه . وانقطع ظهر ثورا [٣] فأهلك الحرث والنسل بقطعه . وذاب بَرَدا [٤] وحمي مزاجه لما شعر بالحريق . ولم يبق في ثغره الأشنب بدر حَصبائه ما يبل الريق . وانقطع وقد اعتل من غيظه باناس [٥] ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بانَ آس . وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات [٦] . وكسرت قناة (٥ آ) المزة [٧] فذاقت من العيش المرّ بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات . وكُسر الخلخال [٨] لما قام الحرب على ساقه . وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه . وخرّ نهر حميص خاضعاً وتكدر بعده ما كان يُصفي لنا قلبه . وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لا يملكون حبّه . طالما كان أهله به فاكهين . ولكنهم ﴿ اعترفوا بذنبهم ﴾ [٩] فقالوا ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ [١٠] .

(١) دولاب نهر – ناعورة
(٢) نهر يزيد معروف ينفصل عن بردى قرب قرية الهامة ١٢ كم من دمشق . ويزيد الثانية – يزيد بن معاوية
(٣) نهر ثورا أو ثورة ينفصل عن بردى قرب الشاذروان ، خطط دمشق ٣٠
(٤) نهر بردى
(٥) نهر باناس أو بانياس ينفصل عن بردى قرب الربوة – الخطط ٣٤
(٦) نهر القنوات ينفصل عن بردى قرب الشاقروان
(٧) نهر قناة المزة ينفصل عن بردى في قرية دمر ويسقي قسماً من المزة الخطط ٣٤
(٨) الخلخال نهر عند باب السريجة اليوم
(٩) سورة الملك ٦٧ : ١١
(١٠) سورة المدثر ٧٤ : ٤٥

وذبلت غصون تلك الجزيرة [١] . التي كانت على وجنات شطوطه مستديرة . فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها : لا حاجة لنا بحمص والجزيرة . فيالهفي على منازل الشرف [٢] وذلك الوادي [٣] الذي نعق به غراب البين . ويا شوقي إلى رأس تلك المرجة [٤] التي كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين .

هذا وقد اسودت الشقراء [٥] وأمست كاسفة لما حصل على ظهرها من الجولان . وجانسها العكس فأضحت باكية على فراق الأبلق [٦] وأخضر ذلك الميدان [٧] .

ويا مولانا لقد بكى المماليك من الأسف بدمعة حمراء على ما جرى من أهل الشهباء [٨] في الميدان على الشقراء حتى كذّب الناس من قال :

قل للذي قايس بين حلب وجلّق بمقتضى عيانها
ما تَلْحَقُ الشهباءُ في حَلْبتها تَعثُّرَ الشقراء في ميدانها

فقال لسان الحال : والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد ، ويكبو الجواد ، وقد يصاب الفارس بالعين التي تغمز قناته غمزا

ومن ظن أن سيلاقي الحروب [و] أن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

ودخلت بعد ذلك الى (٥ ب) البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينة . فقلت : يا رب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينة . ولكن ما دخلت لما الى حمّام إلا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حِماماً . وعلم القوّام والقاعدون

(١) الجزيرة هي المكان القائم اليوم في محلة المرجة (ساحة الشهداء)
(٢) الشرف لعله يقصد هنا الشرف الأعلى حيث يقوم اليوم المشتل الزراعي والتجهيز الأولى للذكور .. أما الشرف الأدنى فيقوم عليه المستشفى الوطني وكليات الجامعة ودار الآثار والتكية (انظر غوطة دمشق لكرد علي)
(٣) وادي الربوة
(٤) المرجة الخضراء : الملعب البلدي اليوم
(٥) الشقراء محلة مطلة على المرجة الخضراء : انظر غوطة دمشق ص ٥٠ والبدري ٧٤
(٦) الأبلق هو القصر الأبلق بناه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ على ماروي ابن طولون المتوفى سنة ٩٣٥ وكان قد رآه . انظر غوطة دمشق ص ٢٥ .
(٧) يقصد ميدان المرج المشوشب .
(٨) الشهباء : حلب

بأرضه انها ﴿ ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ [١] ، وتلي على بيت ناره ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً ﴾ [٢] ، فحسن أن أنشد قول ابن الجوزي [٣] رحمه الله تعالى :

الحار عندك بارد والنهر عندك منقطع
والعين ما ماء فيها إيش يعمل القوام

وأميت بعد ذلك الى الجامع الأموي فإذا هو لأشتات المحاسن جامع . وأتيته طالباً لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع . وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحرية . وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبية . وآنست من جانب طوره ناراً فرجع الي ضياء حسي . واندهشت لذلك الملك السليماني وقد زها بالبساط والكرمي . وقلت هذا مُلك سَعِد من وقف في خدمته خاشعاً . وشقي من لم يدس بساطه ويأتيه طائعاً . ولقد صدق من قال :

أرى الحسن مجموعاً بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة [٤] مفتوح

معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته . ورأيته من شدة الظمأ وقد قويت من ضجيج المسلمين أنّاته ، وخفض النسر [٥] جناح الذل وود

(١) سورة الفرقان ٢٥ : ٦٦
(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٦٩ . وردت في الأصل قلنا نار .
(٣) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الواعظ المتفنن صاحب التصانيف الشهيرة في أنواع العلم ونظم الشعر المليح توفي سنة ٥٩٧ هـ . شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٩
(٤) باب الزيارة : قبلي المسجد الأموي وكان يسمى باب الساعات كانت عليه . مسجد دمشق ، المنجد ص ٢٥ . وهذان البيتان من شعر الشيخ جمال الدين محمد ابن نباتة ، محاسن الشام ص ٤٦
(٥) النسر يريد قبة الأموي الكبرى شبهوها بالنسر في شكله لأن الروافات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها ، محاسن الشام للبدري ص ٣٦

بأن يكون النسر الطائر . وطمست مُقَل تلك المصابيح فاندهش (٦ آ) لذلك الناظر . هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ولم تجد له بعد اكسير الماء جابر . واختفت نجوم تلك الأطباق التي كانت كالعلائق في جيد الفسق . ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت ﴿طبقاً عن طبق﴾ (١) . وأصبح بعد تلك النضارة والنعيم ذابل . وكادت قناديله لفقد الماء أن تقطع السلاسل . ولم تشر الناسُ بأصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبة . ولم يبق على ذلك الصخر طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبة . ونظرت الى ملون رخامه الذي فاق في نظمه بالتدبيج والترصيع . فاستجهل حتى كأنا ما رأينا له نوعاً من أنواع البديع . كم طالعت به من لوح كتبت هوامشه بالذهب فاكتسى نضارة (٢) الدَّوح . ولكنه محي وهو يقول بهذا جرى القلم في اللوح . وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة . وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة (٣) وأنشد من شوقه :

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى إليك المنبر (٤)

وودت العروس (٥) أن تكون مجاورة لحماتها لتبل ريقها برحيق الأمن إذا نظرت إلى عاصي المحمدية وقد دخل الى جناتها . ونظرت إلى فوار أبي نواس (٦) وقد انقطع بعد ما كان يثب ويتجرّى . وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء : «ألا فاسقني خمراً» (٧) .

---

(١) سورة الانشقاق ٨٤ : ١٩

(٢) في الأصل نظارة

(٣) الغيضة بالفتح الأجمة وهي مجتمع الشجر في مفيض ماء — تاج العروس

(٤) من قصيدة البحتري في وصف موكب الخليفة المتوكل وقد خرج لصلاة العيد . وفي الديوان : فلو ان مشتاقاً تكلف غير ما... ديوان البحتري ١ : ٢١٢ مصر سنة ١٩١١

(٥) مئذنة الأموي الشمالية

(٦) القبة التي في وسط صحن المسجد الأموي فيها الماء الجاري من فوار يسميها العامة قبة أبي نواس — البداية والنهاية ٩ : ١٥٩

(٧) الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر
(ديوان أبي نواس ٢٧٣ مصر ١٨٩٨ .)

ودخلت إلى الكلاسة [١] وقد علا بها غبار الحزن فتنهدت من الأسف على كل ناهدة . ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الأنعام المائدة . واستطردت إلى باب البريد [٢] فوجدت خيول الماء الجارية قد قطعت عن تلك المراكز . ونظرت الى السراج الأكبر وقد انعقد (٦ ب) لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز . ونظرت إلى أهل الصلاة وقد لبسوا في هذه الواقعة من الصبر دروع . وقد استعدوا بسهام من الأوعية أطلقوها من قسي الركوع .

مريشةً بالهدب من جفن ساهر منصلةً أطرافها بدموع

ونظرت إلى الريان من العلم قد اشتد لفقد الماء ظماه . وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق إلى باب المياه . ومشيت بحكم القضاء إلى الشهود [٣] فوجدت كلاً منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه . وتأملت أهل الساعات [٤] وقد صار عليهم كل يوم بسنة . ونزلت في ذلك الوقت من الساعات إلى الدرج [٥] في دقيقة . فانتهيت إلى مجاز طريق الفوار [٦] فوجدته كأن لم يكن له حقيقة . كم وردته وهو كأنه سنان يطعن في صدر الظما . أو كشجرة كدنا نقول إنها طوبى لما طهرت و ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ [٧] . أو مغترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا . فرفع له لأجل ذلك فوق قناته راية بيضا . أو عمود وفاء أشارت الناس إليه بالأصابع . أو ملك طالب الناس بودائع . حتى كأن إكليل الجوزاء له من جملة الودائع . أو أبيض طائر علا حتى قلنا

(١) في شمال المسجد الأموي سميت بذلك لأنها كانت موضع عمل الكاس أيام بناء الجامع
(٢) الباب الغربي للمسجد الأموي سمي بذلك لأن بريد الوليد بن عبد الملك كان ينزل به — انظر دمشق القديمة للنجد ٢٨
(٣) الشهود كان مجلسهم عند درج الأموي الشرقي ، انظر رحلة ابن جبير
(٤) الساعات يقصد ساعات الجامع الأموي كانت في الباب الشرقي ، انظر ابن جبير
(٥) درج الأموي الشرقي
(٦) ينزل عليه من باب جيرون ويسمى النوفرة اليوم
(٧) سورة ابراهيم ١٤ : ٢٤

إنه يلتقط حبات النجوم الثواقب . أو شجاع ذو همة عالية «يحاول ثأراً عند بعض الكواكب» [١] . فخفض لفقد الماء مناره واختفى بعد ما كان أشهر من علم . وجدع أنفه بعد وطالما ظهر وفي عرنينه شمم . فقلت :

لستُ أنسى الفوّار وهو ينادي غيضَ مائي وعطل الدهر حالي (آ٧)
فتمنيت من لهيبيَ أني [٢] أشتري غيضه بروحي ومالي

فلا والله ما كانت إلا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه . وابتسم ثغر دمشق عن شنب الري بعد ما نشف ريقه في فيه . هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما كانت على ساق وقدم . وبطلت آلتها التي كان لها على تحريك الأوتار وجس العيدان نغَم . واعتقل الرمح بسجن السلَم . بعد ما كان على رأسه لواء الحرب معقود . وهجمت مقل السيوف في أجفانها لما علمت أن الزيادة في الحد نقص في المحدود . وفاضت غدران الرحمة على رياض الأمن فأنبتت من المسرة ﴿نباتاً حسناً﴾ [٣] فـ ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزَن﴾ [٤] .

وبعد فالمعذرة في فهاهة [٥] هذه الرسالة التي هي في رياض الأدب باقِلِيَّة [٦] ، والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدي تلك المواقف السُّحبانية [٧] . وليكن محمولاً على متن الحلم كلامها الموضوع . فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع . وذهن ضعُف ولم يجد لكثير ضعفه عاصماً ولا نافع . وراحلة فكرٍ أمست عند سيرها إلى غايات المعاني ظالع [٨] .

---

(١) عجز بيت لأبي تمام في مدح أبي دلف العجلي ، والصدر : فعال تعادت في العلو كأنما — ديوان أبي تمام مصر سنة ؟
(٢) في الأصل (أن)
(٣) سورة آل عمران ٣ : ٣٧
(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٣٤
(٥) فهه الرجل يفهه فهاهة : عيّ ، محيط المحيط
(٦) باقلية نسبة لرجل أحمق اسمه باقل يضرب به المثل في العي والفهاهة
(٧) سحبانية نسبة لسحبان وائل المشهور بالبلاغة
(٨) يقال بعير ظالع اذا كان يتقي ويعوج (وجاءت في الأصل ضالع)

فسيروا على سيري لأني ضعيفكم وراحلتي بين الرواحل ظالع

هذا وكم تولد للمملوك في طريق الرمل من عقلة . وكم ذاق من قطاع الطريق أنكاداً حتى ظن أنه لعدم النصرة لم يجد له إلى الاجتماع وصلة . وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التي هي نعم الكنانة . وأنشد وقد تحير في الرمل لفراق ذلك التخت الذي أعزّ الله سلطانه . (٧ ب)

من زَعقَة الغراب بعد الملتقى فارقت مصراً وبها أحبابي

وفي طريق الرمل صرت حائراً مروّعاً من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام وهو على تلك الحالة فبئس الحال وبئس الاستقبال . فوالرحمن ما وصل لها إلى مكان إلا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال . وحصدوا سبُلَ الرشاد فدَرَستْ . فلا أعاد الله لصد حربهم دروس . وأداروا رحى الحرب بقلوب كالأحجار فطحنت عند ذلك الرؤوس .

من كل عادٍ كعادٍ في تجبُّره من فوق ذات عماد شادها إرَمُ (١)

لا يجمعون على غير الحرام إذا تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك إلى أنه شُلِّح بقرب الكسوة (٢) في الشتاء . وانتظرت ملك الموت وقد أمسيتُ مهجةً في النازعات (٣) وعبرةً في المرسلات (٤) وفكرةً في هل أتى (٥) . هذا والليل قد انطفت مصابيح أنواره وعسعس ، حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان في قيد الحياة تَنَفَّس . وذهب المملوك وقد زودوه

(١) عاد الأولى البادي ، والثانية عاد المذكور في القرآن الكريم .

(٢) الكسوة ضاحية جنوبي دمشق سميت باسم كسوة المحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة كل عام — المقابلة بين التشليح والكسوة هنا

(٣) سورة النازعات ٧٩

(٤) سورة المرسلات ٧٧

(٥) سورة الدهر ٧٦

عند قسم الغنيمة بسهم . فجرح ولم يجد له تعديلاً ولكنه صبر على الألم بعد ما كان يدمى من الوهم . ولم يلق له مجيراً لما قوي ألمه وضعف منه الحيل . إلا أنه دخل تحت ذيل الليل . فوصل الى البلد وقد ودّ يومه لو تبدل بالأمس . ولم يسلم له في رقعة الحرب غير الفرس والنفس . ولكنه أنشد :

ما تفعل الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهلُ في نفسه

فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة ، وبدأ به في الدنيا ببراعة (٨ آ) الأمن وفي الآخرة بحسن الخاتمة ، تم . (٨ ب)

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٨ -

مدرستا بغداد والأندلس وموقف ابن جني منهما

أما مدرسة بغداد : فقد قامت بعد المدرستين البصرية والكوفية ، لما تأسست بغداد وأخذ علماء المدرستين ينزحون اليها ، فكانت بيآتها العلمية ميداناً للصراع الثقافي بين المذهبين ، وكانت المناقشات العلمية جد حادة بين الفريقين . وعلى الرغم من أن تلك المناقشات قد قربت بين وجهات نظر الفريقين إلا أنها أضعفت المدرسة الكوفية التي كانت - لو ازدهرت - ترفع من شأن البيان العربي ، أو تبعد النحو عن قسوة المنطق وقساوة الأقيسة والتعليلات . وقد كان من نتاج هذه المدرسة أن ألفت بعض الكتب التي عمد أربابها الى البحث في مسائل الاختلاف بين المدرستين ككتاب الإنصاف في مسائل الاختلاف بين المدرستين لابن الأنباري وغيره .

يقول العلامة طه الراوي : لما أنشئت بغداد كان الكوفيون أسبق الناس اليها لمكانة الكوفة من بغداد من الوجهتين السياسية والجغرافية ، ولهذا وجدنا أن علماء الكوفة اتصلوا بقصور الخلفاء والأمراء واحتلوا الصدور من حلق تدريسها ومحافل آدابها ، فكان الكسائي عند الرشيد ، والفراء عند المأمون بالمكانة السامقة ،

وكان مذهب الكوفة ما علمت من التساهل في التأصيل والتفريع ، ومن ثَمَّ وجدنا تلاميذهم من البغداديين مولعين بالروايات الشاذة يتفاخرون في النوادر بالترخيصات ، واعتمدوا على الفروع ولم يأبهوا للأصول ، ومن هنا تولد مذهب مضطرب النواحي كثير التعاريج عرف بمذهب البغداديين ، ولما كان هذا المذهب أحطّ من أبيه الكوفي طرحه الجمهور وما أقاموا له وزناً[1] » .

والأستاذ العلامة الراوي قاسٍ في حكمه على المدرسة البغدادية ، ولا عجب فانه كان من الأعلام المتشددين الحريصين على العناية بحفظ تراث اللغة ، كما ورد عن فصحاء أربابها ، لا أهل اللغات النادرة ، والروايات الشاذة ، وإلا فان المدرسة البغدادية على الرغم من تساهلها لم تأت بمذهب منحط ، ولا كان الكوفيون في مذهبهم على تلك الصورة البشعة التي صورها المرحوم الراوي ، ولكنه كما قلنا كان شديد الاعتزاز بعروبته رأى في المذهب البصري المذهب الصحيح القوي السالم فأحبه ودعا اليه وإلا فان نحاة مدرسة بغداد على الرغم من تساهلهم ومن اعتمادهم على طريقة مدرسة الكوفة فانهم قد اتصلوا بنفر من علماء مدرسة البصرة في منتصف القرن الثالث حين أخذ هؤلاء يهاجرون الى بغداد وينشرون مذهبهم فاتبعهم البغداديون في كثير من مسائل العربية[2] .

وقد ظلت المدرسة البغدادية ناشطة فترة طويلة من الزمن الى أن تغلب المتغلبون على الخلافة الاسلامية العباسية في بغداد كالحمدانيين والسامانيين والطولونيين والبويهيين والمرداسيين والسلاجقة وغيرهم ممن أرادوا أن يجعلوا في عواصمهم البعيدة عن بغداد حركاتٍ علمية فضعفت مدرسة بغداد بعض الضعف وظلت تصاول وتجادل معاكسات الدهر الى أن احتلها المغول ففرقوا شمل علمائها وقضوا على كثير منهم أو ألجأوهم الى الشام ومصر والمشرق .

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الراوي . ص ١٢٨

(٢) راجع التصريح على التوضيح ٢ : ١٧٣ ، ٢٧١ ، ٣٧٣ . وهمع الهوامع للسيوطي ١ : ٢٣٥ و ٢ : ١٤٩ ومغني اللبيب لابن هشام ١ : ٩٧ و ٢ : ٨٧ .

ومن أشهر نحاة المدرسة البغدادية :

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المروزي الكوفي (— ٢٧٦) الأديب الكاتب العلامة المحدث الأشهر ، ولد في بغداد سنة ٢١٣ وقصد الكوفة فتعلم على أئمتها ونبغ فيها ثم عاد الى بلده .

تلقى العلم عن ابي حاتم السجستاني سهل بن محمد البصري النحوي اللغوي (— ٢٥٥) وعن اسحق بن ابرهيم بن راهويه المحدث الفقيه الراوية (— ٢٣٨) وغيرهما وكان فاضلاً بارعاً في علوم اللغة والنحو والشعر متفنناً في العلوم والآداب وله كتب جليلة مشهورة ، قال الخطيب البغدادي والجلال السيوطي : هو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة منها (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (مشكل القرآن) و (مشكل الحديث) و (أدب الكتّاب) و (عيون الأخبار) و (كتاب المعارف) و (اعراب القرآن) و (جامع النحو) الكبير والصغير . و (المسائل والأجوبة) وغيرها[1] .

وأبو حنيفة : احمد بن داود الدينوري (— ٢٨٢) الرياضي الأديب الكاتب اللغوي أخذ العلم عن أئمة البلدين والكثير عن ابن السكيت . وكان من نوادر العلماء الذين جمعوا بين آداب العرب وحكم الفلاسفة .

قال السيوطي في البغية : كان نحوياً لغوياً مع الهندسة والحساب وكان من نوادر الرجال وكان راوية ثقة ورعاً زاهداً أخذ عن الكوفيين والبصريين وأكثر عن ابن السكيت صنف كتاب (لحن العامة) و (الشعر والشعراء) و (الأنواء) و (النبات) الذي لم يؤلف مثله في معناه و (تفسير القرآن) و (إصلاح المنطق) و (الفصاحة) و (الجبر والمقابلة) و (البلدان) و (الرد على لغدة)[2] .

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ وبغية الوعاة ص ٢٩١ وبروكلمان G.A.L. ١ : ١٢٠ والذيل ١ : ١٨٤

(٢) بغية الوعاة ص ١٣٢

وكان إماماً جليلاً وبليغاً فاضلاً اختلف العلماء مرة في مجلس أبي سعيد السيرافي في التفضيل بينه وبين الجاحظ فسألوه فقال : أنا أحقر نفسي عن الحكم لها وعليها فقيل : لا بد ، فقال : أبو حنيفة أكثر ندارة وأبو عثمان أكثر حلاوة . ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب وأدخل في أساليب العرب [١] وقال أبو حيان التوحيدي في كتاب تقريظ الجاحظ بعد أن أورد كلمة السيرافي : والذي أقول وأعتقد .. أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى أن يأخذ الله بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ، أحدهم هذا الشيخ (الجاحظ) ... والثاني أبو حنيفة ... والثالث أبو زيد احمد بن سهل البلخي ... »

وقد أطنب ياقوت في ترجمته وعدّد فضله وسمى كتبه التي خلفها فارجع اليها إذا شئت [٢] وقد نقبنا عن الباقي منها فلم نجد إلا (كتاب النبات) وكتاباً ينسب اليه وهو (الأخبار الطوال) المطبوع المتداول [٣] .

وعبد الله بن عبد العزيز أبو موسى الضرير البغدادي (— ٢٥٥) كان مؤدب ولد الخليفة المهتدي ، وكان من الأفاضل رحل الى مصر وسكنها وحدث فيها عن أحمد بن جعفر الدينوري وروى عنه يعقوب بن احمد النجيرمي . وله من الآثار (كتاب الفرق) وقد ضاع ، وكتاب في الكتابة والكتّاب عنوانه (كتاب الكتّاب وصفات الدواة والقلم) ومنه نسخة فريدة [٤] .

(١) معجم الأدباء طبعة دار المأمون ٣ : ٢٧

(٢) راجع بروكلمان ١ : ١٢٣ والذيل ١ : ١٨٧ والفهرست لابن النديم ص ٧٨ وضحى الإسلام لأحمد أمين ١ : ٤٠٦

(٣) راجع البغية للسيوطي ٢٨٥ وبروكلمان الذيل ١ : ١٨٧

وأبو علي الحسن بن عبد الله الاصفهاني المشهور بلقب لُغْدَة أو لُكْدَة (— في أواخر القرن الثالث) وهو إمام نحوي بلداني لغوي جليل قال السيوطي: كان إماماً في النحو واللغة جيد المعرفة بفنون الأدب وحسن القيام في القياس أخذ عن الباهلي صاحب الاصمعي، والكرماني صاحب الأخفش وكان يحضر مجلس الزجاج ويكتب عنه ثم خالفه، وكان بينه وبين أبي حنيفة الدينوري مناقضات وكان في طبقته. ولم يكن له في آخر أيامه نظير في العراق [1].

وقال ياقوت: قدم بغداد وكان جيد المعرفة بفنون الأدب حسن القيام بالقياس موفقاً في كلامه وكان إماماً في النحو واللغة وكان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ... قال محمد بن اسحق النديم وله من التصانيف (كتاب الرد على الشعراء) نقضه عليه أبو حنيفة الدينوري و (كتاب النطق) و (كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث) و (علل النحو) و (المختصر في النحو) و (كتاب الهشاشة والبشاشة) و (كتاب نقض علل النحو) و (كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) [2] وقد ضاعت هذه الكتب جميعاً فيما أعلم، ولم يبق من آثاره إلا كتاب (مياه وجبال وبلاد جزيرة العرب) [3].

وأبو اسحق ابرهيم بن اسحق بن بشر الحربي (— ٢٨٥) كان فيماً بالأدب، جمّاعة للغة، بارعاً بالنحو، حافظاً للحديث، عالماً بالفقه. أخذ الأدب عن أبي العباس ثعلب وكان ثعلب يقول: ما فقدت ابرهيم الحربي من مجلس نحو أو لغة خمسين سنة. وقال محمد بن صالح: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل ابرهيم الحربي في الفقه والأدب والحديث والزهد. وقال الدارقطني: كان إماماً

(١) بغية الوعاة ص ٢٢٢
(٢) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢
(٣) راجع ذيل بروكلمان ١ : ١٨٨ ويعنى الأستاذ المحقق حمد الجاسر بنشره وتحقيقه فيما حدثني وفقه الله.

يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه ، وفي الحقيقة أنه كان مصنفاً عالماً محيطاً بعلوم عصره بارعاً فيها ، صدوقاً ثقة ، وكان صديقاً للإمام أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة . روى عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبي شيبة وطبقتهم وتخرج به جماعة منهم أبو عمرو الزاهد وأبو بكر ابن الأنباري ، والحسين المحاملي وغيرهم . وقد خلف آثاراً جليلة في العربية والحديث والأدب واللغة ولم يبق منها سوى (غريب الحديث) و (اكرام الضيف) وقد طبع بمصر[1] .

وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (— ٣٧٠) كان بارعاً باللغة والعربية والقراءات والأدب ، دخل بغداد سنة ٣١٤ فقرأ على أبي بكر ابن دريد وأبي عبد الله نفطويه وأبي بكر بن الأنباري وأبي عمر الزاهد وابن مجاهد ومحمد بن مخلد العطار . وروى عنه أبو بكر الخوارزمي الأديب الكاتب ، والمعافا بن زكريا . سافر الى حلب واتصل بسيف الدولة الحمداني واختص به وأدّب أولاده وبقي هناك فانتشر تلاميذه وفشا مذهبه ، وجرت له مع أبي الطيب المتنبي مناظرات ومحاورات وحوادث . قال السيوطي : كان من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب وكانت الرحلة اليه من الآفاق ، وقال الداني : عالم بالعربية ، حافظ للغة بصير بالقراءة ثقة مشهور .

ومن آثاره النحوية (الجمل) و (الاشتقاق) و (إعراب ثلاثين سورة من القرآن) و (كتاب ليس) و (الالفات) و (المذكر والمؤنث) و (كتاب القراءات) وغيرها ولم يبق من آثاره هذه إلا (إعراب ثلاثين سورة) و (كتاب الشجر) و (كتاب يَس) و (كتاب الريح) و (شرح ديوان أبي فراس الحمداني)[2] .

---

(١) راجع بغية الوعاة للسيوطي ص ١٧٨ ونزهة الألباء ص ٢٧٥ وتاريخ الخطيب البغدادي ٦ : ٢٧ وبروكلمان الذيل ١ : ١٨٨

(٢) راجع يتيمة الدهر ١ : ٦٧ ، والنزهة لابن الأنباري ٣٨٣ ، ووفيات ابن خلكان رقم ١٨٦ ومعجم الأدباء ٤ : ٤ وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٧١ وبروكلمان ١ : ١٢٥ والذيل ١ : ١٩٠

وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (— ٣٨١) وكان منافساً لابن خالويه وهو أحد العلماء المشهورين المتقنين لعلوم العربية واللغة أخذ عن أبي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي ، أصله من عسكر مكرم تعلم في بغداد ثم قدم الى حلب واتصل بسيف الدولة وعظمت مكانته عنده لفضله وأدبه ، ترجمه السيوطي في البغية فأثنى عليه وقال : « الامام الأوحد له التصانيف الجليلة منها (مراتب النحويين) و (لطيف الاتباع) و (كتاب الابدال) و (شجر الدر) وقد ضاع أكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه منافسة ، مات بعد الخمسين وثلاثمائة ، وقال الصفدي : أحد العلماء المبرزين المتفننين بعلمي اللغة والعربية ... أقام بحلب الى أن قتل في دخول الدمستق حلب سنة احدى وثمانين ولم يبق لنا اليوم من كتبه إلا (مراتب النحويين ـ اللغويين ـ) و (شجر الدر) و (كتاب الابدال) [1] .

وأبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني البغدادي (٢٩٧ — ٣٨٤) ولد ببغداد وتعلم فيها ونبغ في علوم الأدب والعربية والتاريخ ، وكان رجلاً كريماً يفضل على تلاميذه وأساتيذه . وكانت داره نادياً لأهل العلم وكان من عادته أن يضع بين يديه زجاجة حبر وزجاجة خمر فلا يزال يشرب ويكتب وهو مقسم الفكر بين الواقع والخيال وكان راوية واسع الرواية صادق اللهجة واسع المعرفة كثير السماع وكان من خيار المعتزلة وصنف كتباً كثيرة في العربية وأخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر وكان حسن التصنيف ويقال إنه كان أحسن تصنيفاً من الجاحظ .

ومن آثاره العديدة الجليلة (المفصل في البيان والفصاحة) و (المقتبس) في أخبار النحويين البصريين ، وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة ، و (الموشح فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء) من

(١) بغية الوعاة ص ٣١٧ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ١٩٠

الكسر واللحن وعيوب الشعر .. وقد عدّ له يافوت آثاره وعدد أوراقها وهي كثيرة جليلة وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا (الموشح) و (أشعار النساء) و (معجم الشعراء) [1] .

وأبو أحمد الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري (— ٣٨٢) وكان إماماً لغوياً نحوياً تعلم ببغداد والبصرة واصبهان ودرس على أبي القاسم البغوي وابن دريد ونفطويه وطبقتهم ، وانتهت اليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس بخوزستان ، ورحل اليه الأجلاء ومن أشهر تلاميذه أبو نعيم الاصفهاني وأبو هلال العسكري مؤلف الصناعتين . قال السيوطي : العلامة اللغوي من الأئمة المذكورين في التصرف في أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم . أكثر وبالغ في الكتابة واشتهر في الآفاق بالدراية وحسن التأليف [2] ومن آثاره الجليلة (كتاب التصحيف) و (المختلف والمؤتلف) . وغيرهما [3] .

وأما المدرسة الأندلسية: فهي المدرسة التي ظهرت في مغرب العالم الاسلامي . وقد دخل الإسلام الى هاتيك الديار منذ فجر الإسلام وانتشرت اللغة العربية بين أهالي تلك الربوع ، ونبغ منهم العلماء والأدباء والشعراء والمصنفون ، وكانوا يقتبسون من أهل المشرق خير ما عندهم وينهجون على منهجهم وقد هاجر نفر من علماء المشرق الى الأندلس والمغرب الاسلامي فكانوا ينشئون هناك الرسائل والكتب ويحلّقون الحلقات العلمية وينشرون العلم بين أهل تلك الديار .

وقد نشطت الرحلات العلمية بين أهل المشرق الاسلامي وأهل المغرب فازدهرت الحركة العلمية في الأندلس وبلاد المغرب وقد ظهر من المغاربة والأندلسيين عدد كبير من العلماء وبخاصة في النحو . وقد اهتم هؤلاء النحويون بمباحث الخلافات

(١) معجم الادباء ١٨ : ٢٦٨ وبروكلمان G.A.L الذيل ١ : ١٩٠ — ١٩١
(٢) بغية الوعاة ص ٢٢١
(٣) بروكلمان الذيل ١ : ١٩١

النحوية بين المدرستين الكوفية والبصرية ثم المدرسة البغدادية ، وتنافسوا في أقوال هذه المدارس ، واختاروا لأنفسهم مذهباً خاصاً عرف بالمدرسة الأندلسية وقد كانت هذه المدرسة تختار أفضل الأقوال من بين المدارس الثلاث ، وان كان جل اعتمادها على المدرسة البصرية .

وقد ظل المغاربة والأندلسيون يقتفون آثار المدارس الشرقية الى أن نبغ في ديارهم العلامة الإمام أبو العباس احمد بن عبد الرحمن بن مضاء الأندلسي القرطبي وألف رسالته النحوية الجريئة التي سنتحدث عنها فيما بعد . ثم تتابع النحاة من بعده يؤلفون الرسائل والكتب على طريقتهم الجديدة .

ومن كبار الأئمة الأندلسيين والمغاربة الذين كان لهم أثر واضح في هذا المذهب الجديد :

أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨ — ٣٥٦ هـ) وكان من أعلم الناس في عصره بنحو البصرة ، وأحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر ، تعلم في البصرة ثم في بغداد ، وقرأ على ابن درستويه والزجاج والأخفش الصغير ونفطويه وابن دريد وابن السراج وجحظة وطبقتهم ثم خرج من بغداد في سنة ٣٢٨ فدخل قرطبة في سنة ٣٣٠ وتهافت الناس عليه فقرأوا الأدب والعربية ، وأكرمه أميرها إكراماً عظيماً وصنف له كتاب الأمالي ، وظل هناك الى أن مات .

وخلف آثاراً جليلة في العربية أجلها (الأمالي) و (النوادر) و (المقصور والممدود) و (فعلت وأفعلت) و (البارع في اللغة) وغيرها وقد ضاع أكثرها [1] .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي القرطبي (— ٣٧٩) وكان إماماً في علوم العربية واللغة ، وكان متقناً للنحو ، أخذ اللغة عن أبي علي القالي وأبي عبد الله الرياحي ، تولى قضاء قرطبة ، وأدب الأمير

(١) راجع معجم الأدباء ٢ : ٣٥١ ، والبغية للسيوطي ١٩٨ ، وجذوة المقتبس للحميدي ١ : ٧٨٣ ، والتكملة لابن الأبار ٣٦٢ ، وابن بشكوال في الصلة رقم ٤ ، ٢٨٩

هشام ولد الخليفة المستنصر بالله الأندلسي ، قال ابن الفرضي : كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وصنف (مختصر العين) و (أبنية سيبويه) و (ما يلحن فيه عوام الأندلس) و (طبقات النحويين) و (الواضح في النحو) قال ياقوت : وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من كتاب العين لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله وزاد فيه ما عساه كان مفتقراً اليه [1] .

وأبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المشهور بابن القوطية (— ٣٦٧)

وهو الأديب المؤرخ اللغوي النحوي مولى عمر بن عبد العزيز ، كان من أهل إشبيلية وفيها تعلم على ابن الأغبش وقاسم بن اصبغ وأبي الوليد الأعرج وطبقتهم حتى بلغ رتبة الإمامة في اللغة والعربية والتاريخ والأخبار .

قال ياقوت : كان أعلم أهل زمانه باللغة والعربية إماماً مقدماً فيها ، وأروى أهل عصره للأشعار والأخبار لا يشق في ذلك غباره ولا يلحق شأوه وكان مع ذلك فقيهاً متمكناً حافظاً للحديث والآثار غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجع اليها فلم يكن ضابطاً للرواية ، ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم : مَن أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة فقال : أبو بكر بن القوطية ... وروى عنه الشيوخ والكهول وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، ومن تصانيفه (كتاب تصاريف الأفعال) وهو أول مصنف في ذلك ثم تبعه ابن القطّاع السعدي فوضع كتابه على منواله و (المقصور والممدود) جمع فيه وأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله وفاق من تقدمه و (شرح أدب الكتاب) وغيرها من الكتب ولكن أكثرها قد فقد [2] .

(١) راجع معجم الادباء ١٨ : ١٧٩ ، وانباه الرواة للقفطي ، وبغية الوعاة ٨٤ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ٢٣٢

(٢) راجع معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٢ والبغية ص ٨٤ : وابن الفرضي رقم ١٣١٦ والديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٦٢ ، والشذرات لابن العماد ٣ : ٦٢ ونفح الطيب للمقري ٤٦٢ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ٢٣٢ — ٢٣٣

وأبو عثمان سعيد بن محمد المعافري القرطبي السرقسطي ابن الحداد (— ٤٠٠)

كان من فضلاء علماء الأندلس وكبار النحاة بارعاً بالعربية والجدل . قال الزبيدي : كان أستاذاً في غير ما فن ، عالماً بالعربية واللغة وكان الجدل أغلب الفنون عليه وكان دقيق النظر جداً ثابت الحجة شديد العارضة حاضر الجواب وله كتب كثيرة منها (توضيح المشكل في القرآن) و (الأمالي) و (كتاب الأفعال) وغير ذلك وقد ضاعت [1] .

وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المشهور بابن مضاء القرطبي (— ٥٩٢)

كان من أفراد العلماء براعة في العربية واللغة والفقه تولى قضاء الجماعة بقرطبة وكان له تقدم في العربية وآراء فيها خالف فيها غيره من العلماء وكان مقرئاً مجوداً محدثاً مكثراً عارفاً بالأصول ، والكلام ، والطب ، والهندسة والحساب ، وكان متوقد الذكاء ، خلف آثاراً جليلة في النحو والفقه والعقائد [2] وقد ضاع أكثرها ولم يبق من آثاره إلا (كتاب الرد على النحاة) الذي نقد فيه مذاهب نحاة عصره والأقدمين .

قال ابن الزبير : أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه تفهماً وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النحوية واللغوية والأدبية ما لا يحصى وكان له تقدم في علم العربية واعتناء وآراء فيها ومذاهب مختلفة لأصلها .. وقد رد عليه الإمام ابن خروف بكتاب سماه (تنزيه أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو) ولما بلغه ذلك قال : نحن لا نبالي بالأكباش النطاحة وتعارضنا أبناء الخرفان .

هؤلاء هم بعض أئمة المدرسة الأندلسية ، ويلاحظ القارئ أننا ذكرنا في آخرهم الإمام ابن مضاء النحوي مع أنه من علماء القرن السادس وهو متأخر عن العصر

(١) بغية الوعاة ص ٢٥٧

(٢) بغية الوعاة ص ١٣٩ وغاية النهاية لابن الجزري ١ : ٦٧ .

الذي نؤرخه وهو عصر ابن جني فاننا انما فعلنا ذلك لننبه القارئ الى أن آثار هذه المدرسة وإن كانت قد ضاعت فاننا نجد بعض آثارها لدى هذا النحوي المتأخر .

موقف أبي الفتح ابن جني من هذه المدارس الأربع :

هذه هي مدارس النحو الأربع الكبرى وقد كان ابن جني لا يتقيد بواحدة منها ، بل يدرسها جميعاً وينتقي منها ما يروقه أو يرى أنه الصحيح ، وكان يناقش أرباب هذه المدارس وبخاصة أرباب مدرستي البصرة والكوفة ، وكان يرى أن هؤلاء هم أولى العلماء بالمناقشة والبحث [1] ؛ قال في باب القول على إجماع أهل اللغة العربية متى يكون حجة : اعلم أن إجماع أهل البلدين انما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا تخالف المنصوص والمقيس عليه فأما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليك ، وذلك انه لم يرد ممن يُطاع في قرآن ولا سنة انهم لا يجتمعون على الخطأ [2] » فهذا القول يدلك على أنه لا يخالف أئمة المدرستين أو غيرهما إذا كانت لديهم الحجج القوية والأدلة القطعية أما إذا لم يوردوا الحجج ويبرهنوا على ما ذهبوا اليه فلك أن تخالفهم وتناقش أقوالهم لأن إجماعهم ليس إجماعاً ورد به الدين أو أمر به الكتاب والسنة « وانما هو علم منتزع من شعراء هذه اللغة فكل من فُرِق له علم صحيح وطريق نهجه كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره » [3] فليس الخليل بن أحمد ولا أبو عمرو بن العلاء على جلالة قدرهما وسعة علمهما وإجماع الناس على أنهما الإمامان الجليلان اللذان أوتيا العلم الوافر والعقل المستنير ، معصومين من الخطأ أو ممنوعين من الوقوع في الخطل ، وكل إنسان آتاه الله العلم واستطاع أن يهتدي بعقله وبحثه واستقرائه وتحقيقه الى علم جديد وبحث مفيد .

(١) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ٣
(٢) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١٩٦
(٣) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١٩٧

مذهب ابن جني في النحو : رأيت فيما سبق أن أبا الفتح لم يكن متقيداً بمذهب مخصوص فلا كان بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا اندلسيا بل كان أمة مستقلاً برأيه وان كان الى مذهب البغداديين أقرب والى آرائهم أميل لأنه تأثر بأستاذه أبي علي الفارسي بعض الشيء ، فهو يذكر في مقدمة كتاب الخصائص أنه بعد أن انكشفت له أسرار اللغة العربية وخصائص دقائقها وسر إتقانها أراد أن يؤلف هذا الكتاب ويجعل للغة العربية ونحوها أصولاً كما جعل العلماء للفقه والكلام أصولاً وانه شرع في ذلك وان علماء الكوفيين والبصريين لم يستطيعوا أن يفعلوا فعله على الرغم من اطلاعهم على تلك الأسرار وعلى محاولتهم عمل بعض الكتب المتعلقة بأصول النحو مثل عمل أبي بكر محمد بن السراج شيخ أستاذه أبي علي الفارسي الذي ألف (مصنفات حسنة وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول فانه جمع فيه أصول علم العربية وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة)[1] .

يقول ابن جني « إن تعريد (أي تهرب) كل من الفريقين البصريين والكوفيين عنه وتحاميهم طريق الإلمام به ، أو الخوض في أدنى أوشاله وخلجه ، فضلاً عن اقتحام غماره ولججه ، إنما كان لامتناع جانبه ، وانتشار شعاعه ، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه ، وذلك اننا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه فأما كتاب أبي بكر فلم يلمم بما يحسن عليه إلاّ حرفاً أو حرفين في أوله ... على أن أبا الحسن (أي الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (— ٢١١) قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيباً اذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا نبنا عنه فيه .. »

فأنت ترى من كلامه هذا أنه شديد الاعتزاز بما أبدعه وان أحداً من العلماء

(١) نزهة الألباء لابن الانباري ص ٣١٤

السابقين على جلالة قدر كثير منهم لم يحوموا حول حوضه ولم يأتوا بشيء من المباحث التي جاء بها لا يستثنى من ذلك أحد من علماء المصرين ، الكوفيين والبصريين ، يقول في باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة ؟ :

« إن إجماع أهل البلدين انما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا تخالف المنصوص أو المقيس على المنصوص فاذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه وذلك انه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة انهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله ﷺ من قوله « أمتي لا تجتمع على ضلالة » وانما هو منتزع من استقراء هذه اللغة ، فكل من فُرق له على علة صحيحة وطريق نهجه كان خليل نفسه ، وأبا عمرو فكره ، إلا أننا مع هذا الذي رأيناه وسوغنا مرتكبه لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدم نظيرها وتتالت أواخر على أوائل ... »

الى ذلك الكلام الذي أثبت فيه فضل علم الأوائل من أهل البصرة والكوفة معاً ، وكشف عن جهودهم في صيانة لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر العربي ، إلا أن هذا لم يمنعه أن يكوّن لنفسه مذهباً خاصاً به ، ويرى أن قولهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً » قول غير صحيح ، كما ذهب اليه الجاحظ وأبو عثمان المازني الذي يقول « إذا قال العالم قولاً متقدماً فللمتعلم الاقتداء به والانتصار له والاحتجاج بخلافه إذا وجد الى ذلك سبيلا » ويورد ابن جني بعد ذلك بعض الأقوال التي خالف فيها قول الأوائل والأواخر ويستدل على صدق نظريته قائلاً « فما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بديء هذا العلم والى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم (هذا حجر ضب خرب) فهذا يتناوله آخر عن أول وتالٍ عن ماضٍ على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقون عنه ، وانه من الشاذ الذي لا يحمل عنه ولا يجوز ردّ غيره اليه ، وأما أنا فعندي ان في القرآن مثل هذا الموضع نيفاً على ألف موضع وذلك انه على حذف

المضاف لا غير فاذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل [1] » .

وهو أيضاً ينتقد البغداديين كما انتقد البصريين والكوفيين فيقول في باب (إسقاط الدليل) : « ومن ذلك قول البغداديين ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو زيد مررت به ، وأخوك أكرمته فارتفاعه عندهم إنما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد ، وإسقاط هذا الدليل ان يقال لهم فنحن نقول زيد هل ضربته ؟ وأخوك متى كلمته ؟ ، ومعلوم أن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله [2] » فهذا يدلك على أن أبا الفتح إنما هو أمة مستقل في رأيه يفتش عن الحقيقة فحيث وجدها فثم مذهبه . وهو لا يقنع إلا بالبراهين والأدلة الثابتة فمن كانت أدلته أقوى كان هو الموثوق بقوله وإلا فلا ، ويظهر أنه كان على الرغم مما سبق ميالاً الى مذهب البصريين شديد الانتقاد لمذهب الكوفيين ، فهو ميال الى البصريين مثل شيخه أبي علي الفارسي ، وهو يعتمد مذهبهم ويكثر في كتبه ومباحثه وأقواله على طريقتهم ، الا إذا وجد الحجة التي تجعله يميل عن مذهبهم الى مذهب غيرهم أو إلى مذهب جديد .

يقول في سر الصناعة في (حرف النون) في صدد قول الشاعر :

أن تهبطين بلا قو م يرتعون من الطلاح

ان الكوفيين يقولون إن هذا تشبيه (أن) بـ (ما) التي في معنى المصدر « فأما قولنا نحن فانه أراد (أنّ الثقيلة) وخففها ضرورة وتقديره انك تهبطين » .

ويقول في سر الصناعة أيضاً في (حرف الكاف) في قولهم (أنت كزيد) ان الكاف اسم تقديره أنت مثل زيد وان هذا قول أصحابنا وان كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون في هذا النحو الذي هو غير مشتق من الفعل ضمير

(١) الخصائص الطبعة الاولى ١ : ١٩٦ – ١٩٩

(٢) الخصائص الطبعة الاولى ١ : ٢٠٩

كما يكون من المشتق » . ولا شك في أنه يقصد بقوله (أصحابنا) أئمة البصرة فان هذا هو مذهبهم .

وصفوة القول ان أبا الفتح لم يكن بصرياً خالصاً ، ولا كوفياً خالصاً ولا بغدادياً خالصاً ولكنه كان ينتقي القول الذي يراه جديراً بالانتقاء ، وانه قال أقوالاً في الصرف واللغة والنحو انفرد بها والشواهد على ذلك جد كثيرة .

فما انفرد به في النحو : تجويز إظهار متعلق الظرف الواقع خبراً في الكون العام مثل قولك محمد عندك ، قال ابن يعيش في شرح مفصل الزمخشري : « اعلم أنك لما حذفت الخبر الذى هو (استقر) أو (مستقر) وأقمت الظرف مقامه على على ما ذكرنا صار الظرف هو الجر والمعاملة معه وهو مغاير المبتدأ في المعنى ونقلت الضمير الذي كان في الاستقرار الى الظرف وصار مرتفعاً بالظرف كما كان مرتفعاً بالاستقرار ثم حذفت الاستقرار وصار أصلاً مرفوضاً لا يجوز إظهاره للاستغناء عنه بالظرف وصرح ابن جني بجواز إظهاره والقول عندي في ذلك ان بعد حذف الجر الذي هو الاستقرار ونقل الضمير الى الظرف لا يجوز إظهار ذلك المحذوف [1] » .

ومما انفرد به أيضاً في النحو قوله في علة المنع من الصرف « إن [2] الأسباب المانعة من الصرف تسعة واحد منها لفظي وهي شبه الفعل لفظاً نحو أحمد ويَرْمَعْ وتَنْضُبْ وإثمد وأبلم وبَقَّم واستبرق [3] ، والثمانية الباقية كلها معنوية ، كالتعريف والوصف والعدد والتأنيث وغير ذلك ... » مع أن النحويين يقولون إن السبب المعنوي هو العلمية والوصفية والباقي هو أسباب لفظية .

ومما انفرد به إدخاله (قد) على الفعل المنفي وقد استعمل هذا الاستعمال

(١) شرح المفصل ، المطبعة المنيرية ١ : ٩٠

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١١٤

(٣) اليرمع هو الحجارة الرخوة الطرية ، والتنضب شجر معروف في الحجاز ، والابلم هو أغصان المقل ؛ والبقم شجر يصنع بورقه . والأستبرق : حرير سميك .

كثيراً في كتبه كالخصائص وسر الصناعة فمن ذلك قوله في الخصائص « كما ان القول قد لا يتم معناه إلا بغيرة »[1] وهذا أمر ما قال به النحويون قبله ولا أجازه من جاء بعده .

ومن ذلك إجازته إدخال أداة التعريف على (بعض) كقوله (فلما كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض[2]) وقد منع النحويون المتأخرون هذا مع أن سيبويه قد استعمله في كتابه .

مذهبه في اللغة والتصريف : تعمق ابن جني في حفظ كلام العرب ورواية لغتهم والغوص عن أسرار أساليبهم حتى أشربت لغتهم بروحه وقد ظهر هذا في بحوثه الصرفية التي تتجلى في كتابه « سر الصناعة » وفي المباحث اللغوية العديدة التي حفظها لنا اللغويون المتأخرون في كتبهم كابن سيده وابن منظور وغيرهما من أئمة اللغة ، وان كانت كتبه قد ضاعت .

وابن جني كما يتجلى لنا من قراءة كتب الصرفيين واللغويين المتأخرين الذين جاءوا بعده ، هو إمام مجدد ذو أثر عميق في هذه اللغة ، أسبغ عليها ثوباً جديداً بمباحثه الصرفية ، واللغوية ، وقد ظهرت صور من ذلك الأثر في كتب كبار المؤلفين الذين جاءوا من بعده وبخاصة ابن سيده علي بن أحمد الإمام اللغوي (— ٤٥٨) فقد تأثر هذا الإمام الكبير اللغوي بمباحث ابن جني وبألفاظه وحفظها حتى انه ربما أورد ألفاظه وعباراته دون أن يشير اليه أو يعزو في كتابيه الجليلين (المخصص) و (المحكم) . حتى ان ابن منظور الذي جاء بعد ابن سيده ينقل كلام ابن سيده وينسبه اليه مع أنه لفظ ابن جني .

واللوم في هذه القضية يقع على ابن منظور لا على ابن سيده فان ابن سيده

(١) الخصائص الطبعة الثانية ١ : ٢٠
(٢) الخصائص الطبعة الثانية ١ : ٦٤

رجل أعمى ألف هذه الكتب الجليلة في اللغة من إملائه فلا ضير عليه أن يهمل ذكر اسم ابن جني ، ولكنّ الضير على ابن منظور الذي جاء بعده ونقل أقواله ورأى خطأ ابن سيده ولم ينبه عليه .

وعلى هذا فلسنا نشاطر الأستاذ محمد علي النجار قوله في مقدمة الطبعة الثانية من الخصائص : (فتح ابن جني في العربية أبواباً لم يتسنّ فتحها لسواه .. وكان بذلك إماماً يحتاج إلى أتباع يمضون في سبيله ... على انه أتيح له لغوي كبير أغار على فوائده وبحوثه اللغوية ذلك هو ابن سيده ... وهو كثيراً ما يغفل العزو اليه في كتابه المحكم ويأتي صاحب اللسان فينقل ما في ابن سيده وينسبه اليه وهو لابن جني) [1] فنحن نعذر ابن سيده للسبب الذي ذكرناه آنفاً ولكننا لا نجد لابن منظور أي عذر .

والحق ان كتب ابن جني قد كانت معيناً لأئمة اللغة الذين كتبوا من بعده وفي طليعتهم ابن سيده ، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة (— ٤٦٦) وابن الأثير في المثل السائر (— ٦٣٣) ، وابن منظور في اللسان ، والسيوطي في الأشباه والنظائر (— ٩١١) وغيرهم . واننا لو رحنا نفتش خلال العصور منذ القرن الرابع للهجرة حتى هذا القرن عن إمام كان له مثل أثر ابن جني فيمن جاء بعده لم نجده فان كتبه بأسلوبها المشرق وأفكارها المتسقة قد بلغت الأوج ، فلا كتب سيبويه ولا أبي علي الفارسي ولا أبي بكر بن السراج قد بلغت المنزلة التي بلغتها كتب ابن جني رحمه الله وجزاه عن هذه اللغة ما يستحقه .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

(١) مقدمة طبعة الخصائص الثانية ١ : ٢٩

التعريف والنقد

مذكراتي

عن الثورة العربية الكبرى

كتاب في ٢٨٨ صفحة للدكتور أحمد قدري
طُبع في دمشق سنة ١٣٧٥ هـ و ١٩٥٦ م

الدكتور أحمد قدري من رجال الرعيل الأول الذين وضعوا أسس القضية العربية ، وعملوا لها طيلة حياتهم ، في بيض الأيام وسودها على السواء . فهو كلما جال اسمه في خاطري عادت بي الذكرى الى السنين الخوالي ، يوم كنا ، قبل الحرب العالمية الأولى ، طلاباً في إسطنبول وفي باريس ، نتذاكر في شؤون أمتنا العربية ، ولغتنا الضادية ، وفي تنكر الترك لحقوق العرب ، وفي مجاهرتهم بأنه لا يجوز أن يكون في الدولة العثمانية إلا أمة واحدة ، وهي الأمة التركية ، وإلا لغة واحدة ، وهي اللغة التركية ، حتى إذا شبت نيران تلك الحرب الضروس ، اهتبلوها فرصةً مكنتهم من قتل صفوة شبابنا صبراً ، ومن تشريد كرام الأسر العربية في مجاهل الأناضول ، فكانت الثورة العربية الكبرى ، وكان لا بد مما ليس منه بد .

وحسبي أن أقول في هذه المذكرات ان الدكتور أحمد قدري كان من مؤسسي « المنتدى الأدبي » في فَرُوق سنة ١٩٠٩ م ، ومن مؤسسي جمعية « العربية الفتاة » في باريس سنة ١٩١١ م ، وانني كنت في تلك الأيام أختلف في باريس الى غرفته بشارع الإسترابادد ، فأسميها قنصلية العرب ، وأسمي الدكتور قنصل العرب ، لما كان له من مروءة وأريحية في خدمة كل ما يمت الى العرب والعروبة بصلة .

لقد التحق الدكتور بالثورة العربية في أواخر أيامها ، ودخل الشام مع الملك فيصل الأول طبيباً له ، ورافقه الى باريس ، ومكث قريباً منه في دمشق الى حين احتلال الجيش الفرنسي لسورية في صيف سنة ١٩٢٠ م . فهو إذن حينما يتكلم على القضية العربية ومغزاها ، وعلى الثورة العربية ودواعيها ومراميها ، وعلى دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ ، وعلى الأحداث التي حدثت منذ ذلك الزمن حتى أيام الاحتلال الفرنسي ، فكلامه يكون كلام خابر للحقائق ، ورازن للوقائع ، وعالم بدخائل الأمور . وفي مذكرات الدكتور تفصيلات لا يجدها المطالع في كتاب آخر ، وفيها معلومات دقيقة لا يعرفها إلا الذين عاشوا مثله في حرم قضيتنا العربية .

مصطفى الشهابي

تاريخ العرب قبل الإسلام

الجزء الثالث (القسم السياسي)

تأليف الدكتور جواد علي . عدد صفحاته (٦٦٤) صفحة من قطع الوسط من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . طبع في بغداد عام ١٩٥٣

هذا هو الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام الذي أخذ الدكتور المؤلف على عاتقه مواصلته . ينم كل فصل من فصوله على جهده المتواصل وعلمه الفياض وتحريه الحقائق من أوثق المصادر وأغزرها . تناولت أبحاث هذا الجزء تاريخ ممالك النبط وتدمر وسبأ وحمير وكندة وعرب جنوب الجزيرة وشمالها وأثر علائقهم باليونان والرومان والحبشة في حياتهم السياسية والاجتماعية وما خلفته اليهودية والمسيحية في عقائدهم .

وفي الكتاب حقائق عن ماضي العرب المجهول الذي أهمله القدامى من الاخباريين وكشفه لنا الآثاريون المحدثون ، خرج بها علينا بصورة حية لماض مضطرب

أدخلته الريبة المستحوذة على أفكارنا في عداد الأساطير ، وجعل من أبحاثه هذه نقطة انطلاق ثابتة لكل راغب في التوسع والمزيد ، وسيبقى هذا الكتاب لأجيال طويلة ، دعامة فكرية وعلمية للباحث العربي ينهل منه ويسترشد به .

جزى الله المؤلف عن أمته العربية كل خير وبارك في جهده ونفعنا بمزيد علمه .

Khalil ben Ish'âq - Abrégé de la loi Musulmane selon le rite de l'Imam Mâlek. I. Le rituel. Traduction nouvelle par G. H. Bousquet. Alger 1956.

المختصر في الفقه المالكي (القسم الأول — العبادات) لخليل بن اسحاق المتوفى سنة ٧٦٧ أو ٧٧٦ هـ . أعاد نقله الى الافرنسية الأستاذ بوسكه ونشره معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب في الجزائر . وهو في (٢٢٧) صفحة من القطع الوسط . طبع في مدينة الجزائر عام ١٩٥٦ .

إن شهرة كتاب المختصر وانتشاره في بلاد المغرب العربي تغني عن التعريف به . فقد اعتمده المغاربة منذ ظهوره في عباداتهم ومعاملاتهم ، وحل محل أمهات كتب المذهب كالموطأ لابن مالك والأسدية لابن الفرات والمدونة لسحنون وغيرها . وهو عند المالكية بمنزلة منهاج الطالبين للنووي عند الشافعية .

كان يغلب على أهل افريقية المذهب الحنفي الى أن ولي سحنون التنوخي قضاء افريقية فنشر فيها مذهب مالك ثم عزز في أيام باديس وعلي بن تاشفين فعم سائر بلاد المغرب . وقد أصاب المذهب نكسة عارضة في زمن دولة الموحدين فأمر يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان على مذهب أهل الظاهر باحراق كتب مذهب مالك ونكل بأئمته وعظم شأن مذهبه مدة ولايته على المغرب ثم استعاد المذهب المالكي مكانته وساد البلاد ولا يزال كذلك الى هذا اليوم .

ولذلك رأينا بعض أفراد الدول التي لها مصالح في هذا الجزء من العالم الإسلامي

تهتم بهذا المختصر وتوليه عناية خاصة وعمد غير واحد الى نقله أو نقل أبحاث منه الى لغاتهم وأخص بالذكر منهم الطبيب بيرون (Perron) فقد نقله بكامله الى الافرنسية في سني (١٨٤٨ — ١٨٥٤) كما نقله الى الايطالية جويدي (I. Guidi) بالاشتراك مع سنتيلانا (D. Santillana) في عام ١٩١٩ . فتكون هذه الترجمة بعد انجازها الثانية باللغة الافرنسية وهي تمتاز عن الأولى بوضوح مصطلحاتها وإدراك أغراضها وتبسيط فهمها . وكان المترجم وهو من أساتذة الحقوق أميناً في نقله وموفقاً بعمله يتجلى فيه سعة علمه ونبل غايته .

جعفر الحسني

مستقبل المرأة العربية
في البيت والمجتمع

تأليف الأستاذ منير الشريف . طبع في دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . دمشق ١٩٥٣ ، وعدد صفحاته ١٨٣ من القطع الوسط

لصديقنا الأستاذ منير الشريف عناية بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فهو قد ألف في هذه الموضوعات عدة كتب ككتاب الضائقة الاقتصادية السورية ، وكتاب واجب النائب ، وكتاب أيها العرب اتحدو ، وكتاب الشباب العربي ، وكتاب العلويين ، وكتاب القضايا الاقتصادية الكبرى ، وكتاب الإرادة ، وكتاب طريق الخلاص (الضريبة على رأس المال) ، وكتاب مستقبل المرأة العربية .

وصف المؤلف في هذا الكتاب الأخير حال المرأة العربية في الماضي والحاضر ووازن بينها وبين المرأة الغربية فهاله أولاً ما أصاب المرأة العربية الحاضرة من انحطاط وتأخر ، ولكنه وجد مع ذلك في هذا الحاضر ما يدل على أن المرأة العربية الحديثة سائرة في طريق التقدم . فما قاله في المرأة العربية الحاضرة : « إذا استثنينا عدداً قليلاً من الآنس والسيدات في مصر وسورية ولبنان

والعراق والأردن ، فان المرأة العربية لا تزال تعيش في عهد البداوة ، غير عالمة بما وصلت اليه المرأة الغربية في العصر الأخير ، بل لا تعلم حالة المرأة العَرَبية قبل عصور الانحطاط .... هذا ما يشجي كل عربي مخلص لقوميته ، مؤمن بوحدتها وسيادتها ونهضتها . لأن المرأة هي نصف عدد السكان ، وانها اذا لم تنهض نهوضاً علمياً حقيقياً ، وتقوم بما يجب عليها في بيتها ، وفي معاونة زوجها ، وتربية أولادها التربية الصحيحة ، وفي التوفير والاقتصاد ، فانها لا تنزل في قومها منزلة الكرامة » (ص ٦) . لذلك أراد المؤلف أن يصلح حياة البيت العربي باصلاح حياة المرأة ، فان المرأة عضو عامل في الأمة ، فإذا أهملناها أو تناسيناها لم نخلق مجتمعاً أفضل من المجتمع الحاضر . والمؤلف يتكلم في كتابه عن العلم والوطنية والتربية والاقتصاد والأخلاق والحرية كما يتكلم عن تدبير المنزل ، وحفظ الصحة ، والجمال .

وقد تكلف المؤلف في هذا الكتاب أسلوباً أدبياً أراد منه إثارة الاهتمام وإيقاظ الوعي ، ولكنه أسهب في ذلك الأسلوب حتى خرج به على الغرض المطلوب ، كقوله عند الكلام على براعة المرأة الغَرْبية في الرسم : « أصبحت رسامة بارعة ، فجعلت منزلها يزدان بأجمل الرسوم التي تريك جنان الطبيعة الضاحكة ، وماءها المعين ، المنحدر من سفوح الجبال ، كأنه عواميد من العاج والفضة ، والمنساب تحت لوحات زمردية ، تلاعبه بأغصانها المتدلية فوق سطحه ، وتريك الغابات النضيرة التي تأخذ بالألباب ، والجبال الشامخة التي كللتها الثلوج ، وصابحتها الشمس بذهبها الوهاج ، وتريك الطيور المنوعة ذات الألوان البهيجة واقفة على أغصان الأشجار الظليلة تطل على نبع نضاخ ، وزهر فواح ، في يوم طاب هواؤه ، وصفت سماؤه ، فتحس في نفسك آنئذ أنك تسمع زقزقتها وصداحها ، وتريك الربيع بشبابه النضير ، وسنابل الحنطة بلاعبها الهواء ، وتموج كأنها شاطئ البحر اللازوردي عند هبوب النسيم ، وتريك الرياض الفرحة وأغنامها

المرحة » (ص ٤ — ٥) . وهذا كله كلام جميل لما فيه من بيان وطلاقة ورشاقة وبلاغة إلا أنه يدخل في كتاب عن التصوير الفني لا في كتاب عن مستقبل المرأة .

ومهما يكن من أمر فان « مستقبل المرأة العربية » كتاب جميل تضمن كثيراً من الأقوال الصادقة والأحكام الصحيحة ، وقد كتبه المؤلف بحماسة وطنية وعقيدة قومية تولد في نفس القارئ اعتزازاً بالماضي وايماناً بالمستقبل . فنرجو لهذا الكتاب انتشاراً واسعاً ، ونشكر للمؤلف علمه الغزير وأدبه الجم .

جميل صليبا

مستقبلك في يدك ، متى عرفت ربّك

تأليف السيد عبد الحميد الخطيب (نزيل دمشق)

السيد عبد الحميد الخطيب السفير السعودي ، والمدرس بالمسجد الحرام سابقاً — هو عالم عامل ، وشاعر ناثر ، دلت على فضله مطبوعاته المشهورة ، فقد نظم السيرة النبوية في ألفي بيت ، وتائيته الكبرى في الإسلام والمسلمين في خمسة آلاف بيت ، وله منظومة في التوحيد الخالص وعقائد السلف ، ومجموعة قصائد في حبّ الله ورسوله ، وقصيدة في الدعوة إلى الجهاد ، وجوهر الدين في العربية والانكليزية والأوردية ، وتفسير الخطيب المكي طبع منه أربعة أجزاء والإمام العادل مع تاريخ الحجاز في نصف قرن (وقد كتبنا عنه في مجلة المجمع) وغيرها من المؤلفات النافعة .

وكتابه هذا في التوحيد ، ولكنه موضوع بأسلوب جديد ، ومكتوب بقلم حديث ، وقد تكلم فيه — بعد المقدمة والتمهيد — على ذاته تعالى وصفاته وتصرفاته ، وأين الله ؟ وقدرته وقربه وكلامه ، ودستوره وضرر تعطيله ، ونظامه الكوني ، وعدله سبحانه ، وملائكته وكتبه ورسله ، وختمه بالبعث .

والأستاذ المؤلف قد جعل مؤلَّفه هذا لأهل الملل والنحل عامة ، لا للمسلمين خاصة ، وإن اقتصر في علاج الأمراض الاجتماعية البشرية على القرآن وحده ،

ورأى فيه الدواء الشافي واستخرجه منه ، ولم ير حاجة لدراسة الكتب السماوية الأخرى . وقد قسم كتابه هذا إلى أقسام ، وهذه الحلقة الأولى منه في معرفة الله تعالى ؛ وقد بيّن الغرض من وضعه ، وهو إنقاذ العالم من الشقاء الذي يتخبّط فيه ، ومَرَدُّ هذا الشقاء إلى الجهل بما أودع الله فينا من قوة ، وما منحنا من سلطان ، يستطيع معه كل إنسان في الوجود أن يقرر مستقبله في هذه الحياة وبعد الممات متى طبّق قانون الحياة الذي وضعه الله لعباده ، والذي لا يمكن أن يخطئ أبداً ، وترى هذا في المقدمة . وقد ندّد السيّد في كتابه بالذين يعزُون ما هم فيه من جهل وذلّ وفقر ، إلى عقيدة القضاء والقدر ، ونسبة كل شيء إلى القسمة والنصيب وما قدّر لهم في الأزل ، وذكر أن الله تعالى رتب الجزاء على العمل ترتيب المعلول على العلة والمسبَّب على السبب ، واستشهد بمثل قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » . وقد فسّر (القضاء) بفعل الله بعباده كالخلق والتكوين والحياة والموت ، والتذكير والتأنيث ، وقد استأثر الله بالعلم بهذا القسم . (والقدَر) وهو أحكام معلقة بشرط أو شروط لا تنفذ إلاّ بتوافرها ، وهي تتعلق بالأنظمة الكونية ، والسُّنَن المطّردة والقواعد الكلية ، كالعمل لطلب الرزق ، ونيل السعادة في الدنيا والآخرة ، « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ، ومَن يعمَل مثقال ذَرّة شراً يره » ومرد كثيراً من آيات الجزاء على العمل ، فصار القدَر عبارة عن سعي وعمل ، لا ما قدّر عليه في الأزل ؛ وردّ ضمير « يشاء » ـ في قوله تعالى : « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » ـ إلى العبد لا إلى الرب ، أي من يشاء المغفرة سلك طريقها وهي التوبة النصوح ، والإيمان الصادق والعمل الصالح ، ومَن شاء العذاب سلك طريقه كالكفر والفجر ، وعياذاً بالله ، واستشهد بالآية الكريمة : « ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، مَن يعمل سوءاً يُجْزَ به ، ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيرا » فهو سبحانه أجلّ من أن يتحيز إلى فريق من

العباد ، إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب الذي يدعو إلى العمل ، وينهى عن البطالة والكسل ، والاحتجاج بالقضاء والقدر ، أو بما سطّر في الأزل ، وقد علمتَ ما فسّر به القضاء . وما أجملتُه هنا لا يغني عن قراءة الكتاب ففيه التفصيل والتعليل ، والاستشهاد بالدليل إثرَ الدليل .

هذا وان لنا بعض ملاحظات على هذا الكتاب أقتصرُ على ذكر أهمّها ، ونعلم أنّ صديقنا المؤلف سلفي المعتقد ، ويسرّه توجيه نظره الكريم إلى ما سها عنه ، فقد جاء (في ص ٦٢) تحت عنوان أين الله ؟ ما يأتي :

« لقد كان من جرّاء تأثر الناس بالمادة ... أن اختلفوا في تعيين موضعه : هل هو في السماء أم في الأرض أم فيها معاً ، أم هو خارج عنهما ، وجرى أكثرهم على أنه تعالى في السماء ، وفق ما يُلَقِّنُه لهم آباؤهم ... ونحن إذ نؤمن بأن الله تبارك وتعالى ليس لشخصيته مادّية ، ما يكون لنا أن نتساءل عن موضعه أين هو ؟ لأن هذا من صفات الأجسام ، والله منزّه عن الجسمانية لا يحويه زمان ولا مكان » .

وجواب هذا أنّ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قد دلت جميعاً على أنّ الله تعالى هو عال على سمواته التي هي مقرّ ملائكته ومهبط وحيه ، وأنه مستو على عرشه ، أي عال عليه أيضاً ، وبائن من خلقه ، لا يحلّ فيهم ولا يمتزج بهم .

ومما تقدّم يعلم أيضاً المراد من المعية في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إنني معكما أسمع وأرى » ، « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم » . فليس حقيقة هذه المعية المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما معناها معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب . وكلّ من أقرّ بوجود ربّ للعالم مدبّر له ، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوّه عليهم ، وكلّ من أنكر

مباينته وعلوّه لزمه إنكاره وتعطيله ، والقول بأنه تعالى بذاته في السموات والأرض إثبات للنقيضين ، والقول بأنه لا داخل العالَم ولا خارجه فيه نفي للنقيضين وكلاهما محال ، فبقي القول الثالث ، وهو قول الرسل وأتباعهم ، وقول العقل والعلم والفطرة ، وهو أنّه تعالى خارج العالم ، فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهو غني عن عرشه ، غناه عن سمواته وأرضه .

هذا وقد شغلتني المعاني عن المباني ، ففي (ص ٦) وانما الذي ينقصنا فقط ومحل لفظ « فقط » بعد قوله : أقوم سبله ، وفي (ص ١٠٤) من يكون له عند الله جاها ، والصواب (جاه) . وهذا سهو يسير وإنما المهم السهو في الآيات الكريمة ، وإني أدلّ عليها في صفحاتها وأعيدها مصححة :

ص ١٦ يمحو الله ما شاء « ما يشاء » ص ٤٢ ربي أني « أرنى » ص ٤٣ انظر الجبل « انظر إلى » ص ٤٣ يعلم خافية « خائنة الأعين » ص ٦٠ إن تُبدو « وإن تُبدو » ص ٦٩ وكل مَن عليها « كلُّ مَن عليها فان » ص ١٣٠ إنا منا « وأنّا منا » ص ١٣٠ وجفان كالجوارب « كالجواب » ص ١٣٠ تأكل من سأته « مِنسأتَه » ص ١٣١ وإنا لمسنا « وأنّا » ص ١٣١ وإنا كنا نقعد وإنا لا ندري « وأنّا » « وأنا » ص ١٣٩ وقدوها « وَقودها » ص ١٤٦ أطعمتم « أصنم » ص ١٤٦ كل ما جاء أمةَ رسولها « كلّما » .

وكنت أرجو أن أرى الأحاديث مخرَّجة ، أو معزوّة الى كتب السنة وهي في ص ١٦ و ٤٢ و ٤٧ و ٥٦ و ٦١ و ٦٤ و ٨٣ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٤ ، و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٣ وما تحتاج الى أكثر من يوم في « الظاهرية » .

أثاب الله الأستاذ « الخطيب المكيّ » وبارك في حياته ، وأمدّه بدوام معونته وتوفيقه .

كتاب (من شيم العرب)

الجزء الأول

تأليف فهـد المارك

مؤلف هذا الكتاب الشيخ فهد المارك من متقدمي إخواننا الطلاب في دار التوحيد من مدينة الطائف وهو الآن الملحق الثقافي الأول في السفارة السعودية ، بدمشق ، ويجاورنا في حي الميدان فيعيد لنا عهد تلك الأيام .

أما كتابه هذا من « شيم العرب » فهو تاريخ وأدب ، وقد بلغ أكثر من ثلاثمائة صفحة ، وما هي بنقل لما في الكتب ، ولكنها وقائع حدثت لمعاصرين وغابرين من مشايخ البادية وحواضرها ، في مدة قرنين ، فهو يرويها عن أهلها أو عمن شاهدها أو عاصرها من الرواة الوعاة ، ويقصها عليك بأسلوبها البدوي ويشرحها لك بقلمه الحضري ، ويذكرك بقول القائل :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وقد عقد كتابه هذا على فصول أربعة ، فالأول في الوفاء ، والثاني في الأمانة ، والثالث في العفو ، والرابع في عفة نساء العرب . وانك لتجد مصداق هذه العناوين في فصولها ، وهي من أعجب ما سُمع ، وأصدق ما رُوي . وقدم لكتابه مقدمة وجّه فيهـا الأنظار إلى قصصه الروائع ، وما تضمنته من حوادث ووقائع ، دوّنها خشية الضياع ، والحرمان من هذا التراث القومي الأدبي ، ورسم فيهـا المناهج الخلقية والعملية للناشئين ، لا سيما شداة الأدب ، ورواة مآثر العرب . ونعى على قراء القصص الخيالية التي لا أثر لها في عالم الحس والوجدان ، ومَن جمدوا على ضرب الأمثال بمن قضوا ومضوا ، فقال : هلم معي اقرأ هذا الكتاب تجد في حقله ما يفوق وفاء السموءل ، ويعلو على كرم حاتم ، ويسمو على شجاعة عنترة ، ويزيد على حِلم الأحنف . وقد بدأ حديثه بما سماه (قصة عالميـة) لشهرتها ببطليها القحطانيين المهادي والسبيعي اللذين ذهبا مثلاً بوفاء كل منهما لصاحبه ،

وقصة ماجد ومفوز الشمريين ، والأولى والثانية هما أطول قصص الكتاب ، فقد استغرقتا أكثر من ثمانين صفحة ، وواحدة عشر صفحات ، وثنتان فوقهما (أي العشر) ، وكلّ من الباقي دون العشر ، وفيها كلها عظات وعبر ، وفيها الشعر الزجلي أو الشعبي مشكولا ، وقد شرحه الأستاذ فهد شرحاً جميلاً ، وفسّر مفرداته ومصطلحاته بما يزيل عنه كلّ لَبس وغموض ، واستشهد لمعانيه بشواهد من شعر الفحول على اختلاف العُصور ، مما دلّ على طول باع ، وسعة اطلاع ، وتذوق للأدبين العربي والزجلي ، والمؤلف له حظ ونصيب منهما كليهما . وله تعليقات مفيدة في كتابه على الحوادث والأشخاص ، فهو يردّهم الى قبائلهم وعشائرهم ، ويوضح ما أشكل من أحوالهم ومسائلهم . وقد كتب مؤرخو العرب والمستشرقون في تاريخ عرب الجزيرة السياسي ، ولكنهم لم يدونوا تاريخها الأدبي والاجتماعي ، وانما يعرفه أهله ، والمؤلف منهم في الصميم ، وقد عرف قيمة كتابه فاحتفظ بحق إعادة طبعه لنفسه ، وعدم ترجمته إلاّ بإذنه ، ونحن نحث أبناء العروبة على دراسته ليعرفوا أصول البادية ومكارمها ، كما يعرفون قوانين الحاضرة وشؤونها ، ومن أحكام البادية ما هو جائر ، كقطع مفرج رأس ابنه وتقديمه الى صديقه المهادي ، وانما يلزمه التعزيز بما دون القتل ، وليس من غرضنا نقد هذه الأحكام ، بعد أن هدى الله أهلها الى الإسلام .

وقد وُضع في آخر الكتاب ، جدول للخطأ والصواب ، وبقيت هنَات يرجى تصحيحها ، منها :

إثبات همزة الوصل ، ووضع همزة إنّ المكسورة فوق الألف أحياناً ، كما ترى في (ص ١٩) وغيرها . وفي ص ٨٣ س ١٧ : عمرواً وصوابها : «عَمراً» ، ٣/٨٩ : الأقدام : «الإقدام» ، ٣/٩١ : وصيره أسودا «أسود» ، وفي آخر ص ٩٤ و ٩٨ : لوحدهم «وحدهم» ، ٢/١١٩ : ألبس : «لبس» ، ١٥/١٣٢ : كما أنّ هناك وجه شرعي : «وجهاً شرعياً» ، ٨/١٤٨ : واليمين

مَن أنكر : « على مَن أنكر » ، ١٦٦ / ٤ : الساعة الحادية عشر : « عشرة » ، ١٩٨ / ١٨ : جماد الأولى : « جمادى » ، ١٩٩ / ٤ و ٧ : والأمارة : « الإمارة » و ١٢ مبلغاً آخرا : « آخر » ، ٢٠٠ / ٥ : سيما : « لا سيما » ، و س ٩ : محطا الأنظـار : « محط الأنظار » ، و س ١٥ : لم يراه : « لم يره » ، ٢٧٣ / ١١ : (١٣٥٧) : « ١٣٧٥ » و ٣٠٣ في الحاشية : مدة عشرة سنوات : « عشر » .

المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون

هي رسالة بقلم الأستاذ الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، كتبها ردًّا على كتاب وجهه اليـه نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط ، الدكتور كارلندايفانز هوبكنز ، يدعوه فيه إلى حضور المؤتمر الذي انعقد في بحمدون في ٢٢ — ٢٧ نيسان سنة ١٩٥٤ (في أواخر شعبان سنة ١٣٧٣) للبحث عن القيم الروحية والمثل العليا في الإسلام والمسيحية ، للفرد والأسرة والمجتمع ، والذي حضره خمسون عالماً من علماء المسلمين والمسيحيين من أقطار العالم كله ، وبحثوا في تعبئة القوى الروحية التي وردت في تعاليم الدين ، وتبيان عقم الفلسفة المادية الفانية ، وقد اعتذر المؤلف عن الحضور مكتفياً بهذا الجواب الذي يقع في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وكله تذكير وتحذير من الوقوع في شباك استعمار الدول الكبرى ، التي نكبت فلسطين هذه النكبة العظمى ، وفي أوله مقدمة ناشره لطبعاته الثلاث ، وفي آخره نحو عشرين صفحة مما نشر في تقريظه .

هذا ومن حق هذه الطبعة الثالثة أن تكون خالية من الأغلاط العظيمة ، التي وقعت في الآيات الكريمة ، وعجيب والله هذا التساهل في الحفظ ، وفي عدم الرجوع الى الآيات والسور في الفهارس ، ممن يلقبون بأئمة الدين ، فانظر وتأمل :

ص ٣٨ س ٩ : ولا تجعلها مغلولة الى عنقك ، فتقعد ملوماً محسورا . والآية الكريمة : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، فتقعدَ » الآية

ص ٥٣ س ٩ : ولا تتخذوا اليهود . والآية : « لا تتخذوا » بلا واو

ص ٥٤ س ٩ : قاتلوهم حتى لا تكون فتنة . « وقاتلوهم » بالواو

ص ٥٩ س ٢ : أحسن كما أحسن الله اليك : « وأحسن » بالواو

ص ٦٩ س ١٤ : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء . الآية : « وايتاء ذي القربى وينهى » .

ص ٦٣ س ١١ : العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . الآية : « ولله العزة » الخ الآية

ص ٨٠ س ١ : قست قلوبهم فهي كالحجارة . الآية : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة »

ص ٨٣ س ١٨ : إنما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس »

ص ٨٤ س ٨ : لعن الذين كفروا ... كانوا لا يتناهون : « ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون ، كانوا »

ص ٨٥ س ٩ : سنة الله في الذين خلوا ولن تجد : « سنة الله في الذين خلوا من قبلُ »

ص ٨٨ س ٩ : وانّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات أولئك يلعنهم الله : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى - من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك » الخ الآية

هذا ونرجو اذا أعيد طبع الكتاب أن يصححوا الآيات الكريمة كما أوردناها ، والله يشكر للأستاذ الجليل دفاعه عن الإسلام وحقائقه ، وبيانه لمزاياه وخصائصه ، وفضحه للاستعمار ومفاسده ، ولكنه (رحمه الله تعالى) لو حضر مؤتمر بجمدون الذي انعقد في العام الماضي ، لرأى وسمع ما تقر به عينه ، ويثلج به صدره ،

وقد حضره من علماء الشيعة الأستاذان : الخالصي ، والشيخ علي من آل كاشف الغطاء ، وكان اجتماع الاسكندرية الذي جرى في هذا العام (٩ — ١٤ شباط ١٩٥٥م و ١٥ ج ٢ سنة ١٣٧٤) مؤيداً ومؤكداً لمؤتمر بحمدون . وقد نشرت — بعد عودي من القاهرة — في بعض الصحف الدمشقية الكبرى ما يتعلق بفلسطين خاصة من خطابي المطوّل الذي ألقيته في الاسكندرية ، ولولا اجتناب مجلتنا (المجمع العلمي) لمسائل الدين والسياسة لنشرته فيها بطوله ، ولكننا نكتفي بنشر القرار الإجماعي للمؤتمر الإسلامي المسيحي بشأن مشكلة فلسطين ، وقضية اللاجئين حفظاً للحقيقة والتاريخ ، وهذا نصه :

« نحن أعضاء اللجنة التنفيذية للجنة مواصلة العمل في التعاون الإسلامي المسيحي الذين نجتمع الآن في الاسكندرية في ١١ فبراير سنة ١٩٥٥ ، نلاحظ بكل أسف أن آلام العرب الفلسطينيين لم تخف ، وأنه لم يحدث تقدم في حل مسألة اللاجئين منذ اجتماعنا في مؤتمرنا في بحمدون .

لهذا قررنا في اجتماعنا أن نجدد تأكيد القرار الذي اتخذ بالإجماع في مؤتمر بحمدون ، والذي كانت صيغته كما يلي :

نحن المشتركين في الاجتماع الإسلامي المسيحي الدولي في تاريخ العالم نشعر شعوراً عميقاً بخطورة مشكلات تلك المنطقة التي ينعقد فيها المؤتمر ، ونأسف أشد الأسف لما أصاب الأرض المقدسة المحوطة بالتقديس والاحترام عند الجانبين الإسلامي والمسيحي من تمزيق وعدوان ، فما من مكان في العالم أحوج اليوم إلى السلام من مسقط رأس ذلك الذي جاء إلى الأرض يحمل رسالة السلام . إن الحالة الراهنة في الأرض المقدسة ، قد بعثت القلق وعدم الاستقرار في قلوب سكان المناطق المجاورة لها في تلك البقاع التاريخية للإسلام والكنيسة المسيحية الأولى ، إذ رأوا اللاجئين المطرودين من بيوتهم ، والمحرومين من تراثهم ، مشردين في الأصقاع . وإن بؤسهم لعبء ثقيل على قلوبنا وضمائرنا ، وإن رسالة الرجاء التي

نادي بها ، والتعاون المتبادل الذي ندعو اليه لبناء عالم أفضل ، ربما بعثت في نفوسهم التي تعيش في يأس شديد شعوراً بالمرارة والسخرية ؛ ولكننا مع ذلك معجبون بقوة عقولهم ، وصلابة أخلاقهم ، فهم إلا القليل منهم باقون على الإيمان بالله ، وعلى الإيمان بأن الغلبة في النهاية للعدل والحق ، وهم لن يفقدوا الرجاء في أن العدل والحكمة سيسيطران على الموقف بواسطة جمعية الأمم المتحدة . إننا نستطيع أن ندرك السبب الذي قد يحمل بعض هؤلاء اللاجئين على الخضوع لتجربة البعد عن الله ، فمنهم المتألمون لخذلان أبناء دينهم لهم ، ومنهم المتهكمون على العدالة التي تجاهر بها الدول الكبرى ، ومن بينها جمعية الأمم ذاتها . لذلك نعاهدهم ـ نحن الذين شهدنا بؤسهم ـ أننا لن ننسام أبداً ، وأننا بعد أن نعود إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا في سبيل قضيتهم ملحّين على حكوماتنا التي ننتمي إليها ، وعلى جمعية الأمم المتحدة في اتخاذ التدابير السريعة لإعادة من يمكن إعادتهم منهم إلى بيوتهم ، ولمنح التعويضات لمن تتعذر عودتهم ، ولمحاولة حل مشكلات الأرض المقدسة على أساس عادل ، حتى يكون سلام دائم حيث يوجد اليوم نزاع وخصام وسفك دماء . »

رسالة الصلاة

أوقاتها . كيفيتها . أنواعها . بقلم الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة

(ص ١ — ٨٩)

وتليها رساله الصلاة وما يلزم فيها للإمام أحمد بن حنبل (٩٠ — ١١٧)

ويليها كتاب الصلاة وحكم تاركها للعلامة ابن القيم (١١٨ — ٢٧٢)

أما الرسالة الأولى فقد كتبت بأسلوب سهل ، وقول فصل ، (لا يشتكى قصر منها ولا طول) . ومن أهم مباحثها : الصلاة ومنزلتها في الإسلام ، وأمر الأديان بها ـ نهيها عن الفحشاء والمنكر ـ إجماع الصحابة على كفر تاركها ـ إشارة

القرآن الى أوقاتها ـ ركعات الفرائض والنوافل ـ أحاديث الصلاة في النعال ـ صلاة الجماعة والجمعة وما ورد فيها من أحاديث ـ صلاة العيدين وما ورد فيها ـ صلاة السفر والخوف والمرض وكيفياتها ـ الطهارة للصلاة وحكمتها . وهكذا . .

وجملة القول في وصف الرسالة : إنها لبيان الصلاة كيفية ، وخشوعا (والخشوع لبها وروحها) ومحافظة عليها . وقد أشرقت بنور ما أودع فيها من آيات كريمة ، وما بينها من أحاديث الأحكام ، مشروحة كلها شرحاً وجيزاً وافياً بالمقصود ؛ واليك ما جاء في أوائل الرسالة من يسر الصلاة ، ودفع الحرج والعسر عن المصلين : « وفي حديث ابن عباس في الصحيحين أنه (ﷺ) صلى في المدينة ثمانيا ـ يعني الظهر والعصر جميعا ـ وسبعا ، يعني المغرب والعشاء جميعا ، زاد مسلم : « من غير خوف ولا مطر » وكونه في المدينة دليل عدم السفر ، وقال أحد رواته : أراد أن لا يحرج أمته . (قال) : « ففي هذا الحديث فسحة طيبة ، ورخصة لطيفة لأهل الأعذار ، من مرض وسياقة سيارات وترام ، وخبازين وطباخين ، فلهم أن يجمعوا صلاتي الظهر والعصر معا ، والمغرب والعشاء معاً عند الحاجة الى ذلك ، لدفع الحرج الذي دفعه رسول الله (ﷺ) بهذا العمل ، ونصّ الله تعالى عليه في كتابه العزيز : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » وصرح بذلك أئمة قدماء ، يقدرون الضرورات قدرها ، ليسوا من المتنطعين في الدين ، ولا من المنفرين عنه ، بل ميسرين مبشرين ، يسهلون ما سهّل الله ورسوله » .

وأما رسالة الإمام أحمد فقد جاء في ترجمة صاحبه مهنا بن يحيى الشامي في وصفها ما نصه نقلاً عن الإمام : هذا كتاب في الصلاة وعظم خطرها ، وما يلزم من تمامها وأحكامها ، يحتاج اليه أهل الإسلام ، لما قد شملهم من الاستخفاف بها ، والتضييع لها ، ومسابقة الإمام فيها » كتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه ، الى قوم صلى معهم ببعض الصلاة .

والرسالة مثال من التعليم العالي لصلاة النبي (ﷺ) وأصحابه ، فهي تمثل

أمامك الصدر الأول ، وما كان عليه من علم وعمل ، ومن تقوى لله عز وجل ، وهذا مثل من هديهم :

وجاء الحديث عن ابن مسعود أنه نظر الى من سبق الإمام فقال : « لا وحدك صليت ، ولا بامامك اقتديت ، والذي لم يصل وحده ، ولم يقتد بامامه ، فذلك لا صلاة له » .

وأما كتاب الصلاة وأحكام تاركها للإمام ابن القيم ، فأصله سؤال ورد في ذلك ، والمسؤول عنه فيه : سياق صلاته (ﷺ) من حين كان يكبر الى أن يفرغ منها سياقاً مختصراً كأن السائل يشهده .

قال السائل : فأرشد الله من دل على سواء السبيل ، وجمع بين الحكم والدليل ، وما أخذ الله الميثاق على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يعلموا ويبينوا . فأجاب ابن القيم عن عشر مسائل ، وردت على لسان السائل ، وموضوعها الصلاة المفروضة ، وحكم تاركها عمداً ، وصلاة المصلي منفرداً وهو قادر على الصلاة جماعة ، وصلاة المسجد والبيت ، ومقدار صلاة الرسول ، وحقيقة التخفيف المأمور به الخ ...

وفي أجوبته تحقيق شافٍ ، وبيان وافٍ ، لا يترك في النفس شبهة ولا حاجة ، وعنده من التأصيل والتفصيل ، ومن عرض أقوال الأئمة أخذاً وروداً ، وقبولاً ورفضاً ، ما ليس عند غيره ، ساق هذا الإمام حجج الفريق الأول القائل بصحة إيمان من لم يصل ، وجاء بأدلة الفريق الثاني ، فعدّ من القرآن عشرة أدلة ، ومن السنة اثني عشر دليلاً بعدم صحة ايمانه ، ونقل اجماع الصحابة عليه ، ثم عقد فصلاً في الحكم بين الفريقين وفصل الخطاب بين الطائفتين ، ثم كان هو الحكم العدل بما عهد فيه من تحرير لمحل النزاع ، وانصاف للخصم ، وبعد عن الهوى ، وناهيك بما أوتي من سعة في العلم ، وإصابة في الحكم ، ونصر للدليل ، وطلب للحق ، وابتغاء لمرضاة الله تعالى .

وإن في سبره للأمور الاعتقادية والعملية ، وفي تقسيمها ، وبيان مراتبها وأحكامها ، ما يزيل اللَّبس ، ويجلي الحقيقة للنفس ، وينفي أنواع الجهالات عنها ؛ وفي أدبه مع الفريق المخالف له ما يدعو إلى حسن الأسوة ، وإن تعجب فعجب سعة صدره لإيراده جميع الشبهات ، وردّها واحدة واحدة ، وفي الكلام إعادة وتكرار لبعض الأدله والأحكام إذ هي أجوبة للسائل والمخالف ، والشاك والمنكر بكفر التارك للصلاة عمداً ، ولو اطّلع شبابنا المثقف على هذه المباحث الشائقة ، وأدلتها الساطعة ، لأشرق نور الإيمان في قلوبهم ، وظهر أثره في أخلاقهم وأعمالهم . وهذه كلة نصح وتذكير من المؤلف رحمه الله ، تصلح أن تكون توجيهاً لهم ، قال (ص ١٣٩) : « ولا تصغ إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها ، وتأمل في الطبيعة بأن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وأن الله فرض عليه الصلاة ، وأنه يعاقبه معاقبة على تركها ، وهو محافظ على الترك في صحة وعافية ، وعدم الموانع المانعة له من الفعل » اهـ . وقد طبع الكتاب على نفقة سمو الأمير سعود (جلالة الملك سعود) أثابه الله تعالى ، وزاده توفيقا .

(الى الحياة)

« آيات من كتاب الله تدعو إلى الصلاح والإصلاح »

أتبعها كلماتٍ توضحها وتسهل فهمها : حمدي عبيد

الأستاذ حمدي عُبيد محافظ على وقته ، دؤوب على عمله ، فهو في كل عام يرينا مما ألفه ، أو اختاره أثراً مفيداً من الكلام الطيّب ، الذي يهدي إلى العمل الصالح ، مقتبساً من هدي القرآن ، أو السنة المحمدية ، وما فيها من هداية ورحمة ؛ فمنه ما هو أحاديث نبوية في العلم والحكمة ، أو في الأخلاق

والاجتماع والمدنية الصحيحة ، أو في الأدعية والأذكار المنتخبة من الصحيحين والسنن ، ومنه ما هو من (عيون الأخبار) وهو كما قال : سياسة وعدل ، وعلم وفضل ، وأدب ونبل ، وجدّ وهزل » ، ومنه ما هو في التوجيه الخُلقي والاجتماعي ، والسموّ الروحي والمادي ، وقد كتبت مجلة مجمعنا العلمي تعريفاً بما تضمنته هذه الرسائل والكتب النفيسة .

وأمامَنا الآن كتاب جديد مسمّى بهذا الاسم « إلى الحياة » ومتوجاً بهذه الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » . وقد قرأ المؤلف القرآن بتفكر وتدبر ، وأمعن النظر والفكر في الآيات المبدوءة بـ « يا أيها الذين آمنوا » . وهي خطاب لكل مَن آمن بما نزل على محمد (ﷺ) وهو الحق من ربنا ، وأحصاها فبلغت ستاً وستين آية ، ثم فسّرها بالظاهر المتبادر منها ، هي وما يتصل بها من الآيات مستمداً من أدب القرآن وهديه ، وحال العصر وأهله ، بأسلوب عذب شيّق ، مستعيناً بمعاجم اللغة وبعض كتب التفسير ، مستلهماً العلي القدير أن يلهمه الصواب ، ويؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ، فالى القراء هذه الدعوة الكريمة من ربنا لما يحيينا ، ويبعث روح العمل والأمل فينا ، جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، « أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

والشكر للأستاذ عبيد لصرفه جهده في النافع الرافع . أثابه الله تعالى وزاده توفيقاً .

محمد بهجة البيطار

مجلة معهد المخطوطات العربية

يصدرها « معهد المخطوطات العربية » التابع لجامعة الدول العربية
المجلد الأول (في جزأين) ، ٣٦٢ صفحة ، القاهرة ١٩٥٥

عناية العرب بالتأليف وجمع الكتب لا تعدلها عناية أمة من الأمم الغابرة ، وتراثهم المكتوب أوفر من كل تراث . ولكن عوادي الزمن سطت على ما خلفوه لنا من مخطوطات ، فاحترق بعض وتلف بعض ، ولم يسلم للأحفاد مما تركه الأجداد إلا قل من كثر ، ولم يبق لدينا منه بالقياس إلى ما كتبوه إلا نقطة من بحر . وقد تقاسمت دور الكتب في الغرب ما وقع لها من آثارنا ، ونحن عنه نيام ، وحرصت عليه وزهدنا به ، وعنيت بتحقيقه ونشره والتعريف به ، ونحن عنه غافلون وبه مفرّطون .

وقد سبق المستشرقون إلى إنشار الكثير من المراجع العربية الموثوقة بعد البلى ، ونشره محققاً منقحاً منقوداً ، وأسعفهم على ذلك ما استحدثوا من أساليب علمية في النقد والبحث ، وما أودعته دور الكتب عندهم من مخلّفات أعلامنا .

وقد استفاق العرب ، في مائة السنين الأخيرة ، من هجمتهم ، والتفتوا إلى هذا التراث الضخم ، فأسهموا في الحفاظ عليه ، والإفادة منه ، وإخراجه للناس على أحسن وجه يعينهم في ذلك تمكنهم من العربية ، وتذوقهم لها ، لاتصال عهدهم بها ، واعتزازهم بهذه الوشائج التي تصل الخلف بالسلف ، وسهولة وقوفهم على النصوص وتبينهم وجه الصواب فيها .

ولكن دور الكتب العامة في مشرق الدنيا العربية ومغربها لم تلق العناية الوافية الواجبة ، ولم تهرع الحكومات عندنا إلى المحافظة على هذه الكنوز من الضياع والتلف ، ولم تيسّر للباحثين سبل التنقيب عنها والانتفاع بها . فليس في أكثر دور كتبنا فهارس متقنة مطبوعة للمخطوطات ، أما الخزائن الخاصة

ففيها ذخائر يضن بها أصحابها ـ إذا عرفوا قيمتها ـ على العلماء ، ويتلفونها على أتفه السبل في أكثر الأوقات . وفي هذا كله ما يعني العلماء العرب ويحول بينهم وبين ما يبتغون من إسهام محمود في تحقيق المخطوطات . ومع ذلك فجهود المجامع العلمية والفضلاء من الخواص في هذا الميدان أخذت تؤتي أكلها طيباً ، ويقطف العلم منها أفضل الجنى .

وكانت تعوز الباحثين مؤسسة تنسق نشر المخطوطات العربية في العالم كله ، وتضم في خزائنها صور المخطوطات القيمة التي يُعْجِز الأفرادَ الوصولُ إليها والحصول عليها . فنطنت لهذا النقص جامعة الدول العربية واستأثرت بفضل إنشاء (معهد المخطوطات العربية) ، سنة ١٩٤٦ ، ليصبح مركزاً عالمياً ، يعوذ به المنقبون عن المخطوطات ، المولعون بإحيائها ، ويضم في خزائنه صور القيّم منها أنّى وجده . وقد ازدادت ثروة المعهد من (أفلام) المخطوطات مع الزمن ، فأصبح لديه اليوم أكثر من أربعة عشر ألف فلم مصغر (ميكروفيلم) ، تصوّر عدداً ضخماً من مخطوطاتنا العربية في مشارق الأرض ومغاربها . ولا يزال العاملون في المعهد ، وعلى رأسهم الدكتور صلاح الدين المنجد ، يشدون الرحال إلى كل بلد يتوقعون أن يقعوا فيه على مخطوط ثمين في مكتبة عامة أو خزانة خاصة . وقد أخذ المعهد في نشر (فهرس المخطوطات المصورة) الموجودة لديه ، فطبع الجزء الأول منه سنة ١٩٥٤ . وهو الآن في سبيل إعداد مستدرَك عليه يصحح خطأه ، ونَشْرِ الجزء الثاني من هذا الفهرس النافع .

وقد شاء المعهد أن يخطو الخطوة التالية في اداء رسالته الكريمة ، فشرع يصدر (مجلة معهد المخطوطات العربية) ، وينشر فيها أبحاثاً بارعة عن المخطوطات العربيـة في دور الكتب في العالم ، وكلماتٍ في التعريف بالثمين من المخطوطات وموضوعاتها . هذا إلى جانب الباب الذي يسجل فيه نشاط المعهد ، من تصويره مخطوطات جديدة أو نشرها ، أو الإشارة لمن يقوم بتحقيقها ، أو نقد لما نشر ،

أو تحقيق لبعض الرسائل النادرة القصيرة . وقد صدر من هذه المجلة المجلد الأول في جزأين ، وفيها أبحاث طريفة لذة ممتعة مفيدة في وصف دور الكتب في العالم العربي ، المعروف منها والمجهول ، وفي نوادر ما فيها . كما يجد المطالع فيها بيان ما نشر من المخطوطات في هذا العهد الأخير .

هذا وفي الصفحات ٣١٩ — ٣٣٧ قواعد يقترح اتباعها الدكتور صلاح الدين المنجد في نشر النصوص القديمة ، والموضوع جليل ، وآراء العلماء فيه مضطربة متعارضة . وقد تصلح بعض هذه القواعد المقترحة لنشر كتب بعينها فنقره عليها ، ولكن كتباً أخرى في موضوعات مغايرة قد تقتضي تعديلاً لهذه القواعد . على أن مؤتمر المجامع العلمية الذي ينعقد الآن في دمشق سينظر فيها ، ونرجو أن يخرج من دراسته لها بقواعد ضافية مفصلة تنتظم كل ما ينشر ، وتنسق طريقة النشر ، وتجلو ما يجب تقديمه على غيره في النشر ، ويقرها جميع العاملين في هذا الموضوع الجليل .

والحق أنه لا يغني المحققين المهتمين بنشر التراث الفكري العربي شيء عن هذه المجلة ، ونرجو أن تغنيهم في المستقبل عن كل مصدر ، وأن يصبح المعهد قبلة الباحثين أجمعين ، إليه يتجهون وعنه يأخذون وفي اداء رسالته يسهمون . والشكر أولاً وآخراً للجامعة وللمعهد وللقائمين عليها .

مصادر الدراسة الأدبية

الجزء الثاني : الفكر العربي في سِيَر أعلامه ، القسم الأول : الراحلون (١٨٠٠–١٩٥٥م) ، ألفه: يوسف أسعد داغر ، ونشرته جمعية أهل القلم في لبنان ، وطبعته في (مطابع لبنان) ، بيروت ١٩٥٦ ، في ٨٦٠ صفحة

كان المتقدمون من علمائنا في الزمن الغابر يعوذون بما أوعبته صدورهم وما اختزنته ذاكرتهم ، في معرفة مراجع ما يقبلون عليه من بحث ودرس وتأليف . فلما طلعت المطبعة على الناس بهذه الألوف المؤلفة من الكتب والمجلات ، وتضاعف عدد المراجع والمؤلفات ، واتسعت آفاق المعرفة وامتدت حدودها ، عجزت الذاكرة عن استظهار عناوين الكتب ، بله ما تشتمل عليه هذه الكتب ، فأصبح قصارى العالم الباحث في عصرنا أن يعرف المراجع التي تيسر له سبل البحث . ولهذا أصبح التأليف في التعريف بالمراجع خدمة جلى للعلم والعلماء .

وممن انصرف ، في الآونة الأخيرة ، الى التأليف في هذا الموضوع ، الأستاذ السيد يوسف أسعد داغر ، أمين دار الكتب اللبنانية السابق ، فقد نشر كثيراً من الكتب في ذلك ، وأجلُّها كتاب (مصادر الدراسة الأدبية) .

نشر المؤلف الجزء الأول من كتابه هذا سنة ١٩٥٠ م ، وأودعه تراجم موجزة لزهاء مائة من الأعلام العرب ، المقرر تدريس شيء من آثارهم في مناهج التعليم الرسمية في بعض البلاد العربية (من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة) [1] .

ثم أصدر الأستاذ داغر في هذه السنة القسم الأول من الجزء الثاني من (مصادر الدراسة الأدبية) . وقد قصر هذا القسم على سِيَر الراحلين (١٨٠٠ — ١٩٥٥) من أعلام الفكر العربي الحديث . أما القسم الثاني من

(١) تجد تعريفاً بهذا الجزء الأول في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٦ سنة ١٩٥١ ص ٤٤٤ – ٤٤٧ ، وقد كتبه الأستاذ نعيم الحمصي .

هذا الجزء فيود المؤلف الفاضل أن يدون فيه تراجم الأحياء من أعلام الفكر العربي الحديث . وسيضمّن الأجزاء الثلاثة التالية ما يتعلق بالأدب النسائي العربي في القرنين الأخيرين ، وبالمستشرقين والفنون الأدبية العامة كالمسرح والنقد والصحافة ....

طريقة المؤلف في هذا القسم الذي نعرّف به تشابه طريقته في الجزء الأول إلى حد كبير ، فهو يبدأ كل ترجمة بإيراد نبذة وافية في التعريف بالعَلَم المترجم له ، ثم يعقّب على ذلك بسرد مؤلفاته : ما طبع منها وما لم يطبع ، ثم يتلو ذلك بيان الكتب التي أُلفت عن هذا العَلَم أو تناولته بالبحث ، وكذلك المجلات العربية التي كتبت عنه ، دالاً على المظان بوضوح ودقة وتفصيل . وقد وطّأ المؤلف لهذا القسم بالتعريف بأصول الكتاب ، فذكر المراجع العامة والمجلات ، وعرّف بها تعريفاً مجزياً ، وختم الكتاب ببحثٍ ضاف في الاستشراق وأعلام المستشرقين . وقد أثبت المؤلف في هذا القسم تراجم (٢٠٦) من الأعلام الراحلين ، وأغفل ـ مرغماً ـ إثبات ترجمة مائة منهم آخرين ، كان يود التعريف بهم لولا تضخم حجم الكتاب .

هذا الجهد المحمود ، الذي بذله المؤلف في صبر وأناة وأب وتبصر ، لا يكافيه شكر المنتفعين بكتابه القيّم هذا ، ولا يوفيه حقه ثناء الباحثين الذين بذل لهم وقته فوفّر عليهم وقتهم ، ويسر لهم سبل البحث ، وأمدّهم بما قد يُعجِز كثرَتَهم الوقوفُ عليه لولاه .

على أن حرصنا على الإفادة من كل جهد المؤلف يضاعف أسفنا على اضطراره لإسقاط تراجم مائة من الأعلام كان قد أعدها لهم ، وفيهم العدد الجم من الفحول المتمكنين الذين يعدلون ـ بل يفضُلون ـ بعضَ من أثبت تراجمهم ؛ فمن أغفل محيي الدين الخياط وهدى شعراوي وكرنيليوس فان ديك وجرمانوس فرحات وجمال الدين القاسمي ولبيبة هاشم وعلي مصطفى مشرفة . وكانت للمؤلف مندوحة عن إسقاط

تراجمهم لو لم يسرف في ترداد كلمات فرنسية بعينها ترد في ترجمة كل عَلَم ، ولو لم ينقل إلى الحروف اللاتينية اسم كل مترجَم له . وإذا كانت حجتـه هي خدمة المستشرقين فاننا نعتقد ان المستشرق الذي يعجز عن تهجية اسم العَلَم بالعربية عاجز عن الإفادة من السيرة التي سطرها له المؤلف بالعربية وحدها . وكان يجزئ المؤلف أن يقدم للكتاب بفهرس لاتيني للأعلام ، وبكلمات قليلات تترجم للمستشرقين غرض الكتاب ورموزه . هذا وفي الكتاب أقسام كبيرة من صفحات تركت بيضاً ، توخياً للأناقة في الطبع ، على أن المألوف في أمثال هذا الكتاب من المصادر والمعاجم أن يقتصد في التزويق ، لتتضمن الصفحات القليلة الأقوال الكثيرة .

هذا وقد ينكر الحراص على سلامة المبنى العربي على المؤلف الفاضل تجوزه حيناً بعد حين في الأسلوب ، كقوله مثلاً في ص : س : « نحن نعرف قبل غيرنا ما ركَّب النقص في هذا الكتاب وما يعتوره ، بالرغم مما وفَّرنا له من مقوّمات ومحسنات ومؤهلات ، من شوائب وأوهام وهنات » . وقوله في ص : ن : « رأينا أن نلحق كتابنا هذا بفهرس عام » . أو روايته بيت شوقي المشهور على الشكل التالي : (ص : ن)

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والإبلام إخوان

ولعل هذه الهنات الهينات تعويذة للكتاب تقيه لذعة الحدق .

عبد الهادي هاشم

أساسات التنمية الاقتصادية

وتطور اقتصاديات الشرق العربي

للأستاذ يونس صالح الحربي

نشر الأستاذ يونس صالح الحربي بوساطه دار العلم للملايين (بيروت) في هذا العام ، كتابين اقتصاديين ، الأول : (أساسات التنمية الاقتصاديه) ، والثاني : (تطور اقتصاديات الشرق العربي) .

وقد بحث في الكتاب الأول: مواضيع ١ — التنمية الاقتصادية ، ٢ — تكوين رأس المال ، ٣ — استخدام القوة العاملة ودور السكان في التصنيع .

وبين فيه أن تنمية رأس المال ، بالدخل الحقيقي ، مما يبعث النشاط في العمل ، ويكثر الانتاج . وان من الضروري الادخار ، واستثمار تلك الأموال المدخرة بالطرق المنتجة ، لأن المال هو واسطة كبيرة للعمل ، وان من الواجب إفساح المجال للكسب أمام رجال الأعمال ، وبين ضرورة التوجيه الحكومي لتأمين توزيع موارد الجماعة ، لأن لها تأثيراً كبيراً في الادخار وزيادة رأس المال .

ثم قال : ان الانتاج الكبير وحسن إدارة الأعمال ، وتنظيم العمل ، واتقانه بالأساليب الحديثة مما يخفض نفقات الصنع ، على أن زيادة الفائدة ، تضر بالاقتصاد الوطني .

وقد أفرد بحثاً عن رأس المال المستثمر في الولايات المتحدة ، وزيادة الانتاج هناك ، ومعدل النمو الصناعي في بريطانيا ، والولايات المتحدة وغيرهما من الدول ، وبين أن نظرية مالتوس كانت غير واقعيه .

ثم قال إن من الضروري معالجة البطالة ، بالأعمال المنتجة ، وان الصناعة

هي ضرورية لتأمين استهلاك الشعوب ، ولتأمين الآلات الزراعية الحديثة ، والسماد ، وان في زيادة الانتاج الزراعي والصناعي ازدهاراً اقتصادياً .

ان هذا الكتاب قيم وجامع للنظريات الاقتصادية ، وقد استعان على إخراجه بعدة كتب لكبار رجال الاقتصاد ، على انه كتاب عام ، وغير محصور بالبلاد العربية ، لأن كتابه الثاني يخص البلاد العربية ، كما ان الاحصاء الذي أتى به كان جله قبل عام ١٩٥٠ ، مع ان الكتاب طبع عام ١٩٥٦ ، ولكن هذا لا يقلل من أهميته .

وأما كتابه الثاني فقد استعرض فيه اقتصاديات البلاد العربية ، وحالة الدخل الضئيل فيها وأنواعه ، وحالة السكان في البلاد العربية ، وقلتهم في سورية والعراق والمملكة العربية السعودية ، وكثافتهم في مصر ولبنان والأردن واليمن ، والانتاج الزراعي ، في كل قطر عربي وتزايده وقضية الملكية في مصر ، وتوزيع بعض الأراضي هناك ، وفوائد السدود فيها ، ومشاريع الري والسدود في العراق والآمال الكبيرة المعلقة عليها ، والنفط العربي وكميته وأقطاره ، واستثماره من قبل الشركات الأجنبية ، والصناعة في البلاد العربية ، وتكاثر الآلات الحديثة ، وانتاج كل قطر ، والقوة الكهربائية فيه وقابلية التوسع الزراعي والصناعي .

ثم بحث عن التنمية الاقتصادية ، وبين ضرورة العناية بزيادة الانتاج الزراعي والصناعي وذكر عيوب النظام المالي وعدم مرونته ، ومن قوله : (ومما لا شك فيه ان الفقر السائد في البلاد « العربية » والتمثل في وطأة الدخل الفرد يؤثر على ميزانيات الدول المختلفة ، وبالتالي يحد من مقدرتها على العمل والانفاق والاستقراض لأغراض التمويل ، والسياسة الاقتصادية ، والنظم الضرائبية ليست نظماً تقدمية ، فأغلب الإيرادات مستمدة من ضرائب استيراد واستهلاك ورسوم أخرى غير مباشرة) وهذا هو الواقع في البلاد العربية للأسف .

وبحث أيضاً عن حالة الأسعار وارتفاعها ، والتنظيم النقدي ، وتراخي الحكومات

بمكافحة التضخم والأسعار ، وحالة التجارة الخارجية وعرض جدولاً بالمستوردات والصادرات في البلاد العربية ، وكيف أن الميزان التجاري علينا لا لنا ، وخاصة في العراق ـ إذا استثنينا صادرات النفط ـ والأردن ولبنان .

ان هذا الكتيب قد استعرض اقتصاديات البلاد العربية ، وانا لنشكر الأستاذ على جهوده الطيبة .

في الحق ان الأمة العربية في تزايد متواصل ، مع ان الانتاج يزيد ببطء ، وهذا ما جعل المواليد الجدد يلتهمون تلك الزيادة ، بينما الإنتاج بأجمعه ليس بالقدر الكافي ، بحيث يمكنه رفع مستوى الأمة ، ونشلها من هوة الفقر الخطيرة . لذلك كان من الواجب على الحكومات العربية أن تعمل على الإكثار من المساكن الصحية الحديثة ، وزيادة الآلات الزراعية ، والمشاريع المائية للري والكهرباء ، وايجاد معامل للسماد الكيماوي لإراحة الأرض وزيادة غلتها ، وتكثير الآلات الصناعية الهامة ، والتنقيب عن النفط والمعادن في الأقطار التي لم يكن منه شيء لديها بعد ، وتعميم التعليم الابتدائي والمهني ، وربط البلاد العربية بعضها ببعض بالوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية لإيجاد القوة والاستقرار والمحبة والتعاون المشترك ، في زيادة الانتاج واستهلاكه .

منير الشريف

آراء وأنباء

الأستاذ المرحوم جورج سارطون

(١٨٨٤ ـ ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ جورج سارطون

تخطف الموت من بيننا علماً فذّاً من أكابر علماء هذا العصر ، ومستشرقاً ضليعاً أخلص الحب للعرب ولغتهم ، وجلا فضل علمائهم على العالم القديم ، في تجرد وإنصاف ؛ فقد جاء النعي بوفاة الأستاذ المرحوم جورج سارطون في الثاني والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٥٦ ، ولم يكن قد انقضى عام واحد على انتخابه عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي .

ولد المرحوم جورج سارطون في بلدة غاند (بلجيكة) في ٣١ آب ١٨٨٤ . واغتُضِرت أمه ولم يتم السنة الأولى من عمره . وقد نشأ في هـذه البلدة ، ودرس في جامعتها ، وأحرز منها شهادة الدكتوراه في العلوم الفيزيائية والرياضية سنة ١٩١١ . فلما اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى رحل بزوجه وابنته (مي) إلى انكلترة موطن زوجه ، ثم تحوّل عنها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ منها منذئذ موطنه الثاني ، فسُمي محاضراً في تاريخ العلم في جامعة جورج واشنغطون عام ١٩١٦ ، ثم انتقل إلى جامعة هارفرد ، وواظب على تدريس تاريخ العلم فيها منذ سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٩ . وكان لمؤسسة كارنجي الفضل الأكبر في أن وفّرت له كل ما يعوزه حتى يستطيع أن يقف جميع وقته على دراسة تاريخ العلوم والتأليف فيه . وقد ألقى الكثير من المحاضرات في الجامعات الأميركية والأوربية ، وزار في سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ بلاد الشام ومصر وافريقية الشمالية . ولا يزال الكثيرون في بلادنا يذكرون محاضراته الممتعة القيّمة التي ألقاها يومئذ في الجامعة الأميركية وكلية المقاصد الإسلامية في بيروت ، وكان موضوع أكثرها بيان فضل العرب على التفكير الإنساني .

مُنح الفقيد ست شهادات دكتوراه فخرية ، وانتخب عضواً في عشرة مجامع علمية دولية وفي كثير من الجمعيات الدولية للعلم والتاريخ والفلسفة ، وظل أمداً

طويلاً رئيساً للاتحاد الدولي لتاريخ العلوم في باريز ، قبل أن يصبح رئيساً فخرياً له ، ولجمعية تاريخ العلوم . وقد سُمي عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الرابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٥٥ .

كان المرحوم جورج سارطون قد أزمع منذ صباه أن يتفرغ لدراسة تاريخ العلوم ، وبلغ من ذلك فيما بعد مبلغاً لم يتح لغيره ، وخلّف للباحثين والعلماء أكثر من خمسمائة مؤلف ، هذا عدا ما كان ينشره في المجلات من تعريف بالكتب ونقد لها . وأهم تصانيفه كتاب « المدخل إلى تاريخ العلوم » ، أصدره في ثلاثة أجزاء [١] ، في خمسة مجلدات ، تستغرق أكثر من أربعة آلاف صفحة ، وقد نشرته مؤسسة كارنيجي في واشنطون ١٩٢٧ — ١٩٤٨ . يشتمل هذا الكتاب على موجز تاريخ العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية في العالم كله ، وعند جميع الأمم وفي جميع اللغات ـ مما وصل علمه إلينا ـ ، منذ هوميروس حتى آخر القرن الرابع عشر (القرن الثامن الهجري) . وقد وقف المؤلف جزءاً كبيراً وافياً من كتابه هذا على تاريخ العلوم عند العرب ، وعُني أكرم عناية بجلاء أثرهم وتبيان فضلهم على العالم في هذا الميدان ، في تجرد وإنصاف ، يحمد عليها ، حتى أصبح كتابه هذا مرجع كل من كتب بعده في تاريخ العلوم عند العرب . وقد أقرت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ترجمته الى العربية سنة ١٩٤٨ ، ولكن لم تظهر هذه الترجمة إلى اليوم ، ولم ينقل من آثار الفقيد إلى العربية ، فيما نعلم ، إلا محاضرة واحدة ألقاها في مكتبة الكونغرس (نيويورك) في آذار ١٩٥٠ ، حول « الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط » ، وترجمها فيما بعد إلى العربية الدكتور عمر فروخ ، بعد أن وطأ لها بكلمة موجزة ، عرّف فيها بالمحاضر وآثاره [٢] . ويبدو أنه يجري الآن إعداد ترجمة عربية لكتاب آخر

(١) اقرأ تعريف الدكتور عمر فروخ بالجزء الثالث من هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي (مج ٢٦ ، سنة ١٩٥١ ، ج ١ ، ص ١٠١ وما يتبعها) .

(٢) نشر مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٢ م .

من مؤلفات الفقيد هو : « تاريخ العلوم ، العلوم القديمة في عصر اليونان الذهبي » . على أن كثيراً من كتبه نقل إلى لغاتٍ أخرى كالاسبانية واليابانية ، ومنها « تاريخ العلوم والآداب الحديثة » و « حياة العلوم، مقالات في تاريخ الحضارة » ...

هذا وقد أنشأ الفقيد مجلتين للبحث في فلسفة العلوم وتاريخ العلوم والثقافة ، وهما « ايزيس » و « اوزيريس » ، وأصدر منها ثلاثة وأربعين مجلداً ، ثم تجلى ، في الفترة الأخيرة ، عن الإشراف عليها لغيره من العلماء ، ولعل هذه المجلدات التي صدرت منهما تؤلف أكبر مجموعة من هذا النوع في العالم كله .

هذه حياة خصبة طويلة ، قضاها هذا الرجل في العلم وللعلم ، فصح فيه قول القائل : « رجل مات والرجال قليل » ، تغمده الله برحمته ، وجزاه عن العلم وأهله خيراً .

الأستاذ المرحوم عيسى اسكندر المعلوف

(١٨٦٩ ـ ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف

في اليوم الثاني من شهر تموز سنة ١٩٥٦ ، رزئ المجمع العلمي العربي بوفاة العلامة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، أحد أعضائه الأوائل الذين شادوا صرحه وأثلوا مجده وحببوا العربية إلى أبنائها ، يوم كان القوم بين عازف عنها متنكر لها ، وجاهل بها جاحد فضلها .

ولد الفقيد الكريم في قرية كفرعقاب من متن لبنان، في ١١ نيسان عام ١٨٦٩ م ، لأبوين ينميان إلى أسرة حورانية غسانية . ودرس في صغره مبادئ العلوم في مدرسة القرية على الطريقة القديمة . ثم انتقل إلى مدرسة المرسلين الانكليز ، فأتقن العربية وبعض الانكليزية والرياضيات . ثم التحق بمدرسة الشوير العالية في متن لبنان أمداً قصيراً ، وما لبث أن انصرف بعد ذلك إلى المطالعة الشخصية ، وحضور مجالس علماء عصره ومنهم الشيخ ابراهيم اليازجي . فلما اجتمع له من العلم بالعربية قدر واف أخذ يدرّسها في بعض المدارس الخاصة ، ويؤلف لطلابه فيها كتباً تعينهم على التبحر فيها والتمكن منها . فلما أنشئت جريدة (لبنان) سنة ١٨٩١ أصبح يحرر فيها ، دون أن ينقطع عن التدريس ، وظل يمد كثيراً من الصحف والمجلات ، في هذه الفترة ، في الوطن والمهجر بمقالاته ودراساته وأبحاثه ، ويلقي بين الفينة والفينة محاضرات نافعة على الجمهور . وقد أصدر سنة ١٩١١ مجلة (الآثار) مدة ثلاث سنوات ، توقفت بعدها إثر نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم عادت إلى الصدور بعد انتهاء الحرب .

وقد ساهم الفقيد في (ديوان المعارف) ، في عهد الحكم الفيصلي في الشام ، مساهمة محمودة مشكورة ، واشترك في تقويم لغة الكتب المؤلفة أو المترجمة آنئذ . فلما أصبح هذا الديوان المجمعَ العلمي العربي سنة ١٩١٩ سمي الفقيد عضواً عاملاً فيه ، فشارك في وضع أسسه ، وإقامة دعائمه ، وفي الكتابة في مجلته ، والمحاضرة في ردهته ، ثم حين تحول الفقيد عن دمشق إلى مدينة (زحلة) وعاد إلى الإقامة

فيها ، أصبح عضواً مراسلاً للمجمع . ثم انتخب عضواً في المجمع العلمي اللبناني عند تأسيسه في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ، كما عين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ إنشائه في ٦ تشرين الأول ١٩٣٣ .

كان الفقيد واسع الاطلاع ، طويل الباع ولا سيما في علم التاريخ ، بصيراً بالكتب : مخطوطها ومطبوعها ، حريصاً على اقتناء القيم النفيس منها ، وكانت خزانته من أغنى خزائن المشرق بالمخطوطات ، وقد انتقل منها إلى خزانة الجامعة الأميركية في بيروت نحو خمسمائة مخطوط لما أزمع المرحوم السفر إلى البرازيل حيث يقيم أولاده النابهون النابغون . وكان الفقيد إلى ذلك صبوراً على البحث ، مكباً على الدرس ، دؤوباً على التأليف ، لم يقعده عن ذلك إلا اشتداد وطأة المرض عليه في السنوات الأخيرة . وقد ألف الكثير من التصانيف المفيدة ، ولكن لم يطبع منها إلا القليل . فمن هذه التصانيف كتاب مطول في تراجم أدباء القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهو أشبه بذيل لسلك الدرر للمرادي ، وكتاب في تاريخ الحرب العالمية الأولى ، وكتاب (شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة) في الشعر والشاعر والفنون الشعرية ، وكتاب (نفائس المخطوطات) الكبير في وصف نوادر الكتب المخطوطة ومزاياها ، وكتاب (خزائن الكتب العربية) . ومن تآليفه المطبوعة كتاب (دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف) في أكثر من سبعمائة صفحة ، وقد طبع في بعبدا سنة ١٩٠٨ ، وكتاب (تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني) وقد طبع في جونية سنة ١٩٣٤ في أكثر من أربعمائة صفحة ، وكتاب (تاريخ مدينة زحلة) في ثلاثمائة صفحة وقد طبع في زحلة سنة ١٩١١ ، وتاريخ (الأسر العربية المشتهرة بالطب وأشهر المخطوطات الطبية العربية) ، و (تاريخ الطب عند العرب) ، وتاريخ (قصر آل العظم بدمشق) ... الخ .

كان الفقيد ـ طيّب الله ثراه ـ كريم الخلق ، هادئ الطبع ، واسع الصدر ، عميق الفكر ، جم التواضع ، عالي الهمة ، جواداً بعلمه ، طويل الأناة . تغمده الله برحمته ، وأثابه عن العربية خير ما يثاب به العاملون المخلصون .

الأستاذ المرحوم فيليب طرّازي

(١٨٦٥ ــ ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ الڤيكونت فيليب دي طرّازي

قضت مشيئة الله أن يختار إلى جواره ، في صبيحة اليوم السابع من شهر آب سنة ١٩٥٦ ، عالماً محققاً من خيرة علماء هذا العصر ، وعضواً كريماً من قدامى أعضاء المجمع العلمي العربي ، هو الأستاذ المرحوم فيليب طرّازي ، فعظمت فاجعة العلم بفقده ، وأسيَ كل من عرفه من أهل الفضل والسابقة لوفاته .

وُلد الفقيد في بيروت في ٢٨ أيار عام ١٨٦٥ من أسرة كريمة معروفة ، هاجرت من الموصل إلى حلب في القرن السادس عشر ، ثم ضربت فروع منها في أرض بلاد الشام ومصر ، ونزل بعض أفرادها بيروت في القرن التاسع عشر ؛ ومن نسل هؤلاء المرحوم نصر الله طرّازي ، الذي أنعم عليه قداسة البابا بلقب (كُنت) سنة ١٨٩٤ ، تقديراً لمساعيه المبرورة وعلمه الواسع . وورث فقيدنا فيليب لقب (ڤيكونت) عن والده المرحوم نصر الله ، إذ كان ثالث أنجاله .

درس المرحوم فيليب طرّازي في المدرسة البطريركية ، وفي كلية الآباء اليسوعيين ، فنال النصيب الأوفى من الثقافة العالية والاطلاع اللغوي ، ثم انصرف إلى التجارة مهنة آبائه من قبل ؛ ولكن التجارة لم تشغله عن الاستزادة من العلم والمعرفة ، بل يسّرت له سبلها وأعانته ، إلى جانب ذلك ، على إسداء العون والبر لمن نكبهم الدهر ونزلت بهم شدائد الأيام ، ولا سيما في غضون الحرب العالمية الأولى ، حتى أنفق في سبيل كفكفة دموعهم وتخفيف آلامهم الشطر الأوفى من ثروته العظيمة .

انتخب الڤيكونت فيليب دي طرازي ، في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ ، عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في مطلع عهده ، وظل أمداً طويلاً يوافي مجلته بأبحاثه ودراساته . كما اختير عضواً في كثير من المجامع والجمعيات العلمية في المشرق والمغرب .

كانت ثقافة الفقيد واسعة الآفاق ، ممتدة الجوانب ، وقد عُني بكثير من الموضوعات التي تهيبها العلماء من قبله فلم يطرقوها أو ألموا بها إلمامة الطائر ، فقد

تصدى مثلاً لتأليف كتاب في (تاريخ الصحافة العربية) ، وأنجزه في اثني عشر جزءاً ، نشر منها ، بين سنة ١٩١٣ و ١٩٣٣ أربعة أجزاء ، في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وترجمت فصول منها إلى الانكليزية والألمانية ، كما ألف كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) ، في ثلاثة مجلدات تربي صفحاتها على الألف ، وقد طبعته وزارة التربية الوطنية في لبنان سنة ١٩٤٨ ، و كتاب (أصدق ما كان عن تاريخ لبنان) في ثلاثة مجلدات أيضاً ينيف عدد صفحاتها على الألف ، وقد طبعت سنة ١٩٤٨ .

وللفقيد الكثير من الكتب والرسائل القيمة المطبوعة ، منها كتاب (القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة) وقد ضم مراثي كتبت في عشرين لغة شرقية وغربية (بيروت ١٨٩١) ورسالة (عصر العرب الذهبي) و (بحث تاريخي علمي أثري عن القرآن) و (علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب) ، وكتاب (إرشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب) و (المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب) ... الخ

أما كتبه التي لم تطبع فتقارب الثلاثين عدًّا في الأدب والتاريخ والفن .

ومن مآثر الفقيد الجلى إنشاؤه دار الكتب الوطنية في بيروت ، فقد أنفق في سبيل إقامتها زهرة شبابه وحرّ ماله ، وأودعها جلّ ما في خزائن كتبه الخاصة ، حتى بلغ ما جهز به دار الكتب من المؤلفات اثنين وثلاثين ألف مجلد . وقد انتقلت إلى دار الكتب أيضاً مجموعة الفقيد الصحافية ، وهي تحتوي على أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة صحيفة مختلفة العناوين ، وتشتمل على نموذج من كل جريدة أو مجلة ظهرت في العالم بالعربية أو باحدى اللغات الشرقية ، وهذا النموذج هو أول عدد من هذه الجرائد والمجلات .

كان الفقيد وافر الذكاء منقد الذهن نافذ النظرة حاضر البديهة جميل النكتة كريم النفس واليد واسع الاطلاع مدققاً متبحراً متمكناً . وقد جاء في الأثر : خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وهذه حال الفقيد ، تغمده الله برحمته وجزاه أفضل ما يجزى الأخيار الأبرار .

مؤتمر المجامع اللغوية العلمية

تقوم الآن في العالم العربي ثلاثة مجامع ، تعنى بالعرب وحضارتهم ، وعلومهم وتراثهم ، وتسعى إلى إنشار آثارهم وخدمة لغتهم ، بحيث تساير هـذا العصر وتتسع للعلوم والفنون والآداب والمخترعات الحديثة . وهذه المجامع القائمة الآن هي : المجمع العلمي العربي في دمشق وهو أقدمها ، والمجمع العلمي العراقي ، والمجمع اللغوي في القاهرة .

وقد اقتُرح على مؤتمر وزراء المعارف العرب في القاهرة (سنة ١٩٥٣) إنشاء مجمع علمي عربي موحد يحل محل المجامع القائمة . فأحيل هذا الاقتراح إلى اللجنة الثقافية الدائمة في جامعة الدول العربية عندما اجتمعت في جدة سنة ١٩٥٥ ، وخرجت من دراسته إلى إقرار مقترح الأستاذ عبد الهادي هاشم رئيس الوفد السوري آنئذ ، ومآله أن من الخير بقاء المجامع الثلاثة قائمة ، على أن تعمل الجامعة العربية فتيسر عقد مؤتمرات دورية بين هذه المجامع ، لتنسيق أعمالها ، وتبادل الرأي في نشاط كل واحد منها .

قامت الإدارة الثقافية في الجامعة بانفاذ هذا القرار ، فدعت إلى عقد المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية في دمشق بين ٢٩/٩/١٩٥٦ و ٥/١٠/١٩٥٦ ، ووجهت الدعوة إلى المجامع الثلاثة ، وإلى كل دولة عربية ليس فيها مجمع ، من أجل الإسهام في هذا المؤتمر ، وأخذت تعد أبحاثه وتهيئ أعماله ، مستعينة في ذلك كله بالمجمع العلمي العربي . وقدمت الحكومة السورية كل ما ييسّر نجاح المؤتمر ورعاه فخامة رئيس الجمهورية السورية بعنايته الكريمة .

وقد رؤي أن تكون لجان المؤتمر خمساً : تعنى الأولى بدراسة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية ، وتعنى الثانية ببحث الوسائل الر

إلى ترقية اللغة العربية من حيث تبسيط قواعدها وكتابتها وإملائها وتقريب العامية من الفصحى وإصلاح لغة الصحف والإذاعة والدواوين وما إلى ذلك ، وتعمل اللجنة الثالثة على دراسة قضايا الترجمة والتأليف وتنسيق أعمال النشر في الأقطار العربية ، كما تقوم اللجنة الرابعة بدراسة وضع المصطلحات العلمية ونشرها وتأليف معجم لها . أما اللجنة الخامسة فتبحث في المخطوطات العربية : ماذا يجب أن ينشر منها وكيف ينشر .

وقد أقيمت حفلة افتتاح هذا المؤتمر على مدرج الجامعة السورية في دمشق في مساء ٢٩/٩/١٩٥٦ فألقى فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي كلمة رحب فيها بالمؤتمر وأعضائه ، وتلاه وزير المعارف الدكتور عبد الوهاب حومد ، ثم رئيس اللجنة الثقافية الدائمة الدكتور طه حسين ، ثم الدكتور منصور فهمي كاتب سر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ثم الأستاذ بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي .

وفي صبيحة اليوم التالي (٣٠/٩/١٩٥٦) اجتمع أعضاء المؤتمر في ردهة المحاضرات في مقر المجمع العلمي العربي وألقوا لجاناً من بينهم ، أخذت كل منها تدرس ما نيط بها من موضوعات .

وسنذكر في العدد القادم ما يستقر عليه رأي المؤتمر في هذه الأبحاث وما سيقرره من توصيات عند اختتام جلساته .

أسماء جبال تهامة وسكانها [١]

تأليف عرام بن الاصبغ السلمي ، تحقيق عبد السلام هارون بمصر

نبدأ تعليقنا على الطبعة الثانية من هذه الرسالة بملاحظاتنا على (صورة الجزيرة العربية) التي رسمها الأستاذ عبد السلام هارون ، ونشرها في مقدمة طبعتيه لرسالة « أسماء جبال تهامه » ، هذه الملاحظات هي :

١ — وضع الأستاذ ذات عرق بين قرن المنازل ومكة ، ومما لا شك فيه أن ذات عرق هي الموضع الذي يعرف في هذا العهد باسم « الضريبة » . وكان حجاج شمال نجد ، والقادمون من العراق في العهود الماضية ، وحينما كان الحج على الإبل ، يحرمون من هذا الموضع ، وهو يقع شمال قرن المنازل ، بميل نحو الشرق . ودليل شرعي على هذا هو أن ميقات ذات عرق حُدِّد في عهد الخلفاء الراشدين حيث لم يحدد الرسول ﷺ ميقاتاً لأهل المشرق القادمين من تلك الجهة الى مكة ، فرأى الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه هذا الموضع محاذياً لقرن المنازل .

٢ — بئر معونة ليست غرب معدن بني سليم بل شرقه ، فهي واقعة في جبال أبلى ، ولا تزال أبلى معروفة باسمها في هذا العهد ، وهي تقع شرق المعدن بميل نحو الشمال ، والمعدن يعرف الآن باسم « مهد الذهب » .

٣ — وضع الأستاذ اسم « حنين » مجاوراً لبدر ، على ساحل بحر القلزم جنوب ينبع ، وشمال ودّان الواقع بقرب رابغ ، ومعلوم أن الأستاذ يقصد حنيناً الموضع التاريخي المشهور ، إذ مصور الجزيرة هذا وضع لهذه الرسالة التي أُلفت في القرن الثالث الهجري ، ووضع حنين بهذه الصفة خطأ محض ، فحنين

(١) في المجلد الـ ٢٨ من مجلة المجمع العلمي العربي ص٣٩٦ الى ٤٠٢ وص ٥٩٢ الى ٥٩٩ »
نقد الطبعة الأولى من هذه الرسالة .

يقع شرق مكة ، فيما بينها وبين الطائف ويبعد عن مكان وضعه هذا مسيرة أيام وليال ، ويعرف موضع حنين في عهدنا باسم الشرائع .

٤ — أطلق الأستاذ على أعلى وادي الرُّمة اسم (وادي الشربة) . وهذا غير صحيح من وجهين : (١) أن هذا الموضع الذي سماه بهذا الاسم هو من وادي الرُّمة . (٢) أن الشربة تقع جنوبه ، فهي الأرض الواقعة بين خطي وادي الرمة ووادي الجريب حتى يلتقيا . والأستاذ عبد السلام لن يعدم قولاً ضعيفاً ـ للهيثم ابن عدي وأمثاله ممن لم يسر في تلك البقاع ـ يؤيد وهمه هذا ، إلا أن الحقّ خلافه .

٥ — ص ٣٩٧ : وليس شيء من تلك الأوشال يجاور الشقة . وعلق الأستاذ أما ملاحظاتنا على الرسالة فهي :

بكلام أورده البكري عن «البثنة» وعن موضع فيها يسمى الشقة . ولا أزال عند رأيي في أن المراد «الشقة» أي ان مياه هذه الأوشال قليلة جدًّا . أما الموضع الذي ذكره البكري فأعتقد أنه مصحف ، وعلى فرض صحته ، فأية صلة بينه وبين الكلام في تعريف الوشل .

٦ — ص ٤٠٤ : علق الأستاذ عبد السلام على اسم قرية «المضيق» الواقعة بقرب آرة ، بين مكة والمدينة ، بنقل عن ياقوت فيه أن بني عامر أغاروا على زيد الخيل «الطائي» فالتقوا بالمضيق . ولا رابط بين هذين الموضعين ، فبنو عامر ينزلون في عالية نجد ، وطيء يسكنون شماله ، والموضع الذي وقع فيه الأمر لا بُدَّ أن يكون بقرب منازل إحدى القبيلتين ـ أي في نجد ـ وهذا الموضع الذي ذكره عرام في غوْر تهامة ، وشتان بين الموضعين ! وانظر جمهرة ابن حزم ـ ص ٢٦٨ ـ لتجد أن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب أحد رؤساء بني عامر يعرف بـ «نزال المضيق» .

٧ — كنا أوردنا في نقدنا للطبعة الأولى أبياتاً لغزلان الثمالي من نوادر الهجري ، ومنهـا :

جواري من حيي عداء كليهما طوامح بالأزواج غير غوان

وقصدنا تصحيح هذا البيت :

جواري من حيّي عداء كأنها مها الرمل ذي الأزواج غيرعوان

إلا أن الأستاذ عبد السلام أورد هذا البيت بصورته هذه ، وهي كما يراها القراء غير مستقيمة المعنى . وبعدها بيت آخر (ص ٤٠٧) :

جنن جنوناً من بعول كأنها قرود تبارى في رباط يمان

وحار الأستاذ في كلمة (تبارى) إذ قال انها غير معجمة وانه نقلها بهذه الصفة معجم ياقوت مادة (وبعان) وأنها فيه مادة (خلص) : تنادى . ولقد أوردناها صحيحة فيما نقلناه عن الهجري : تنازى ـ أي تتنازى ، من النزوان ـ والشاعر يهجوهم .

٨ — علق الأستاذ (ص ٤١٦) على معدن البرام ، الموضع الواقع قرب الطائف ، بكلام ورد في وصف معدن البرّم في « أضاخ » والموضعان متغايران ، أولهما في الحجاز ، وثانيهما في عالية نجد .

٩ — ص ٤١٩ : قال عرام : وقعيقعان قرية فيها مياه وزروع ونخيل وفواكه ، وهي اليمانية ، وبين مكة والطائف قرية يقال لها راسب ، لخثعم ، و (الجونة) قرية للأنصار . علق الأستاذ عبد السلام على كلمة (اليمانية) قائلاً : يعني الفواكه اليمانية . وأقول : ان عراماً لا يقصد الفواكه ، بل يقصد وادي نخلة اليمانية ، الواقعة بين مكة والطائف ، فهذه القرية التي دعاها (قعيقعان) هي على رأيه تدعى اليمانية ، وانظر شفاء الغرام لتقي الدين الفارسي لتجد كلام عرام هذا .

وعلق الأستاذ على كلمة (الجونة) قائلاً :

كذا أثبتها ياقوت في رسمها وقال : قرية بين مكة والطائف ، ورسمت في الأصل : الجويه معجمة الحروف . وقرأها الميمني : الجوبة . قال الشيخ حمد : وهي فيما أرى « الحويّة » بالحاء المهملة المفتوحة فواو مكسورة ، فياء مثناة تحتية مشددة ، فتاء التأنيث : قرية من أشهر قرى الطائف ، لا تزال معروفة بهذا الاسم ، وإن لم يرد ذكرها في المعاجم القديمة كغيرها من كثير من مواضع بلاد العرب .

واستدرك الأستاذ معلقاً على كلامي قائلاً : لكن تقييد ياقوت لها ، وكونها بين مكة والطائف ، لا في الطائف نفسها يعارض ما توهمه الشيخ . وأقول : ليس تقييد ياقوت حجة في هذا الباب ، فكثير من أسماء المواضع قيدها على غير وجهها الصحيح ، لأنه ينقل من كتب يقع فيها التصحيف كثيراً وفي معجم البلدان مئات من الأسماء مصحفة .

وأنا حينما قلت بأنها من أشهر قرى الطائف لم أنف وقوعها فيما بينه وبين مكة فقد قصدت الافليم ، والقرية المذكورة إحدى قراه وهي واقعة فيما بينه وبين مكة .

١٠ — ص ٤١٨ : قال عرام : وقفل : التثنية [1] التي تطلعك على قرن المنازل ، حيال الطائف تلهزك من عن يسارك ، وأنت تؤم مكة ، متقاودة ، وهي جبال حمر شوامخ ، أكثر نباتها القرض اهـ .

حيال الطائف تصحيف (جبال) وقد ظن الأستاذ أن كل هذا الكلام يتعلق بوصف الثنية ، والحقيقة انه وصف لجبال الطائف .

١١ — ص ٤٣٤ : وهم على طريق زبيدة ، يدعوه بنو سليم ، (منفا زبيدة) . وعلق الأستاذ : كذا في الأصل وفي معجم ياقوت : منقا زبيدة ، رسم « مغار » وقرأها الميمني : « مغفا » سهواً . وأقول : الصواب ما في ياقوت : « منقا » بالميم المضمومة فالنون المفتوحة ، بعدها قاف مشددة مفتوحة ممدودة ، فالسيدة زبيدة قد أمرت باصلاح هذا الطريق ، وتنقيته من أحجار الحرة ، ولهذا يسمى « المنقى » ولا يزال سكان هذه الجهات من العرب وأهل نجد يسمونه بهذا الاسم .

ولنقف من هذه النظرة السريعة عند هذا الحد ، ذاكرين لعلامتنا الجليل الأستاذ عبد السلام هارون ، بمزيد الحمد والثناء فضله ، سائلين الله ليديم له الصحة والتوفيق ، ليواصل جهده العظيم في خدمة أمته في علمها وأدبها ، اللذين أسدى اليهما الكثير الجزيل من خدماته وأياديه .

حمد الجاسر

(١) لعلها الثنية (لجنة المجلة) .

منتخبات من معجم الكواكبي

- ٣ -

٢٢) Acétonurie تَخَلْوُن البول ·

من (acétone ، ومن اليونانية ouron : بول) ·

لغة : اشتقاقاً من معرب الكلمة الافرنجية : الخلون ·

فناً : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في البول ·

٢٣) Acétonylation خَلْوَنَة ·

لغة : اشتقاقاً من الخلون · فناً : عمل كيمياوي يُدخل فيه جذر الخلون ذرة الجسم العضوي ، وهو جذر وحيد المعادل : ($CH_3 \cdot CO \cdot CH_2 —$) ·

٢٤) Acétonyle خَلْونيل ·

تعريباً · الجذر الوحيد المعادل المشتق من الخلون وهو ($CH_3 \cdot CO \cdot CH_2 —$)

٢٥) Acétylation أَسْتَلَة ·

لغة : تعريبا · فناً : عمل كيمياوي يدخل فيه جذر الخَلّيل (أُستيل) مادة ما ($CH_3 . CO —$) ·

٢٦) Acétyle خَلّيل ·

لغة : تعريبا · فناً : جذر عضوي وحيد المعادل ذو صيغة ($CH_3 . CO —$) ·

٢٧) Acide حَمْض ·

(من اللاتينية acidus : حامض ، ضد الحلو) ·

لغة : ما مَلُح وأَمرَّ من النبات وهي كفاكهة الإبل جمعه حُمُوض · الحُموضة : طعم الحامض · حَمُضَ ككَرُم وجَعَل وفَرِح ، في اللَّبن خاصةً ، حَمْضاً وحُموضة وأَحمَضه ·· المُستحمِض : اللَّبن البطيء الرَّوْب ·

فناً : في الكيمياء : اسم عام يسمى به كل ما يَطلِق شوارد * هدرجينية ·

في الكيمياء العضوية : كل ما فيه جذر (COOH —) المسمى (حُمائيل* [1])، والحاصل من اكسدة غَوْليد [2] * . خواصه على وجه عام : طعمه حامض ، محلوله في الماء يحيل صبغة العَبَّشَم * [3] الزرقاء الى حمراء ويتفاعل والمعادن أو القلويات مكوناً جسماً معتدلاً على العبشم * هو الملح . (indice d'—) : علامة الحمض ، رقم الحموضة : عدد الملغ من البوتاس اللازم لإشباع الحوض الدسمة الحرة في غ واحد من دسم أو شمع ... (vert —) الأخضر الحامض : صبغ مشتق من المتان المثلث الفنيل .

٢٨) حَمْضَئِيل Acide - alcool .

لغة : نحتاً من (حَمض ، مائيل *) . فناً : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة غول . مثال : حمض اللبن ($CH_3.CHOH.COOH$) .

٢٩) حَمْضَليد Acide - Aldéhyde .

لغة : نحتاً من (حمض ، غَوْليد *) . فناً : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة غوليد . مثال : حمض الغليوكسيل (CHO - COOH) .

٣٠) حَمْضَمين Acide - ominé .

لغة : نحتاً من (حمض ، آمين) . فناً : جسم عضوي فيه وظيفة آمين ووظيفة حمض متجاورتين . مثال : حمضمين الخلّ [$CH_2(NH_2)COOH$] .

٣١) حَمْضَلُون Acide - cétone .

لغة : نحتاً من (حمض ، خَلُّون) .

فناً : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة خلون . مثال : حمض الخمرم الناري ($CH_3\,CO.COOH$) .

٣٢) حَمْضَنُول Acide - phénol .

لغة : نحتاً من (حمض ، فنول) . فناً : جسم عضوي فيه حمض ووظيفة فنول . مثال : حمض الصفصاف ($C_6H_4(OH)COOH$) .

(1) carboxyle . (2) aldéhyde . (3) teinture de tournesole.

٣٣) Acidifiable حَمُوض .

لغة : وزان فَعُول وفيه معنى القابلية ، من (حمض) .

فناً : كل ما هو قابل للاستحالة الى حمض .

٣٤) Acidifiant مُحَمِّض .

لغة : بزيادة النون في آخر (حَمْض) : مُحَمِّض = ما يجعل الشيء حامضاً .

فناً : ما يجعل الشيء بخواص الحمض .

٣٥) Acidification حَمْضَنَة .

لغة : كما في الكلمة الآنفة الذكر : اضافة حمض ما الى جسم ما .

فناً : حالة يتحول معها جسم ما إلى (حَمْض) .

٣٦) Acidifier حَمْضَنَ .

لغة : كما في الكلمة رقم ٣٤ : حَمَّض = أضاف شيئاً حامضاً .

فناً : جَعَل البيئة حامضة التفاعل .

٣٧) Acidifier (s') تَحَمْضَنَ .

لغة : كما في الكلمة رقم ٣٤ : احمَضَّ ، تَحَمَّضَ : صار حمضا .

فناً : حالة تكتسب فيها البيئة تفاعلاً حامضاً بالتدريج .

٣٨) Acidimètre مِحْماض .

لغة : اسم آلة من (حَمْض) .

فناً : ميزان الحمض ، آلة تعلم بها درجة تركز حمض ما .

٣٩) Acidité حُمُوضة .

لغة : طعم الشيء الحامض . . . فناً : خاصة الجسم الذي يطلق شوارد الهدرجين . وتقدّر بأُس الهدرجين (pH أقل من ٧) . || acitive — حموضة فاعلة : التركز من شوارد الهدرجين ، الجزء المتفكك من ذرة الحمض = réelle — || de titration — حموضة عيارية : التركز من الجزء المتفكك والجزء

اللامتفكك = كمية القلوي اللازمة للتعديل · || totale — حموضة عامة = potentiel — حموضة كامنة || ionique — حموضة شاردية ، حموضة حقيقية = حموضة فاعلة · || — d' indice نسبة الحموضة ، رقم الحموضة : عدد الملغ من البوتاس اللازم لتعديل الحموض الحرة في غ واحد من دسم أو زيت عطري ·

٤٠) Acidose تَحَمُّضُ الدم ·

لغة : كما في (رقم ٣٧) ·

فناً : مرض يصبح الدم فيه حامض التفاعل ·

٤١) Aciérage فَوْلَذَة ·

(من اللاتينية acies, aciarum حَدّ) ·

لغة : اشتقاقاً من (الفولاذ) · والفولاذ : من الفارسية پولاد ، بالباء المثلثة التحتية ، وهو (ذُكْرَةُ الحديد ، كما في القاموس) : اسم عام لخلائط الحديد والفحم المحتوية على ٢ر٠ — ١٥ر بالمئة من الفحم ·

فناً : عمل يتم معه تحويل المعدن الى فولاذ بأية طريقة كانت || وضع طبقة من الفولاذ على معدن ما لتزييد صلابته ·

٤٢) Aciéré مُفَوْلَذ ·

لغة : اشتقاقاً من الفولاذ (انظر رقم ٤١) ·

فناً : معدن محول الى فولاذ || كل ما هو محتو على فولاذ أو مطلي به ·

٤٣) Aciérer فَوْلَذَ ·

وكذا (Acieriser) ·

لغة : اشتقاقاً كما في الرقم ٤١ ·

فناً : قَلَبَ الحديد فولاذاً || لَحَمَ طبقة من الفولاذ بالحديد ·

(يتبع) الكواكبي

الفهرس العام

لمواد المجلد الحادي والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

(أ)

آثار معين في جوف اليمن (كتاب) ٣١٢
آراء وأنباء ١٣٨، ٣٣٨، ٤٩٨، ٦٧٧
ابن الحريري (كتاب) ٣١٤
ابن رشد (كتاب) ٣٠٢
أبو الفتح بن جني ١٠٦، ٢٨٣، ٤٥١، ٦٣١
أساسات التنمية الاقتصادية (كتاب) ٦٧٤
أسرار البلاغة (كتاب) ٣٣٢
أسماء جبال تهامة وسكانها ٦٨٩
الاصطلاحات الفلسفية ٢٣، ١٨٧، ٢٩٧، ٥٤٤
أعضاء المجمع العلمي العربي (١٩٥٦) ١٣٨
أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون (١٩٥٦) ١٤٠
أعيان الشيعة (كتاب) ٤٨٣
أغلاط في حديث أدبي ١٦٥
أفكار أبي حنيفة الدينوري ٤٠٩
الى الحياة (كتاب) ٦٦٦
الإمام العادل الملك عبدالعزيز (كتاب) ٣٠٧
أمراء دمشق في الاسلام (كتاب) ٤٩٦
انتخاب أعضاء مراسلين ٣٣٨
أهل الكهف ٦٠٢
إيوانية البحتري ٧٧، ٢٤١، ٤٢٧، ٥٧٧

(ب)

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية ٩٠، ٢٥٣

(ت)

تاريخ العرب قبل الاسلام (كتاب) ٦٥٠
تاريخ مصر (كتاب) ٣٣١
ترجح وتأرجح ٣٤٣
تصويب تطبيع ٣٤٩
التعريف والنقد ١١٩، ٣٠٢، ٤٧٣، ٦٤٩

تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والأوسط (كتاب) ٣١٣
التكية السليمانية في دمشق ٢٢٢، ٤٣٧
تلخيص البيان في مجازات القرآن (كتاب) ١٢٢
توغل العرب في بلاد الشام (كتاب) ١٢٤

(ث)

الثائرون في التاريخ (كتاب) ٤٨٧

(ج)

الجاحظ (كتاب) ٣١٧

(ح)

حافظ ابراهيم على سجيته ٥٢٩
حريق الجامع الأموي بدمشق (سنة ٧٤٠هـ) ٣٥

(خ)

خريدة القصر وجريدة العصر (كتاب) ٤٧٣

(د)

الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي ٥٥٩
الدراسات العربية في الولايات المتحدة ٢٧١
ديوان ابن النقيب ٣

(ر)

رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين ٣٤١
رثاء الجندي والبزم ٢٣٨
ردّ على ميخائيل نعيمة (كتاب) ٤٨٨
رسائل ابن الأثير ٥١٤
رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار ٢٠٢
رسالة الصلاة ٦٦٣
رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء ١٦٢

(ش)

شاعران معاصران (كتاب) ٣١٩
الشبك (كتاب) ١٣٦
شرح لزوم ما لا يلزم ١٤٥
الشعر الأندلسي ٣٧١
الشعر العربي في المهجر (كتاب) ٣٢٢
الشيخ نجيب الحداد (كتاب) ٣٢٨

(ط)

طبقات الأطباء والحكماء (كتاب) ٤٨٠

(ك)

كتاب تحذير العباد ١٣٠
كتاب التربيع والتدوير للجاحظ ١١٩
كتاب تنبيه الغبي ١٣٠
كتاب الريف السوري ١٢٨
كتاب من شيم العرب ٦٥٨

كتاب الموجز في علم القوافي ٤٨
كتاب الورقة ١٢٦
(م)
ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت ٤١٦، ٥٨٦
المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون (كتاب) ٦٦٠
مجلة معهد المخطوطات العربية ٦٦٨
المجموع الأول (كتاب) ٣١٠
مجموعة ابن النقيب ١٧٧
محاضرات في اقتصاديات سورية ٣٣٥
محاضرات في القانون المدني اللبناني ٤٩٤
المختصر في الفقه المالكي (كتاب) ٦٥١
مخطوطات قيمة تُهدى الى دار الكتب الظاهرية ٥٢٥
المدخل الى تاريخ الحضارة (كتاب) ٤٩١
مذكراتي عن الثورة العربية (كتاب) ٦٤٩
مستقبل المرأة العربية (كتاب) ٦٥٢
مستقبلك في يدك متى عرفت ربك (كتاب) ٦٥٤
مصادر الحق في الفقه الإسلامي (كتاب) ٣٠٦
مصادر الدراسة الأدبية (كتاب) ٦٧١
مع حافظ ابراهيم ٣٥٣
مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام ٥٩
ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني ١٥٣
ملاحظات على رسم بعض المعرّبات ٥١٣
ملاحظات على مصطلحات كيمياوية ١٦٨
ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية ٥٠٩
منتخبات من معجم الكواكبي ٣٤٦، ٥٢١، ٦٩٣
الموشحات الأندلسية (كتاب) ٣٢٥
مؤتمر المجامع اللغوية العلمية ٦٨٧
(ن)
نقوش خربة معين (كتاب) ٣١٣
نوابغ المغرب العربي (كتاب) ٣٠٤
(و)
وفاة الأستاذ الشيخ سعيد العرفي ٣٣٩
وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي ٥٠٢
وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ٤٩٨
وفاة الأستاذ جورج سارطون ٦٧٨
وفاة الأستاذ سليم الجندي ١٤٢
وفاة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ٦٨٢
وفاة الأستاذ فيليب طرازي ٦٨٥
وفاة الأستاذ كارل بروكلمن ٥٠٤
(ي)
ياقوت الكلام في ما ناب الشام ٦١١

فهرس الأعلام

أي أسماء الكتّاب المنشورة في هذا المجلد

منسوقاً على حروف الهجاء

(أ)

أحمد طربين ٦١١

أسعد الحكيم ٤٨٠

أنيس المقدمي ٥١٤

(ب)

بابلي وايندر ٢٧١

(ج)

جعفر الحسني ١٢٤، ١٣٦، ٢٢٢، ٣١٢، ٣١٣، ٤٣٧، ٤٩١، ٦٥٠، ٦٥١

جميل صليبا ٢٣، ١٨٧، ٣٠٢، ٣٩٧، ٥٤٤، ٦٥٢

جورج حداد ٣٣١

جيورجي تسيريتيلي ٥٥٩

(ح)

حسني سبح ٤١٦، ٥٨٦

حكمة هاشم ٤٨٨

حمد الجاسر ٦٨٩

خليل مردم بك ٣، ١٧٧، ٣٥٣، ٥٢٩

خير الدين الزركلي ٢٣٨

(س)

سالم الكرنكوي ١٥٣

سامي الدهان ١٢٦، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨

سليمان ظاهر ١٦٢

(ش)

شفيق جبري ١١٩

(ص)

صلاح الدين المنجد ٣٥، ٦٠٢

(ع)

عارف أبو شقرا ٣٤٣

عبد القادر المغربي ٧٧، ٢٤١، ٤٢٧، ٥٧٧

عبد الله القلقيلي ١٦٥
عبد الله كنون ٣٧١
عبد الهادي هاشم ٤٨ ، ٢٠٢ ، ٤٧٣ ، ٦٦٨ ، ٦٧١
عبد الوهاب عزام ١٤٥
عدنان الخطيب ٤٩٤
عز الدين التنوخي ٣٣٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧

(ك)

كاظم الداغستاني ١٢٨

(م)

محمد أحمد دهمان ٣٤١ ، ٤٩٦
محمد أسعد طلس ١٠٦ ، ٢٨٣ ، ٤٥١ ، ٦٣١
محمد بهجة البيطار ٩٠ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ٢٥٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦٣ ، ٦٦٦
محمد حميد الله ٤٠٩
محمد صلاح الدين الكواكبي ١٦٨ ، ٣٤٦ ، ٥٢١ ، ٦٩٣
محمد الطاهر ابن عاشور ٥٩
مصطفى الشهابي ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٦٤٩
منير الشريف ٣٣٥ ، ٦٧٤

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة

٥٢٩ حافظ ابراهيم على سجيته . . . . . للأستاذ خليل مردم بك .
٥٤٤ الاصطلاحات الفلسفية (٤) . . . . . للدكتور جميل صليبا .
٥٥٩ الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي . للأستاذ جيورجي تسيريتيلي .
٥٧٧ إيوانية البحتري (٤) . . . . . للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي
٥٨٦ ما سمعت وما رأيت في بلاد السوفيت (٢) . للدكتور حسني سبح .
٦٠٢ أهل الكهف في غرناطة ودمشق وبزنطية للدكتور صلاح الدين المنجد .
٦١١ ياقوت الكلام في ما ناب الشام . . . . للأستاذ أحمد طربين .
٦٣١ أبو الفتح بن جني (٨) . . . . . للدكتور محمد أسعد طلس .

التعريف والنقد

٦٤٩ مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى . للأمير مصطفى الشهابي .
٦٥٠ تاريخ العرب قبل الإسلام . . . . } للأمير جعفر الحسني .
٦٥١ المختصر في الفقه المالكي (القسم الأول) }
٦٥٢ مستقبل المرأة العربية في البيت والمجتمع . للدكتور جميل صليبا .
٦٥٤ مستقبلك في يدك متى عرفت ربك . }
٦٥٨ كتاب من شيم العرب (الجزء الأول) . }
٦٦٠ المثل العليا في الإسلام لا في بعضهم . } للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٦٦٣ رسالة الصلاة . . . . . }
٦٦٦ الى الحياة . . . . . }
٦٦٨ مجلة معهد المخطوطات العربية . . . } للأستاذ عبد الهادي هاشم .
٦٧١ مصادر الدراسة الأدبية . . . . . }
٦٧٤ أساسات التنمية الاقتصادية . . . . للأستاذ منير الشريف .

آراء وأنبـاء

٦٧٨ وفاة الأستاذ جورج سارطون . . . . . .
٦٨٢ وفاة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف . . . . . .
٦٨٥ وفاة الأستاذ فيليب طرّازي . . . . . .
٦٨٧ مؤتمر المجامع اللغوية العلمية . . . . . .
٦٨٩ أسماء جبال تهامة وسكانها . . . . للأستاذ حمد الجاسر .
٦٩٣ منتخبات من معجم الكواكبي (٣) . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٦٩٧ الفهرس العام لمواد المجلد الحادي والثلاثين . . . . . .
٧٠٠ فهرس الأعلام (أي أسماء الكتّاب المنشورة في هذا المجلد) . . . . . .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش

٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ — أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٩ — قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٣٠ — الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٣١ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . ستورستين .

٣٢ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٣٣ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٤ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل

٣٦ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة

٣٧ — ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس

٣٨ — تاريخ المجمع العلمي العربي : تأليف الأستاذ أحمد الفتيح

٣٩ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٤٠ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٤١ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٤٢ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنبلي الحلبي

بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي